

إحياء
علم الدين

الإمام أبو حامد الفراء

المجلد الرابع

مكتبة دار

٢١ شارع الشيخ محمد باقر

مطبعة الدواعي

خلف الأثر ٩١٥٣١٣/٥

إحياء علوم الدين

للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفخر الرازي

وفلسفته في الإحياء

بمعلم

الدكتور زيدوني طه بانه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية بيروت

مبنى البابي بحلبي وشركة

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(مراكم كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدر كل خطاب . وبمحمده ينعم أهل النعم في دار التواب . وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْسِخَ دونهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السمداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إليه توبة من يؤمن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . وترجوه رجاء من يعلم أنه لك الرحم الغفور التواب . ويخرج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونسلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتقدنا من هول الطلع يوم العرض والحساب . ومحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام التوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام للريدين ، ومفتاح استقامة للمائلين ، ومطلع الاستعفاء والاجتباء للفرحين ، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدد بالأولاد ، الاقتداء بالأباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمي واجترم ، فمضى شفتة يعرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه لما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليسكن التزوع إليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ الندم ، وتقدم على ما سبق منه وتقدم . فمن أغلقه قدوة في الذنب دون التوبة قد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير ذاب لللاشك القربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الأدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان . والتجرد للشر شيطان ، والتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبان ، واضطرب فيه سحبتان ، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الله أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حبه الإنسان ، وللصبر على الطعنان مسجل على نفسه نسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللاشك بالتجرد لمحض الخير فغارج عن حيز الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم هجنا عمكا لا يخلصه إلا إحدى النارين

(كتاب التوبة)

[الباب التاسع]

والأرجون في استقبال

التهار والأدب فيه

والعمل]

قال الله تعالى - وأتم

الصلاة طرق التهار -

أجمع القسرون على

أن أحد الطرفين

أراد به التجر وأمر

بصلاة التجر واختلفوا

في الطرف الآخر قال

قوم أراد به التجر وقال

آخرون صلاة المشاء

وقال قوم صلاة التجر

والظاهر طرف وصلاة

الصبر والتجر طرف

وزلنا من الليل صلاة

المشاء ثم إن الله تعالى

أخبر عن عظيم بركة

الصلاة وشرف فائدتها

ومجربتها وقال - إن

الحسنات يذهب

نار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان وإلترك
الآن اختيار أهون التارين ، والبادرة إلى أخف الشرن ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ،
ويساق إلى دار الاضطراب . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا
الواقع وجب تقديمها في صدور ربيع التجليات بصرح حقيقتها وشروطها واسديها واعلامها وتمرانها والآفات
للأسنة منها والأدوية للبصرة لها ويضع ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة
وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا
صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان اهتسامها إلى صفائر وكبائر
وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات
والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها
وكيفية تدارك ما مضى من الظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة .
الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من للتائبين
ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وقول ، فالعلم الأول
والحال الثاني والقول الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً انتشاء اطراد استعانة الله
في الملك واللكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل
محبوب فاذا عرف ذلك معرفة حقيقة يقين غالب على قلبه نار من هذه المعرفة تألم القلب بسبب ألوات
المحبيب فان القلب مهما شعر بفوات محبوه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل اللوث فيسمى
تألمه بسبب فعله اللوث لمحبهه بعدما فاذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبث من هذا الألم
في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعله تعلق بالحال وبالمساضى والاستقبال أما تعلقه بالحال
فباترك للذنب الذي كان ملاسماً وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب اللوث للمحجوب إلى آخر
العمر وأما بالمساضى فتتلافى ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلاً لجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه
الحيرات وأغنى بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب محموم مهلكة
واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستقباله على القلب فيشمر نور هذا
الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فتألم بها القلب حيث يصير بأشراق نور الايمان أنعمار
محجوباً عن محبوه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيقطع النور عليه بانقشاع
سحاب أو انحصار حجاب فرأى محبوه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث
تلك النيران بأرادة للاشتياق للتندارك فالعلم والندم والتصدق تعلق بالترك بالحال والاستقبال والتلاقي
للمساضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على
معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق وللندمة والترك كالخبرة والتائب للتأخر وبهذا الاعتبار قال
عليه الصلاة والسلام « الندم توبة (١) » إذ لا يغفل الندم عن علم أو جبه وآثره وعن عزم يتبعه
ويتلوه فيكون الندم محموقاً بطريقه أعنى ثمرته ومنممه . وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه
ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا يرض لجرد الألم ولذلك قبله هو نار في القلب تطلب وصدع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ورواه
ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات سوى الصلوات
الحس يذهب
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كتب
إلى عمرو الأنصاري
كان يبيع التمر فأنت
امرأة تبتاع تمرأ فقال
لها إن هذا التمر ليس
بجيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
فالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضعها إلى
نفسه وقبلها فقالت له
أتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
راود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفعل
الرجال بالنساء إلا
ركب غير أن علم مجامعها
قال عمر بن الخطاب

في الكبد لا يشعب وباعتبار معنى الترك قبل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء وتشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات للهمومة بالحركات المهمودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقول في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبطها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بمغائيق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وفضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار^(١) والآيات وهو واضح بنور البصرة عند من اقتضت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهتدي إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه . وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام . فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما جوزه ذلك فيتخير . فخير هذا وإن طال عمره وعظم جده يختصر وخطاه قاصرة ومن سعيده شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه يقينه بأدنى إشارة لسواك طريق معوية وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يحترق بأدنى بيان فكأنه بكاء ريشه يضيء ولو لم تمسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لو صفه بكونه واجبا معني . وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض فان مالا غرض لنا أجلا عاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجه علينا غيرنا أو لم يوجهه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشق لامحالة تحول بينه وبين ما يشتهي يحترق بنار الفراق ونار الحجب وعلم أنه لا مبدع عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والآكبات على حب مالا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجهاله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله اليمدين عن حضرته سبب كونه محبوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البدواجب الوصول إلى القرب وإغمايتهم الانصراف بالملم والتدم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يتم ولم يتوجه بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجه فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصرة وأما من لم يترشح لمل هذا المقام للرفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع

(١) الأخبار الواردة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر الذي يألها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا ينماجه من حديث جابر يألها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا الحديث وصنفه ضيف .

قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال أنتظر أمر ربي وحضرت صلاة الصبح وصل النبي عليه الصلاة والسلام العصر . فلما فرغ أنه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أين أبو اليسر فقال هأنذا يارسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فاتها كفارة لما عملت فقال عمر يارسول الله هذا له خاصة أو لنا عامة ، فقال بل للناس عامة فيستند العبد لصلاة التسبيح باستكمال الطهارة قبل طلوع

مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فللاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين
 فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر على العموم
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا - الآية ومعنى النصوح: خالص
 تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من التصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
 لا ذنب له» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وقد أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل
 في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فقام نومة فاستيقظ وقد ذهبت
 راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أوامره الله قال أرجع إلى مكان الذي كنت فيه
 فأقام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لمجوت فاستيقظ فأقار راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه
 تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته» (٢) وفي بعض ألفاظ قال من شدة فرحه
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبدي . وروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم
 عليه السلام هأنذا لللائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم فرت عنك
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى
 الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك والتب والصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم ليبتك كما ليبتك ومن
 سألني للنفرة لم أدخل عليه لأنى قريب حبيب يا آدم وأحضر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين
 ودعائهم مستجاب والأخبار والأثار في ذلك لأعصى والاجماع متقدم من الأمة على وجوبها إذ معناه
 العلم بأن الذنوب والامعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن
 قد تدهش الغفلة عن معنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
 في الحال والعزم على تركها في المستقبل وتدارك ما سبق من التصدير في سابق الأحوال وذلك لا يشك
 في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلحق
 فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لعمالة عقيب حقيقة العرفة بما فات من العدم وضلع
 في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا بدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب .
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بغوات المحبوب وله حيل إلى تحصيل سببه ويحل هذا العلم دخل العلم
 تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والتندم والقمل
 والارادة والقدرة والقادر السلك من خلق الله وقوله - والله خلقكم وما تعملون - وهذا هو الحق
 عند ذوى الأبصار وما سوى هذا ضلال . فان قلت أفتليس للعبد اختيار في العمل والتارك قلنا نعم
 وذلك لا يناقض قولنا إن السلك من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضا من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود
 بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب
 التواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد في زوائد
 للسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي بن الله يحب العبد المؤمن للثمن التواب (٢) حديث
 الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من
 حديث ابن مسعود وأنس زاذ مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الترح اللهم أنت عبدي
 وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث
 أبي هريرة مختصرا .

التعجب ويستقبل التعجب
 بتجديد الشهادة كما
 ذكرنا في أول المجلد ثم
 يؤذن إن لم يكن أجاب
 المؤذن ثم يعلى ركعتي
 التعجب غفرا في الأولى
 بعد الفاتحة قل يا أيها
 الكافرون وفي الثانية
 قل هو الله أحد وإن
 أراد قرأ في الأولى
 - قسولوا آمنة بالله
 وما أنزل - الآية في
 سورة البقرة وفي
 الأخرى - ربنا آمنة
 بما أنزل واتمنا
 الرسول - ثم يستغفر
 الله ويسبح الله تعالى
 بما يتيسر له من البدد
 وإن قصر على كلمة
 أستغفر الله لذني
 سبحان الله بحمد ربى
 أن بالقصود من

في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق البدن الصالحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في
 اللذة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الحواطر للتعاضد في أن هذا
 الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق
 العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تجزم الارادة الباعثة على التناول بانحزام الارادة بعد
 تردد الحواطر للتعاضد وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه
 فاذا حصل انحزام الارادة خلق الله تعالى إيها محرك اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لاعتادة إذ بعد
 تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة خلق الله بعد
 حصول القدرة وانحزام الارادة وهما أيضا من خلق الله وانحزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة
 والعلم بعدم الواقع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه الخواص ترتب على البعض ترتيبا
 جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تحسد لسنة الله تبديلا - فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة
 منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق
 الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينفث هذا الدليل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بأنه
 موافق للنفس إما في الحال أو في الكمال ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة إرادة
 وعلم فالعلم والدليل الطبيعي أبدا يستتبع الارادة الجازمة والقدرة والارادة بدأت تدفع الحركة وهكذا
 الترتيب في كل فعل والسكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض غلوقاته شرط لبعض فذلك يجب
 تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق
 الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تنوّل من الجسم ويكون
 خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتوّل من الحياة ولكن لا يستعدّ المحل لقبول العلم إلا إذا كان
 حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لأن العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة إلا لجسم حي
 تام ولا يدخل في الوجود إلا يمكن والامكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال فهما وجد شرط
 الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فمثل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند
 حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى
 ترتيب واليد يجري هذه الحوادث للرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلي البصر
 ترتيبا كلياً لا يتغير وتظهرها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه البارة بقوله تعالى - إنا نكل شيء
 خلقناه بقدر - وعن القضاء السكّي الأزلّي البارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة كلف بالبصر -
 وأما العباد فاتهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب
 بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم في نفسه يسمى القصد
 وبعد علم بما إليه يهتد يسمى الإدراك واللعرفة فاذا ظهرت من باطن للكوكب هذه الأمور الأربعة
 على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب
 ولللكوكب وقالوا بأيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت وتودى من وراء حجاب الغيب وسر أدقات
 لللكوكب وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قلت إذ قلت ولكن قالوا هم بمنهم الله بأيديكم
 وعند هذا تصير عقول القاعدين في بحيرة عالم الشهادة فمن قال إنه جبر محض ومن قال إنه
 اختراع صرف ومن متوسط ماثل إلى أنه كسب ولو قسح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب
 ولللكوكب لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه وأن القصور شامل لجميع فلم يدركوا أحد منهم
 كنه هذا الأمر ولم يحيط عليه بجوانبه وتعمام عليه ينال بأشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب

التسبيح والاستغفار
 ثم قول اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد اللهم
 إني أسألك رحمة من
 عندك تهدي بها قلبي
 وتجمع بها شمل وتعلم
 بها شغبي وترد بها
 الدين عني وتصلح بها
 ديني وتحفظ بها غايي
 وترفع بها شاهدي
 وتزكّي بها عملي وتبيض
 بها وجهي وتلقني بها
 رعيدي وتصدقني بها
 من كل سوء اللهم
 أعطني إيمانا صادقا
 ويقينا ليس يصدف
 كفر ورحمة أنال بها
 شرف صكرامتك في
 الدنيا والآخرة اللهم إني
 أسألك الفوز عند
 القضاء ومنال الشهادة
 وعيش السعادة

وأنت تمالى - عالم التيب والشهادة لا يظهر على غيره أحد إلا من ارتضى من رسول - وقد بطل على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأبواب والسيدات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسباتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما جديدا أن لا خلق إلا الله ولا مبدع سواه . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إصالة ذلك إلى الأنهم بئال ، فاعلم أن جماعة من الميمان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط شاعدا ما صورته ولا سمعوا اسمه قالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفة بالسم الذي يقدح عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسه فوقع يد بعض الميمان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألمهم قبة الميمان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لس الشاب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمسأ لخشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لس الأذن لمصرى هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فشكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم يخطئهم فصروا عن الاحاطة بكنه صورة القيل فاستصبر بهذا اللثال واعتبر به فانه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يتطاع علوم للكشفة ويحرك أرواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جهة أفلا الله المحصورة بين علمه واليد والإرادة وقدرته للتخلية بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمه .

(بيان أن وجوب التوبة على الفور)

أما وجوبها على الفور فلا يتراب فيه إذ معرفة كون المصالح مملكتين من الإيمان وهو واجب على الفور وللتنصيص عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن القيل للكره وهذه المعرفة ليست من علوم للكشفات التي لا تملق بمصل بل هي من علوم للعامة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التنصيص عن عهده مالم يصير باعثا عليه فالعلم بضرب الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو قاصد لهذا الجزء من الإيمان وهو للراد بقوله عليه السلام ولا يزن الزاني حين يزني وهو مؤمن^(١) وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم للكشفة كالعلم بالله ووحديته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا يفيقه الزنا والمصالح وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبغضا عن الله تعالى موجبا لمقت كما إذا قال الطبيب هذا سم فلاتناوله فإذا تناوله فمات تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل الراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعالم بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بما أو احدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمادة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إمادة الأذى عن البشرية بأن يكون مقصود الشارب مقنوم الأنظار نفي البشرية عن الحب حتى شيعر عن البهائم للرسالة للثبوت بأروائها المستكرهة الصور بطول غلبها وأغلاها وهذا مثال لما سبق فلايمان كالانسان

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على بعده
ومرافقة الأنبياء الأهم
إني أقول بك حاجتي
وان تصر رأى وضف
معلمي وانفرت إلى
رحمتك وأسألك
يا قاضي الأمور وباشقي
الصدور كما تجير بين
البحور أن تجير من
عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة
القبور اللهم ما قصر
عنه رأيي وضف فيه

معلمي ولم تبلغه نيق
وأستنيق من خير
وعنده أجسدا من
عبادك أو خير أنت
معلمي أهدنا من خلقك
فأنا راغب إليك فيه
أسألك إله يارب
العالمين - اللهم اجعلنا
هادين مهدين خير

وقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالسكينة كفقده الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة
 هي كالنفس مقطوعة الأطراف مفقودة العينين فقد لجيع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما
 أن من هذا حاله قرب من أن يموت فزايه الروح الضعيفة للثبوت التي تخلع عن الأعضاء التي أعدها
 وتزورها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصور في الأعمال قرب من أن تقتلع شجرة إيمانه
 إذا صمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدم ملك اللوث ووروده فكل إيمان لم يثبت في
 اليقين أصله ولم تنسج في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك اللوث
 وخيف عليه سوء الحاتمة لآما يسبق بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رغب وثبت وقول العاصي
 للمطيع إنى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن
 جواب شجرة الصنوبر إذ قالت سنرفين إقتارك بشمول الاسم إذا حصلت رياح الخريف فندذلك
 تنقطع أسواقك وتتأثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الظلمة من أسباب
 ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا أبطل القبر أقرس تحتك أم حار . وهذا أمر يظهر عند الحاتمة
 وإذا انقطع نياط المارين خوفا من دواهي اللوث ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الألفون فالعاصي
 إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيبت كالصحيح للتحكم في الشهوات الضرة إذا كان لا يخاف
 اللوث بسبب محته وأن اللوث غالبا لا يقع بقاءه فيقال له الصحيح يخاف الرحمن وإذا مرض خاف اللوث
 وكذلك العاصي يخاف سوء الحاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والبياد بالله وجب الخلود في النار فالعاصي
 للإيمان كالماء كولات للضرة فلا بد أن تزل تجتمع في الباطن حتى يهزم مزاج الأخلاط وهو لا يشعر
 بها إلى أن يغسل الزاج فيمضي دفعة ثم يموت دفعة فكذلك للعاصي فإذا كان الحاتمة من الهلاك في
 هذه الدنيا للضعفة يجب عليه ترك السموم وما يضره من للأكلات في كل حال على القور فالخائف
 من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان يتناول السم لما لدم يجب عليه أن يتقيا ويرجع
 عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن الحلة على سبيل القور والمبادرة لتلافي البلاء للعصاة في هلاك لا يغوث
 عليه إلا هذه الدنيا الثانية لتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالقدار
 الممكن مادام يبقى لتدارك مهلة وهو العمر لأن الخوف من هذا السم قوت الآخرة الباقية التي فيها
 النعم النعم والملك العظيم وفي طوائف نار الجحيم والعذاب اللقيم الذي تصرم أضعاف أعمار الدنيا دون
 عشر حبة منه إذ ليس لذاته آخر أئنة فالهدار البدار إلى التوبة قبل أن تسلم سموم الذنوب بروح
 الإيمان عملا يمازج الأمل في الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الإختاء فلا ينجع بعد ذلك نصيح
 الضالعين ووعظ الواعظين ونصح السكينة عليه بأنه من الخاسرين ويدخل تحت عموم قوله تعالى
 - إنا جئنا في أعناقهم أخلا لا فهم إلى الأذنان فهم مقمقون . وجئناهم بين أيديهم سدا ومن خلفهم
 سدا فأغشيناهم فهم لا يحسرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يترك لفظ
 الإيمان فتقول المراد بالآية الكافر إذ يقع لك أن الإيمان يضيء وسبحون يا أولئك الذين لا يؤمنون
 بذي وهو مؤمن فالعاصي عن الإيمان الذي هو شعب وفرع يجب على الحاتمة عن الإيمان الذي
 هو أصل كما أن الشخص الناقص لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيقا إلى الموت المنعم فروح
 التي هي أصل فلا بقاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع إلا
 في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقائه جميعا يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي
 وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل فالمراد بالمتكافئة وعلوم الحاتمة متلازمة
 كتلازم الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة

خالفين ولا مضلين حربا
 لأعدائك وسلا
 لأولائك تحب حبك
 الناسي والصادي
 بدارتك من خافك
 من خلقك اللهم هذا
 الدعاء عني ومنك
 الإجابة وهذا الجهد
 عليك التكلان إن الله
 وإن إليه راسبون ولا
 حول ولا قوة إلا بالله
 العلي العظيم ذي
 الجلال الشديد والأمر
 الرهيد أسألك الأمن
 يوم الرعيد والجنة
 يوم الخلود مع القربين
 للشهود والركع السجود
 والموفين بالسجود إنك
 رحيم ودود وأنت تعلم
 ما تريد سبحانه من
 تطفئ بالمر والبال به
 سبحانه من ليس الجهد

التابع وعلوم العامة إذا لم تكن بائنة على العمل فمديها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤينة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم .

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة)

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إله تعالى - وتوبوا إلى إله جميعا أيه المؤمنين لعلكم تفلحون - فسمع الخطاب . ونور البصرة أيضا يرشد إليه بمعنى التوبة الرجوع عن الطريق للبعد عن الله القرب إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من مائل ولا تسكن غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والنصب وسائر الصفات الممومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأرباب وأصله إيمانهم عند مراقبة البوع ومباذبه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والقول جنود للآلئكة فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للأخر لألئهما صدان فالطاردة بينهما كالطاردة بين الليل والنهار والتور والظلمة مه مغلب أحدهما أزعم الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تسكن في الصبا والشباب قبل كمال العقل قد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع القلب به أنس وإلف لألئها مقتضيات الشهوات العادية وغلب ذلك عليه ويسر عليه التزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنفذ أوليائهم أي يدي أعدائه شيئا فشيئا على التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلكه على القلب للشيطان وأبخر العين ومعه حيث قال - لأحتسكن - فذمته لإتقلا - وإن كل العقل وقوى كان أول عنه فمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات ولا مفر للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيه الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الرجوع آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدو الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدو للآلئكة فكان الرجوع مما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان نيا كان أو غيبا فلا تظان أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل :

فلا تحسب هذا لها القدر وحدها سجيبة نفس كل فانية هند

بل هو حكم أزل مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم يتبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبدلها فاذن كل من بلغ كافرا جاهلا ضليع التوبة من جهله وكفره فإذا بلغ مسلماتا لأبويه فأنلا عن حقيقة إسلامه ضليع التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام فإنه لا يثنى عنه إسلام أبويه بمشيتا ما لم يسلم بنفسه فإن فهم ذلك ضليع الرجوع عن عادته وإلته للاسترسال وراء الشهوات من غير مكارف الرجوع إلى قالب حدود الله في التبع والاطلاق والاشكالك والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكرتون إذ همجروا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فتدل على أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كالم يستغنى آدم خلقه الله لا تتسع له خلقه الله إلا أصلا ، وأما بيان وجوبها على الدول وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن مصيبة مجوارحه إذا لم يخل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فإن خلأ في بعض الأحوال عن مصيبة الجوارح فلا يخلو من الملم بالذنوب بالقلب فإن خلأ في بعض الأحوال عن الملم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الحواطر للفتنة للهلة عن ذكر الله فإن خلأ عنه فلا يخلو عن غلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نفس له أسباب وتركها أسبابا بالتشاغل بأشياء داهية رجوع عن طريق إلى منه ولله بالذوبة الرجوع ولا يتصور الخلق في حق آدمي عن هذا النص وإنما يتفاوتون

وتكرم بمسبحان الذي
لا يثنى التيسيح إلا
مسبحان ذي الفضل
والتم مسبحان ذي الجود
والكرم مسبحان الذي
أحصى كل شيء بلمه
الهم اجعلني نوراني
قلبي ونورا في قبرى
ونورا في صمى ونورا
في بصرى ونورا في
شمى ونورا في بصرى
ونورا في علمى ونورا
في دمى ونورا في عظامى
ونورا من بين يدي
ونورا من خلفى ونورا
عن يمينى ونورا عن
شمالى ونورا من فوقى
ونورا من تحتي اللهم
زددنى نورا وأعطني
نورا واجعلني نورا.
وللهذا الدعاء أثر
كثير وما رأيت

في القادر فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة» (١) الحديث ، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فان قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الموم والحواطر قص وأن الكمال في الخلوة عنه وأن القصور عن معرفة كنهه جلال الله نقص وأنه كما ازدادت للفرقة زاد الكمال وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع ورجوع التوبة ولكن هذه فضائل لأفرائض وقد أطلقت القول بوجود التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع فالراد بقولك التوبة واجبة في كل حال . فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها قط بل تمام التوبة بتدارك ماضي وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجهه للراءة الصقية فان تراكت ظلمة الشهوات صار رينا كاصير بخار النفس في وجهه للراءة عند تراكمه خبيثا كما قال تعالى - كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - فإذا تراكم الزين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبيث على وجهه للراءة إذا تراكم وطال زمانه فاص في جرم الحديد وأفسده وصار لأتجهل السقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من جوع تلك الأريان التي انطبعت في القلب كالابكني في ظهور الصور في الراءة قطع الأنفاس والبخارات للسودة لوجهها في المستقبل مالم يشغل بجوع ما انطبع فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتتمضي ظلمة للصية نور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «أمنع السيئة الحسنة تمنحها» (٢) فاذن لا يستحي العبد في حال من أحواله عن نحو آثار السيئات عن قلبه بعشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاءه وجلالؤه ثم أظلم بأسباب عارضة فأما التصديق الأول فقيه يطول الفصل إذ ليس شغل السقل في إزالة الصدأ عن الراءة كشغله في عمل أصل الراءة فهذه أشغال طويلة لا تقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له منيان : أحدهما ما يدخل في قوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يغب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته تتركوا المعاصي ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية فانه مهافسدت المعاش لم ينفرح أحد للتقوى بل شغل الحياة والحراثة والحجر يتفرق جميع العمر من كل واحد فاجتاج إليه لجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب اتقوا الله الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب للطلوب من رب العالمين ولتقام الممود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريد بها فانه لا يتوصل إليها إلا بها ، فأما من رضى بالنقصان والحرمات عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال المين والأذن واليد والرجل شرط في جود الإنسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا

أحدا حافظ عليه
إلا وعنده خير ظاهر
وبركهوهون وصية
الصادقين بعضهم بضاً
محفظه والمحافظة عليه
منقول عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
كان يقروء بين القرصة
والدسنة من صلاة
التجر ثم يقصد للسجد
للمسالة في الجماعة
ويقول عند خروجه
من منزله : - وقل رب
أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق
واجب لي من لدنك
سلطانا نصير - ويقول
في الطريق : اللهم إني
أسألك بحق السائلين
عليك وبحق معاشي
هذا إليك لم أخرج
أشرا ولا بطورا لرايه

(١) حديث إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغر المزني إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي داود والبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار والدعوات (٢) حديث أتبعت السيئة الحسنة تمنحها الترمذي من حديث أبي ذر زيادة في أوله وآخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

ينفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات الصلا في الدنيا فأما من قطع بأصل الحياة ورضى أن يكون
كلمح على وضوء ونكحة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات
الداخلية في قوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل التجارة وأصل التجارة كأصل الحياة وما وراء أصل التجارة
من السماعات التي بها تنتهي الحياة يجرى مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنتهى الحياة وفيه سمي الأنياب
والأولياء والملاء والأمتل والأمتل وعليه كان حرصهم وحواله كان تطوّرهم ولأجله كان رفضهم لهذا
الدنيا بالسكينة حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن نوحى جبراً في منامه فجاء إليه الشيطان وقال
أما كنت تركت الدنيا للأخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال نوصدك لهذا الجبر تتم في الدنيا فلم
لا تضع رأسك على الأرض فرى عيسى عليه السلام بالجبر ووضع رأسه على الأرض وكان ربه للجبر
توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى
واجباً في فتاوى العامة . أقرى أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لما شغل القوب الذي كان عليه علم
في صلاته حتى نزع (١) وشغل شركاء معه الذي جده حتى أماد الشرك الحلق (٢) لم يعلم أن ذلك
ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه
راه مؤثراً في قلبه أرايتم أنه عن بلوغ اللقاح المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضى الله
عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معمره
ما علم من اتقاه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في قوى الفقه إخراج
فلم تاب عن شره بالتدبرك في حسب إمكانه بتخلية للعدة عنه وهل كان ذلك إلا لئلا يترق صدره
عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا بالصديقون تأمل
أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكائهم القور بالله وإلا كرامة
واحدة أن تترك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يترك بالله التور ، فهذه أسرار من
استنشق مبادئ روايتها علم أن لزوم التوبة النصوص ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل
نفس من أعاصمه ولو عمر عمر نوحاً أو ذلك واجب على القور من غير مهة ، وقد صدق أبو سليمان
الداراني حيث قال لو لم يكن العاقل فيما بقي من عمره إلا على فتوى ما مضى منه في غير الطاعة لكان
خليقاً أن يعزّه ذلك إلى الإمات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وإنما
قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة قيمة وضاعت منه غير فائدة يكتفي عليها لأهله وإن ضاعت
منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان كذاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بكل نفس جوهرة قيمة
لا خلف لها ولا بد منها فاتها سالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتقدك من عقوبة الأبد وأجود
أشس من هذا فإذا ضيعتها في الفتنة قد خسرت خساراً مبيناً وإن صرفتها إلى مصبة قد هلك
هلاكاً فاحشاً ، فإن كنت لا تملك على هذه الصيغة فذلك لجهلك ومصيتك بجهلك أعظم من كل
مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف الصواب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الفتنة يحول بينه وبين
معرفة الناس أيام فإذا ماتوا اتبها عند ذلك يتكشف لكل مفلس وإلامه ولكل مصاب مصيته
وقد رفع الناس عن التدبرك ، قال بعض السافين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر لعبداً علمه
أنه قد بقي من عمره ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو لعبد من الأسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا جذاً فخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستحب فيها

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم القوب الذي كان عليه في الصلاة ختم في الصلاة أيضاً (٢) حديث
نزع الشرك الجديد وإعادة الشرك الحلق ختم في الصلاة أيضاً .

ولا مصبة خرجت انخاف ،
سخطك واتبها ،
مرضايتك أسألك أن
تتقذني من النار
وأن تقفلى في دنو ،
إنه لا يغير الذنوب إلا
أنت ، وروى أبو سعيد
الخدري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجه الكريم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل المسجد أودخل
بجاءته صلاة يقول :
بسم الله والمجد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لي ذنوبي واتح لي

ويتدارك تحريكه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولني يؤخر الله شأ إذا جاء أجلها - فقيل لأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف التطاء للبعد يملك الموت أخرني يوما أعترفني إلى ربي وأتوب وآزود سالحا لنفسي فيقول خذت الأيام فلا يوم فيقول فأخري ساعة فيقول فثبت الساعات فلا ساعة فيخلق عليه باب التوبة فيترعرع بروحه وتردد أفعاسه في شرايفه وينجرح غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إزعاجه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سبق له من الله الحسن خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالقوة واليأس بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة، ولكل هذا يقال - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قريب عهد بالخطيئة بأن يتقدم عليها ويعمو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تقصر التوبة فإن الموت يأتي ننته ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطريين عظيمين : أحدهما أن تترامق الظلمة على قلبه من العاصي حتى يصير ربنا وطعنا فلا يقبل المحو . الثاني أن يجابه للرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ، ولذلك ورد في المحرور إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) « فإهلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسويده القلب قد جازاه بالطاعة تسوية إلى أن يخطئه الموت فيأقماؤه بآب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والسمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك حياته فأمره بخطر . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك واتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني . والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد أفتاك على الوفاء أو أنتهت أفتاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو فوجئ بعبدي أوف بعهديكم - وقوله تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

(١) بيان أن التوبة إذا استجتمت شرائطها فهي مقبولة لا محالة)

اعلم أنك إذا فهمت معنى القول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظر ونور البصائر للسمدون من أنوار القرآن علوا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتهم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلوا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإعما خوته السلامة بكدورة تهرق وجهه من غيرة الذنوب وظلمته ، وعلوا أن نار الدم تهرق تلك التبره وأن نور الحسنة يعمو عن وجه القلب ظلمة السيئات وأنه لا طاقة لنظام اللامعي مع نور الحسنات كالأطاقة لنظام الليل مع نور النهار بل لا طاقة لكدورة الوسخ مع رياض الصابون ، وكأن التوب الوسخ لا يقبله لك لأن يكون لباسه فالقلب للنظام لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جوارحه ، وكأن استعمال التوب في الأعمال الخبيثة يوسخ التوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده أصلا .

أبواب رحمتك وقدم
رجله العبي في الدخول
واليسرى في الخروج
من المسجد والسجدة
فسجدة الصوفي بمنزلة
البيت والمسجد يصل
صلاة الصبح في جماعة
فالذا سلم يقول : لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد
يعني ويميت وهو حي
لا يموت يسعد الخير
وهو على كل شيء قدير
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده ونصر
عبده وأمر جنده
وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله أهل التهمة
والفضل والثناء الحسن
لا إله إلا الله ولا تعبد
إلا الله عاصمين له الدين
ولو كره الكافرون
وقرأ هو الله الذي

بالصابون ولله الحار ينظفه لاعتاده فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الميموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره وزيكته ، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فاعلم عليك الزكية والتطهير . وأما القبول فيذول قدس في القضاء الأزلي الذي لا صمد له وهو للمسي فلاحا في قوله - قد أفلح من زكاه - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجل من للشاهدة بالبر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمر لأحدهما فقط الظلة كما يستمر للجميل ويستمر للآخر فقط التور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانت لم يبق من الدين إلا قصوره ولم يلق به إلا أساؤا ومو قله في غطاء كشيء من حقيقة الدين بل من حقيقة شبه وصفات شبهه ومن جهل شبهه فهو بغير ما جهل وأعنى به قلبه إذ قلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تنسخ ولا قبيل كن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب ينسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن ينحوس الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلفه فلا يقوى الصابون على تلمه فمثل ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا وريثا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا ينوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا بل يفسد صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو القابل على كافة الخلق للقبول على الدنيا للرضين عن الله بالكيفية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكننا نضد جناحه بنقل الآيات والأخبار فكل استبصار لا يهده الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - وقال تعالى - غافر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزياحة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ^(١) » . وبسط اليد كتابة عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم كتاب الله عليكم ^(٢) » وقال أيضا « إن البعد ليزن الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عنه تابا منه فارا حتى يدخل الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الندامة ^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بنظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسيء الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم كتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بلفظ لو أخطأتم وقال ثم يتم (٣) حديث إن البعد ليزن الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسل ولأن نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة إن البعد ليزن الذنب فإذا ذكره أجزته فإذا نظر الله إليه أنه أجزه مغفره الحديث وفيه صالح المرى ، وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث ولأن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله ليغفر العبد بالذنوب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كفارة الذنب الندامة أحمد والطبراني وهق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك الشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما إلى آخرها فإذا فرغ منها يقول : اللهم صل على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأُمي وعلى آل محمد صلاة تكون لهم رضاء ولحمه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المأمود الذي وعده واجزه عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ما جازيت نبي عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح

ويروي « أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فباروحه (١) » وروى أن الله عز وجل لما لمن إبليس ساءه النظرة فأَنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أحببت عنه التوبة مادام الروح فيه (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للاء الوسخ (٣) » والأخبار في هذا لأخصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غنورا - في الرجل يذهب ثم يتوب ثم يذهب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر الذين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحسن الصدقين أي إن وضعت عليهم عدلي عذبهم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها اليد ولكن أصبحوا تائبين وأمسا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محبت عنه في أم الكتاب . ويروى أن نيامن أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزني لأن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصحني لأعودن نفسه الله تعالى وقال بعضهم إن البعد يذهب الذنب فلا يزال نادما وعزتك حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليكني لم أوفعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه قال فيفره . وروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تدرقان فقال له إن لحيحة مبيئة أبواب كلها فتح وتلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يفتق فاحمل ولا تبأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذكرنا مع عبد الله بن جهم توبة الكفار وقول الله تعالى - إن يفتروا يفرهم ما قد سلف - فقال إنني لأرجو أن يكون السلم عند الله أحسن حالا وقد بلغني أن توبة السلم كإسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدكم إلا عن نبي ممل أو كتاب منزل إن البعد إذا عمل ذنبا ثم ندب عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرق أثقة وقال بعضهم أنا أعلم متى يفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم الخفرة أي للفرقة من لوازم التوبة وتوابها لا محالة وروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في الرأى فرأى الشيب في لحية فساءه ذلك فقال إلهي أطلقك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أجبتنا فأجبتك ورتكنا فرتكنا وعصيتنا فأهلكنا وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون للصري رحمه الله تعالى إن لله عبادا نصبوا أشجارا خطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثرت نعمنا وحزننا فبنوا من غير

(١) حدث أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجده له أصلا (٢) حدث إن الله لما لمن إبليس ساءه النظرة فأَنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم قال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني وأورده للصف بصفة وروى كذا ولم يزه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره احتياطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للاء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحى ورواه الترمذي وتقدم قريبا .

محمد في الأرواح وصل على جسد محمد في الأجساد واجعل شرائف صلواتك ونواهي برصحاتك ورافك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام لحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام بباركت إذا بالجلال والاعتراف اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك تقع ما أرجو وأصبح الأمر يسد فيري وأصبحت مرتهنا بسلى فلا قصير أقصر مني اللهم لا تشمت بي

جنون وتبدوا من غيري ولا يكمل إليهم م البناء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورتوا العبر على طول البلاد ثم توهت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفكارهم بين سربا لحجب الجبروت واستظلوا تحت رواق التدم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورتوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعدوا مرارة الترك للدنيا واستلوا خشونة الضجع حتى نظفوا وجعل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في الملا حتى أتوا رياض الصميم وخاضوا في بحر الحياة ودرموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا غناء العلم واستقروا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلوا برقع النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهنا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لأعماله . فان قلت أقضول ما قلته من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لا أنى بمذاكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب اللوث وليس في شيء من ذلك ما يريد القائل بالاجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكرمة للصبيحة والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدرة متممة بخلافه لموسقت به للشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ماسبقته به إرادته الأزلية فواجب كونه لأعماله . فان قلت فما من تاب إلا وهو شك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شك في القبول كشك في وجود شرائط الصحة فان لا توبة أر كانا وشروطا دقيقة كإسباتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كإدراك يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشك في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته وجودة عقاقيره وأدويته فهنا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لأعماله على ماسباتي في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فيما عدا التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتقصير ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نسير إلى مجامعها ورباط أسماعها والله للوفيق الصواب برحمته

(بيان أسماء الذنوب بالإضافة إلى صفات الصبد)

اعلم أن الإنسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوايته ولكن تتحصر مثرات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بجمية وصفات سبعة وذلك لأن طينة الإنسان محنت من أخلاط مختلفة فانتضى كل واحد من الأخلاط في الججون منه أثرا من الآثار كما ينتضى السكر والخمر والحل والزعفران في السكبجين آثارا مختلفة . فأما ما ينتضى الزروع إلى الصفات الربوية فثلث السكر والخمر والجبرية وجب للدخ والتناء والعز والتي وجب دولم البقاء وطلب الاستسلام على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبار الذنوب غفل عنها الخلق ولم يدعها ذنوبا وهي الهلكات العظيمة التي هي كالألهمات الأكثر للمصالح كما امتنع صباه في ريع الهلكات . الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخذاع والأمر بالناسد والشكر وقبحه يدخل التش والتناق والدعوة إلى

عدوى ولائسى في
صديق ولا تجعل
مصدق في دين ولا
تجعل الدنيا أكبر همي
ولا تسلط على من
لا يرحم الله همي حسدا
خلق جديد فاقحه
على بطاعتك واختمه
لي بمفرتك ورسوئك
وارزقني فيه حسنة
تقبلها مني وزككها
وضفها وما علمت فيه
من سيئة فاعف عني إنك
غفور رحيم ودود
رضيت بالله ربا
وبالاسلام ديناً وبمحمد
صل الله عليه وسلم نبيا
الهم إلى أسألك خير
هسلنا اليوم وخير
مافيه وأعوذ بك من
شره وشر مافيه
وأعوذ بك من شر

البدع والضلال . الثالثة الصفة البهيمية ومنها يشعب الثمره والكلب والحرم على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يشعب الزنا والأواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . الرابعة الصفة السبعية ومنها يشعب القنص والحقد والتهمج على الناس بالضرب والعنم والقنص واستهلاك الأموال ويضرع عنها جل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تطلب أولاً ثم تتأوها الصفة السبعية ثانياً ثم إذا اجتمعا استملا العقل في الخداع والسكر والحقبة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تطلب الصفات الربوبية وهي القنص والتمز والمال وطلب الكبرياء وقد استلذه على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنها يهاجم تنفجر الذنوب من هذه النابع على الجوارح فيضها في القلب خاصة كالكفر والبدة والتناق وإضمار سوء الناس وبضها على العين والسمع وبضها على اللسان وبضها على البطن والفرج وبضها على اليدين والرجلين وبضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فانه واضح . قسمة ثانية : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين البدن وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد كما ينطبق بالبدن خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقته النفس وغضبه الأموال وشمته الأعراض وكل متناول من حق الغير فاما شئ أطرف أعمال أوعرض أودين وأجاءه تناول الدين بالاغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهميج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يغلب بعض الوعاظ تخليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأهم فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شريكاً فالغو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر «الذواوين ثلاثة ديوان يغفر ديوان لا يغفر ديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فظلم العباد (١) » أي لا بد وأن يطالب بها حتى يبنى عنها : قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثرت اختلاف الناس فيها فقال قانون لاصفيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضيف إذ قال تعالى «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً» وقال تعالى «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا الهمم» وقال تعالى «الصالحات الحسنة والجملة إلى الجملة يكفرن ما بينهن» إن اجتنب الكبائر (٢) وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» وقد قال صلى الله عليه وسلم في رواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإثم والشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس والميمين التمسوس (٣) » واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن» إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعده الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها كلية القدر وساعة يوم الجملة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها قرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه» فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب السك

طوارق الليل والنهار
ومن فشتات الأمور
وجلاء الأقدار ومن
شرك طارق يطرق
إلا طارقا يطرق منك
غير يارحم الدنيا
والآخرة ورحيمهما
وأعوذ بك أن أزل
أؤزل أو أضل أو أضل
أؤظم أو أضل أو أجمل
أؤجهل على عز جارك
وجل ثناؤك وتقدست
أسمائك وعظمت
لصاؤك أعوذ بك من
شر ما يلج في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يجر فيها
أعوذ بك من حسنة
الحرم وهدنة الطمع
وصورة القنص وسنة
النفقة وطماع الكلفة
اللهم إني أعوذ من

(١) حديث الذواوين ثلاثة ديوان يغفر ديوان لا يغفر ديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فظلم العباد (١)
موسى الدفقي ضفه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان ورواه الطبراني (٢) حديث الصلوات الحسنة والجملة إلى الجملة تكفرن ما بينهن إن اجتنب الكبائر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الإثم والشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس والميمين التمسوس رواه البخاري.

الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار (١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حتى الصنف عن أبي طالب السكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه وشهادة الزور وقذف المحصن والميّن التمسوس والسحر وشرب الخمر والسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا والنار والاطلاق والقتل والسرقة والقرار من الزحف

وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ما ورد فيها من حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتمعوا السبع للوحيات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات للموت ولهما من حديث أبي بكره الكبار الإصرار

بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنوب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تحتل ولله عتاقة أن يعلم ملكك قلت ثم أي قال أن ترائي حيلة جارك ولطبراني من حديث سليمان بن قيس إنا هي أربع لا تتركوا باقاً فشيئاً ولا تفوتوا

النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت بآبويه أن لا تتركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر ثم القواضي وأكبر الكبائر وفيه موقوف على عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر وكلامها

ضعيف وللبزاد من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال الشرك بالله والإيأس من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإصرار بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الساء ومنع الفعل وفيه صالح بن حبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو لحن الإصرار بالله وفيه والانتقال إلى الأعراب يد

هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف ولطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لحيمة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الأعرابية جد الهجرة وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني ولهما من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع قد ذكر منها واستحل البيت الحرام ولطبراني من حديث

والله إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم يقل وله أيضاً من حديث ابن من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والد يقولان داود من حديث سعيد بن زيد

من أرى الربا الاستغالة في عرض للمسلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه قال صلى الله عليه وسلم قال لهما ليدبانا وما يدبانا في كبر وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنجمه وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذه التضمن حديث أبي بكره أما أحدهما فكان يأكل لحوم

الناس الحديث ولأن داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمق فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو فيها رجل ثم نسبها سكت عليه أبو داود واستغفره البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لاصفيرة مع إصرار وفيه أبو شيبة الحراساني

جهاة المستخرين والإصرار على التلبين وأن أضرم ظالم أو أخذ مظلوماً وأن أقول في العلم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين أو أعود بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك ما لا أعلم أو أعود بفكوك من عقابك وأعود برضاك من سخطك وأعود بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء بمقتك على وأبوء بنبينا فاقف لي

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين التمسوس ، وهي التي يحق بها باطلاؤ
يطلق بها حقا ، وقيل هي التي يقتلع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سوا كامن أراك . وسُميت غموسا
لأنها خمس صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات
الحقيقة . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا
وهو يلم . واثنان في الفرج وهما الزنا والواط . واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة . وواحدة
في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والشر من الشرير وواحدة في جميع الجسد
وهو حقوق الوالدين . قال وجمة عقوبتهما أن يضا عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألناه حاجة
فلا يطعهما وإن يسأله فيضهما ويخون فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل
به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر
وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كباير النفوس إلا القتل فأما فقه العين وقطع اليدين وغير
ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأتوقع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه
لاشك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالسبة ومن الكبائر
استطالة الرجل في عرض أخيه السلم » (١) وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الحدرى
وغیره من الصحابة : إنكم تصنعون أملاها هي أدق في أعينكم من الشر كننا لندها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر (٢) . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه
فهي كبيرة وكشف النطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة هي كبيرة أم لا يصح ما لم يفهم معنى

والحديث منكر يعرف به . وأما للوقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال
الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . وروى
البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله
وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف
وأكل الربا والسحر والزنا واليمين التمسوس القاجرة والقول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكنان الشهادة
وشرب الخمر وترك الصلاة متمدا وأشياء مما فرضها الله وقضى العهد وقطيعة الرحم . وروى ابن
أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف
فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لأصفياء مع الإصرار وإسناده
جيد فقد اجتمع من للرفوعات وللوقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بضها لا يصح
إسناده كما تقدم وإنما ذكرت للوقوفات حتى يعلم ما ورد في الرفوع وما ورد في الوقوف والبيهقي في الشعب
عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضا فيه عن
ابن عباس قال كل مانهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم (١) حديث من الكبائر السبتان بالسبة ومن
الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه السلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد
وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديث من أربى الربا استطالة في عرض
السلم ينير حق كما تقدم (٢) حديث أبي سعيد الحدرى وغيره من الصحابة إنكم تعملون أملا
هي أدق في أعينكم من الشر كننا لندها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد
والبزار بسند صحيح وقال من فلوغات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم
من حديث عبيدة بن قريص وقال صحيح الإسناد .

إنه لا يضر الذنوب
إلا أنت . اللهم اجعل
أول يومنا هذا صلاحا
 وآخره نجاحا وأوسطه
فلاحا . اللهم اجعل
أوله رحمة وأوسطه
نعمة وآخره تكملة
أصبحنا وأصبح لك
فهمنا والمظنة والكبراء
فهمنا والجسبروت
والسلطان لله والليل
والنهار وما سكن فيها
فه الواحد القهار .
أصبحنا على فطرة
الإسلام وكلمة الإخلاص
وعلى دين نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم
ومعة آيينا إبراهيم
حينما مسلما وما كان
من الشركين ، اللهم إنا
نسألك بأن لك الحمد
لا إله إلا أنت الحنان

الكبيرة والراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لا مطمع في تعرضه للإبد تخبر معنى الحرام أو لا ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مهم ليس له موضوع خاص في اللثة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الصفات ومما من ذنب الإلهو كبير بالاضافة إلى مادونه وصغير بالاضافة إلى ما فوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالاضافة إلى النظرة صغيرة بالاضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة إلى ضربه صغيرة بالاضافة إلى قتله ، نعم للانسان أن يطلق على ما يتوعد بانثار على نفسه خاصة اسم الكبيرة ، ونفى يوصف بالكبيرة أن العقوبة بالانثار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيرا إلى أن ما جعل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب التهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته يكون عظيما وكبيرة لهالة بالاضافة ، إذ متصوات القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من أفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يمد تزييلها على شيء من هذه الاحتمالات ، ثم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى « إن تجنبتوا كيثا ماتتوب عنه نكفر عنكم سيئاتكم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فان هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يصل استظامه إياها إلى ما يصل أنها معدودة في الصفات وإلى ما يجب فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن إلا بالعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن أردت بالكبائر عشرا أو خمسا وغسلها فإن لم يرد هذا بل ورد في بعض الأفاض « ثلاث من الكبائر (١) » وفي بعضها « سبع من الكبائر (٢) » . ثم ورد « أن السبطين بالبسة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به السدد بما عرّف فكيف يطعم في عدد مالم يمه الشرع وربما قصد الشرع إيهامه ليكون العباد منه على وجل كما أنهم للة القدر يعظم جد الناس في طلبها ، ثم لنا سبل كل يمكن أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فمعرفة بالظن والتقريب ونعرف أيضا أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصفات فلا سيال إلى معرفته . ويانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرع كلها سياق الحاق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدونا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا مالم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو التصود الأنقى يمتلئ الأبناء ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو الذي بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة (٣) » فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابا للدين لا تموسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيطان من حديث أبي بكره الأأنفكم بأ كبر الكبائر ثلاثا الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طب في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبدالله بن عمر « من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عددهن سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللوات (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ ، رفوعا وروى القليل في الضعفاء وأبو بكر بن لاد في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الله الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث . وإسناده ضعيف .

للتان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي ملكه وبقائه يا حي يحيي الموتى يا حي يحيي الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله إلهي إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعمز الأكرم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا منور

والعالم من الدنيا بالآخرة شيان النفوس والأموال فكل ما يدب باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر
 وبه ما يدب باب حياة النفوس وبه ما يدب باب المايش التي بها حياة النفوس فلهذا ثلاث مراتب ،
 حفظ الملة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع
 كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختف في المثل فلا يجوز أن الله تعالى يمت نيا يريد يمتعه
 إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما ينفعهم عن معرفته ، ومعرفة رسله أو يأمرهم بهلاك
 النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما ينفع من معرفة
 الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر في الحجاب بين الله وبين المبدوء الجاهل
 والوسيلة القريبة له إليه هو العلم والعرفة وقربه بقدر معرفته وبسبب جهله ويتوارى الجاهل الذي
 يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا أصابع الجاهل لمن عرف الله يتصور
 أن يكون آمنا ولأن يكون آسأ وتلا هذه الرتبة البعد كلها للتملة بذات الله وصفاته وأفعاله
 وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجاهل ، وعلى حسب تعللها بذات الله سبحانه وبأفعاله
 وشرائعها وبأوامره وتوابعها ومراتب ذلك لا تنصهر وهي تسمى إلى ما يلزم أنها داخلة تحت ذكر
 الكبائر للذكورة في القرآن وإلى ما يلزم أنه لا يدخل وإلى ما يلزم فيه وطلب دفع الشك في القسم
 للتوسط طمع في غير مطمع ، الرتبة الثانية : النفوس إذ يقاها وحفظها تدوم الحياة وتحصل للمعرفة
 بالله قتل النفس لاعتالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصد عن التصود وهذا
 صدم وسيلة للتصود إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتوارى هذه
 الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يضي إلى الملاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع في
 هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات
 انقطع النسل ودفع للوجود قريب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا يوجب أصل الوجود ولكن
 يشوش الأنساب ويصل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينظم المايش إلا بها بل كيف
 يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها بلان يخص بها عن سائر
 الفحول وذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا في أصل شرع قصد بالإصلاح وينبغي أن يكون الزنا
 في الرتبة دون القتل لأنه ليس بغوث دولم الوجود ولا يمنع أصله ولصكته بغوث تمييز الأنساب
 ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التناقل وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة
 داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويحطم أثر الضرر بكثرته ، الرتبة الثالثة : الأموال فانها ما يمايش
 الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاء واحتق بالاستيلاء والرقعة غير جاهل ينبغي أن تحفظ
 ثبوت يقاها النفوس لأن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تعريضها
 فليس يحطم الأمر فيها ، نعم إذا جرى تناولها بطريق يصر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من
 الكبائر وذلك بأربع طرق : أحسنها الخفية ، وهي السرقة فانه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف
 يتدارك ، الثاني أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأغنى به في حق الولي واليتيم فانه مؤتمن
 فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف التصيب فانه ظاهر
 يعرف وبخلاف الحياة في الودية فان للودع خصم فيه يتصف لنفسه ، الثالث : تزويرها بشهادة
 الزور ، الرابع : أخذ الودية وغيرها باليمين التماس فان هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز
 أن تختف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية للتملة بالنفوس

يا عالم ما في الصدور
 يا صبيح يا قريب يا عجب
 الدماء يا لطيف يا بشاء
 يا روف يا رحيم يا كبير
 يا عظيم يا الله يا رحمن
 يا ذا الجلال والإكرام
 يا الله يا الله يا الهوا الحى
 القيوم وعتت الوجوه
 لحي القيوم يا الهى
 وإله كل شيء إلهنا
 واحدا لا إله إلا أنت
 اللهم إني أسألك باسمك
 يا الله الله الله الذى
 لا إله إلا هو رب العرش
 العظيم فضلى الله للملك
 الحق لا إله إلا هو رب
 العرش الكريم أنت
 الأول والآخر والظاهر
 والباطن وسعت كل
 شيء رحمة وعلما
 كرم من حم عسق
 الرحمن يا ذا جلالها

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافض في الإكراه كالغير الرافض مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يمد أن تختلف التراتج في مثله وإذا لم يجعل التسبب الذي هو أكل مال الغير غير رضاه غير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا الثلاث ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالترج عنه قد عظم أيضا الظلم بالتسبب وغيره وعظم الحايطة الصبر إلى أن أكل دائق بالحايطة أو التسبب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثريه الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن يخص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى كما ذكره أبو طالب الكي القنف والتسبب والسحر والقرار من الزحف وعقوق الوالدين . أما الشرع لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محظوظ كما أن النفس محظوظة بل لا خير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري بقطرة من الحجر فلا شك في أنه لو شرب ساءه بقطرة من الحجر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك لإيجاب الشرع الحد به يدل على عظم أمره فيمد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فلتوقف فيه بحال . وأما القنف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية وتناولها مرتبوا عظمها تناول القنف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأعلن غنا غالبا أن الصحابة كانوا يمدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات المحس وهو الذي يزيد بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف في التراتج القاييس بمجرد على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن الحد الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجعل للشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته لخدمه ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجحش من الظاهرة الواقعة رتبة الحاجات فافند هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يحصل في حقه من الكبائر . وأما السحرفان كان فيه كفر فكبيرة وإلا فظلمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما القرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم نصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم يقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قبل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير مبد ولكن الحديث يدل على تسمية كبيرة فليحلق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نفى بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه والتوقف فيه يشبه منظون للفني والاثبات وبشبه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أوستوا إن لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فإن قلت فهذا إقامة برهانه على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فأعلم أن كل ما لا يتلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإهمال لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدين من حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات المحس لا تكفرها ، وهذا أمر يتلق بالآخرة والإهمال أثبت به حتى يكون الناس على وجل وحذر

بأعز بأجبار بأحد
يا صمد يا وهود يا غفور
وهو الله الذي لا إله إلا
هو عالم السبب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين
الهم إني أعوذ بك
للكون الخزون
للزلزال السلام للظهور
الظاهر القدوس للقدس
يادهر يادهور يادهار
يأبد يا أزل يا من لا يزول
ولا يزال ولا يزول هو
يا هو لا إله إلا هو يا من
لا هو إلا هو يا من
لا يعلم ما هو إلا هو
يا كان يا كينان
يا روج يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا كونا

فلا يتجهزوا على الصغائر اعتياداً على الصلوات الخس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر ويجب قوله تعالى - إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبا مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقفها كيف تشاء عن الوقوع يقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدته نفسه بالكف عن الوقوع أشد تأثيراً في توير قلبه من إقدامه على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان عيناً أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للمعز أو كان قادراً ولكن امتنع لحوق أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً وكل من يشتهي الحر بطبعه ولو أيسر له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مصادماته كسج اللهاى والأوتار، ثم من يشهى الحر وسج الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الحر ويطلق في السج في مجاهدته النفس بالكف ربما تنحو عن قلبه الظلمة التي ارتضت إليه من مصيبة السج فكل هذه أحكام أخروية ويحوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من التشابهات فلا يعرف تمييزها إلا بالنس ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بأقنط مختلفات : قد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وترك السنة ونكث الصفة (١) » قيل مارك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف بقاتله فهذا أو أمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لأعانة مبهما . فإن قلت الشهادة لا تجل إلا عن مجتناب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أننا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع للاله ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويهرب في أواني الذهب والفضة لا تجل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعى رضى الله عنه إذا شرب الخنفي النبيذ جحدته ولم أرد شهادته فقد جبهه كبيرة يجب بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة شيا وإيماناً لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب قدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجارى العادات كالنية والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسج النية وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والفلان وضررهما بحكم النضب زائداً على الصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة التجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يمتزل الناس ويتجهز لأمر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صميمته الخاطئة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لمز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس ليس الحرير وسج اللهاى واللب بالترد ومجالسة أهل الشر في وقت الترب والحلوة بالأجنيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا التجاى ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردّها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها ولو اطلب عليها لأردى بالشهادة كمن أخذ القنية وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن اللباى يصير صغيرة بالمواظبة كاللب بالشرطخ والترنم بالقناء على الدوام وغيره فهذا يان حكم الصغائر والكبائر .

(يان كيفية توزيع الدرجات والدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم النيب والملكوت وأعني بالله يا حالئك قبل

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وترك السنة ونكث الصفة الحديث الحاكم من حديث أبى هريرة نحوه وقال صحيح الاستناد .

لكل يكون أهيا
شراها أدواني
أصبوت يا بجل عظامي
الأمور - فان تولوا
قل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم . ليس كذلك
وهو السمع البصر -
الهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم إنى
أعوذ بك من مسلم
لا يفتح قلب لا يفتح
ودعاء لا يسمع اللهم إنى
أعوذ بك من فتنة
الرجال وعذاب القبر

لثوت وبالأخرة حالتك بمد لثوت قدنياك وأخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الذي منيا دنيا والتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وموعالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم لللكوت ولايتصور شرح عالم لللكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالآخرة إلى عالم لللكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في النقطة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال الموجهة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في نقطة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأغنى بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير وبكثير من إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة قد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أحتر به أنفاده الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر لاء صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصعب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحتك جارية اهتربتا فتش عن حالها فإن أمك سيبت في صرلك لأن الزيتون اصل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سيبت في صرعه وقال له آخر رأيت كأن أمك الدرة في أعناق الحازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوتاه إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نعي بالمثل أداء اللحن في صورة إن نظر إلى مناه وجهه صادقا وإن نظر إلى صورته وجهه كاذبا فالؤذن إن نظر إلى صورة الحاتم والحنم به على الفروج راء كاذبا فإنه لم يهتم به قط وإن نظر إلى مناه وجهه صادقا إلى صدر منه روح الحنم ومعناه وهو للنع الذي يراه الحنم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والتألم لا يكشف له عن شيء إلا مثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن لكل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من لكال الذي لا يقفه إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره فظاهر لكال لجهله بالتعبير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت في تعالى يبدأ وأصعبا، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا. وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا يهمن من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا. ومن ههنا زلة من زلة في صفات الهيئة حتى في الكلام وجوهه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد ورد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها للحد بعمود نظره على ظاهر لكال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيثور للحد الأحمر ويكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول بإدجان الله لثوت عرض والكبش جسم فكيف يقبل العرض جسا وهل هذا إلا محال ولكن الله تعالى عزله هؤلاء الحق عن معرفة أهراره فقالوا ما يقبلها إلا العالمون - ولا يدري للساكنين أن من قال رأيت في منامى أنه جى بكبش وقيل هذا هو الرباء الذى في البهة وذبح فقال العبر صدقت والأمرا كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الرباء يقطع ولا يود قط لأن

ومن فئة الميسرة
الهم إلى أعود به من
شر ما علمت وشر ما لم
أعلم وأعوذ بك من
شر محسى وبصرى
ولسانى وقلبي اللهم إني
أعوذ بك من القسوة
والفقه والنذل واللسكة
وأعوذ بك من الفقر
والكفر والفسوق
والشقاق والتفارق وسوء
الأخلاق وضيق
الأرزاق والسمة
والرياء وأعوذ بك من
الصمم والبكم والجنون
والجذام والبرص وسائر
الأمقام اللهم إني أعوذ
بك من زوال نعمتك
ومن تحوّل عافيتك
ومن جفأة متارك ومن
جميع سخطك اللهم
إني أسألك الصلوة على

- (١) حديث الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يعزى إلى طي بن أبي طالب
- (٢) حديث قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تهم (٣) حديث إن الله خلق آدم على صورته تهم (٤) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح متفق عليه من حديث أبي سعيد.

للدبرح وقع اليأس منه فإن للمبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن الوكيل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في الألوح المحفوظ عرفه بما في الألوح المحفوظ بمثل ضربه له لأن التأني إنما يعمل للتأمل فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالمرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للناس إلى أنهم هم الأئمة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لأدراك ما يجزون عن إدراكه دون ضرب المثل لقوله يؤتى بالوفى في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى أنهم حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأئمة وثبوت للناس فيها بواسطتها وقد اكبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر على الله عليه وسلم بقوله «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» عن سرعة التقليب . وقد أثبتنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلنرجع الآن إلى الفرض فالقصد أن تعريف توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثل فلفهم من المثل الذي نضربه معناه لاصوره . فنقول : الناس في الآخرة يتقسمون أصنافا وتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة متفاوتة لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولتأخر في الآخرة في هذا الذي أصلا أثبتنا فان مدبر تلك واللكوت واحدا لمدبريك له وسنة الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبدل لها إلا أن ابن هجر ناعن إحصاء أحاد الدرجات فلا ينجز عن إحصاء الأجناس . فنقول الناس يتقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكيين وممدين وناجين وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من اللوك على إقليم يقتل بعضهم فهم الهالكون ويغيب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم الملبثون ويغيب بعضهم فهم الناجون ويطلع على بعضهم فهم الفائزون فإن كان لللك عادل لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق لللك معاندا له في أصل الدولة ولا يظن إلا من صر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو قدرته ولا يخل إلا من عرفه في الخدمة والنصرة ثم يبنى أن تكون خلغ الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك الهالكين إما تحتيا بحز الرقية أو تسكيلا بالثقة بحسب درجاتهم في العاندة وتغيب للممدين في الحفة والشدة وطول للدة وقصرها وأنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لأخص ولا تحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يعمل في دار السلامة ومن فائز والفائزون يتقسمون إلى من يحاون في جنات عدن أوجنات للأوى أوجنات الفردوس والممدين يتقسمون إلى من يذب قليلا وإلى من يذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الألبوس من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والخاصة فلندكر كيفية توزيعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة الهالكين ونفى الهالكين الألبسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله لللك في المثل الذي ضربناه آيس من رضا لللك وإكرامه فلا تغفل عن معنى المثل وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمرضين المتجودين لأدنيا المكذبين بالله ورسوله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله النظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمعرفة التي يصبر عنها

محمد وعلى آله وأسألك من الخسبر كله عاجه وأجبه ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من التمر كله عاجه وأجبه ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعذك بها استعذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمران تجعل عاقبته رغدا ترحمك يا أرحم الراحمين يا حي يا قيوم ترحمك أستحي

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم للسكران وللشكوكيون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبدأ الآباد وهم الذين يكذبون رب العالمين وبآيائهم للرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لاعالة وكل معجوب عن محبوه لمحول بينه وبين مايشتهيه لاعالة فهو لاعالة يكون عترة نار جهنم نار القراق ولذلك قال المارقون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجائنا لحور العين وإنما مطالينا لقاء ومهرنا من الحجاب قطع ، وقالوا من يمد الله بوض فهو لئيم كأن يمدده لطلب جنة أو خوف ناره بل المارق يمدده لقاته فلا يطلب إلا ذاته قطع ، فأما الحور العين والقواكه فقد لايشتهيه وأما النار فقد لايتقيها إذا نار القراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار القراق نار الله للوقدة التي تطلع على الأفقنة ونار جهنم لا تغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام تستمر مع ألم القواد ولذلك قيل :

وفي قواد الحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد رؤى من غلب عليه الوجد فندا على النار وعلى أصول القصب الجارحة لقدم وهو لا يحس به فطر غلبة ما في قلبه يرى القصبان يستولى عليه القصب في القتال فتصفيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن القصب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القصب قطعة من النار »^(١) واحتراق القواد أشد من احتراق الأجساد والأهدى يطل الإحساس بالأنصف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث إنه يفرق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف للسكن في الأجسام فاقى يفرق بين القلب وبين محبوه الذي يرتبط به برابطة تأليف أهد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أهد إبلا ما إن كنت من أر باب البائس وأر باب القلوب ولا يدرك أن لا يدرك من لقلب لشدة هذا الألم يستقره بالإضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على السكره والصولجان وبين ألم الحرمان عن ربة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن ربة السلطان أصلا ولم يمد ذلك ألما وقال الصدوق للبدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجاوس عليه ، بل من قلبه شهوة البطن لو خير بين المهرسة والخلواء وبين قل جميل يقهر به الأعداء ويشرح به الأصدقاء لأثر المهرسة والخلواء ، وهذا كله لفقد للذي وجوده يصير الجاه محبوا بوجوده الذي وجوده يصير الطعام للذي وذلك لمن استرخته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات للإنسان التي لا يناسبها ولا يلبها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلفها إلا البسود المحباب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الأذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لقلب له ليس له هذا الحس كن لا سمع له ولا يصير ليس له لذة الأكل وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لم يصح قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ، ولست أعني بالقلب هذا الذي تكشفه عظام الصدر ، بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمور وهو العلم الذي هو من عالم الخلق وعشه والصدر كرسية وسائر الأعضاء علة وعملته وشه الخلق والأمير جميعا ، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربي - هو الأمير ولذلك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق تربية وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو الطيفة التي إذا صلت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يتم العبد مبادئ روائع الخلق للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظير بين

(١) حديث القصب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد شتم .

لا تنكفي إلى نسي
طرفة عين وأصلح لي
شأني كله يا نور
السماوات والأرض
يا جمال السماوات
والأرض يا عباد
السماوات والأرض
يا بدع السماوات
والأرض يا ذا الجلال
والإكرام يا صريح
للتصريحين يا غوث
للتغيثين يا منتهى
رغبة الراغبين
والفرج عن الكرويين
والروح عن التدميين
وعجيب دعوة
الضطرين وكاف
السوء وأرحم الراحمين
يا له العالمين منزل
بك كل حاجة يا أرحم
الراحمين اللهم استر
عورتي وأمن روحاني

الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى التمسقين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للتمسقين في التأويل لأن الرحمة على قدر السمية ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة المرحان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمتها يختص بها من يشاء ومن يؤت المسكة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولعلد إلى الفرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أهل من علوم للعاملات التي تصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة المهلاك ليس إلا للجهال للكذابين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فذلك لم نوردنا . الرتبة الثانية : رتبة للعتدين وهذه رتبة من على بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بقتضاه فإن رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يجده إلا الله ومن اتبع هوله قد اتخذ إلهه هوله فهو موحد بسانه لا بالحقيقة بل بمعنى توكل لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تذر بالسكية غير الله ، ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالامتانة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط للوصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسر إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لامحالة نقصان في درجات القرب ومع كل نقصان تارة نثار الفراق لذلك الكمال القات بالتقصان ونار جهنم كالوصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول اللذة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وثقلته وإذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحشا - ولذلك قال الحافظون من السلف : إنما خوفنا لأننا تقنا أنا على النار واردون وشككتنا في النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان^(١) قال الحسن ياليتي كنت ذلك الرجل . واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في اللذة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة في اليوم والأسبوع والشهر وسائر الدد وأن الاختلاف بالشدّة لاهية لأعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كأن للالك قد يصب بعض التصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يصفو وقد يضرب بالسياط وقد يصب نوع آخر من العذاب ويطلق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير اللذة والشدّة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يذب بمصادرة المسالك قط كن يصب بأخذ المسالك وقتل الودع واستباحة الحرم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقتلها وكثرة السيئات وقتلها . أما شدة العذاب في شدة قسيع السيئات وكثرة أو أماً كثرة فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بهوله تعالى - وما ربك بظلام للعبيد - ويقول تعالى - اليوم نجزي كل نفس

وأفلى عراقي ، اللهم
أحفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي وعن فوق
وأعوذ بك أن أشتال
من تحق ، اللهم - إلى
ضئف قو في رضاك
ضعفي وخذ إلى الخير
بما يبيح واجبل الإسلام
منهي رضى ، اللهم
إلى ضئف قدوني
اللهم إلى دليل فأعزني ،
اللهم إلى خير فأغني
برحمتك يا أرحم
الراحمين ، اللهم إنك تعلم
سري وعلائي فاقبل
معدرتي وتعلم حاجتي
فأعطني سؤل وتعلم
ما لي فاعف عني
ذنوبي ، اللهم إلى أسألك
إعسانا يسأثر قلبي
ورقينا صادقا حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسطل عن أنس وأبو ظلال ضعيف وإسحاق هلال بن ميعون .

بما كسبت - وبقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وبقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك يدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيها أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتي غضبي »^(١) وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والمركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا غلنا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار. فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائض : أعني الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صفات متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه للناقصة في الحساب قط فانه إذا حوسب رجعت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهما ، وكذلك اجتتاب الكبائر يحكم نص القرآن مكرر للصفاء وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله قد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان لليزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، ثم التحاقه بأصحاب الجنتين أو بالمقربين وزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فكذلك يبيع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تخليدي كأيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه ، وإيمان كنهى يحصل بإشراح الصدر بنور الله حتى يتكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيفتح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم للقريبون الذينزلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللأ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات المارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلاله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يخصوص فيه الفواصق بقدر قوامه وقدر سابق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهائية لمازله فالسالكون سبيل الله لانهائية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فهم من أصحاب الجنتين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الجنتين شارب ربتة رتبة الأدنى من درجات المقربين ، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائض كلها : أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبار أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التيقن بمن يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب المتسول كالذي لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر خطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لنزول إيمانه فيقيم له بسوء الحاجة لاسم إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للأغلال بأدنى شك وخيال والمارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الحاجة ، وكلاما إن مات على الإيمان يذب أن لا أن يحقو الله عذابا يزيد على عذاب الناقصة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انتهاء مدة العذاب ينزل إليه المقلدون في درجات أصحاب الجنتين والمارفون المستبصرون في أعلى عليين ،

أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي بالذل والجلال والاكرام اللهم يهادي المسلمين وياراحم المؤمنين ومقيل عنة العاترين ارحم صديقك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجبتنا مع الأحياء المروقين الذين أئمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين اللهم عالم الغيبات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله إلا هو أنت الوكيل

في الخبر « آخر من يخرج من النار يسطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف (١) » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جلا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من التمثيل إلا التل في الوزن والتقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة للوزن والجمل في الكفة الأخرى عشرة عشره بل هو مواز لثماني الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثمه وطوله وعرضه ومساحته بل لما فيه من روحه الحالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح اللبنة من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقسمها بمائة دينار وقال أعطيت عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهر برون فإن روح الجوهر لا تدرك بمجرد البصر بل بغطنة أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصبي بالقرى والبدوي ويقول ماهذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيت عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه التور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فندرك ذلك بتكشاف الصدق والعارف عاجز عن فهم للتقليل القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات (٢) » كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يجزئ البالغ عن فهم الصبي تلك الموازنة وكذلك فهم البدوي وكما أن الجوهرى مرحوم إذا بلى بالبدوي والقرى في فهم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبلد الأبله في فهم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحموا ثلاثة عالمين الجبال وغنى قوم افتقر وعزير قوم ذل (٣) » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاماتهم قصور وعقول الأمة فتنة لهم ولمتحان وإبتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزل وهو الذي يقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة (٤) » فلا تظن أن البلاء بأرباب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلى بمجاعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر (٥) » فاذن لا تغفلوا الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا تغفلوا الأولياء والصالحين عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا بفك الأولياء عن ضروب

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يسطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات مع من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث أرحموا ثلاثة عالمين الجبال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم ثلاثين به الصينان وفيه أبو البختري، وأما وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قد كره دون ذكر الأولياء ولطبراني من حديث قاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر البخاري من حديث ابن مسعود .

وإليك المصير يا من لا يشقه شأن عن شأن ولا يشغله مع عن مع ولا تشبه عليه الأصوات ويا من لا تهاظه السائل ولا تختلف عليه الفتات ويا من لا يتمر بالحلم للمعين أذقني برد عفوكم وحلاوة رحمتكم اللهم إني أسألك قلبا سلما ولسانا صادقا وعقلا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفذ وقرعة عين الأبد ومراقة نبيك محمد وأسألك حيك

من الأبداء وأنواع البلاء بالأخراج من البلاد والسماية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل اللزقة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون للناس عن الجبل الكبير جوهرة مفيرة عند الجاهلين من البذرين السمينين، فإذا عرفت هذا فافهم ما قلنا من بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يسطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإياك أن تقتصر بتدبيرك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً رجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس الجسدية وإنما أنت مفارق للحمار بسراً إلى عرض على السموات والأرض والجبال فأين أن يجعله وأشفق منه فإذراك ما يخرج عن عالم الحواس الجسدية إلى عالم ذلك السر الذي فارت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وتقع بدرجة البهائم ولم يجاوز الحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالدن نساء الله فأناسهم أنفسهم لكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات المدرك كما في هذا العالم بالحواس الجسدية وكل من نسي الله أنساه الله لعلاه نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرًا لأنهم ومترعنا نقتمه إلا أنه أسوأ حالاً من البهائم فإن البهائم تتغلب بالوقت. وأما هذا فأنه أمانة مترجع لعلاه إلى مودعها فإليه مرجع الأمانات ومسيرها وهاولك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب القاني وغربت في مستطاع هذه الشمس عند غروب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخافها إمامظة منكسفة وإما زهرة مشرقة. والزهرة المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحفرة إذ المرجع والمهيكل لكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أهل عِلين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى - ولوترى إذ المرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم - فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد أهملت وجوههم إلى آفتيتهم وانكسرت رؤسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يمهده طريقه، فتود باق من الضلال والزلزل إلى منازل الجهال فهذا حكم اتقسام من يخرج من النار ويسطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحداً. ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسان لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الضامنين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة بحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله. وعلامته أن لا يخطب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت في الناس فمن له من التوحيد مثل الجبال. ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة ومنهم من له مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار. وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنات عين الأموال وبين التهود وأكثر ما يدخل للوحدين النار مظالم الباطل الذين الباطل هو الباطل الذي لا ترك فأما بقية الشياطين فيستأجر العفو والتكفير لإلرا في الأثر إن الباطل يوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبّ عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقتضى من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول

وحب من أحبك
وحب من جمل تجرب إلى
حبك. اللهم بملك
الطيب وقدرتك على
خلقك أحسن ما كانت
الحياة خيراً لي وتوفيق
ما كانت الوفاة خيراً لي
أسألك خشيتك في
الطيب والشهادة وكلة
العدل في الرضا والتعجب
والتقوى في التقى والتعجب
ولذة النظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وقتنة
مضرة. اللهم اقم لي
من خشيتك ما تحول
به بيني وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ماتسون به علينا
مصائب الدنيا. اللهم
ارزقنا حزن خوف

للملائكة ياربنا هذا قد فئت حسناته وبقي طالبون كبير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاتهم وصكوا له صكا إلى النار وكما يهلك هو بسنة غيره بطريق القصاص فكذلك يتجول للظلم بمحنة الظالم إلى أن ينقل إليه عرضا مما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستجبه فقال لأفضل ليس في صهيقي حسنة أفضل منها فكيف أعوها وقاله وغيره مذنب بإخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صهيقي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف البعاد في اللعاب في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب ينشأه حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لأمهالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن مرضه خفيف وعلاجه حين فأن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد تنوق إلى الكثر في الملائكة نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أبه من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وعموض الأسباب التي وتها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الاطلاع عليها بعرض ذلك فكذلك النجاة والقوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها بعرض ذلك السبب الخفي للنفي إلى النجاة بالقوز والرضا ومما يغضى إلى الهلاك بالنصب والانتقام ووراء ذلك سر للشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز الفوق عن الباطني وإن كثرت سيئاته الظاهرة والنصب على الطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الأعداء على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا فو من عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو والغضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والنصب جزءا في الأعمال والأوصاف ولولا ذلك لم يكن جزءا لم يكن عدلا ولولا ذلك لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى - وما ربك بظالم للعبيد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - وكل ذلك صحيح فليس للانسان إلا ما سمى وسماه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما أفرأ أن أزعج الله نفوسهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من الشاهدة بالبصر إذ البصر يمكن القلط فيه إذ قدرى البعد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن القلط فيها وإنما الشأن في اختراع بصيرة القلب وإلا لما يرى بها بعد الاقتناع فلا تصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة الناجين وأعلى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والقوز وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم ينصروا فيمذبوا ويشبه أن يكون هذا حال الجاهلانيين والصبيان من الكفار والمتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشروا على الله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا مصيبة فلا وسيلة تجرهم ولا نجاة تبدم لهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرح عنه بالأعراف وحاول طائفة من الخلق^(١) فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

الوعيد وسرور
رجاء للوعود حتى
يحمد الله ما لطلب
وخوف عاقبته تهرب
اللهم ألبس وجوهنا
منك الحياة واللا
قلوبنا بك فرحا وأسكن
في قوسنا من عظمتك
مهابة وذلك جوارحنا
لخدمتك واجعلك
أحب إلينا مما سواك
واجعلنا أخشى لك من
سواك نسألك تمام
النعمة بشام التوبة
ودوام العافية بدوام
الصمة وذاد الشكر
محسن العادة اللهم
إني أسألك بركة الحياة
وخير الحياة وأعوذ بك
من شر الحياة وشر
الوفاة وأسألك خير
ما بينهما أحسن حياة

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف البرار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنهم المصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي مضر عن يحيى بن سبل عن عمر بن عبد الرحمن الذي عن أبيه بنحوه وأبو مضر بن يحيى السدي ضعيف ويحيى بن سبل لا يعرف ولما حكم عن حديثه قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على المين كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم فهذا متنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوة ويعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والسما والآخر في حق الصبيان أيضاً متناوذة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لمات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأشكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاشكال والاعتقاد أغلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة القارئون وهم المارقون دون الملقين وهم القربون السابقون فان للقد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب المين وهؤلاء هم القربون وما يلي هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر للمكن ذكره ماضيه القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمارقون مظلم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطف على قلب جر في هذا العالم . وأما الخور والتصور والفائدة واللبن والسل والحر والحي والأساور قاتهم لا يحرمون عليها ولو أعطوها لمغنوا بها ولا يلبثون إلا لذة النظر إلى وجهه تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحجرة وعلى وجف الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (١) حديث عائشة أنها قالت لمات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأشكر ذلك وقال ما يدريك ربه مسلم قال للصف والأخبار في حق الصبيان متناوذة . قلت روى البخاري من حديث حمزة بن جندب في رؤيا التي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فاراهم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قيل يارسل الله وأولاد للشركيين قال وأولاد للشركيين وللطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد للشركيين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور التاجي قاضي البصرة وهو ضعيف يروي عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان ولقنساني من حديث الأسود ابن سريع كنا في غزاة لنا الحديث في تسل القرية ، وفيه إلا إن خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أن رأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق قال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود مامن نسمة خلقها الله في بطن أمه إلا أنه شق أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لميعة ولأبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والمودعة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسل الله ذراري المؤمنين فقال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسل الله أين أطفالك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفالك قبل قال في النار قلت بلا عمل قال فإني قد علمت الله ما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصمصم بن جثامة في أولاد المشركين هم من آبائهم وفي رواية هم منهم .

السعداء حياة من
تعب بقائه وتوفى وفاة
الشهداء وفاة من تعب
لقائه باخير الرازيين
وأحسن التوابين
وأحكم الحاكمين
وأرحم الراحمين ورب
المالين ، اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وارحم ما خلفت واغفر
ما قدرت وطيب
ما رزقت وتغم ما نعمت
وتقبل ما استعملت
واجفظ ما استغفلت
ولا تنك ما سترت فانه
لا إله إلا أنت استغفرك
من كل لغة يفرذ كرك
ومن كل راحة بغير
خدمتك ومن كل
سرور بغير قربك
ومن كل فرح بغير
مجالتك ومن كل

ولذلك قيل لراية المدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة قتالت الجبار ثم الدار فهو لاد قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل على كل شيء مواء حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال الماشق
للسنتر بمشوقه للسوق هم بالنظر إلى وجهه والسكر فيه فانه في حال الاستراق غافل عن نفسه
لا يهتد بما يصيبه في بدنه ويهرب عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره
وصارت همومه ما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لتدبر محبوبه حتى يلتفت إليه لاقسه ولا غير
نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرعة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر
كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأبكم إلا لأن رفيع الحجاب عن سمعه
وبصره فند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالله ينامحجاب
على التحقيق وبرضه ينكشف الغطاء فند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة لمسي
الجوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والله للوفيق بطلعه.

(بيان ما تعظم به الصائغ من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الإصرار والواظبة ولذلك قيل للصغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع
استغفار فكبيرة واحدة تصرم ولا ينمها مثلها لو تصور ذلك كان الفؤاد أرحم من صغيرة يواظب
البدن عليها ومثال ذلك قطرات من اللآلئ تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب
عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل »^(١) والأعيان
تسببان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للصمر قليل النفع في تدوير
القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما
يتصور المحجوم عليها بنية من غير سوابق ولواحق من حيلة الصائغ قلما يترى إلا في بنية من غير
مرادة ومقدمات وقلما يقتل بنية من غير مشاحنة سابقة ومعادة فكل كبيرة تستكنها صفائر
سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بنية ولم يتفق إليها عود بما كان الفؤاد أرحم من صغيرة
واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه البدن من نفسه
صغر عند الله تعالى وكما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن غور القلب عنه
ذكر اهتبه له وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الإلف به وذلك بوجوب شدة
الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تدويره بالطاعات والمحدور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤخذ بما
يجري عليه في النفة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في النفة وقد جاء في الخبر « للؤمن يرى ذنبه كالجبل
فوقه يخاف أن يقع عليه وللنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنه فأنظره »^(٢) وقال بعضهم الذنب
الذي لا يضر قول البدن ليت كل ذنب عمله مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلله بجلال
الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنتظر
إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنتظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها
وبهذا الاعتبار قال بعض المارفين للصغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بغير معاملك
الهم إلى استغفرك من
كل ذنب ثبت إليك
منه ثم عدت فيه اللهم
إني استغفرك من كل
قد عدته ثم لم أوف
به اللهم إني استغفرك
من كل لمة أئمت
بها على تقويت بها على
معصيتك اللهم إني
استغفرك من كل عمل
عملته لك فاعلم ما ليس
لك اللهم إني أسألك أن
تصلي على محمد وعلى
آل محمد وأسألك
جوامع الخير وفوائده
وخواتمه وأعوذ بك من
جوامع الشر وفوائده
وخواتمه اللهم احفظنا
في أمانتنا واحفظنا
عما نهيتنا واحفظ لنا
ما أعطيتنا واحفظ

(١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
(٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا
عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فذكر هذا
وحديثه أنه أفرح بتوبة البدن ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا
الوجه موقوفا ومرفوعا .

رضي الله عنهم للتائبين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كما ندمنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللواتك إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أم فسكنت الصغار عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم بالأمم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أشغالها عن العارف لأن الذنب والخالفية يكبر بقدر معرفة الخائف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمسك من ذلك نعمة والنفقة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من الذين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بتعارفه إليه كما يقول أمارأيتني كيف موقت عرضه وقوله الناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول للعامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبت في ماله وكيف استحققت فهذا وأمثاله تكبر به الصغار فإن الذنوب ميسرات وإذا دفع العبد إليها وظهر الشيطان به في الحيل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن ينكسر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شره لا يرجي شفاؤه . ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحله عنه وإهماله إياه ولا يدري أنه إنما يعمل مقراً ليزداد بالامهال إنما يظن أن تمكنه من المعاصي غاية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكان السرور بالله كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبه جهنم صلاتها فيمن الصبر - هنا أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غير هذا ذلك جناية منه على ستر الله الذي سده عليه وتحريك الرغبة الشريفة من أحبه ذنبه أو أشفده ضله فها جنايتان انضمتا إلى جنايته فظلمت به فإن انضاف إلى ذلك الترتيب للشر فيه والحيل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتهاش الأمر وفي الخبر « كل الناس معاف إلا المجاهرين » بيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه (١) وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل ويستر التيسير ولا يهتك السر فلا يظهر كفران لهنه النعمة . وقال بعضهم لاذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبتك ولذلك قال تعالى - للناقص وللناقصات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف - وقال بعض السلف ما انتهك الرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصيته يهونها عليه . ومنها أن يكون الذنب طالما يتدبى به فاذنقه بحيث يرى ذلك منه كذبته كلبس العالم الأبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذ مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وترده عليهم ومساعدته إليهم يترك الانكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعد به باللسان في المناظرة وقصد الاستغفاف واشتغاله من العلوم بما لا يصدده إلا الجاه كمل الجدول والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويقيم شره مستطير في العالم آماداً متطاولة فطوي لمن إذا مات مات ذنوبه معه وفي الخبر « من سن سنة سيئة فليبه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً » قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأرباع يزل ذلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معاف إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كل أمي وقد تقدم (٢) حديث من سن سنة سيئة فليبه وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم في آداب النكسب .

الحافظين وإذا كر
الذاكرين وإذا كر
الشاكركين بدرك
ذكروا . وفعلك
شكر والمغياث بامني
بامستغاث ياغيث
للتستغاث لا تنكثي إلى
نفس طرفة عين
فأهلك ولا إلى أحد من
خلقك فأصبح أكلاني
كلامه الوليد ولا تل
عن وتولي بما تولى به
عبدك الصالحين أنا
عبدك وابن عبدك
ناصر يدك جار في
حكك عدل في
فصاؤك نافذ في مشيتك
إن تعذب فأهل ذلك
أنا وإن رحم فأهل
ذلك أنت فأفعل اللهم
بأمولاي يا الله يارب
مأنت فأهل ولا تفعل

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويزرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له إن ذنبك لو كان فيا بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضلعت من عبادي فأدخلتهم النار . فيبدأ يوضح أن أمر العلماء خطر فليهم وظيقتان : إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤه كاتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل والليل إلى الدنيا وقع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيقع عليه ويتقذى بالعطاء والموام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة الملاطين وجمع الخطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كات العلماء في طوري الريادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالبرع وإما بالحسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة منها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر)

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون للعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دواعي وتمام ونجاسها علامة ولابدوامها شروط فلا بد من ياتها . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسببها . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانكباب الدمع وطول البكاء والتسكرف في استنصر عقوبة نازلة بولاه أوميض أعزته طال عليه مصيئته وبكائه وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من للعاصي وأى يخبر أصدق من الله ورسوله ولوحده إنسان واحد يسمى طبيا أن مرض ولده للريض لا يبرأ وأنه سيموت منه لظال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا للرض بأدلى على الموت من للعاصي على سخط الله تعالى والتعرض به للنار فألم الندم كلما كان أهد كان تكفير الذنوب به أرجى فلامعة محبة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر لا جالسوا التوابين قائم أرق أقتة (١) ومن علامته أن تستمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلوائها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة قهرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبياءه وقد سأله يقول توبة عيب بصدان اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزني وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فان قلت فالتذنب هو أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستنقه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتآثر شره وقلبت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا تشبهه بفوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا يصحح التوبة ولا تصدق إلا بجمل هذا الإيعان ولما عز مثل هذا الإيعان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى مهانوا بالذنوب مصرعا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت

(١) حديث جالسوا التوابين فاهم أرق أقتة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في التوبة قال جالسوا التوابين فان رحمة الله إلى التائب أقرب وقال أيضا قالوا عظلة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمة وأرق قلبا .

اللهم يارب يا الله
ما أنا له أهل إنك أهل
التقوى وأهل الثمرة
بامن لاضهر الذنوب
ولا تقصم الثمرة هب
لي مالا يترك وأعطني
مالا يفسدك ياربنا
أفرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلمين توفى
مسلمنا والخفى
بالصالحين أنت ولينا
لا تغفر لنا وارحمنا وأنت
خير الغافرين ربنا
عليك توكلنا وإليك
ألفنا وإليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسمنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم السافرين
ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهي لنا من
أمرنا رشدا ربنا

ويبنى أن يجد هذه للزلة في جميع القلوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السمل في النقرة من الماء البارد معها علم أن فيه مثل ذلك السمل إذ لم يكن ضرر من السمل بل عما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرته وزنا من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنهم عتاة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما القصد الذي ينبت منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو واجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط والمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك الحصة إلى اللوث . وشرط صحتها بتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنسب أو الاحتلام وغشى عما مضى من محرمه منقصة وشهر اشهرها ويوما يوما وتقسما تقسا وينظر إلى الطاعات المأثية قصر فيه منها وإلى اللاماضي ما الذي تارة منه فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهل جهل بجرم النية فيقضيها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتة منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداها وقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بنال الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستدل بقضائه ، وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدى ما علم بنال الظن أنه في ذمته فإن أداها على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فإن ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك بطول وعحتاج فيه إلى تأمل شافعي ويقره أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتحقق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يفي به فإنه إن مات قبل الحج مات طاعيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت في إن شاء . يهوديا وإن شاء نصرانيا » (١) والعجز الطاريء بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تخفيفه عن الطاعات وتداركها . وأما الماضي فيجب أن يغتفر من أول بلوغه عن محرمه ولسانه ووطنه ويؤدب بوجه وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويحصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطالع على جميعها صفاتها وكبارها ثم ينظر فيها فيما كان من ذلك عنه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنبات ومس مصحف بنير وضوء وإعتقاد بدعة وشرب خمر وصماع ماله وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتعسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث السكبر ومن حيث اللذة وبطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذًا من قوله ﷺ « أتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (٢) بل من قوله تعالى « إن الحسنات يذهبن السيئات » فيكفر صماع للاله بجماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر من الصفح بمحذات كرام للصفح وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تعبه بأن يكتب مصحفا ويحمله وفقا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بمراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعند جميع الماضي غير ممكن وإنما القصد دسالك

أتق الله يا حسنة وفي
الآخرة حسنة وتنا
عذاب النار اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
وارزقنا العون على
الطاعة والسمعة من
النسبة وإفراغ الصبر
في الخدمة وإيداع
الشكر في التهمة
وأسألك حسن الخاتمة
وأسألك البقية وحسن
العرفه بك وأسألك
الحية وحسن التوكل
عليك وأسألك الرضا
وحسن التقية بك
وأسألك حسن النقلب
إليك اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وأملح أمة محمد اللهم
ارحم أمة محمد اللهم
فرج عن أمة محمد
نرجوا عاجلا ربنا اغفر

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث أتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب السكسب ويضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

الطريق للضادة فان للرضي جالج يتبدد فكل ظلمة ارضعت إلى القلب بمصيبة فلا يخونها إلا أنور يرتفع إليها بحسنة تضادها وللضادات هي للتسابات فذلك ينبغي أن تحمى كل سببة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتعقيب من التلطيف في طريق الحق فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواطى على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا في الحق فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . ويدل على أن الشيء يكفر بضد أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلاجرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبر بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى بالمحوم والعموم عن دار المحوم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب إلا المحوم (١) وفي لفظ آخر « إلا المحم بطلب العيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه المحوم فتكون كفارة لذنوبه (٢) » ويقال إن المحم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والمحم بها وعمور القلب بوقفة الحساب وهول اللطع . فان قلت هم إلا انسان غالبا بماله وولده وجهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمت به تمت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال أجرم .» شهيد فاذن المحوم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد فيها أيضا مصيبة وجنابة على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا لما يتعلق منه بحق الله تعالى تدبره بالدم والتحسر وترك منه في المستقبل والايان بالحسنات التي هي أضعافها فيقابل إبداءه الناس بالإحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراسهم بالتيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد موقوف لنفسه موجود لسيده والاعتاق لإيجاد لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقابل الإعدام بالأيجاد وهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق الضادة في التكفير وهو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقية ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجد ولم يكفمه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس والأموال والأعراض أو القلوب أعني به الإبداء المحض . أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فوجبه بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق لإمانته وأمن عاقلة وهو في عبدة ذلك قبل الوصول وإن كان عبدا موجبا للقصاص قبل القصاص فان لم يعرف فيجب عليه أن يعرف عند ولي المم ويحكمه في روجه فان شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة إلا بهذا ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يقتصر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتذيب والنفوق في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين التامدين فان رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي « أن ما عزم بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما ولا خواتما الذين
حيثونا بالآيمان ولا
تجمل في قلوبنا خلا
لذين آمنوا ربنا إنك
رحوم رحيم اللهم
اغفر لي ولوالدي ولبن
تولدا وارحمهما كما
رأياني صغيرا واغفر
لأعمامنا وعمهاتنا
وأخواننا وخالاتنا
وأزواجنا وذرياتنا
ولجميع المؤمنين
والمؤمنات ولجميع
والمسلمات الأحياء
منهم والأموات بالرحم
الرحيمن أخير الأفرين
ولما كان الله مع
العبادة أحببنا أن
نستوفى من ذلك نسبا
صالحا نرجو بركته
وهذه الأدعية
استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المحوم وفي لفظ آخر إلا المحم في طلب العيشة طس
وأبو نعيم في الحلية والحطيط في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في النكاح
(٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه العموم وتقدم أيضا
في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بافظ ابتلاه الله بالخزن .

فقال يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقال يقول لقد هلك وأساطت به خطيئته وقال يقول مأتوبة أسدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو ستمهم (١) وجاءت النامدية فقالت « يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لذلك تريد أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلت فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فلا ذهبي حتى تنضي فلما ولدت أتت بالصبي في خرقه فقالت هذا قد ولدته قال انذهبي فأرضي مني خطيئتي فلما فطمته أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت إني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرمجوها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتشقق اللحم على وجهه فسبحا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إليها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكسر له ثم أمر بها فصل عليها ودفت (٢) . وأما القصاص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه للتحقيق فيه وإن كان للتناول مالا تناوله بنفسه أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترجيع زانف أو ستر عيب من البيع أو قس أجره أجبر أو منع أجره فشكل ذلك يجب أن يغشى عنه لامن حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجا بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظلما مطالبا به إذ يستوى في الحقوق السالبة الشيء والبالغ ولجانب نفسه على الحيات والدواقي من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش لمن يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابا فإن حصل مجموع ما عليه نظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب أسأى أصحاب اللظام واحدا واحدا ولطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستعالمهم أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يحدرون على طلب للمالين كلهم ولا على طلب ورتهم ولكن على كل واحد منهم أن ينظر منه ما يقدر عليه فإن هجر فلا يبقى له طريق إلا أن يكون من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب اللظام وتكون كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تنف بها حسناته حمل من السيئات أرباب اللظام فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد اللظام وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وفذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريبا فينبغي أن يكون ثمره للحسنات والوقت ضيق أمد من تشميره الذي كان في العاصي في متسع الأوقات هذا حكم اللظام الثانية في ذمته . أما أمواله الحاضرة فلا بد من السالك ما يعرف له مال كمين أو مالا يعرف له مالكا فله أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فله أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك للقدار كما سبق نفسه في كتاب الحلال والحرام . وأما الخيانة على القلوب بمشاققة الناس بما يسوقهم أو يبهم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو أذن قلبه بفعله من أضافه وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب قد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكبير الحسنات لتؤخذ منه عوزا في القيامة وأما من وجدده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفراته وعليه أن يعرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا وردده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربا وقوله لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحبيب (٢) حديث النامدية واعترافها بالزنا ورجوعها وقوله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب الكرمي
الله في كتابه قوت
القلوب وعلى قلبه كل
الاعتقاد وفيه البركة
فليدع بهذه الدعوات
منفردا أو في الجماعة
إماما أو مأموما
ويختصر منها ما يشاء
[الباب المحسوب في
ذكر العمل في جميع
النهار وتوزيع
الأوقات]

لن ذلك أن يلازم
موضعه الذي صلى هو
فيه مستقبل القبلة إلا
أن يرى انتقاله إلى
زاوية أسلم لديه لئلا
يجتاج إلى تحديث
أو التفات إلى شيء فإن
السكوت في هذا الوقت
ومترك الكلام له أثر
ظاهر بين يديه أهل

وتعرضه له بالاستحلال لهم لا يكتفى وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنائته على
 الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفة كثراته بجاربه أو أهله أو نسبه باللسان إلى عيب من خفايا
 عيوبه يعظم أذاه مهما خوفه به فقد انسده عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم
 تبقى له مظلة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلة اللبث والتائب . وأما الذكر والتعريف فهو سببة
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائته وعرفه الحق عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال
 بقيت المظلة عليه فان هذا حقه فله أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
 حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نشر سيئة ماله بحسنة
 فاذا طاب قلبه بكثره تودده وتلطفه صحت نفسه بالاحلال فان أبي إلا الاصرار فيكون تطلعه به
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائته وليكن قدر سعيه في فرجه
 وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك
 منه عوضا في القيامة يحكم الله به عليه كمن أظلم في الدنيا مالا لجاه بمثله فامتنع من له السال من
 القبول وعن الإبراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبي فكذلك يحكم في صعيد القيامة
 أحكم الحاكمين وأعدل القسطين وفي التثقي عليه من الصالحين عن أبي سعيد الخدري أن نبى الله
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
 أهل الأرض فدل على رابع فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 فقتله فشكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها
 أناسا يبدون الله عز وجل فأعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فاطلقت حتى إذا
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقاتلت ملائكة الرحمة
 جاء ثانيا متيلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
 فقبضوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسوا فوجدوه أدنى
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة ^(١) » وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب
 منها بشير فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تبعدي وإلى هذه أن تقربي
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير فففر له ، فهذا تصرف أنه لاختصاص الإبرججان
 ميزان الحسنات ولو بمقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم التصد للخلق بالماضي .
 وأما العزم المرتبط بالاعتقال فهو أن يصدق مع الله عقدا مؤكدا ويجاهده جهدا وثيق أن لا يعود
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالتدبى حزم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزمًا جزما
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تغلبه
 الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون ثانيا مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب
 في أول أمره إلا بالمزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فان كان له مال موروث
 حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاشي أكل الحرام
 فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالاحلال وترك الشبهات من لا يقد على ترك الشهوات

(١) حديث أبي سعيد الخدري للتثقي عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو . وثق عليه كما قال النصف من حديث أبي سعيد .

للعمامة وأن باب التوب
 وقد نذب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى
 ذلك ثم يقرأ الفاتحة
 وأول سورة البقرة إلى
 للفلحون والآيتين
 وإلهمكم إله الواحدية
 الكرسي والآيتين
 بعدها وآمن الرسول
 والآية قبلها وشهد الله
 وقال اللهم مالك الملك
 وإن ربكم الله الذي
 خلق السموات
 والأرض إلى الحسينين
 ولقد جاءكم رسول إلى
 الآخر وقال ادعوا الله
 الآيتين وآخر الكهف
 من إن الدين آمنوا
 وذا النون إذ ذهب
 مناضيا إلى خير الوارثين
 فسبحان الله حين
 تمسون وحين تصبحون

في لئلا كولات ولللبسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يمتل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن ههنا التائب إذا لم يكن طالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يتمكن الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة للطلقة إلا لأن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشراب والزنا والتصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح وقال قانون تصح ولقنط الصحة في هذا للعام مجمل بل يقول لمن قال لا تصح إن عنيته به أن تركه بعض الذنوب لا يفيده أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتها سبب قتلته وهول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى التجاة أو القوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والقوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولنا تسلك في خبايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب إلى أنها لا تصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجسه لأجل المعصية فان العلة شاملة لها إذ من توجع على قتل ولله بالسيف توجع على قتله بالسكين لأن توجسه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجع البعد بفوات محبوه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف توجع على البعض دون البعض فالتدب حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفضية للمحسوب من حيث إنها معصية فلا تصور أن يكون على بعض الماصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر فان استحالة ذلك من حيث إن المعصية في الخمر واحد وإنما الدتان ظروف فكذلك أعيان الماصي آلات للمعصية للمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تتأهل إلا بالندم ولا تصور الندم على بعض التائبين فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول هول إن السد لا يصح أى لم ترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا أن مرة مجرد الترك أن يقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا تصور الندم إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع الماصي وهو كلام مفهوم واقع يستلحق النصف بتفصيل به يكشف الغطاء . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تغلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسلط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتقدم عليه كالذي يغني على أهل الملك وحرمة ويغني على دابته فيكون خائفا من الجنابة على الأهل مستحقرا للجنابة على الدابة والندم بحسب استظام الذنب واعتقاد كونه مبداء عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الأعصار الحالي ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة المعصية والطبيب قد يحذر المريض السل تحذيرا شديدا ويحذر السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن السل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعا بهكم شهرته ندم على أكل السل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أهد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والبه والنظم ومطام العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كافي تفاوت

وسبحانك إلى آخر
السورة وقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بذات الصدور وآخر
سورة الطهر من
لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثا
وثلاثين وهكذا محمد
منه ويكر مثله ويستمها
مائة بلا إله إلا الله وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يشتغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
قصور وقصور وناسي
فإن التوب في هذا الوقت
مكروه جدا فإن غلبه
التوب فليقم في صلاه
تائما مستقبل القبلة
فإن لم يلبس التوب
بالقيام فخطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتصلح بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع الماصي وهو لا يدري فيحسب ترجيح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وتدما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صنية أو صغائر مجرأ وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن التوبة أو عن النظر إلى غير الحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه إمكانه أنه ممن مؤمن إلا وهو خائف من معاصي وتادم على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ولكن تكون للتوبة فيه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والتفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك الزم ولا قويا عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يمارسه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبا وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتت ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالقية وتلب الناس والنظر إلى غير الحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يجمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف انعامات الزم فترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض الماصي فلا ينبغي أن أدخل العذر وأرخصي العنان بالكلية بل أجاهده في بعض الماصي فسأني أغلبه فيكون قهري له في البعض كثارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يسلم ويصوم وقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فترك التسق له فإن أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تصعد بصلواتك التترب إلى الله تعالى ما لم تتقرب بترك التسق وهذا محال بأن يقول لله تعالى على أمران ولي على مخالفة فيها عقوبتان وأنا ملي في أحدهما بقهر الشيطان حاجز عنه في الآخر فأنا أنهره فيها أقدر عليه ، وأرجو بخلهذه في أن يذكر عن بعض ما يجرت عنه فخرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من قبل ماض أورت الندم والندم يورث الزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متناهية في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، ثم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التوبة لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لشدة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يسجد عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلا ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيصور اختلاف حاله في الترتك فندم على ذلك الذنب ووجه بعضه على الترتك بطبعه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي . فإن قلت هل تصح توبة العن من الزنا الذي قارفه قبل طريان الصلة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يثبت الزم على الترتك فيقدر على فعله وما لا يقدر على فعله قد اندم بنفسه لا يتركه إياه ولكني أقول أول طرأ عليه بعد الصلة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

هو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة في إدامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فلذا أحكم أوله بهذه الرغابة فقد أحكم بانيه وتبين أوقات النهار جميعا على هذا البناء فلذا قارب طلوع الشمس يتسدى بهجرات السمات المشر

لكانت حرقة الندم تجمع تلك الشهوة وتخليها فأن أرجو أن يكون ذلك مكفراً لقبه وماجا عنه سيئه إذ لاخلاف في أنه لو تاب قبل طريان الغنة ومات عقب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تخرج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه نائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل أن تبلغ قوة الندم في حق العنبر هذا المبلغ إلا أنه لا يخرجه من نفسه فأن كل من لا يشتهي شيئاً بقدر نفسه تدرا على تركه بأذى خوف الله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فبذلك منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة العصية تنسجى عن القلب بشيئين : أحدهما حرقة الندم ، والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس حالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على عزمها دون المجاهدة ولولا هذا قلنا إن التوبة لا تخيل مالم يسهى التائب بعد التوبة مدة مجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يندك ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً فأن قلت إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه من الزنوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه زنوع إليه وهو يجاهدها وعينها فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد ، وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو قدر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة التورع من المجاهدة وما قاله كل واحد من التريين لا يخفى عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيمان الذي انقطع زنوع نفسه له حالتان : إحداهما أن يكون انقطاع زنوعه إليها بفنور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه المجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأما بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبث بإشارة اليقين وتجمع الشهوة للنبذة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو قدر لا يوجد إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنبر أفضل من الفضل لأنه في أمن من خطر الشهوة والعنبر أفضل من البالغ لأنه أسلم والفلس أفضل من ذلك القاهر القامع لأعدائه لأن الفلس لا عدو له ولذلك ربما يغلب مرة وإن غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب فاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن الن في الأخطار وأن الملوشر طه انتحام الاغترار بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمع به فرسه فتتكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يضطرب الكلب ويمتد عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالماً بطريق تأديهما أعلى رتبة وأحرى يدرك سعادة الصيد . الحالة الثانية : أن يكون بطلان الزنوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغاً فقع هيجان الشهوة حتى تأديت بأب الشرع فلا تخرج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استدلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها ، وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بقصود الجهاد فأن الجهاد ليس مقصوداً لئنه بل للتصديق وقطع ضراوة الدود حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن مجز عن استجراك فلا يبدك عن سلوك طريق الدين فإذا قهرته وحصالت التصديق فقد ظفرت ومادمت في الجاهدة فأنت بمدى طلب الظفرو مثله كمثل من قهر الدود وامترته بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثله أيضاً مثال من علم كلب الصيدوراض الفرس فهما تاعنان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الانحاج بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة تأديت بمدى لقتل

وهي من تلميح الحضر
عليه السلام عليها
ابراهيم التيمي وذكر
أنه تلميحاً من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
ويقال بالمداومة عليها
جميع للشرقي في
الأذكار والدعوات ،
وهي " عشرة أشياء
سبعة سبعة الفاعلة
والعزاتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
المكافرون وآية
الكسرى وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر والصلاة
على النبي وآله وسبح
لنفسه ولوالديه
والمؤمنين والمؤمنات
ويشول سبب اللهم افعل
بي وبهم عاجلاً وآجلاً
في الدين والدنيا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يملوا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قبح الشهوات وإمالتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه ففجز عنه فقال هذا مجال فكذب بالسرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قرنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع للهلكات . فان قلت فلو أنك في تأييد أحد هاتين الناحيتين لم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يفكر فيومعرق بنمائه عليه فأيهما أفضل . فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينك . وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى الحالين وكلام للتصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمل حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا تصان بالإضافة إلى المهمة والارادة والجديس يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهتم أمر غيره إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله وقد يكون طريق البدن إلى الله العلم بالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب وذكره والتنبع عليه كمال في حق التبتدء لأنه إذا لم يترك احتراقه فلا تحوى إرادته وانباته لسلك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى النافل كالمصلحة بالإضافة إلى سالك الطريق تصان فانه شغل مانع عن سلك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يبرح على غير السلك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له آثار المعرفة ولواعب الريب استغرت ذلك ولم يبق فيمتنع للأنفاس إلى ماسبق من أحواله وهو الكمال بل لو طاق السافر من الطريق إلى بطنه من البلاد نهر حاجز طال تصبه للسافر في عبوره مدة من حيث إن كان قد ضرب بجسمه من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يئس متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا ماضا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع ، نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فيلطم بالليل بكاهن وحزنه على تخريب الجسر ليثا كد يطلو الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التبتدء ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى بمن الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق وللقصد والمائق وطريق السلك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع للهلكات بل تحول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في التمسك في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شابا فلا ينبغي أن يبطل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك التكرار يعمرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالأجلة بل ينبغي أن يفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا لشهوة فإلمتدى أيضا قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدقك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونباحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد يزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات الالفة بأهمهم فاتهم مابشوا إلا لارشادهم فطهرهم التلبس بما تنفع أهمهم بعشادته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بزوج رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها فترافه عن المجاهدة وتأديب النفس تمهيدا للأمر على الريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشعر »^(١) وفي لفظ « أما أنسى لأسن » .

(١) حديث أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشعر ذكره مالك بلافا بغير إسناد وقال ابن عبد البر

مائت له أهل ولا تفعل ربنا يا مولا نا ماغن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم رءوف رحيم وروى أن إبراهيم التيمي لما قرأه بعد أن تلمها من الحضر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى للأنبياء والأشياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل له كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فانما فرغ من المسجات أقبل على التيسيع والاستغفار والتلاوة الى أن تطلسم الشمس قدر رمح .

ولا تنجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء الصليين في كنف شفقة الآباء وكالمواثني في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كالأول صلى الله عليه وسلم للحسن « كعب كعب » (١) لما أخذ تمر من تمر الصدقة ووضعه في فيه وما كانت فصاحته تنصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فلما حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطق ترك الفصاحات وزل إلى كنفه بل الذي يعلم شاة أو طائراً يصوت به رضاء أو صغيراً تشبهاً باليهنوا الطائر تطلقاً لتعليمه فإياك أن تفضل عن أمثال هذه الدقائق فلما مزلة أقدم العارفين فضلاً عن الفاضلين ، نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه .

(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا اثرات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات للتبديل بالبيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس السائكة النفس اللطيفة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق المرءون المشتهرون بذكر الله تعالى وضع الله كبر عنهم أو زارهم فوردوا القيامة خفافاً » (٢) فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضما الله كبر عنهم وأهل هذه الطبقة على رب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المراقبة فزاعها ولم ينفخه عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مل مجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضاً بالكثرة والقلّة وباختلاف اللذة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن محتطب يوت قريباً من توبته يبطئ على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن يميل طالعاً جهاداً موصره وتعددت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة فائتاً بحوها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى واشتراط هذا بيد وإن كان لا ينسرك عظم أمره لو فرض ولكن لا ينبغي للعريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتسبج الشهوة وتغضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطعم في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية وينقض توبته بل طريقها القرار من ابتداء أسبابه للسرعة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبار الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب يتعثره لاعتد عهده وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غيره أن يقدم عزمه على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من

لا يوجد في الوطأ إلا مرسلات لإسناد له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنصاري وقد طال محي عنه وسؤالي عنه لائمة والحفاظ فلم أظفر بمولاهم عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسنداً (١) حديث أنه قال للحسن كعب كعب لما أخذ تمر من الصدقة ووضعه في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للمرءون المشتهرون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعنى أربع ركعات » ثم صلى ركعتين فبسل أن ينصرف من مجلسه قد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي الركعتين وباتين الركعتين تبسبب فائدة رواية هذا الوقت وإذا صل الركعتين يجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما قرأ بجدي باطنه أثرًا ونورا وروحاً وألساً إذا كان صادقاً والذي يجده

أسبابها التي تعرض لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس الواهمة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال النسيمة لأعن تصميم عزم وتحمين رأى. وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وإعنا غاية سعيه أن يظل خيره شره حتى يثقل ميزانه فتخرج كافة الحسنات فأما أن تغوار بالكلية كافة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد مع الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يحبون كإثم والقواحش إلا اللهم إن ربك واسع الغفرة - فكل اللام يقع بصغيرة لأعن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللهم الغفو عنه قال تعالى - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فأنقذ عليهم ظلمهم لأنفسهم لئندمهم ولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على كرم الله وجهه « خياركم كل مفتن تواب (١) » وفي خبر آخر « المؤمن كالسنبلة ينفث أحيانا ويميل أحيانا (٢) » وفي الخبر « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه القينة بعد القينة (٣) » أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا الضر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة للمرين ومن يؤس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفعي الذي يؤس النخعة عن نيل درجة الفقهاء بغفوره عن التكرار والتطبيق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على هتان الطبيب والفعي بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من القترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبي ﷺ « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون المستغفرون (٤) » وقال أيضا « المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقة (٥) » أي واه الذنوب رافع بالتوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤنون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فلما وصفهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تقلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لمجزءه عن قهر الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يود لو أنذر الله تعالى الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يود لو أنذر الله تعالى على قهها وكشفها شرها هذا أمنتته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فلهذه النفس هي التي تسمى النفس للسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - فأمرهم من حيث هموا ظهروا على الطاعات وكرهتم لما عاظموا من وجو (١) حديث على خياركم كل مفتن تواب البهيقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن كالسنبلة تنفث أحيانا ويميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن ومرسلا وكلها ضعيفة وقالوا تقوم بدلتق وفي الأمثال للرامهرزي إسناد جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه القينة بعد القينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستغفبه والحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون . قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالا فسيعد بدل غيرهم .

من البركة ثواب
موجب له على عمله هذا
وأحب أن يشترأني
هاتين الركتين في
الأولى آية الكرسي
وفي الأخرى آمين
الرسول والله نور
السموات والأرض
إلى آخر الآية وتكون
نيته فيها الشكر لله
على نعمه في يومه
وليته ثم يركعتين
آخرتين يقرأ العوذتين
فيهما في كل ركعة
سورة وتكون صلاته
هذه ليستبد بالله
تعالى من شر يومه
وليته ويذكر بعد
هاتين الركتين كلمات
الاستعاذة فيقول أعوذ
بالحكم وكذلك التامة
من شرائع التوابة

تضيق على مثلي ومصطفى ليست تضره ثم تراه يركب الجارو ويقتحم الأوعار في طلب الدنار وإذا قيل
 إن الله كريم ودنايته خزائنه ليست تضره عن قهرك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك
 فمساء برزك من حيث لا تعتب فيه - تحقق قائل هذا الكلام ويستهيء به ويقول ما هذا المحوس
 السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته
 ولا يتبدل لسنة الله ولا يلزم للزور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا يتبدل لما فيه مجاميعها
 وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم
 في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم القصور عن كسب المال ومقتضاه القصور عن العمل للمالك
 للقيم والقيم الدائم وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من جهته في الآخرة وهذا ينمعه مع شدة الاجتهاد
 في غالب الأمر في الدنيا وينسئ قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - فتعوز بالله من العمى
 والضلال فما هذا إلا تنكاس على أم الرأس واتعاس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون
 داخل تحت قوله تعالى - ولولئى إذ المجرمون ناكروا وجههم عن ربهم حتى رأوا عصارا فأصغروا صغرا
 نعمل صالحا - أى اصبرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فأرجو أن نلقى وعند
 ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فتعوز بالله من دواعي الجهل والشك والارتباب السائق
 بالضرورة إلى سوء الثقل والتأنيب.

(يان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما

عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الأخلاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والتندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاهه كاذكرنا طريقه فان لم تساعده
 النفس على العزم على الترك لنوبة الشهوة قد هجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني
 وهو أن يدبر بالحسنة السيئة ليحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات بالكثرة
 السيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وتكسر الحسنات في محل السيئة وفيها يتعلق بأصباها
 فأما بالقلب فليذكره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال الغفرة والعفو ويتذلل لتذلل العبد الأبق
 ويكون ذه بحيث يظهر لسائر العباد ذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الأبق للذنوب وجه
 للتكبر على سائر العباد وكذلك يضر بقلبه الحيرات للساكنين والعزم على الطاعات . وأما باللسان
 فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر
 من ضروب الاستغفار كما أوردناه في صكتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات
 والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشانية أعمال كان العفو عنه
 مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة أو حب الافلاخ عن الذنب وخوف العقاب
 عليه ورجاء الغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تعصى عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله
 تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم يوما وفي
 بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل للمسجد وتصل ركعتين^(١) وفي بعض الأخبار تصل أربع ركعات^(٢)

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل للمسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من
 حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم
 يستغفر الله لا يغفر الله لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا قلل للصنف عبر
 بالأثر لارادة للوقوف فذكره احتياطا وإلا فالآثار ليست من شرط كتابي (٢) حديث التكفير
 بصلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

لا يرجو الله ثم أتى أعود
 بك من الذنوب التي
 تزيل التوب وأعوذ بك
 من الذنوب التي توجب
 التوب ثم يصلي
 ركعتين أخريين بنية
 الاستغارة لكل عمل
 عمله في يومه وليلته
 وهذه الاستغارة
 تصكون بمعنى الدعاء
 على الإطلاق وإلا
 فلا استغارة التي وردت
 بها الأخبار هي التي
 يصليها أمام كل أمر
 يريد ويقرأ في هاتين
 الركعتين - قل يا أيها
 الكافرون - وقل هو
 الله أحد - وقرأ دعاء
 الاستغارة كما سبق
 ذكره في غير هذا
 الباب ويقول فيه
 كل قول وعمل أريد

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأَتَمِّمها حسنة تكفرها السر بالسر والملائية بالملائية ^(١) » وقيل قيل
صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى عاجلت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس فاقض على
بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ما صلبت معنا صلاة القعدة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم
إن الحسنات يذهبن السيئات ^(٢) » وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل
الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر »
فصل الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجهد في دفعها بالحسنة . فان قلت
فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الأصرار ، وفي الخبر « للستغفر من الذنب وهو
مصر عليه كالستيزه بآيات الله ^(٣) » وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله ، وقيل
الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفرتنا عتاج إلى استغفار كثير .
فأعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات
حتى قرن الله الاستغفار بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما
وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا ^(٤) . فنقول : الاستغفار الذي هو
توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون لقلب فيه شركة كما يقول الإنسان
بحكم العادة وعن رأس الفلاة استغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نفوذ بالله منها من غير أن يتأثر
به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله
تعالى وإتياله في سؤال المغفرة عن صدى إرادة وخلص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها تصلح لأن
تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم
« ما أصغر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ^(٥) » وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب واللسان
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه قلما رآها جالس منها بحاس الرجل من
أمراته وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدية قدام نادما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ذلك فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأزل الله عز وجل سائر الصلاة طرق الهارس الأيتان وسأله
جيد ^(١) حدث إذا عملت سيئة فأَتَمِّمها حسنة تكفرها السر بالسر والملائية بالملائية البيهقي
في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم
يلقه بلفظ وما عملت ممن سوء فأحدث الله فيه توبة السر بالسر الحديث ^(٢) حدث إن رجلا قال
يا رسول الله إنى عاجلت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن
السيئات - متفق عليهن حديث ابن مسعود دون قوله أو ما صلبت معنا صلاة القعدة ورواه مسلم من
حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة
معنا قال نعم الحديث ^(٣) حديث للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالستيزه بآيات الله ابن أبي
الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالستيزه برجموسه
ضعيف ^(٤) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان
لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفعه الترمذي من حديثه أنزل الله
أمانين الحديث وضعه وابن مردويه في ضميمه من قول ابن عباس ^(٥) حديث ما أصغر من استغفر
الحديث تخدم في الدعوات ،

في هذا اليوم اجعل فيه
الخيرة . ثم يصلى
ركعتين أخريين يقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
جلك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأشياء عندي واقطع
عني حلجات الدنيا
بالنور إلى قاتلك وإذا
أقربت أصغر أهل
الدنيا بديهم فأقر
عيني بعبادتك واجعل
طاعتك في كل شيء
معي يا أرحم الراحمين
ثم يصلى بعد ذلك
ركعتين يقرأ فيهما
شيئا من حزب من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وآثارها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ، ولذلك قال سهل لا بد له من كل حال من مولاة فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يارب استر عني فإذا فرغ من الصلاة قال يارب تب عني فإذا تاب قال يارب ، يزقي العصمة وإذا عمل قال يارب تغفر لي وتب علي وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والالتابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاة بأن ترك الحلق ثم يستغفر الله من قصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك ينفر له ويكون عنده مأواه ثم ينتقل إلى الاقتراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم النجاة ثم الصفاة ثم اللوالة ثم محادثة السرو هو الحلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والدكر قوامه والرضا زادهم والوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرضه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » قال إنما يكون حبيباً إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى - التائبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيها بركه حبيبه ، والقصد أن التوبة ثمرتين إحداها تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيباً ولكن كغير أيضا درجات فيفضه عو لأصل الذنب بالكيفية وبجسه تخففه ويفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فلا يستغفار بالقلب والتدرك بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الاصرار من أوائل الدرجات فليس يغفو عن الفائدة أصلاً فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كدمها بل عرف أهل الشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا يرب فيها أن قول الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كلاً تخلو شمعة تطرح في الزمان عن أثر ولو خلت الشمعة الأولى عن أثر لكملت الثانية مثلها ولكن لا يرجع الزمان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال ميزان الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يقل ترفع كفة السيئات فليأكد أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأثيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة ألقراء تسكل عن القزل تسللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خط واحد وتقول أي غنى يحصل بحيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى للمتعوه أن ثياب الدنيا اجتمعت خطاً خطاً وأن أجسام العالم مع استماع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضع عند الله أصلاً بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بنية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشخص في عيان التبري : إن لسانى في جنى الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل . فقال اشكر الله إذ استعمل جارة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا جمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شره قال بحكم سبق اللسان تعود بالله وإذا تعود الفضول قال لسانه الله فيعصى في إحدى الكلمتين وبسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً - فالنظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في اللغة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر الصيانات بالنسبة واللحن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضعيف الأخرى كبروا كانوا

إن كان متفرغاً ليس له غفل في الدنيا يلتفت إلى أواع العمل من الصلاة والتسبلة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا غفل إما نفسه أو لعباله فليمن لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من اللزول وهكذا ينبغي أن يعمل أبداً لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين إليه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا يصلى ركعتين ليقيه القسوة للدخل بعد أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يحسن في البيت

يملكون - فأياك وأن تلعن في الطاعات مجرد الآفات ففتر رغبتك عن العبادات فإن ههنا مكيدة ورجها الشيطان بلغت على القرويين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل الضطن للضغايو السرائر فأى خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فاقسم الخلق في هذه للكبدية إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت يملعون ولكن هي كلفتح أردت بها إبطالنا لجرم أعذبك مرتين وأرغم أعذك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالدوى جرح الشيطان ينثر لللعن عليه . وأما الظالم للظلم للظلم فاستشمر في نفسه خيلاء القطة لهذه الحقيقة ثم هز عن الاخلاص بالقلب ترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأصعب الشيطان وتولى بحيل غروره فتمت بينهما المشاركة والواقعة كآثيل : وافق شن طبقه . واقفه فاعتقه . وأما للتصديق فم يقدر على إرغامه بشارك القلب في العمل وضطن لتقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن انتهى إلى كاله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يترك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالخائن الذي دمت حيا كنهه فتركها وأصبح كاتباً والظالم ليتخلف كالذى ترك الحياكة أصلاً وأصبح كئاساً والمتصد كالذى هز عن الكتابة فقال لأنكر مقدمة الحياكة ولكن الخائن مدموم بالإضافة إلى الكاتب بالإضافة إلى الكئاس فاذا هزبت عن الكتابة فلا ترك الحياكة وكذلك قالت ربيعة السدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تلم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تلم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكبت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فكذلك ينبغي أن تفهم ما يلم به واحد ما يعمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق : حسنات الأبرار سيئات القريين . فإن هذه أمور يثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستحق ذرات الطاعات والله صلى وذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً فلفل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً فلفل غضبه فيه وخبياً ولايته في عبادته فلا تحقروا منهم أحداً فلعنهم ولي الله تعالى وزاد وخبياً إجابته في دعائه فلا تركوا الدعاء فربما كانت الإجابة فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قسمان : شاب لاصبوة له نشأ على الخير واجتنب الشر وهو الذى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صبيوة ^(١) » وهذا عز تاجر : والقسم الثانى هو الذى لا يغلو عن مقارفة الذنوب ثم هم يتسهمون إلى . همرين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إلا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فداءؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطئ الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا التفتلقة الشهوة ولا يصاد التفتلقة إلا باللم ولا يصاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والتفتلقة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم المنافقون لاجرهم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - فلا دواء إذن للتوبة إلا بمعجون يسجن من خلابة العلم ومرار الصبر وكما يجمع الكنجين بين خلابة السكر وحموضة الحبل ويضد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب الهيجبة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فاذا لهذا الدواء إعلان : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا يبدن بينهما .

(١) حديث صحيح ربك من الشاب ليست له صبيوة أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن ليمعة .

أحد يسم أضاو يقول السلام على عباد الله الصالحين للؤمنين وإن كان متفرغاً فأحسن أشغاله في هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة فإن كان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر وإلا فليصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يحتم القرآن في الصلاة بين اليوم واليلة وإلا فليصل أعداداً من الركعات خفيفة بخاتمة الكتاب وقول هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى سرتنا عليك توكنا وإليك أنبنا وإليك المصير -

فان قلت أتبع كل علم لحل الإصرار لم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم مجتمعة لأدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مآثرته مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة والشفاعة سببا هو الصبر وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تخليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يشتغل المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يجر عنه لا يبلس ولا يكذب فان إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما قوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . الثالث أنه لا بد أن يصنى إلى الطبيب فيها يحفره عنه من تناول القواكه والأسباب للضررة على الجملة حتى يظلب عليه الخوف في ترك الأحماء فتكون شدة الخوف باعثا له على الاحتيا . ووزانه من الدين الأصناف إلى الآيات والأخبار المشتملة على الرغبة في التقوى والتحذر من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقي إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى يثبت به الخوف التقوى في الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتيا عنه ليعرفه أو لا تفصيل ما يشره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشربه فليس على كل مريض الاحتيا عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يتلى بكل شهوة وارث لكل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بأفاتها وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أعيان الدين وهم العلماء الذين هم وروثة الأنبياء فالله أن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب ضل العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكلم كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يشرهم مما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يمتلئ عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورقة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في عجايمهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه مالم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة قسما متدينا يعلم الناس دينهم فان الحق لا يؤلفون إلا جهالة بلدين تبليغ الدعوة إليهم في الأسفل والقرع والدنيا دار للرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا حقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار الرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بعداوة العالم يسلم إلى السلطان ليكلف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحصى أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقبده بالسلال والأغلال ويكلف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرضى القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداهما أن المريض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذا الآية قرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقتدر الطالب أن يصل بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وسيلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم واليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها لما باله يظن ولا يقتم عبادة الله تعالى . قال - مول بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فإذا ارتفعت الشمس

فإن عاقبة موت مشاهد تنفر الطباع منه وما يجد للوت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن عليها مرتكبها فذلك تراه بشكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اكال . والثالثة : وهو الداء الضال قد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا شديدا مجزوا عن علاجه وصارت لهم سلة في محوم للرض حتى لا يظهر همتهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والاشارة عليهم بما يديم مرضا لأن الداء للهلك هوجب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فترددوا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم ثابا لكم تأمرون بالعلاج وتضمن أنفسكم فهذا السبب هم على الخلق الله ادعوا عظم الوباء واقطع الدواء وهلك الخلق لقدد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذا لم ينصحوا لم يمشوا وإذا لم يصلحوا لم يندسوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فاتهم إذا تكلموا لم يجهم في مواظهم إلا ما يربغ الموم ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتخليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك آله في الأصمخ وأخف على الطباع تقتصر فالحق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من مجرد آراء على الماصي ومزيد ثقة بفضل الله ونهما كان الطبيب جاهلا أو خاتا أهلك بالدواء حيث يصفه في غير موضعه فالرجاء والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادى الله أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالسكينة وكلف نفسه المالا طيقي "ومزق العيش على نفسه بالكيفية فكسر سورة إسرأه في الخوف بذكر أسباب الرجاء يعود إلى الاعتدال وكذلك الصر على الذنوب للشهية لتوبة الممتع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي عبت يبالغ أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب ، فأما معالجة التورود للترسل في الماصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة التورود بالصل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فاذن فساد الأطباء هي الضلالة بالذات لا قبل الدواء أصلا . فإن قلت : فاذكر الطريق الذى يبنى أن يملكه الواظف في طريق الوعظ مع الخلق . فأعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه ، نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع : الأول أن يذكر مافى القرآن من الآيات المخوفة للذنبين والماصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوة صلى الله عليه وسلم "ما من يوم طلع جره ولا ليلة غاب شفقها إلا والملاك يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يخلقوا لماذا خلقوا فاعلموا بما علموا " وفي بعض الروايات "وليتهم مجالسوا فذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يخلقوا فاعلموا بما علموا " وقال بعض السلف إذا أذنب المبد أمر صاحب البين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرض القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكن عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبد حتى لا استأذن مكانه من الأرض أن يحسف به واستأذن سقه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاه فانكما لم تخلقا ولو خلقتاه لرحمتاه ولله يتوب إلى فأغفر له ولله يستبدل صالحا فأبدله حسنات

(١) حديث ما من يوم طلع جره ولا ليلة غاب شفقها إلا والملاك يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الدمشقي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف إن لله ملكا ينادى في كل ليلة أبناء الأربين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا الحديث .

وتنصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتنصف الصريين الظهر والغرب يصل الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلاة الضحى إذا رخصت الفصال وهو أن ينام التفصيل في ظل أمه عند حر الشمس» وقيل الضحى إذا ضجبت الأقدام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم يجد ذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ يَمَسُّكُمُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلّت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها (١) » وفي حديث مجاهد « القلب مثل الكف للفتوحة كلما أذنب البدن أفتضت أصبح حتى تقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع (٢) » وقال الحسن : إن بين البد وبين الله حدا من

العامى معلوما إذا بلغه البد طبع الله على قلبه فلم يفته بعدها خير والأخبار والآثار في ذم اللعاصي وملح التائبين لأخصي فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه (٣) .

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من الصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيهم من

الأخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلال عن جسده وبدت عورته فاستجبا التاج والإكليل من وجهه أن يرتضا عنه بقاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكليل من جبينه ونودى من فوق العرش : اهبط ما جوارى فإنه لا يجاورني من عصى

قال فالفتت آدم إلى حواء بأكيأ وقال هذا أول شؤم للعصية أخرجا من جوار الحبيب . وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما

وقيل لأنّ للراء سألته أن يحكم لأبيها فقال لم ولم يفعل وقيل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمساكنها منه فسلم ملكه أربعين يوما فحرب تأنها على وجه فكان يسأل بكفه فلا يطعم

فأذا قال أطعموني فاني سليمان بن داود شج وطرد وضرب . وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته فطرده وبصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت بمجوز جرة فيها يول نصبت على رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين (أيام العقوبة) قال فجاوت الطيور فركبت على

رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألوكم فيما ظلم من قبل ولا أحكم في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .

وروى في الأسرانيات أن رجلا تزوج امرأة من بلة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته فسه وطالبته بها فجاهدها واستنعم قال فقبأ الله يركه فتواه فكان نيبا في بني إسرائيل وفي قصص

موسى عليه السلام أنه قال لخضر عليه السلام بيم أطلعت الله على علم التيب قال بتر كي اللعاصي لأجل الله تعالى . وروى أن الرب كانت تسير بسليمان عليه السلام فظفر إلى قيصة نظرة وكان جديدا

فكانه أهيمه قال فوضته الرب فقال لم فلت هذا ولم أرك ؟ قالت إنما نطبعك إذا أظمت الله .

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف للفتوحة . قلت هكذا قال السنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد بقوله مجاهد وكذا ذكره للفسرون

من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه في شعب الإيمان البيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث حمرو بن الحارث

قال ماتك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولمسلم من حديث عائشة ماتك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا جيرا وفي حديث أبي الدرداء إن الأنبياء لم يورثوا

دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

حق يقضى مما تدب إليه من زيارت وأعيادة يعفى فيه وإلا فيدمر السمل لله تعالى من غير

قصور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالا وإلا يظلمنا وترتيب ذلك أنه يصل

مادام منشغرا وشهه عجية فإن سم يزل من الصلاة إلى التلاوة فإن

عجز التلاوة أخف على النفس من الصلاة فإن سم التلاوة أيضا يذكر

الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فإن سم الله ذكر يدع ذكر

اللسان ويلزم قلبه للراقية علم القلب بنظر الله تعالى

إليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب للراقية عين

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال فلو كان لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه فافلون - لم خفت عليه الذئب ولم ترجى . ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى خطيئته . وتدري لم رددته عليك ؟ قال لا لئلا لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأتيني بهم جميعا - وبما قلت - انهضوا فاحسبوا من يوسف وأخيه ولا تأمساوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب اللص - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأناصه الشيطان ذكر به قلبه في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسرار بل القرض بها الاعتبار والامتصاص لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار ، ثم كانت سعادتهم في أن عوجوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأقسىاء يمهلون ليزدادوا إثمًا ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسباع الصلبيين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر صدم أن تتجلب العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يجيب العبد من اللصاب فهو بسبب جنائياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف به فإن الذنوب كلها يصجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلة من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (١) » وقال ابن مسعود إنني لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام « من ظارف ذنبا فارقه عقل لا يجد إليه أبدا (٢) » وقال بعض السلف ليست الجنة سوادا في الوجه وقصا في السال إنما الجنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للغير وسره الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويضعاف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء للتسكين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يعتقد الله تعالى ليحقته الصالحون . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه عتزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يمشي في وسط الوحل ويحكى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويهانها حتى يقع في ذنب وذنوب فتندفع غيوض في الذنوب خوفا وهو إشارة إلى أن الذنب تتجلب عقوبته بالإجبار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من تنبيه الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثك ذلك وقال بعضهم إنني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقت أنظر إليه لم في ابن الجلاء الدمشقي فأخذ يدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحان الله تعجب من هذه الصورة الحسنة وهذه الصفة المحزنة كيف خلقت للآثار فتمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لأخوت أحد اصلاحة جماعة إلا بذنوب يذنب في والحبر « ما أنكرتكم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم (٣) » وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما أصنع

الذكر وأفضله فإن هيز
عن ذلك أيضا وتلكه
الواسوس وتزاسم في
باطنه حديث النفس
فليمن في النوم السلامة
ولا ففكرة حديث
النفس نفس القلب
ككثرة الكلام لأنه
كلام من غير لسان
فيحترق عن ذلك قال
سهل بن عبد الله أسوأ
للأصم حديث النفس
والطالب يريد أن يتبر
باطنه كما يتبر ظاهره
فانه يحدث النفس
وما يتخايله من ذكر
مامضى ورأى وسمع
كشخص آخر في باطنه
فيقيد الباطن بالمرآة
والرعاية كما يقيد الظاهر
بالعمل وأنواع الذكر
ويمكن للطالب المجد

(١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده والفظه إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من ظارف ذنبا فارقه عقل لا يجد إليه أبدا تقدم (٣) حديث ما أنكرتكم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي هريرة

بالبعد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذينة مناجاتي (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علاون في قصة بطول ذكرها قال فيها كنت قائماً ذات يوم أصلي غمام قالي هوى طاولته فسكرت حتى توله منه شهوة الرجال فوفقت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غشده في الحمام بالصايون فلا يزداد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت أنجيد وكان قد وجه إلى فأخضني من الرقة فلما أتته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فصاررت تهك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا أن دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فنجبت كيف علم بذلك وهو يفتاد وأنا بالرقة . واعلم أنه لا يذنب البعد ذنباً إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره ليترجى وإن كان شقياً أخفى عنه حتى يهلك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنوب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بهد صفته فإن اجتنبه كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضائف شقاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يحاقب على كفراته وأما للطبع لمن ركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفى لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته . النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والفسقة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل يذنب أن يكون العالم كل طبيب الحافظ فيستدل أولاً بالنفي والسرقة والقتل والفسقة الباطلة ويشتمل على ما لا يجازيها فيستدل بالأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تسكر على ما قال لا تقضب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو التقي وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يتذر منه (٣) » وقال رجل ل محمد بن واسع أوصني فقال أوصني أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال أزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول عايل القضب فتهاه عنه وفي السائل الآخر عايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخييل محمد بن واسع في السائل عايل الحرص على الدنيا وقال رجل لماذا أوصني فقال كن زحياً كن لك بالجنز عايفاً فكأنه تفرس فيه آثار القظاظ والغلفة . وقال رجل ل إبراهيم بن آدم أوصني فقال: إياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي الناس وما أراهم بالناس بل غمخوا في ماء اليأس فكأنه تفرس فيه آفة الخاطلة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب إذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتفي لي كتاباً توصيني فيه ولا تسكري فكتب إلي من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

أن يصل من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر أو لم يقرأ بعد الفراغ من الصلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد أخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يصيهم إذا فرغوا أن ينموا طلياً لسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أربعين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة لمعد الإتيان

«من النفس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن النفس سخط الله رضا الناس وكه الله إلى الناس» (١) والسلام عليك فانظر إلى قسها كيف تعرضت لآفة التي تكون الولاية بسدها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى : أما بعد ؛ فائق الله فائق إذا قضيت الله كنهك الله الناس وإذا قضيت الناس لم يفضوا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناصح أن تكون عنائه مصروفة إلى نفس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللاهية ليكون اشتغاله بالناس فأن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بعوظه بما هو مستغن عن التويعظ فيه تضييع زمان . فان قلت : فان كان الواعظ يشكلم في جمع أوسأله من لا يدري باطن حاله أن يحظه فكيف يفعل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يحظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل . ومثاله ما روى أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عزوجل فانها رأس كل خير . عليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام . عليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء . عليك بالصمت لإمن خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزله الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم الماء بركيك ولما جلدك فيمتدك وبخذ من الدنيا يلاغك وأحق فضول كسبك لأخرك ولا ترفض الدنيا كل الرضا فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكره شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تخاطب ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لاتضحك من غير حجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عمالينك ولا تضييع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يهت يهت ومن يمل الخير يهت ومن يمل الشر يأتهم ومن لا يملك لسانه ينهم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لوجاءك لوت عليك فأتبعه فأتزمه وكل ما لوجاءك لوت عليه فأتزمه فأتزمه . وقال موسى للحضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن شاعرا ولا تكن ضاررا واتزع عن العاجلة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير حجب ولا تمبر الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا بني عمران . وقال رجل لحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خلقك بقدر ما تحب في رضا قلبك وقال رجل لحامد القفاف أوصني فقال اجعل لديك غلافا كخلاف للسجف أن تندسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لابد منه وترك كثرة الكلام إلا ما لابد منه وترك مخالطة الناس إلا ما لابد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ؛ تخف عما خوتك الله واخذر مما حذر الله وخذ عافى يديك لما بين يديك ضد اللوت يأتيك الخير اليقين والسلام . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يحظه فككتب إليه : أما بعد ؛ فان الهول الأعظم والأمور للقطعات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالمطب . واعلم أن من حسب نفسه ربح ومن فقل ضاخر ومن نظر في المواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن علم غم ومن خاف من ومن أن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم علم فاذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غشيت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ؛ فان الدنيا دار عتوبة ولها يجمع من لا عقل له وجها يتر من لا علم عنده فككن فيها يأمر المؤمنين كالمدوي جرحه يصبر

(١) حديث عائشة من النفس رضا الناس بسخط الله وكه الله إلى الناس الحديث الترمذي والمحكم وفي مسند الترمذي من لم يسم .

من يوم اليزر محمد
في الباطر يسألنا آخر
وعظا آخر
في أول النهار يكون
لصادق في النهار هاران
يستمعها غداة الله
تعالى والذوب في العمل
ويشفي أن يكون
انتباهه من نوم النهار
قبل الزوال بساعة
حتى يتمكن من
الوضوء والطهارة قبل
الاستواء بحيث يكون
وقت الاستواء
مستقبل القبلة ذا كرا
أومسحا أو تاليا قال الله
تعالى وأتم الصلاة طرفي
النهار وقال - فسبح
محمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها -
قل قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدي بن أرطاة
أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياءهم وأما أعداؤه ففرهم . وكتب
أيضا إلى بعض عماله : أما بعد ، قد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بنظم أحد فاذا كرت قدرة
الله عليك ، واعلم أنك لاتأق إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل
أخذ للظالمين من الطالبين والسلام . فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة وعظم من لا يدري خصوص
واقته فهذه الواعظ مثل الأغذية التي يشترك الكفاة في الانتفاع بها ولأجل تعدد مثل هؤلاء الواعظ
انحصر باب الاتعاض وغلبت الماصي واستشري الفساد وبلى الخلق بوطائير خرفون أسجعا وانبشرون
أيانا ويشكفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم
ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب بل القائل متصلف والسمتع متكلف وكل واحد
منهما مدبر ومتخلف ، فاذن كان طلب الطبيب أول علاج للرضى وطلب العلماء أول علاج للعاصين
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن الرضى إنما ياول مرضه
لتناوله مباشرة وإنما يتناول ذلك إما قفلة عن مضرته وإما الشدة غلبة شهوته . بيان فإذا كرت أنه
هو علاج الفعلة في علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله
أن للرئيس إذا اشتدت ضرارته لما كوله مضر فطرجه أن يستشعر عظم ضرره ثم يشب ذلك عن
عينه فلا يحضره ثم يشغل عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير قوة الخوف على الألم
الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك علاج الشهوة في العاصي كالشاب مثلا
إذا غلبته الشهوة صار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته
فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخوفات التي جاءت فيمن كتاب الله تعالى وسنن رسوله
صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأميالي للبهجة لشهوته ومسحج الشهوة عن خارج هو
حضور للشهوى والنظر إليه وعلاجه الحرب والمزلة ومن داخل تناول لذلك الأطلعة وعلاجه الجوع
والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا بمن خوف ولا يخاف إلا بمن علم ولا يعلم إلا بمن صبر
واشكار أوعس صانع وتخليد فأول الأمر حضور مجالس الله كرم الاستماع من قلب مجرد عن سائر
الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكير فيه لحما القهم وبنيت من تحمله لا محالة خوفه وإذا قوى
الخوف تيسر بمعونه الصبر وانبثت الدواعي لطاب العلاج وتوفيق الله وتيسره ومن وراء ذلك فمن
أعطى من قلبه حسن الاضواء واستشعر الخوف فائق وانتظر الثواب وصديق بالحسن فيسيره الله
تعالى لليسرى ، وأما من غفل واستغنى وكذب بالحسن فيسيره الله للعسرى فلا يخفى عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك ونزدي وما على الأنبياء إلا الشرح طرق الهدى وإتمامه الآخرة والأولى .
فان قلت قد رجح الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعركة
الخوف والخوف لا يكون إلا بالملم والملم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصدق بعظم
ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه
غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان اذ كل مؤمن مصدق
بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وبسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنوب أمور :
أحدها أن العقاب للوعود غيب ليس محاضرا والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف
بالأضافة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة
بالهوى وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف والمادة طبيعة خامسة والتزوع عن

وقبل فروجها صلاة
العصر - ومن آتاه
الليل فصبح - أراد
المساء الأخيرة
- وأطراف النهار - أراد
الظهر والغرب لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
الآخر غروب الشمس
وفيه صلاة للغرب
فسار الظاهر آخر
الطرف الأول والغرب
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
بالقطة والد كر كما
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم
الليل ويصل في أول
الزوال قبيل السنة
والفرض أربع ركعات

الماجل خوف الأجل شديد على النفس وإدراك قال تعالى - كلاً بل يحون المايجوتندرون الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن عدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فيها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها فخطر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبق أحد لإدخالها، وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فخطر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد لإدخالها فيها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فخطر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد » فإذا كون

الشهوة مرفقة في الحال وكون القاب متأخراً إلى اللآل سيبان ظاهر أن في الاستمرار مع حصول أصل الإيمان فليس كل من حيرب في مرضه ماء التلج لشدة عطشه مكدب بأمل الطب ولا مكدب بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهن عليه الأمل للتتظر. الثالث أنه مامن مذهب مؤمن إلا وهو في القاب طازم على التوبة وتكفير السيئات بالحنان وتوعد به بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يوسف التوبة والتكفير في حيث رجاءه لا توفيق توبة ربما يقدم عليه مع الإيمان. الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو متقن أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن الصفو عنها فهو يذنب ويتتظر الصفو عنها اتسكالا على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان ، ثم قد عظم الذنب بسبب خاص يقدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يهذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فإن كان الملهد ممن لا يمتد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك في فلا يزال به فهذا هو الكفر . فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غدا لا ينظرين قريب وأن اللوت أقرب إلى كل أحد من شركائه فما يدره لعل الساعة قريب وللتأخر إذا وقع صار ناجز أوبد كره نفسه أنه أبدا في دنياه يصب في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الريح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى اللوت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن اللوت أله لحظة إذا لم يخف ما جده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكيف نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزل أو أبدا فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذنه يقول ذمى لم تهم معجزة على طبه فيقول كيف يلبق بقل أن يكون قول الأنبياء للو يدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له لإعواها المخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة يتقدر خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير بيه يصلح اللذة الضالفة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبدا لا بد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدورها وتصرفها وامتزاج صفوها بكدها فكيف أصبر عن نعم الآخرة وأما تسويق التوبة فبالحكمة بالسكر في أن أكره صياح أهل النار من التسويق لأن للسويق ينفى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلهذا لا يبق وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة .

بتسليحة واحدة كان
بصلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
صلاة الزوال قبل الظهر
في أول وقتها واحتاج
أن يراعى لهذه الصلاة
أول الوقت بحيث
يفطن لوقت قبل
للذين حين يذهب
وقت العكرابية
بالاستمرار فيشرع في
صلاة الزوال ويسمع
الأذان وقد توسط
هذه الصلاة ثم يستعد
لصلاة الظهر فإن وجد
في بطنه كدرا من
عاطلة أو مجالسة
اضقت يستغفر الله
تعالى ويتضرع إليه
ولا يشرع في صلاة
الظهر إلا بعد أن يجد
الباطن عائدا إلى حاله

فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شمري هل عجز في الحال إلا لتلبة الشهوة والشهوة ليست تخارقه غدا بل تضاعف إذ تتأكد بالاعتقاد فابست الشهوة التي أكلها الانبان بالمادة كالتلم يؤكدها وعن هذا هلك للسوفون لأنهم يظنون الفرق بين التائبين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدأ شاق ومما نال للسوف إلا مثال من احتاج إلى قطع شجرة فترأها قوية لا تنقل إلى بقشة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كما طال عمره ازداد ضعفه فلا حقا في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف ، وأما المني الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فصلاحه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كثر في أرض خربة فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع التوب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفعها أو إخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلم غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت يمكن والغفلة ممكنة وقد حكى في الأحكام أن مثل ذلك وقع فأننا أنتظر من فضل الله مثله فننتظر هذا منتظر أمر يمكن ولكنه في غاية الحماقة والجبل إذ قد لا يمكن ولا يكون ، وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يبالغ في سبل قريب يلقى بعد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء للذين يدعون بالمعجزات هل صدقه يمكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة كذلك فهو أحرق مسئونه وكأنه لا وجود لثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعاما في البيت لحظة أنه ولست فيه حيلة أو قلت سمعنا فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تركه وإن كان أنه الأطمع فيقول أتركه لاحالة لأنني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة واللوت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاوته شديدة فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوبا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبق أبدا الآباد وإن كذبوا فلا يؤمنون إلا بعض شهوات هذه الدنيا القانية للكسرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبدا الآباد بل لو قدرنا الدنيا بمسواة بالقدرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها فنقبت القدرة ولم ينقص أبدا الآباد شيئا فكيف يفتر رأى المائل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبدا الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد ابن سليمان التوخي للمري :

قال النجم والطبيب كلاما لا يثبت الأموات قلت إليكما
إن صرح قولكما فليست بخاسر أو صرح قولي فالحاسر عليكما

وذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صرح ما قلت قد تلخصنا جميعا وإلا قد تلخصت وهلك أي المائل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال ، فإن قلت هذه الأمور جلية ولكنها ليست تتال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلت وما علاج القلوب لردّها إلى الفكر لاسيما من آمن بأصل الشرع وتخصيصه ، فاعلم أن للنازع من الفكر

من الصفاء والداقون
حلاوة للتاجاة لآبدان
يجدوا صفو الألس في
الصلاة ويشكرون
يسير من الاسترسال
في البياح ويصير على
بواطنهم من ذلك عقد
وكدور قد يكون ذلك
بمجرد الخاطلة والمجالسة
مع الأهل والولد مع
سكون ذلك عبادة
ولكن حسنات الأبرار
سيات للقرين فلا
يدخل الصلاة إلا
بسد حل القدر
وإذهاب الكدور وحل
العقد بصدق الإجابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكدور
بمجالسة الأهل والولد وأن
أن يكون في مجالسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأما هو شدائدها وحسرات الماسين في الحرمان من النعيم للقيم وهذا فكر لنافع مؤلم لقلب فينفر القلب عنه وتلقذ الفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذة الدنيا وقضاء الشهوات ومامن لإنسان إلا وله في كل حالة من أحواله وقسم من أقامه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت غصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت له تعلق طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر ينم عنه من ذلك ، وأما علاج هذين للناعين فهو أن يقول لقلبي ما أشد غيابة عنك في الاحتراز من الفكر في اللوث وما جده تألما بذكر مع استحضار ألم مواقته فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير اللوث وما يبدمه وتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مغفوا لآفات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الله يناسر سعة النور وهي مشوبة بالمسكدرات لما فيها لذة صافية عن كدور وفي التوبة عن الناس والقبال على الطاعة تلقذ بتأجاة الله تعالى واستراحة بعرفته وطاعته وطول الأنىس به ولو لم يكن للطبع جزاء على عمله إلا ما يبعده من حلاوة الطاعة وروح الأنىس بتأجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا في كيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها يمدد ما يصبر عليه بمدته مدته وقصار الجهد ديدنا كما كان المرديدنا فالنفس باقية ما عودتها تعود والخيال ماذن الحاجة ، فالذين هذه الأفكار هي الهيجة للحنوف للبهج لقوة الصبر عن اللذات ومسيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات شمع للقلب بأبواب تتفق لاندخل في المحصر فيصير الفكر مواقفا للطبع فيميل القلب إليه ويبر عن السبب الذي أوقع للواقعة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التآليف بين الإرادة وبين النفس الذي هو طاعة نافذة في الآخرة وقد روى في حديث طويل أنه قام عماد بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابني ، فقال على رضى الله عنه بنى على أربع دعائم : على الجفاء والعنى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عنى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الأمان فأخذته الحسرة والتندم فبدأ له من الله ما لم يكن يحسب ، فما ذكرناه يان لبعض آفات الغفلة عن الفكر وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من يان الصبر فخذ كره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الجود والتناء ، للفرد براءه الكبرياء ، للتوحد صفات الجود والملاء ، للؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنساء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفاء وعلى آله قادة البررة الأشياء صلاة محروسة بالدوام عن التناء ، ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانتفاء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت به الأخبار وما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإسمان من أوصافه الحسنين إذ عني صبر أو شكور أو جاهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شرطى الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

غير واكن إليهم كل
الر يكون بل يترقى
القلب في ذلك نظرات
إلى الله تعالى فتكون
تلك النظرات كفارة
لتلك المجاملة إلا أن
يكون قوى الحال
لا يصعب الحاقق عن
الحق فلا يتقذ على
باطنه عقدة فهو كما
يدخل في الصلوة
لا يجدها ويحيد باطنه
وقلبه لأنه حيث
استروحت نفس هنا
إلى المجاملة كان
استرواح نفسه منغمرا
بروح قلبه لأنه يخالس
وخالط وعين ظاهره
ناظرة إلى الحق وعين
قلبه مطالعة للحضرة
الإلهية فلا يتقذ على
باطنه عقدة وصلوة

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميهِ باختلاف منطلقاته وبيان أساميهِ بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نصف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والحيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت لك ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا - وقال تعالى - ولننجزيَن الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وقال تعالى - ليعاينوا في الصابرون وأجرهم خير حساب شامن قرينة لا وأجرها يتقيد وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصر على الصبر فقال تعالى - بل إن تصبروا وتتقوا وبأتواكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع الصابرين بين أمور لم يجمعها تيميم فقال تعالى - أولئك عليهم صلات من ربهم ورحمة وأولئك هم المتهدون - فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان ^(١) » على ما يأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما قاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أتم عليه أحب إلى من أن يوافي كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تنزع عليكم الدنيا جدي فينكر بضعكم بعضاً ويشكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولننجزيَن الذين صبروا أجرهم ^(٢) » الآية وروى جابر أنه سئل ^(٣) عن الإيمان فقال « الصبر والبساحة ^(٤) » وقال أيضاً « الصبر كزمن كنوز الجنة ^(٥) » وسئل مرة « ما الإيمان فقال الصبر ^(٦) » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة ^(٧) » معناه معظم الحج عرفة

رواية يزيد الرقاشي عن أنس وزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر مثل عن الإيمان فقال الصبر والبساحة الطبراني في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن الشكر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمر عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث مثل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

الروال التي ذكرناها
تحمل السعد وتبين
الباطن صلاة الظهر
فقرأ في صلاة الزوال
بغدير سورة البقرة
في النهار الطويل وفي
التصبر ما ييسر من
ذلك قال الله تعالى :
وعشوا وحين تظهرون -
وهذا هو الإظهار فإن
انتظر بسد السنة
حضور الجماعة للفرش
وقرأ الدعاء الذي بين
الفرصة والسنة من
صلاة الفجر لحسن
وكذلك ما ورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا به إلى
صلاة الفجر ثم إذا
فرغ من صلاة الظهر
قرأ فاتحة وآية
الحكوى وبسبح

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس» (١) وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام «خلق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال «أموئون أتم؟ فسكتوا قال عمر بن الخطاب رسول الله قال وماعلمة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونسبر على البلاء ونرضى بالقضاء قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب السكينة» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فى الصبر على ما تكرهون» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنكم لاتدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين» (٥) والأخبار فى هذا لا تحصى. وأما الآثار : فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى عليك الصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر فى الصيحات حسن وأفضل منه الصبر مع محارم الله تعالى . واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى والصبر وقال صلى الله عليه وسلم «فى الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والصلوة» . وقال أيضا للصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضى الله عنه يقول : تمم الدلائل ونمت الملاوة للصابرين يعنى بالمدين الصلاة والرحمة وبالملاوة للمدين والملاوة ما يجعل فوق المدين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - وكان حبيب بن أبى جبيب إذا قرأ هذه الآية نادى ما وجدناه صابرا أتم المبدأ نهأ وأبى بكرى وقالوا سبحان الله أعطى وأنى أى هو الملقى للصبر وهو اللقى . وقال أبو البرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذان فضيلة الصبر من حيث الثقل وأما من حيث النظر بين الاضطرار فلا نفع فيه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه لمعرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة للوصوف فلذلك حقيقته ومعناه والله التوفيق .

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إيمان فتنظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هى الأصول وهى ثورث الأحوال والأحوال ثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مظهر فى جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان ثارة يختص بالمعارف وثارة يطلق على الكل كإذكرناه فى اختلاف اسم الإيمان والإسلام فى كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة ومحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كاتمة جذر عنها ولا يبرف هذا إلا بمعرفة حقيقة الترتيب بين اللاتكة والإنس والبهائم فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك فى البهائم ولللاتكة أما فى البهائم فلتنقصها . وأما فى اللاتكة فلنكالمها ويانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باع لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا . وأما لللاتكة

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصل له مرافقا وإيماء هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال «أموئون أتم؟ فسكتوا فقال عمر بن الخطاب رسول الله الحديث الطبرانى فى الأوسط من رواية يوسف بن محبوب وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث فى الصبر على ما تكره الطبرانى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبرانى من حديث عائشة وفيه صحيح بين ويثار ضعفه القليل .

ومحمد بن بكر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها التى ذكرناها بسند صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا فضلا عطايا ومن له حمة ناهضة وعززة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحس بسين الظهور والصبر كما يحس بين المشاين طر الترتيب الذى ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر وللرابعة ومن دام سهره بنام نومة خفيفة فى النهار الطويل بين الظهور والصبر ولو أحيا بين الظهور والصبر ركعتين يقرأ فيها ربيع القرآن

عليهم السلام فلنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والانتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال. بمجرد آخر يغلب الصوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء العبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الشهوة الغداه الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللب والثرية ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتصادمة تفتياتهما ومطالبهما وليس في الصبر إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى فضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كل شخصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمحنة للسكران عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالح لتعاقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فذلك لا تطالب إلا بالذبد . وأما الدواب النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالب ولا تعرف فصار الإنسان بوزن الهداية عرف أن أتباع الشهوات له مميزات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية لما تكن له قدرة على ترك ما هو مضر ففكر من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فاقتدر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بلك القوة حتى يقطع عدوانها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بمجنود لم تروها وأمر هذا الجند يقال جند الشهوة فتارة يضخف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنقسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قلع الشهوات وقهرها باعتنا ديننا ولنقسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ولنفهم أن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجال وممر كل هذا القتال قلب البعد ، ومدد باعث الدين من اللائكة الكناشرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال للشهوات حمل بشمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تشرها للفرقة بعداوة الشهوات ومضاداتها الأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى يقينه أعنى للفرقة التي تسمى إيماننا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا فاطما الطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تحت الأفعال في خلاف ما تنافضه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الآخرة باعث الدين للضاد لباعث الشهوة وقوة للفرقة والإيمان يضيغ مقبة الشهوات وسوء عابثها وهذان للسكران هما للشكوكلان يهذين الجنسين بإذن الله تعالى وتسخيرهما إليهما ، وهما من السكران السكرتين وهما للسكران للوكلان بكل شخص من الآمين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك للقوى لم يخف عليك أن جانب الدين هو الذي أشرف الجانبين من جنبين الدست ، ينبغي أن يكون مسلما له فهو إذن صاحب الدين والآخر صاحب الشبهال . وللعيد طوران في التفتة والتسكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالتفتة معرض عن صاحب الدين ومسى إليه فيكتب أعراضه سيئة والفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله لحسنه وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسي إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستعد من جنوده فيثبت له به حسنه وإنما ثبتت هذه الحسنة والسيئات بأبوابها فذلك مما أكراما

أوضحاً ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحيى هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين وسبتك قبل الزوال إذا كان صائما وإن لم يكن صائما فأى وقت تنير فيه الصم ، وفي الحديث والسواك مطهرة للفم مرضاة لرب وعند القيام من القرائن يستحب قبل أن الصلاة بالسواك فتل على الصلاة بغير سواك سبعين ضحفا ، وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ أربع

كاتبين أما الكرام فلا تنفع العبد بكرمها ولأن لللائكة عليهم كرم بررة وأما الكتّابون فلا ياتهما الحسنة والسيئة وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلوب ومطوية عن سر القلوب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتهم وكنتهما وخطهما وصحافتها وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم القلوب ولللكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم لللكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف للطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات قد قامت قيامته ^(١) » وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيا - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما بحسب على ملائكة الخلق وفيها يساق للثقلون إلى الجنة والمهزبون إلى النار زمرا لا أحاداً والمهل والأهل وهو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فإنك تعلم أن الزلزلة إذا زلّت يهلك صدق أن يقال قد زلّت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده قد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره لحسنت من الزلزلة قد كوفرت من غير تصان . واعلم أنك أرضى مخلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بذلك قطعاً ما بدت غيره فليس يحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهول أبداً متزول وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك فخطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك قطع فهي أرضك وتربك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ووركك سماء أرضك وقلبك فميس أرضك وسمك وبصرك ومائر خواصك نجوم ممالك وميض العرق من بدنك بحر أرضك ودموعك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا أهدم بالموت أركان بدنك قد زلزلت الأرض زلزالها فإذا انشملت النظام من اللحم قد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فإذا رمت النظام قد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت قد كورت الشمس تكويراً فإذا بطل صمك وبصرك ومائر خواصك قد انكدرت النجوم انكداراً فإذا انشق دماغك قد انشقت السماء انشقاقاً فإذا اضجرت من هول الموت عرق جبينك قد تجرّت البحار تدبيراً فإذا انفتحت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطبقتان قد عطلت المشار تمطيلاً فإذا فارقت الروح الجسد قد حملت الأرض فهدت حتى ألفت ما فيها وتخلت وأست أطول بجميع موازنات الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يحسك بل ما يحس غيرك فإن جاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأصمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وإغلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حسنة منها فالإجلاء بعد ذلك حسنة غيره ومن انشق رأسه قد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لأرأسه له لسان له فمن أين ينفعه جاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والحول بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونجت الأهوال . واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنما لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين: إحداهما الخروج من الصلب والتراب إلى مستودع الأرحام

(١) حديث من مات قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

الصلتين في صلاته في

عشرين ركعة في كل

ركعة آية أو بعض آية

تقرأ في الركعة الأولى

- ربنا آتانا في الدنيا

حسنة وفي الآخرة

حسنة وثنا عذاب

النار - ثم في الثانية

- ربنا أفرغ علينا صبراً

وثبت أقدامنا وانصرنا

على القوم الكافرين -

ثم - ربنا لا تؤاخذنا

إلى آخر السورة ثم سجدنا

لا نزع قلوبنا إلا بتم

- ربنا إنا منعنا منادياً

ينادي للإيمان - الآية

ثم - ربنا آمنا بما

أنزلت - ثم - أنت

ولينا فاغفر لنا - ثم

- فاطر السموات

والأرض أنت ولي -

ثم - ربنا إنك تعلم

فوق في الرحم في قرار ممكن إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نقطة وعلقة وشفة
وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص
القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه البدن
بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم قسما الآخرة بالأولى فما
خلقكم ولا يمشي إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت
ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لاعدلون فالتقار بالقيامتين مؤمن
بإمام القيب والشهادة وموقن بالملك واللكوت ولقار بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالمعنى
المبرأ إلى أحد المألين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالأعور الدجال ، فما أعظم غفلتك
يا مسكين وكنا ذلك للسكين وبين يديك هذه الأحوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل
والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قوله سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا »^(١)
أو ما سمعت بكبره عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات
الموت »^(٢) أو ما سمعتي من استبطائك هجوم لوث اقتداء برعا الفضائل الذين لا ينظرون إلا مريحة
واحدة تأخذهم وهم يضمنون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم البرزخ نذرا
من الموت فلا يترجعون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يشعرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كم أهلكنا قباهم من القرون أنهم لهم
لا يرجعون ألم يحسبون أن اللوث سافروا من عندهم فهم مدمومون كالأكل الجسيم ليدنا يحضرون
ولكن متأتمين من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولترجع إلى
الفرس فإن هذه تلوحيات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم العامة ، فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة
عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الأديين لما وكل بهم من
الكرام الكائنين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسن في الإقبال على
الاستفادة منهما والسيئة في الأعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما
إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الإقبال والأعراض من القادرين على الإقبال والإعراض ولعمري
إنه قد ظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما
يدنو نور الصباح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى
مضار الدنيا فذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يساقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه
من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والوالى البر الشقيق إن كان من الأبرار وكان
على صمت الكرام الكائنين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنه على صحيفة قلبه
فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يذهب عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق
الصبي فقد ورث أخلاقه للاستملاء في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما
ناله لللائكة فيكون مع النبيين ولقريين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

ما نفي وما نطن -
الآية ثم - وقال رب
زدني علما - ثم لا إله
إلا أنت سبحانك ثم
- رب لا تدركني فردا -
ثم - وقال رب اغفر
وارحم وأنت خير
الراحمين - ثم - ربنا
هب لنا من أزواجنا
- رب أوزعني أن
أشكر نعمتك التي
أنعمت على وعلى
والذي وإن أعمل صالحا
تزداه وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين -
ثم - يعلم خائنة الأعين
وما تخفى الصدور - ثم
- رب أو زعني أن
أشكر نعمتك التي
أنعمت على - الآية
من سورة الأحقاف ثم
- ربنا اغفر لنا

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريس بن بدر صنيف
ورواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر وهو معروف من قوله الفضيل بن عياض رواه البيهقي في
الرهذ (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة
وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت .

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» (١) وأعار إلى أصيبه الكريمتين صلى الله عليه وسلم .

(بيان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتال لفظ الإيمان في جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين : أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين للعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يبره أن العصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك لأصية وللواظية على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال «من أقل ما يؤتيه اليقين وعزيمة الصبر» الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال للثمرة للأعمال لاطل للعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شرطى الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين . باعث من جهة الشهوة ، وباعث من جهة الغضب فانشوة اطلب اللذيق والغضب للهرب من الزلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار «الصوم نصف الصبر» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فكذلك ينبغي أن تفهم تحذيرات الشرع بمحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(بيان الأسمى التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل للشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالنسل كتعاطى الأعمال الشاقة إما من البادات أو من غيرها وإما بالاحتفال كالصبر عن الضرب الشديد والرض العظيم والإجراحات المائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتريات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وإن كان على احتفال مكروه اختلفت أسمائه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وقضاه حالة تسمى الجزع والملمع وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتفال النفسى سمى ضبط النفس وقضاه حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وإن كان فى كظم القبط والغضب سمى حلا ويضاده التذمر وإن كان فى نائبة من نواب الزمان معشجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتموما وإن كان عن فضول الشيش سمى زهدا ويضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد ويقتدم .

ولاخواننا الدين -

الآية ثم - ربنا عليك

توكلنا - ثم ربنا اغفر

لى ولوالدى ولن دخل

بين مؤمننا والمؤمنين

وللمؤمنات ولا تزد

الظالمين إلا عجارا -

سما يصل فليقرأه

الآيات وبالحافظة على

هذه الآيات فى الصلاة

مواظبا لقلب واللسان

يوشك أن يرقى إلى

مقام الاحسان ولورده

فرد آية من هذه فى

ركعتين من الظهر أو

الصبر كان فى جميع

الوقت بنجاحا لمولاه

وداعيا وتاليا وبصليا

والمذؤوب فى العمل

واستيعاب أجزاء التبار

بلذاته وحلاوة من

غير سائمة لا يصح

الحرم وإن كان صبرا على قدر يسير من الحفظ سمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق
الأيان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفة»^(١) وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وصمى الشكل صبراً فقال تعالى
- والصابرين أفي البأساء - أفي السمية - والضراء - أفي الفقر - وحين البأس - أي المحاربين - وأولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ للماني من
الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذاتها وحققاتها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي
يسلك الطريق للستيم وينظر بنور الله يلحظ للماني أولاً فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي
فاتها وضمت دالة على للماني فالماني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع
لا بد وأن يزل وإلى القريئين الإشارة بقوله تعالى - أئمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي
سواء على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يظنوا فيا غلطوا فيه إلا بعثل هذه الانكاسات ، نسأل
الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الله بن بالإضافة إلى باعث الهوى ثلاثة أحوال : أحدها أن يهزم داعي الهوى فلا يبقى
له قوة للنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر غفر والواصلون إلى هذه الرتبة
هم الأفلاكون فلا جرم هم السعديقون للقرآن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فيؤلا ملازموا الطريق
للاستقيم واستولوا على الصراط القويم وأعطيت تقوسهم على مقتضى باعث الدين وإلزامه ينادي للنادي
- بأيتها النفس الطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تخلب دواعي الهوى
وتسقط بالكيفية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد ليأبسه من المجاهدة
وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شغوتهم فحكروا
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله إليهم الإشارة بقوله تعالى
- ولوعثنا لأتيناك نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة غشرت صفقتهم وقيل لمن قصد إدرشادهم - فأعرض عن
تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلفهم من العلم - وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط
والفرور بالأمانى وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الووت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله»^(٢) وصاحب هذا الحالة إذا وعظ قال أالمشتاق
إلى التوبة ولكنها قد تحذرت على فليست أطعم فيها أولم يكن مشتاقاً إلى التوبة ولكن قال إن
الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا للسكين قد صار عقه رقيقاً لشهوته فلا يستعمل
عقه إلا في استبطاء دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته قد صار عقه في بدشهوته كسلم
أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الحنجر وحملها وعده عند الله تعالى
عمل من يهزم مسلماً ويسلمه إلى الكفار ويجهله أسيراً عندهم لأنه فاحش جنايته يشبه أنه سخر
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يسلط عليه وإنما استحق للسلم أن يكون مسلطاً
لما فيه من معرفة الله وبعث الدين وإنما استحق الكفار أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل
بالدين وبعث الشياطين وحق للسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهذا سخر للمنى الشريف

إلا بعد تركت نفسه
بكمال التقوى
والاستنصاف في الزهد
في الدنيا وانزع منه
متابعة الهوى ومقابق
على الشخص من
التقوى وإزهد الهوى
بقية لا يدوم روحه في
العمل بل ينشط وقتاً
ويسأم وقتاً ويتأوب
الغشاش والكسل فيه
لبقاء متابة شيء من
الهوى بقصان تنوى
أوجهة دنيا وإذا صح
في الزهد والتقوى فإن
ترك العمل بالجوارح
لا يختر عن العمل بالقلب
لمن دلم دوام الروح
واستحالة الدؤوب في
العمل فليعه بحسب مائة
الهوى والهوى روح
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الفرور .

الذي هو من حزب الله وجند لللائكة المعنى الحسيس الذي هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر بل هو كمن قصد لللك للثم عليه فأخذ أعز أولاده وسله إلى أبض أعدائه فانظر كيف يكون كفراته نعمته واستجابته لنعمته لأن الهوى أبض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والسفل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحارب سجلاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يمد مثلاً من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خططوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يثوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف وينطبق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض وتزِيل قوله تعالى : خططوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون لمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأمام بل يرمي أهل سيلاً إذ البهجة لم تغلق لها اللقمة والقدرة التي بها تجمد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطه فهو الناقص حقاً للدرجينا ولذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس حياء كنقص القادرين على التحام

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر واليسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجد جيد ومتب شديد ويسمى ذلك نصيراً وإلى ما يكون من غير شدة متب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسن يسر الصبر وذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرناه ليسر - ومثال هذه التسمية قدرة الصارح على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إعياء ولا لثوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين و باعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود اللائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات واضمت وتسلط باعث الله بين واستولى ونيسر الصبر بطول اللواظبة أورد ذلك مقام الرضا كلبياً في كتاب الرضا قال الرضا على من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير (١) » وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالتدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع بملأه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على السائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمة إلى فرض وقول ومكره وحرم . فالصبر عن المحظورات فرض وعلى السكارة مثل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يده وقده وهو صبر عليم كما ذكره في صبره بشهوة محظورة قبيح غيرته فيصبر عن إظهار التيرة وسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر للكره هو الصبر على أذى ناله بحجة مكروهة في الشرع فليكن الشرع يحكم الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يغفل إليك أن جميع محمود بل للراد به أنواع من الصبر خصوصاً .

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن البعد لا يستثنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يلحق البعد في هذه الحياة لا يغفل من نوعين : أحدهما هو الذي يوافق هواه .

(١) حديث أئمة الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم .

زول متابعته والتي
عليه السلام المستأذ
من وجود المسوى
ولكن استأذ من
متابعته قال « أعوذ
بك من هوى متبع »
ولم يستعمل من وجود
الشفع فانه طبيعة
النفس ولكن استأذ
من طاعته قال « وشفع
مطاع » ودقائق متابعته
الهوى تلبس على قدر
صفاء القلب وعواجل حال
قد يكون متبعاً للهوى
باستعلاء مجالسة الخلق
ومكاشفة أو النظر
إليهم وقد يتبع الهوى
بتجاوز الاعتدال في
النوم والأكل وغير
ذلك من أقسام الهوى
التي تتبع وهذا غفل من
ليس له غفل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يوافق به يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهم ما هو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة المشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأقارب وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الانتماس والارتكاز إليها والانحماك في ملاذها للباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والبطيان فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعوفى لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أحد من الصبر على البلاء ولما خضت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة عجيبة عزة (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يشتر في قميصه نزل عن النبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إنى لما رأيت ابنى يشتر لم أملك نفسي أن أخذه (٢) » ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرج بها ولا ينهمك في التمتع واللذة واللهو والعبس برعى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه بيلد اللونة للخلق وفي لسانه بيلد الصدق وكذلك في سائر مآلئهم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى وإعسا كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصية أن لا تحذر والصبر على الحجابة والقصد إذا تولاها غيرك أيسر من الصبر على فسادك نفسك وحجابك نفسك والجامع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهاذا عظمت فتنة السراء . النوع الثانى ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى أو لا يرتبط باختياره كالصائب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالشئى من المؤذى بالانتقام منه فلهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أمفاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والعبد محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس يطعمها تنفر عن العبودية وتشهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجده بالاجال وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبدهم خادعهم أو يتابعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان محتما من إظهاره فإن استشاطته وغيظته عند تصغيره في خدمته واستبداده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنزعة الربوبية في رداء الكبرياء فإذن الدودة شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببها جميعا كالصبر على الطاعة فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ومحتاج للطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء

(١) حديث الولد مبخلة عجيبة عزة أبو يعلى اللوصلى من حديث أبى سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يشتر في قميصه نزل عن النبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إنى لما رأيت ابنى يشتر لم أملك نفسي أن أخذه (٢) » ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار

ثم يصل العبد قبل الصبر أربع ركعات فان أمكنه تجديد الرضوء لكل فريضة كان أكل وأتم ولو اغتسل كان أفضل لسلك ذلك له أثر ظاهر في تصوير الباطن وتكثير الصلوات وقراء في الأربع قبل الصبر إلى ذلزلت والعبادات والتجارة والماسك وصل الصبر ويعمل من قراءته في بعض الأيام والسهاء ذات البروج وصحت أن قراءة سورة البروج في صلاة الصبر أمان من الهاميل ويقرأ بعد الصبر ما ذكرنا من الآيات والسعوا وما يتيسر له من ذلك فإذا صلى

ودواعي الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عندما يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا ينقل عن الله في أثناء عمله ولا يتكسل عن تحقيق آدابه وسنته ويودم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي القصور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى - ثم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين العجب وعن كل ما يبطئ عمله ويحبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا بطلوا صدقاتكم بالبنى - والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن البنى - والأذى قد أبطل عمله . والمطاعات تنقسم إلى فرض وهول وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو الرزمة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر . الضرب الثاني للعاصي لما أوجع العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع للعاصي في قوله تعالى - ويمنى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « للهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه »^(٢) وللعاصي مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن العاصي الصبر عن العاصي التي صارت مألوقة بالمادة فإن المادة طبيعة خامسة فإذا انضافت المادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جنده تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من التوبة والكذب والراء والثناء على النفس تمريضا وتصريحا . وأنواع الزبح للؤذى للقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الأزارء والاستحار وذكر اللوى والقدح فهم وفي علوهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غية وفي باطنه ثناء على النفس فلنفس فيه شهوات : إحداها نفى التبر والأخرى إثبات نفسه وبها تم له الربوبية التي هي في طبعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية ولا جناح للشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصر ذلك معتادا في المحاورات يسر الصبر عنها ، وهي أكبر للزبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأئس بها قترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن التوبة أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه الزلة والافتراء »^(٣) فلا ينبغي غيره فالصبر على الافتراء أهون من الصبر على السكوت مع المحاطلة وتختلف شدة الصبر في آحاد العاصي باختلاف دواعي تلك المنصبة في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج السواوس فلا يجزم بيق

(١) حديث « إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث للهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين وقد تقدم (٣) حديث « إن التوبة أشد من الزنا تمهد في آفات اللسان .

الصبر ذهب وقت
النفذ بالصلاة وفي
وقت الأذكار والتلاوة
وأفضل من ذلك
مجالسة من يهده
في الدنيا ويسدد
كلامه عرا التتوي
من العلماء الزاهدين
للكلمين بما يقوى
عزائم المؤمنين فإذا
صحت نية القائل
وللتسمع فلهذه المجالسة
أفضل من الافتراء
وللادومة على الأذكار
وإن عدت هذه
المجالسة وتصدت
فلتتروخ بالتقل في
أنواع الأذكار وإن
كان خروجه لحوائجه
وأمر معاشه في هذا
الوقت يكون أفضل
وأولى من خروجه

حدث النفس في المرلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يشب على القلب ثم آخر في الدين يستثرة
 كن أصبح وهوهم ثم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأذى فيقول أو يقول وجنى
 عليه في نفسه أو ماله ، فالصبر على ذلك بترك للكفاة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال
 بسني الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إلا إذا لم يصبر على الأذى ، وقال
 تعالى - ولصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون - « وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرته وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى لقد أودى بأكثر
 من هذا فصر^(١) وقال تعالى - ودع أدام وتوكل على الله - وقال تعالى - واصبر على ما يقولون
 واهجرهم هجرة جليلاً - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمن من الدين أو تاتوا الكتاب من قبلكم ومن الدين أشد كراً
 أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - أي تصبروا عن الكفاة ولذلك مدح
 الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى - وإن عاقبتهم فاضربوا بثلث ما عاقبتهم
 به ولئن صبرته لهو خير للعابرين - وقال صلى الله عليه وسلم وصل من قطعك وأعط من حرمك
 وأعف ممن ظلمك^(٢) ورأيت في الأنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لسكم من
 قبل إن السن بالنسب والألف بالألف وأنا أقول لكم لآخاوموا الشر بالشر بل من ضرب خذك
 الأيمن فقول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسير
 معه ميلاًين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
 يتناول فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعاً . ألقسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الأزعة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعصى العين
 وفساد الأعضاء وبالجمل سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضي الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثة درجات
 وصبر عن محارم الله تعالى فله سبعة درجات وصبر على الصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعة درجات
 وإنما فضات هذه الترتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألك من اليقين مأهون على به مصائب الدنيا »^(٣)
 فهذا صبر مستند حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما صبر على ما أحب فكيف نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله
 أو أولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب من أناء وأتقير له ديواناً^(٤) »

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على وضوء .
 وكره جمع من العلماء
 تحية الطهارة بعد
 صلاة الصبر وأجازه
 للشافعي والصلحون
 ويقول كما خرج من
 منزله بسم الله ما شاء
 الله حسب الله لا قوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجني ، وليقرأ
 الفاتحة والمؤذنين ولا
 ينع أن يصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 مرة أو ثمة فإن
 القليل بحسن التنية
 كثير . وروى أن
 عائشة رضي الله
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 أسألك من اليقين مأهون على به مصائب الدنيا الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدي
 مصيبة في بدنه أو أولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم «انتظار الفرج بالصبر عبادة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعطيني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك» (٢) وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الحلود في داري والنظر إلى وجهي» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل إذا جليت عبدى بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لحما خيرا من لحمه ودما خير من دمه فإذا أبرأته أبرا أهولا لا ذهب له وإن نوفيته قالى رحمتي» (٤) وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاه الحزين الذي يصبر على الصواب ابتداء مرضاته قال جزاؤه أن البس لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما أتم الله على عبد نعمة فأنزعها منه وعوضه عنها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرأ - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وسئل فضيل عن الصبر قال هو الرضا بقضاء الله ، قبل وكيف ذلك ؟ قال الرضا لا يتنى فوق منزله ، وقيل جسد السلي رحمه الله في السراستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أجاؤك جاءوك وأزرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يرمون قال لو كنتم أجابني لصبرتم على بلأى ، وكان بعض الهارفين في جيرة فتمت فخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك - أيمننا - ويقال إن امرأة قنع للوصلى عشت فاقطع ظفرها فضحك قنيل لها أما تجددين الروح قالت إن لغة ثوابه أزالنا عن قلبي مرارة وجهه ، وقال داود لسلبان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك» (٥) ويروي عن بعض الصالحين أنه خرج يوما في كد حصرة فافتدها فإذا هي قد أخذت من كد فقال برك الله له فيها لله أحوج إليها منى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أمتيك ما قال جرنى قليلا إلى العدو واجعل للماء في الترس غاني صائم فان عشت إلى الليل شربته فبهكذا كان صبر سالكي طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاء في مسند الشهاب من حديث ابن عمرو بن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث طي دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد الباقين في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة واقرمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة قال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس إن الله قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسمل واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ إن الله عز وجل قال إذا جليت عبدى بعبيتيه فصر وعوضته منهما الجنة رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ إذا أخذت كرميتى عبدى لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سلم قال ابن عدى ضعيف (٤) حديث يقول الله إذا جليت عبدى بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لحما خيرا من لحمه الحديث مالك في اللوطا من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقي وموقفا على أبي هريرة (٥) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تركي نفسك .

عنة واحدة وقالت إن فيها لتأقيل در كثير . وجاء في الخبر «كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقه» ويكون من ذكره من الصبر إلى القرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له والحمد لله على كل شيء قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الآخرة على يلاء الله تعالى . فإن قامت فيها ذنوب تنال درجة الصبر في انصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فإن كان للراد به أن لا تكون في نفسه كراهية العصية فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في اللبس والفرش والطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويقيم مستمرا على عادته ويتصدق أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى عن الرميضاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقامت فسجنته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقامت فبكت له إفطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكت بأمكن منه الليلة ثم نصمت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ثم قلت ألا تصب من جيراننا قال ما لهم قلت أعبروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال يسي ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لنا في ليثها (١) قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيته دخلت الجنة فاذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة ، وقد قيل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب الصبية من غيره ولا يخرجها عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوث سواء ولأن البكاء توجع القلب على الليث فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى اللوث ولذلك لمسامات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له « أما نهيتمنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وأما إبراهيم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على العجاجة والفسد راض به وهو متألم بسببه لاهلته وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسأى ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيع يري بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أخذه له . واعلم أن الساعي بقلبك هو الباقي لك والباقي بك هو للأجور فك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يافون منه فاذن مهة دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ، ثم من كمال الصبر كتمان اللز والفرق وسائر الصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان الصائب والأوجاع والصدقة قد تظهر لك بهذه التقسيات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفضل أن الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافتراء ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فإن اختلاج الحواطر لا يمكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فائت لا تدرك له أو في مستقبل لا يدرك من يعمل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعة عمره فادأ فغل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فسكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة به الله تعالى فهو مغبون هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات إذ لا زال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويغالط أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه بل يقدر الحقائق من أخلص الناس في جبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يفكر في كيفية زجرهم وكيفية تفردهم ووجوب حمايتهم بل يتوهم به

(١) حديث الرميضاء أم سليم توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقامت فسجنته في ناحية البيت الحديث طب ومن طريقه أبو نعم في الحلة والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

إلا أحد حمل أكثر من ذلك ومائة مرة لإله إلا الله الملك الحق المبين قد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لإله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله والكلمات ومائة مرة سبحان الله ويحده سبحان الله العظيم ويحده استغفر الله ومائة مرة لإله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما تهمرة استغفر الله العظيم الذي لإله إلا هو الحق القيوم وأسأله التوبة ومائة

في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبادة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صصال كالخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبيعتها وقد كلف للؤمن المحلوق من النار أن يطعن عن حر كته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال - خلقته من نار وخلقته من طين - فاذن حيث لم يسجد للؤمن لأبينا آدم صلات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطعم في سجوده لأولاده ومهما كلف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه قد أظهر اقتياده وإذعائه واقتياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وإتمامه الجبهة على الأرض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجمل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لا يتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي المظم المحترم يرى استخفافا بالعبادة فلا ينبغي أن يدعك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقصر القلب عن القلب تكون بمن يقده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الريب وتحقق أن الشيطان من النظيرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصب وهو كهم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد اللون جمالا فيك فتد ذلك تكون من عباد الله الخاصين بالخاصين في الاستثناء عن سلطنة هذا المين ولا تفتن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيات يجرى من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فانك إن أردت أن يخلو التسد عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو غيره قد طبع في غير مطعم بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة كذلك القلب للشغل بغيرهم في الدين لا يخلو عن جولان الشيطان وإلا فغل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان وذلك قال تعالى - ومن يمشي عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يفض الشاب الفارغ»^(١) وهذا لأن الشاب إذا عطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يشغله فيه الشيطان ويبض ويغري ثم زدوج أفرأه أيضاً وتبض مرة أخرى وتفرغ وهكذا يتوالى نسل الشيطان توالداً أسرع من تولد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلقاء اليابسة كثر تولده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تدرى شيئاً فشيئاً على الاتصال بالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلقاء اليابسة للنار وكما لا يمتد النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فاذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شيطاناً وهو سنة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصاب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة، نمومة وحر كة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يخطئه إلا لوث نساءل الله حسن التوفيق عنه وكرهه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء بالصبر وإن كان شاقاً أو ممتنعاً فتحصيه يمكن بمعجون العلم والعمل فالعلم مما الأخلاط التي منها تكب الأدوية للأمراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مريض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام اللعل للامنة منه مختلفة وإذا اختلفت اللعل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة الملة وتقمها واستيقاف ذلك بما يطول

(١) حديث إن الله يفض الشاب الفارغ لم أجده .

مرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض القراء من القرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يدبرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . وهل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واليلة وقيل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفاً بين اليوم واليلة وليل مائة مرة بين اليوم واليلة هذا التسبيح سبحان الله على الدين سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب الليل ويأتي بالنهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فقول إذا انقصر إلى الصبر عن شهوة الوقوع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك منها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه وخسه إذ لا تزال تحدته بمتعضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة . فقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعاتها بالدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يظلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا التحوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تحوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فمابعث الشهوة فببديل تضمينه ثلاثة أمور : أحدها أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحرمة كاللحم والسمك ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الانظار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جسده فيحترق عن اللحم والأطعمة اللذيذة للشهوة . الثاني قطع أسبابه للبهجة في الحال فانه إنما يسيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور للشهنة والقرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس » وهو سهم يسدده للعون ولا ترس يمنع منه إلا التقيض الأجفان أو الحرب من صوب رمية فانه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يترك سهمه . الثالث تسليه النفس بالمباح من الجنس الذي تشبهه وذلك بالنكاح فان كل ما يشبه الطبع في اللباثات من جنسه ما ينفى عن المخطورات منه وهذا هو العلاج الأضعف في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضيف عن سائر الأعمال ثم قد لا يسمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم فان الصوم له وجاء » فلهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهى قطع الطيف عن البهيمه الجوع وعن الكلب الضارى ليضيف فتستقط قوته . الثاني يضاهى قريب اللحم عن الكلب وشيخ الشعر عن البهيمه حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهى تسليتها بجى قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما يضر به على التأديب . وأما تحوية باعث الدين فاما تكون بطريقتين أحدهما إطعامه في فوائده المجاهدة وممراته في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فصل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصبيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه لإمددة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبدا الدهر ومن أسلم خسيما في تقيس فلا يبنى أن يحزن لقوات الحسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان قارة يضيف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجه تهيجا شديدا وإن ضعف ضعفه وإنما قوة الإيمان يبر عنها باليقين وهو المحرك لمزعة الصبر وأقل ما أوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يهود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى فنته في مصارعتها فان الاعتقاد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الجمالين والفلاحين ولقاتلين وبالجملة قوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والطارئين والفقهاء والصالحين وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الأول يضاهى أطعام الصارع بالجملة عدد التلبه ووعدته بأنواع العسكرة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام بموسى حيث قال - وإنكم إذا لم تلتزمين - والثاني يضاهى تحويد الصبي

(١) أحدث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم الحديث تقدم في النكاح .

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان الشان سبحان الله السبح في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقل من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه قال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما سمكت فقال مهلبيا لقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لمحت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . وروى أن عثمان رضى

الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمناشئة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأبى ويستجري عليه وتغوى فيه منته فمن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يغوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وإنما أشدها كلف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن فزع الشهوات الظاهرة وآثر الزلة وجلس للمراقبة والله كره الفكر فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لعلاج له البتة إلا قطع الملاقى كلها ظاهرا وباطنا بالقرار عن الأهل والولع واللال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوة وبعد القناعة بشئ كل ذلك لا يكفي ما لم تصبر المهموم بما واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض ومحاجب صنع الله تعالى وساير أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك بمجاذبة الشيطان ووسوسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد للتواصلة للترتبة في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ومحتاج مع ذلك إلى تسكين القلب المحصور فإن الفكر بالباطن هو الذي يسترق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بضها إذ لا يغلو في جميع أوقاته عن حوادث تجدد فتشقه عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطينان من مخالطة إذ لا يستغنى عن مخالطة من يمينه في بعض أسباب اللبشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمعلم واللبس وأسباب المعاش فإن تنهية ذلك أيضا تخرج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يغلو عن شغل قلب ممن يتولاه ولكن بعد قطع الملاقى كلها يسلم له أكثر الأوقات إن تهجم بمهمة أو واقعة في تلك الأوقات يصفو القلب وييسر له الفكر ويتكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض مالا يقدر على عشر عشره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالملاقى والاتهام إلى هذا أو قصي اللغات التي يمكن أن تتال بالاكتساب والمجاهدة فأما مقادير ما يتكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق قد قبل الجهد وبجل الصيد وقد يطول الجهد ويقطع الحظ والمولود ورام هذا الاجتهاد على جذبته من جذبات الرحمن فاتها توازي أعمال التقاليد وليس ذلك باختيار العبد ، فم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواز الدنيا فإن المجدوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع الملاقى المجاذبة هو الراد قوله **﴿ لا تلهيكم في أموالكم وما أنفقتم من أجل أن تفرحوا بها ﴾** وذلك لأن تلك الضغاث والجذبات لها أسباب مساوية إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور الساجدة غائبة عنا فلا ندري متى يسير الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلا تفرغ المحل والانتظار لزول السجوة غائبة عنا فلا ندري متى يسير الله تعالى أسباب الرزق من الحشيش ويث البدر فيها وكل ذلك لا ينضم إلا بمطر ولا يدري متى قد رافقه أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه على سنة عن مطر فكذلك قلنا نخوض شهر ويوم عن جذبة من الجذبات وشفة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والاخلاص وعرضه لمهاجر ربيع الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور النسيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع المهموم وتساعد القلوب على يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن المهم والأفاس أسباب يحكم تقدير الله تعالى لاستدراجه رحمة حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقاليد السموات
والأرض - فقال سألني
عن شيء عظيم مأسأني
غيرك هو لا إله إلا الله
والله أكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
وأستغفر الله الأول
الأخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحمد
الحمد وهو على كل شيء
قدير من قلها عشرا
حين يصبح وحين
يمسي أعطيت خصال
أقول خصلته أن يحرس
من إبليس وجنوده
الثاني أن يسطى قطارا
من الأجر الثاثير فرغ
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار للكاشفة لتولطائف المعارف من خزان
 للسلوك أمد مناسبة منها لاستدرا قطرات الماء واستجرار التيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال وللكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملائك وشهواتك فصار ذلك
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشقى أبواب المعارف من
 باطن القلب وتظهر ماء الأرض بجفز التقى أسهل وأقرب من استرسال اليهامن مكان بعيد منخفض عنها
 ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالشفل عنه ممي الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكاراً لتعالى
 - إنا نحن زلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولتذكر أولوا الألباب وقال تعالى - ولقد
 يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - فنهضاهو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر . قال الجنيد رحمه الله الصبر من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والصبر من النفس إلى الله تعالى صعب
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر حدة الصبر عن هواغل القلب ثم حدة هجران الخلق وأمد العلائق
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن لغة الرياسة والتولية والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في
 الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب اللذات مطلوباً بصفاة من صفات الله تعالى وهي الربوية
 والربوية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمر الربوية وعنه الباردة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب
 تقرير الشيطان المعين البعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمراضه وأغواه وكيف يكون
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء الألفاء فيوعزا لادل فيؤامناً لاخوف فيه
 وغنى لاقر فيه ولا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوية وليس مذموماً على طلب ذلك بل
 حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له وطالب الملك طالب للعالم والموالاة لكن الملك
 ماكان ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك عظيم
 دائم لايشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان محجولاً راجعاً في العاجلة فجاء
 الشيطان وتوسل إليه بواسطة الصلة التي في طبعه فاستفادها بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الحق فوعده بالفرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام «والأحق من أتبع نفسه
 هوأما وتنى على الله الأمانى فأنخدع المخدول بفروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملككم اعلى قدر إمكانه ولم
 يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكروه فأعرض عن العاجلة فغير عن المخدولين بقوله تعالى - كلا
 بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء محبون العاجلة ويندرون وراءهم يوماً
 تقيلاً - وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله للملكة إلى الرسل وأوجوا إليهم مأمية على الخلق
 من إهلاك البدو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازى الذي لا أصل
 له إن سلم ودوام له أصلاً فنادوا فيهم - بأبيها الذين آموا ما لكم إذا قيل لكم انظروا في سبيل
 الله إنما قائم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فالنورة والإنجيل والزبور والفرقان ومصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم الخلد والراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا
 فالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بذكره بقاء الألفاء فهو عزا
 لاذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لا تطعها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك
 الدنيا لعله بأن ملك الآخرة نبوت به إذ الدنيا والآخرة ضربتان ولعله بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الراية بزوجه الله من
 الحور العين الخامسة
 اثنا عشر ملكاً
 يستفرون له السادسة
 يكون لهم الأجر كن
 حج واعتبر وقول
 أيضاً في هذا الوقت في
 أول النهار اللهم أنت
 خلقتني وأنت هديتني
 وأنت تعلمني وأنت
 تسقيني وأنت تحيي
 وأنت تحيي أنت ربي
 لأرب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وحدك
 لا شريك لك ويقول
 ماشاء الله إلا بالله
 ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير
 كله بيد الله ماشاء الله
 لا يصرف السوء إلا الله
 وقول حسبي الله لا إله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والكدرات وطول المعوم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجأء ثم معها تسلم وتتم الأسباب ينفي الصبر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأنهم تغاث بالأمس - فعصر الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كاه أنزلنا من السماء فتخاطب به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يملك البعد شهوته وغضبه فيفادان لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وبإستلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرًا مثل البهيمة مخلوقا يستجره زمام الشهوة أخذاً بمخنته إلى حيث يريد ويهوى لما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه يال للملك بأن يصير مخلوقا وينال الروية بأن يصير عبداً ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا معكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجة مملوكي أعظم من ملكك؟ قال كيف قال من أت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يدق إلى الملك في الآخرة فالخالدون بشرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والدين وهو الاستعداد على الصراط للسير فإز بالدينا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والروية ومعنى التسخير والبودية ومدخل التلطف في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه يسهل عليك الزرع عن الملك والجاء والاعراض عنه والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجوه بملكك في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بهد أن ألف الجأء وأنس به ورسخت فيه العادة مباشرة أسبابه فلا يكتفي في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجأء كي لا يهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبة الشهوة من مشاهدة الصور المحرمة ومن يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى سألتك أرض الله واسعة فتجروا فيها - الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أهوالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف لتبذل وزى الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومعلم وقوام وقعود كان يتأده وفاء بفتن صباه فينبغي أن يبدلها بقاؤها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد مارسه فيه من قبل باعتياده فلهذا فاعمل في المعالجة بالإضافة - الثالث أن يراعى في ذلك التلطف والتدرج فلا ينقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع قور ولا يمكن تله عن خلافه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسل نفسه - البعض ثم إذا قعت نفسه بذلك البعض ابتدا بترك البعض من ذلك البعض إلى أن ينع بالقيّة وهكذا يفعل شيئا فشيئا إلى أن يقيم تلك الصفات التي رخصت فيه وإلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وإن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبني إلى نفسك عبادة الله فإن التبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (١) وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يناله » (٢) « فاذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجأء أضافه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع الهلكات فاتخذته دستوروك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد يطول ومن راعى التدرج ترقق به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وهنم في الأوراد (٢) حديث لاتشادوا هذا الدين فإنه من شاده يناله يخدم فيه .

وهو رب العرش الظاهر
ثم يستمد لاستقبال
الليل بالوضوء والطهارة
ويقرأ السجعات قبل
النسروب ويدبم
التسبيح والامتثال
بحيث تهيئ الشمس
وهو في التسبيح
والاستغفار ويقرأ عند
النسروب أيضا والشمس
والليل والمعدنين
ويستقبل الليل كما
استقبل النهار قال الله
تعالى - وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفا
لن أراد أن يذ كر أو
أراد شكورا - فكما
أن الليل يقبب النهار
والنهار يقبب الليل
ينبغي أن يكون الجهد
بين الذكر والشكر
يقبب أحدهما الآخر

دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والتدقيق وله نظير في الماديات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء فقيرا فيشقى عليه الصبر عن اللعب والصبر على اللعب وإلى هذا يشير ما حكى عن بعض الصالحين أنه سأل الشبل عن الصبر أيه أشد ؟ قال الصبر في الله تعالى قال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا فقال فليس ؟ قال الصبر عن الله فصرخ الشبل صرخة كادت روحه تتلف . وقد قيل في معنى قوله تعالى - اصبروا وصابروا وراغبوا - اصبروا في الله وصابروا بالله وراغبوا بالله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه : والصبر عنك لهدوم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود وقيل أيضا : الصبر يحمل في المواطن كلها إلا عليك فانه لا يحمل هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأساره .

القطر الثاني من الكتاب في الشكر ، وله ثلاثة أركان

الأول : في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه . الثاني : في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة . الثالث : في بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول في نفس الشكر

.. (بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بذكره في كتابه مع أنه قال سوف ذكر الله أكبر - فقال تعالى - فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون - وقال الله تعالى - ما يصل الله بعدا بكم إن شكرتم أو أنتم سوفال تعالى - وسنجزى الشاكرين - وقال عز وجل إخبارا عن إبليس اللعين - لأتخذن لهم صراطا للستيم - قيل هو طريق الشكر ولما وردت الشكر طعن اللعين في الخلق قال : ولا تجدوا كثرة ما كرم قال تعالى - وقليل عن عبادي الشكور - وقد قطع الله تعالى بالزبد من الشكر ولم يستثن فقال تعالى - لنن شكرتم لأزيدنكم - واستثنى في خمسة أشياء في الأغناء والاجابة والرزق وللنفرة والتوبة فقال تعالى - فسوف يشيكم الله من فضله إن شاء - وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وقال : يرزق من يشاء بصبر حساب وقال : ويوفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال : ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى - والله شكور حلیم - وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - وقال - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وأما الأشجار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ^(١) وروى عن عطاء أنه قال « دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت أخبرني بأعجب ما رأت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وای شأته لم يكن عجبا ثانيا ليلته قد خلص مني في فراش وأقالت في الخافى حتى مس جلدي جلسته ثم قال يا بنة أی بکر ذریئی أعبد لربی قالت قلت إلی أحب قریب لك لکنی أوثر هو الكفاذت له فقام إلی قربة ماء فوضا فلم یكثر صب الماء ثم قام یصلی فبکی حتى سالت دموعه علی صدره ثم رکع فبکی ثم سجد فبکی ثم رفع رأسه فبکی فلم یزل كذلك یبکی حتى جاء بلال فأكذنه بالصلاة فقلت یارسول الله ما یبکیک وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم أقض ذلك

(١) حديث الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف .

ولا يتخللها شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء والله كرم جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى - أعملوا آل داود شكرا - والله الوفي للعين .

[الباب الحادي والخمسون في آداب للريد مع الشيخ آفب للريدين مع الشيخ عند الصوفية من مهام الآداب ولقوم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن

وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - ^(١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا يقطع أبداً وإلى هذا السريش مابروي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صفيح يخرج منه ماء كثير فتسبب منه فاقطعة الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يجبره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لي بكي الآن فقال ذلك بكاء الحوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب البعد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الحوف والشكر جميعاً . وروى عنه ^(٢) أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقم المحمدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن المحمدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » ^(٣) وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن » ^(٤) وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام أن يرد منيت بالشكر مكافأته من أوليائه في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أسرّيدم وبالنظر إلى أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل . قال عمر رضي الله عنه « أي لئال ليتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلها شاكراً » ^(٥) فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن اللئال . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من اللتم والحال هو الفرح الحاصل بالنعمة والعمل هو القيام بمحرمات منصوص للتم ومحبوه وينطبق ذلك العمل بالقلب بالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم بثلاثة أمور بين الصلوة ووجه كونها نعمة في حقّه وبإدات للتم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنم ومنم عليه تصل إليه النعمة من اللتم قصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو اللتم والوسائط لم يسفرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد قطع فالحال نعمته فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ يغشوى فيها مع التقديس والتوحيد كمال التقدير والاعتراف بالفضل وعن هذا عبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأمره لم يكن عجيباً الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن جابر في كتاب أخلاق رسول الله ^(٢) ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة صفته الجمهور ورواه ابن جابر في صحيحه من رواية عبد الله بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأى أمره لم يكن عجيباً وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث (٣) حديث ينادى يوم القيامة ليقم المحمدون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحمدون الحديث وفيه قيس بن الربيع صفته الجمهور (٤) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلاً في الصحيحين من حديث أنس هرة الكبريد أو ما الحديث وتقدم في العلم (٥) حديث عمر ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلها شاكراً الحديث تقدم في التكاثر .

الله جميع علم .
 روى عن عبد الله بن
 الزبير قال قدم وفد
 على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من بني تميم
 فقال أبو بكر أمر
 القعقاع بن معد وقائل
 عمر بل أمر الأقرع
 بن حابس فقال أبو بكر
 ما أردت إلا خلافي
 وقال عمر ما أردت
 خلافتك فتأربا حتى
 ارتضت أصواتهما
 فأرسل الله تعالى - أيها
 الذين آمنوا - الآية
 قال ابن عباس رضي
 الله عنهما لا تقدموا
 لا تكلموا بين يدي
 كلامه وقال جابر كان
 ناس يضحون قبل
 رسول الله فها من
 تقديم الأضحية على

شكر على نعمته كما أن اللزفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا لشرطه ، وشرطه أن يكون فرحك بالنعمة لا بالنعمة والابالانعام ، ولعل هذا مما يتصور عليك فهمه فخر بملك مثلا فقول : الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأتمم فرس على إنسان يتصور أن فرح اللتم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه : أحدها أن فرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به ومن كواب وافق غرضه وإنه جواد فليس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه بالفرس فقط ولو وجد في صراء فأخذته لكان فرحه مثل ذلك الفرح . الوجه الثاني أن فرح به لامن حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على غاية الملك به وغرفته عليه وإهتمامه به حتى لو وجد هذا الفرس في صراء أو أعطاه غير الملك لكان لا فرح به أصلا لاستغنائته عن الفرس أصلا أو استغناؤه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك . الوجه الثالث أن فرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويحصل منهقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس بشيء بأن يكون عمله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويستتي به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينم الملك به من ماله على أحد إلا بواسطة ، ثم إنه ليس يريد من الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعنى ، وهذا حال كل من فرح بصفة من حيث إنها لقيمة ومواقفة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالنعمة ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الانعام في المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء ثوابه وإتمام الشكر التام في الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بصفة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والتزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا . وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة وينتبه عليها ويحزن بكل نعمة تلقيه عن ذكر الله تعالى وتصد عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها للقيمة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد وممهلج بل من حيث إنه يحمله في حبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبل رحمه الله : الشكر رؤية للتم لرؤية النعمة . وقال الخواص رحمه الله : شكر العامة على اللعلم واللبس والشرب ، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده القدرات في البطن والفرج ومدركات الخواص من الألوان والأصوات وخلا عن لغة القلب فإن القلب لا يلتذ بحال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وإتماما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بسوء الناس بأكل الطين وكما يستبشع بسوء الرضى الأشياء المخلوة ويستحلى الأشياء المرة كما قيل :

ومن يك ذا فم مريض يحمد مرآة الماء الزلالا

فإن هذا شرط الفرح بصفة الله تعالى ، فإن لم تكن إبل فمزى ، فإن لم يكن هذا فالفرجة الثانية . أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكمن من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكمن من فرق بين من يريد الله لينم عليه وبين من يريد نعم الله ليعمل بها إليه . الأسئل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة اللتم وهذا العمل يتلحق بالقلب واللسان وبالجوارح . أما بالقلب قصد الخير وإظهاره لكافة الخلق . وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات المدالة عليه . وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من

أبو الهداء قال كنت
أشعر أمام أبي بكر
ققال لي وهو الله
صلى الله عليه وسلم
يتمنى أمام من هو خير
منك في الدنيا والآخرة
وقيل زلت في أنوم
كانوا يحضرون
جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فاذا مثل الرسول
عليه السلام
من شيء خاضوا فيه
وتصدعوا بالقول
والفتوى فهو عن
ذلك وهكذا أديب
الريدي في مجلس الشيخ
يبنغي أن يترك السكوت
ولا يقول شيئا يحضره
من كلام حسن إلا
إذا استأمر الشيخ
ووجد من الشيخ
فصلته في ذلك وشأن

الاستعانة بها على مصيئته حتى إن شكر العيّن أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لأظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأثور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل: كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة غير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك (١) وكان السلف يتساءلون وينتبه استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطعما والمستطعم له به مطعما وما كان قد قدم الرياء بأظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تصبح الشكوى من ملك للوكة ويده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو للبلب والقادر على إزالة البلاء ودلّ العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذلّ وإظهار الذلّ العبد مع كونه عبدا منه ذلك قبيح قال الله تعالى - إن الدين تبتدون من دون الله لا تلبسون لكم رزقا فاتبعوا عتاد الله الرزق واعيدوه وأشكروا له - وقال تعالى - إن الدين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا قدما على عمر بن عبد العزيز رحمه الله قام شاب ليحكّم قال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالنسب لكان في المسلمين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وقد الرغبة ولا وفد الرغبة أما الرغبة فقد أوصلنا إلينا فضلك وأما الرغبة فقد آمنتنا منها عدلك وإعما نحن وقد الشكر جثا لك الشكر باللسان وتنصرف . فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة للنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو التثناء على المحسن يذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشد منه لإعمال اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر فطليا إشارة إلى أن معنى للمعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيّد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهن الغالبة عليهم اشتغالا بما همهم عماليهم أو يتكلمون بما يرونه لاهما بحال السائل اقتضارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضا عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه ملين عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بما قلّ أصلا إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله للوفيق برحمته .

للريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه فظلمه إلى الاستماع وما يرقى من طريق كلام الشيخ بحق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه إلى القول بوجه عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء نفسه وذلك جنابة للريد . وينبغي أن يكون تطلعه إلى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ عسى أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يادله بما يريد لأن الشيخ يكون مستقفا نطقه بالحق .

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة غير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطبراني في المعجم من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجهور لسوء حفظه ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح .

(بيان طريق كشف التطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك بخطر يالك أن الشكر إنما يقبل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فأتا تشكر للآلوك إما بالثناء ليزيد علمهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالتول بين أيديهم في صورة الخدمة وذلك بكثير لسوادم وسبب زيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا شيء من ذلك وهذا حال في حق الله تعالى من وجهين: أحدهما أن الله تعالى منزّه عن المحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والخدمة بالثناء والإطراء وعن تشكر سواد الخدم بالتول بين يديه ركعا سجدا فبشكرنا إياه بما لاحظ له فيه ضاهى شكرنا للآل للآل علينا بأن تنام في ريوثا أو تسجد أو تركع إذا لاحظ للآل فيه وهو غائب لاعلم ولا حظ له تعالى في أفعالنا كلها الوجه الثاني أن كل ما تاملنا باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف تشكر نعمة نعمة ولو أعطانا للآل مكروبا فأخذنا مكروبا آخره في وركبناه أو أعطانا للآل مكروبا آخره لربكنا الثاني شكر الأول منا بل كان الثاني محتاجا إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا تشكر في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبل إلى الجعل فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر له ودعيه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خير آخر إذا عرفت أن النعمة هي رضى منك بذلك شكرا . فان قلت قد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فأتى أعلم استعانة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستعانة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر قد شكر وأن قبول الخدمة الثانية من اللآل شكر للخدمة الأولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان أمكن تعريف ذلك بثال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم العامة ولكننا نشر منها إلى ملامح وهو هنا نظران نظر بين التوحيد المحض وهذا النظر يفرق قطعا أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالكا إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا لأن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا التبر لا وجوده بل هو محال أن يوجد إذ للوجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن للوجود البتة وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذا لم يكن في الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدوره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا لم يعبأ إنه أبواب - فقال وأجمله أعطى وأتى إشارة إلى أنه إذا أتى على إعطائه ضل نفسه أتى فهو الذى وهو الذى عليه ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد اللبني حيث قرأه بين يديه - بهم وبهم وبهم - فقال لمرى بهم وبهم وبهم

وهو عند حضور
الصادقين يرفع قلبه
إلى الله ويستعطر
ويستقي لهم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والنطق مأخوذاً في
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما يفتح به عليه لأن
الشيخ يعلم طالع
الطالب إلى قوله
واعتداده بقوله
والقول كالبايع يرفع في
الأرض فاذا كان
البذر فاسدا لا ينبت
وفساد الكلمة بدخول
الموى فيها فالشيخ
يقضى بادر الكلام عن
شوب الموى وبسله
إلى الله ويسأل الله
للموتى والسادات ثم يقول
فيكون كلامه بالحق

فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا يفهمها إلا بمثال على حد مثلك فلا يغني عليك أن للسلف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعه فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ماني الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعه فان أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بين التوحيد وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي نفي عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف نفي وطوله ظله أربعة أذرع ولله يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجبال لجهلهم بمعنى كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا ضحكة للجاهليين وإليه الإشارة بقوله تعالى - إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكيفين وإذا رأوه قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسوا عليهم حافطين - ثم بين أن ضحك المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - قاوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال - إن تسفروا منا فإنا نسخر منكم كما تسفرون - فهذا أحد النظريين ، النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قبيان قسم لم يشنوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب بعد وهؤلاء هم السميان للتكوسون وعمام في كتا المينين لأنهم تقوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لمعوا أنهم من حيث هم ثابتات لهم ولا وجود لهم وإنسا وجودهم من حيث أوجدوا لامن حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الوجد وليس في الوجود إلا الموجود واحد وموجد فالموجود حق والوجد باطل من حيث هو هو الوجود قائم وقيام وللوجد هالك وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثاني ليس بهم هم ولكن عور لأنهم يصرون بأحدى المينين وجود الوجود الحق فلا ينكرونه والمين الأخرى إن تم معهما لم يصير بها فناء غير للوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما أن الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد المعنى إلى المعنى أدرك تفاوتا بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنفس من الوجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم إن كل يصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وجدد مايزيد في بصره يظهره قصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يغشى به التصان إلى الحق فيمنحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك قصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينها درجات لأنهم فيها تفاوت درجات الموحدين وكتب الله للمزلة على ألسنة رسله هي السكحل الذي به يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم السكحلون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد الحق وترجمته قول لا إله إلا الله ومثناه أن لا يرى إلا الواحد الحق والواحدون إلى كمال التوحيد هم الأقلون والمجاحدون والمشركون أيضا قليلون وم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نستخدم إلا لقربونا إلى الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولنا ضعيفا والمتوسلون هم الأكثرون وفيهم من تنجح بصيرته في بعض الأحوال فتخرج له حقائق التوحيد ولكن كالأبرق الخافط لا ثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والموافق فيه عزيز :

من الحق الحق فالشيخ
المريد أمين الإلهام
كان أن جبريل أمين
الوحي فكلا لا يغنون
جبريل في الوحي
لا يغنون الشيخ في
الإلهام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس في القول
بشيئين : أحدهما طلب
استجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما همدا من شأن
الشيخ . والثاني ظهور
النفس باستسلامه
الكلام والنسب وذلك
حياة عند المحققين

لكل إلى شأو الملا حركات ولكن عزز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له ساجد واقترب - قال في سجوده « أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » قوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بفنوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فعل الله قطع فكنائه لم ير إلا الله وأضاه فاستماذ بفعله من فعله ثم اقترب فتنى عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهى الصفات فقال « أعوذ برضائك من سخطك » وما صفتان ثم رخص ذلك قصصنا في التوحيد فاقترب ورتى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الأفعال فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعيذا وثنيا فتنى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك قصصنا واقترب فقال « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قوله صلى الله عليه وسلم « لأحصى » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه لثنى والثنى عليه وأن السكك منه بدا وإليه يعود وأن - كل شئ هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات اللوحين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأضاه فيستعيد بفعل من فعل فانظر إلى ماذا انتهت نتهاته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الأفعال الحق ، وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى يبدأ بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك قصصا ولو كونه تفسيرا في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ^(٢) » فكان ذلك لترقيته إلى سبعين ، فاما بعضها فوق البعض أو لها وإن كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان قصصنا بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك ، ولما قالت عائشة رضى الله عنها « أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا اليكاه في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا ^(٣) » معناه أفلا أكون طالبا للزهد في اللقائات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا قلنا في بحر للكشفة فانقبض الغنان ، وثرجع إلى ما يليق بيوم المامة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام بشوا لهوة الخلق إلى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرح كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك اللقائ بالاضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشكر والشكر والشكر لا يبرح ذلك إلا ابتغال ، فأقول : يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بدنه من كروبا وملبوسا وهذا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان : إحداهما أن يكون قصده من وصول البعد إلى حضرته أن يقوم بعض مهجته ويكون له غناية في خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ في البعد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيدنى ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضائك من سخطك وبما فاكناك من عفوتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقوله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا اليكاه الحديث رواه أبو الشيخ وهو حجة حديث عطاء عنها للقدم قبل هذا بقصة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث القيرة بن شعبة .

والشيخ فيها يجرى على لسانه راقد النفس تشبه مطالعة نهم الحق في ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلال والعجب فيصكون الشيخ لما يجرى الحق سبحانه وتعالى عليه مستعما كأحد السمتين وكان الشيخ أبو السمود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلين إلى وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكلك ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو سلم ما يقول كيف يكون كمتنع لا يلم حتى يسمع منه فخرج إلى منزله فقرأ ليكته

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفضاله وهو سبب لنعم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفضال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنبعاث الداعية أيضا من أفضال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفضال الله تعالى ولكن بعض أفضاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفضال الله تعالى وبهذه سبب للبعض : أي هو شرط ومعنى كونه شرطا أنه لا يستند لقبول فعل الحياة إلا جوهرا ولا يستند لقبول العلم إلا ذو حياة ولا قبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفضاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفضاله موجد لغيره بل يمهّد شرط الحصول لغيره وهذا إما حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه . فإن قلت فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على الصيانية وما يلتصق به فكيف ندم وإعما الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار القرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب وممرتها فمن سبق له في الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده يسلسلها إلى الجنة ويصير عنه بأنه كلام يسر لما خاف له ومن لم يسبق له من الله الخسوف بعد عن صماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمح لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الوكون إلى الدنيا وإذا لم يترك الوكون إلى الدنيا بقى في حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تصبّت من قوم يتأدون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والقرور عليه فائتوتن يساقون إلى الجنة قهرا والمجرمون يتأدون إلى النار قهرا ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الله الجبار وإذا انكشف القطاء عن أعين الناظرين فشاهدوا الأمر كذلك مجموعا عند ذلك نداء النداء - لمن للآل اليوم لله الواحد القهار - ولقد كان للآل الله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الناظرين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للناظرين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف ، فعوذ بالله الحليم الكريم من الجبل والسمي فانه أصل أسباب الهلاك .

(بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر تنقيش ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكرهه وتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان : أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار . والثاني بسيرة القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير صير وهو لأجل ذلك عزيز ، فذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفضاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا . وأما الثاني وهو النظر بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئا في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية . أما الجلية فكالمعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتميز الحركة عند الإصدار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها

محاسن الآداب
وأعزها وينبئ للمريد
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل بحب
للشيخ كل منزلة عالية
ويتفنى للشيخ عزيز
النعم وغرائب الواهب
وبهذا يظهر جوهر
للمريد حسن الإرادة
وهذا يزي في المريد
فإرادته للشيخ تحليه
فوق ما ينبغي لنفسه
ويكون قائما بأدب
الإرادة . قال السرى
رحمه الله حسن الأدب
ترجمان العقل . وقال
أبو عبد الله بن حنيفة
قال لي روم يا بني
اجعل عملك ملحا
وأدبك دقيقا . وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في التيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض
بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جمل من الحكم الجليلة التي تحملها
أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صينا السماء صبايم شققنا الأرض
شقا فأنبثنا فيها حبا وعنبا - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها الثوابت غفيرة لا يطعم
عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه
قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فجميع أجزاء العالم صماؤه وكواكبه ورياحه
وبحاره وجباله وممادته ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من خلائقه عن حكم كثيرة من
حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها
كالمثل بأن العين لا يبصر إلا ببطش والميد لا يبطش إلا بعش والرجل لا تمشي إلا بالتم فمما لا أعضاء الباطنة من
الأمعاء وللرأفة والكبد والسكبة وأحاديث الروح والأعصاب والفضلات وما فيها من انتاج وبها والانتفاخ
والاشتباك والانحراف والذقة واللفظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها
لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى وما أوتيتهم من العلم الإقليدس فاذن كل من
استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن
ضرب غيره يده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه
للاهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذا أبصرت بهما
وإنما خلقتا ليصير بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتق بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير
ما أريدتا به وهذا لأن الراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول
إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا وأنس إلا بدوام
الذكر ولا حيلة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن
ولا يبقى البدن إلا بالبقاء ولا يتم البقاء إلا بالأرض واللبا والمواد ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض
وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية للنفس والراجع إلى الله
تعالى هي النفس للطمعة بطول البقاء وللعرفة فذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع
الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك النسية . ولندكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في
غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول : من نعم الله تعالى خلق
الدوام والدنائير وبهما قوام الدنيا وبها حجران لانفعية في أعيانها ولكن يضطر الخلق إليها من
حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يميز عما يحتاج
إليه ويعلم ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما
يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار الموضع من تقدير إذا لا يبدل
صاحب الجمل جمه بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يسطى منه مثله في
الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دلايا بباب أو عبدًا غفصًا أو دقيقا بعمار فلهذه الأشياء لا تناسب فيها
فلا بد من أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتعذر للمعاملات جدا فافتقر هذه الأعيان للتناثرة
للتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومزنته حتى إذا
تفرقت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي خلق الله تعالى الدنائير
والدرام حاكين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بها فيقال هذا الجمل يسوي

لكل وقت وأدب ولكل
حال أدب ولكل مقام
أدب فمن يلزم الأدب
يلغ مبلغ الرجال ومن
حرم الأدب فهو بريد
من حيث يظن القرب
ومرود من حيث
يرجو التبول ومن
تأدب الله تعالى أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فله تعالى
- لا ترضوا أصواتكم
فوق صوت النبي - كان
ثابت بن قيس بن حماس
في أذنه وفر وكان
جمهورى الصوت فكان
إذا كلم أناسا جهر
بصوته وربما كان
يحكم التي على الله عليه
وسلم فيتأذى بصوته
فأمر الله تعالى الآية
تأديا له ولتسميره .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذا
مساويان وإنما أمكن التمديل بالتدوين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض وبما
انقضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض
له فلا ينتظم الأمر فاذا خلقهما الله تعالى لتداولهما الأبدى ويكونا حاكبين بين الأموال بالعدل
ولحكمة أخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عززان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها
ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً
فانه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة
مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في مناه كأنه كل الأشياء والتيه
إنما تستوى نسبتها إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها خصوصها كالرأه لآلوان لما
ونحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه
وتظهر به للعاني في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم بطول ذكرهما فكأن من عمل فيهما
عملاً لا يلبق بالحكم بل يخالف الغرض للتقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا من كثورها
قد ظلمها وأبطل الحكمة فيها وكان كمن حبس حاكم للسليين في سجن ينتع عليه الحكم
بسببه لأنه إذا كثر قد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض للتقصود به وما خلقت البراهم والدنانير لزيد
خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأحد في أعيانها فاتها حيران وإنما خلقا لتداولهما الأبدى
فيكونا حاكبين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يميزون
عن قراءة الأسطر الإلهية للكتابة على صفحات اللوحات غلط إلى لاحرف فيه ولا صوت الذى
لا يدرك بين البصر بل بين البصيرة أخبر هؤلاء الماجزين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله
عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت الذى همزوا عن إدراكه فقال تعالى
والذين يكرزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرم بسذاب ألم هوكل من اتخذ من
البراهم والدنانير آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً من كثر لأن مثال هذا
مثال من استسخر حاكم اليد في الحياكة والكس والأعمال التى يقوم بها أخاء الناس والجلبس
أهون منه وذلك أن الحزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مثاب الذهب والنفضة في حفظ
المالعات عن أن تنبذ وإنما الأواني لحفظ للمالعات ولا يكتفى الحزف والحديد في التصود الذى
أريد به النود فمن لم يكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من
ذهب أو فضة فكأنما يجرح جرحاً بطنه نازجهم^(١) وكل من عامل معاملة الرابح البراهم والدنانير فقد كفر
النعمة وظلم أنهما خلقا لتيرهما لالتفسيهما إذ لا غرض في عنيهما فإذا أبحر في عنيهما قد اتخذهما
مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لتير ما وضع له ظم ومن مته ثوب ولا قد معه قد
لا يقدر أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في يده بقدر
آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فاتهما وسيلتان إلى التير لا غرض في أعيانها ومقصودهما
في الأموال كوقوف الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لحن في غيره
وكوقوف الرأه من الألوان فأما من معه قد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على التدفأة
عمله فيبقى النقد مقيماً عنده ويترك متركاً للكنوز وتهدد الحاكم والبريد للوصول إلى التير ظم

(١) حديث من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح جرحاً بطنه نازجهم متفق عليهم من
حديث أم سلمة ولم يصح الصنف بكونه حديثاً .

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن طي
قال أنا أبو القنص
المروى قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد
الجراسى قال أنا
أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال أنا محمد
ابن الثنى قال تأملم
ابن إسماعيل قال تأملم
ابن عمر بن جميل الجلسي
قال حديثي حابس بن
أبي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير إن
الأقرع بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بصير
استعمله على قومه فقال
عمر لا تستعمله يا رسول
الله فكلمنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم

كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا أن أخذ النقد مقصودا لادخار وهو ظلم . فإن قلت : فلم جاز بيع أحد التقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله . فاعلم أن أحد التقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرة كالدراهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا في اللع منه ما يشوش للمقصود الخالص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بمائته فجائز من حيث إن ذلك لا يرضى فيه ما قلل منها تساويا ولا يشغل به تاجر فإنه يبتغي مجرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخله بيته ونحن لا نخاف على الفلاد أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخله بيته فلا يمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه ، وما لا يرضى في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب التوقد مختلفا في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أحيائها وحقا أن لا تصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيته فاعلم أن الجزء ذلك لأنه لا يقم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبني ضرورة للساعة فيكون له حمد وأجر . وللمساومة لأحد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص للساعة وإخراجها في معرض اللاموضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتلذذ بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف على جهتها فإن فتح باب العامة فيها يوجب تهديدها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له لما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستنعي عنها إلى المحتاج ولا يامل على الأطعمة إلا مستغن عنها . إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارية وإن جعله بضاعة تجارية فليمنع ممن يطلبه بحوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه بين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، ثم بائع البر بالقرم معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في القرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عاتب فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة وبخالقه في وجوه التمتع أسقط الشرع غرض التمتع فيما هو القوام فيه فلهذا حكم الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقهاء فلنلحق هذا بمن الفقهاء فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون السكيات إذ لو دخل الجنس فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصه بالأوقات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بعهد وتحديد هذا كان يمكن بالقوت وكان يمكن بالمطعم فرأى الشرع التحديد بمجنس المطعم أخرى لكل ما هو ضرورة القوام تحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يحوي فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحجير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فينبغي للمعنى بكل ما هو مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فذلك قال الله تعالى - ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه -

حتى عات أصواتها
فقال أبو بكر لعمر
ما أردت إلا خلافا وقال
عمر ما أردت خلافا
فأزل الله تعالى الآية
لن كان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
على الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يسنهم . وقيل لما زلت
الآية آلى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي
على الله عليه وسلم إلا
كأن السراة فكذا
ينبغي أن يكون المريد
مع الشيخ لا ينسبط
رفع الصوت وكثرة
الضحك . وهكذا
الكلام إلا إذا بسطه
الشيخ فرفع الصوت
تنحية جلباب الوقار
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه العاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التجديد كما يجد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعو إلى كثيره والله داخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل للمنى بالجملة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم القندين فينبغي أن يتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة سو من روت الحكمة قد أدنى خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزايل الشهوات وملابص الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الأبواب وقلوب قال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لتظروا إلى ملكوت السماء» (١) وإذا عرفت هذا المثال قس عليه حركاتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالسكراه وبضه بالخطر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطر . فأقول مثلا لو استجبت بالنبى قد كفرت نعمة الدين إذ خلق الله لك الدين وجعل إحداها أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رحمة الله بالقلب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أموجك من أعطاك الدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ السلف وبعضها خيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت الصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين قد خصصت الشريف بما هو خيس فنقضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة قد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعة في حركاتك وتسم الجهات إلى ما لم يشر فيها وإلى ما شر فيها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استألفه لقلبك إليه لينتد به قلبك فيتقيد بسببه بذلك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذ عادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسية كقضاء الحاجة ورعى البصاق فإذا رميت بصاقتك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كان عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى قد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فلعل فيه حظ والبداءة في الخطوط فينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وهيضة ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن ساء الفقيه مكرها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الخطئة وكان يتصدق بها فقتل عن سببه فقال لبست للداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أكفره بالصدقة ، ثم الفقيه لا يقدر على تخفيف الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين على باصلاح العوام الذين يقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فتبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ التدخين يساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خيراً في وقت النداء يوم الجمعة قبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب للمسجد مستدبر القبلة قبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يعمل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فينمق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكنته بغير إذنه ولكن لو قتل تلك السكين أعزأ ولأولاد لم يبق

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لتظروا إلى ملكوت السماء تخدم في الصوم .

القلب عقل الانسان
ما يقول وقد ينازل
باطن بس الردين
من الحرمة والوفاء من
الشيخ ما لا يستطيع
الريد أن يشبع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم فدخل على عمي
وشيعي أبو العجيب
السهرودي رحمه
الله فترشح جمدى
مرقا وصكت أنقى
السرقة لتخف الحى
فكنت أجد ذلك
عند دخول الشيخ
على ويكون في قدومه
بركة وفاء و كنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهبه إلى الشيخ وكان
يضم به فوقع قسنى
على للتدليل أضافه قلم

لاستعمال السكين غير إذنه حكم ونكايه في نفسه فشكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في القته مع العوام فيه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه للكاره عدول عن العدل وكفران لنعمة وتصان عن المديرة البليغة للعبد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في البعد نقصان القرب وانعطاف للتركة وبسببها يخرج بالكيفية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر ضمتا من شجرة من غير حاجة تاجز مهمته ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كثر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فأنها لم تخلق للبحث بل للطاعة والأعمال الصالحة على الطاعة . وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إلى اللحاء وخلق فيه قوة الاختداء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لئلا يوجه ينتفع به عباده مخالفة لقصود الخلق وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذا الشجر والحيوان جلا فداء لأغراض الانسان فانها ما جريا فإنيان هالكان فافاء الأخس في بقاء الأتسر فبمئة ما أقرب إلى العدل من تضييع ما جريا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينهما لاني حاجات عباد الله كلهم بل تبقى بحاجة واحدة ولو شخص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البدر ووضعه في الأرض وساق إليه اللحاء وقام بالتمديد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لا يسمى آدمي اختصاص بمفرسه أو بفهرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فلسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز عرض ، إذ لا ملك إلا للملك للولك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، ثم الحق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدة بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لسيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها براجعه بجاء عيد آخر وأراد التزاعها من يده لم يمكن منه لأن القمة صلت ملكا له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينهما لاني بحاجة كل العبد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص يفرد به العبد فنع من لا يلد في بذلك الاختصاص عن مزاحته ، فهكذا ينبغي أن نفهم أمر الله في عباده ولذلك نقول من أخصن أموال الله نيا كثر من حاجته وكثره وأمسكه ولي عباد الله من محتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تتدفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم ، نعم لا يدخل هذا في حد تناوى الله لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في امتقشمار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فكسيف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوفاق والنزدة والسكوت عن كل كلام غير مهم ، وهو يحكم نقصانهم لا يطيعونه فتركنا الاعتراض عليهم في الحب والهوى وإحتنا ذلك إمام لا يدل على أن الهوى والحب حق فكذلك إحتنا لعوام حفظ الأموال والاقتصاد في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جيلوا عليه من البخل لا يدل على أنه فاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألوكها فيحكمم تبخلوا - بل الحق الذي لا ذكره فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأكب فشكل عباد الله ركاب لطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن ركب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والمقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الرأكب وبإله عليه

باطن من ذلك وهاتين
الوطء بالقسم على
مذيل الشيخ وأثبت
من باطن من الاحترام
ما لرجو بركته . قال
ابن عطاء في قوله تعالى
- لا ترضوا أصواتكم -
زجر من الأدنى لئلا
يشغل أحد إلى ما فوقه
من ترك الحرمة وقال
سهل ذلك لاخطاؤه .
إلا مستفهمين . وقال
أبو بكر بن طاهر
لا تجدهم به بالخطب ولا
تجبهوه إلا على حدود
الحرمة ولا تجهروا له
بالقول كجهر بضكم
ليصن أي لا تظلموا له
في الخطاب ولا تتادوه
بهمي يا محمد يا أحمد كما
يقاهي بضكم بضاً
ولكن غلصموه

في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الوجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك محتاج إلى مجلدات ثم لائق إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا التقدير ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس لأنه الله بقوله - ولا تجدوا كثرهم شاكرين - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمور أخرى وادركت تقضى الأبحاث دون استقصاء مبادئها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين اللفظ والتفسير . فان قلت فقد رجح حاصل هذا الكلام إلى أن قد تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتعام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأعيان من أن تنساق إلى الغاية للارادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال بأقواله وأن فعل الصديق للنعم إلى ما يتعمد الحكمة وإلى ما يرفضها هو أيضا من فعل الله تعالى فأين الصديق البين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرًا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم الكائنات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمبادئها ونحن الآن نعبّر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها ثم مبادئها عرف منطق الطير وبجدها من هجر عن الإيضاح في السير فضلا عن أن يهول في جوارح السكونت جولان الطير فتقول : إن لله عز وجل في جلاله وكرامته صفته في صدر الخلق والاختراع وتلك الصفات على وأجل من أن نلخصها عين واضع اللغة حتى يبرعنا بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعل شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشرافها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لتعوض في نور الشمس ولكن لنعم في أبصار الخفافيش فاضطر الدين تحت أبصارهم للملاحظة جلالها إلى أن يستمر ومن حضيض عالم للتناقلين باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضيقا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرتا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا الله تعالى صفته في القدرة عنها صدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعمل لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة للشيء فهي يومئذ منها أمرا مجعلا عند التناقلين باللغات التي هي حروف وأصوات التفاهين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمته وإلى ما يتعمد دون الغاية وكان لكل واحد نية إلى صفات المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القصة والاختلافات فاستعمل نسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعمل نسبة الواقف دون غايته عبارة السكراهة وقيل إنها جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يومئذ لفظ المحبة والسكراهة منهما أمرا مجعلا عن طائفي التعمد من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله فيهم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقته المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيفان حكمته دون غايتها ويكون ذلك تفرافقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبق لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعمل نسبة المستملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعمل للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة النضب فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقتت الحكمة به دون غايتها فاستعمل له الكفران وأردف ذلك بقصة الأمن والمندة في إيقاع النكال وتظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساق بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعمل له عبارة الشكر وأردف

واحرموه وقولوا له:

يا بني الله وإرسول الله

ومن هذا القبيل

يكون خطاب المريد

مع الشيخ وإذا سكن

الوقار القلب علم الإنسان

كيفية الخطاب . ولما

كلفت النفوس بحجة

الأولاد . والأزواج

وتعمكت أهنية

النفوس والطباع

استخرجت من اللسان

عبارات غريبة وهي

تحت وقها صاغها

كلف النفس وهواها

فاذا امتلأ القلب حرمة

وقارا تصلم اللسان

البارة . وروى لما

زلت هذه الآية قد

ثابت بن قيس في

الطريق يسكن فر به

عاصم بن عدي قال

خلة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجبال ثم أثنى وأعطى النكال ثم قبح وأردى وكان مثله أن ينظف للملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من عافس ثيابه فإذا تم زينته قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون الحقيقة هو الجميل وهو اللقي في الجمال فهو اللقي عليه بكل حال وكأنه لم يكن من حيث اللقي إلا على نفسه وإن شاء العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا تسلسل الأسباب واللياليات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبعث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالبر أو هو أقرب فقامت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب آحاد للتدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يلزاه الأمر الواحد الكلي ولفظ القدر يلزاه التفصيل للتأدي إلى غير نهاية وقيل إن شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر غطر لبعض المباد أن التسمية لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على عظامه فأجروا مما لم يطبقوا خوض غمرته بلجاء للنق وقيل لهم استكنوا لنا لهذا خلقتم لئلا يسهل عما يغفل وهم يستلون وامتلاّت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زينتهم أولا صافيا يكاد يشيء ولو لم تمسه نار فشتت نار فاشتعل نورا على نور فاشتعلت أقطار للسلوك بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه قليل لم تأدبوا بأداب الله تعالى واستكوا وإذا ذكر القدر فاستكوا (١) فان للحيطان آذاناً وحواليكم صفاء الأبصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكتشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا بأفلاك الله تعالى وانزلوا إلى مياه الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضفادع ويقسموا من بقايا أنواركم للشرقة من وراء حجابكم كما يتنفس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيجاء به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة التردد في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب هكذا شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضة وللأرض من كأس السكران نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهم إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يحوذك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما فإذا امتد الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجروا رءاه أعمى وإذا دق الجبال ولطف لطف للاء مثلا ولم يكن الصبور إلا بالسباحة فقد قدر للهاهر بصمة السباحة أن يبر بنفسه ويرى ما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر فلهذا أمور نسبة السير عليها إلى السير بها وهو مجال جماهير الخلق ككتيبة لشي على اللاء إلى لشي على الأرض والسباحة يمكن أن تستلم فأما لشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل لشي على الله عليه وسلم ۞ إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد قيتنا لشي على الهواء (٢) فهذه

(١) حديث إذا ذكر القدر فاستكوا الطبراني عن حديث ابن مسعود وقد تقدم في الملوك وصرح الصنف بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد قيتنا لشي على الهواء وهذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون نبيهم قليل له توجه نحو البحر فالتفتوا يطلبونه . فلما انتهوا إلى البحر

مايكيك يا ثابت قال
هذه الآية تخوف أن
تكون نزلت في أن
تخط أفعالكم وأنتم
لا تسمعون - وأنا
رفيع الصوت على النبي
صلى الله عليه وسلم
أخاف أن يحيط على
وأكون من أهل النار
فضي حاصم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابتا البكاء
فأق امرأته جيلة بنت
عبد الله بن أبي بن سؤل
فقال لها إذا دخلت
بيت فرسي فمدى على
الضبة عسار فضرته
عسار حتى إذا خرجت
عطفته وقال لا أخرج
حتى يتوفى الله أو
يرضى عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما

رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والجفاء والرضا والقبول والشكر والكفران لا يليق بهم للعامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً ذلك تمريداً إلى أضياف الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبده فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عيدين يجب أحدهما وبمجهل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين وينقض الآخر واسمه إبليس وهو العيّن للنظر إلى يوم الدين - ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قل زله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى - بلى الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - ليضل عن سبيله - والإغواء هو استيقاف المباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والإرشاد سياقه لهم إلى النهاية فانظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يمتعه الشراب وإلى من يهجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عيدين فلا يدين للحجامة والتنظيف إلا أحدهما وأخسها ولا يغرض حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكلهما وأحبهما إلى ما ينبغي أن يقول هذا ضلل ولم يكن فله دون قيل - فانك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف دواعيتك لتخصيص الفعل للكره والمصلحة للكره والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً لفعل كان عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضاً من أفضله فداعيتك وقدرتك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التمييز هو فله الذي رتبها بالعدل ترميها تصدر منه الأفعال المصلحة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم التيب ولللكوت فذلك تفضيحه إلى نفسك وإحما استعمل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب للشعب الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزق وتقوم وتقدم وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأضواء وإنما تحركها خيوط شمرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل وروى بها في يد للشعب وهو محتجب عن أعيان الصبيان فيفرون ويتجنبون لظنهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتقدم ، وأما الغلاء فانهم يملون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يملون كيف تفضيحه والذي يمل بعض تفضيحه كما يمله للشعب الذي الأمر إليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها لتتحرك فيجولون عليها ، والعلماء يملون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا الحارقون والعلماء الراسخون فانهم أدر كواحدة أجيادهم خيوط دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشعبة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدر لك تلك الخيوط لا تدركها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رموس تلك الخيوط في مناطق لها هي معلقة بها وشاهدوا تلك المناطق مقابض هي في أيدي اللاتسكة المحركين للسحوات وشاهدوا أيضاً تلك السحوات مصروقة إلى حمة العرش ينظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الهما أرمم ويشعرون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر قبيلاً - خاق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً - وهذه أمور لا يمل تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن إخصاص إذا هو قد أقبل بمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شمرة مئتي على الماء وروى أبو منصور الهيملي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لوعرقه الله حق معرفته لمشي على البجور وثلاث بدائكم الجبال

أني عاصم التي وأخبره
بغيره قال : اذهب
فادعها فجاء عاصم إلى
الملك الذي فيه رآه
فلم يجده فجاء إلى أهله
فوجده في بيت القيس
فقال له إن رسول الله
يدعوك فقال : أكر
الضبة فأبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما يريك
بأناب قال : أنا صبت
وأخاف أن تكون هذه
الآية زلت في قتال له
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما ترضى أن
تمشي سعيداً وتقتل
شهيداً وتدخل الجنة
فقال قد رضيت بشري
الله تعالى ورسوله ولا
أرفع صوت أبداً على

الراغبين في العلم معلوم لا تختمها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمر بينين - فقال لو ذكرت ما عرفه من معنى هذه الآية لرجعتموني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج علم النعمة ما ليس منه فلترجع إلى مقاصد الشكر فنقول : إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون البعد مستملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر الباء أحبه إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله للالتصاف ولهم أيضا ترتيب ومابهم إلا أنه مقام معلوم وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرائيل عليه السلام وإنما علو درجته لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام هم أشرف مخلوق على وجه الأرض وعلى درجته درجاة الأنبياء فانهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله سائر الخلق ونعم بهم حكمته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ أكل الله به الدين وختم به التبيين وبلغهم الملاء الدين ثم ورثه الأنبياء فانهم في أنفسهم سالجون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما صلح من تصفون غيره ثم بلغهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكل الله به صلاح دينهم وديانهم ولم يكن السيف وللذك قتيه من الأنبياء ثم إلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تهم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رطع . واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستعز وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام فقوم خير من فتنة بدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتكرهون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فليهم الوزر وعليكم الصبر (١) . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كئار أي شر الناس السلطان قال مهلا إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى حمالة أبدانهم فيقطع في محبته فيفخره جميع ذنبه وكان يقول للحقيبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصبا قصون .

(الركن الثاني من أركان الشكر مأليه الشكر)

وهو النعمة فلندكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها وعجايبها فباخص وبم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تصدوا نعمة الله لا تحصوها - فنقدم أموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتمل بذكر الأحاد والله اللوفق للواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتكرهون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أكثر قال حسن صحيح وللإبرار بسند متيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض بأوى إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جاور وأخاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر . وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عتبة فقال عبيد الله أصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد كرهت الدنيا والإمارة الفاجرة خير من الهرج رواء الطبران في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأنزل الله تعالى - إن الذين يفتنون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة في حرب مسيلمة رأى ثامت من المسلمين بعض الانكسار وانهمزت طائفة منهم فقال أنف هؤلاء وما يصنعون ثم قال ثامت لسالم بن حذيفة ما كنا شائل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم نبينا ولم يزالا يتفانان حتى قتل واستشهد ثامت كما وعدته رسول الله

السعادة الأخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كنسبة السعادة الدنيوية التي لا تدوم على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويسمى عليها إما بواسطة واحدة أو بواسطة ثلث فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضى إلى النعمة الحقيقية والأسباب للعبية والذات السليمة نعمة تشرحها بتفسيرات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتأذي باتباع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال كتتمتع بالشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال هو النعمة الحقيقية كالعلم وحسن الخلق والضرر فيها هو البلاء الحقيقي وهو ضدها والنافع في الحال للضرر في المال بلاء محض عند ذوي البصائر وتلقن الجمال نعمة ومثاله الجمال إذا وجد عسلا فيه سم فانه يهدمه نعمة إن كان جاهلا وإذا عله علم أن ذلك بلاء يقي إليه والضرر في الحال النافع في المال ضمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجمال ومثاله الدواء البشع في الحال مذلة إلا أنه خاف من الأمراض والأقسام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شرب به نكهة بلاء والمائل يهدم نعمة ويتقصد المنة بمن يهديه إليه ويقر به منه وبهيء له أسباب فذلك تمنع الأم ولدما من الحجابة والأب يدعو إليها فإن الأب لكامل عقله يلح بالعاقبة والأم لقرط حياء وقصورها تلعظ الحال والصبي لجهل يتقصد منة من أمه دون أيه ويأسي إليها وإلى شفتها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعم أن الأم عدو ابنتها في سورة صديق لأن منها إياه من الحجابة يسوقه إلى أمراض وآلام أعد من الحجابة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو [قسمة ثانية] اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها قلما يصفو خيرها كالسالم والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ماضية أكثر من ضرة كفدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ماضية أكثر من نفع في حق أكثر الأشخاص كالسالم الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفع وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثرت فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق موزر إنسان يستغفر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستغفرا له شاكيا من ربه طالبا لزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه [قسمة ثالثة] اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لدانته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لدانته ولغيره. فالأول ما يؤثر لدانته لا لغيره كمنة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادته، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لدانها. الثاني ما يقصده لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدرهم والدنانير فإن الجاهل لو كانت لا تنفع بها كانت هي والحصاة بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى الذوات سرحة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكثرونها ويتصارقوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بين مومنينه من حب في حببة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مخفولا بتعهد الرسول وصرافاته وتقده وهو غاية الجهل والفتل. الثالث ما يقصده لدانته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تحصد ليقدر بسببها إلى الذكر والتفكير الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتخصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي أراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل

صلى الله عليه وسلم
وعليه دوح فرآه
رجل من الصحابة يهد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلانا رجلا من
المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في
ناحية من العسكر
وعنده فرس يستن
في طيه وقد وضع على
درعي برمة فانت خالده
ابن الوليد فأخبره
حق يسترد درعي واثت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قتل
له إن على ديننا حق
يقضى على وفلان من
عبيدي عتيق فأخبر
الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على
ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالدا أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإن لا تؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته وتغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأول فأما ما لا يؤثر إلا لتغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه السكافاة التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والدرر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغفه وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] أعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجمل فالذي هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجمل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والضرور أيضاً تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من التسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافلة وحسنة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك ألم النقص فتلبث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنه الحسد والكبر والشهوات الدنية عن التعلم فيتجاوزه متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان وإن اعتزل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وفذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا مخلص . والضرب الثاني للقيح وهو الذي يجمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع التأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخني فانه بالانسانة إلى بعض الأحوال نافع فقد قيل لسيراس من لاعتقل له فانه لا يتيم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يموت وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإفناء المال في البحر عند خوف الترق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قبحان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيسال إلى معادة الآخرة وأثنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وإلى ما لا يكون ضرورياً كالسكنجبين مثلاً في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قصة خامسة] أعلم أن النعمة يبر بها عن حكمل لذتي واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لتغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذنة العلم والحكمة إذ ليس يستلها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا القرح وإنما يستلها القلب لاختصاصه بصفة يبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها أما قلبي فلأن العلم لا يستلها إلا عالم والحكمة لا يستلها إلا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر التسمين باسمهم ولترميمهم برسومهم وأما شرفها فلاشأما لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا عمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستقل والعلم والحكمة قط لا يصور أن عمل وتستقل ومن قدر على التسرف الباقى أبداً الأباد إذا رضى بالتحسيس الثاني في أقرب الآلام فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحظلة بخلاف المال إذ العلم يجرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإخلاق والمال ينقص بالإخلاق والمال يسرق والولاية يزل عنها والعلم لا يعتد إليه أبدي السراق بالأخذ ولا يبدى السلاطين بالزول فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً ثم العلم نافع ولذيذ وجمل في كل حال أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ولذلك فم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن ساء خيراً في مواضع وأما قصوراً كثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت ثابت بحسن هواء وأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده قد كرمته الله ورسوله وأن الذي يعتمد مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهام التوم بواجب الأدب أخير الحق عن حاله وأثنى عليهم فقال - أولئك

عن إدراك لذة العلم فلما لمع الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشق إذ الشوق تبع الذوق وإما القصاد
 أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراه مرأ
 وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة
 العسل والطيور الهجان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذينة ولا مستطابة اللبن يدل
 على أنه ألد الأشياء فالقاصرون عن ذوق لذة العلم والحسنة ثلاثة إما من لم يحس باطنه كالطفل وإما
 من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوه تعالى - في قلوبهم
 مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحس
 حياة باطنه وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من اللوث وإن كان عند الجاهل من الأشياء
 ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة
 يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياسة والقلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسود والنمر
 وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا
 وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل منادبة ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
 تشبثت به لذة القلبة وهو أحد ما تصاف بالمخافلين فان جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب
 اللذات عليه لذة العلم والحسنة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذ مرتبة الصديقين
 ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وخر ما خرج من ردوس الصديقين حب
 الرياسة وأما مره البطن والفرج فكسره بما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا تقوى على
 كسرها إلا الصديقون فأما قمعها بالكسفة حتى لا تقع بها الإحساس على السموم وفي اختلاف الأحوال
 فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم تطلب للذة معرفة الله تعالى في أحوال لا تقع معها الإحساس
 بلذة الرياسة والقلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تقتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية
 فتسكون موجودة ولكن تسكون مقهورة لا تقوى على حمل النشئ على المدول عن المدلول عندهذا
 تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا زيادة المعرفة به والتفكر
 فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإيمانه بالذات بالجاء والرياسة واللذات وسائر الشهوات
 البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفة والقسكر فيه ولكن قد يقتريه في
 بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويقتريه
 في بعض الأحوال التلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد أما الثاني
 فالله تعالى طاعة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية التدور ولا يتصور أن يكون ذلك
 إلا نادرا شاذا وهو مع التدور يتفاوت في القوة والكثرة وإعانتكون كثرة في الأعصار القوية
 من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد السهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قوة إلى أن تحترق
 الساعة وفضي الله أمرا كان مفصولا وإجماعا وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة
 والملك عزيز والملوك لا يتكثرون فكما لا يكون الفائت في الملك والجلال إلا نادرا وأكثر الناس من
 دونهم فكذلك في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة
 عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة
 والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى
 نفسك وترى صورتك في المرآة أولا تعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة
 فالقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة والقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى - أي اختبر
 قلوبهم وأخلصها كما
 يمتحن الذهب بالنار
 فيخرج خالصه وكأن
 اللسان تزعج القلب
 وتهذب اللفظ لتأدب
 القلب فهذا ينبغي أن
 يصكون السرد مع
 الشيخ . قال أبو عثمان
 الأدب عند الأكبر
 وفي مجالسة السادات من
 الأولياء يبلغ بصاحبه
 إلى الدرجات السلا
 والخير في الأولى والنهي
 ألا ترى إلى قول الله
 تعالى - ولو أنهم صبروا
 حتى تخرج إليهم لكان
 خيرا لهم سويعا عليهم
 الله تعالى قوله سبحانه
 - إن الذين يتنادونك
 من وراء الحجابات

ولكن الانكسار والانسكاس ضرورة هذا العالم فذلك عالم الملك والشهادة عماك لعالم النبي ولللكوت فمن الناس من يسر له نظر الاختيار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا يدبر به إلى عالم لللكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولى الأبعاد - ومنهم من عميت بصيرته فلم يتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتتح إلى حبيسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأتنة إلا أن بينه وبين إدراكها حجابا فاذا رفع ذلك الحجاب ألبوت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجميع تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للدين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجميع - أي في الدنيا - ثم لترونها عين اليقين - أي في الآخرة فاذا قد ظهر أن القلب الصالح ملكك الآخرة لا يكون إلا عزنا كالشخص الصالح ملكك الدنيا .

(قصة سادسة حاوية لمجامع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فأنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقا لفاء له وسرور لاعم فيه وعلم لاجل معه وغنى لا تفر يده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يعيش إلا يعيش الآخرة» (١) وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حذر الخندق في شدة الضر - وقال ذلك مرة في السرور منما للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحدائق الناس بهي حجة الوداع (٢) وقال رجل «اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمام النعمة؟ قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة (٣) وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب وبهاوز إلى غير البدن كالأسباب الطيبة بالبدن من اللال والأهل والعشرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالنوقي والمداية فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم للكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم للعامة ، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين ترك متغنى الشهوات والنضب وإسحه الفة ومراعاة العدل في الكف عن متغنى الشهوات والإقدام حتى لا يتنعم أصلا ولا يخدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى سأن لا تنفوا في الليزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا لليزان - فمن خشي نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر قد أخسر الزان ومن أهمل في شهوة البطن والفرج فقد طمى في الليزان وإنما العدل أن يغلووزنه وتقديره عن الطغيان والحسران فتعبد به كفتا الليزان فاذا الفضائل الخاصة بالنفس للقرية إلى الله تعالى أربعة علم مكشوفة وعلم عمامة وعفة وعدالة ولا يتنعم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يفتنون -
وكان هذا الحال من
وفد بني نعيم جاءه إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنادوا يا محمد
أخرج إلينا فان مدحنا
زين وذمنا حين قال
نسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخرج
إليهم وهو يقول «إنما
ذلكم الله الذي فمه
عين ومدحه زين» في
صصة طويقة كانوا أتوا
بشاعرهم وخطيبهم
فلقبهم حسان بن ثابت
وهببان للهاجرين
والأصهار بالحطبة وفي
هذا تأدب لفرید في
المحصول على الشيخ
والإقدام عليه وتركه
الاستعجال وصبره إلى
أن يخرج الشيخ من

- (١) حديث قوله عند حذر الخندق لا يعيش إلا يعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حجة الوداع لا يعيش إلا يعيش الآخرة الشافعي مرسلًا والحاكم متصلاً وصححه وتقدم في الحج (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بن سعد حسن

وهي أربعة الصحة والوفرة والجمال وطول العمر ولاتياً هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الحارجة لطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم المشيرة ولا يتفق شيء من هذه الأسباب الحارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورعده وتوبيخه ، فجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافلة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بها فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزعم من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهدب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورية . وأما الحاجة النافلة على الجملة فكحاجة هذه النعم لنفسية البدنية إلى النعم الحارجة مثل المال والعز والأهل فان ذلك لو عدم ربما تفرق الخل إلى جنس النعم الأخلاقية فان قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الحارجة من المال والأهل والجموع العشرة . فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح للبلغ والآلة السهلة للمقصد . أما المال فالتقير في طلب العلم والجمال وليس له كفاية : كساع إلى المجدى غير سلاح ، وكبازي يوم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم للمال الصالح للرجل الصالح » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم للمون على حقوى الله المال » (٢) وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأتوات وفي تهمة القباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشبه عن الذكر والفكر ولا تدفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإقامة الخيرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال : التقى فاني رأيت التقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكان ما ذكره إشارة إلى نعم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه آمنأفى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيرت له الدنيا بحذافيرها » (٣) وأما الأهل والوالد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم الدون على الدين المرأة الصالحة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات البعد اتقطع عمله إلا من ثلاث وله صالح يدعو له » (٥) والحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فهما أكثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدينية المهمة في دينه ما لو انفرد به لظال شغله وكل ما يفرغ قلبه عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما العز

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني في حديث عمرو بن العاص بسند جيد (٢) حديث نعم المون على حقوى الله المال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر ومرسلان طريقه رواه القاضي في مسند الشهاب هكذا مرسل (٣) حديث من أصبح معافى في بدنه آمنأفى سربه الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث نعم المون على الدين المرأة الصالحة لم أجد له إسناداً ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات البعد اتقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

موضع خلوته . صحت
أن الشيخ عبد القادر
رحمه الله كان إذا جاء
إليه فقير زائر غير
بالتقير فخرج وفتح
جانب الباب وصانع
التقير وسلم عليه ولا
يجلس معه ويرجع
إلى خلوته وإذا جاء
أحد ممن ليس من
زمره الفقراء فخرج
ويجلس معه لخطر
لبعض الفقراء نوع
إنكار تركه الخروج
إلى التقير وخروجه
لتسبب التقير فأتى
ما خطر للفقير إلى
الشيخ قال التقير
رابطتنا معه رابطة
قلبية وهو أهل وليس
عنده أجنية فكنتني
معه بموافقة التأوب

والجاء فيه يدفع الإنسان عن نفسه الدل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه
وعظم يشوش عليه وعمله وقرائه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالزمن
والجاء ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان - قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض - ولا معنى للجاء إلى ملك القلوب كمالا معنى للفتى لملك الأبرام ومن ملك الدراهم تسخرت له
أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد
وكعب يدفع الشدب عن ماعشته فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا القصد كان
الأنبياء الذين لملك لهم ولا سلطنة يرعون السلاطين ويطلبون عتدهم الجاه وكذلك علماء الدين
لا على قصد التناول من خزائهم والاستتار والاستكثار في الدنيا بما ينهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب
حيه حتى اتسع به عزه وجهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى
الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم المشرك وشرف الأهل هو من النعم أم لا ؟ فأقول نعم ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٢) ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم
الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تخبروا لتفكروا لكفاء (٤) »
وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن » ، قيل وما خضراء الدمن ؟ قال للرافض الحسان في
لثبنت السوء (٥) « فهذا أيضا من النعم ولست أعني بالانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب
إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى آفة النساء وإلى الصالحين والأبرار للتومنين بالعلم
والعمل . فان قلت فما معنى الفضائل البدنية . فأقول لاختفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الحرب والهجرة البخاري ومسلم
من حديث عائشة أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد
لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبدالمطلب والحديث ولقمتي
وصحبه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما خاف أحد وأندأ وذيت في الله وما يؤذى أحد
وقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال
قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال والبخاري عن عروة قال سألت
عبد الله بن عمرو عن أحد ما صنع للشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي
معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر
فدفعه عنه الحديث وللبزري وأبو يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى غشي عليه قيام أبو بكر فجعل ينادي ويلك أشقون رجلا أن يقول ربنا الله وإسناده
صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح
(٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة الأصل هذه المعلوم فروى
مسلم من حديث وثيقة بن الأسقع مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من
كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية الترمذي إن الله اصطفى
من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث البيهقي وحسنه ابن عباس والطبراني في ربيعة وصححه
والطبراني في أبي وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق قبلي من خيرهم وفي حديث ابن عباس ما بال
أقول ينتدبون أصلي فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا (٤) حديث تخبروا لتفكروا ابن ماجه
من حديث عائشة ونعم في التكاثر (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن نعم فيه أيضا .

وقنع بها عن ملاقاته
الظاهرة بهذا القدر
وأما من هو من غير
جنس الفسقاء فهو
واقف مع العادات
والظاهر فلي لم يوف
حقه منسب الظاهر
استوحش خلق الريد
محارة الظاهر والباطن
بالأدب مع الشيخ
فيسل لأي منصور
للقسري كم صحبت
أبا عثمان قال خدمته
لاصبته فالصعبة مع
الإخوان والأقران
ومع الشايخ الخدمة
وينبئ للمريد أنه كلما
أشكل عليه شيء من
حال الشيخ يذكركه
موسى مع الحضر عليها
المسلم كيف كان
الحضر فينبأ أنبياء

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الساعات طول العمر في طاعة الله تعالى (١) » وإنما يستحقر من جلته أمر الجبال فيقال يكفي أن يكون البدن سلباً من الأمراض الشاغلة عن أخرى الجرات ، ولعمري الجبال قليل القناء ولكنه من الجرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى ثمنه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن التسبيح مذكوم والطباع عنه نافرة وحاجات الجليل إلى الإجابة أقرب وجهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه يحتاج مبلغ كماله والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تبيين حاجات لا يقدر عليها التسبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجبال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشرافه تأدى إلى البدن فالنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكازم النفس على هيئة البدن فقالوا الوجه والعين مرآة البطن ، ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنعم ، ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أسنن مافي ، واستعرض للأموح جيشاً فرض على وجهه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحاً وعل البطن قصاصة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه (٢) » وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بعثت رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم ، وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات الصلحين فأحسنهم وجهاً بالأمامة ، وقال تعالى « متبذلاً وسزاده بسطة في العلم والجسم - ولنا نرى بالجبال مابحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة وإنما نعني به إرضاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في الأهم وتناصب الأعضاء وتناصف خلقه الوجه بحيث لا يتقوا الطباع عن النظر إليه . فإن قلت فقد أدخلت لئال والجاه والنسب والأهل والولد في ميزان النعم ، وقد ذم الله تعالى لئال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وكذا العلماء قال تعالى « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال عز وجل « إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب : الناس أبناء ما عمنون وقيمة كل امرئ ما عمنه ، وقيل للرب بنفسه لأبائه ثماني كونها نعمة مع كونها مذمومة فتربح . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الأفاضل للتوالة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغاب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لاسمبيل إلى جدها إلا أن فيها فتناويعاً وخاف ، فمثال لئال مثال الحية التي فيها ترفيق نافع وسم نافع فإن أصابها اللعزم الذي يرف وجه الاختراز عن صحتها وطريق استخراج ترفيقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى الترفى على بلاد وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر والآلى فمن نظر بالخير فإن كان عالماً بالسباحة وطريق التوصل وطريق الاختراز عن

- (١) حديث أفضل الساعات طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولترتمنى من حديث أبي بكره أن رجلاً قال يارسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح
- (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسن الوجوه أبو يعلى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأنها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضيقة (٣) حديث ذم لئال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ماذبان جاضان أرسلنا في غم فأفسد لها من حب اللال والشرف لدينه وقد خدم في ذم لئال والبخيل

ينكرها موسى وإذا
أخبره الخضر يسرها
يرجع موسى عن
إنكاره لما ينكره
للربد لقلعه بحقيقة
ما يوجد من الشيع
فالشيع في كل شيء
عذر لسان العلم
والحكمة . سأل بعض
أصحاب الجند مسألة
من الجند فأجاب
الجند قاضيه في ذلك
قَالَ الجند فإن لم
تؤمنوا لي فاعترضون
وقال بعض الشايعين
لم يسلم حرمة من
تأديب به حرم بركة
ذلك الأدب ، وقيل
من قال لأستاذنا لا ،
لا يفلح أبداً . أخبرنا
شيخنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي

مهلكات البحر قد ظفر بنمه ، وإن خاصه جاهلا بذلك قد هلك فذلك مدح الله تعالى للبال
وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم المون على تقوى الله تعالى البال »
وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله
وحبيه في قلوب الخلق وهو الحق بالجاه ولكن النقول في مدحها قليل والنقول في ذم المال والجاه
كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك
القلوب وإنما كثر هذا قول ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق
الفرص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى تزياتهم ويهلكهم
تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانوا في أعياهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما
تصور أن يضاف إلى النبوة لذلك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولأن يضاف إليها التي كما كان
لسليمان عليه السلام فالتاس كلهم سيان والأموال حيات والآنياء والمآفون مزمون فقد يضر الصبي
ملا يضر للزم ، نعم اللزم لو كان له وقد يريد قضاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل
تزياتها لا يفتدي به ولله وأخذ الحية إذا رآها ليلبس بها فربك فله غرض في التزيات وله غرض في حفظ
الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في التزيات بضره في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن
التزيات ولا يستغربه ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب
عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالمهرب ويشرح صورته في عينه ويبرره أن
فيها سباعا قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يبعده أصلا بما فيها من شق التزيات فان ذلك ربما يبرره فيقدم عليه
من غير تمام المعرفة وكذلك الفواص إذا علم أنه لو طاف في البحر يجرى من ولده لا يبعده هلك فواجب
عليه أن يخلد الصبي ساحل البحر والنهر ، فان كان لا يزرع الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده
يعوم حول الساحل فواجب عليه أن يمد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه يمين يديه فكذلك
الآفة في حجب الآنياء عليهم السلام كالصبيان والأغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم
مثل الوالد لولده ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تهافتون على النار تهافت الفراش وأنا تأخذ
بجوزكم ^(٢) » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهالك فانهم لم يشعروا بذلك وليس لهم في المال
حظ لا يقدّر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أمشوه فان الاتفاق
فيه التزيات وفي الامساك السلم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لما لو إلى سم الامساك
ورغبوا عن تزيات الاتفاق فذلك قبحت الأموال والحق به تضييع إمساكها والحرم عليها للاستكثار
منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الزكوة إلى الدنيا ولأنها فأما أخذها بقدر الكفاية بوصف الفاضل
إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يعمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم الزم على أن
يغض بما يملكه . فأما إذا صحت نفسه بطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار
وقوه عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ^(٣) » معناه لأشكم خاصة

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرباعي قال أنا أبو محمد
الجسراحي قال أنا
أبو العباس المروى قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أتركوني
ما ترككم وإذا
حدثكم غلظوا على
فانما هلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم »
قال الجنيد رحمه الله
رأيت مع أبي حفص
النيسابوري إنسانا
كثير الصمت لا يتكلم
قلت لأصحابه من هذا

- (١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
- (٢) حديث إنكم تهافتون على النار تهافت الفراش وأنا تأخذ بجوزكم متفق عليه من حديث
أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا اجلجت الدواب
والفراش يخن فيهما فأنا أخذ بجوزكم وأنتم تتحتمون فيه وللمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بجوزكم
عن النار وأنتم تهافتون من يدي (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ابن ماجه

ولا قد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويغرقها في موضعه ولا يسلك منها حية » ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فزل جبريل عليه السلام ، وقال : مره بأن يطعم للسكين ويكسو الثاري ويرى الضيف (١) الحديث. فأذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمنورها وقصها بضرها لن وثق يصيرته وكما معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومتخربا دواها ، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء ، وهم الخلق كلهم إلا من خصمه الله تعالى وهداه لطريقه . فان قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد . فاعلم أن التوفيق لا يستثنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلويح بين إرادة البعد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كأن الإلحاد عبارة عن الليل خصص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفتي فأكثر ما يهني عليه اجتاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا ثن أين ينضم مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى حريبا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكن منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكن من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهديته قليل ولا أنت يارسل الله قال ولا أنا (٢) » . وللهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بفضه بالعقل وبفضه على لسان الرسل وبقلائق قال تعالى - وأما عود فهديناهم فاستجبوا للصمى على الهدى - فأسباب الهدى هي الكتب والرسول وبصائر العقول وهي بذولة ولا يمنع منها إلا الخسد والكبر وح الدنيا والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - فاتها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة للميات الآلف والمادة وح استصحابها وعنه الصابة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أبيه عن غير مسموع وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب (١) حديث استأذن عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فزل جبريل فقال مره بأن يطعم للسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا في خالد بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث مامن أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسل الله قال ولا أنا إلا أن يتصدق الله بفضل منورحه وفي رواية لمسلم مامن أحد يدخله عمله الجنة الحديث وافقا عليه من حديث عائشة واهترده بمسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قبل لي هذا إنسان
يصحب أبا حفص
ويخمنه وقد أغنى
عليه مائة ألف درهم
كانت له واستدان مائة
الف أخرى أتقها عليه
ما يسوغ له أبو حفص
أن يشكم بكلمة واحدة
وقال أبو يزيد البسطامي
صحب أبا علي السدي
فكنت ألقه ما يقم به
فرضه وكان يلقى
التوحيد والحقائق
جربا . وقال أبو عثمان
صحب أبا حفص وأنا
غلام حدث فطردني
وقال لا تجلس عندي
فلم أجعل مكافأته لي
كأنه أن أولى ظهري
إليه فأنصرفت أمشي
إلى خلف ووجهي
مقابل له حتى غبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن الكبر والحسد العارية بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجب من القرينين عظيم - وقوله تعالى - أجزأنا واحدا تتبعهم فبمهلهميات هي التي منحت الاهتمام والمهابة الثانية وراء هذه المهابة العامة وهي التي يد الله تعالى بها البدحالا بعد حال وهي غرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الراد بقوله تعالى: - والذين اهتنبوا زادهم هدى - والمهابة الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بد كمال المجاهدة فيهدي بها إلى ما لا يهتدى إليه بالمثل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهوى للطلق وما عمله حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهة تعالى قال تعالى - قل إن هدى الله هو الهدى - وهو للسعي حياة في قوله تعالى - وأمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس - والعنى بقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فعنى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفقره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - وقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين - فالرشد عبارة عن هداية بائغة إلى جهة السعادة محررة إليها فالصبي إذا بلغ خيرا يحفظ المال وطرق التجارة والاستقاء ولكنه مع ذلك يندرو ولا يريد الاستقاء لاسمى رشدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكمن شخص يقدم على ما يميل أنه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التشديد فهو توجيه حركاته إلى صوب اللطوب وتيسرها عليه ليفتح في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية بمجرد ما لا تنفي بل لا بد من هداية محررة كداعية وهي الرشد والرشد لا يكتفي بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم الراد عما انبثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد فهو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتشديد إغانة ونصرة بتعريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع لكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالصبر من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو الراد بقوله عز وجل - إذا يدتك بروح القدس - وتقرّب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن تقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كائع من باطنه غير محسوس وإياه عني بقوله تعالى - ولقد حميت به وهمّ - بالهول أن رأى ربهان ربه - فهذه هي جامع النعم ولن تثبت إلا بما غوله الله من التهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير للتواضع للرأعي والملم الناصح وللإله الرائد على ما يقصر عن المجهودات بقلته العاصر ما يشغل عن الدين بكثرته والزم الذي يصونه عن سفة السقاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا وتمتدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل التحيرين وموجب الضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طوية لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاء فلقد ذكر منها أنموذجا ليعلم معنى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها بوابه التوفيق.

(بيان وجه أنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمتين النعم الواضحة في الرتبة للآخر فبهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لشد على علمنا ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلقد ذكر ثلثة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو أكلها ولا بد لها من قدرة على

ضفه واعتقدت أن أجسفر نفسي يرا على بابها وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بأذنه فصار أئذ ذلك منى قريبي وقلبي وصيرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن للرشد لا يبسط سجده مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فان للرشد من شأنه التبذل للخدمة في السجادة إجماع إلى الإسترخاء والتعزّز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التحير . وهوية الشيخ تملك المسريد عن الاسترسال في السماع وتهدية واستخراقه في

الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم المراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكل ولا بد
للمأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من مانع يصلحه فلتذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الارادات
ثم أسباب القدرة ثم أسباب للأكل على سبيل التلويح لأجل سبيل الاستقصاء .
(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكل وجودا من الحجر واللؤلؤ والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي
لا تنمى ولا تنهى فإن النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقها في
الأرض وهي له آلات فيها يجذب الغذاء وهي المروق الدقيقة التي تراه في كل ورقة ثم تلتصق أصولها ثم
تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب إلى عروق شعرية تنسج في أجزاء الورقة حتى تخب عن البصر إلا
أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه إذا أعوزته غذاء يساق إليه وبمأس أصله جف ويسقط لم يمكنه
طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة الطلوب وبالاتصال إليه والنبات عاجز عن
ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى
ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت
لك حتى إذا لمستك نار محرقة أو سيف جارح نحس به قهره منه وهذا أول حس خلق للحيوان ولا
يصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس بحيوان وأقصى درجات الحس أن
يحس بما لا يلاصقه ويماسه فإن الاحساس بما عداه من إحساس أهم للعالة وهذا الحس موجود لكل
حيوان حتى السودة التي في الطين فإنها إذا فرغ فيها إبرة انقبضت للهرب لأكاليتها فإن النبات يقطع
فلا يقبض إذ لا يصح بالقطع إلا أنك لو لم تخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالسودة لا تقدر على
طلب الغذاء من حيث يعد عنك بل ما يبس بدتك فتخص به فتجذبه إلى شمسك فقط فاقترت إلى
حس تدرك به ما يد عنك خلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدرك أيها جاء من أي ناحية
فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تثر على الغذاء الذي تهمته به وبعور بعالم تثر فتكون
في غاية النقصان لو لم تخلق لك إلا هذا خلق لك البصر لتدرك به ما يد عنك وتدرك جهته فتقصده تلك
الجهة بعينها إلا أنه لو لم تخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره
وقد لا يكشف الحجاب إلا بعد قرب المدوق فتجزع من الحرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من
وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يدركك
معرفة إلا بالكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فتستدق إليه حاجتك فتخلق كذلك
وميزت بهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان فضلك لو لم يكن لك حسن البصير إذ يضل الغذاء
إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله تهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها
فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم تخلق في مقدمتها ما عدا الإدراك الآخر
يسمى حسا مشتركا تأدى إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولا لطف الأمر عليك فأنك إذا
أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرعا فأنك قد كنت غافرا أو آتية مرة أخرى فلا تعرف أنه مضر ماله نفعه
ثانيا لولا الحس المشترك إذ المين تبصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تجتمع عنده البصير يدرك الرائحة
ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والرائحة جميعا حتى إذا أردت الصفرة حكم بأنه
مر فيجتمع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لا تملك هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك
إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهمة يحتمل عليها فتؤخذ فلا تدرك كيف تدفع الحية عن نفسها وكيف

الشيخ بالنظر إليه
ومطالعة موارد فضل
الحق عليه أجمع له من
الإسقاء إلى الساج ومن
الأدب أن لا يكتم على
الشيخ شيئا من حاله
ومواهب الحق عنده
وما يظهر له من كرامة
وإجابة ويكشف
للشيخ من حاله ما يمل
الله تعالى منه وما
يستحي من كشفه
بذكره إيماء وتقرضا
بأن المراد من الطوى
منسجبه على شيء
لا يكشفه للشيخ
تصريحا أو تلمیضا
يصير على باطنه منه
عقدة في الطريق
وبالقول مع الشيخ
تحل القعدة وتزول
ومن الأدب أن

تتخاص إذا قيدت وقد تلقى نفسها في بر ولا تدرى أن ذلك يهلكها وله ذلك قد تأكل البريمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال تعرض وتحموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا لمرك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضره قال الأطلمة ومنفعتها في الحال وللآل وبه تدرك كيفية طبع الأطلمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بصفته في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفضاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقت فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار للوكلاء ينوحي للملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر يخص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطوبى والأخرى بأخبار الحر والبرد والحشونة واللينة والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار الملكة ويسلمونها إلى الحس للترك والحس المشترك قائد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي غنومة ويسلمها إلى الحس إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير وللآل سلم إليها آت إليه غنومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار الملكة ويحكم فيها بأحكام هيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والصلح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إتمام التديرات التي تمن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادرادات ولا تظن أن استوفيتها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادرادات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج السمكوت وبعضها كالشعيرة وبعض تلك الرطوبات كأنه يابس البيض وبعضها كأنه الجلد ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وهجز عنه الأطباء والكعالمون كلهم نهالاً في حس واحد نفس بحاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جملة لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وهجز به فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى خلق الادرادات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الادرادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به النذاء من يمدوك خلق لك بيل في الطبع وشوق إلى الشهوة له تستحك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أشنع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتأوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك بيل إلى ما يوافقك يسمى شهوة وتقره عما يخالفك تسمى كراهة تطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلاها بك كالمغناض الذي يضطره إلى تناول حتى تتناول وتتخذ فتبقي بالنداء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لترك الأكل بها لا تكثر عاقلة لا يزال يجتنب لله إذا اضرب في أسفه حتى يفسد فيحتاج إلى أسمى بقدر غذاء بقدر الحاجة فيسقي مرة ويقطع عنه لاء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به يدك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به تسلك ولو قصصنا عليك محائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صفة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قد تأديه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومضى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد بطنه لسراية حال الشيخ إليه فان الريد كلما أيقن بفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقوت محبته والمهبة والتألف هو الواسطة بين الريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنبية والجنبية جالبة الريد حال الشيخ أو بعض حاله

دم الحيز وتأليف الجين من التي ودم الحيز وكيفية خلق الأئين والروك السالكه اليها من القفار الذي هو مستقر النطفة وكيفية اضباب ماء للرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية اقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الكور وتفرق بعضها لتشكّل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقه ثم عظما ولحا ومما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء قضيت من أنواع ثم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل السجب فضلا عما تراه الآن ولكننا لسنا نريد أن نعرض إلا لنم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك لقيت عنة للاث فأت ولأخمدك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشترى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا بدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في اللآل فلا تسكن فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل للوقوف بالمواقب كخلق الشهوات والغضب مسخرة تحت إرادة الحس للدرك للحالة الحاضرة ثم بها انتفاعك بالفضل إذا كان مجرد العرفة بأن هذه الشهوة مثلا تصرفك لا ينيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب العرفة وهذه الارادة أفردت بها عن الإيهام لكراما لبنى آدم كما أفردت بمعرفة المواقب وقد سمينا هذه الارادة باعشا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا أولى من هذا .

(الطرف الثالث في ثم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا يبعد إلا الإدراك والارادة لا معنى لها إلا اللب إلى الطلب والمهرب وهذا لكاتبه فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فكيف من مريض مشتاق إلى شيء يبعد عنه مدرك له ولو لم يكن لا يمكنه أن يسعى إليه فقد ربه أولا يمكنه أن يتناوله فقد يده أو لقلج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فها هو للطلب والمهرب كالرجل للأنسان والجنح والطير والقوائم للدواب ومنها ما هو لدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر أعداؤه ويعد غذاءه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجنح لطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يبدو كذا ذلك بطول فلندكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فتقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تسكني ما لم تكن من أن تأخذه فانفثرت في آلة باطنة فأثم الله تعالى عليك بخلق الدين وما طولت ان تمددت إلى الأعياء ومشتغلان على مفاسد كثيرة لتتحرك في الجهات فتمد وتنتهي إليك فلا تكون كشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عرضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صينين بحيث يكون الإيهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت جمجمة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضمانا بسطها كانت لك جعرة وإن صممتها كانت لك مفرقة وإن جمعتها كانت لك آلة لقرب وإن ضرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفار وأسند إليها رموس الأصابع حتى لا تنفثت وحتى تلتقط بها الأعياء الدقيقة التي لا نحوها الأصابع فتأخذها برموس أظفاركم ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى اللمة وهي في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الفقيه
أبو القاسم محمد بن
سليمان قال أنا أبو الفضل
محمد قال أنا الحافظ
أبو نعم قال أنا سليمان
ابن أحمد قال أنا أس
ابن أسلم قال أنا عتبة
ابن رزيق عن أبي
أمامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولا يني
له أن لا يخذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد قصم عروة
من عز الإسلام ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جزئيات الأمور
وكلياتها ولا يستحضر
كرهه الشيخ لبيبر

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الله منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام تغلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسرة وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين للأضراس وإلى حادة قواطع كالربايات وإلى ما يصلح للكسر كالآنياب ثم جعل مفصل اللحين متخفلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرمح ولولا ذلك لما تيسر الإضراب أحداهما على الآخر مثل تصدق الدين مثلا وبذلك لا يمتد الطحن فجعل الله الأسفل متحركا كحركة دورية واللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجب صنع الله تعالى فإن كل رحي صنعه الخلق وثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى فمها أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أتم الله عليك خلق اللسان فإنه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالخبرة التي ترد الطعام إلى الرحي هذا مع ما فيه من فائدة التدقيق ومجاها قوة النطق والحكم التي لسانا تلظ بدكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنه وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يترقى إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينصب به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من بعد فتيور الحنك للخدمة وينصب اللعاب حتى تحلب أشد ذلك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام الطحون للتجبن من يوصله إلى المعدة وهو في القم ولا تقدر أن تدفعه باليد ولا في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرء والحجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لتأخذ الطعام ثم تطبق وتنضف حتى يتقلب الطعام بصفطه فيهرى إلى المعدة فيدهليز للرء فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحا وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يبلع طبعا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى للمعدة على هيئة قدر فقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتعلق عليه الأبواب فلا يزال لا يثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأسر الطحال ومن قدامها الرئ ومن خلف لحم الصلب فتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى يهبط الطعام ويصير ما نأما متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه وقرته وهو بعد لا يصلح لتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعيرة منتشرة في أجزاء الكبد ينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصنعه بلون الدم فيستقر فيها ريشا يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم الفضلان كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداها غنية بالبردى والعكر وهو الخلط السوداوى والأخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء ولو لم تحصل عنها الفضلان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى للراة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا في تجويفه

حركاته معتمدا على جسد خلق الشيخ وكالعله ومداراته. قال إبراهيم بن عبيان كنا نصح أباعبدالله للقرنى ونحن عبيان ويسافر بنا في البرارى والنبوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صعبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتضير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان . ومن أدب للرء مع الشيخ أن لا يستقبل بوقاهه وكشفه دون مراجعة الشيخ فإن الشيخ عليه أوسع وبابه للفتوح إلى الله أكبر

فتجذب للراة الفضة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداء فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من اللينة ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء خلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منها عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عتقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطامنة من حدة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطولع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتنبت قبل ذلك لفلط ولم يخرج من العروق فإذا انفصلت منه اللينة فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث تها من كل ما يفسد الغذاء، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروفا ثم قسمها بعد الطولع أقساما وحسب كل قسم يشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى مائر الأعضاء حتى تصير العروق النخسة شجرة كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تترك بالأبصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى مائر الأعضاء ولوحلت بالمرارة آفة فم تجذب النخسة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداء حدثت الأمراض السوداء كالقيح والجذام واللبخوليا وغيرها وإن لم تندفع اللينة نحو الكلى حدثت الاستسقاء وغيره، ثم انظر إلى حكمة القاطر الحكيم كيف ضرب للثلاث على هذه الفضلات الثلاث الحسية أما للراة فأنها تجذب بأحد عتقها وتخلط بالثاني الأخرى الأمعاء ليحصل له في قعر الطعام رطوبة مزقة ويحدث في الأمعاء قمع يحركها للدفع فتضط حتى يندفع الثقل وينزلق وتكون صفته بذلك وأما الطحال فأنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبح ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم اللدة فيحرك الشهوة محموسته وينها ويثيرها ويخرج الباقي مع الفضل وأما الكلى فأنها تقتضي بما في تلك اللينة من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولتتصرف على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضواري من القلب إلى مائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى مائر البدن وبواسطتها يصل كيفية تركيب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وخضاريفها وطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواء بل في الأدمى الآف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفا لصفو والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من نعم الله تعالى عليك لومكن من جعلها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يأسكين فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فأنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أحسنها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجمع قنأكل والحار أيضا يعلم أنه يجمع فيأكل ويتب فينام ويشتهي فيجامع ويستبش فينهض ويرجع فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحر نعم الله قطع قس على الإجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حلدا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أنظم من قطرتين بحر لأن من علم شيئا من هذا أدرك ثمنه من مائة قوله تعالى - وإن صدوا نعمة الله لا تحسوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدارها وقواها بخيار لطيف يتصاعد من الأغلاط الأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضواري فلا يتهى إلى جزء من أجزاء البدن

فإن كان والله الريد
من الله تعالى يواقة
الشيخ وبعضها له
وما كان من عند الله
لا يختلف وإن كان
فيه شبهة تزول شبهة
الواقعة بطريق الشيخ
ويحسب الريد
علما بصحة الوقائع
والكشف فالريد
له في واقعة بخامره
كون إرادة في النفس
فيشتبك كون الإرادة
بالواقعة منما كان
ذلك أوقطة ولهذا
سر عجيب ولا يقوم
للريد باستصا شأفة
الكامن في النفس
وإذا ذكره للشيخ فما
في الريد من كون
إرادة النفس مفقود
في حق الشيخ فإن

لأوحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حتى وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً له بمحكمة وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح وعنه القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالسرجة والنار السوداء التي في باطن القلب له كالفتيلة والقضاء له كالزيت والحياة الظاهرة في مائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ معها انقطع غذاؤه وكان الفتيلة قد احترق فتصير رماداً بحيث لا تنقلب الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك النسم الذي نشبت به هذا البخار في القلب قد احترق بمرطحة حرارة القلب فينطفئ مع وجود القضاء فلا يقبل القضاء الذي يتى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تشتت النار به وكان أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كرج عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساده الفتيلة أوبخ عاصف أو يطفأ إنسان لا يكون إلا بأسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنواره التي كان يستضيئها من الروح هي أنوار الأحاساس والقدر والارادات وسائر ما مجمعها معنى لفظ الحياة فهذا يضار مزوجاً إلى عالم آخر من عوالم الله تعالى وعجائب صنعته محسنة لعل أنه لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى - عز وجل - فمما لمن كفر بالله تساو وسحقاً لمن كفر نعمت مسحقاً. فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته رسول الله ﷺ «سئل عن الروح فلم يزد من أن قال: قلب الروح من أمر ربى» (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه . فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فإن الروح يطلق للمان كثيرة لا تطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلتها جسماً لطيفاً تسميه الأطباء الأرواح وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علواً أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يبالجون، وضع الحذر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها وما لجونها بما يفتح السدة فإن هذا الجسم بلطفه يتقلد في شبك العصب وبواسطته يتأذى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل . وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر ربى كما قال تعالى - قل الروح من أمر ربى - والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها يقول أكثر الحلق وأما الأرواح والحالات ففاصرة عنها بالضرورة تصور البصر عن إدراك الأصوات وتزول في ذكر مبادئ وصفها بمقادير العقول لتقليد بالمجهر والمرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل ينور أخراً على وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية نسبت إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والحيال وقد خلق الله تعالى الحلق أطواراً فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك العقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ العقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه بعد

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربى متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب .

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان يفرغ وإنته إلى كمن هو النفس تزول وتبرأ من ساحة المرید ويتحمل الشيخ قبل ذلك لقوة حاله وحمة إيوائه إلى جناب الحق وكال معرشفه ومن الأدب مع الشيخ أن المرید إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالة الشيخ والمجهر عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكأن للدعاء أو قاتلاً وأدباً وشروطاً لأنه غاطية الله تعالى

وإنه مقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك للشرب أعز من أن يكون شربة لسلك وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولبنان الخلق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل اللبدان فكيف بالانتهاء إلى ماوراه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأتى بإصاف هذا في خزنة الأطباء ومن أين لطبيب أن يلاحظه بل للحن السمي روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالسكرة التي يحرکہا صولجان لللك بالإضافة إلى الللك فمن عرف الروح الطيب فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى السكرة التي يحرکہا صولجان لللك فظن أنه رأى لللك ولا يشك في أن خطأه فاعسى وهذا خطأ لا يخفى منه جدا ولما كانت القول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبتوه ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربي - وأما فقد ذكر في قوله تعالى - يأيها النفس اللطمة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي - ولترجع الآن إلى القرض فان القصد ذكر ثم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض ثم الله تعالى في آلات الأكل .

(الطرف الرابع : في ثم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة

وتصير صالحة لأن يصلحها الأذى بعد ذلك بجنسته)

اعلم أن الأطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لأخصي وأسباب متوالية لانتهائها وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الأطعمة إما أموية وإما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الأغذية فانها الأكل ولنأخذ من جعلتها حبة من البر ولنضع سائر الأغذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فليت وبقيت جانبا لما أوجبك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تنبت تمام حاجتك خلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يتنبت به كما خلق فيك فان النبات إنما يفرق في الحس والحركة ولا حناك في الإغذاء لأنه يتنبت بالماء ويجذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تتنبت أمت وتجذب ولنا نطلب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشير إلى غذائه . فنقول : كما أن الحشوب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتنبت بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ويجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء بمنزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً وإليه الإشارة بقوله تعالى - فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبنا الماء صيا ثم شققنا الأرض شققاً فأنبتنا فيها حيا وعينا وقصبا ونبونا ونخللا - ثم لا يكتفي الماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لتبليت لتفقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة بتغلل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضرب بهور وعصف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقص - وإعنا الفاحشا في إغراق الأزواج بين الهواء والماء والأرض ثم كل ذلك لا يفيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج إلى حرارة الريح والرياح والرياح قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج الماء لينساق

فقط قول مع الشيخ أسد
آداب وشروط لأهـ ن
معاملة الله تعالى وبـ آل
الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد نبه الحق سبحانه
وتعالى على ذلك فيما أمر
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
خطبته فقال - يأيها
الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين
يديكم نجواكم صدقة
بعض أمام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأذكروا حتى شقوا
عليه وأخفوه بالمسكة
فأدبهم الله تعالى
ونظمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار واليونان والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار والجبال والرياح والرياحين ثم الأرض ربما تكون مرعومة ولها لارتفاع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى اليوم وكيف سلب الرياح عليها لتسوقها بآذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب تهال حولها الماء ثم انظر كيف يرسل مدررا على الأرض في وقت الربيع والحريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة لحياء تنضج منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع والواشي وتم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحساؤها وأما الحرارة فالتأصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بدنها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحريف عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في القواكه اعتقاد وصلافة فتشفر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق التمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج القواكه ويضجها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والتمر وسائر الكواكب عليها كانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تضمد إذا ظلتها هجرة كبيرة وتعمر ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتظلم على رأسك الرطوبة التي يمر عنها بالزواك فكذا يرطب وأمسك يرطب الفاكهة أيضا ولا تظلم فيها لا تطلع في استقصائه بل تقول كل كوكب في السماء قد سخر لنور فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر لترطيب فلا تخلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحسانها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وبطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا بطلا - وقوله عز وجل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا سبعين - وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضوا لا فائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا فائدة والعالم كله كعضو واحد وأحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متماثلة تامون أعضاء بدنك في جملة بدنك وتشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن نلظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسببا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من التهي عن تصديق النجيين وعن علم النجوم (١) بل للنهي عنه في النجوم أمران : أحدهما أن تصدق بأنها قاعة لأثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر - والثاني تصديق النجيين في تخصيص ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في تدكيرها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقد كون الكواكب أسببا لأثار تحصل خلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان ملك ثوب غسلكه وتردد تخفيفه فقال لك غيره أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحسب النهار والماء لا يظلمك تسكينه ولا يظلمك الإنكار عليه بموافقه حى

وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند الحاجة فلما رأوا ذلك انشروا عن مناجاته فأما أهل الصفة فلا منهم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة لبخلوا ومنعوا فأشد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى - أأشققم أن نقدموا بين يدي نجاكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

(١) حديث التهي عن تصديق النجيين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اتقى من النجوم اتقى شعبة من السحر زاد ما زاد ولطيراني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإنسأدها ضعيف وقد تقدم في العلم ولعلم من حديث معاوية بن الحكم السلي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا تأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث .

المهوى على طلوع الشمس وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان قال قرعني الشمس في الطريق فأسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة وطلوع الشمس وبضه لبعض الناس كحصول أثر كام يشروق القمر فأنزل الكواكب ما خلقت عيالا بل فيها حكم كثيرة لأخصي ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فها عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته (١) ومناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قطع عنه معرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبيلته فله تعالى في ملكوت السموات والأفاق والحيوانات هجاب يطلب معرفتها المجهول له تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد مجزئ الوقوف على هجاب علمه جباله فكذلك الأمر في هجاب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف الصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تصنيف من تصنيف فلا تصعب من الصنف بل من الذي سخر للصنف لتصنيفه بما أتم عليه من هدايته وتيسيره وعمره كما إذا رأيت لعب للشهود ترقص وتتحرك حركات موزونة متتابعة فلا تصعب من القلب فاتها خرق محر كما لا تتحرك ولكن تصعب من خلق للشهود الحركة لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فأنزل للتصديق غذاء النبات لا ينبت إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا ينبت ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركزها فيها ولا تنبت الأفلاك إلا بحركاتها ولا تنبت حركاتها إلا بعلاقاتها سبابة بحركاتها وكذلك يتأدى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها حبسها بما ذكرناه على ما علمناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : نعم الله تعالى في الأسباب الوصلة للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد يمد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجارة وسلط عليهم حرص حب لئلا تشبهه الريح مع أنهم لا يفتنيهم في غالب الأمر شي بل يجمعون قايما أن يخرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يمتدوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورتبهم ولم يند أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجبل والنفقة عليهم حتى يتأدوا الشداد في طلب الريح ويركبوا الأخطار ويتروروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحواشي من أقصى المشرق والقرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحل في البراري وانظر إلى الأبل كيف خلقت وإلى القرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صورا على التبع وإلى الجمل كيف قطع البراري وتطوى للأحامل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليجعلوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فها عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته أي ترك تأملها التلوي من حديث ابن عباس فقط ولم يشكر فيها وفيه أبو جناب يحيى بن أدره حجة ضيف .

لم ينج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبي طالب قدم دينار اتصدق به وقال علي في كتاب الله آية ما حمل بها أحدي ولا يصل بها أحد بدي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال ماترى في الصدقة كم تكون دينار قال علي لا يطبقوه قال كم قال علي تكون حبة أو عشرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية ومات به الحق عليه بالأمر بالصدق ومات من حسن الأدب وحيد القنط والا حرام

إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما يحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتشادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للإيجاز .

(الطرف الثاني : في إصلاح الأطعمة)

اعلم أن الذي ينبت في الأرض من النبات وما خلق من الحيوانات لا يمكن أن يضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام بطول فلتين رغيفا واحدا ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يجر الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التمهيد بسقي الماء مدة ثم تقيّة الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم القروك والتفتيح ثم العطن ثم العجن ثم الخبز تأمل عدد هذه الأنفال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والحطب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والبراص والحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والسمان وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فإن قشقت علت أن رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لأكله يأسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فأيدي من الملك الذي يرعى المساكين ليزيل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الثلاث حتى تقبى التوبة إلى عمل الإنسان ، فإذا استدار طليه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن البراة التي هي آلة صغيرة فالتدبها خياطة لباس الذي يمنع البرد عنك لا تسلك صورتها من حديد تصنع للبراة لا بد أن تمر على يد الأبرى خمسا وعشرين مرة ويتماطى في كل مرة منها عملا ، فلم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر اليباد واقتضت إلى عمل النجمل الذي تصعد به البر مثلا بعد نباته لنفذ عمرك وهجرت عنه . أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال المجدبة والصنائع القوية فانظر إلى القراض مثلا وماها جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتوالان الشيء معا وقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ فضله وكرمه لمن قبلنا واقتضت إلى استنباط الطريق فيه فبكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل القراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوى أكل القول قصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها ، فبسبحان من الحق ذوى الأُصبار بالسبحان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بلدك من الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أحسن الصالح أو عن الحائك أو عن واحد من جهة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ، فبسبحان من سخر بعض اليباد لبعض حتى تفتت به مشيئته وتمت به حكمته . ولنويز القول في هذه الطبقة أيضا فإن الفرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

(الطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصناع الصالحين للأطعمة وغيرها لو شرقت آراؤهم وتافرت طباعهم تافرت طماع الوحش تشبذوا وتباعوا ولم يفتتح بعضهم بعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم فرض واحد ، فانظر كيف آتاه الله تعالى بين قلوبهم وسلطان الأنس والمجبة عليهم لواقفت على الأرض جميعا

مانسح ، والقائدة
باقية . أخبرنا الشيخ
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سلمان قال أنا
أبو الفضل أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
قال حدثنا سليمان
ابن أحمد قال حدثنا
مطلب بن شعيب قال
حدثنا عبد الله بن صالح
قال ثنا ابن لميعة
عن أبي قبيل عن
عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول ليس منا من
لم يعمل كثيرا ورحم
صغيرنا ويعرف لعالمنا
سقه ولم يحترم العلماء
نوفيق وهدايتهم
ذلك خذلان وعقوق .

مألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلاجل الإلتصاف بأرواح اجتماعوا والتفوقوا بنوا للدين والبلاد وربوا للساكن والدور مقار بمجاورة وربوا للأسواق والمخانات وسائر أمانات البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه الحبة تزول بأغراض يزاحمون عليها ويتنافسون فيها في جبة الإنسان النيط والحسد والثافسة وذلك مما يؤدي إلى القتال والتنازع فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمد بهم بأقوة والعدة والأسباب والتي رعيهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكراهة كيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تعاون على غرض واحد ينفع البعض منها بالبعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وأزومهم التساعدوا لتعاون حتى صار الحداد ينفع بالخصاب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم ينفعون بالحداد وصار الحجام ينفع بالحراث والحراث بالحجام وينفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كأي تعاون جميع أعضاء البدن وينفع بعضها ببعض وانظر كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أملحوا السلاطين الصالحين للرعايا وعرفهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة أحكام القوم ما اعتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما رددوا من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللاتكة وكيف أصلح لللاتكة بعضهم بعضا إلى أن ينتهي إلى الملك القرب الذي واسطة بينه وبين الله تعالى فالخارج غير الصين والطمان يصلح الحب بالطن والحرث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والتبجير يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات للصالحين لآلات الأطنمة والسلطان يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والماء يصلحون السلاطين واللاتكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي بنوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - لما أهدينا إلى معرفة هذه البنية اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا جزله إيانا عن أن نطعم بين الطمع إلى الإحاطة بكنهه نعمه لتشوقنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وإن تدروا نعمته الله لأحصىوها - فإن نكلمنا فإنه ننسئنا وإن سكتنا فيقهره أعضائه ، إذ لا مطلق لما سمع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحمد لله الذي ميزنا من الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللاتكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق اللاتكة بأصلاح الأنبياء عليهم السلام وهذا بينهم وتبليغ الوحي إليهم ولا تخلف أنهم مقتضون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات اللاتكة كثرته وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات : اللاتكة الأرضية والسماوية وحمة الشرع . فانظر كيف وفكهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والشقاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهدى إلى الأرشاد وغيره . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يقتدى إلا بأحد بكل ميسم من اللاتكة هو الله في عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك ويأمن معنى النداء أن يقوم جزء من النداء مقام جزء وقد تنفخ ذلك النداء صير دما في آخر الأمر ثم يصير لحمًا وعظما . وإذا صار لحمًا وعظما ثم اقتدوا كوكبهم والهمم والهمم أجسام ليس لها قدرة ومعركة واختيار فهي لا تتحرك بأفعالها ولا تتغير بأفعالها مجرد الطبع لا يكتفي في ترددها في أطرافها كما أن البر بنفسه لا يصير طعنا ثم يحينا ثم خيرا مستديرا غيورا إلا بسناع فكذلك لهم بنفسه لا يصير لحمًا

[الباب الثاني والحبون
في آداب التبضع وما
يعتمد مع الأصحاب
والثلامنة]
أم الآداب : أن
لا تعرض الصادق
للتقدم على قوم ولا
تعرض لاستجلاب
بواطنهم بلطف الرفق
وحسن الكلام عبة
للاستباحت قافا رأى
أن الله تعالى يبعث
إليه المرسلين
والمسترشدين بحسن
الظن وصدق الإرادة
يحلل أن يكون ذلك
إتلاء وامتناعا من
الله تعالى والنفوس
محبوبة على عبادة إقبال
الخلق والشهرة وفي
الحول السلامة فإنا بلغ
الكتاب أبهوتنكن

وعظما وعروقا وعصبا إلا صناع والصناع في الباطن هم اللائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد . وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تنفل عن نعمه الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة اللحم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والورق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفائض من حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلقى ما كتب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يعي القادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يطل استدائره وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالجوف مالا يطل تجوفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غذه لكبر أهوه وبطل تجوفه وتشوهت صورته وحلقت به لبنى أن يسوق إلى الأجنان مع رقتها إلى الحديقة مع صفاتها وإلى الأخاد مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يلحق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بسى للواضع وضف بسى للواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلا لقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في صنفا من رجل واحد ورجل واحدة كأنها رجل صبي فلا يتنفع بنفسه البتة فراعته هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من اللائكة ولا تظن أن الله بطبعه يهندس شكل قهقهة فان يحيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقوله فهذه هي اللائكة الأرضية وقد غفلوا بك وأنت في النوم تستريح في الغفلة تردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا فضيل ذلك للإيجاز واللائكة الأرضية مددوم من اللائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد اللائكة السماوية من حمة العرش والنعم على جلته بالتأييد والهداية والتشديد المعين القدوس المتفرد بالملك والملكوت والمنة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام هو الأخبار الواردة في اللائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سعاب ينجر من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فذلك تركنا الاستسعاد به . فان قلت فلو فوضت هذه

(١) حديث الأخبار الواردة في اللائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سعاب ينجر من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اتصع وفيه حتى أن السماء الثانية فقال لحازنها اتصع الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين ينفثون عن أمقي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضة قسه على عبد الله بن قنادة ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور البجلي في مسند القردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا تحت ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بصير البكر الأدي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف والطبراني من حديث أبي النرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة يزولون في كل ليلة يحسون السكالات عن ذواب النزاة إلا دابة في عتقها جرس ولترمذى وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهوديا بالقاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من اللائكة موكل بالسحاب ولمس من حديث أبي هريرة بينا رجل بخلاته من الأرض سمع صوتا من سحابة اسق حذقة فلان فتسنى ذلك السحاب فأفرغ مائه في حرة الحديث.

الصعد من حاله وحلم
بتعريف الله إياه أنه
مراد بالارهاق والتعلم
للبردين فيكلمهم
حينئذ كلام الناصح
المشتق من والد الولد بما
ينفعه في دينه ودنياه
وكل مرشد ومسترشد
ساقه الله تعالى إليه
يراجع الله تعالى في
معناه ويكثر الجأ إليه
أن يتولاه فيه وفي
القول معه ولا يتكلم
مع المرشد بالكلمة
إلا وقلبه ناظر إلى الله
مستعين به في الهداية
للسواب من القول
صحت شيئا بالتعجب
السور وردى رحمه الله
بوصى بعض أصحابه
وقول لا تسكلم أحدا
من الفقهاء إلا في أصنى

الأضال إلى ملك واحد ولم أنثر إلى سعة أملاك والخطئة أيضا تحتاج إلى من يطعن أولام إلى من يميز عنه التخالفة ويدفع القضية ثانيا ، ثم إلى من يسب للآء عليه ثالثا ، ثم إلى من يسجن رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرتكبا عفا نعر يشتماسا ، ثم إلى من ياصفها بالتور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال اللائكة بادئا كأعمال الانس ظاهرا ؟ فاعلم أن خلقه اللائكة تخالف خلقه الانس وما من واحد منهم الا هو وحدثني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الاصل واحد : وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما منا إلا الله مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل متالم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وقوله مثال الحواس الخفى فان البصر لا يحاس السمع في إمدادك السموات والارض ثم زعموا ولا ما يتازعان الكم وليس كالكيد والرجل فانك قد تبطى بأصابع الرجل بطشا ضيفا قترام به اليد وقد تقرب غيرك برأسك قترام اليد التي آفة الضرب والا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه العلم والعبادة والجنز فان هذا نوع من الاعوجاج والدول من الضل سية باختلاف صفات الانسان واختلاف ادعائه فانه ليس وحداني الصفة فم يكن وحداني الفعل وذلك نرى الانسان يطبع الله مرة ويصيب أخرى باختلاف ادعائه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع اللائكة بل هي مجبولون على الطاعة لاجال العصية في حتمهم فلا جرم لا يصون الله مأمروهم ويضلون ، ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يغترون والرا كع منهم را كع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقاتم قائم أبدا باختلاف في أقاصمهم ولا تخور ولكل واحد مقام معلوم لا يشده وطاعته لله تعالى من حيث لاجال الصفا فيهم يمكن أن تشبهه بطاعة أطرافك لك ، فانك مهما جزمت الارادة بفتح الأجنان لم يكن للجن السجح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومصيبتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك يفتح وينطبق متصلا بإعراك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذ لا يظنن لاعم له بما يصدر منه من الحركة فتعا وإطباغا ولللائكة أحياء مالون بما يصونون فاذن هذه نعمة الله عليك في اللائكة الأرضية والسموية وحاجتك إليها في فرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذلك ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وجامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحت جامع الطبقات ، فاذن قد أسبح الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - ودروا ظاهر الإيم وباطنه - فترك باطن الإيم بما لا يعرفه الخلق من المجد وسوء الظن والبذعة وإظهار الشر للناس إلى غير ذلك من آتام القلوب هو العكر كنتم الباطنة وترك الآم الظاهر الجوارح عكر كنتم الظاهرة ، بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظيفة واحدة بأن قنع بجنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى اللائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملة نعمة على كل واحد من الابد قدم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى في كل عطرفة الجفئن نمتين في نفس الجفئن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن هور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إلى البياض يرقق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون ما خلفها هو المذهب إلى باطن العين ومتشبها للأنف الذي تتنفس في الهواء وله في كل حجرة منها نمتان من حيث لين أسهلها مع العين توام نصبا وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قديمن من قش العين ولو لم يطبق إلى بصر فيجميع الأجنان مقدار ما تشابك الأهداب فينظر من وراء هياك الشر فيكون هياك الشر ما من من وصول القذى من خارج وغير ما من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار قد خلق

أولئك، وهلموسية
نافذة لأن الساحة ضح
في سمع للرب الصادق
كالبية تنع في الأرض
وقد ذكرنا أن الحبة
القاسدة تهلك وتضيع
وفساد حبة الكلام
بالملوى وقطرة من
الطوى تكدر بحرا
من العلم فسد الكلام
مع أهل الصدق
والارادة يثنى أن
يستمد القلب من الله
تعالى كما يستمد اللسان
من الجنان وكما أن
اللسان ترجمان القلب
يكون قلبه ترجمان
الحق عند السبد
فيكون ناظر إلى الله
مصفا إليه متقبلا
ماورد عليه مؤبدا
للامانة في ثم يثنى

أطراف الأجفان خادمة منطبقة على الحدقة كالصقعة للآراء فيطبقيها مرعاً ومربين وقد انصرفت الحدقة من الثياب وخرجت الأقداء إلى زوايا العين والأجفان والقداب لمالم يكن لحدقة جن خلق له يدين قراء على الدوام يسبح بها حديثه ليصلحها من الثياب وإذا تركها الاستقصاء لفصائل النعم لاقتضاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا نستألفه كتاباً متصوفاً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسبحه بحائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم فقد كفر بنسخ العين نعمة الله تعالى في الأجفان ولا تحوم الأجفان إلا بين ولا العين إلا رأس ولا الرأس إلا جامع البدن ولا البدن إلا بالبدن ولا النذاء ولا النذاء إلا بالشاء والأرض والهواء والطر والشم والشمس والقمر ولا تقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكلكل كالتى الواحد يربط البعض منه البعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فلا بد من كذا كل نعمة في الوجود من منتهى الترتيب إلى منتهى الترتيب فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد ولا يوليه وذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا عرفوا أو تستغفر لهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر (٢) وأن اللائكة يلغون الصلاة (٣) في أفاض كثيرة لا يمكن إحصائها وكل ذلك إشارة إلى أن الماصي بنظرية واحدة جن على جميع مافي ذلك ولللكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تصحوها فيبدل الله بالاستغفار نفس الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبد لي من الآدميين إلا ومني ملكان فإذا شكرني على نعمائي قال لللكان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فسكر من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعنى أني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تبعهم والآثار تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفتين نعمة كثر فاعلم أن كل نفس تبسط وتقبض نعمتين إلا بتبسطها يخرج الدخان المحرق من القلب ولولم يخرج لهلك وباقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولولم تنفسه لاحترق قلبه بالقطع روح الهواء وردت عنه وهلك بل اليوم الآية أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فليكن في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى - وإن تدوا نعمة الله لأحوصها - قال ألمي كيف أشكرك ولك في كل شجرة من جديس نمتان أن ليفت أصها وأن طعست رأسها وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في معلمه ومشر به قد قل علمه وحضر عذابه وجميع ماذكراته يرجع إلى اللعلم والشرب فاعتبر مامواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده لا يتحقق أن الله فيه نعمة عليك فلنرك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر الخلق عن شكر النعمة إلا بالجهل والنفقة فانهم ممنوا بالجهل والنفقة عن معرفة نعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المرتبتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلعنهم إذا عرفوا أو تستغفر لهم لم أجده أصلاً (٢) حديث إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر تقدم في الم (٣) حديث إن اللائكة يلغون الصلاة من حديث أبي هريرة اللائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديثه وإن كان أخاه لأبيه وأمه.

لشيخ أن يعتبر حال الردين ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم وللمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحته واستعداده فمن الردين من يصلح لتبديد الخس وأعمال القبول وطريق الأبرار ومن للردين من يكون مستعداً ساعداً للقرب وسواك طريق للفرين للرادين عمادة القلوب والعاملات السنية ولكل من الأبرار والفرين مبادونهايات فيكون الشيخ صاحب الانشراح على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والسبب أن الصراوى

واستلاب الشيطان . أما النفقة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجهلهم لا يدون ما يسع الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبدولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يمد نعمة ولا ترام يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمنتهى لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقل بظوبة الماء ماتوا غمما لأن الجبل واحد منهم شيء ومن ذلك ثم تجاوزا قدر ذلك نعمة وشكرا لله عليها وهذا غاية الجبل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكروا في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تسمى عينه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكركم وعده نعمة وما كانت رحمة الله واسعة عظم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يعد الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل البعد السوء حقه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تخلف به منة فإن تركه ربح على اليوم غلبه البطر وترك الشكر ضار الناس لا يشكرون إلا للال الذي يتطرق الاختصاص إليهم من حيث السكرة والقة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكوا بعضهم قهره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتنامه به فقال له أيسرك أنك أحمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أيسرك أنك أقطع الدين والرجلين ولك عشرة آلاف فقال له فقال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أما نسيتي أن تشكروا مولك وله عندك عروض بخسين ألفا . وحكي أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به إذ فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنيتناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فصدق عليه سورة ثم قال فلك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن الهك على بعض الخلفاء ويده كوز مذهب به فقال له عظمي فقال لو لم تعط هذه الثروة إلا ليند جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا بين أن نعمة الله تعالى على البعد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة . وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فتقول ما من عبد إلا ولو آمن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعمًا كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يتوقف على كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والهم أما العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به للتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أفضل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر أمت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثر من حيث لا يدري فيقرب فرحه بحسب اعتقاده ويحق شكره لأنه في حقه كالأب وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبًا يكرهها أو أخلاقًا يسموها أو إغايا يمتدحها من حيث يرى نفسه بريئا فإذا لم يشتغل بالنير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى لإحسان خلقه وإجلاله غيره بالخلق السي . وأما العلم فما من أحد إلا يعرف من يواظب أمورهم ويخافهم أن يفسدوا ما هو معترده به ولو كشف التطاء حتى اطلاع عليه أحد من الخلق لافترض فكيف لو اطلاع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عليه به

يبلغ الأراضى والتروس
ويعلم كل غرس وأرضه
وكل صاحب صنعة يعلم
منافع صنعة ومضارها
حتى للراة تعلم قطنها
وما يأتي منه من النزل
ودقته وغظله ولا يعلم
الشيخ حال للريد
وما يصلح له . وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلم الناس
على قدر عقولهم
وبأمر كل شخص بما
يصلح له فهم من كان
بأمره الاتفاق ومنهم من
أمره بالإسك ومنهم
من أمره بالكسب
ومنهم من قرره على
ترك الكسب كأصحاب
الصفة فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يتصرف بها كل عبد إماما مطلقا وإمامي بعض الأمور فنلتزل
عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أهم منها قليلا فنقول : ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو
شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بطنه أو رفيقه أو آثاره أو وعده أو جاهه أو في
سائر عياله أموراً لو سلب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن يجهل مؤمنا
لا كافرا وحييا لا مجامدا وإنسانا لا بهيمة وذكرنا لأشئ وصحيفا لا مريضا وسليبا لا مصيبا فإن كل هذه
خصائص وإن كان فيها محوم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها بل له أمور
لا يبدلها بأحوال الأدميين أيضا وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدل بمخاص به أحد من المخلق أو لا يبدل
بما خص به إلا أكثر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان
لا يعرف شخص يرتضى نفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإمامي أمر خاص فإذا نال في الله تعالى عليه
نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى
عدد النبيين عند فاته لأهله برام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير
عما هو فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم
الله عليه وما باله لا يسوي ديناه. يدينه أليس إذا لامته نفسه على ميثبه يقارنها بسندرها بأن في القساق
كثرة فينظر أبدا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان
حال أكثر المخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر المخلق فكيف لا يلقمه الشكر،
ولمذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه
الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا
شاكرا » (١) « فاذن كل من اعتبر حال نفسه وقتش مآخضه بوجوهه تعالى على نفسه لعماء كثيرة لا سيما
من خص بالسنّة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك وذلك قيل :

من شاء عيشا رحيما يسطيل به في دينه ثم في دينه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه ورعا ولنظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله » (٢) « وهذا إشارة إلى نعمة العلم والقال
عليه السلام « إن القرآن هو الثقل الذي لا يخفى بعده ولا قهر معه » (٣) « وقال عليه السلام « من آتاه الله
القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استبرأ بآيات الله » (٤) « وقال عليه السلام « ليس من آمن بالقرآن » (٥) «
وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى » (٦) « وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب التزلة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا
الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه للثني بن الصباح ضعيف (٢) حديث
من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الثقل الذي لا يغناه بعده
ولا قهر معه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن القرآن غنى لا قهر بعده ولا غنى
دونه قال المصنف في رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلا وهو أشبه
بالصواب (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استبرأ بآيات الله البخاري في
التاريخ من حديث جراح التنوي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وطن أن أحدا أو في أفضلهما أو في قد
صغر أعظم النعم وقد تقدم في فضل القرآن وجاء مختلف في صحته وورده من حديث عبد الله بن عمرو وجابر
والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث ليس من آمن بالقرآن تخدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى
باليقين غنى الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقوفا عليه وقد تقدم.

يخوف أو ضاع الناس
وإنما يصلح لكل واحد
في رتبة الدعوة
فإن كان يعم الدعوة
لأنه مبين للإيمان
الطبعة وإشباع الحاجة
يدعو على الإطلاق ولا
يخص بالدعوة من
يفرس فيه الهداية
دون غيره . ومن
أدب الشيخ أن يكون
في خاوة خاصة ووقت
خاص لا يسه فيه
معاناة المخلق حتى
يبيض على جلوه فائدة
جلوه ولا تدمي نفسه
قوة ظنا منها أن
ليستدأمة الخاطلة مع
المخلق والكلام معهم
لا يضره ولا يأخذ منه
وأنه غير محتاج إلى
الحلوة فإن رسول الله

إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نسق عن سلطان يأتيه وطيب يدأويه وعسا في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت بأبيك هكذا الصمة والأمن
وأصبحت أبا حسن فسلأ قارتك الحزن

بل أرقق البارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق الفناد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا للنبي فقال « من أصبح آمنا في سربه ماعى في بدنه عند الموت يومه كمن أصبح آمنا في سربه ماعى في بدنه »^(١) ومهما تأملت الناس كلمهم وجدتهم يشكون ويتألون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي يوصلهم إلى النعيم للقيم والملك العظيم بل البصير يبين أن لا يخرج إلا بالعرفه واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما داخل تحت قدرة ملك الأرض من الشرقي إلى الغرب من أموال وأتباع وأصار وقيل له خذها عوضا عن ملكك بل عن عشر عشر ملكك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تقضى به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بك الله فغلبه الذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذ علمه بأن الله العلم دائما لا تقطع وباقية لا تسرق ولا تنصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوهة لا يضى مرجوها يخوفها ولا لذاتها بألمها ولا فرحها فيها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقى الزمان إذا خلقت لذات الدنيا لا لتجلبب بها القبول الناقصة وتضع حق إذا أخذت وتهدت بها أبت عليها واستصحت كالمرأة الجليل ظاهرها زين للشباب الشقي الثنى حتى إذا تهدبها قلبه استصحت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في حب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغتراره بقله النظر إليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك الآلة سلم جميع عمره فهكذا وقعت أرباب الدنيا في شبك الدنيا وباجلها ولا يبين أن هول إن العرض عن الدنيا تألم بالصبر عنها فإن القبل عليها إضافة تألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع الصوص عنها وتألم للعرض يضى إلى لمة في الآخرة وتألم للقبل يضى إلى الألم في الآخرة فليقرأ للعرض عن الدنيا على نفسه قوة تعالى - ولا يهتوا في ابتناء القوم إن تكونوا تأملون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون - فاذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بشروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة . فان قلت فما علاج هذه القلوب النافقة حتى تشمر بنعم الله تعالى فمساها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فملاجه التأمل فيارمزنا إليهم من أصناف نعم الله تعالى السامة وأما القلوب البليدة التي لا تدرك النعمة نعمة إلا إذا خسبها أو عشت بالبالد معها فببيله أن ينظر أبدا إلى من دونه ويغفل ما كان يفضي بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار للرضى والقابر وللواضع التي تضم فيها الحدود فكان يحضر دار للرضى ليشاهد أنواع بلاه الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يتناولون وتقطع أطرافهم ويدبون بأنواع العذب يشكر الله تعالى على عصمته من الجنائيات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر القابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الوقي أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فان يوم القيامة يوم التناوب فالطبع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غنى إذ ضيقت بعض الأوقات في الباحات وأما العاصي فتنه ظاهرا فذا شاهد القابر

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع
كامل حاله كان له قيام
الليل وصلاوات يصلها
ويدوم عليها وأوقات
يغلو فيها قطع البشر
لا يستثنى عن السياسة
قل ذلك أو أكثر
لطف ذلك أو كثر
وكم من مغرور قانع
باليسير من طيبة القلب
أخس ذلك رأس
ماله واشترى بطيئة
قلبه واسترسل في
للمازجة والمخالطة
وجعل نفسه مناخ
للباطلين بلقمة تؤكل
عنده ويرفق بوجود
منه فيقصده من ليس
قصد الدين ولا يفته
سلوك طريق للتقن
فانفك وأتقن وبقي في
خطة التصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما يقى فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الأمال في كل نفس من الأفاض وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزوُّج ومن الدنيا الآخرة فهذا علاج هذه القلوب الفاتكة لتشعر بنعم الله تعالى فساها تشكروا وقد كان الربيع بن خثيم مع حمام استبحاره يستمين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبر انسان يضع خلا في عنقه وينام في طئه ثم يقول ربنا رجون لى عمل صالحهم يقوم ويقول الربيع قد أعطيت مأسأت فاعلم قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد . وما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليك بملزمة الشكر على النعم قبل نعمة زالت عن قوم فسادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشة فقيدها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه ^(١) . لأن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يشير ما يقوم حتى يشيروا ما بأنفسهم - فهذا حمام هذا الركن . الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

(بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد)

لذلك يقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجوده أصلا لما معنى الصبر إذ وإن كان البلاء موجودا لما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعى ألما والشكر يستدعى فرحا وما يتضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بآبائنا النعمة يوجب القول بآبائنا البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسادة الصبر بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالاعيان وحسن الخلق وما يصيب عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كمال الذي يصلح الدين من وجه ويغسله من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالجسد من الله تعالى إمامة وإما أبدا وأما في الدنيا فالسكر واللعية وسوء الخلق وهي التي تنفض إلى البلاء المطلق وأما للتقيد فكالفقر والمرض والحفوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر للطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا قد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا اللعية بل حق الكفار أن يترك كفره وكذا حق العاصي ثم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كره بعقله ولا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه حاض عليه ترك اللعية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى الصبر إزائته قاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الذي مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الانسان حتى قصد بسببها فقتل وقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلطف لإعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة للحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

إذرة الفتور لما يستغنى
الشيخ عن الاستعداد
من الله تعالى والتضرع
بين يدي الله عليه إن لم
يكن بالله وقليه فيكون
له في كل كلمة إلى الله
رجوع وفي كل حركة
بين يدي الله خضوع
وإنما دخلت الفتنة على
الغفوريين للدين القوة
والاسترسال في الكلام
والخاطلة لقصة
معتقهم بصفات النفس
واختراهم يسير من
الوهبة وقلة تأديهم
بالشيوخ . كان الجنيد
رحمه الله يقول لأصحابه
لو علمت أن مسلاة
ركبتين لي أفضل من
جائوس معكم ما جلست
عندكم فإذا رأى
الفضل في الخلة خلوا

والصحة أيضا كذلك لما من نعمة من هذه النعم الدينية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه في ذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله قريب بعد تكون الحيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله ليضر ويضرى قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو محب كما يحصى أحدكم مريضه (١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فاتها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضعافها إذن فما في جهنم إذ قد سبق أن للمعرفة كمال ونعمة فاتها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قد ضاع نعمة مثله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنصص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهل بما يضره الناس عليه من مكاره وأقرب نعمة عليه إذ لو رغب الستر واطلع عليه لطال آله وحقدته وحسده واعتقاله بالانتقام وكذلك جهل بالصفات للنعمة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهل بالحاصل المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانتة ولو عرف ذلك وأدرك أن إثمه لأعظم فليس من أذى نيا أو وليا وهو يعرف كمن أذى وهو لا يعرف ومنها إهمال الله تعالى أمر القيامة وإهماله ليل القدر وساعة يوم الجمعة وإهماله بسن السكائر في كل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فلهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التألم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من الصلبة كقطع يده وقصه ووجعه بشرة فانه يتألم به وهو حاس به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق المذاب وعذب بها أهلها لم يعرف المتمسكون بقدر نعمه ولا أكثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تحسروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة بيدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض فيجهدون في محاربه ولكن زينة السماء لمحت لم يعرفوها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه سكة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على الليل أو على غير الليل فاذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجسع فيها على العبد وتظفنان الصبر والشكر جميعا . فان قلت فيما مضى لادن فكيف يجتمعان لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد يتم به من وجه ويخرج به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاعتماد والشكر من حيث الفرح وعلى كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح السائل بها ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصير أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تنهاى فلو ضيق الله تعالى وزادها ماذا كان يرده وعجزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا . الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبتة في دينه . قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل الامن بيتي

(١) حديث أن الله ليحصى عبده الدنيا الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وإذا رأى الفضل في
المسئلة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوسه
في حياطة خلواته وجلوسه
مريدا خلواته في هذا
سر وذلك أن الأدمي
ذو تركيب مختلف فيه
تضاد وتضارب على
ما أسلفنا من كونه
مترفدا بين السلى
والعلاوى ولما فيه من
التضارب له حظ من
القنوت عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل في وقت
الفسترة للمريد بن
والسالكين قنيتهم .

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما ابتليت بلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع ثم إذ لم يكن في حفي وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق خفيته السلطان فأرسل إليه يلمه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضره فأرسل إليه يلمه ويشكو إليه فقال اشكر الله فجنى بمجوسى خفيته عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فيكتب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا قال لو جعل الزنار الذى في وسطك على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن مامن إنسان قد أصيب بلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهر أو باطن في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يدك فترك أحداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر قبيل له ما هذه للسجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النازر فالانقصار على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتسب الأمطار فقال أنت تسبطنون للطر وأنا أستبطئ الحجر . فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت مصيبتهم على مصيبتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار . فاعلم أن الكافر قد خفي له ما هو أكثر وإنما أهمل حتى يستكثر من الآثم ويطول عليه الغياب كما قال تعالى - إنما علم لي لزادوا إنسا - وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأعلم من شرب الخمر والزنا وسائر الماصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم له قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وهجت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يقضى عنها بأسباب أخر تهون للصية فيخفف وقصها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تتم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى إذ أسباب التسلى مقطوعة بالكيفية في الآخرة عن اللذيين ومن هجت عقوبته في الدنيا فلا يجاقب ثانيا إذ قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن البعد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فآله أكرم من أن يذبه ثانيا (١) » الرابع أن هذه الصية والنية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع التبراف واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة . الخامس أن نواها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما الوجه الذى يكون به الدواء الكربة نعمة في حق المريض ويكون النعم من أسباب اللب نعمة في حق الصبي فانه لو لم يولد واللعب كان يمنة ذلك عن العلم والأدب فكان يحس جميع عمره فكذلك اللال والأهل والأقارب

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء في الدنيا فآله أكرم من أن يذبه ثانيا الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فآله أعد من أن يثني عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فبطل عقوبته في الدنيا وقال حسن والشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فزوق به فهو كفارة له الحديث.

واستزواج النفس
وركون إلى البطالة
بلغ رتبة للشيخ
انصرف قسم قهرته إلى
الحلق فأطلع الحلق
بقسم قهرته وما صنع
قسم قهرته فكيفه في
حق الريدن فالمريد
يعود من الفترة بقوة
الشدة وحدة الطلب إلى
الإقبال على الله والشيخ
يكتسب الغيبة من قهر
الحلق بقسم قهرته
ويسود إلى أوطان
خلوة وخاص خاله
بنفس مشربة أكثر
من عود الفقير بمحنة
إرادته من قهرته فيعود
من الحلق إلى الخلوة
متزيع القنور يقب
متعطى وافر الثور
وروح متخلصة عن

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالمحمدة غذا يتمنون لو كانوا بجانبين أو سبيبا ولم يتصرفوا بقولهم في دين الله تعالى فإذن شيء من هذه الأسباب يوجد من البعد ولا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فلهذا أن يحسن الظن بالله تعالى ويتدبر فيه الحيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا إن شاء الله تعالى الله على البلايا كاشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذاه وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرج ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روى **أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنه الله في شيء فغضب عليك** (١) **ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فمثل قال هبت قضاء الله تعالى للؤمن إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالفراء رضى وكان خيرا له** (٢) **الوجه الثاني أن رأس الحماة للهكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار القربى وموادة النعم من وفق الراد من غير امتزاج بلاء ومصيبة تحوّل طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وألسه بها حتى صير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب أزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأمن بها وصارت سببا عليه وكانت بهاته منها غاية الفكاك لخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم **الدنيا سجن للؤمن وبجة الكافر** (٣) **والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن إليها والؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا شديد الخوف من الخروج منها والكفر به ظاهر وبضه خفي ويشكر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الخفي بل للوحد المطلق هو الحق لا يجب إلا الواحد الحق فإذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب القربى وأما التأمّل فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجابة بمن يتولى حجابك جانا أو يبتك دواء ناقصا بها جانا فانك تألم وتضرع قصير على الألم وتشكره على سبب القربى فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في تلك بل من دخل دار ملك للتضارة وعلم أنه يخرج منها لاهالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالأ وبلاء عليه لأنه يورثه الأذى بمنزل لا يمكنه القيام فيه وكان عليه في القيام خطر من أن يطلع عليه لذلك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نشره عن القيام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحمة ومن خارجون عنها من باب العبد فكل ما يحق أنسهم بالقرن فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم فيها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب الصلوة أكبر من الصلوة لم يتصور منه الشكر على الصلوة . وحتى أن أعرابيا عزي ابن عباس على أبيه قال :****

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنه الله في شيء فغضب عليك أحمد والطبراني من حديث جعابة بزيادة في أوله وفي إسناده ابن خزيمة (٢) حديث ينظر إلى البلاء فضحك فمثل قال هبت قضاء الله للؤمن الحديث مسلم من حديث صبيحون نظره إلى السماء وضحك عيا لأمر للؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وللنفس في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص هبت من رضاء الله للؤمن إن أصابته خير حمدته وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن للؤمن وبجة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالبة الأغيار
قائمة بمدة شغلها إلى
دار القربى . ومن
وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الإرادة
والطلب والقرول من
حقه فيما يجب من
التبجيل والتعظيم
للشايخ واستعماله
التواضع . حتى الرقى
قال كنت بمصر وكنت
في المسجد جماعة من
القرءاء جاؤوا فدخل
الرفاق قدام عند
أسطوانة يركع قلنا
يسرع الشيخ من
صلاته وقوم لمسلم عليه
قلنا فرج جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
قال ما صلب الله

اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بسد صبر الراس
خير من الصبر اجرك بسده والله خير منك للعاس
قتال ابن عباس ما عانى أحد أحسن من تزييته، والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة فالرسول
الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يصبره»^(١) وقال عليه السلام قال الله تعالى «إذا وجهت إلى عبد
من عبيدي مصيبة في بدته أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن
أصيب له ميزانا أو أنشر له ديوانا . وقال عليه السلام «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى
- إن الله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كرمته جزاؤه أخلد في داري والنظر إلى وجهي» وروى أن
رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال عليه السلام «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره»^(٢) وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لتكون
له الدرجة عند الله تعالى لا يلبثها بعمل حتى يبتلى بلاء في جسمه فيلثها بذلك»^(٣) وعن خباب بن
الأرت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكونا إليه
قلنا يا رسول الله ألا ندعو الله تستنصره لنا جلس عمرا لونه ثم قال «إن من كان قبلكم يؤتى بالرجل
فيحفر له في الأرض حفرة ويحاه بالثشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصره ذلك عن دينه»^(٤)
وعن علي كرم الله وجهه قال : أما رجل حبه السلطان ظلمات فهو شهيد . وإن ضربه فبات
فوق شهيد . وقال عليه السلام «من أجل الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك»
وقال أبو البرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للوثة وتممرون للخراب وتعمرون على ما يفي وتلدرون
ما يقي الأحياء المكروهات الثلاث الفقر والمرض والوثة . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا أو أراد أن ينافيه صب عليه البلاء صبا وثجبه عليه نجا فإذا دعا قالت
لللاكة صوت معروف وإن دعا نائيا قال يارب قال الله تعالى ليك عبدي وسعديك لئلا أسأني
شيئا إلا أعطيتك أودعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة
جاء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

(١) حديث من يرد الله به خيرا يصبره البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أن
رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث
أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حديث أن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يلبثها بعمل
حتى يبتلى بلاء في جسمه فيلثها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن التيم من حديث محمد بن
خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية الأولي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا
الوجه ومحمد بن خالد لم يروعه إلا أبو الليث الحسن بن صهر الرقي وكذا ثبت لم يروعه إلا ابنه محمد
وذكر أبو تميم أن ابن منده سمى جده الجلاج بن سليم فله أعلم وعلى هذا فابنه خالد بن الجلاج
العامري ذلك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من
رواية عبد الله بن أبي ياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم
السلمي عن أبيه عن جده فله أعلم (٤) حديث خباب بن الأرت أتينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث تقدم .

فلم يهتد قط حتى
ما تفيدت بأن أحترم
وأقصد . ومن آداب
الشيوخ التزول إلى
حال المريدين من
الفرق بهم وبسلطهم .
قال بعضهم إذا رأيت
الفقير الله بالرفق ولا
تلقه بالعلم فإن الرفق
ؤنس والعلم يوحشه
فاذا فصل الشيخ
هذا للمعنى من الرفق
يتدرج الريد بركة
ذلك إلى الانتفاع
بالعلم فبما جئت
بصريح العلم . ومن
آداب الشيوخ
التخطف على الأصحاب
وقضاء حقوقهم في
الصحة والمرض ولا
يترك حقوقهم اعتادا
على إرادتهم وصدقهم

فود أهل العاقبة في الدنيا لو أنهم كانت تعرض أجسادهم بالمقاريس لما يرون ما يذهب به أهل اللامعة
 الثواب » فذلك قوله تعالى - إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب (١) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى
 عنهما قال شكاني من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه قال يارب البديل المؤمن يطعمك ويغتنب معاصيك
 تروى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون البديل الكافر لا يطعمك ويغترى عليك وعلى معاصيك
 تروى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاد لي وكل ربسبح بحمدي فيكون
 للمؤمن عليه من الدنيا فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة تدنو به حتى يلقى الله فأجزيه
 بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى
 يلقى الله فأجزيه بسأته . وروى أنه لما زلزاله تعالى من حمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي
 الله عنه كيف الترح بعد هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست
 تعرض ألست بيسيدك الذي ألست تحزن فلهذه مما تجزون به (٢) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة
 لدنوبك . وعن عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأى الرجل بعينه الله ما يحب
 وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فظننا سوادا كروا به فتحننا عليهم
 أبواب كل شيء - (٣) » يعني لا تتركوا ما أمروا به فتحننا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا أي
 بما أعطوا من الخير أخذناهم بنقطة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة قرأ الله
 عنهم رأى امرأة كان يصرها في الجاهلية فكلما هم تركها فبصل رجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه
 حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له
 عقوبة ذنبه في الدنيا (٤) » وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم
 - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أُنْدُكُمْ وَيَسُو عَنْ كَثِيرٍ - فالصواب في الدنيا يكسب الأوزار
 فإذا قابله الله في الدنيا فأنه أكرم من أن يذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فأنه أكرم من أن
 يذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يرجع عبد
 قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها يلحم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة
 (١) حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يصفيه صب عليه البلاء صبا الحديث ابن أبي
 الدنيا في كتاب للرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخبر منه دون قوله
 فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الترهيب والترهيب
 بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضراب بن عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما زلزاله تعالى
 - من يعمل سوءا يجز به - قال أبو بكر الصديق كيف الترح بعد هذه الآية قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض » الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه
 الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له إسناده صحيح وقال الدارقطني وروى أيضا من
 حديث عمر ومن حديث الزبير قال وليس فيها شيء ثبت (٣) حديث عتبة بن عامر إذا رأى الرجل
 يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي
 في الشعب بسند حسن (٤) حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فبصل يلتفت إليها
 وهو يمشي فصدمه حائط الحديث وفيه إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له عقوبة ذنبه في الدنيا أحمد
 والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا ووصله الطبراني
 أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي
 وابن ماجه للرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا تنفع
 حق أخيك بما
 بينك وبينه من
 الود . وحكى عن
 الجبري قال وابتدأت
 من الحج فابتدأت
 بالجند وسلت عليه
 وقتل حتى لا تنفع
 ثم أتيت منزلي فلما
 صليت الصلاة التفت
 وإذا بالجند خلفي
 قتل يأسدي إنما
 ابتدأت بالسلام عليك
 لكيلا تنص لي ههنا
 فقال لي يا أبا محمد هذا
 حقه وذلك فضلك .
 ومن آداب الشيوخ
 أنهم إذا علوا من
 بعض للترهين ضفا
 في مراعاة النفس
 وقهرها واعتاد صدق
 المزعة أن يرقوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلاة الرحم (١) . وعن أبي هريرة قال : توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأقامه ملكان فحييا بين يديه في زى الحصى ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فلما استجسد من به هذا فأفسده ، فقال للآخر ما تقول ، فقال أخذت الجدة فأثبت على زرع فظفرت بيننا وشيلا فاذا الطريق عليه ، فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق . قال فلم تحزن على ولدهك أما علمت أن اللوت سبيل الآخرة كتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يابى : لأن تكون في ميزان أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يابى لأن يكون ما أحب أحب إلى من أن يكون ما أحب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نسي إلى ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاهها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فصل ركنين ثم قال قد متنعنا أمر الله تعالى . قال تعالى - واستميتوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فزاه محوسى يرفه ، فقال له ينبغي للعاقل أن يعمل اليوم ما يغفل الجاهل بعد خمسة أيام ، وقال ابن المبارك كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله لينتلي البعد بالبلاء بعد البلاء حتى ينشئ على الأرض وما له ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليتماهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتماهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم : إن الله عز وجل يمتحن يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى الرضى بأبواب صلوات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فصرخوا ذاك فصرى بالنشار ففتش الشجرة حتى بلغ النشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه وأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لأن صعدت منك أنه ثمانية لأخوتك من ديوان النبوة فعص زكريا عليه السلام على أمه حتى قطع شطرين . وقال أبو السعود البلخي : من أصيب بمصيبة فزق ثوبا أو ضرب صدره فكأنما أخذ رما يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابى إن الذهب يجرب بالنار والبعد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وقال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى ضرسى ، قلت لعلى ما نمت الباردة من وجع الضرس حتى قلبتها ثلاثا . فقال : لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا زلت بك بلية فلا تنسكنى إلى خلقى واشكى إلى كمال أشكوك إلى ملائكتى إذا صعدت مساورك ونصائحك لسأل الله من عظيم لطفه وكرمه بتمه الجليل في الدنيا والآخرة .

(١) حديث أنس مابرج عبد قط جرتين أحب إلى الله من جرعة غيظ فدها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث على بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الضحك منك الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظلمة عبادة وجه الله وروى أبو منصور الطيلى في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما فطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو الذي منك الحديث .

به ويوقوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام البعد لا يخطئ حريم الرخصة فهو حرم إذا ثبت وخالف الفقهاء وعذب في ثروم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان الرخصة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان هاب يعرف إبراهيم الصالح وكان لأبيه نعمة فاقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلاسي فرمى كان يقع يد أبي أحمد شيء من الهرام فكان يشتري له الرقائق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تمود

(بيان فضل النعمة على البلاد)

لهلك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاد خير في الدنيا من التمس فهل لنا أن نسأل الله البلاد .
فأقول لا وجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستنجد في دعائه من
بلاد الدنيا وبلاد الآخرة ^(١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام وربنا آتانا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة ^(٢) » وكانوا يستنجدون من شدة الأعداء وغيرها ^(٣) . وقال على كرم وجهه
الهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم « وقد سألت الله البلاد فاسأله العافية ^(٤) » وروى
الصدوق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله العافية فما
أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين ^(٥) » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجبل والشك
فما عافية القلب أحلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحبر الذي لا شمر فيه العافية مع الشكر
فكم من منعم عليه غير هاكم . وقال مطرف بن عبد الله لأن أباي فأشكر أحب إلي من أن أتلى فأصبر
وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وما عافيتك أحب إلي ^(٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل
واستشهاد وهذا لأن البلاد صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالاضافة إلى ما هو أكثر منه إني الدنيا أو في
الدين ، والآخر بالاضافة إلى ما يرجو من الثواب فينبغي أن نسأل الله تعالى النعمة في الدنيا ودفع ما فوق من
البلاد ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يطيقه
على الصبر . فان قلت : قد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يسير على الخلق كلهم
فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاد فاعلم أنه حكى عن ممنون الحب رحمه الله أنه لم يبدأ البيت بملا الحصر
فكان بعد ذلك يدور على أبواب المسكن ويقول للمسيكين : ادعوا إليكم الكذاب ، وأما مغبة الإنسان
ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تلعب الهبة على القلب حتى يظن الحب بنفسه
حبا مثل ذلك فمن شرب كأس الهبة سكر ومن سكر توسع في السلام ولوزا به سكره على أن ما غلب
عليه كان حالة لاحقة لها فاحصته من هذا الفن فهو من كلام المشاق الذين أفرط بهم وكلام المشاق

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنجد في دعائه من بلاد الدنيا والآخرة أحمد من حديث
بشر بن أبي أرطاة بلفظ أجرتنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولأبي داود من حديث
عائشة اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بنية وهو مدلس ورواه بالنعنة
(٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعوها التي صلى الله عليه وسلم يقول
الهم آتانا في الدنيا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الزكيتين ربنا آتانا الحديث (٣) حديث كان يستنجد من شدة
الأعداء تقدم في الدعوات (٤) حديث قال صلى الله عليه وسلم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم
لقد سألت الله البلاد فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما
قال مع رجلا وله والنسائي في اليوم واليلة من حديث علي كنت ساكنًا في رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فان كان بلاد نصرتي فصر به برجه وقال اللهم عافوا شفه وقال حسن
صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سلوا الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة بإسناد
جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلي ذكره ابن اسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى
الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا

النعمة فيجب أن نرفق
به ونؤثره على غيره .
ومن آداب الشيوخ
التزهد عن مال اللرب
وخدته والارتفاق
من جانبه بوجه من
الوجوه لأنه جاء في
تعالى فيجعل قسما
وإرشاده خالصا لوجه
الله تعالى فما يدعى
الشيخ للسريد من
أفضل الصدقات .
وقد ورد « ما تصدق
متصدقا بصدقة أفضل
من عشرين في الناس »
وقد قال الله تعالى
تنبها على خلوص
ماله وحراسه من
الشوائب إنا نعلمكم
لوجه الله لا تريد منكم
جزا ولا شكورا وبلا
ينبغي للشيخ أن يطلب

يستلذ سماعه ولا يملّ عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمننه فقال ما الذي يمنعك عنى ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك ساكن ظهرا لبطن لعلته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدماه وعاتبه فقال يا بني الله كلام الشاق لا يحكى وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا محال وممنه أنى أراد ما لا يريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرد به بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتب بمرضاة الذى يتوصل به إلى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثل حب المال إذا أسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم فى الحال . الثانى أن يصبر ضامه عند مطلوبه من حيث إنه مرضاة تقطو ويكون له لفتة استشهاده مرضاة يحبو به منه تزيد تلك اللذة على لذة فى مشاهدته مع كراهته فصدق ذلك يتصور وأن يريد ما فيه الرضا فلا بد أن تنتهى حال بعض المحبين إلى أن صار تقيتهم فى البلاء مع استشهادهم بمرضاة عنهم أكثر من تقيتهم فى المقامات غير شعور الرضا فهو لاء إذ أقدموا فى البلاء صار البلاء أحب إليهم من المقامات وهذه حالة لا يمدوقوها فى غلبات الحب ولكنها ثابتة وإن ثبتت مثلاً فهل هى حالة صحيحة أم حالة انتقضا حالة أخرى وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى لأن يفضله على جميع خلقه فهو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا وللجميع السليمة .

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك فقالوا من الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سايان وقال آخرون مختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد لا اضطراب بعيد عن التحصيل فلامعنى التطويل بالنقل بل بالبادرة إلى إظهار الحق أو إلى نقول فى بيان ذلك مقامان : المقام الأول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش عمقته وهو البيان الذى يبنى أن مخاطب به عوام الخلق قصور أفهامهم عن ذلك الحقائق الفاضلة وهذا الفن من الكلام هو الذى يبنى أن يتممه الوعاظ إذ مقصود كلامهم مخاطبة العوام إصلاحهم والنظر للشفقة لا يبنى أن تصلح الصبي الطفل بالظهور السان وضروب الحلاوات بل باللبان اللطيف وعليه أن تؤخر عنه أطباء الأطمية إلى أن يصير محتملا لما حوته ويشارك الضعف الذى هو عليه فى بنية فنقول : هذا المقام فى البيان بأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشكر وذلك يقتضى تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة فى فضله فإذا أضيف إليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر »^(١) وفى الخبر « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى به الله جزء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أما ترضى أن يجزيك كما جزى هذا الشاكر ، فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى : كلا أنست عليه فسكر وأبليت فصبرت لأضعفك الأجر عليه فعمى أضاعف جزء الشاكرين »^(٢) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »^(٣)

ورواه أبو عبد الله بن منته من حديث عبد الله بن جعفر مستندا وفيه من يحمل (١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى به الله جزء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الفرق منه أو صلاح يتردى للشيخ إلى حق للريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمة لخدمة عمود على الريد مأمونة الثالثة من جانب الشيخ قال الله تعالى - يؤتىكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكم أموالكم فيحكمكم تبيخوا ويزجرهم أمضانكم - معنى يحكمكم أى يجهدكم ويلعب عليكم . قال قتادة : علم الله تعالى أن فى خروج المال إخراج الأمتان وهذا

فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض الباقية لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم «الجنة حجج» للساكنين وجهاد للرأى حسن التبعل (١) وكقوله صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كإبليس» وأبدا للشبه به يفتنى أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما قال الإمامان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أمماني دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه» (٢) وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خرفاً» (٣) وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أبواب عليهما السلام» (٤) وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الغنى، فهذا هو اللقمان الذي يقنع العوام ويكفرهم في الوعظ اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم . اللقمان الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بمقائق الأمور بطريق الكشف والإيضاح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا يمكن للوازنة بينهما ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن نحدد الأحاد بالوازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث أئمة حجج للساكنين وجهاد للرأى حسن التبعل الحارث بن أبي أسامة في مسنده بالشرط الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فأبطل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء غزوة للرأى قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن فياض وقته أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كإبليس الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مضمن الخمر ورواه بلفظ شارب الخمر الحارث بن أبي أسامة من حديث عبدالله بن عمر وكلامه ضعيف وقال ابن عدي إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني (٣) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أمماني دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا الشيباني بن خاله وهو كوفي ثقة ، وروى البزار من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمية عبدالرحمن بن عوف وفيه أغلب بن عجم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خرفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة خرفة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة وألقى نس محمد بن عبد الله بن مائين للصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كباين مكة وبصري وفي الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن مائين الصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الرحام .

تأديمين الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الخليلي جاء
رجل إلى الجندوب وأراد
أن يخرج عن مكة
كله ويجلس معهم
على الفتر قال له الجندوب
لا تخرج من مكة
كله أحسن منه مقدار
ما يكفيك وأخرج
الفصل وشوت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك فلتست
آمن عليك أن
تطالبك فتمسك وكان
النبي عليه السلام إذا
أراد أن يسئل محملاً
تثبت وقد يكون
الشيخ يعلم من حاله
الريد أنه إذا خرج
من الشيء يكسبه من

والنقصان مع الاجمال فتقول : قد ذكرنا أن هذه اللقائات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر اللقائات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للتأطرين في الظواهر أن العلوم تتراد للأحوال والأحوال تتراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب الصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تتراد للأحوال والأحوال تتراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد لتغيره فذلك التغير لا محالة أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم الكاشفة وهي أرفع من علوم العامة بل علوم العامة دون العامة لأنها تتراد للعامة فتألف منها إصلاح العمل وإنما أفضل العالم للعامة على المأبد إذا كان علمه مما يميم نفسه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فتقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم الكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للمرءة الحرة التي لا قيد عليها فلا تقيده بشيء هاوكل ما عاها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إيمان تتراد لأجلها وإنما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفسها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إياها بواسطة أو بوسائل كثيرة فكلما كانت الوسائل بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فعنى بها أحوال القلب في تصفيتها وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا تطهر وصفاً أصبح له حقيقة الحق فاذا نضال الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصل له علوم الكاشفة ، وكأن تقبيل للآراء يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرءة بعضها أقرب إلى الصلابة من بعض فلكذلك أحوال القلب فالحالة الترية أو القربة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لأعماله بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مأمنة من المكشوفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهينة للمكشوفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول للصية واسم الثاني الطاعة والمأص من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في توير القلب ووصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أن أبا القول للطلق ربما هو الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن التقى الذي معه ما لو قد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخرج الهمم له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منته الشبع عن صفاء الفكر من علوم الكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا للدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغنى بشهوة بطنه ولا هو مشغل بوجع فكر يمنع الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمرضى الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في الملوك الذي استولى عليه والشح الطماع من جملة الهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة مخرجة بل لا يزيده إلا إخراج لئال فليبه أن يتصدق بما معه ، وتقصيل هذا مما ذكرناه في ربيع الهلكات فليرجع إليه فاذا باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال ما لا يتطالع به إلى المال فينبذ يجوز له أن يفسح للرشد في الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض الرديين مكروها أو علم من حاله أعوجاجاً أو أحس منه بدعوى أو رأى أنه داخله حجب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يسل ويكشف عن وجه للذمة مجملات فتوصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى الإدارة وأكثر أثراً لتأني

إذ لو قال لنا قائل الخير أفضل أم الله لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخير الجائع أفضل للماء العطشان أفضل فإن اجتماعه فليترك إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل وإن كان الجوع أغلب فالخير أفضل فإن تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكجيين أفضل أم شراب الباقين فإلى من يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا السكجيين أفضل أم عدم الصبراء . فنقول : عدم الصبراء لأن السكجيين مراد له وما يراد لغيره فذلك التبر أفضل منه لأصالة فاذن في بذل المال عمل وهو الإتيان ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ونشأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها البخل . فإن قلت فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - وبأخذ الصدقات - فكيف لا يكون العمل والأضاق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لغيره أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر بما لا يفهم كمرض على وجه من لمرارة مما كان لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه للبالغة في التناهي على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه ولضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد علم والقرآن وأراد أن يشتد ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليقى له بحفظه لقال إنه محتوظ ولا حاجة به إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما حفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبدا فامر الولد بتعليم العبد ووعده على ذلك بالجمل لتوفر دأبه حتى كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي السكين أن للتصود تعليم العبد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد . فقدر عليه دون تكليفي به وأعلم أنه لا نقصان لأبي فقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا للسكين فيترك تعليمهم اعتادا على استثناء أبيه وعلى كرمه في الصفوة فيفسد العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد أغضخ بمنزل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا إن الله تعالى غف عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إتمام للسكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذ قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أن لن نعلم ممن لو يشاء الله أمهمه وقالوا أيضا لو شاء الله لفسدوا فما أشركنا ولا آباءؤنا - فانتظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسيحان من إذا شاء هلك بالصدق وإذا شاء أسد بالجهل يضل به كثير أو يهدى به كثيرا فهو لما دلتنا أنهم استخدموا لأجل للسكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لاحظنا في السكين ولا حيلة له فينا وفي أموالنا سواء أفتقنا أو أمسكتنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان للتصود ثبات صفة العلم في تصدوتا كدمه في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تعلقا بغير استجرامه إلى ما فيه سعادته ، فهذا للثالبيين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن للسكين الأخلاق يستوفى بواسطة للادب البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالجبار يستخرج المهنك ليخرج خروج الدم الهلكة للهلكة من باطنك فالجبار خادم لك لأنك خادم للجبار ولا يخرج الجبار عن كونك خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
الريد تقصير في خدمة
تدبر إليها يحمل قصيره
ويصفو عنه ويحرمه
على الخدمة بالرفق
واللين وإلى ذلك ندب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما أخبرنا
شياه الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
الكروخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر الترياق
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو الباس
المجوسي قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال لنا قتيبة
قال لنا رهد بن
سعد عن أبي هلال
الحولاني عن ابن
عباس بن جليد
الجبري عن عبد الله بن

غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبوطن ومزكية لثمنها من خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام ومماها أو سائح أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) وللقصود أن الأعمال المؤثرات في القلب كسابق في ربع الهلكت والقلب بحسب تأثيرها مستند لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأملى الذى ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف والرجوع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبمد التناسب يظهر الفضل ومما هو بليت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر بما رجى إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العيين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى المعنى من الله وهو ما رجى أن يلقى مثلا من مساوئياته هذا إن اعتبرا في البلاء وللصواب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيها يتجدد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو للقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إيمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرح به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يغفل الله على قسه فاذن مجرى الصبر ثلاثة : الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إما أن تقع ضرورة كالعين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصر الأعمى عنها بأن لا يظهر الشكر ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب المعنى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جميل فصر كان شاكرًا لنعمة العيين وإن أتبع النظر كفر نعمة العيين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالعيين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى محائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا وكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كاحم على وضغ ذلك عمال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آفة في الدين يغوث فبوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آفة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو يحتاج إلى ما وراءه في الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقير ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في اللصية فإن أنصف الصبر إلى الشكر الذى هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

(١) حديث الترمذى عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة ومماها أو سائح الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة إن هذه الصدقة لأخيل لنا إنما هي أو سائح القوم وإنما لأخيل الحمد ولا لآل محمد وفي رواية له أو سائح الناس .

غير قال جابر رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الحامد قال لكل يوم سبعين مرة وأخلاق الشاكر مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته في كل ما أمر وتنبوا ونكروا وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار الريدن فيما يكشفون به ويتبعون من أنواع للنسح فسر الريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم غفر الشيخ في نفس الريد ما يجده في خلوة من كشف أو صمغ خطاب أو شيء من خوارق المادات يعرفه

تعالى وفيه احتيا إلى صرفه إلى القراء وترك صرفه إلى التتم للباح وكان الحاصل يرجع إلى أن شيتين
أفضل من شيء واحد وأن الجملة أتم رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين
أبعاضها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على مصيبة بل يصرفه إلى التتم للباح فالصبر هنا أفضل
من الشكر والفقير الصابر أفضل من التقى المسك ما له الصاروف إليه إلى الباحت لا من التقى الصاروف ما له
إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهيمها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذا الحالة تستدعي
لإعالة قوة والتي أتبع نهيمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على اللباس والباح فيهمندوحة من الحرام
ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير على وأنهم من هذه
القوة التي يصدر عنها الاختصار في التتم على اللباس والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها أن الأعمال
لا تزد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة المؤمنين والایمان فإدلى على زيادة
قوة في الإيمان فهو أفضل لإعالة جميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار
إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والتي بها
والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على الصلوة لأن صرفها
إلى الطاعة ، فاذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه
العامة وإلى هذا الذي على الخصوص أثار الجند رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل
فقال ليس مدح التقى بالوجود والمدح الفقير بالعدم وإنما للحد في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما
فشرط التقى يصحبه فيها عليه أشياء ثلاث صفته وتمتها وتلدها والفقير يصحبه فيها عليه أشياء ثلاث
صفته وتضيها وتزجيها فإذا كان الاثنان قائمين فه تعالى بشرط ما عليهما كان الذي أتم صفته وأزجها
أتم حالاً ممن منع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في التسم
الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال التقى
الشكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجند فأصابه ما أصابه من البلاد من قتل أولاده وإتلاف
أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجند أصابني ورجع إلى تخيل الفقير
الصابر على التقى الشكر ومهما لاحظت للماني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجه
في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكرك كما سبق ورب غني شاكرك أفضل من فقير صابر وذلك
هو التقى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يملك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات
أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للحتاجين وللساكين وإنما ينتظر حاجة تسع حتى يصرفها إليهم وإذا
صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا تخليد منة بل أداء لخلق الله تعالى في تعقده عباده فهذا أفضل من الفقير
الصابر ، فان قلت فهذا لا يتحمل على النفس والفقير يتحمل عليه الفقر لأن هذا يستمر لذة القدرة وذلك
يستمر ألم الصبر فان كان متألماً بفراق المال فينبغي ذلك بقلته في القدرة على الاقلاق فاعلم أن الذي
نراه أن من يتق الله عن رغبة وطيب نفس أكل حالاً بمن ينفعه وهو مجرب به وإنما يقطع عنه
نفسه قهراً وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإلام النفس ليس مطلوباً بالعين بل فادبها
وذلك يشاهي ضرب كلب الصيد الكلب للتأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابراً على
الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلاء والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليها في النهاية بل النهاية يصير ما كان
مؤلماً في حقه لذينة عنده كما يصير التتم عند الصبي المائل الذي إذا قد كان مؤلماً له أو لا ولكن لما كان
الناس كلهم إلا الأتلين في البداية بل فيل البداية يتكبر كالصبيان أطلق الجند القول بأن الذي يؤمسته
أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراه من عموم الحلق ، فإذا إذا كنت لا تحصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر

أن الوقوف مع شيء
من هذا يشغل عن
الله ويسد باب الزيد
بل يحرفه أن هذه نعمة
تشكر ومن ورأهاهم
لأنهم ويعرفه أن
شأن المرید طلب التتم
لأن النعمة حتى يتق سره
مخوفاً عند نفسه
وعند شيخه ولا بدع
سره لإذاعة الأسرار
من ضيق الصد
وضيق الصدر
الوجب لإذاعة السر
يوصف به النسوان
وضفاء العقول من
الرجال وسبب إذاعة
السر أن الإنسان فوتين
آخذة ومعطوكتان
تشوف إلى الفعل
المختص بها ولولا أن
الله تعالى وكل العطية
بأظهار ما عندها

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأهماء فإذا أردت التحقيق ففضل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذا صبر مع التألم والرضا يمكن بمالائه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أخصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياة البعد من تابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والعرفة بظلم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والطمأنينة بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ووحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر إذا قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراف وحسن الأدب بين يدي النعم وشكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا يتحصر أحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كالورد في الأخبار والآثار وقدرى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيئا كبيرا قد طمن في السن فسأته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمرى أهوى ابنة عمى وهى كذلك كانت تهوانى فانفق أمها زوجتى فليلز فانهالت تعالى حتى نجي هذه اللبنة شكرا لله تعالى على ما جمنا فضلنا تلك اللبنة ولم يتفرغ أحدا إلى صاحبه فلما كانت اللبنة الثانية قلنا مثل ذلك فضلنا طول الليل فند سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ليس كذلك يا فلانة قالت المجوز هو كما يقول الشيخ فانظر إليها لو صبرا على بلاء الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا نزلت لا تقف على حقائق للفضائل إلا بفضل كما سبق والله أعلم .

(كتاب الخوف والرجاء)

(وهو الكتاب الثالث من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله للرجو لطفه ونوابه الخوف مكره وعقابه الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بطائفة آلاء إلى التزول بضائه والصدول عن دار بلاءه التى هى مستقر أعدائه وضرب بسياط التخوف وزجره العنيف وجوه للمرضى عن حضرته إلى دار نوابه وكرامته وصدمه عن العرض لأثمة والتهدف لسخطه وهدمته قودا لأصناف الخلق بإسلاسل القهر والعنف وأزمة الرق واللطف إلى جنته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خلقته وعلى آله وأصحابه وعترته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير القربون إلى كل مقام محمود ومطيان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاو لا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بطائفة الشهوات وهجائب الذات لا يسيط الخوف و سطوات التعنيف فلا بد إذن من بيان حقيقتيهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتماثلهما وعن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تخدم في الزكاة .

(كتاب الرجاء والخوف)

ما ظهر من الأسرار
فكامل العقل كلما
طلبت القوة العقل
قيدها ووزنها بالعقل
حتى يصفى مواضعها
فيجل حال الشيوخ
عن إغارة الأسرار
لرؤايتهم وعقولهم
فهم يد أن يحفظ سره
من به في ذلك صفة
وسلامته وتأيد الله
سبجانه وتعالى له
بجدارك الربدين
الصادقين في مورد
ومصدره .

[الباب الثالث
والحمون في حقيقة
الصحة ومافيه من
الخير والشر]
للقضى للصحة وجود
الجنسية وقد يدور
إليها أهم الأوصاف

تجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشرط الأول في الرجاء والشرط الثاني في الخوف أما الشرط الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتنب به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان عرضاً سريع الزوال وكذا أن الصفة تنقسم إلى ثابتة ككفرة الذهب وإلى سريضة الزوال ككفرة الرجل وإلى ما هو بينهما ككفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وعرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يشعر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلبقك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في المستقبل فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكراً وتذكراً وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمى وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما سمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجوشده في المستقبل وغلب ذلك على قلبك سمى انتظاراً وتوقفاً فإن كان للنتظر مكروه حصل منه ألم في القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالآل لذة في القلب وإرتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لا انتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب التوفيق لا بد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انخراط أسبابه واضطرابها فاسم الرجاء والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتهاء فاسم الرجاء أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا حال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، ثم يقال أرجو زوال اللطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبلدر فيه والطاقات جارية مجرى تخطيط الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب للستر بالدين المستغرق بها كالأرض للنبهة التي لا ينمو فيها البلدر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقفاً ينع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بلدر في أرض نسيخة فبيني أن بقاس رجاء العبد للفرجة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما ينع نبات البلدر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواقي والآفات للفسد إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وإن بذر في أرض صلبة سبخة مرفضة لا ينصب إليها الماء ولم يشتمل بتعهد البلدر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حقاً وغروراً لارجاء وإن بذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا يمنع أيضاً سمى انتظاره غنياً لارجاء ، فالذي اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمتد جميع أسبابه الله الخفة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والفسدات فالعبد إذا بذر الإيمان وسقاء بماء الطاعات

وقد بدعوا إليها أخس
الأوصاف فالعناء بأعم
الأوصاف كليل جنس
البشر بعضهم إلى
بعض والله بأخص
الأوصاف كليل أهل
كل ملة بعضهم إلى
بعض ثم أخس من
ذلك كليل أهل الطاعة
بعضهم إلى بعض وكليل
أهل النصية بعضهم إلى
بعض فإذا علم هذا
الأصل وأن الجاذب
إلى الصالحة وجود
الجنسية بالأهم تارة
وبالأخص أخرى
فليتعبد الإنسان نفسه
عند الليل إلى سبعة
شخص وينظر ما الذي
يميل به إلى محبته ويزن
أحواله من ميل إليه
بميزان الصرع فان

وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تبليته على ذلك إلى الموت وحسن
الحالمة للفضية إلى اللغزة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على اللواظبة والقيام
بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب اللغزة إلى الموت وإن قطع عن بذل الإيمان تمهده بماء
الطاعات أو ترك القلب مشحوناً بذلك الأخلاق واتهمك في طلب ذات الدنيا ثم انتظر اللغزة فانتظاره
حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله الجنة» (١)
وقال تعالى - خلف من يهدم خلف أصابعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - وقال
تعالى - خلف من يهدم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا -
وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما أظن أن تبدي هذه أبداً وما أظن الساعة
آتية ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً - فإذن العبد المتجهد في الطاعات المحتجب للمعاصي
حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما المعاصي فإذا غاب
وتدراك جميع ما فرط منه من تخصيص حقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارها
للمعصية تسوء السيرة وتسفه الحسنة وهو يعلم نفسه وبولها وينتهي التوبة ويشاق إليها حقيق
بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب
الذي قد يفضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا
رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق
الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يلم نفسه عليه ولا يزم على التوبة والرجوع فراجؤه
لللغزة حق كرجاء من بث البذر في أرض سيئة وعزم على أن لا يمهده بسقى ولا تقيّة، قال يحيى
ابن معاذ من أعظم الاغترار عندى القمادى في الذنوب مع رجاء الغفر من غير ندامة وتوقع القرب
من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ينذر النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء
بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على البس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أعمرها العلم بمرجان أكثر الأسباب وهذه
الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطأبت أرضه وغزر
ماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتمهدها وتنحية كل حشيش يثبت
فيها فلا يفتقر عن تمهدها أصلاً إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من
التهدى لمن عرف أن الأرض سيئة وأن اللبأ معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لأعماله تفقد الأرض
والتمب في تمهدها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والحواف
ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث
بطريق الرغبة فإذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال وللواظبة على الطاعات كيفما تقلبت
الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتمسك بتجانياته والتلطف في التلقى له فإن
هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف
لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليست له به على الحرمان عن مقامه والرجاء والنزول في
حضيض التورود والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أعمره من العلم ولما استثمر منه من العمل
(١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة
فليشتر نفسه بحسن
الحال فقد جعل الله
تعالى مرآته مجسوة
يلوح له في مرآة أخيه
جمال حسن الحال وإن
رأى أفعاله غير مسددة
فليرجع إلى نفسه باللائمة
والإتهام قد لاقى في
مرآة أخيه سوء حاله
فبالجدير أن يفر منه
كفراره من الأسد
فأخيه إذا اصطادها
أزداد ظمأه وأعوها جأجا
ثم إذا علم من صاحبه
الذي مال إليه حسن
الحال وحكم نفسه
بحسن الحال طالع ذلك
في مرآة أخيه فليعلم أن
الميل بالوصف الأعم
مركوز في جبلته والميل
بطريقه واقع وله

وبدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبغيت شوابه وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحنت إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك لأخرى هيأ لك لها ثم لا يبالى في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير في أن يحسن أن يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو معروف^(١)».

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب السبيل إلى الله تعالى أحبه له والحب يغلب الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن «رغائب لا يساقى في وقت الموت قال تعالى - لا تنقلبوا من رحمة الله - فحرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله الدب وأنت عنه غافلون لم خفت الدب ولم ترجى بينك ولم نظرت إلى غلبة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء^(٣)» ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الترع فقال كيف تجدك قال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربى قال صلى الله عليه وسلم ما اجتماع في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله مارجاً وأمنه بما يخاف^(٤) وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا بأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وقال سفيان : من أذنب ذنباً فاضل الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قومًا قال السوء وكنتم قوماً يردونكم عنكم فظنتم بربكم أركاماً - وقال تعالى - وظننت ظن السوء وكنتم قوماً يردونكم عنكم فظنتم بربكم أركاماً - وقال تعالى يقول لعبد يوم القيامة ما منك إذ رأيت للسكر أن تذكره فان الله حبه قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال يقول الله تعالى قد غفرت لك^(٥) وفي الخبر الصحيح «أن رجلاً كان يدين الناس فيسأع النفي ويتجاوز عن اللسر فلقى الله ولم يعمل خيراً قط قال الله عز وجل من أحق بذلك مني^(٦)» فضا عنه لحسن ظنه ورجائه أن ينفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الله يتولى كتاب الله

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه أنه قال أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سواه النبي ﷺ الخير ليس يروي عنه حديث وذكره في حديث يروي قيام زيد الخير فقال يا رسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث وثالثه بن الأشعث وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الترع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول لعبد يوم القيامة ما منك إذ رأيت للسكر أن تذكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد هدم في الأمر بالعرف (٦) حديث أن رجلاً كان يدين الناس فيسأع ويتجاوز عن اللسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود حوسب رجل من كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخاطب الناس وكان موسراً فكان يأمر غلامه أن يتجاوزوا عن اللسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه واتقوا علي من حديث حذيفة

حبه أحكام ولنفس بسبه سكون وركون فيسلب الليل بالوصف الأعم جدوى الليل بلوصف الأخص وزير بين الصحابين استرواحات طبيعية وتلد ذات جبيلة لا فرق بينها وبين خلوص الصعبة لله إلا الملامد الزاهدون وقد ينفسد للريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل القماد علم فساد طريقهم فأخذ حذرهم وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بمغنية الصلابة ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبيلة حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأتوا بما رزقناهم سرا وعلاية يرجون تجارة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم
 «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» وخرجتم إلى الصدقات فهمون صدوركم ونجاؤون إلى
 ربكم فبهط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تهبط عبادي غفر عليم ورجاهم
 وشوقهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحسن وأحب من يحب وجبني إلى
 خلقي فقال يارب كبر، أحبك إلى خلقك قال أذكرني بالحسن الجليل وأذكر الآتي وإحساني وذكركم
 ذلك فاتهم لا يرفون مني إلا الجليل (٢) ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان بكثرة أبواب الرجاء
 فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أحبك إلى خلقك فقال
 قد غفرت لك ورؤي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم قيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين
 يديه وقال يا شيخ الدوء فقلت قال فأخذني من الرعب ما يملئ الله ثم قلت يارب ما هكذا
 حدثت عنك فقال وما حدثت عنى فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن
 نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبيدي في ليلظن بي ما شاء
 وكنت أظن بك أن لاتذهبن فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق
 الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة
 فقلت بالها من فرحة . وفي الخبر «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقط أناسا ويشدد عليهم قال
 فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوسعك من رحمتي كما كنت تقط عبادي منها (٣) وقال صلى الله
 عليه وسلم «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
 لجبريل اذهب فاقني ببدي قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك
 فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشى ويثبث إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى
 أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لاتصيدي إليا بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا
 به إلى الجنة (٤) فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه.

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وغلب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب
 عليه الخوف فأسرف في اللواظفة على العبادة حتى أضرب نفسه وأهله وهذا رجلان ما تلاقى عن
 الاعتدال إلى طرفي الاقراط والتفرط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما المعاصي للفرور
 للتعنى على الله مع الاعراض عن العبادة واتحاج للمعاصي فأدوية الرجاء تغلب معموما مهلكة في حقه
 وتزول منزلة العمل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل
 للفرور لا يستعمل في حقه إلا الأدوية الخوف والأسباب للهبطة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق
 متلطفا ناظرا إلى مواقع الملل معالجا لكل علة بما يضاهاها لا بما يزيد فيها فإن المطلوب هو العدل

وأبى هريرة ينحى (١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وفيه فبهط جبريل
 الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال سألت عن علي بن أبي طالب ورواه بزيادة وخرجتم
 إلى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام
 أحسن وأحب من يحب وجبني إلى خلقي فقال يارب كبر، أحبك إلى خلقك قال أذكرني بالحسن الجليل وأذكر الآتي وإحساني وذكركم
 ذلك فاتهم لا يرفون مني إلا الجليل (٣) حديث أن رجلا
 من بني إسرائيل كان يقط الناس ويشدد عليهم الحديث ورواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم
 فذكره مقطوعا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان
 الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله واليهيقي في الشعب وضفنه من حديث أنس .

حقيقة الصبغة لله
 فاكسب من طريقهم
 القصور في الطلب
 والتخلف عن بلوغ
 الأرب فليقتبه الصادق
 لهذه الدفينة وبأخذ
 من الصبغة أصفى
 الأنعام ويند منها
 مايد في وجهه الرام
 قال بضمهم هل رأيت
 شرايط الإلحاح تعرف
 ولهذا اللغى أنكر
 طائفة من السلف
 الصبغة ورأوا القضية
 في العزلة والوحدة
 كإبراهيم بن آدم
 وداود الطائي وفضيل
 ابن عياض وسليمان
 الحوامس وحكى عنه
 أنه قيل له جاء إبراهيم
 ابن آدم أما اتقاه قال
 لأن ألقى سبعا حناريا

والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاوز الوسط إلى أحد الطرفين عوج بها برده إلى الوسط لأبعاض يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل للبالغة في التخوف أيضا تكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما ذكر أسباب الرجاء فبيلهم ويردهم بالسلكة ولكلها كانت أخفى على القلوب وأشد عند النفوس ولم يكن غرض الوعظ إلا استئالة القلوب واستطلاق الخلق بالتناء كيفما كانوا ما لو إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد التهمكون في طبائهم تهاديا قال على كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتعلان على الخوف والرجاء جميعا لأنها جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم مودة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحائقي لاستعمال الآخر الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يوجب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقرار الآيات والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ماذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وبجواب حكمه التي راعاها في فطرته الإنسان حتى أمده في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحرارة الشفتين وغير ذلك كان لا ينظم بفقده غرض مقصود وإنما كان بغوت به مزية جمال فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عبادته في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن خوتهم للزائد وللزاي في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياتهم إلى الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يجذب بعد للوت أبدا مثلاً ولا يؤخر أصلا فليست كراهتهم للعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يتخلى للوت ناهضهم لا يتصد إلى حال تادرة وواقمة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا القالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لتجديدها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا توكل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض السافرين يرى آية الدانية في البرقة من أقوى أسباب الرجاء قليل له وما فيها من الرجاء قال الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى في أول سورة آية يهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

اللقن الثاني استقرار الآيات والأخبار : فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تخطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالى إنه هو الغفور الرحيم ^(١) وقال تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه قال - لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتمهم ظلال ذلك خوف الله به عبادته - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأنذرتكم ناراً تطفى لأجلاها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تخطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى الترمذي من حديث أسماء بنت زيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أتق
إبراهيم بن آدم قال
لأن إذا رأيت أحسنه
كلامي وأظهر نفسي
بأظهار أحسن أحوالي
وفي ذلك الفتنة وهذا
حكلامي عالم بنفسه
وأخلاقها وهذا واقع
بين المتصالحين والأمين
عصمه الله تعالى . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
محمد بن عبد الباقي
إجازة قال أنا الحافظ
أبو بكر محمد بن أحمد
قال أنا أبو القاسم
إسماعيل بن مسعود قال
أنا أبو عمرو محمد بن
عبد الله بن أحمد قال
أنا أبو سليمان أحمد بن
محمد الخطابي قال أنا
محمد بن بكر بن
عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأثقي الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لتدو مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أزلت عليك هذه الآية وإن ربك لتدو مغفرة للناس على ظلمهم - (١) وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لارضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول إنهم أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال « أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب قتيلا هذا فداؤك من النار » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو صراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تغربك فيهم (٣) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري ثلاث تنظر إلى مساوهم أنت ولا غيرك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسن لكم السن وأشرع لكم الشرائع ، وأما موتي فان أعمالكم تعرض لي فما رأيت منها حسنا حدثت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغثت الله تعالى ليكم (٥) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أزلت عليك وإن ربك لتدو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والتعليق في تفسيرها من رواية علي بن زيد بن جدهان عن سعيد بن المسيب قال لما زلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد الميت الحديث (٢) حديث أبي موسى أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كاسياني ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأضرعي عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى الحديث لم أقضه على أصل (٧) حديث حياتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث البرز من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف.

سليمان بن الأحمر
قال ثنا عبد الله بن
مسلة عن مالك عن
عبد الرحمن بن أبي
صصة عن أبيه عن
أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« يوشك أن يكون
خير مال السلم فتا تبع
بها صاحب الجبال
ومواقع القطر يغسر
يديه عن الفتن » قال
الله تعالى إخبارا
عن خليله إبراهيم
- وأعتزلكم وما تدعون
من دون الله وأدعو
ربي - استظهر العزة
على قومه ، قيل :
العزة نومان فريضة
وقضية فالقريضة
العزة عن الشروا له

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم الفؤ قال جبريل عليه السلام أتدري ما همضها يا كريم الفؤ هو إن عفا عن السيئات برحمة بلها حسنت بكرمها» (١) وصحح البخاري صلى الله عليه وسلم جبريل يقول «اللهم إنني أسألك تمام النعمة قال له تدري ما تمام النعمة ؟ قال لا قال دع خول الجنة» (٢) قال العلامة قدس سره الله علينا نعمته برضاه الاسلام لنا إذ قال تعالى - واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وفي الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل لئلا يسكنه فطره وإلى عبيد أذنب ذنباً فاعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له» (٣) وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه عتاق السماء غفرها له ما استغفري ورجاني» (٤) وفي الخبر «لو تقى عبيد قباب الأرض ذنوباً بقيته بقراب الأرض مغفرة» (٥) وفي الحديث إن للملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتبها سيئة» (٦) وفي لفظ آخر «فإن كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الجين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسنة واحدة فتضعف العشر وأرفع له تسع حسنات فخلقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أمراءي وإن تاب عنه قال هي عنه قال فأن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال في الإعرابي فإن تاب قال هي من سيئته قال إلى متى ؟ قال إلى أن يستغفر ويؤوب إلى الله عز وجل إن الله لا يل من الغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فإذا مل العبد بحسنة كتبها صاحب الجين حسنة قبل أن يعملها قال عملها كتبت عشر حسنات ثم مضاعفا الله سبحانه وتعالى إلى سبع مائة ضعف وإذا مل خطيئة لم يكتب عليه فإذا عملها محسنة كتبت خطيئة واحدة وورماها حسن غفر الله عز وجل» (٧) وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم الغوف فقال جبريل تدرى ما تخبر يا كريم الغوف الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (٢) حديث مع رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث ثم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لا لكنته انظروا إلى عدي أذنب ذنبا فعمل أن له رب يغفر الذنوب متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ إن عبد أصحاب ذنبا قال أي رب أذنبت ذنبا فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنبا فقال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عتات السماء الحديث الترمذي من حديث أنس يابن أنس آدم لوبقت ذنوبك عتات السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لوقيتني عدي بقراب الأرض ذنوبا فليتته بقرابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يهرلكني هيئا فليتته بتملها مغفرة والترمذي من حديث أنس الذي قبله يابن أنس لوقيتني الحديث (٦) حديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال في لفظ آخر فاذا كتب عليه وعمل حسنة قال صاحب الجين لساحب الثمال وهو أمير عليه التي هذه السيرة حتى ألقى من حسنة واحدة من تضيف الخبر الحديث البهقي في الشعب من حديث أبي أمامة يستد فيه ابن باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه إن صاحب الجين أمير على صاحب الثمال ليس فيه أنه يأمر صاحب الثمال بإلقاء السيرة حتى يلقى من حسنة واحدة ولم أجد ذلك أصلا (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال أعرابي فإن تاب عنه قال يحيى عنه قال فإن عاد الحديث وقبى إن الله لا عمل من التوبة حتى عد العبد من الاستغفار

والفضيلة في التصول
وأهله وبجوزان قال
الحلوة فيم الزلة
فالحلوة من الأغيار
والزلة من الناس وما
تدعو إليه وما يشغل
عن الله فالحلوة كثيرة
الوجود. والزلة قليلة
الوجود. قال أبو بكر
الوراق: مظهرت الفتنة
الإلا لحططن من لدن آدم
عليه السلام إلى يومنا
هذا. وما سلم إلا من
جانب الخلطة. وقيل
للخلطة عشرة أجزاء
سبعة في الصمت وواحد
في الزلة. وقيل الخلوة
أصل والخلطة عارض
يلزم الأصل ولا يخالف
الإقترار الحاجة. وإذا
خالف لا يخالف إلا
حصة وإلا خالف بلازم

«يارسول الله إني لأأسوم إلا الشهر لأزيد عليه ولا أسلى إلا الخس لأزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذ امت قتبم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم ممي ، إذا حفظت قلبك من الثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من الثنتين : القية والكذب ، وعينك من الثنتين : النظر إلى محرم الله ، وأن تردى بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين (١) » وفي الحديث الطويل لأمس « أن الأعرابي قال يارسول الله من يلي حساب الخلق ؟ قال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم قتبم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحكك يا أعرابي قال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال قته الأعرابي (٢) » وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا مهدما حجارا حراما أخرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « وللمؤمن طيب طاهر (٤) » « وللمؤمن أكرم على الله تعالى من للالكعبة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

السمت فانه أصل
والكلام عارض ولا
يتكلم إلا بصحة غطر
الصحة كثير يحتاج
العبد فيه إلى مزيد
علم والأخبار والآثار
في التحذير عن
الخطية والصحة
كثيرة والكتب بها
مبسوطة . واجمع
الأخبار في ذلك ما أخبرنا
الشيخ القضاة بالفتح
بسناده السابق إلى
أبي سليمان قال حدثنا
أحمد بن سليمان
النجاد قال ثنا محمد
ابن يونس الكرمي
قال ثنا محمد
ابن منصور الجهمي
قال ثنا مسلم بن سالم
قال ثنا السري
ابن يحيى عن الحسن

الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يارسول الله : إني أذنب ذنبا ، قال استغفر ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعا . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للسجور المحسور وفيه أبو بديسر ابن الحكم للصرى منكر الحديث وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفره ويتوب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يلل الله حتى تمأوا وليس في الحديث قوله في آخره فإذا هم البعد بحسنة الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو عاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جاء رجل ، قال يارسول الله إني لأأسوم إلا الشهر لأزيد عليه ولا أسلى إلا الخس لأزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابي يارسول الله من يلي حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم قتبم الأعرابي الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث للمؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم مرتك والذي نفسي بيده طرفة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن ينظر به إلى أخيرا ، وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الجهمي ضعفه أبو حاتم ورواه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث للمؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ . وفي الصحيحين من حديث حذيفة للمؤمن لا ينس (٥) حديث للمؤمن أكرم على الله من للالكعبة ابن ماجه من رواية أبي الهيثم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ للمؤمن أكرم على الله من بعض للالكعبة وأبو الهيثم تركه شعبة وشفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ الصنف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم (١) « وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمة تطلب غضبه (٢) « وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمى تطلب غضبي (٣) « وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار (٥) . « ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار (٦) . « ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٧) « وفي خبر آخر « لو علم الكافر شعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد (٨) « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست الثار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجلسوا يكونون وتطاول يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل يبد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تأويل وثارث ومنسك وأجوج وما جوج أم لا يحسبها إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود كالرقعة في ذراع

إلى الجنة لم أجد هكذا ويضى عنه مارواه البخاري من حديث أبي هريرة صحب ربنا من قوم يجاه بهم إلى الجنة في السلاسل (١) حديث قاله الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم لم أتف له على أصل (٢) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمة تطلب غضبه أبو الشيخ أين جان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهلهما بوجاهة وقال صاحب اللبزان ليس بواه ولا بمجهول (٣) حديث إن الله كتب على نفسه نفسه قبل أن يخلق الخلق ؛ إن رحمى تطلب غضبي متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة للناسى بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وتقدم في الأذكار (٥) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبو داود والحاكم وصحبه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (٦) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لماذا مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمة الله على النار وزاد البخاري صادقا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جله الله في الجنة وللنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله عبدا مؤمنا إلا أحب عن التار يوم القيامة (٧) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن رضاء من شهد أن لا إله إلا الله حرمة الله على النار وفي انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان إلى لأعلم كلة لا يتو لها جد حقا من قلبه إلا حرمة على النار قال عمر بن الخطاب هي كلة الإخلاص ولسانه صحيح ولكن هذا نحوه شاذ مما قبلنا ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الوجدان النار وإخراجهم بالشقعة ، ثم لا يلقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدته في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان (٨) حديث لو علم الكافر شعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة.

عن أبي الأحوص

عن عبد الله بن مسعود

قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ليأتين على الناس زمان

لا يسلم لدى دين دينه

إلا من فردينه من

قربة إلى قربة ومن

شاهق إلى شاهق ومن

جهر إلى جهر كالشعب

الذي يروغ قالوا ومن

ذلك يا رسول الله قال

إنا لم نزل للميشة إلا

بماصى الله فإذا كان

ذلك الإيمان حلت

الزبوة قالوا وكيف

ذلك يا رسول الله وقد

أمرتنا بالزواج قال إنه

إذا كان ذلك الزمان

كان هلاك الرجل على

يد أبويه فان لم يكن له

أبوان فعل يذوجه

الذابة (١) « فأنظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوأم بدو الرجاء وردهم إلى الاعتدال والتصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول ما رسميا للشفاء واتصّر عليه فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فلي الواعظ أن يقتدي بسيد الواعظ فيتخلط في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة اللعل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم (٢) » وفي لفظ آخر « لذهب بك وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » وفي الخبر « لو لم تذنبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال الصب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها (٤) » وفي الخبر « ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس لينطاول لها رجاء أن تصيه (٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تساو تسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترام الخلق تبعن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) » وفي الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٧) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى اختبأت شفاعي لأهل الكبائر من أمي أرونها للمطيعين الشقيين بل هي لمتنوين الخاطئين (٩) »

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فليد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بريق البيضة فينكسف ما لا يطبق حتى يورده مولد الملكة . وقدر غيب جمع من السلف في الصعبة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا قال سبحانه وعلى - واذكروا نعم الله عليكم إذ كنتم أممات فأنبأ بين فلابكم فأصبحت بمنتم إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أيدكم بنصره وبالمؤمنين وألف

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أنسرون أى يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم ، وفي لفظ لذهب بكم الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذنبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال الصب البزار وابن جبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبير والصب (٤) حديث والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب (٥) حديث ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الظن بالمتن حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف (٦) حديث إن الله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله تقدم أيضا (٩) حديث إنى اختبأت شفاعي لأهل الكبائر من أمي الحديث الشيطان من حديث أبي هريرة لعل نبي دعوة وإنى خبأت دعوى شفاعة لأمتي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، وتقدم من حديثه وصحة وابن ماجه من حديث جابر شفاعي لأهل الكبائر من أمي ، وابن ماجه من حديث أبي موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أهم وأكبر أرونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم .

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالخفية السمحة السهلة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة» (٢) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للؤمنين في قولهم - ولا تعمل علينا إصرًا - وقال تعالى - ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال ولما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عن ظلمك فلا تأتبه فقال يا جبريل فافعل الله تعالى أكرم من أن يجانب من عفا عنه فيك جبريل وبني النبي صلى الله عليه وسلم فبعت الله تعالى إليهما ميكايل عليه السلام وقال إن ربكما شركا السلام ويقول كيف آتاه من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي» (٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فافعل الله تعالى أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فغوب عليه في الدنيا فافعل الله تعالى أعدل من أن يغفر عيوبه في بعده في الآخرة . وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسان إلى أبوي لأن أعلم أن الله تعالى أرحم مني . وقال بعض السلف : للؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار اللالكسة كيلا تراه فتشبه عليه . وكتب محمد بن صلب إلى أسود بن سالم خطه إن البعد إذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو ويقول : يارب حبيت للالكسة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تحببون عن صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يضر الذنوب غيبي أشرككم أني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلا على الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقف في للززم عند الباب قلت : يارب انصرفي حتى لأصيبك أبدا ففتفت بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني الصحة وكل عبادي للؤمنين يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم فعل من أفضل ولم أغفره وكان الحسن يقول: لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه بالذنوب . وقال الحنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت للشيخين بالهشنين . ولقي مالك بن دينار أبانا قاله إلىكم تحدث الناس بالرخص فقال بأبا يحيى إلى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق كسارك هذا من القرح . وفي حديث ربي بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أخى سجي يؤبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا ، وقال : في قبتي ربي عز وجل خباي بروح وريحان وربي غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تتلون فلا تخفوا وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظري وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصة وقتت في طشت خملناه ودفاه . وفي الحديث

بين قلوبهم لواقفت
مالي الأرض جميعا
ما لفت بين قلوبهم
ولكن الله ألقى
بينهم - وقد اختار
الصحة والأخوة في
الله تعالى سعيد
ابن السبب وعبد الله
ابن المبارك وغيرها .
وقالدة الصحة أنها
تفتح مسام الباطن
ويكتسب الانسان
بها علم الحوادث
والموارض . قيل :
أعلم الناس بالآفات
أكثرهم آفات
ويصلب الباطن
برزين العلم ويتمكن
السعدى بطرق
هروب الآفات ثم
التخلص منها بالإيماء
وشرح بطريق

(١) حديث بشت بالخفية السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله ولطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الخفية السمحة وفيه محمد بن إسحق رواه بالنعنة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال إذا عفوت عن ظلمك فلا تأتبه الحديث ابن مردويه في تهميره موقوفا على طي مختصرا قال الرضا بنير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناده نظر .

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يسهو ويجزعه فكان يقول دعني وربي أبست على رقبيا حتى رآه ذات يوم على كبرية فضنب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيسطيع أحد أن يحظر حق علي عبادي اذهب أنت قد غفرت لك ثم يقول للمابد وأنت قد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكك دنياه وآخرته (١) » وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الخواريين فقال للص في نفسه هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لو زلت فكنت معها ثالثاً قال فزول فجعل يريد أن يدنو من الحوارى وزدري في نفسه ثم طلب الحوارى ويقول في نفسه متى لا يمتنى إلى جنب هذا العابد قال وأحس الحوارى به فقال في نفسه هذا عيسى إلى جاني فضم نفسه ومضى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فمضى إلى جنبه فبقي الص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستاذا العمل فقد أحبطت ما لهما من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لسجيته بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدري على نفسه فأخبرها بذلك وضم الص إلى في سياحته وجعله من حواريه . وروى عن مسروق أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً قوياً عتقه بعض الصاة حتى ألقى الحصى بجمته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مضطرباً فقال اذهب فلن يغفر لك فأوحى الله تعالى إليه تعالى على في عبادي إلى قد غفرت له . ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتي على الشرىين ويضعهم في صلاته فزول عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الآية فترك الصاء عليهم وهدي الله تعالى عامة أولئك للإسلام (٢) » وروى في الأثر أن رجلاً كان من العابدين متساوياً في العبادة قال فإذا أدخلنا الجنة رضع أحدنا في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعتنى على في عليين فيقول الله سبحانه إنه كان يسألى في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألى النجاة من النار فأعطيت كل عبدسؤله وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراعى منها على الخائف فكمن فرق في اللوك بين من يخدم إتهاء لقاءه وبين من يخدم ارتجاء لانهاموا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال ﷺ «سألو الله الدرجات العلى فإمتاسألون كرمها (٣) » وقال «إذا سألت الله فأعظموا الرغبة وأسألوا الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يتناظم شيء (٤) » وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على

الصحية والأخوة
التعاضد والتعاون
وتتوى جنود القلب
وتستروح الأرواح
بالشعاع وتتقوى في
التوجه إلى الرفق
الأعلى ويصير مثلاً
في الشاهد كالأصوات
إذا اجتمعت خرقت
الأجرام وإذا فردت
فصرت عن بلوغ
للرام . وورد في الخبر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم «لؤلؤ من
كثير بأخيه » وقال
الله تعالى غيراً ممن
لا يصدق له فإنا من
شافين ولا يصدق
حبيب الحمى إلى الأصل
الحبيب إلا أنه أبدلت
الماء بالماء قرب
مخرجها إذا ما من

(١) حديث أن رجلاً من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٢) حديث ابن عباس كان يفتي على الشرىين ويضعهم في صلاته فزول عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - فترك الصاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان إذا رضع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من النجس يقول اللهم المن فلانا وفلانا وفلانا بدماء يقول صمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فاتهم ظالمون - ورواه الترمذى وصحاحه وأبى حنيفة والحديث بن هشام وسفوان بن أمية وزاد كتاب عليهم فأسألوا الحسن إسلامهم وقال حسن غريب وفي رواية له أربعة نفر ولم يسهمهم وقال فنداهم الله للإسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سألو الله الدرجات العلى فإمتاسألون كرمها لم أجده بهذا اللفظ ولترمذى من حديث ابن مسعود سألو الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألت الله فأعظموا الرغبة وأسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتناظم شيء . مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فإلقل اللهم

مالك بن أنس في العشي التي قبض فيها قلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لأدري ما أقول لكم لأنكم ستعانون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما ربحنا حق أغضناه وقال يحيى بن معاذ مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب ينقلب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتمد في الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجد في الذنوب أعتمد على عفوكم وكيف لا تخفروا أنت بالجود موصوف.

وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفك فر المجوسى فأوحى الله تعالى إليه إبراهيم لم تطفه إلا بخير دينه ونحن من سبعين سنة نطفه على كفره فلو أضفته لية ماذا كان عليك فر إبراهيم يسمى خانب المجوسى فرد وأضافه فقال له المجوسى ما السبب فبا بذلك فذكر له فقال له المجوسى أهكذا يماثلني ثم قال اعرض على الاسلام فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهل الصملي أن أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعد الأبدية قال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر هو مما توهمنا . ورأى بعضهم أبا سهل الصملي في المنام على هيئة حسن لا توصف قال له بأستاذي نلت هذا فقال بحسن ظني بربي . وحي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال بقاؤنا ثم قال ماذا علمتم فيها علمتم قال قلنا يارب قصرنا أسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صغيتي الشرك وقد وعدت أن تخفف مادونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بذلك ثلاث ليل . وقيل كان رجل شرب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من الفواكه للمجاس فر التلام ياب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل فقير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التلام إليه الدرام فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك قال لي سيد أريد أن أغلص منه فدعا منصور وقال الأخرى قال أن يخلف الله على دراهمي فدعا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعاهم قال الأخرى قال أن يتفر الله وليسيدي ولك ولقوم فدعا منصور فرجع التلام فقال له سيد لم أبطلت قصص عليه القصة قال وبه دعا فقال سألت نفسي العتق فقال له اذهب فأنت حر قال وأبشى الثاني قال أن يخاف الله على الدرام قال له أربعة آلاف درهم وأبشى الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تبت إلى الله تعالى قال وأبشى الرابع قال أن يتفر الله لي ولك ولقوم قال هذا الواحد ليس إلى فلما بات تلك الليلة قرأت في المنام كأن قائلا يقول له أنت فمات ما كان إليك أقرى أني لأفضل ما إلى قد غفرت لك وللتلام ولمنصور بن عمار ولقوم الحاضرين أجمعين . وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال امرأة وهم يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وعلينا عليها ودقنا لليت فقلت للمرأة من كان هذا لليت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صفروا أمره قلت وأبشى كان هذا قالت عمتنا قال فرحمها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحطه وبها قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني أت كانه القمر لية البدو وعليه ثياب بيض فبصل يتشكرني فقلت من أنت فقال المثلث الذي

دقتموني اليوم رحمتي ربي باحتراق الناس إلى . وقال إبراهيم الأطروش كنا تصوموا فينداد مع معروف الكرخي على دجلة إذ مر أحدنا فيزورق يشربون بالدف ويشربون ويامون فظنوا فظنوا بالحرف ما أراهم يصومون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال إلهي كما فرحتهم في الله، يا نضرهم في الآخرة فقال

اغفر لي إن شئت ولكن ليغمز وليعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاطى شيء أعطاه البخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وعادة بن الصامت

حروف الحلق والميم
مأخوذ من الاهتمام
أي يهتم بأمر أخيه
فالاتهام بهم الصديق
حقيقة الصداقة . وقال
عمر إذا رأى أحدا
ودا من أخيه
فليتسك به قلنا
يصيب ذلك وقد قال
القائل :

وإذا صفاك من زمانك
واحد
فهو للراد وأين ذاك
الواحد

وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام
قال يا داود مالي أراك
متنبذا وحده قال
إلهي قليت الخلق من
أجلك فأوحى الله إليه
يا داود كن يقظانا
مرتادا ففسك اخوانا^٤

القوم إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول في دعائه ياربى وأنى أهل دهر لم يصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابعة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلكت وعزتك إنك تحصي ثم تسبخ النعمة وتدمر الرزق حتى كأنك ياربنا لاتنضب فهدى هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والأيسين ، فأما الحق المتروكون فلا ينبغي أن يسمعو شيئا من ذلك بل يسمعون ما منورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كاليد السود والسبي العرم لا يستقيم إلا بالسلط والعسا وإظهار الحشونة في الكلام . وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(الشطر الثاني من الكتاب في الخوف)

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الحاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجلال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فلإنهما زمانان يمتنان النفس عن الخروج إلى دعواتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقاله أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبق فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالخوف إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نصا في الشهود وإعدادام الشهود غاية للقناعات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل القناعات فنقول : حال الخوف ينتظم إضمار علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب القضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز الشوق والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة عمله بالأسباب للنفسية إلى قتله وهو تخافض جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه مخفوا بمن عنه على الانتقام خاليا بمن يتشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تنحو أثر جنايته عند الملك فالملك يتظاهر هذه الأسباب بسبب قوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتن سبب جنايته قارنها الخائف بل عن صفة الخوف كالذي وقع في غلاب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسلطوته على الاقتراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبيلة للمخوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن للساء يخاف لأنه بطيمه يجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالملك بأسباب المكروه هو السبب الباعث لتثير لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى يكون لمرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك المملكين لم يبال ولم ينهه مانع وثارة يكون لكثرة الجنابة من اليد بمقارعة للمامى وثارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته يميز نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغاثته وأنه لا يسل عما فعل وهم يشلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا أخوفكم لله ^(١) » وكذلك قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كملت للمرفة

(١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث أنس والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولا شينين

وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا لصحبه فانه عدو قصى قلبك وياعدك منى . وقد ورد في الخبر « إن أحبك إلى الله الدين بالنسوة ويؤمنون فالؤمن أكفأ ألوف » وفي هذا دقيقة وهي أنه ليس من اختار الملة والوحدة لله ينهب عنه هذا الوصف فلا يكون أكفأ ما لو فاق فإن هذه الإغارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجبلى ، وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة وشيئا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس حظا

أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والفسار والنشيه والزعة والبكاء وقد تشقق به الرأرأة فيفيض إلى اللوث أوبصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو قوى فيورث القنوط واليأس . وأما في الجوارح فيكفها عن المعامى وتضيقها بالطاعات تلافيا لما فرط واستمدادا للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يسكن ويمسح عينيه بل من يترك ما يحاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه . وقيل لدى التوكل من يكون البعد خائفا قال إذا نزلت شدة منزلة السقيم الذي يحتمى عناق طول السقام . وأما في الصفات فإن يجمع الشهوات ويكدر الذنابات فخصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير الصل مكروهة عند من يشبهه إذا عرف أن فيه ما احترق الشهوات بالخوف وتآذ الجوارح ويحصل في القلب الدبول والخذوع والدلة والاستكانة وتوغاره الكبر والحق والحسد بل يصير مستوعب ألم خوفاه والنظر في خطراته فلا يفرغ قلبه ولا يكون له شغل إلا الرأفة والمحاسبة والمجاهدة والفضة بالأفاس والبعثات ومؤاخذه النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في عقال سبع ضار لا يدري أنه يفلت منه فيفلت أو بهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا تمتع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوفهم للرأفة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحترائه وقوة الخوف بحسب قوة للرأفة بجمال الله وصفاته وأفضاله وبسبب النفس وما بين يديها من الأخطار والأحوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورمافان زادت قوته كف مما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن تترك ما يريه وقد عمله على أن تترك ما لا بأس به خوفا ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبتغي مالا يسكنه ولا يجمع مالا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها خائرة ولا يصرف إلى غير الله تعالى شفا من أهله فهو الصدق وضاحجه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فأنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فأذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فأنه أهم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فأنه كف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والقررب وتجري الرتبة الأخيرة بمقابلها مجرى الأخس من الأمم فإذا ذكرت الأخس فقد ذكرت الكل كما أنك تقول الإنسان إمامي وإمامي والعربي إما قرشي أو غيره والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي إما علوي أو غيره والعلوي إما حنفي أو حنفي فإذا ذكرت أنه حنفي مثلا فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه بما هو أهم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن نظن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للماني من الأنماط ولم يتبع الأنماط للماني فهذه إشارة إلى جماع معاني الخوف وما يكشفه من جانب الصل كالمرقة للوجبة ومن جانب السفلى كالأعمال الصادرة منه كفا وإقديما .

من حديث عائشة والله إني لأعظم بالله وأهدم له خفية .

من هذا الوصف
الأنياء ثم الأولياء
وأنهم الجميع في هذا
بيننا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنياء ثم الله كان
أكثر بما وثينا
صلى الله عليه وسلم
كان أكثرهم أمة
وأكثرهم بما قال
وتأكلوا تكلموا
فأني مكاثركم الأمم
يوم القيامة وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف . ن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال - ولو كنت فظا
غابظ القلب لانتصوا
من حولك - وإنما
طلب المزة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثراً كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى الواظبة على الطر والمعمل ليتناولهما برتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبيعة أن لا تغلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن البالغة في الضرب محمود وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال وللوسط قأماً القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى بضعيف النفع وهو كالضرب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤهلها المأمير حافلاً يسوقها إلى التقصد ولا يسلمح لها يضربها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعني العلماء للترميمين يرسم العلماء وللتسمين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك بمخافة عز وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن العاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحر كذا خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً وأما الفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كلاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأ الجهل والعجز . أما الجهل فانه ليس بدمري عابث أمره ولوعرف لم يكن خائفاً لأن الخوف هو الذي يردده . وأما العجز فهو أنه متعرض للحدود لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى نقص الأدمي وإنما المحمود في نفسه وذاته وهو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف لله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكافي ذاته وإنما يصح محمود بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الله واهمود ألمه أهن من ألم الأرض ولوث لما يخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى اللوث وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يعرضها أو يكسر عضواً من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء أو أكثرهم البعاج به صدمة الخوف الفرط القضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراد لأمر فالحمود منه ما يفضي إلى الراد للقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والتفكير والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياتع صحة البدن وسلامة النقل فكل ما قدس في هذه الأسباب فهو مذموم . فان قلت من خاف فوات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً . فاعلم أن معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلكه سه نليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق التفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولاهذا لكانت رتبة تعمي يقتل أو يجنون فيتمسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت خائف أشه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما أبطل العمر أو أهلك أو ألحقه بالي يتعلل العمر بتعطيلها فهو حيران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة

أقوى وأهم كان طلب العزلة فيه أكثر في الإبتداء ولهذا المعنى حبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخطوة في أول أمره وكان يخاف في غار حراء ويحتج إلى اليا إلى ذوات السدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه أكفأ مألوفاً وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلباً لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة من هذا الوصف فيه أتم من الأتباء ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا في أول الباب إن في الإنسان ميلاً إلى المجلس بالوصف

إلى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة إلى ما دونها لا بالاضافة إلى درجة التبعين والصدقين فاذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الباليه إن أرقله درجات بحسب ظهور أثره فإن لم يحمل إلا على السطة وهي السكف عن متعنى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عماسوى الله تعالى حتى لا يبق كثير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما محمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول وذلك كان سهلا رحمه الله يقول للمريد بن الللازمين للجوع أياما كثيرة احتفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل .

(بيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ماخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانظار مكروه وللكره إيمان أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإيمان أن يكون مكروها لأنه يغضى إلى المكروه كما تمكره الناسى لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره المريض التواكل للشره لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في شمس مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يهرق قلبه بسبب استحضاره ذلك للكره ومقام الخائفين يخاف فينا ينلب على قلوبهم من المكروهات الملهورة فاذن ينلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين ينلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف قضى التوبة ونكث العهد أو خوف منصف القوة عن الوفاء يتصل حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف البيل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات للألوفة أو خوف أن يكلف الله تعالى إلى حسناته التي اتمكك عليها وتمزجها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاختلال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتوارى النعم أو خوف انكشاف غيوائل طاعته حيث يدوله من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تيمات الناس عنده في القية والحاجة والقش واستمرار السوء أو خوف مالا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تصحيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سربرته في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها يخاف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يغضى إلى الخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على القطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سربرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأقبل هذه المخاوف على اليقين خوف الحاجة فإن الأمر فيه عظم وأعلى الأقسام وأدناها على كمال اللوعة خوف السابقة لأن الحاجة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها يمد تغلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الحاجة بالاضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع لللك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حر الرقية ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بد فربط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع وشره وأنه عمادا يظهر ويربط قلب الآخر بحالة توقيع لللك وكيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفاد إلى السبب فهو على من الالتفات إلى ما هو فرغ فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزل الذي جرى بتوجيه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على للنبر قبض كنهه الهوى قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آباءهم لا يزدادهم ولا ينقص ثم قبض كنهه اليسرى

الأعم فلما علم الحذاق ذلك ألههم الله تعالى بحسبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الليل بالوصف الأعم لترقى المهم الدالية من ميل الطباع إلى تألف الأرواح فاذا رفوا التصفية حقها اشترأت الأرواح إلى جنبها بالتألف الأسلى الأولى وأعادها الله تعالى إلى الخلق وعالطتهم مضافا واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفه الجسدية من الألفة للكلية آتمة مالوفة فصارت العزلة من أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلم أن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستفهم الله قبل الموت ولو بقوا ناة وليعلم أن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بقوا ناة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله والأعمال بالحوادث (١) وهذا كاتقسام الخائفين إلى من يخاف مصيبته وجناته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تهتض الهية لالهة فهذا أهل رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة التورود والآمن إن واطلب على الطاعات بالخوف من الصبيخ خوف الصالحين والخوف من الله خوف الوحدان والصديقين وهو نعمة للرفة بالله تعالى وكل من عرفه لخاف الله ولم يخف مصيبته ولولا أنه يخوف في نفسه لما سره للمصيبة وسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان يفسر أسباب الصبيخ لإباد ولم يسبق منه قيل للصبيخ مصيبة استحق بها أن يسخر للمصيبة وغيري عليه أسبابها ولا سبق قيل للطاعة وسيرة توسل بها من سرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمصيبة هاء أم أبى وكذا للطبع فالذي يرفع عهده صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيرة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جبل في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفته جلالة فان من اطاع الله اطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري مالذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبادته بتسليط دواعي الصبيخ عليه وكذب بحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف بمن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا الذي سر القدر الذي لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجري على ذكره ذوبصيرة قد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام ياد داود خفي كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا للثال بفهمك حاصل للذي وإن كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسلطوته وكبره وهيئته ولأنه يفعل ما يشاء ولا يبالى فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإيحاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثمة عنده على وتيرة واحدة إذ لا يندح ذلك في عالم سجيته وما هو موصوف به من قدرته وسلطوته والله التل الأملى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من للشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله « هو لا يم إلى الجنة ولا إلى النار وهو لا يم إلى النار ولا إلى الجنة » وبكفيك من موجبات الهية والخوف للرفة بالاستغناء وعدم اللبالاة.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود ياد داود خفي كما تخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل للصف بصدا براده أن من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة .

بأنف فزولف ومن أدل الدليل على أن الذي اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط من الذي غلط في ذلك وذم المزة على الاخلاق من غير علم بحقيقة الصبيخ وحقيقة المزة فنصارت المزة مرغوبا فيها في وقتها والصبيخ مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يماثر بالمعروف من لا يهد من معاشرته بدا حتى يحصل الله له منه فرجا . وكان جبر بن الحرث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنس فلا ينس يهشه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن يشتمل في أشدهم ما هو للكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة
أوسوال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول المطلع أو هوية الوقف بين يدي الله تعالى والحياة من
كف الستر والسؤال عن القبر والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية البور عليه
أو الخوف من النار وأغلاها وأهولها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم ولذلك المقيم
وعن قصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها
فهى لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله
تعالى وهو خوف العارفين ومقابل ذلك خوف الماملين والصالحين والزاهدين وكافة الماملين ومن
لم تكمل معرفته ولم تفتح بصيرته لم يشعر بآلة الوصال ولا بالم اليد والفراق وإذا ذكر له أن
العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما
أنكر لغة النظر إلى وجهه في الكرم لولائحه الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به بالبيان
عن ضرورة التقليد والإفباضة لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا آلة البطن والفرج والبين بالنظر
إلى الألوان والوجوه الحسن والبخله كل لغة تشاركه فيها اليأس فأما لغة العارفين فلا يدركها فهم
وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استصبر بنفسه واستغنى عن أن
يشرحه له غيره فإلى هذه الأنعام يرجع خوف الخائفين نسال الله تعالى حسن التوفيق بكمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف ثارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فسيهله أن
فضيلة الشيء بقدر غنائه في الاضواء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة
ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أمان عليه الله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد
ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا يحصل
المحبة إلا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر
ولا يتيسر للوالب على الذكر والفكر إلا باضطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك للشهيات إلا بجمع الشهوات ولا تتمتع الشهوة بشئ كما تتمتع بنار
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضيلته بقدر ما هرق من الشهوات وقدر ما يكف
عن اللامى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون
الخوف قاضية وبه تحصل الفقه والورع والتقوى والمجاهدة وهى الأعمال القاضية المحمودة التى
تخرب إلى الله زلى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج
عن الحصر ونهايك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والم والم الرضوان وهى
جوامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدى رحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى
- إنما يخشى الله من عباده العلماء - وصفهم بالعلم خشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه - وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أنضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فإن لهم الرفيق
الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أقدم بمراقة الرفيق الأعلى وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم
رتبة مراقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومراقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

لصادقين رقا من الله
تعالى وثوابا للعبد
محبلا والأئیس قد
يكون مفيدا كالشايخ
وقد يكون مستبدا
كالسريدین فصحيح
الجنوة والعزلة لا يترك
من غير أنیس فان
كان قاصرا يؤنس الله
بمن يتم حاله بوان
كان غير قاصر فيض
الله تعالى لمن يؤنس
من الردين وهذا
الأنس ليس فيه ميل
بالوصف الأعز بل هو
بالله ومن الله وفى الله
وروى عبد الله بن
مسعود عن رسول الله
صلی الله علیه وسلم قال
واللتحابون فى الله على
عمود من ياقوته حمراء
فى رأس العمود سبعون

تمالى كان يقول أسألك الرفيق الأمل^(١) « فاذن إن نظر إلى مشرعه فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى إن العاقبة صارت موسومة بالتقوى خصوصاً بها كما صار الحمد خصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للثنتين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - وإنما التقوى عبارة عن كف بقتضى الحوف كما سبق وذاك قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وذاك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد زينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم ولياكن أن اتوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالحوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فذلك لا يتصور أن يفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضية التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم فإدام بصوت يسمع أصوام كما يسمع أذانهم فيقول - يا أيها الناس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما أعمالكم ترد عليكم - أيها الناس إنى قد جعلت نسايجكم نسايفضعتم نسي ورفتم نسبكم - فلبس إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأبينم إلا أن تخلوا فلان بن فلان وفلان أغني من فلان فالיום أضع نسبكم وأرفع نسي أين التفون فرفع القوم لواء فبيع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة عفاف الله^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الحوف يدي^(٤) » وقال الفضيل - من خاف الله دله الحوف على كل خير - وقال الثعلبي رحمه الله : ما خفت الله يوماً إلا رأيت له بلاء من الحكمة والعبرة ما رأته قط - وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ولي بها حسنتان خوف القاب ورجاء الفوز كسلب بين أسدين - وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا تافسته الحساب وقتشت مما في يديه إلا الورعين فاني استحي منهم وأجلهم أن أوقهم للحساب والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الحوف فان قلت عن الحوف لم تسم بهذه الأسماء وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى خصوصاً للخائفين فقال - سيذكر من غشى - وقال تعالى - ولن خاف مقام ربه جنتان - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزى

ألف غرفة مشرقون
على أهل الجنة يرضون
حسنهم لأهل الجنة كما
تضي الشمس لأهل
الدين فيقول أهل الجنة
انطلقوا بنا تنظر إلى
الناس في الله عز وجل
ماذا أشرفوا عليهم
أضاء حسنهم لأهل
الجنة كأنهم الشمس
لأهل الدنيا عليهم
ثياب سندس خضر
مكتوب على جباههم
هؤلاء للثحابون في الله
عز وجل » وقال
أبو إدريس الخولاني
لماذا إن أجبك في الله
فقال له أجبرتم أجبر
فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « نصب لطافة
من الناس كرامتي حول

- (١) حديث لما خبر في مرض موته كان يقول أسألك الرفيق الأمل متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم غير فلما نزل به ورأسه في جبري غشى عليه ثم أفاق فأفخص يصيره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأمل ضلت أنه لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث
- (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أصوام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إنى قد أنصت إليكم منذ خلقتم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إنى جعلت نسايب الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والتعليق في التفسير مقتصر على آخره إنى جعلت نسايب الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة عفاف الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصلح أيضاً
- (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الحوف يدي قاله ابن مسعود لم أتف به على أصل.

لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خاف كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء » (٢) وقال عليه السلام « أتسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول يا أيها الناس خافوا الله تعالى به ونهى عنه نظرا (٣) وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واقتدحه جوعه بله . وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضمير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا قال أشد هم خوف اليوم . وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يأبى سعيد كيف تصنع بحال أقوما يخوفوننا حتى نتكاد قلوبنا تطير فقال والله إنك إن تحالط أقوما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب أقوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فرق الخوف قلبا إلا أخرج وقال ثالثة رضى الله عنها « قلت يا رسول الله - الذين يؤتون بآثاقهم ولا يؤفونهم وجعلهم الرجل يسرق ويرزق قال لا ، بل الرجل يصوم ويصدق ويخاف أن لا يقبل منه » (٤) والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن ممدته إلى الله تعالى صده الذي ينفه وصد الخوف الأمن كما أن صد الرجاء اليأس وكادلت ممدته القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل ممدته الأمن على فضيلة الخوف للضادة بل تقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوبا فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لعبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر ثم يجوز أن ينقلب أحدهما على الآخر ويجمعان ويجوز أن يشغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لفتلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تمتعهما بما هو مشكوك فيه إذ العلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوذه يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده روح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجب الخوف وهو الخوف والتقديران يتقاربان لا محالة إذا كان ذلك الأمر للتعذر مشكوكا فيه ثم أحد طرفي الشك قد يرجع على الآخر محذور بغير الأعياب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفا وطعما - ولذلك العرب على الخوف بالرجاء قال تعالى - ما لكم لا ترجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

- (١) حديث لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسل
- (٢) حديث من خاف الله خاف كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوابين حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بأسناد ضعيف مغل وقد تقدم
- (٣) حديث أتسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول يا أيها الناس خافوا الله تعالى به ونهى عنه نظرا الحديث
- (٤) حديث ثالثة قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آثروا وقلوبهم وجعلهم الرجل يسرق ويرزق قال لا ، الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد . قلت بل منقطع بين ثالثة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قبيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال للتعاوين في الله عز وجل . وروى عبادة ابن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل حقت بحبي للمتعاوين في وللتعاوين في وللتعاوين في » أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي إجازة قال أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى «فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا» وقال تعالى «يكونون يزيمون خشوعا» وقال عز وجل «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» وقال عليه السلام «ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دمع وإن كانت مثل راس الدياب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حروجه إلا حرمه الله على النار» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحانت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ثورقها» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يبلغ النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يهود الأبى في الضرع» (٣) وقال عقبه بن عامر «ما النجاة بإرسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسمعك بيتك وأبك على خطيئتك» (٤) وقالت عائشة رضي الله عنها «قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة ينير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وتعالى» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم ارزقني عشرين هطالتين تشفيان» [١] بديروف الممع قبل أن تصير المموع دما والأضراس جمر» (٧) وقال عليه السلام «سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا فاضت عيناه» (٨) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليبتك. وكان محمد بن للتكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه وحلته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل مؤامسته الدموع. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أبكوا فان لم تبكوا قتبوا فوالله الذي ينشق يده لو لم العلم أحدكم لصرح حتى يتقطع صوته وصل حتى يشكر صليبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما تفرغت عين عنيها إلا برهق وجهه صاحبها قروا لذة

(١) حديث ما من مؤمن يخرج من عينه دمع وإن كانت مثل رأس الدياب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحانت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي في من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يبلغ النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عقبه بن عامر ما النجاة بإرسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك ينير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى لم أقض له على أصل (٦) حديث ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عشرين هطالتين تشفيان بديروف الممع الحديث الطبراني في الكبير وفي الدعاء أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند حسن ورواه الحسين الروزي في زيادته على الزهد والرقائق لأن للبارك من رواية أبي بكر بن عبد الله بن مسعود ذكر الله وذكر الدار قطني في المثل أن من قال فيه عن أبيه وهم إنما هو عن سالم بن عبد الله بن مسعود وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله الحاربي وليس بآبى عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم الحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في السنن وابن أبي حاتم عن أيوب بن أحمد الحاربي أن الراوي له عن سالم بن عبد الله أبو سلمة وإعنا ذكروا له رواية عن سالم الحاربي والله أعلم نعم حتى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عن سالم الحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

[١] قوله تشفيان بديروف الممع الذي في الجامع الصغير تشفيان القلب بديروف الممع من خشيتك الله.

ابن خبزون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الهاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر ابن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحاربي قال حدثنا حماد عن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا ما هو قال إصلاح ذات البين وإياكم والبضعة فانها هي الخالقة» وبإسناد إبراهيم الحاربي عن عبيد الله بن عمر عن أبي أمامة عن عبيد الله ابن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

يوم القيامة فإن سالت مجموعته أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بقي في أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعه على وجنتي أحب إلى من أن أصدق بجل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموعا من خشية الله أحب إلى من أن أصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال وكنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أننا نعرفت إلى أهل فدت من المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا ففسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد ناقضت حيث تحولت عنى ما كنت فيه من الخوف والرهبة فخرجت وجعلت أتأدى نافي حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلام ينافي حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافي حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام ينافي حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجاءت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أننا نأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصاحبتكم لللائكة في الطريق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما على السبب أو على السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما)

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء كثرت وربما نظر الناظر إليها فتمتع به فكيف إن الأفضل أهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبر أفضل ثم الماء وجوابه أن يقال الخبر أفضل للجامع ولأن أفضل العطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبر أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لكل ما يرد لتصور فضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا أن يداوى بهما القلوب فضلهما بحسب الداء للوجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد العصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبر أفضل من السكينة إذ يبالغ بالخبر مرض الجوع والسكينة مرض الصفاء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالخوف إلى الخبر أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن للعاصي والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من رحمة الله ومستقى الخوف من بحر القتب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى الظن والرحمة كانت الهبة عليه أغلب وليس وراء الهبة مقام . وأما الخوف فستقدمه الانقذات إلى الصفات التي تقتضى النصف فلا يجازيه الهبة مما يجزى للرجاء . وعلى الجملة فإبراد التبريد ينفى أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لافضل الأفضل فتقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة العاصي . فأما انتهى الذي عرك ظاهر الأثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يستدل خوفه ورجاؤه وتلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أننا نأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصاحبتكم لللائكة في الطريق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذن كل ما ورد في فضل الخوف والرجاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما على السبب أو على السبب .

أبا مسلم يقول سمعت
أبا هريرة يقول أخبر
وقى الخبر تحذير عن
البضعة وهو أن يغفو
الحنظل الناس مقنا لهم
وسوء ظن بهم وهذا
خطأ وإنما يريد أن
يغلو مقنا نفسه
وعدا بما في نفسه من
الآفات وحذرا على
نفسه من نفسه وعلى
الخلق أن يعود عليهم
من شره فمن كانت
خلوته بهذا الوصف
لا يدخل تحت هذا
الوعيد والاشارة
بالحالة يعني أن البضعة
حالة للذين لأنه نظر
إلى المؤمنين والمسلمين
بين الله . وأخبرنا
الشيخ أبو الفتح
بإسناده إلى إبراهيم

ناقة فيسبى عليه الكتاب فيتم له بعمل أهل النار وقد عرفنا الناقه لا يحتمل عملا بالرجاء إلا بما هو
 بمقدار خاطر ينجح في القاب عند اللوث فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أنقى غايات
 المؤمن أن يتبدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاقتدار وقلة الأمر قوله ذلك
 جمع الله تعالى بينهما في وصف من أتى عليهم قتال تعالى - يدعوونهم خوفا وطعما وقادع وجل
 - ويدعوننا رغبا ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه فالحق للوجود في هذا الزمان كلهم الأصلح
 لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من اللغظة فيكون ذلك سببا
 للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الاتهام في المعاصي فان ذلك قنوط وليس خوف إنما الخوف هو الذي
 يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن
 دار التورط فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الواجب
 للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ حين عبد الله تعالى بعض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بعض
 الرجاء تاه في مفارقة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في هبة الاذكار . وقال مكحول
 الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمهبة فهو زنديق
 ومن عبده بالخوف والرجاء والمهبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو
 الأصلح ولكن قبل الاشراف على اللوث أما عند اللوث فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف
 جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انتهى وقت العمل فالتشرف على اللوث لا يتبدل على العمل ثم
 لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويحبس على تمجيل موته وأما رجاءه فاقوى
 قلبه وعجب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحدا الدنيا إلا بحب الله تعالى ليكون حيا لقاء
 الله تعالى فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تارة له المحبة فنأرجي كرمه فهو محبوب
 وللقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تتم المعرفة المحبة فان للسير إليه والقدم بالموت
 عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت عنه وعذابه فلهما
 كان القلب الغالب عليه عند اللوث حب الأهل والولد واللسان والسكن والبقار والرفقاء والأصحاب
 فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحب فلو تخرج
 من الجنة وحيد فلو بينه وبين ما يشبهه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشبهه فاذن يمكن له محبوب
 سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والتسكّر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذ
 سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة للساعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه لو تقدم على محبوبه
 وخلص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخل بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر
 فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والقبول فضلا عما أعده الله لعباده
 الصالحين مما لم تره عين ولم تسمه أذن ولا خيط على قلب بشر وفضلا عما أعده الله للذين استعجبوا
 الحياة الدنياء في الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الحزنى
 والنعكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين وليحفظنا بالصالحين ولا يقطع في إجابة هذا الدعاء إلا
 بكسباب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا بإخراج حبه فخرج من القلب وقطع الملائق عن كل ماسوى
 الله تعالى من جاه وجمال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال « اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحبك وحب ما يحبني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من اللذات الباردة ^(١) والنرض

وقال السلام علينا
 وعلى عباد الله الصالحين
 فهم مجتمعون وإن
 كانوا متفرقين
 وصحبهم لازمة
 وعزيتهم في التواصل
 في الدنيا والآخرة
 جائزة . وعن عزم بن
 الخطاب رضى الله عنه
 لو أن رجلا صام الأهر
 وقام الليل وتصدق
 وجاهد ولم يحب في
 الله ولم يرض فيه
 ما شقه ذلك . أخبرنا
 رضى الدين أحمد بن
 اسميل بن يوسف
 إجازة إن لم يكن صامعا
 قال أنا أبو الظفر عن
 والده أبي القاسم
 القشيري قال سمعت
 أبا عبد الرحمن السلي
 يقول سمعت عبد الله

ليس فيه تحذير زمن السلم بغير سن سنة ولا ذكر شر ولا فوق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحبك الحديث الترمذى من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والسموات .

أن غلبة الرجاء عند اللوث أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل اللوث أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقبح لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال **عليه السلام** «لا يموت أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه» وقال تعالى «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابن أبي حديش بالخمس والذكر لي الرجاء حق ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزع جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لا به عند اللوث إذا ذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن وللتصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن يحبني إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكر لهم الآتي وتعالى فاذن غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن النافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله قال الآن أظنت ظفا أصبح سأله عن حاله قبله إنه مات بالبراحة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحنه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا النرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد خفت بالمسكرة فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد خفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الهرمات ثم يؤدي مقام الصبر للمستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والتفكير فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأُنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأُنس إلى المحبة ويقبض مقام الرضا والتوكل وسائر الخاتبات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدها مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد قد ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة تنح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأُنس ومن ضرورة المحبة الرضا بامل المحبوب والثقة ببنائه وهو التوكل فاذن فيأخذ كرماء في علاج الصبر كفاية ولكننا نقر بالخوف بكلام جميل فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما على من الآخر، ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية وربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خلف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد فرأى نفسه وبخالف في الحرب منها فلم يمه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غفوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية ومهما وخاضتها وسطوة السبع وبطشه وقوة ميالاته. وأما خوف الابن فأما أنه بمجرد التقليد لأنه بحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب يخوف في نفسه فيعلم أن السبع يخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف اللئاء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما ينفي الحيية والخوف والحذر المطلقين في سر قوله تعالى - وعلمكم الله حسه - وقوله عز وجل - أتقوا الله حق تقاته أما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهم أجزاء من الطاعة والمحبة وضفه بسبب التفقه بسبب صف الإيمان وإنما قول التفقه بالندك والوعظ ولا ملازمة الفكر في أحوال

(١) حديث لا يموت أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم.

ابن العلم يقول سمعت أبا بصير الثعلباني يقول سمعوا مع الله قال لم تطيقوا فاصبروا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحتهم إلى صحة الله وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا عمر ابن أحمد الصفار التيسابوري إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بصير الأصماني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول : الأُنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل

يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجاالسهم ومشاهدة أحوالهم فان قامت الشاهدة للبيع لا تخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأمل فان يكون الله هو الخوف أعني أن خوف البعد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لحي وهذه خيبة العلماء حيث قال تعالى - إنما نخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخيبة ولكن هو مجرد التقليد يشأه خوف الصبي من الحية تقليدا لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يثبت ويؤول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى المزمع يتم على أخذ الحية فينظر إليه ويثربه فيتجرا على أخذها تقليدا له كما احتزمن أخذها تقليدا لأبيه والعائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قوت بمشاهدة أسبابها للؤكد لها على الصوم والمواظبة على مقتضاها في تكثر الطاعات واجتناب الصالحى مدة طويلة على الاستمرار فاذن من يوثق إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفا في محال به يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى وذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام مخفى كما تخاف السبع الضاري ولا حية جلب في الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في محال به فلا يحتاج إلى حية سواء من عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالى وبهكم ما يريد ولا يضاف قرب للالكس من غير وسيلة سابقة وأبعد إلىس من غير جريمة سابقة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وإن خطر يالك أنه لا يمايق إلا على مصيبة ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعد الطبع بأصباب الطاعة حتى يطبع هادى أم أبى بعد الصالحى بدواعى للصيحة حتى يصحى هادى أم أبى فانه ما خلق القلفة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان القفل واقفاها بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم حله على للصيحة هل ذلك لمصيبة سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لاصالة على أول لاعة فمن جهة البعد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال واحتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند رجعا لحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله يده وتبع فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطك الناس خطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذى استغفرك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فيكم وحدث الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربيعن عاما قال آدم فخلو وجدت فيها وصى آدم ربى موسى قال نعم قال أنقادنى إلى أن عملت عملا كتبته الله على قلب أن أعمله وقبل أن غفلنى بأربيعن سنة قال صلى الله عليه وسلم حج آدم موسى ^(١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص المارفين للطلعين على سرائر القدرين مع هذا فاعلم به وحقق بمجرد البيع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من القومين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد قبل بالاختاق فيخلو وقد بهجم عليه فيقرمه وذلك بحسب ما يثق وذلك الاختاق أسباب مرتبة بقدر معاوله ولكن إذا ضيف إلى من لا يعرفه سمى اختاقا وإن أضيف إلى علم الله عز أن يسمى اختاقا والواقع في محال السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقرس وأن سلط عليه الفضلة على وترك دائما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فقلت أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند رجعا لحج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بأقوال أخر .

ولايه الله فان الألس بأهل ولاية الله هو الأئمة بالله . وقد نبه القائل لنظام حقيقة جامعة لمعان الصحة والحلوة وقائدهما وما يحذر فيها بقوله : وحيدة الانسان غير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قوم الرد وحده [السبب الرابع] والجسدون في أداء حقوق الصحة والأخوة في الله تعالى قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى - وتواصوا بالحق وتواصوا بالبرحة - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف القطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن الهلاك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وإن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر للتفرع عن التضاد الجزم الأزلي إلى ما خلقه من خلق الجنة وخلق لها أهلاً سغروا لأسبابها عاوداً أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلاً سغروا لأسبابها عاوداً أم أبوا فليرى أحد نفسه في متلطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فلهذه غناؤه البارفين بسر القدر فن قدبه القصور عن الارتضاع إلى مقام الاستبصار فسيه أن يبلغ نفسه بهاج الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين البارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الهارجين للفرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء وأما المؤمنون فهم القرائنة والجهال والأغبياء . أمارسونا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفاً (٢) حتى روى أنه كان يصلي على طفل ، فبى رواية أنه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٣) وفي رواية ثانية وأنه سمع قالاً يقول هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فنضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضاً على جنازة عثان بن مظلون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئاً لك الجنة نسكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكرى أحداً بعد عثان (٥) وقال محمد بن خوقة الحنيفة والله لا أذكرى أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذي ولدنى قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومنافقه ، وروى في حديث آخر «عن رجل من أهل البصرة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك له كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره (٦) وفي حديث آخر «أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئاً

رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداه على الكفار رحماء بينهم وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى لعباده على آداب حقوق الصابرين اختار صفة أو أخوة قاده في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة في الصعبة فانه يختص على نفسه بذلك إما باباً من أبواب الجنة وإما باباً من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خير فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا الذين وقيل

- (١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبي هريرة أن ناسيد ولد آدم ولا غفر الحديث
- (٢) حديث كان أشد الناس خوفاً تهم قبل هذا خمسة وعشرين حديثاً قوله والله إنى لأخشاكم لله وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم على من صبي أوصية وقال لو كان أحد نجماً من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبياً دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أقلت أحد من ضمة القبر لأقلت هذا الصبي (٤) حديث إنه سمع قالته تقول لطفل مات هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فنضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوي له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فنضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثان بن مظلون قالت أم سلمة هنيئاً لك الجنة الحديث البخارى من حديث أم الملاء الأنصارية وهى القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فسهادى عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلاً من أهل البصرة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة الحديث أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلطخ إن أمه قالت هنيئاً لك يا بنى الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال قالت أمه هنيئاً لك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أنه قال إن رجلاً قال له أجر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله تعالى قال للريض هي أمي يارسول الله
 فقال وما يدرك لعل فلانا كان يشككم بما لا ينبغي ^(١) وكيف لا يخاف المؤمنون
 كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيعتي هود وأخواتها ^(٢) » سورة الواقعة وإذا الشمس
 كورت وهم يتساءلون فقال الضياء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى - ألا بداء
 لعاد قوم هود - ألا بداء لثمود - ألا بداء لمدن كما بدت ثمود - مع عدس على الله عليه وسلم بأهلوا شاء
 الله ما أشركوا إذ لو شاء لأن كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة ، خافضة
 رافضة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت الساعة حتى نزلت الواقعة إماما خافضة قوما كانوا مرفوعين
 في الدنيا وإماما رافضة قوما كانوا معنوسين في الدنيا ، وفي سورة التكاثر أحوال يوم القيامة وانكشف
 الحافاة وهو قوله تعالى - وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزيلت علقت نفس ما أحسرت - وفي عم
 يتساءلون - يوم ينظر المرء ما قدمت يداه - الآية ، وقوله تعالى - لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
 وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه تدبر ولو لم يكن فيه إلا لقوله تعالى - وإن
 لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق للفترة على أربعة شروط يسير
 السيد عن أحاديثها ، وأحد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فسي أن يكون من
 الفلاحين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لكم آية القلائد -
 وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن
 أخذناه أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نخبر المفلحين إلى الرحمن وفدا لآيتين وقوله تعالى - وإن منكم
 إلا واردها - الآية وقوله - اعلموا ما همتم - الآية وقوله - من كان يريد حرثا - الآية - فزده في حرثه
 الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآية وقوله تعالى - وقد علمنا أن ما عملوا من عمل -
 الآية وكذلك قوله تعالى - والصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فهذه أربعة عشر وطع خلاص
 من الحسران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا
 يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بيكا خوفهما من
 الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيا وقد أمتسكا قتالا ومن يأمن مكر الله ^(٣) وكأنهما إذ علما أن الله هو
 علام الغيوب وأنه لاوقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوته قد أمتسكا ابتلاء وامتحان لهما
 ومكرا بما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمتا من السكر وما فيا قوت لهما كان إبراهيم ^(٤) لما وضع
 في المتنجق قال حسبي الله وكانت هذه من الله عز وجل عاتق العظام فامتحن وعرض بجبريل في الهواء حتى
 قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوته حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال
 - وإبراهيم الذي وفي - أي بموجب قوته حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى ^(٥) حيث قال - إننا
 نخاف أن يقرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما أتى السحرة
 سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن
 وقيل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

إن أحد الأعداء في الله
 تعالى يقال له ادخل
 الجنة فيسأل عن
 منزل أخيه فان كان
 دونه لم يدخل الجنة
 حتى يسطي أخوه مثل
 منزله . فان قيل له لم
 يكن يسل مثل عملك
 فيقول إني كنت أعلم
 لي وله فيسطي جميع
 ما يسأل أخيه ويرفع
 ويرفع أشوه إلى
 درجته وإن فتح الله
 تعالى عليهما بالصحة
 شرا فهو باب من
 أبواب النار . قال الله
 تعالى - ويوم يعض
 الظالم على يديه يقول
 يا ليتني اتخذت مع
 الرسول سبيلا يا ليتني
 اتخذت فلانا خليلا -
 وإن مكنت الآية

- (١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هتئا له الجنة الحديث تنهم أيضا
- (٢) حديث شيعتي هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس وهو في التباين من حديث أبي جيفة وقد تقدم في كتاب السماع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بيكا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم تبكيا الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر وروياته في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يبيدك ^(١) » قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال للرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يصبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة للرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه له لعله قال للشيخ صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أنت قلت لناس اتخذوني وأمى المؤمنين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وقال - إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم - الآية . ففوض الأمر إلى الشيعة وأخرج قسمة بالكلية من بين يديه لأنه لا شيء له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالشيعة ارتباطا يخرج عن حشد المقولات والمألفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بشيعة من لياليك . إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يبدونهم بأنواع الآلام والأمراض ورض مع ذلك قلوبهم بالكفر والتناق ثم يفسد القلوب عليهم أبد الأباد ثم يخبر عنه ويقول - ولو شئنا لأنينا كل شئ هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول في الأزل ولا يطعم في تداركه ولو كان الأمر أنها لكنت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي الساجدة من جل الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن سرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وتحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقته في التفاوت ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالسكينة عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الحاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن بؤمن خير الحال وقلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أهدى قلبا من القدر في غلباتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذاب ربهم غير مأمون - فأجهل الناس من آمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لا تحترق قلوبهم من نار الخوف . فأسباب الرجاء رحمة لحواس الله وأسباب الثقة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف التطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بيني وبين من عرقته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأنني لأدري ما ظهر له من القلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الله - والوت على الإسلام عند باب الحجر لا تحترق الموت على الإسلام لأنني لأدري ما يمرض قلبي بين باب الحجر وباب الله - وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إجماعه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحاتمة عند كل خطرة وعند كل

وردت في قصة مشهورة ولحسن الله تعالى فيه بذلك عياده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصعبة والأخوة اخفاء من غير نية في ذلك وتثبت في أول الأمر شأن رباب الفتلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصعبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يجهل في أوله ويحكم الأمر فيه بكرة اللبأ إلى الله تعالى وصف الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يبيدك البخاري من حديث ابن عباس بلفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة وهم الدين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - . ولما احتضر سفيان جعل يبيح ويجزع قليل له بأبأ عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك ، قال أوطي ذنوبي أبكي ؟ لوعلت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن أتق الله بأمثال الجبال من الخطايا . وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاقم عند رأسى ، فإن رأيتنى متاً على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزاوسكرا واشتره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس للفتل ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يشتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة فلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة . قال : وبهم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والوز وفرقه . وكان سهل يقول : للريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والمارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكأن فى وسطى زئارا أخاف أن يذهب بى إلى اليمه ويبت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عنى الزئار نهائى فى كل يوم خمس مرات . وروى عن السبيح عليه الصلاة والسلام أنه قال : يا خسر المواريث أنتم تخافون المعاصى ، ونحن معاصى الأنبياء نخاف الكفر . وروى فى أخبار الأنبياء أن نبيا شك إلى الله تعالى الجوع والعمل والمرى سنيى وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عبيد أمارضيت أن عصمت قلبك أن تكفرك حتى تسألنى الدنيا فأخذ القرباب فوضعه على رأسه ، وقال بلى قد رضيت بإرب فاصصنى من الكفر ، فإذا كان خوف المارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الحائمة فكيف لا يخافه الضفء ، ولو دأب الحائمة بأسباب تتقدم على الموت مثل البعثة والنفاق والكبر وجملة من الصفات للذهومة ، وقلنا اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنى برى من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وما عتوا به النفاق الذى هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما مناققا وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم جبر (١) » وفى لفظ آخر « وإذا عاهد غدر » وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتغاسير لا يخلو عن شئ منه إلا صدق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذى يخلو عن هذه العاني بل سارت هذه الأمور مأثورة بين الناس مضادة ونس كونه منسكرا بالكيفية بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة فكيف الظن زمانا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليتسكع بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناققا لئى لأصعبا من أحدكم فى اليوم عشر مرات (٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق فى أعينكم

وسؤال البركة والخبرة
فى ذلك وتقديم صلاة
الاستخارة . ثم إن
اختيار الصحبة
والأخوة عمل بكل
عمل يحتاج إلى التيقن
والى حسن الحائمة
وقد قال عليه الصلاة
والسلام فى الخبر
الطويل « سبعة
يظلمهم الله تعالى فمنهم
اثنان هما فى الله
فأشأ على ذلك وماتا
عليه » إشارة إلى
أن الأخوة والصحة
من شرطهما حسن
الحائمة حتى يكتب
لهما ثواب الزاخرة
ومنى أقصد الزاخرة
بتضييع الحقوق فيها
فسد العمل من
الأول . قيل ما حصد

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم فى قواعد المفائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليتسكع بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناققا الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم فى قواعد المفائد .

من الشر كذا نفعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من السكابر (١) . وقال بعضهم : علامة النفاق أن تسكره من الناس مائة مثله ، وأن تحب على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أحبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إننا ندخل على هؤلاء الأسماء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تسكننا بهم ، فقال كذا نفع هذا شقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . وروى أنه سمع رجلا يلتمس الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرايت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كذا نفع هذا شقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) . وأشد من ذلك ما روى أن شرا قدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يشككون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكنوا حياء منه ، فقال تسكنوا فيما كنتم تقولون فسكنوا ، فقال كذا نفع هذا شقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) . وهذا حذيفة كان قد خص بهم للنفاق وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يتلوه بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مفرز كرامة ويأتي عليه ساعة يتلوه بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مفرز إبرة . فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تقدمه : منها البع ، ومنها اللعاصي . ومنها النفاق ، ومن يغلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إنى أخاف على شئى النفاق ، فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الانقضات إلى السابعة والحاتمة خائفا منها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد للؤمن بين عاتقين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قديم لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفس يده ما يهد الموت من مستعقب ولا يهد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٥) » ، والله السمان .

(بيان معنى سوء الحاتمة)

فلن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحاتمة لها معنى سوء الحاتمة . فاعلم أن سوء الحاتمة على ريتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسألة : فإن يثلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك : وإما المجرد تقبض الروح على حال غلبة المجرد أو الشك فيكون مغالب على القلب من فتنة المجرد حجابا

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشر الحديث البخارى من حديث أنس وأحمد واليزار من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قيس وصحح إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إننا ندخل على هؤلاء الأسماء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث سمع ابن عمر رجلا يلتمس الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج حاضرا الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن قرأ قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يشككون في شيء من شأنه فلما خرج تسكنوا الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث العبد للؤمن بين عاتقين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد بلافا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجوه ولم يمسند الفردوس .

الشیطان متعاونین
على بر حسده
میتا خین فی الله
یتجاسرین فیہ فانه
یهد نفسه ویحث
فیفسد على إفساد
ما بینهما . وكان
للفضل بقول : إذا
وقعت النیة ارتفعت
الأخوة والأخوة فی الله
تعالی مواجهة قال
الله تعالی - إخواننا
على سرر متقابلین -
ومنى أضمر أحدهما
للآخر سوءا أو كره
منه شیئا ولم ینبه
عليه حتى یزیه أو
یتسبب إلى إزالته منه
فلا واجبه بل استدبره
قال الجید رحمه الله
ما تواخى اثنان فی
الله واستوحی

بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والمذاب المحقق . والثانية وهى دونها أن ينقلب على قلبه عند اللوث حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لتبره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها وهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومما حصل الحجاب نزل المذاب إذ تار الله للوقعة لا تأخذ إلا المحبوبين عنه فأما للؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا الصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جزأ مؤمن فان تورك قد أطلقا لحي لهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر خطر لأن اللوث يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد اللوث تضاد الصفة التالية عليه إذ لا تصرف فى القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع فى عمل ولا مطمع فى رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فاته يعمو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند اللوث فان كان إيمانه فى القوة إلى حد متقال أخرجه من النار فى زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طالع مكته فى النار ولو لم يكن إلا متقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد ألف سنين . فان قلت فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقب موته لما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويعمل طول هذه اللذة . فاعلم أن كل من أسكر عذاب القبر فهو مبتدع محبوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما صحت به الأخبار وهو «أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (١)» . «وأنة قد يفتح إلى قبر للمذب سبعون بابا من الجحيم (٢)» كما وردت به الأخبار فلا تخافه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد عقى بسوء الحظ وإغسا تختلف أصناف المذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكرو ونكير عند الوضع فى القبر (٣) والتعذيب يده (٤) ثم للناقصة فى الحساب (٥) والافتضاح على ملا من الأشهاد فى القيامة (٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا فى جميع أحواله بين أصناف المذاب وهو فى جملة الأحوال معذب إلا أن يتقدمه الله برحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويدعها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبي سعيد وقال غريب وتهدم فى الأذكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر للمذب سبعون بابا من الجحيم لم أجده أصلا (٣) حديث سؤال منكرو ونكير عند الوضع فى القبر تهدم فى قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تهدم فيه (٥) حديث للناقصة فى الحساب تهدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملا الأشهاد فى القيامة أحمد والطبرانى من حديث ابن عمر باسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه فى الدنيا فضحه الله على رموس الأشهاد وفى الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر وللناقض فيأدى بهم على رموس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبرانى والحقيل فى الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكرو (٧) حديث خطر الصراط تهدم فى قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبرانى من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى نسفة حقة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والبران . قال صاحب الميزان حديث منكرو وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا فى خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين للشرق والتراب .

أحدهما من صاحبه إلا
لملأ فى أحدهما فالأخا
لى الله أسقى من اللام
الزلال وما كان لله فافه
مطالب بالصفا فيوكل
ماصفا دلم والأصل فى
دوام صفاته عدم الخلق
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «لأعمار
أحلك ولا تمارحه
ولا تصدده موعبا
تتلفه» . قال أبو سعيد
الخراساني : صحت
الصوفية خسين سنة
ما وقع بين وبينهم
خلاف قليل له وكيف
ذلك ! قال لأن كنت

معهم على قس .
أخبرنا شيخنا
أبو العجب السمروروى
إجازة قال أنا عمر بن
أحمد الصغار قال أنا

فتجتمع الأجزاء للفرقة وتناد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت اللوث إلى
الاعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه
الحال إن كانت والياد بالله شقية . فان قلت لها السبب الذي يفضي إلى سوء الحاقة . فاعلم أن
أسباب هذه الأمور لا يمكن إحداها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الحتم على
الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهدة وتمام الصلاح
في الأعمال كالمتبع الزاهد فان طاقته عظيمة جدا وإن كانت أعماله سالمة ولست أعني مذهبا .
فأقول إنه بدعة فان يان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيقتضيه على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعوقه ونظيره الذي به يجادل
الحسم وعليه يقول وه يتر وإما أخذا بالتقليد بمن هذا حاله فاذا قرب اللوث وظهرت له نامة
ملك اللوث واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات اللوث بطلان ما اعتقده جهلا
إذ حال اللوث حال كشف الظواهر ومبادئ سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور لهما بطل
عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا به عند قسمه بل يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد
خاصة لالتجاة فيه إلى رأيه القاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن
عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف
بعض اعتقاداته من الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكها فان اتفق زهو في روحه في هذه
الخطرة قبل أن يثبت ويهود إلى أصل الإيمان قد حتم له بالسوء وخرجت روحه عن الشرك والياد
بالله منه فلو شاءم الرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبوقه عز وجل
- قل هل ينشك بالأخسرين أعمالا الذين ضل صيغهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا - وكأأنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أفعال الدنيا عن
القلب فكذلك ينكشف في سكرات اللوث بعض الأمور إذ شغل الدنيا وضوأت البدن هي السائمة
القلب من أن ينظر إلى اللكوكت فيطالع مافي الوجح المفقود لتكشف له الأمور على ما هي عليه
فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من
اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقييدا وإما نظرا بالرأى والعقول
فهو في هذا الخطر والزهدة والصلاح لا يكتفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق واليه
يمر عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا جملا راسخا كالأعراب
والسواوية وسائر العوام الذين لم يفرضوا في البحث والنظر ولم يصرعوا في الكلام استقلا ولا لأصغوا
إلى أسناف التشكيك في تخليد آقاويلهم المختلفة ولقد قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة
اليه (١) » ولقد منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور
وأمروا الخلق أن يقتصر على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جيما وبكل ما جاءه من الظواهر
مع اعتقاده نفي التشبيه ومنعهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم
وعقباه كثرة ومسالكه وعرة والقول عن ذلك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور
اليتين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محبوبة وما ذكره الباحثون بضاعة عقولهم
مضطرب ومتعارض والقول لما أتى إليها في مبتدأ النشأة آفة وبه متعلقة والتصحيات الثائرة بين
الخلق مسامير مؤكدة لمقالات الوروعة أو للأخوة بحسن الظن من اللعين في أول الأمر ثم الطباع

(١) حديث أكثر أهل الجنة اليه البراز من حديث أنس وقد تضمن .

إني بكر أحمد بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال سمعت
عبد الله الداراني قال
سمعت أبا عمر والد دمشق
الرازي يقول سمعت أبا
عبد الله بن الجلاء يقول
وقد سأله رجل على أي
شرط أصعب الخلق
فقال إن لم يرم فلا
تؤذم وإن لم يرم
فلا تؤرم . وبهذا
الاستناد قال أبو عبد الله
لأضيق حق أخيك
بما بينك وبينه من
لوعة الصداقة فان الله
تعالى فرض لكل
مؤمن حقوقا لم يضربها
إلا من لم يراع حقوق الله
عليه ومن حقوق
الصحة أنه إذا وقع
فرقة ومباينة لا بد كـ

عجب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخبتها آخذة وعن تمام الفكر صارقة فإذا تسح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأى والتقول مع غايات الناس في قرائعهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل تجاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاطاعة بكنهه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتلق ذلك بقلوب الصغين إليهم وتأكّد ذلك بطول الإلف فيهم فأنشد بالكليط طريق الحلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يترعوا لما هو خارج عن حدّ طاعتهم ولكن الآن قد استرخى الشنان ونشأ الهديان وتزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الايمان ويطن أنه ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين - ولعلهم نبأ به مدح حين - ويشي أن ينشد في هؤلاء عند كشف النطاء:

أحسنت ظنك بالألم إذ حسنت ولم تحف سوء ما يأتى به القدر

وسألتك الليالى فأقررت بها وعند صفو الليالى يحدث السكدر

واعلم يقينا أن كل من طارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البعث قد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انسكرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقى إلى الساحل وذلك بيد الملاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تلتقيها من الباحثين بضاعة عقولهم إمام الأداة التي حرروها في تصباتهم أودون الأداة فإن كان شاكا في فهو فاسد الدين وإن كان واقفا فهو آمن من مكر الله مقرر ببقائه الناقص وكل خائف في البعث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود القول إلى نور للكشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأنى يتيسر وإنما يعلم عن هذا الخطر إليه من العوالم أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يغفروا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب للخطر في سوء الحاتمة. وأما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في محالة النفس والدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويحسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفى ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعنا ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهو المحبوب التالجب على القلب فيتألم القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانسكر ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده بما ضيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها لقلب ذلك الحب الضعيف بضفا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم به بالسوء وهلاك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يغضى إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والى كون إليها والقرح بأسبابها مع ضعف الايمان للوجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد من هذا الخطر وحب الله نيار رأس كل خليفة وهو الله الضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لثقة المرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه ولهذا قال تعالى قل إن كان آبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها بحجارة يحسبون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بؤس أحوالهم بالله يومئذ إنهم كانوا يفرقون روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى ياله وظهور بغض فعل الله بخلقه في تحريمه بينوهم أهل وماله

أخاه الإخبر . قيل
كان لبعضهم زوجة
وكان يعلم منها ما يكره
فكان يقول له استجارا
عن حالها فيقول لا ينبغي
لرجل أن يقول في أهله
إلا خيرا ففارقها وطلقها
فاستخبر عن ذلك فقال
امرأة بسدت عني
وليست متى في شيء
كيف أذكرها وهذا
من الخلق بأخلاق الله
تعالى أنه سبحانه يظهر
الجميل ويسر القبيح
وإذا وجد من أحدها
ما يوجب القاطع فهل
ينفضه أولا اختلف
القول في ذلك . كان
أبو ذر يقول إذا أحبب
عما كان عليه أبغضه
من حيث أحبته وقال
غيره لا يفيض الأخ

وسائر عباد فيكون موته قدوما على ما ينضه وفرقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم البديع فيبقى الأبق
إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الجزى والنكال وأما الذى يتوفى على الحب فإنه يقدم
على الله تعالى قدوم البديع الحسن للشقاق إلى مولاه الذى تحمل مشاق الأعمال ووعناء الأسفار طمعا
في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام
وبدائع الانعام . وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست متضمنة للخلاص في النار فلها أيضا
سببان : أحدهما كثرة العاصي وإن قوى الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت العاصي وذلك
لأن مقارنة العاصي سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الآلف والمادة وجميع مآلها
الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان فيه الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره
ذكر طاعة الله وإن كان فيه الأكثر إلى العاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فرميا بقيض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من العاصي فيقتيد بها قلبه ويصير محبوبا عن الله
تعالى فالذى لا يشارك الذنب إلا القليلة بعد القليلة فهو أبعد عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا
فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه العاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح
منه بالطاعات قبلها الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الانسان يرى
في منامه جملة من الأحوال التى عيشها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما عاين مشاهداته في اليقظة وحتى
إن للرأى الذى يحتمل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد وقع في اليقظة لوبقى كذلك مدة للرأى
عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
وأصحابها أكثر مما يراه الطبيب والفقير لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبت مع القلب بطول
الإلف أو بسبب آخر من الأسباب وللموت شبهة النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يقضمه
من الشبهة قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكرا للأفوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب للرجعة
لحصول ذكره في القلب طول الإلف فطول الإلف بالعاصي والطاعات أيضا مرجع وكذلك تخلف أيضا
منامات الصالحين منامات الساقى فتكون غلبة الآلف سببا لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
إليها نفسه فرميا بقيض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان بالقيا بحيث
يرجى له الخلاص منها وكما أن ما خطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص بعينه الله تعالى فكذلك آحاد
النامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كأننا نعلم أن الخطر ينقل من الشيء إلى
ما يناسبه إما بالمشاهدة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشاهدة فبأن
ينظر إلى جميل فيذكر جملا آخر وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى جميل فيذكر قبيحا ويتأمل في شدة
الفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قدره من قبله من إنسان فيذكر ذلك الانسان وقد
ينقل الخطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطة مثل
أن ينتقل من شيء إلى شيء فإن ومنه إلى شيء ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة
ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والأول مناسبة فكذلك للانتقالات الخواطر في
النامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الحياطة
أكثر أعفاه فانك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ بإرته ليطبق بها ويل أصبه التى لها عادة
بالسكتان ويأخذ الأزار من فوته ويقدره ويشبهه كأنه يتأطى فتمسكهم بميديه للقرص ومن
أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن العاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في نظامه

بعد الصبغة ولكن
يفض عمله قال الله
تعالى لئله صلى الله
عليه وسلم - فإن
عصوك قد إن يرى
نعماتكم - ولم يقل
إني يرى منكم .
وقيل كان شاب يلزم
جبالس أبي الدرداء
وكان أبو الدرداء يحبه
على غيره فأتى الشاب
بكبيرة من الكبائر
واتى إلى أبي الدرداء
ما كان منه قبيلا
لوا بدته وهجرته
فقال سبحان الله لا يترك
الصاحب بشيء كان
منه . قيل : الصداقة
حلقة كلمته النسب .
وقيل الحكيم مرة
أعيا أحب إليك أخوك
أوصدقك قال إنما

نفسه عنها وفي قعر السموات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول الواطئة على الحبر وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحافة سكرات اللوت فانه يموت الره على ما غلب عليه ويحترق ما مات عليه ولذلك قيل عن قتال أنه كان يلقن عند اللوت كلتي الشهادة فيقول خست مرة لا تكن مشغول النفس بالحساب الذي طال إلقاه قبل اللوت. وقال بعض المارفين من السلف العرش جوهره تتلاذذ نورا فلا يكون البدن على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات اللوت كشف له صورته من العرش فرعا يرى نفسه على صورته مصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجلب عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة الألوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع سوء الحفافة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتصالات للتضيئة لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان كقول الإلف فيه تأثير بهذا عظم خوف المارفين من سوء الحفافة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والمبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الحيات لا تدخل بالكلية تحت الضغط وإن كان التائب مناسبة ما يظهر في اليوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا طي القارمدي رحمه الله عليه يصف لي وجوب جبري أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه قال حيث لشيخني في القاسم الكريماني منامي وقلت رأيته قتلني كذا قتلتم ذلك قال فمجرى شهر لو لم يكلمني وقالوا لأنه كان في باطنك تجوز المطالبة وإنكار ما قوله لك لما جرى ذلك على لسانك في اليوم وهو كاذب إذ قلنا يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم الله الملائمة من أسرار أمر الحفافة وما وراء ذلك فهو داخل في علم للكافة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحفافة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع الصبر في طاعة الله من غير مصيبة فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما يغلب على المارفين حتى يطول بسببه بكاء ونياحتك وبدوم به حزلك وفلقك كما تستحكي من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيبة لئلا الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال الصبر كلها ضالمة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول إني لا أحبب من هلك كيف هلك ولكني أحبب من نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صددت الملائكة بروح البدن المؤمن وقدمات على الحبر والاسلام فصببت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فقد فيها خيارنا وكان التوربي وما يبيكي فقيل له عالم يبيكي قتال بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبيكي على الاسلام وبالحق، ونعت سيفيته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبصم من الهلاك وقلب المؤمن أهد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التظان من أمواج البحر والبر والخواطر عند الموت خاطر سوء يخطر قط وهو الذي قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فوقا ناقة فيتم له بما سبق به الكتاب (١)» ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشاة ولا يهل الخواطر التي تضربوخطر خطور البرق إلى الخطف وقال سهل رأيت كأن أدخلت الجنة فראيت ثلاثاً نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا لو لم سوء

(١) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تهمد .

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلف
في الملة رقة ظاهراً وباطناً
وأما الملازمة باطنياً إذا
وقعت المبينة ظاهراً
فتختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطلق
القول فيه إطلاقاً من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تغيره رجوماً
عن الله وظهور حكم
سوء الساقية فيجب
بضنه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان تفسيره عثرة
حدثت وقرة ونعت
يرجى عوده فلا ينبغي
أن يفيض ولكن
يفيض عمله في الحالة
الحاضرة ويلاحظ بين
الود منتظراً له الرجوع
والودود إلى أوطان

الحاشية ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مشبوطا عليها وكان موت القبطة مكروها ، أما الموت فجأة فلا تله رجعا يثق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخون عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو ينور للرفقة ، وأما الشهادة فلا تله عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يجمع على صف القتال موطن غمسه على الموت إلا جاهد وطلباً لمرضاته وباعدها بآخرة وراضياً بالبيع الذي باع به الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبايعون راغبون عن البيع لعامة وخرج حبه عن القلب وبجرد حب الموض للظوف في قلبه ومثل هذه الحالة قد يلبس على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يثق زهوق الروح فيها فصف القتال بسبب زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس بقصد القلبية والفتنة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حالة وإن تمل في المركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كأدلت عليه الأخبار (١) وإذا كان معنى سوء الحاشية وما هو عتوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرس عن فعل المصالح جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المصالح ومشاهدة أهلها جهلك فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإليك أن تموت فتقول لسانك لها إذا جاءت الحاشية فإن كل نفس من أنفسك خائفتك إذ عكن أن تختطف فيروحك راقب قلبك في كل تطرفة وإليك أن تمهله لحظة فلعل تلك اللحظة خائفتك إذ يمكن أن تختطف فيها روحك هذا مادمت في يقظتك وأما إذا تمت فإليك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يملك النوم لا يبدد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد شقيقة الأثر . واعم قطعاً أنه لا يباب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالباً عليه وأنه لا يلبس في النوم إلا ما كان غالباً قبل النوم ولا يلبس عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبث شبه النوم واليقظة فسكا لا ينام البعد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في سومه فكذلك لا يعوت للرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه وتحقق قطعاً وشيئاً أن الموت والبث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفسك ولحظاتك وإليك أن تنقل عن الله طرفة عين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هاسك إلا العالمون والعالمون كلهم هاسك إلا العالمون والعالمون كلهم هاسك إلا العالمون والعالمون كلهم هاسك إلا العالمون . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تنزع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك . مطعم . وملبس . ومسكن . والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقيم صلبك ويسد رمقك فيبقي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إلا لفرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في الحياة ولا يكون قضاء الحاجتين همتك التي يشغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقضيت ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء

الصلح قد ورد وأن
التي عليه الصلاة
والسلام لما عتف القوم
الرجل الذي أتى بفاحشة
قال له وزجرهم قوله
ولا تتكفونوا عونا
للسيطان على أخيك
وقال إبراهيم النخعي
لا تطلع أخاك ولا تجهده
عند الدين يدينه فانه
يركبه اليوم ويتركه
غدا وفي الخبر واقفوا
زلة العالم ولا تطلوه
واستظفروا فيقتله .
وروى أن عمر رضى
الله عنه سأل عن أخ
له كان أخاه غفراً إلى
الشام فسأل عنه بعض
من قدم عليه فقال
ما فعل أخى فقال له
ذلك أخو الشيطان قال
له ما قال له إن عاقرف

(١) حديث للتتول في الحرب إذا كان قصد القلب والفتنة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل للمسلم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قتال من قتال لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك فلاما ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأ كوكك في وقتهم وقد موجهه أوالوقت فأقدها يكفى في اليوم واليلة مرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنبه فأن لا يطلب لئلا الأظمة بل يتبع بما يتفق فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشقة الشبوات والذائد قدرت بعد ذلك على ترك الشبوات وأنتك أن لا تأكل إلا من حله فإن الحلال يميز ولا يفي بجميع الشهوات وأما دبلك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وسر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قفسوة بدائق فطليك غيره فضلو منك بضيع فيزما نك ويملك الشغل الدائم والعناء القائم في محصلة بالسكب مرة والطعم أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود القياس إن أبكتك به في خسارة قدره وجنسه لم يكن لك مكوف ومرد بسبه بل كنت ممن لا علاء بطة إلا التراب وكذلك للسكن إن اكتفيت بمقصوده فكنتك السماء سقنا والأرض مستقرا فان عليك حر أو برد فليك بالمأجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر حركه وعمره وك بضاكتك ثم إن نيسرك قصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الأسرار ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وترين السقوف فقد تورطت في مهواة يمد ريك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصر عليها فترغت لله وقدرت على التزود لأخرتك والاستعداد لحاجتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أى ولد أهلكك فأقبل هذه النصيحة ممن هو أحرص إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فإذا ذهبت يوما يوم في تسويقك أو غفلتك اختطفت لحاة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيها وصفاته من أمر الحاجة كفاية في تخوفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيد بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فأقبل مع كلال بصيرتك وعشى عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصمق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مشيا عليه وبعضهم يجر ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الخائفين مثل الحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة ما يتغير منه الأنهار وإن منها ما يشقق فيخرج منه لئاء وإن منها ما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

(بيان أحوال الأنبياء وللأسكدة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)

روى عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله (١) » وقال صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فسق (٢) » وقال تعالى «وآخر موسى مقفلا رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فسق (٣) » وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فسق للعروف نيار وروى من هذه القصة أنه قرأ عنده سعدنا أنكلا وجوبا وطما إذا ضعه وعذابا للأنبياء فسق كما رواه ابن عدى والبيهقي في الشعب وسلا وهكذا ذكره الصنف على الصواب في كتاب السباع كما هدم (٣) حديث إن رآى صورة جبريل بالأبطح فسق البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فنداره فطلع عليه من قبل الشرق فجعل يرتفع ويسبح فلما رآه صلى الله عليه وسلم رواه ابن المبارك بن رواية الحسن مرسلا

الكبار حتى وقع في الخرق قال إذا أردت الخروج فأذنى قال فكذب إليه - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فافر القتب وقابل الثوب فهدد القاب ثم عاتبة تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر قتاد ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلقت عينا وقد أنفاه فقال يا رسول الله آخيت رجلا فانا أطليه ولا أراه فقال يا عبيد الله إذا آخيت أحسدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو يريد فرقا من الجبار^(٢)» وقيل لما ظهر على إيليس ما ظهر لطيف جبريل وميكائيل عليهما السلام يكيان فأوحى الله إليهما ما يكتبان كل هذا البكاء فقالا يارب ما نأمن منك فقال الله تعالى هكذا كوننا لأماننا مكرى . وعن محمد بن النكدر قال لما خلقت النار طارت أثدثة للأنبياء من أمانها فلما خلق بنو آدم حادت وعن أنس أنه عليه السلام سأله جبريل «مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار^(٣)» وقال إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار عفاة أن يضرب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضى الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت يا رسول الله لا أشتهي فقال لكنى أشتيه وهذا صبح رابعة لم ألق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لأعطاني ملك قيس وكري فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يغشون رزق ستمهم ويضرب اليقين في قلوبهم قال فو الله ما برحنا ولا نقنا حتى نزلت سوكان من دابة لا تعمل رزقها الله رزقهم وإياكم وهو المسيح الطيب - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله يأمر بكم بزكاة ولا يتابع الشهوات، من كنز دنائير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإنى لا أكون في نار أولادهم ولا أخبار زكاة الله^(٤)» وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بنى داود عليه السلام أربعين يوم ما سجد إلا يرفع رأسه حتى نبت للرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فتودى داود أجمع أنت قطعتم أم طعان ففسق أم طافكسي فضع نحية حاج الود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة وللغفرة فقال يارب اجعل خلقتي في كفى فصارت خطيئة في كفى مكتوبة فكان لا يسقط كفه لطعام ولا شراب ولا لغيره إلا رأها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثا فإذا تناوله أفسر خطيئته لما يضعه على هفتة حتى يفيض القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض ورحبوا إذا ذكرت رحمتك ارتدعت إلى روعى سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليأدوا خطيئتي فكلمهم عليك بدلى فبؤسالة انطين من رحمتك . وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوبى صار خاوا وضاع يده على

بلفظ قضى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأت جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له سنانة جناح^(٥) حديث كان إذا دخل في الصلاة مع لصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والترمذي في الشائل والنسائي من حديث عبد الله بن النخعي وشهد في كتاب البيع^(٦) حديث ماجادى جبريل قط إلا هو ثم رعد فرائسه من الجبار لم أجده هذا القفظ وروى أبو الشيخ في كتاب المغلة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة قائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائسه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سحاح الحنفى محتاج إلى معرفته^(٧) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الحائزين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسل وورد ذلك أيضا في حق إسرائيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الحائزين^(٨) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل الحديث ابن مردويه في القصير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح بن مهنا ضعيف.

كان مرضا عده وإن كان مشغولا أعتته وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما ما اختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فقلت ملكا فاته في الدنيا وكان يقول سعيد بن العاص للبيهقي حتى ثلاث إذا دعا رجيت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلمة خلوس الحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ ماجل من رفق أو إحسان قال ما كان معاولا يزول بزوال عتقته ومن لا يستند في خلقه إلى علة يحكم بدوام خلقه ومن شرط الحب في الله

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأرأيكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستبقني إلا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فليصنع بداد الخطاء وكان سابع في كثرة البكاء يقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق المقام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمرني ملائكة غلاظ شداد لياصون الله مائسرم ويشلون مائسرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب بدادواو خطيئة شمس صوته فقال إلهي بع صوتي في صفاء أصوات الصديقين عوروي أنه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينشف ذلك شاق فدعه واشتد غمه فقال يارب آمأرحم بكائي فأوحى الله تعالى إليما داود ونسيت ذنبيك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كفت للماء الجاري من جريه وسكن هبوب الريح وأطلق الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى عروابي إلهي وسيدى لما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة العصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقته يدي وهشمت فيمن روعي وأسجدت له ملائكتي وأبست ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقارى وشكالى الوحدة فزوجته حواء أمي وأسكنته جنح عصافى فطردته عن جوارى صرنا ذليلا يا داود اسمع منى والحق أقول أطمئنا فطمناك وسألتنا فأعطيناك وصيبتنا فأمهناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك . وقال يحيى بن أبى كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرجه له الثلب إلى البرية فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من النياض والأكام والجبال والبراري والصوامع والبيوع فينادى فيها أألمن أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأتى فأتى الوحوش من البراري والأكام وتأتى السباع من النياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى الصادري من خدور هن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود حتى يرقى للثرب ويحيط به بنو إسرائيل وكل صف على حديثه يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الالتئام على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتصوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أحوال القيامات وفي النياحة على نفسه فيصوت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة اللوح قال يا أيتام قد مرزقت للستمين كل محرق وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في السماء فينأى كذلك إذ ناداه بصن عباد بنى إسرائيل يا داود مهلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مضفيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرر لحظه عليه ثم أمر مناديا ينادى أألمن كان له مع داود حميم أو قريب فليأتى بسرر فليجعله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرر وتعمل قريبا وتقول لمن قتله ذكر النار يامن قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأخلق بابا ويقول يا إله داود أفضبان أنت على داود ولا يزال يتأبى ربه فيأتى سليمان وقصد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شمع يقول يا أيتام تهو بهذا على ماتر يدقيا كل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس عظمهم وغيرهم فخرج في أربعين ألفا فبات منهم ثلاثون ألفا وما رجع إلا في عشرة آلاف فلو كان له جارتان أخذها حتى إذا جاءه الحروف وسقط فاضطرب تصدتا على صدره وعلى رجليه خائف أن تتفرق أعضاءه ومفاصله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليه السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فظفر إلى عبادهم قد لبسوا مدافع الثمر والصوف ونظر إلى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وهدوا أعينهم إلى أطراف بيت المقدس فهاهنا ذلك

إشارة الأعمى بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى - مجنون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - قوله تعالى - لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يحسدون إخوانهم على ما لهم وهذا من الوصفان بما يكل صفو المحبة أحدها انزعاج الحسد على شئ من أمر الدين والدنيا. والثاني الإشارة بالمقدور. وفي الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «لله على دين خلقه ولا خير

فرجع إلى أبيه فر بصيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى
أبيه فسألها أن يدره الشمر فعلا فرجع إلى بيت للقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا
حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج وزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه
فأدركه على جبهة الأردن وقد أتم رجله في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك
لا أدركك بارد الثراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يخطر على قمرس كان معهما من شعر
ويشرب من ذلك الماء فعلم وكفر عن يمينه فدس بالبرفرد أبواه إلى بيت للقدس فكان إذا قام
يصلى بكى حتى يسكى منه الشجر وللدر ويسكى ذكرى عليه السلام لبعاله حتى يشفى عليه فلم يزل يسكى
حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للتأطرين قالت له أمه يا بني لو أدتني أن آخذك
شيئا تورى به أضراسك عن التأطرين فأذن لها فتصدت إلى قطعتي لبودقأصتهما على خديه فكان
إذا قام يصلى بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فصرهما فإذا رأى دموعه تسيل
على خداهي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبيدك وأنت أرحم الراحمين هال لذكرى
يوما يا بني إنما سألت ربى أن يبكى لى لترعيتى بك فقال يحيى يا أبت إن جبريل عليه السلام
أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال ذكرى عليه السلام يا بني فاك . وقال
للسبح عليه السلام : معاشر الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على الشدة
وياعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشيعر والثوم على الزبال مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل . وقيل كان الخليل صلات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته ينشئ عليه ويسمع اضطراب
قلبه ميلا في ميل فيأبسه جبريل فيقول له بك بك يتركك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف
خيله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت فهدى أحوال الأنبياء عليهم السلام فتدرك
والتأمل فيها فاتهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله التربين
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف)

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لعنار ليتى مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا . وقال أبوذر
رضى الله عنه وددت لو أنى شجرة تمسك وكذلك قال طلحة . وقال عثان رضى الله عنه وددت أنى إذا
مت لم أمت وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أنى كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه
كان يقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن منسيا عليه فكان يباد أياها وأخذ يوما تبتة من
الأرض فقال ياليتى كنت هذه التبتة ياليتى لم أك شيئا مذكورا ياليتى كنت نسيا منسيا ياليتى لم تدن
أمى وكان في وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من السموم . وقال رضى الله عنهما من خاف الله
لم يشف فيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عمر رضى الله عنه
- إذا الشمس كورت - وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت - خر مغشيا عليه ومروا بدار إنسان
وهو يسلى ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع فبايع قوه تعالى إن عذاب بك واقع ما له من دافع -
زل عن حمراء مستند إلى حائط لم يمسك ثم اتوا رجعا إلى منزله فرش شبرا أسود الناس ولا يدرون ما مره
وقال لهم كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يخطب يده فقدرت أصحاب
محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يجيئون شمسافرا غيرا بين أعينهم أمثال كب للزرى قد
باتوا له سجدا وقياماتون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكر الله فلهوا
كأييد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالسموم حتى تبل ثيابهم والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين

لك في صحة من
لا يرى لك مثل
ما يرى لنفسه وكان
يقول أبو مسوية
الأسود إخواني كلهم
خير مني قيل وكيف
ذاك قال كلهم يرى
لى الفضل عليه ومن
فضلى على نفسه وخير
منى ولبعضهم نظما :
تدلل لى إن تدلته
يرى ذاك لفتنسل
لا ليه

وجانب صداقة من
من لم يزل
على الأسقاء يرى
الفضل له .

[الباب الخامس
والخمسون في آداب
الصحبة والأخوة]
مثل أبو حمص عن
أدب الفقراء في الصحبة

ثم قام لما رأى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رامدا تنسفني الرياح في جرم حاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أن كبش فيذبحني أهل فيا تكون لحمي وعصون مرقى ، وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توشأ أصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتأذك عند الوضوء فيقول أتمدرون بين يدي من أريد أن أقوم . وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى التورى كأن النار قد أساطت بنا لما ترى من خوفه ووجعه وقرأ مضر القاري يوما - هذا كتابا ينطق عليكم بالحق - الآية فيكي عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أتاه قال وعزتك لأصبتك جهدي أبدا فأعني بتوفيقك على طاعتك ، وكان للسور ابن عزيمة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه وقد كان يقرأ عنده الحرف والياء فيصيح الصيحة فلما يقبل إماما حتى أتى عليه رجل من ختم قرا عليه - يوم نحشر للشقين إلى الرحمن وقدنا وننوق الجرمين إلى جهنم وردا - قال أنا من الجرمين ولست من اللقين أعطى القول بها القاري فأعادها عليه فشقي شققة فلقق بالآخرة ، وقرئ عنده البكاء - ولو ترى إذ وقفوا على درهم - فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر حاد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرة متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شهوة ذهبت إليك وبليت تلبها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي لما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول تكلفت مالكا أمه وروى أن الفضيل رأى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكي المتهرة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيتي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسأله منك وإن غفرت ثم اشلب مع الناس ، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين قال قولهم بالخوف فرحة وأعينهم باكية يقولون كيف تفرح واللوت من ورائنا والبرق أماننا والقيامة موعدنا وكل جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا مؤقنا . وروى الحسن بن محبوب وهو مستغرق في ضحك وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراف قال لا قال فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قل شاهد الضحك قال فما روى ذلك التقي بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستورا على قدميه فيقال له لو أطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه القنفة في قلوب الباطل رحمة كيلا يعوتوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار لقد همت إذا أنا مت أمرهم أن يبيدوني ويغلقوني ثم ينطلقوا بي إلى ربى كما ينطلق بالبعد إلى ربى إلى سيده وقال حاتم الأحمس لا تخرت بموضع صالح فلا مكان أصلي من الجنة وقد نقي آدم عليه السلام قبا مائي ولا تخرت بكثرة العبادة فإن إليس بعد طول تعب قبي مائي ولا تخرت بكثرة العلم فإن بياض كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا هي ولا تخرت برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من الصلطي صلى الله عليه وسلم ولم يتفح بقاءه آثاره وأعداؤه . وقال السري : إنى لأنظر إلى أنفى كل يوم مرات خافقة أن يكون قد اسود وجهي ، وقال أبو حصن منذ أربعين سنة اعتقادى في نفسي أن الله ينظر إلى نظري النخط وأعمالى تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجتريت البارحة على الله أسأله الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لأنها يا بني إني أعرفك صغيرا طيبا وكبير طيبا وكانك أحدت حدثا موقعا لما أراك تصنع في ليك وتلهرك فقال إمامنا يؤمنون أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بسن ذنوب فتمتني وقال وعزنى وجلالى لا غفرت لك موقالا الفضيل إني لأعطي نبيما رسلا ولا ملوك مقربا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء بما يؤمنون يوم القيامة إنما أعظمتم من غلق . وروى أن فتمن الأنصار

قال حفظ حرمات
للشايخ وحسن
الخشرة مع الاخوان
والصبيحة للأصاغر
وتركة صبيحة من ليس
في طبقهم وملازمة
الاشارو هاجنة الادخار
والمعاونة في أمر الدين
والدنيا فمن أدهمهم
التناقل عن زلال
الاخوان والنصح لها
يجب فيه الصبيحة
وكم عيب صاحبه
والخلاص على عيب
يلم منه . قال عمر بن
الحطاب رضي الله عنه
رحم الله امرأ أهدى
إلى عيوب وهذا فيه
صلحة كلية تكون
للشخص عن يديه
على عيوبه قال جعفر
ابن برقان قال لي

دخلته خشية النار فكان يركب حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غر ميتا فقال **عليه السلام** جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار قتت كبده **(١)** وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول ياليت أُمي لم تلدني فقلت له أمه يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هداك إلى الإسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أنوار دود النار ولم يبين لنا أنصار دودنها وقيل لفرقد السبعي أخبرنا بأعجب شيء فملك عن بني إسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت للقدس حسباة عذراء لها من الصفوف وللروح فلما كثر ثواب الله وعقابها فقتل جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الحاشين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا إنما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تنسب شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال إنه مازع رأسه إلى السماء ولاضحاكاً بين سنة وأنه رفع رأسه يوما فززع فسقط فاشتق في بطنه حتى وكان يس جسده في بعض الليلة غفافة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هدامن أجل يصيبهم ومات عطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كحول وشبان يصلون صلاة العجبر بطهور المشاء قد تومت أقدامهم من طول القيام وفارت أعينهم رؤسهم ولفقت جلودهم على عظامهم وبيت المروق كأنها الأوتار يسبحون كأن جلودهم تشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله للطينين وكيف أهان العاصين فينا هم يمضون إذ مر أحدهم بمكان غر مغشيا عليه فجلس أسعابه حوله يكون في يوم شديد البرد وجبته يرشح عرقا فجاءه ابعاء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه من أمره فقال إنه ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح للري قرأت على رجل من التجديدين - يوم قلب وجوههم في النار - ولون ياليتنا أطمنا الله وأطمنا الرسول فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد فما قرأت - كما أراد أن يرض جوارحنا أعيديها - فغريما ، وروى ابن زرار بن أبي أوفى صلى بالناس النداء فلما قرأ - فاذا هم في النار - خر مغشيا عليه فغل ميتا ، ودخل زيد الراشي على عمر بن عبد المزمز قال عطفي يا زيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فكيف ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين نعم أب إلا ميت فكيف ثم قال زدني يا زيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غر مغشيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لموعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يشعرون عليه **(٢)** ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولها وهي تقول يا ابنه ليت شعري أي خديك بدأ به اليهود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فمرض عليه في طبيب ذمى فقال هذا رجل قطع الحروف كبده ثم جاءه وجس عرقه ثم قال ما علمت أن في الله الحنيفة منه وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يخرج علي بابا من الحروف ففتح غقت على عتق فقلت يارب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فإن لم تبكوا فجاكروا فوالذي نفس يده لو يعلم العلم أحذركم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون بما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا **(٣)** » وقال الثوري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عباس فاطلع عليهم من كوة وهو يسكي وخطبته

ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا يصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يجب من صدقه والكاذب لا يجب الناس قال الله تعالى ولكن لا نهيون الناسين - والصيحة ما كانت في السر - ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فذلك يظهر جوهر التقير روي أن ميمون الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار البساس بن عبد الملك إلى الطريق بين السفال والرو فقال له البساس ما كان

- (١) حديث إن فمن الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه في البيت الحديث: إن في الدنيا في الحاضرين من حديث حذيفة البليقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر .
(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي
لم ألقه على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا تقدم في قواعد العقائد

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة وبحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء
وتضرع واستكانة ودماء كدءا التريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك
وخذ ما تصرف. ودع ما تنكر وروى الفضيل يوما وهو يمشي قتيلا إلى ابن قال لا أمري وكان يمشي
والها من الخوف. وقال ذو بن عمر لا يه عمر بن ذر: ما بال للتكلمين يتكلمون فلا يكتفي أحد فذا
تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب قال يأتي ليست الناحية التكلية كالناحية السأجرة وحكي
أن قوما وقوا بما يد ويكي فقالوا ما الذي يريك يرحمك الله؟ قال قرحة يجدها الخائفون في
قلوبهم قالوا وما هي؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل. وكان الخواص يكي ويقولون في مناجاته
قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعطني. وقال صالح المري: قدم علينا ابن السكك مرّة قال
أرني شيئا من بعض عبادكم فاعطيت به إلى رجل في بعض الأحياء في خمس له فاستأذنا عليه
فاذا رجل يعمل خوصا قرأت عليه - إذا أغلغل في أعناقهم والملامل يسحبون في الخيم ثم في النار
يسحبون - فشق الرجل شقة وخر مشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر
فدخلنا عليه قرأت هذه الآية فشق شقة وخر مشيا عليه فذهبنا واستأذنا في ثالث فقال ادخلوا
إن لم تشغلونا عن ربنا قرأت - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد - فشق شقة فبدأ المسم من
منخريه وجعل يتسخط في همه حتى ييس فتركناه على حاله وخرجنا فأدبرته على ستأفئ كل فخرج من
عنده وتركه مشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الحصى فقول ادخلوا
فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في معاصه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ألان فخلق
غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مهوتا فأخا فاه شاخصا بصره يصيح بصوته
ضيف أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لاتنتمون بالساعة فلما كان
بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أقفوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة
أيام على حاله مهوتا لا يؤذى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه
من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل ممنا أبدا فأرأى ضاحكا
ولامضطجعا ولا يأكل ممنا حتى مات رحمه الله. وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلنى أنك لم تضحك
قط فقال كيف أضحك وجههم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعذت وقال رجل للحسن
يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فبسم الحسن وقال قسألني عن حالى ما ظنك
بناس ركبو سفينة حتى توسعوا البحر فانكسرت سفينتهم فمعلق كل إنسان منهم بغضية على أم
حال يكون قال الرجل على حال هديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم. ودخلت مولدة لعمر بن
عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في يته فسلمت فيه ركعتين وغلبتها عيناها
فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت هيا قال وما ذلك؟
قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جرى بالصراط فوضع على منتهى فقال هيه قالت جئى
ببئ لللك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه إلا بصر حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم
قال عمر هيه قالت ثم جئى بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلا بصر حتى انكفأ به
الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جئى بسلطان بن عبد الملك فامضى عليه إلا بصر
حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جئى بك والله يا أمير المؤمنين فصاح
عمر رحمه الله عليه صيحة خر مشيا عليه فقامت إليه فسلمت تادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني
رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهى تادى وهو يصيح ويخص برجليه

رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضعه يده
قال إذن لا يرد إلى
مكانه غير ذلك ولا يكون
لك سلم غير عاتق عمر
فأقامه على عاتقه ورده
إلى موضعه ومن أدبهم
أن لا يرون أنفسهم
ملكاً يفتخون به قال
ابراهيم بن هيبان كنا
لأنصب من يقول
لنبي. أخبرنا بذلك
رضي الله عن أبي
الظفر عن والده
أبي القاسم التميمي
قال سمعت أبا حاتم
السوقى قال سمعت
أبا نصر السراج يقول
ذلك وقال أحمد بن
القلاني دخلت على
قوم من الفقهاء يوما
بالصرة فآكرموني

وعن أبي أن أوسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاس فيسكن من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أوسى ثم يقوم منطلقا فينبه الناس فيقولون جنون جنون . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم ورامه وكان طاموس يفرش له الفرش فيسطبع ويتقلب كما تتقلب الحبة في القلبي ثم يشب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الحافضين . وقال الحسن البصرى رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام باليتي كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الحاتمة . وروى أنه ماتحك أربعين سنة قال وكتب إذا رأيته قاعدا كأنه أمير قد قدم لضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يماين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فإذا سكنت كأن النار تسمر بين عينيه وعوب في شدة حره وخوفه قال ما يؤمنى أن يكون الله تعالى قد أطلع في كل بسن ما يكره لفتنى فقال اذهب فلاخبرت لك فانا أعمل في غير محمل . وعن ابن السكك : قال وعظت يوما في مجلس قام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن نلسمع غيرها قلت وماهى رحمك الله قال قولك قد تطعم قلوب الحافضين طول الخلودين إمامي الجنة أولى النار ثم غاب عن عقده في المجلس الآخر فلم أره فالت عنه فأخبرت أنه مريض يدا فأتيته أعوده قلت يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك قد تطعم قلوب الحافضين طول الخلودين إما في الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام قلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال غفرلى ورحمى وأدخلنى الجنة قلت بمماذا ؟ قال بالسكعة فهذه مخاوف الأتباء والأولياء والماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الحوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال للرفة والإفليس أمنا لقة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شيوتنا وغلبت علينا حقوقنا وصدمتنا عن ملاحظة أحوال الحافضين نخوفنا ولاخطر الحاتمة بزمنا ففسأل بنينا ولاكثرة الذنوب نحررنا ولامشاهدة أحوال الحافضين نخوفنا ولاخطر الحاتمة بزمنا ففسأل الله تعالى أن يتدارك فضله وجوده أحوال فيصلنا إن كان يحرك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد بفضله . ومن العجايب أنا إذا أردنا اللال في الدنيا زرنا وغرنا وأجرنا وركنا البحار والبرارى وساطرنا وإن أردنا طلب ربة العلم نفقنا ومبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجهدنى طلب أرزاقنا ولاتقى بضمان الله لنا ولايجلس في بيوتنا فنقول اللهم أرزقنا ثم إذا طمعت أعيننا نحو تلك الدائم للقيم قمنا بأن قول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى إلبرجنا ناوبه اعترازنا بتاديبنا ويقول - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . ولا يشرنكم بالله القور . يا أبا الانسان ماغرك بربك الكريم - ثم كل ذلك لا يبيننا ولا نخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فهاهنا للاهنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بنوبة نصح يتداركنا بها ويجبرنا ففسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يثوق إلى التوبة سرالى قلوبنا وأن لا يعمل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حطنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلاعلاما للاخذلان أعظم من هذا ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشدين وفضله ولنتعصر من حكاية أحوال الحافضين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكنى والكثير منه وإن أقيض على القلب النافل فلا يثنى . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولانى وكان من خيار الباد أنه رأى على باب بيت للقدس واقفا كهنة المحزون من شدة الوله ما يكادير قائمه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته هالتي منظره قلت أيها الراهب أوصنى يومية أحفظها عنك فقال بآثرى بمماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والموام فخرخاف حذر

وبجلى قلت يوما لبشهم أين إزارى فسقطت من أعينهم . وكان إبراهيم بن آدم إذ أصبح إسان عارمله على ثلاثة أعياء أن تكون الحسنة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يفتتح الله عليهم من الدنيا كيد فقال رجل من أصحابه أنا لأقدر على هذا فقال أحمين صدق . وكان إبراهيم ابن آدم ينظر البساقين ويحمل في الحساد ويتفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله

خاف أن يخل فتفرسه السباع أو يسو قنشه الهوام فهو مدعور القلب وجل فهو في الحفاقة ليله وإن أمن القثرون وفي الحزن تهاده وإن فرح البطالون ثم ولي وتركني قهلت لو زدني شيئا عسى ينفعني فقال الطعان يحزبه من لساء أيسره وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى حفاقة القلب الجامد تنبؤ عنه كل الواعظ وما ذكره من تحذره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدر بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصرة باطنك لرايت مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل النضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تترسك وتتهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محبوب الدين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قترك عايتها وقد نثارت لك بصورها وأشكالها للواقعة لما نياترى بينك المقارب والحيات وقد أحدثت بك في قترك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان أدت أن تفتنها وتظهرها وأنت قادر عليها قبل اللوت فاضل وإلا فوطن نفسك على قضاها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر جرتك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ، وتسجد له الطلال ، وتذكركم من هيته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللزب والصصال ، وزين صورته بأحسن تخوم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الحيلة بالهدو والآصال ، ثم كمل بصيرة الخلق في خدمته بنور المبرة حتى لاحظ ضيائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء ، والكمال ، ما استبصر دون مبادئ إشرافه كل حسن وجمال ، واستقل كل ماصرفة عن مشاهدته وملازمته غاية الاستقلال ، وتخلله ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة عيس وتغافل ، وانكشف له باطنها عن هيجوز هوهاه عجبتم من طينة الخزي وضربت في قالب النكال ، وهي متلفعة بجلبابها لتنفخ قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حباتها في مدارج الرجال ، فهي تقتنصهم بشروب السكر والاعتيال ، ثم لا تجترئ معهم بالتحلف في مواعيد الوصال ، بل تهديم مع قطع الوصال بالسلال والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلاء والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال ، زهدوا فيها زهد البض لها فتركوها وتركوا النفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتقوا منها بوصال ليس دونه اتصال ، ومشاهدة أبدية لا يمتريها فناء ولا زوال ، والسادة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آله .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل بشروطها من مل وبمكرها من زل خبايا رأس الحطايا والسيئات ، وبضيق أم الطامات وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وفق الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربيع للهلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البض لها في هذه كتابنا فانه رأس النجيات ، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبدن والكن مقاطعها إيمان تكون بانزواها عن اليد ويسمى ذلك فقرا وإما بانزوا اليد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحفظ الأمان على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد وجاهتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فقول: [العطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر . طلقا وبيان

(صكتاب الفقر والزهد)

تعالى وإبراهيم شوري
ينهم - أي مشاعهم فيه
سواء ومن أدبهم أنهم
إذا استنزلوا صاحبها
يهمون أنفسهم
ويتشبهون في إزاة
ذلك من بواطنهم لأن
انطواء الصمير على
مثل ذلك المصاحب
وليحة في الصبغة. قال
أبو بكر الصكتاني
صحبني رجل وكان على
قلبي هملا فوهبت له
شيئا بنية أن يزول قلبي
من قلبي فلم يزول فخلوت
به يوما وقلت له منع
رجلك على خدي فأبى
فقلت له لا بد من ذلك
فتمل ذلك فزال
ما كنت أجسمه في
باطني قال الرقي قصدت
من العلم إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء ويان فضيلة الفقير على الثنى ويان أدب الفقير في فقره ويان أدبه في قبوله المطاء ويان تحريم السؤال بغير ضرورة ويان مقدار الثنى المحرم للسؤال ويان أحوال السائلين والله للوفى لصواب بلطفه وكرمه .

(يان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ)

اعلم أن الفقر عبارة عن قد ما هو محتاج إليه أما قدما لأحاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دولم الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستغدا من فضل الله تعالى وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستغادا له من غيره فهو الثنى الطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذه الوجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا ثنى واحد وكل من عداها فأنهم محتاجون إليه لحدوا وجودهم . بدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى - والله الثنى وأتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنأخذ ببيان الفقر للطلق بل الفقر من اللال على الخصوص ولا فقر الصبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر لأن حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه المال وهو الذي يريد أن يأنه يأنه فقط فنقول بكل قاعد للمال فانا نسميه فقيرا بالإضافة إلى اللال الذي فقده إذا كان ذلك للفقر محتاجا إليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لتتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي الصيا أن يكون بحيث لو أتاه اللال لكرهه وتأذى به وهو رب من أخذه مبضا له وعثرنا من شره وغضه وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهده فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا . الثالثة أن يكون وجود اللال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطيله بل إن أتاه سفوا غفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تبسب طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قائما إذ تقع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب له جزء وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سيلا إلى طلبه ولو بالتبسب طلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص . الخامسة أن يكون ما فقده من اللال مضطرا إليه كالجائع القاعد للمخز والمأوى الفائد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقفا تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى يأنه ووراء هذه الأحوال خمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يتسوى عنده وجود اللال وفقده فأن وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن فقده فشد ذلك بل حاله كان حال عاتقة رضى الله تعالى عنها إذا أتاه مالها ألف درهم من الطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادماتها ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرم لما نطهر عليه فقالت لو ذكر بيني فقلت لئن هذه حاله لو كانت الله يابعدا فيرهابني بدمو خزانته بغيره إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا يرى يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في غيره . وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة السكتي لأنه غنى عن قد اللال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يشارك اسم الثنى للطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من الصياد فان من كثر ماله من المباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء اللال في يده وإعماؤه عن دخول اللال في يده لأن بقاءه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول اللال في يده وعن بقاءه في يده عن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به ليجتاح إلى إخراجة وليس يفرح به ليجتاح إلى بقاءه وليس قائدا له

حق سالت الكتاني عن هذه الحكاية . ومن أدبهم هديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والياتر بالموضع . وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا بكنهم فاهتد ذلك عليهم فأزل الله تعالى - وإذا قيل الفزوا فالتفتوا إلى الآية وحكى أن ابن بشار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائرا فبالحق قال له

ليحتاج إلى الدخول في بده فضاء إلى الموم أميل فهو إلى التقى الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لا قرب المكان ولكننا لانسمي صاحب هذه الحالة غيابل مستغنيا ليقى التقى إسمان له التقى للطلق عن كل شيء وأما هذا البعد فإن استغنى عن المال وجودا أوعدما فلم يستغن عن أشياء أخرسواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فإن القلب للتقيد بحب المال رقيق وللستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أغنته من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا التقى والقلب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أسبعين من أصابع الرحمن فذلك لم يكن اسم التقى مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا عجزا . واعلم أن الزهد درجته كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من التربين فلاجرم سار الزهد في حقه قصانا لإحسانات الأبرار سيئات التربين وهذا لأن الكثرة للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا بد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فاعلم أن أقرب إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا شغل بغيره وشغلك بنفسك وشغولك بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشغولك بغيره فذلك لا تزال محبوا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول بنفسه مشغول عن الله تعالى أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ما سوى الله تعالى مثله مثال الرقيب المحاضر في مجلس يجمع العاشق والمشوق فإن انفت قلب العاشق إلى الرقيب أدى إلى نشو واستغناء وكره حضوره فهو في حال اشتغال قلبه بنفسه مصروف عن التلذذ بمشاهدة مشغولة ولو استغنى عن المشق لفعل عن غير المشوق ولم يلتفت إليه فكأن النظر إلى غير المشوق طيه عند حضور المشوق شرك في العشق وهن فيه فكذلك النظر إلى غير المحبوب بغضه شرك فيه وهن ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا فانه كما لا يجتمع في القلب حيان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول بنفس الدنيا غافل عن الله كالشغول بحبا إلا أن للمشغول بحبا غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول بنفسه غافل وهو في غفلة سالك في طريق القرب إذ يرجي له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الشقة وتقبل الشهوة الكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالحب واللبس كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبرها فهما سيان بالاضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة إلى المستدبر إذ يرجي له الوصول إليها وليس محمودا بالاضافة إلى المتكفف في الكعبة اللازمة لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالعبادة في الوصول إليها فلا ينبغي أن تنظر أن بغض الدنيا مقصود في عبادة بل الدنيا طائق عن الله تعالى والوصول إليه لا يدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه قد استعمل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فينبى أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع التريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص وقصان بالاضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تفيدك بأن تكون على شاطئ البحر ولا تفتت تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالقرار عن جوار الماء الكبير ولا يغض الماء الكبير بل تحول أنسرب

أبو عبد الله هـم قال
بأي عذر قال بأنك
لقت الجنيذ وما لفته
ومن أدبهم ترك محبة
من هم شيء من
فضول الدنيا قال الله
تعالى - فأعرض عن
تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا -
ومن أدبهم بلل
الانصاف للاخوان
وترك مطالبة الانصاف
قال أبو عثمان الجري
حق الصعبة أن توسع
على أخيك من مالك
ولا تطعم في ماله وتصفه
من نفسك ولا تطالب
منه الانصاف وتكون
بماله ولا تطعم أن
يكون بمالك وتكثر
ما يصل اليك منه
وتستقل بما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله قدر الحاجة ولا أدخل به على أحد فكذا ينشئ أن يكون المال لأن الحزن واللأواء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووقعت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الحزن بأنتك لأعمالك سادت حيا كما يأتيت قدر حاجتك من اللأواء على ماسياتي يات في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار فقير غدا ذهب إلى البيت فغذا الركوة إلى أهله يتأهل فان الصدوق يومس على أن الكس قد أخذها قال أبو سليمان هذا من خشف قلوب الصوفية قد زاد في الدنيا ما غلبه من أخذها فيمن أن كراهية كون الركوة في بيته الثقات إليها سيبة الضعف والنفاس . فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال وهربوا منه كل التفار . فأقول: كما هربوا من اللأواء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم قروا مما وراءه ولم يجمعوه في القرب والرواية يدرون مع أنفسهم بل تركوه في التفار والآبار والبراري المحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بعبد الله وضيقه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها وضيقوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم المال واللأواء والذهب والحجر وما قل عنهم من امتناع فاما أن ينقل ممن خاف أن لو أخذه أن يخذله المال ويحبذ قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والحرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن أظهر الفقر والفار نولا إلى درجة الضعفاء ليتقوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لمسكوا كما يفر الرجل للزم بين يدي أولاده من الحيلة للضعفاء عن أخذها ولكن لمعه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذ أرواها فيكون والسر بغير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والملاء قد عرفت إذن أن للراب ست وأعلى رتبة للستى ثم إثر الهدم الراضى ثم القانع ثم الحرص ، وأما للضطر فينبصر في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية للستى فقيرا فلا وجه لما بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا فيسمى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بناء استغاثته عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم البديع عرف نفسه بالبودية وأقر بها فانه أحق باسم البديع من التافلين وإن كان اسم البديع عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين اللتين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر (٢)»

(١) حديث إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد خدم في آداب الليثة من عند البخاري تعليقا عجزوما به من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أبي بكر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فلما كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصه عمر بن محمد الجعفي في حريقه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدموه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتا قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني ثلاثا (٢) حديث أعوذ بك من الفقر خدم في الأذكار والسموات .

منك . ومن أدهم في الصعبة . لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو طي الروذباري الصولة على من فوقك قمة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز ومن أدهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه التدبريات عليه اعتراضا . ومن أدهم في الصعبة حذر الفارقة والحرص على الملازمة . قيل محب رجل رجلا ثم أراد الفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصعب أحدا إلا إذا كان فوقنا وان كان

وقوله عليه السلام «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) لا يناقض قوله «أحبني مسكينا وأمتي مسكينا»^(٢) إذ قرر الفطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي ساء في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطنع من أهل الأرض والسماء .

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقال تعالى - للفقراء الذين أحسروا في سبيل الله لا يستطيعون شرا في الأرض - ساق الكلام في معرض اللوح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر . وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن نحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا مؤسرين للابيض حتى لله في نفسه وما له فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسول الله قال فقير يعطى جبهته »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « اتق الله فقيرا ولا تلقه غنيا »^(٤) وقال **عليه السلام** « إن الله يحب الفقير المتعفف بالمال »^(٥) وفي الخبر للشهور « يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائها خمسمائة عام »^(٦) وفي حديث آخر « بأربعين خريفا »^(٧) أي أربعين سنة فيكون للراغب في التقى الفقير الحرص على التقى الحرص والتقدير خمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التقى الراغب وما ذكرنا من اختلاف درجات الفقر يفرق بالضرورة تفاوتها بين القراء في درجاتهم وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ علمه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا تظن أن تقدير رسول الله **عليه السلام** يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستطيق صلى الله عليه وسلم إلا حقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستون جزء من جوارح النبوة »^(٨) فانه تقدير تحقيق لاجابة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتجديده فاما بالتعريق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يخص به النبي وغايق به غيره وهو مختص بأنواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وللآخره لا كما يله غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في فم الحسد (٢) حديث اللهم أحبني مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسرين للابيض حتى لله من نفسه وما له فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى جبهته أبو منصور الهيثمي في مسند الترمذي بسند ضعيف مقتصر على الرفوع منه دون سؤال لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال اتق الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم في مستدركه علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلطف مت فقيرا ولا تحت غنيا وكلاما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا اليبال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائهم خمسمائة عام الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال قراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبد بن الصامت وأبي بلطف رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصحبه
لأنك محبتنا أولات قال
الرجل ذاك عن علي
نية المفارقة . ومن
أدبهم التنطف على
الأسافر . قيل :
كان إبراهيم بن
آدم يعمل في الحصاد
ويطعم الأصحاب وكانوا
يحتمون بالليل وهم
سيام وربما كان يتأخر
في بعض الأيام في العطش
فقالوا ليلتنا لو أناس كل
فطورنا دونه حتى يبرد
بعد هسلا يسرع
نأفطروا ونأمره المرجع
إبراهيم فوجدهم نياما
فقال مما كين لهم
لم يكن لهم طعام فصد
إلى شيء من الفتيق
فبجته فأنهبوا وهو
ينفخ في النار واضنا

بل عاقلها بكرة للمعلومات، وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها تم له الأفعال الخارقة للمعادت كما أن لنا صفة بها تم الحركات القرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة وإن كانت القدرة وللتدور جميعا من فعل الله تعالى، والثالث أن له صفة بها يصير لللائكة وشاهدكم كأن البصير صفة بها يغارق الأعمى حتى يدرك بها البصيرات، والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في القيب إما في اليقظة أو في المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من التيب فهذه كالات وصفات يعلم ثبوتها للأنياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن قسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن تكلف تقسيمها إلى مئة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جعلتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات للمكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما العلوم بجامع الصفات التي بها تم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة وانقضى ذلك التقدم بمسألة عام فليس في قوة البشر غير الأنياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والترض التنبيه على مناجا التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحلها منصب النبوة عن ذلك . ولترجع إلى قول الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا « خير هذه الأمة قراءها وأسرعها تنجسا في الجنة شفاؤها » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحسن ومن أبغضهما فقد أبغض الفقر والجهاد » (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا (٣) وتكون ممكنا أينما كنت فأشرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ولا من لا مال له ولا يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد نبئك الله بالقول الثابت . وروى أن للسبح صلى الله عليه وسلم حرفي سياحته رجل منهم ملتصق في عبادة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله تعالى فقال ما تريد مني ؟ إني قد ركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي وموسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنه ووجهه ولحيته في التراب وهو منزه بعبادة فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت آني إذا نظرت إلى عبد يوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن . إني رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهودي خير وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بني دقيقال إلى هلالدرج قال فأنتبه فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله إن لأمين في أهل السماء آمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأدبت إليه اذهب بدعوى

(١) حديث خير الأمة قراءها وأسرعها تنجسا في الجنة شفاؤها لم أجده إلا في (٢) حديث إن لي حرفتين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده إلا في (٣) حديث أن جبريل نزل فقال إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار من لا دار له الحديث هذا ملحق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليصل إلى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يرب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تضمن في قم الدنيا .

عاشته على التراب فقالوا له في ذلك فقال قالت لعلكم لم تجدوا فطورا فتمتم فقالوا انظروا وبأي شيء عاملناه وبأي شيء عاملناه ومن أدبهم أن لا يتولوا عند الدماء إلى أين ولم وبأي سبب قال بعض العلماء إذا قال الرجل لصاحب قم بنا فقال إلى أين فلا تصعب . وقال آخر من قال لأخيبي أعطني من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الإخاء وقد قال الشاعر : لا يسألون أحام حين يندبهم الثبايات على ما قال بهانا ومن أدبهم أن لا يتكفلوا للاخوان

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تمزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس (٢)» وقال عليه السلام «ومن أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كتب الأخبار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى إذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين». وقال عطاء الخراساني مرني من الأنبياء بساحل فاذا هو برجل يسطاد جتنا قال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مربأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الجتنا ما كان يتقاضى من كثرتها قال النبي صلى الله عليه وسلم : يارب ما هذا وقد علفت أن كل ذلك يدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيها فلما رأى ما عاهد الله تعالى لهذا من الكرامة ولقدك من الموان قال رضيت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي لفظ آخر «قلت يا ابن الأغنياء قبل جسمهم الجدة» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قتلت ما شأعن قبل شغلن الأحرار من الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة للؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولوا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال للشيخ صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الثني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال ترك له أهله ولا مالا (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت الثني مقبلا قل ذنب مجلت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أحيأوك من خلقك حتى أحبهم لأجلك فقال: كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديدفقر وقال للشيخ صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيف فم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في تزول قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والرفوف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنهر ردها ابن عدي في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافى في جسمه الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب النكاح مع الزيادة التي في آخره (٥) حديث تحفة للؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولوا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت بني عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت الثني مقبلا قل ذنب مجلت عقوبته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يسم منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى فذكره زيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول مكحول

قيل لما ورد أبو حفص
العراقى تكلف له
الجيد أنوعا من
الأطعمة فأفكر ذلك
أبو حفص وقال صبر
أصحابي مثل الهائث
يقدم لهم الألوان
والقوة عندنا ترك
التكلف وإخثار
ما حضر فإن بالتكلف
ربما يؤثر مفارقة
الضيف وبستره
التكلف يستوى
مقامه وذهابه ومن
أدبهم في الصحة
للداراة وترك للداراة
ونقيته للداراة
بالداراة والفرق بينهما
أن للداراة ما لردت
به صلاح أخيك
فدأرت له رجا صلاحه
واحتملت عنه ما تكره

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل قلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضرهن البن الأحران الذهب والحريير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتحدثت أمهاني فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي قلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى قضيت للشيتات وظننت أني لأراك ، قلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالي (١) » فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب الساجدة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة (٢) وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا (٣) » ومع هذا فقد استضرى بالقي إلى هذا الحد «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل قدير فلم ير له شيئا فقال: لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسمهم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «الآخر كم عاوك أهل الجنة قالوا: يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى لمبرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٥) » وقال عمران ابن حصين «كانت لي من رثوتي الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها قبل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأيأت وأمر يا رسول الله فقال وقت معه حتى وقف ياب فاطمة قرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت أدخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت فاطمة والذي ينك بالحق نيا ما لي إلا إعادة قال أصنى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فأتني إليها ملالة كانت عليه خلة قال قدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما في أنى لست أقدر على طعم كة لقد أغبرني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجرعى يا ابتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولوسألت ربى لألمعن ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبا وقال لها أجرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آتية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آتية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إن كنتى في يوم من قصب لأنى فيها ولا صعب ولا نصب ثم قال لها اتقى بآبن عمك إلى أخيه في الدنيا [١] (١) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه موصفة بلال في الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السائق الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم . (٤) حديث دخل على رجل قدير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسمهم لم أجده (٥) حديث الآخر كم عاوك أهل الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقلوا مالوك وقد تقدم ولا بن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الآخر كم عن مالوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أنى الباس بخط بعض الفضلاء حديث اتخذوا مع الفقراء أيدى وكذا حديث الثور فعزى قال كلاما كذب انتهى وكذا رأيت في كلامه آخر .

قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزد عليها ويشيعها بأعظم منها ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر القيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع السكارة عنهم . حكى أن آخرين أبلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إني ابتليت بهوى فان شئت أن أعتد على محبى لله فوالله فقال ما كنت لأحل عند إختلاك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله فقد أن لا يأكل ولا يشرب حتى يوافى الله تعالى من هوا وطوى أربعين يوما كما يسأله

فوالله لقد زوجتكم سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة^(١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع لحال بالقطم من الزمان والجور من السلطان والحياة من والأحكام والشوك من الأغنياء^(٢)». وأما الآثار فقد قال أبو البرداء رضى الله عنه: ذوالدرهمين أحد حبسا أو قال أشد حسبا من ذي الدرهم، وأرسل عمر رضى الله عنه إلى سعيد بن طاهر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقامت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى في درجك الخلق فسقه وجعله صريرا وفرقه ثم قام يصلى ويكئى إلى التذلة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل قراء أمي الجنة قبل الأغنياء بحسبة» عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في عمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج^(٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بشر حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينسب على مستوفى قدرين ورجل دعا بغيره فلا يقال لها يا تريد وقل جاء فقير إلى مجلس الثورى رحمه الله قال له نخط لو كنت غنيا لما قرئتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم قراء لكثرة تفرقه للفقراء وإعرافه عن الأغنياء. وقال الوليد ما رأيت التقي أذل منه في مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثورى رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لرجا منهما جميعا ولورث في الجنة كما يرغب في التقي فجازيها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسمى بالدارين جميعا وقال ابن عباس: ملون من أكرم بالتقى وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لابنه: لا تخقرن أحدا لحقائق ثيابه فإن ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حبك للفقراء من أخلاق الرسلين وإيثارك للجهال منهم من علامة السالمين وفرارك من صفتهم من علامة للتائقين، وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتهك تنقطع من عيني فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمروق ويقول لها الجارية لو اشترت لك بدرم لحا فطريرين عليه وكانت سائمة فقامت لوذكرت في فمك لعلمت، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت اللعوق في فمك بعيش الفقراء وإيثارك للأغنياء ولا تنزعى درجك حتى ترقبه^(٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألق عليه الرجل قتاله له إبراهيم أتريد أن أعوصى من ديوان الفقراء بشوق آلاف درهم الأناضل ذلك أبدا رضى الله عنه.

(١) حديث عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه قال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عبادة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة وهو منكرد (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل قراء السليين الجنة قبل الأغنياء بحسبة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقه فيها، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أن يقال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بحسبة عام فهو عند الترمذى من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورقين .

(٤) حديث قال لقمان إن أردت اللعوق في فمك بعيش الفقراء وإيثارك للأغنياء الحديث الترمذى وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم .

عن هوام يقول مازال
قبيد الأربعين أخيره
أن الهوى قد زال
فأكل وشرب ومن
أدهم أن لا يحوجوا
صاحبهم إلى الداراة
ولا يلجئوه إلى الاعتذار
ولا يتكفروا للمصاحب
ما ينق عليه بل
يكونوا للمصاحب من
حيث هو مؤثرين مراد
المصاحب على مراد
أنهم قال على بن أبى
طالب كرم الله وجهه
شم الأسدقاء من
حوجك إلى مداراة
أولائك إلى اعتذار
وتكلفت له . وقال
جعفر الصادق أنتم
إخوانى على من
يتكلف لى وأخفظ
منه وأخضم على قلبى

بيان فضيلة خصوص التقراء من الراضين والراضين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كغفاه وقعه به » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يا مشر التقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب تفرحون ولا تملكون » (٢) فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشمر هذا بضمومه أن الحرص لا ثواب له على قومه ولكن الصومات الواردة في فضل التقراء تمل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فعمل للراد بدم الرضا والكره لفضل الله في حبس الدنيا عنه ورب راضى في المال لا يخطر بقله إنكار على الله تعالى ولا كراهة في قتله فذلك السكره هي التي تحبط ثواب التقراء ، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والتقراء لصبرهم حب المساكين » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوتنا آل محمد كغفاه » (٥) وقال « ما من أحد غنى ولا فقير إلا وود يوم القيامة أنه كان أوى قوتا في الدنيا » (٦) وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قالوا من هم قال التقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم بارنا يقول قراء السليبين القاضون ببطائى الراضون بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون » (٨) فهذا في القانع والراضى ، وأما الزاهد فنذكر فضله في الشطر الثانى من الكتاب إن شاء الله تعالى ، وأما الآثار

في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يشادها الطمع ، وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه إن الطمع قفروا إلى أسفى وإنه من شىء مما أذى الناس وقنع احتفى عنهم . وقال أبو مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل بكفيك خير من كثير يطغىك وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفى عقله نصص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظلف فرحا مسرورا والليل والتأردا بآبى أن هدم عمره ثم لا يجره فذلك ومع ابن آدم ما ينفع مال يزيد عمره نصص وقيل لبعض الحكماء ما لفتى قال ذلك غنىك ورضا بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم غراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفى يده رغيف فبدأ به فكله فلما أكل قام فقال لبعض غلمانه إذا قام جئت به فقام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف و أنت جئت

(١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كغفاه وقعه به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث يا مشر التقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أن هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان للصيرى منهم بالكذب ووضع الحديث (٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث إدار قطفى في غرائب ماك وأبو بكر بن لال في كام الأخلاق وابن عدى في الكامل وابن جبان في الضعفاء من حديث ابن عمر . (٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى عن الله لم أجده بهذا اللفظ وقد تقدم عند ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير للشفق (٥) حديث اللهم اجعل رزق آل محمد كغفاه مسلم من حديث أن هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث ما من أحد غنى ولا فقير إلا وود يوم القيامة أنه كان أوى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم بارنا يقول قراء السليبين الحديث أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس .

قال نعم قال فثبت قال نعم قال ثم تحيط قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدينا والنفس تضع بهذا التدور من رجل يصارع بين عبد القيس وهو يأكل ملحاً ويحلق قال يا عبد الله أَرْضَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذَا قَالَ لَا أَذْكَاءُ عَلَى مَنْ رَضِيَ مِنْ هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَنْ رَضِيَ الدُّنْيَا عِوَضًا عَنْ الْآخِرَةِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ خَرَجَ خَبْرًا بِأَيِّسَا فِيهِ بِلَاءٌ وَيَأْكُلُهُ الْمَلَحُ وَيَقُولُ مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذَا لَمْ يَخْتِجْ إِلَى أَحَدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَنْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ مَا أَكَلَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ لَمْ يَصْدُقْهُمُ قَرَأَ - وَفِي السَّيَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ فَيُورِثُ السَّيَاءَ وَالْأَرْضُ إِتْلُقْ - الْآيَةُ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا جَالِسًا فِي النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ أَجْلَسَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ مَا فِي الْبَيْتِ هَفَ وَلَا سَفَ قَالَ يَا هَذِهِ إِنْ بَيْنَ أَيْدِيْنَا عَقِبَةٌ كُنُودًا لَا يَجُوزُ مِنْهَا إِلَّا أَكْلُ خَضَفٍ فَجِئْتُ وَهِيَ رَاضِيَةٌ وَقَالَ ذُو الْتَوْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْكَفْرِ ذَوَاتُ الْإِسْرَةِ وَأَمَّا لَيْسَ الْحَكَمَاءُ مَا أَكَلَهُمْ قَالَ التَّجَمُّدُ فِي الظَّاهِرِ وَالْقَصْدُ فِي الْبَاطِنِ وَالْيَأْسُ عَلَى أَيْدِي النَّاسِ وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ لِلزُّلْمَةِ يَا بَنِي آدَمَ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كَالْهَلَاكِ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَوْتُ فَإِذَا نَأَى عَنْكَ مِنْهَا الْقَوْتُ وَجِلْتَ حَسْبَاسٍ عَلَى غَيْرِ لَكَ فَاخْشَى إِلَيْكَ وَقَدْ قِيلَ فِي الْقَاعَةِ:

أَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا تُضْرَعَ إِلَى النَّاسِ وَأَقْنَعُ يَأْسًا فَإِنَّ الْعِزَّ لِلْيَأْسِ
وَأَسْتَنْتِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَرِيبٍ وَذِي دَرَمٍ إِنَّ النَّفْسَ مِنْ أَسْتَنْتِ عَنْ النَّاسِ

وقد قيل في هذا الشيء أيضًا :

بَا جِلْسًا مَالًا وَالْبَحْرَ يَرْمِقُهُ مَقْدَرًا أَيْ بَابٍ مِنْهُ يَخْلُقُهُ
مَفْكَرًا كَيْفَ تَأْيِيهِ مِنْتِهِ أَطْلَابًا أَمْ بِهَا يَسْرَى تَطْرُقُهُ
جَمْعًا لَا تَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ بِمَا جَامِعٌ لَكَ أَلَا بِمَا تَحْرُقُهُ
لَكَ عِنْدَكَ حُزُونٌ لَوَارِهِ مَا لَكَ مَالٌ إِلَّا يَوْمَ تَفْطِقُهُ
أَرَفَ يَالِغٍ فَنِي يَضُدُّ عَلَى هَفَةٍ أَنْ تَأْتِيَ قِسْمَ الْأَرْضِ بِرِزْقِهِ
فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَسُونٌ مَا يَدُلُّهُ وَالْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ
إِنَّ الْقَاعَةَ مِنْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهَا لَمْ يَبْقَ فِي ظِلِّهَا مِمَّ يَزُورُهُ

يَا مَنْ فَضِيلَةُ الْفَقْرِ عَلَى الْغِنَى

اعلم أن الناس قد اختلقتوا في هذا فذهب الجليل والحواص والأكثرون إلى فضيل الفقر . وقال ابن عطاء الغنى الشاكر القائم عنه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجليل دحط إلى ابن عطاء لخالفته إياه في هذا فأجابته عنه وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ويناوجه الضاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بالفضل ، فأما الفقر والغنى إذا أخذنا مطلقاً لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في فضيل الفقر ولا بد فيه من فضيل فنقول : إنما يتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس يحرس على الطلب بل هو قانع أراض بالاشافاة إلى غنى متفق ماله في الحيرات ليس حرصاً على إمساك المال والثاني فقير يحرس على الطلب بل هو قانع أراض بالاشافاة إلى غنى متفق ماله في القانع أفضل من الغنى المحرس للمساك وأن الغنى للنفق ماله في الحيرات أفضل من الفقير المحرس أما الأول فربما يظن أن الغنى أفضل من الفقر لأنهما تساوى في ضيف المحرس على المال والغنى متقرب بالصدقات والحيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي عنه ابن عطاء فما نحبه ، فأما الغنى للتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يغفل عن الفقير القانع وقد يشهد ما روى في الخبر : أن الفقراء فسكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات والمخج والجهاد ففهم كل مات في التسبيح وذكر لهم أنهم يملكونها فوق ما ملأه الأغنياء فتمل الأغنياء ذلك

الله تعالى علماً بمعرفة النفس وعيوبها ويسرفه حسان الأخلاق وحسان الآداب ويوقفه من أداء الحقوق على بسيرة وبقائه في ذلك كله ولا يغتره شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فكل تصرف يوجد من حيث النفس وعدم تركها وبقائه صفاتها عليه فإن صحبت ظلمت بالأفراط نارة وبالتفريط أخرى وتمتد الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق والحكايات واللواغظ والآداب وسماها لا يصل إلى النفس

سكانوا يقولونه فناد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لمائل عن ذلك فقال الثني أفضل لأنه وصف الحق أمادليه الأول فقيه نظر لأن الخبر قد ورد مفصلا فصلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التيسير يزيد على ثواب الثني وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء قد ورد في زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «بث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ قال إن رسول الفقراء إليك فقال مرجأ بك وعن جثت من عندهم قوم أحبه قال قالوا إلى رسول الله ﷺ إن أغنياء ذهبوا بالخبر يحجون ولا تدر عليه ويستمررون ولا تدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عن الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أماصلة واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا بني قحير أو شهيد قحير أو مؤمن قحير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو حسنة عام ، والثالثة إذا قال الثني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الثني بالفقير ولو اتفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كما تخرج إليه الفقير بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن ثوبه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن الثني وصف الحق قد أجابه بعض الشيوخ فقال أرى أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقراء أفضل لأن صفات البودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها وذلك قال تعالى فيما روي عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمت» (٣) وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها إجماع من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الثني والفقير وحاصل ذلك تعلق بمهمات قبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها إذا كان يناقض قول من فضل الثني بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قوله من لم الثني لأنه وصف العبد بالملم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والتفريط وصف البعد وليس لأحد أن يفضل النفع على العلم فكشف النطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد له به بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لأنها ولكن لكونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا فقر مطلوب له لئلا يكون لأن فيه قد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله الثني من الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وموسى وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكمن فقر يشغله الفقر وصرفه عن التصرفات القصد في الدنيا

(١) حديث حكا الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه

(٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تدر عليه الحديث وفيه بلغ عن الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والبروف في هذا للثني ماروه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشترك فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الله به عليهم أغنياءهم فقال يا بحر الفقراء ألا شركم أن قراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم حسنة عام وإسناده مشيع (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري تهم في العلم وغيره.

زيادة تأخير ويكون
كبر يخلب فيه الله
من فوقه فلا يمكث فيه
ولا يتنصع به وإذا
أخذت بالثني والزه
في الدنيا نبع منها ماء
الحياة وثقت وتعلمت
وأدت الحقوق وقامت
بواجب الآداب
بتوليقي الله سبحانه
وتعالى .

[الباب السادس
والخمسون في معرفة
الانسان نفسه
ومكاشفات الصوفية
من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردي
قال أنا الشريف نور
الهدى أبو طالب الزيني
قال أنا كريمة للرواية
قالت أخبرنا أبو الجهم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلكه سبيل للفرقة مع الشواغل غير
 ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن التقي قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق
 حب الدنيا إذ لا يجمع معه حب الله في القلب والحب لله مشغول به سواء كان في فرقة أو في وصاله
 وربما يكون منه في الرقاق أكثر وربما يكون منه في الوصال أكثر والدنيا مشغولة الغافلين
 المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن إن فرصت فارغين عن
 حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى القاعد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر
 الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من قده إذ الجائع يسلك سبيل الموت لاسميل للفرقة وإن أخذت
 الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أهدى إذ فتنة السراء أهدى من فتنة الضراء ومن الصمة
 أن لا يقدر وذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصرنا وبلينا بفتنة السراء فلم
 نمبر وهذه خفة الأكديين كلهم إلا الشاذ الذي لا يوجد في الأصهار الكثيرة إلا نادرا ولما
 كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك التاديب والضرء أصح لكل دون ذلك التاديب زجر الشرع عن
 التقي وزنه وقيل الفقر ومدحه حتى قال السليح عليه السلام : لا تنتظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن
 يريق أموالهم يلعب بوزر إيمانكم . وقال بعض العلماء : هليب الأموال يحمي حلاوة الإيمان
 وفي الخبر « إن لكل أمة مجلا ومجلا وهذه الأمة الدينار والدرهم » (١) وكان أمل مجل قوم موسى
 من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء اللال واللآلئ والذهب والحجر إنما يتصور للأتباء عليهم السلام
 والأولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 « الدنيا « إليك عني » (٢) إذ كانت تمثل له بزيتها وكان في كرم الله وجهه يقول : يا سفاء غري
 غري ويا رضاء غري غري وذلك لاستعماره في نفسه ظهور مبادئ الإغترار بها لولأن رأى
 برهان ربه وذلك هو التقي للطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس التقي عن كثرة العرض إنما
 التقي غنى النفس » (٣) وإذا كان ذلك بعيدا فاذن الأمسح لكافة الخلق قد للال وإن تصدقوا
 به وصرفوه إلى الحيرات لأهم لا ينفكون في القدرة على اللال عن أنس بالدنيا ويتمتع بالقدرة عليها
 واستعمار راحة في بلدنا وكل ذلك يورث الأتس بهذا العالم وقد ما يأس البدن بالدنيا يستوحش
 من الآخرة وقد ما يأس بصفة من صفاته سوى صفة للفرقة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما
 انقطعت أسباب الأتس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى
 وكان مؤمنا بالله الصرف لاجالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره
 فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل على تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر
 تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر يمد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد
 من الآخر فبين حب الدنيا هو عين بطن الله تعالى فينبغي أن يكون مملح نظر العارف قلبه في
 عزوه عن الدنيا وأنه بها فاذن فضل الفقير والتقي بحسب تعلق قلبهما بالمال قطع فان تساويا
 في تساوت درجتهما إلا أن هذا ملة قيم وموضع غرور فان التقي ربما يظن أنه متعلق القلب

الكشميني قال أخبرنا
 أبو عبد الله الترمذي
 قال أنا أبو عبد الله
 البخاري قال ثنا عمر
 ابن حفص قال ثنا أبي
 قال ثنا الأصمعي قال
 ثنا زيد بن وهب
 قال ثنا عبد الله قال
 ثنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو الصادق
 للصديق قال « إن
 أحسنكم يجمع خلقه في
 بطن أمه أربعين يوما
 لطفة ثم يكون علة
 مثل ذلك ثم يكون
 مضطربة مثل ذلك ثم
 يبعث الله تعالى إليه
 ملكا يأرج كلات
 فيكتب عمله وأجله
 ورزقه وحسب أمه عيشه
 ينفع فيه الروح وإن
 الرجل ليعمل بعمل

(١) حديث لكل أمة مجل ومجلا هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق
 أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول « الدنيا إليك عني
 الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس التقي عن كثرة العرض الحديث متفق
 عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن السال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا قدّمه فليعرب شبه بفرقه
أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفاتا فليعلم أنه كان مفرورا فكمن من وجل مع سرية له لظنه
أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتملت من قلب النار التي كانت مستكنة
فيه فتحقّق إذن أنه كان مفرورا وأن الشق كان مستكنا في القواد استكنان النار تحت الرماد وهذا
حال كل الأغنياء إلا الأتنياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيدا فلتطلق القول بأن القفر أصلح
للكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأنسه بالدين أضعف وقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب
تسبيحاته وعباداته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأتنياء بالذكور
ولا يكون تأثيرها في إثارة الأتنياء في قلب فارغ من غير المذكور كتنثيرها في قلب مشغول ولذلك
قال بعض السلف مثل من تبيد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلواء ومثل من يضل
يده من النمر بالسلك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر
عليها أفضل من عبادة غنى آف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشبهه فصر
واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث
رحمه الله : ادع الله في فقد أضمر في اليبال قال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خير فابع
الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل التني المشيد مثل روضة على
مزبلة ومثل الفقير للتبديد مثل عقد الجواهر في جيد الحساء وقد كانوا يكرهون سماع علم المرفقين
الأغنياء . وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدّل عند الصف من نفسي
وإثره فبما جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحدّر من الدنيا
ووجودها فكيف يشك في أن فقد السال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال التني أن
يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقض
الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو البرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حاتونا على باب
المسجد ولا تحطني فيه صلاة وذكر وأربع كل يوم خمسين ديناراً وأصدق بها في سبيل الله تعالى
قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار
الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراخ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء نصب النفس
وغسل القلب وعدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن التني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح
ولكن إذا كان البعد غنيا عن وجود السال لوعده جميعا بأن يستوى عنده كلاما فأما إذا كان غنيا
بوجوده ومفتترا إلى حياته فلا يضيء غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور ذواته
واللالتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من فردّ عليه بأن الله ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح
في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالبعد غير صحيح بل العلم من صفاته
وهو أفضل شيء لعبد بل منهي البعد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد صحت بعض المشايخ يقول
إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق يصير الأسماء التسعة والتسعون أو مائتا
أشياء يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالبعد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر
عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمنين على الكفار وتكبر العالم
على الجاهل والطبيب على الناحي فيليق به . ثم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك
من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك البعد أمور

أهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل يعمل بعمل
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلائق من طين طين
نطفة في قرار مكين -
أي حرر لا استقرارها
فيه إلى بلوغ أمهائه
قال بعد ذكره لها ثم
أنشأ ناهضا آخر - قيل
هلا الأنفا تفع الروح
فيه . وأعلم أن الكلام
في الروح صعب الرلم

به بأنه يطلب أعلى الراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتليس فعلى
 البعد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطمع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان
 أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى شمس هذه الصفة رؤيته محقة
 لا شك فيها لكانت صفة التكبر خاصة له ولا تارة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فان ذلك
 موقوف على الحاجة وليس يدرى الحاجة كيف تكون وكيف تنفق فلجعله بذلك وجب أن لا يتقدم
 لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يحتم لكافر بالإيمان وقد يحتم به بالكفر فلم يكن ذلك لاقابته
 لتصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم قصصا في حقه إذ ليس
 من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في البعد من صفات
 الله تعالى فلا جرم هو متمنى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والملاء فاذن لو استوى عنده وجود
 المال وعدمه فهذا نوع من التقي يضاهي بوجه من الوجوه التقي الذي يوصف به الله سبحانه فهو
 فضيلة ما لا التقي بوجود المال لافضيلة فيما أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال التقي الشاكر .
 [المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال التقي الحريص] ولنفرض هذا في شخص واحد
 هو طالب للمال وساع فيه وفائق له ثم وجده فله حالة التقى وحالة الوجود فأى حاله أفضل فنقول:
 ننظر أن كان مطلوبه ما لا بد منه في اللمسة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
 حال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يشغل بالفكر والذكر إلا قدرة مدخولة
 بشغل والكفى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل نوح » وقال « كاد
 الفقر أن يكون كفرا » أى الفقر مع الاضطراب فيا لا بد منه وإن كان للطلاب فوق الحاجة وكان
 للطلاب قدر الحاجة ولو لم يكن للتقوى التصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين حالة الفقر أفضل وأصلح
 لأنها استويا في الحريص وحل المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق
 الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والتقي ولكن القرضا في أن الواحد
 يأخذ ما وجده فتمت كدجه في قلبه وطمأن إلى الدنيا والفاقد للضرر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون
 الدنيا عنده كالسجين الذي ينى الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها أخرج من الدنيا رجلا أحدهما
 أشد ركونا إلى الدنيا حاله أشد حاجة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد
 أنه بالدنيا وقد قال **عليه السلام** « إن روح القدس ثقت روعى أحب من أحببت فانك مفارقة » (١)
 وهذا تنبيه على أن فرق المحبوب شديد فبني أن يحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما كرهه وفراقك لما
 تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه قد حربه وقد أنه به وأنى الواحد له يا القادر عليه أكثر
 من أنى القادر له وإن كان حربه عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأثرى والأفضل
 والأصلح لسكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضى الله عنها يستوى عنده الوجود
 والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء وللساكنين وجمعهم والثاني الفقر عن
 مقدار الضرر فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده ينى حياته
 ثم يستعين بقرتوحياته على الكفر والمعاصي ولومات جوار كانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت
 جواردا لا يحمدا يضطر إليه أضافه تفصيل القول في التقي والفقير وفي النظر في فقير حريص متكالب على

والامساك عن ذلك
 سبيل ذوى الأحلام وقد
 عظم الله تعالى شأن
 الروح وأسجل على
 الخلق بقلة العلم حيث
 قال - وما أوليت من
 العلم إلا قليلا - وقد
 أخبرنا الله تعالى في كلامه
 عن إكرامه بنى آدم
 فقال لو قدر كرمنا بنى
 آدم - وروى « أنه لما
 خلق الله تعالى آدم
 وذريته قالت الملائكة
 بارب خلقهم يا كرون
 وشربون وينكحون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا
 الآخرة فقال وعزنى
 وجلالى لأجل ذرية
 من خلقت يدي كمن
 قتلته كن فكان « فع
 هذه الكرامات واختياره
 سبحانه وتعالى إياهم على

(١) حديث إن روح القدس ثقت في روعى أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له هم حواء وفي غنى دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن خجسه يفقد للمال لوقد كنعج الفقير بقره فهذا في عمل النظر والأظهر أن الله تعالى جدر قوة تضيحها لتقد المال وقرهما بقدر تضجف تضيحها بقره والم عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في قومه)

اعلم أن لفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالفته وأصله ينبغي أن راعياً فإما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لابتلاء الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارهها فعل الله تعالى من حيث إنه ضله وإن كان كارهها للفقر كالحجوم يكون كارهها للحجامة تألمه بها ولا يكون كارهها فعل الحجام ولا كارهها للحجام بل ربما يشهد منه منه فهذا أقل درجاته وهو واجب وتضيح حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام «يا مضر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظروا بثواب فقركم والإفلاء» وأرفع من هذا أن لا يكون كارهها للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لله بنواله التقى ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى وإتقاه به في قدر ضرورته أنه يأتيه لاهلأه ويكون كارهها للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به به ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويسعى به بترك طاعته ويكثر الشكابة ويستخط القضاة وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل الممهور الذي لا يتخطو رضى أو فرح بالفقر ويرضى لله بمرته إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذته على ثلاثة أثلاث : شغل ومطول حساب . وأما أدب ظاهره فأن يظهر التصف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستره يستره في الحديث «إن الله تعالى يحب الفقير للتحف بالأعمال» وقال تعالى «يحبهم الجاهل الأغنياء» من التصف سوفال بيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر . وأما في أعماله فأدبه أن لا يتواضع لفقير لأجل غناه بل يشكر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع النبي لفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تبه الفقير على النبي فقه بالله عز وجل فهذه رتبة . وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء علم أنه مراد وإذا خالط السلطان علم أنه لص . وقال بعض المارفين إذا خالط الفقير الأغنياء أخلت هروته فإذا طمع فيهم أخطت عصمته فإذا سكن إليهم ضل ويضيئ أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطعناً في السماء وأما دبه في أفضاله فأن لا يفتربسبب الفقر عن عبادة ولا يمتنع بذلك قليل ما يفضل منه فإن ذلك جهد القتل وفنه أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «درم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرها طيبة به نفسه نصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف (١)» وينبغي أن لا يندخر مالاً بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً ما زاد عليه داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من ميثاق الله تعالى لموسى عليه السلام فقيم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض مائة ألف الحديث النساء من حديث أبي هريرة متصلاً وقد تضمن في الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسل .

للاسلكتما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقية العلم وقال - ويستأنسك عن الروح قل الروح من أمر ربي - الآية قال ابن عباس قالت اليهود لني عليه السلام أخبرنا بالروح وكيف تصدب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يحجم فأناه جبرائيل بهسمة الآية وحيث أسسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهية باذن الله تعالى ووجهه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لتيره

في أصل الحياة أربعين يوما وهذه درجة التقيين والثالثة أن يدخر سنته وهي أقصى للراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الإدخال على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ففى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فبعضهم كان يطيبها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوما وبعضهم يوما وليلة وهو قسم ثالث وخصة .

(بيان آداب القير في قبول العطاء إذا جاءه بشر سؤال)

يبنى أن يلاحظ القير فيما جاءه ثلاثة أمور : غنى لئلا يفرغ من المعطى وغرضه في الأخذ أما غنى المال فيبنى أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليستزمن أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتباؤه وما يستحب وأما غرض المعطى فلا يخاف إيمان أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو السرقة أو الزكاة أو الذكر والرياء والسمة إما على التجرد وإما مزوجا ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن يبنى أن لا يكون فيها منة فإن كان فيها منة فالأولى تركها فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه للفقير فالمعنى دون البعض قد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وأقط وكبش قبل السنن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال وقد هممت أن لأتهب لإل من قرئى أو تهنى أو أنصارى أو دوسى (٤) وفضل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح الوصل صرة فيها خسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ومن أتاه رزق من غير مسألة فرده فأنما يرده على الله (٥) ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كينا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا أو قيل من الناس مثل هذا قال الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلق وهذا يدل على أن أمر المال الواعظ أعظم في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة فتم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من وأقط وكبش قبل السنن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليل بن مرة وأهدت إليه كبشين وحيث من من وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسنن وأحد الكبشين ورد عليهما الآخر وإسناده جيد وقال وكبش مرة عن يعل بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وأيم الله لا أقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يسكنون مهاجريا الحديث فيه عهد ابن إسحق ورواه بالمتن (٤) حديث قد هممت أن لأتهب لإل من قرئى أو تهنى أو أنصارى أو دوسى الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله قات (٥) حديث عطاء مرسل من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فأنما يرده على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولا أحمد وأبي يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهني من بقة معروف من أخيه من غير مسئة ولا إشراف ففى قلبه ولا يرده فأنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولا أحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا المال شيئا من غير أن يسأله فليقبه على الصالحين من حديث عمر مائة من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فله الحديث .

الخوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما خاضت النفس الانسانية المتطلعة إلى الفضول المتشوقة إلى العقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمره بالسكون فيه وللشدة محرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارج الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح ناهت في التيه وتوعدت أركانها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والنقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو لو زمت النفوس حلها مترفة بسيرها كان ذلك أجدها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويرضى عليه غيرهم الذين فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صدقته شيئا يقول انركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذته وإلا فلا ، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويشرح بالقول ويرى المنة على نفسه في قبول صدقته هديته ، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذته مباحا ولكنكم تكروه عند الفقراء الصادقين . وقال بشر : مما سألت أحمدا قط شيئا إلا سرىا السقطي لأنه قد صبح عندي زهد في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويترحم يقاله عنده فأكون عوناً له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجند رحمه الله بقال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا . قال ومضى أعيشى حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الحل والبل بل في الحلوات والطبقات قبل ذلك منه ، قال الخراساني ما أجده في بغداد أمن على منك ، قال الجند ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون لثواب الجرد وذلك صدقة أو زكاة فليعلم أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن اشبهه عليه فهو حل شبة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يطمع لديه فلينظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لمصلحة في السر يعلم أن السقطي لو علم ذلك لفر طبعه ولما حُرب إلى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لفته أنه عالم أو عاوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه . الثالث أن يكون غرضه السعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده القاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري يرد ما يطمع ، ويقول : لو علمت أنهم لا يدكرون ذلك اختاراً به لأذنت ، ووعوب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صفة ، قال إنما أرد صلتهم إشفافا عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في السقطي فالأفضل له الأخذ . قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما للمطعم من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئتراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه » (٢) وفي لفظ آخر « فلا يرده » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطو قد كان سرى السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليهما شيئا فردته مرة ، فقال له السرى : يا أحمد اسلما فالرد فاتها أحد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فاجبته لي عندك فإذا كان بعد شهر فأخذته إلى ، وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما إذا كان مائتاً زائدا على حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرقيق والسخاء ، فإن كان مشغولا بنفسه فلاوجه لأخذه وإسماكه إن كان طالبا لطريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أودع الله إليه ، ومن حام حول الحوى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في الملازمة

(١) حديث ما للمطعم من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا للطيراني من حديث ابن عمر وقد تضمن في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئتراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرده عندما قبل هذا الحديث .

وأولى فأما أقوالهم من ليس متمسكا بالترائع فنفسه الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال أبرزتها المقول التي ضلت من الرغاد وطبعت على الفساد ولم يصحها نور الاحتداه ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالى - كانت أعينهم في خطاهم عن ذكركم وكانوا لا يستطبون صما - . وقايل قلوبنا في أكنة عما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حيوا عن الأنبياء لم يسموا وحيث لم يسموا لم يهتدوا فأصروا على

ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويخفي في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من أعطت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليمرغه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيعمل كليهما في السر أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فيطلب من موصيه . وأما امتناع أحمد بن حنبل من قبول عطاء سرى السقطي رحمه الله فأنما كان لاستنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فان إلى ذلك آفات وأخطار والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للإعاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جالس كما ترى عريان كما ترى لها ترى قبا ترى يأمن برى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لاسكاد ثوابه قلت في نفسي لأجد لدرهمي موصيا أحسن من هذا فقلت له فأنظر إليهما ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة عن مؤثرين ودرهم أتقته ثلاثا لاحتاجه في إلى الباقي فردته . قال فرأيتة الليلة الثانية وعليه مؤثران جديدان فحبس في نفسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شرط منها على جوهر من معادن الأرض يتشخص تحت أقدامنا إلى الكهين : منها ذهب ونفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ويظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذت من أبدي الخلق لأن هذه أتمل وقتة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، وللقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك ، فلا تنفل عن الفرق بين الفرق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، فما زاد فهو حساب » (١) فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تلمس الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض لعقاب ، ومن الأخبار أيضا أن تعزم على ترك قدر من الثبات تقربا إلى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأتيك عفوا سفوا لتتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فان النفس إذا رخص لها في قرض العزم أقت قرض السهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فان أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بمقوق الفقراء وتمهد جماعة من الصالحاء غدا مازاد على حاجتك فانه غير زاهد على حاجة الفقراء ، ويأمر به إلى الصرف إليهم ولا تدمره فان إيساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحل في قلبك قمصكه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لحكمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتشم في اللطم والشرب وذلك هو الملاك . ومن كان غرضه الفرق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتياد السلاطين الثقلة فان رزقه الله من حاله فله أن يتقبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرامه وذلك بشرط أن يكون مكتشف الحال عديم غرض فلا يرض للقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله عنه يقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى

الجهالات وحسبوا بالمعقول من الأموال والفضل حجة الله تعالى بهدي به قوما ويضل به قوما آخرين فلم يقبل أنوارهم في الروح واخذلهم فيه . وأما للتمسكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح قوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الفوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الإمسك عن ذلك والتأدب بأدب التي عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الجنيد : الروح شيء ابتثاره الله بقله ولا

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، فما زاد فهو حساب .

ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله - قيل معناه ليسع أحد ثوبيه وقيل معناه فليستعرض بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم إن الله تعالى عبداً ينفقون على قدر بضائهم والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف الأقوياء والأغنياء والأغنياء قيل من هؤلاء ؟ فقال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فاذن معهما وجدت هذه الضرورة في اللالو في العطي فلما أخذته ويثني أن يرى ما يأخذ من الله لامن للعطي ولأن العطي وسلط قد سخر للعطاه وهو مضطر إليه بماسلط عليه من العواصي والإرادات والاعتقادات . وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقاً في خمس من أصحابه لوضع الرجل مائة حسنة فلما صدقوا لأصحابه إن هذا الرجل يقول من لم يرى صنعت هذا الطعام وقدمته فطعماني عليه حرام قاموا كلهم وخرجوا إلا عاباً منهم كان قد وهب في الفرجة فقال صاحب المنزل لشقيقه فاصدق بهذا قال أرحت أن أخبر توحيد أصحابي كلهم . وقال موسى عليه السلام : يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يذنبون هذا يوماً ويشفي هذا ليلة فأوصى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي يؤجروا فيهم فلا يثني أن يرى للعطي إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى لسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه .

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم «السائل حق ولو جاءه على فرس» (١) وفي الحديث «ردوا السائل ولو بظلف عرق» (٢) ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إمانة للتدب على عدوانه أو إعطاء إمانة للكاشف للخطأ فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنيادته فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقير وذكر قصور نعمته الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن البدل للمالوك لو سأل لكان سؤاله تشييعاً على سيده فكذلك سؤال العباد تشييع على الله تعالى وهذا يثني أن يحرم ولا يخل إلا بالضرورة كما فعل الليث . الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه فقير الله تعالى وليس للؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا يثني أن يذل لهم إلا بالضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى السئول . الثالث أنه لا ينفك عن إظهار السئول غالباً لأنه ربما لاتسح نفسه بالذل عن طيب قلب منه فإن يذل حياء من السائل أورياء فهو حرام على الأخذ وإن منع ربما امتحيا وتأذى في نفسه بالذع إذ يرى نفسه في صورة البخله في البذل نقصان ماله وفي اللع نقصان جاهه وكلاماً مؤذياناً والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بالضرورة ومما فهمت هذه التحذورات الثلاث قد فهمت قوله

(١) حديث لسائل حق وإن جاء على فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي بن الأول يملن بن أبي يحيى جهه أبو حاتم ووثقه ابن جبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود وما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه يثني عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها لسائل حق الحديث فانه لا يباح عن أحمد قد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو بظلف عرق أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مضطرب .

يجوز العبارة عنه
بأكثر من موجود
ولكن يغيب لاصدقين
عملاً لا توألمهم وأضالهم
ويجوز أن يصحكون
كلامهم في ذلك بشارة
التأويل لسلك
الله تعالى والآيات
للزلة حيث حرم
تفسيره وجوز تأويله
إذ لا يباح القول في
التفسير إلا لاهل وأما
التأويل فقد تمت
القول إليه بالابع
الطويل وهو ذكر
ما تضمنه الآية من
المنع من غير القطع
بذلك وإذ كان الأمر
كذلك فقل قول فيه
وجهه ومحل . قال
أبو عبد الله النجاشي
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من القواش ما أحل الله من القواش غيرها» (١) فانظر كيف ساءها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تجاح لضرورة كإباحة شرب الخمر لمن غص بقلعة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جمر جهنم» (٢) «ومن سأل وله ما يفيجه يوم القيامة ووجهه عظم يتشقق وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه» (٣) وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد «وبإيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطينا ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا» (٥) وقال عليه السلام «استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى» (٦) وسمع عمر رضي الله عنه سألوا يسأل بعد القرب فقالوا احمدن قومه عني الرجل فغضب ثم صمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عني الرجل قال قد عشتني فظفر عمر فاذا تحت يده حمالة حمودة خيزا قال لست سأل ولا ولكنك تاجر تم أخذ الحلالة وترها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالرة وقال لا تمد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربته ولا أخذ عجلاته ولعل الفقيه الضعيف اللثة الضيق الخوصية يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد التبرع بالضرر وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالقوبة بأخذ المال فكيف باستجازه وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فإن يظهر فقه الفقهاء كلهم في حصول عمر من الخطاب رضي الله عنه وأطاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أقرى أنه لم يعلم أن الصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في مصيبة الله وسامعه أورد الرجز بالمصلحة غير طريق شرعي نبي الله وهبها فان ذلك أيضا مصيبة بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك وردته إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم بقي ما لا مال له فوجب صرفه إلى الصالح وإبل الصدقة وعلفها من الصالح وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ المأوى بقوله إن علوى وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وأخذ الصوفى الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارن لمصيبة لو عرفها للمعطى لما أعطاه وقد

(١) حديث مسألة الناس من القواش وما أحل الله من القواش غيرها لم أجده أصلا (٢) حديث من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفلية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة ولسلم من حديث أبي هريرة من يسأل الناس أموالهم تستكرها فأنما يسأل جمرا الحديث وللقزاري والطبراني من حديث مسعود بن عمر ولا يزال البعدي يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه وفي إسناده لين ولشيعتين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفيجه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة (٤) حديث تابع قوما على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطينا ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه وبقية هات (٦) حديث استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث البراز والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بقرص السوك وإسناده صحيح وله في حديث خففوا ولو عجز الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ .

عن الحسن وبكر
عن السس ولا يبر
عنه بأكثر من
موجود وهو وإن منع
عن الصبرة قد حكم
بأنه جسم فكأنه عبر
عنه . وقال ابن عطاء
خلق الله الأرواح قبل
الأجساد قوله تعالى
سوف نخلقناكم - يعني
الأرواح - ثم صورناكم -
يعني الأجساد . وقال
بضمهم الروح لطيف
قام في سكينة
كالصبر جهر لطيف
قام في كيف وفي هذا
القول نظر وقال
بضمهم الروح عبارة
والقام بالأشياء هو
الحق وهذا فيه نظر
أيضا لأن يحمل على
معنى الإحياء قد قال

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بطل عمر رضي الله عنه على صحة هذا الذي ينقل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا يستدل بفلتك عن هذا الفقه على بطلان قول عمر فاذعرت أن السؤال يساح للضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما للضرر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبذنه مكشوف ليس مما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الضرر في الشئ يكونه مباحا وللشئ منه يكونه راضيا في الباطن وفي السائل يكونه حاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له حظ فهو قادر على الكسب بالوراقة . وأما السخى فهو الذي يطلب شيئا وعنده منه وأمثاله فسؤاله حرم قطعا وهذا من طرفان واضعان وأما المحتاج حاجة مهمة فكل مرض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخشى عن خوف وكن له حجة لا تقضى تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذي لا يتنبى إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشئ بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإجابة لأنها أيضا حاجة عفيفة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جيب قبض والبرد يؤذي أدى أطيعه ولكن يشق على فإذا صدق صدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله فيصا إليه فوق ثيابه عند خروجه ليست الحرق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لأجل الأدم وهو واحد لا يتجزأ وكن يسأل الكراء لقرص في الطريق وهو واحد كراء الجار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان في شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء للشئ فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن يتاح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فان قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات . فاعلم أن الشكوى تدل على أن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالني رعونة النفس شوب فوق ثيابي وهو فضة عن الحاجة وفصول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما الذل فأن يسأل إياه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقص ذلك في عينه ولا يزدده بسبب سؤاله أو الرجل السخى الذي قد أعد ما يملك هذه للكريم فيخرج وجود منه ويظهر منمنعة بقوله فيسقط عند الذل بذلك فإن الذل لازم فلهذا لا حاجة . وأما الإيذاء فصيل الخلاص عنه أن لا يبين شخصا بالسؤال بينه بل يترك الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا بمتبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبدل لكان يلام فهذا إيذاء فانه ربما يبدل كرها خوفا من اللامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لوقدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بمرض لمرض يثق به سبيلا إلى التنازل إن أراد فإذا تنازل مع القدرة عليه فلا يرغب بمتوانه غير متأذيه وينبغي أن يسأل من لا يستعيا منه لورده أو تخافه من فتن الحياء من السائل يؤذي كأن الرأى مع غير السائل يؤذي . فان قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث السئ هو الحياص منه ومن الحاضر ولو لا ما ابتداء به فهل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم الخلع التبرع بالضرب وللصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب بظاهر وجهه بسياط الخشب أو يضرب بباطن قلبه بسوط الحياء وخوف اللام وضرب الباطن أهد نكابة في قلوب الغلاء

بضم الإحياء صفة
الحى كالتخليق صفة
الخالق والقل الروح
من أمرى - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بمخلوق أى صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح معنى في الجسد
لأن الأقوال ما يدل
على أن قائله يعتقد قدم
الروح ومن الأقوال
ما يدل على أنه يعتقد
حدوثه ثم إن الناس
مخلقون في الروح الذي
مثل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
فقال قوم هو جبرائيل
وقال عن أمير المؤمنين
عليه السلام قال رضي
الله عنه أنه قال هو
ملك من الملائكة

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى بموقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردكم إلى البواطن وقرائن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال الصديق السيد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلب عنده كاللجنة عند سائر الحكام فلا تظن في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أتوك وأخوك فإن للفقير مع لقاؤه والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومضى القلوب هم علماء الآخرة ويشتوا من سيطرة سلطان الآخرة كأن يفتوى الفقيه النجاة من سيطرة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لاجل ملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فليعلم أن شيه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهدية والقبالة ليتقضى عن عهده فإن لم يقبل هديته فليعلم أن برده ذلك إلى وريثه فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يصير الاطلاع عليه فكيف السبيل إلى التخلص منها فرجما يظن السائل أضرار ولا يكون هو في الباطن راضيا . فأقول لهذا ترك للفقير السؤال رأسا لما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علمت أنه يفرح بخروج السال من يده فأنا أعينه على ما يجب وإنما عظم التكبر في السؤال وتعاكد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السال مشرفا على المهلك ولم يبق له سبيل إلى التخلص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الخنزير فكان الامتناع طريق الودعين ومن أرباب القلوب من كان واقفا يصير تعفى الاطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بضا ويرد بضا كما فعل رسول الله ﷺ في السكبش والسمن والأقط وكان هذا بما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جباة أو طلب للربا والسمة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلى موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم سألوا إلا من حلوا أنه يرضى في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والأخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بشر سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علوا أن للطلوب رضا القلب لا لطلب اللسان وكانوا قد وثقوا بأخواتهم أنهم كانوا يفرحون بإسماطهم فإذا كانوا يسألون الأخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فسألوا يستنون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن للشك والشك بصفه معلوم ما لك من الحاجة لا بتدراك دون السؤال فلا يكون لسؤال تأخير إلا في تشریف حاجتك فأما في تحريك الحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى لسؤال حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال طلق وفي الثانية حرام صحت وتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قبله فيها وليترك حوزا القلب فإنه الآثم وليعلم ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قوت لفظته وضغف حرصه وشهوته فإن قوى الحرس وضغف الفطنة رأى لما يوافق فرضه فلا يظن للقرائن إلا القليل الكراهة فهو بهذه الحالة فائق بطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »

سبعون ألف وجهه
ولشكل وجهه منه
سبعون ألف لسان
ولكل لسان منه
سبعون ألف لغة يسبح
الله تعالى تلك اللغات
كلها ويخلق من كل
لغة ما يسبح به مع
اللائكة إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خالق
الله صورته على صورة
بن آدم وما نزل من
السماء ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهيئة
الإنسان وليسوا بناس
وقال عبيد الله بن
سورة بن آدم لهم أيد
وأرجل وروس

(١) حديث إنما تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلا وكذا قال للزى لما مثل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوتي جوامع الحكم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحقر ابتغى ما كسب من أيدي الناس وإن أعطى بشر سؤال فأعطا يديه ومضى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يسطى بدينه فيكون ما أخذه حراما وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالطاء إذا سئل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا قشحت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبه علالك أنت أو مورثك فأذن بيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يثينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما شاء قدير .

(بيان مقدار التثني المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من حال عن ظهر غنى فأعساأ جراً فليست غنائه وأليست كثر » صريح في التحريم ، ولكن حد التثني شكل وتحدبه عبيره وليس إلينا وضع التقادير بل يستدرك ذلك بالتزئيف ، وقد ورد في الحديث « استنوا بني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة ^(١) » وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهماً وعدها من الذهب قد سدأ إلخافاً ^(٢) » وورد في لفظ آخر « أربعون درهماً » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحداً والتقدير مجتمع وغاية للمعنى فيه تحريم ولا يمت ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين ، فقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا على ثلاث طعام يقيم عليه وثوب يوارى به عورته ويبت بكنهه فإزاد فهو حساب » فلينص هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والتقادير والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في منها حق يلحق بها الكراهة للسافر إذا كان لا يقدر على الشيء وكذلك ما يجري مجراه من اللحامات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفائه كالأبنة أيضاً . وأما التقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقيص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقتصر على هذا أثاث البيت جميعاً ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والفضة فيما يكتفي فيه الخرف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن المادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يتنابذ ولو كان من الشعر والأدم على الدوام فضله وقطعه بالسكية إضرار في طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأنه ما يجزى من حيث التقدير وذلك من غير زينة فأما السؤال لقزنة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة إلى الأوقات فالحاجت إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يليسه وماوى يمكنه فلا شك فيه فأما سؤاله المستقبل فلينأله ثلاث درجات : إحداها ما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين يوماً . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتنتظر بأن من معه ما يكفي له ولعائلته إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية التثني وعليه ينزل التقدير بخمسين درهماً في الحديث فإن خمسة دنانير تكفى للفرد

(١) حديث استنوا بني الله قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة تهم في الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا ما ينه قال ما ينه أو يسيه ولا يحد من حديث على بن إسماعيل حسن قالوا وما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلة وأما اللفظ الذي ذكره للسنة فذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة .
(٢) حديث من سأل وله خمسون درهماً وعدها من الذهب قد سدأ إلخافاً وفي لفظ آخر أربعون درهماً مقدماً في الزكاة .

ياكلون الطعام وليسوا
بلائكة وقال سعيد
ابن جبير لم يخلق الله
خلقاً أعظم من الروح
غير العرش ولوشاء
أن يبلغ السموات
والأرضين السبع في
لحمة لسهل صورة
خلقته على صورة
لللائكة وصورة
وجهه على صورة
الآدميين يقوم يوم
القيامة عن العرش
واللائكة معه في صف
واحد وهو ممن يشفع
لأهل التوحيد ولولا أن
ينته وبين لللائكة
سرا من نور لحرق
أهل السموات من
نوره فهذه الأقوال
لا تكون إلا أهلاً وصالحاً
بنتهم عن رسول الله

في السنة إذا قصد أما الليل فربما لا يكتفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادراً على السؤال ولا يخوته فرصته فلا يحمل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يحسب إلى التدفيع قد سأل ما لا يحتاج فكيف غداه يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التدبير بهذا القدر وإن كان يفتوه فرصة السؤال ولا يجد من يخطيه لآخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء متغير يبدفوه بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يهينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضيقاً وكان المألجه السؤال خارجاً عن عمل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد الجهد ونظره نفسه بينه وبين الله تعالى فيستغنى فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكاً طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وحقته بجي الرزق في المستقبل ثم وقعاته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد أتاك الله قوة يومك ولك ولياك الأمن من ضعف اليقين والأصناف إلى تخوف الشيطان وقد قال تعالى... فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفحشاء والله يدرك مغفرة منه وفضلاً - والسؤال من الفحشاء التي أبيضت بالضرورة وحال من يسأل حاجة مترامية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه السنة أهدأ من حال من ملك مالا موروثاً وادخره حاجة وراء السنة ولا مباحاً في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بغضل الله وهذه الحسنة من أمهات اللبكات ، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان جبر رحمة الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لإسأل وإن أعطى لا يأخذ فلهذا مع الروحانيين في عليين وقير لإسأل وإن أعطى أخذ فهذا مع القرين في جنات الفردوس وقير يسأل عند الحاجة فلهذا مع الصادقين من أصحاب الجبين فاذن قد اتفق كلهم على فم السؤال على أنه مع الفاقة يحطل الربوة الدرجة . قال شقيق البلخي لإبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وظن أنهم لما وصفهم ترك السؤال قد أتى عليهم غاية التناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلغ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا قبل رأسه وقال صدقت يا استاذ فاذن درجات أبواب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يرقى إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والمعلو لا يقدر على الرقي قطعاً وإنما السالك فيعرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تعلم حاله فتحتضن أن يكون السؤال مؤيداً لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحق النوري رحمه الله عليه وسأل الناس في بعض الواضع قال فاستعظمت ذلك واستبجته له فأنيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يحظم هذا عليك فان النوري يسأل الناس إلا لعظمهم وإنما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يخرم وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم « يد للمطى هي العليا »^(١) فقال بعضهم يد للمطى هي يد الآخذ للمال لا يعطى الثواب والقدره

صلى الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح للثول عنه شيئاً من هذا الثقل فهو غير الروح الذي في الجسد فصل هذا يسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعاً وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله إلى أما كن معروفة لا يبر عنه بأكثر من موجود بل يعاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لأنه لو خرج من كن كان عليه القدر قبل فن أي شيء خرج قال من بين جناه وجلاه سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خصياً بسلامه وحياءه بكلامه

(١) حديث يد للمطى هي العليا مسلم من حديث أبي هريرة .

لما يأخذهم قال الجنيد هات اليزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على للساعة ثم قال أحملها إليه فقلت في نفسي إنما يوزن الشيء بعرف مقداره فكيف خطبه مجهولاً وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال هات اليزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليّ وقل لها ألا أقبل منك أنت شيئاً وأخذ مازدا على الساعة قال فزاد تصبّي فسأته فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطرفيه وزن الساعة لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فيكي وقال أخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والآقبال على الله تعالى بكنه الحمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طرية فهو جاهل كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتباؤه حتى بذل كنهه فهو جاهل كمن ينكر مثلاً أن ذلك الحبة كان كمن شرب للسعال فلم يؤثر في حقه خاصة لملة في بطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خالياً عن حظ وإف من الجهل بل البصر أحد جليلين إمارات سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الدوق والعرفة وقد وصل إلى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدقه فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصل إلى عين اليقين ولم يعلم اليقين أضارياً وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ومعرض يوم القيامة في زمرة الملاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فسنال الله تعالى أن يعملنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجته الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في العلم واللبس والسكن والأثاث وغروب البعثة وبيان علامة الزهد .

(بيان حقيقة الزهد)

فهو مستقمن ذل كن
وسئل أبو سعيد الخراساني
عن الروح أعنوقة هي
قال نعم ولولا ذلك
ما أثرت بالروية
حيث قالت بلى والروح
هي التي قام بها البدن
واستحق بها اسم الحياة
وبالروح ثبت العقل
وبالروح قامت الحجة
ولو لم يكن الروح
كان العقل معطلا
لا حجة عليه ولا
وقيل إنها جوهر مخلوق
وليكنها العنفة
المخلوقات وأصغر
الجواهر وأورها وبها
تراهي اللقيات وبها
يكون الكشف لأهل
الحنائق وإذا حببت
الروح عن مراعاة
السمر أسامت الجوارح

اعلم أن الزهد في الله قيام شريف من مقامات السالكين وينظم هذا المقام علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كآفاق السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فاقبس القول مراداً لئنه وإن لم يكن صادراً عن حال سمى إسلاماً ولم يسمى إيماناً والله هو السبب في حال مجرى الثمر والعمل مجرى من الحال مجرى الثمرة فلذلك الحال مع كلال طرية من العلم والعمل . أما الحال فنحن بها ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاملة وبيع وغيره فأعاد عدل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره غايه بالإضافة إلى المدلول منه يسمى زهداً وبالإضافة إلى المدلول إليه يسمى رغبته وجا فلذلك يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط للرغوب عنه أن يكون هو المرغوب فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً بقى نفسه لا يسمى زاهداً إذ تارك الحجب والتراب وما أشبه لا يسمى زاهداً وإنما يسمى زاهداً من ترك الدرام والله ناير لأن التراب والحجر ليسا في مقتلة الرغبة وشرط للرغوب فيه أن يكون عنده خيراً من المرغوب عنه حتى تذهب هذه الرغبة فالبايع لا يخدم على البيع إلا وللشترى عنده خير من البيع فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهداً فهو بالإضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وحيال ذلك قال الله تعالى وشروه بشئ من درهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - مناه باعوه قد يطلق الشراء بمعنى البيع

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يخاولهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا نكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن المادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وإن كان هو لميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجنه لم يتصور إلا بالمدول إلى شيء هو أحب منه وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرضع عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفرائس ولا يجب إلا الله تعالى فهو الزاهد للطلق ، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في المحور والصور والأنهار والقوا كهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالميل يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك الجمال في الثنية فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يترب عن بعض الماصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض الماصي هيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك اللبايات التي هي حظ النفس ، ولا يمد أن يقدر على ترك بعض اللبايات دون بعض كما لا يمد ذلك في المحظورات ، ولتقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن المادة تخصص هذا الاسم بترك اللبايات فاذا نال الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في الرغوب فيه أن يكون خيرا عنه فيشترط في الرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال وإياك بترك زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءه الدنيا وأمنه فتركها ، وأما أنا فقيذا زهدت ؟ . وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون اللزوك خيرا بالإضافة إلى الأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن يزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من التلج مثلا . ولا يصير على مالك التلج يمه بالجواهر والآلات . فكذلك مثال الدنيا والآخرة فالله كالتلج الموضوع في الشمس لا يزال في الدوبان إلى الاقتراس والآخرة كالجواهر التي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والسرقة بالفتاوت بين الدنيا والآخرة فتوى الرغبة في البيع والمالمة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ثم بين أن صفقتهم راحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا التقدير وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا : إما لضعف علمه ويقينه . وإما لاحتياقه الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاختراجه بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم إلى أن يخطئه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الموت وإلى تعريف خسارة الدنيا بالإشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف خسارة الآخرة بالإشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم وبلغكم ثواب الله خير - فنيه على أن العلم بغساة الجواهر هو للرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد إلا بمناوذة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له التي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني

الأدب ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقاض وتازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة وتسعى ما تسعى في السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت الأرض وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدارها من السعي إلى الله أطم الحياة . وبروي سيد بن السبب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردوا

الدنيا كأرضها الصالحين من عبادك (١) وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل غلوق فهو بالإضافة إلى جلالة حقير والسيد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ماهو خير له ولا يتصور أن يرى بالغ القرس وإن رغب منه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلا لأنه مستثن عن الحشرات أصلا وليس مستثنى عن القرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ماسواه فيرى السك في درجة واحدة بالإضافة إلى جلالة وبره متفاوتا بالإضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يسع ومما سواه واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى فمما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ عوضه فكذلك الزهد بوجوب ترك الزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلتها فيخرج من القلب حبا ويدخل حب الطاعات ويخرج من القلب والبغى يخرج من القلب ويوظف على اليد والدين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم البيع ولم يأخذ الثمن فإذا بشرط الجانيين في الأخذ والترك فليست بشرط بيعة الذي يبيع به فإن الذي يابيه بهذا البيع وفي بالمهد فمن سلم حاضرا في غلب وسلم الحاضر وأخذ يسرى في طلب القالب سلم إليه القالب حين فراغه من سعيه إن كان العائد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالمهد وما دام بمسكا للدنيا لا يصبح زهدا أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - يوسف وأخوه أحب إلى أينا منا - وعزموا على إبادة ما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فتركه ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامه الرغبة الإمساك وعلامة الزهد الإخراج فان أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيها أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لأن ما لا يدبر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بفروره ويغيب إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بمجل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على التمسك عندنا فكمن ظان بنفسه كراهة التماسك عند تمسكها فما تيسرت له أسبابها من غير تكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فأيك أن تثق بوعدها في liberties واللوثق التاييد الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وعدت بما وعدت على الدول مع استثناء الصوارف والأعداء ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها أيضا على كل حذر فانها سرية النفس للهدم قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى مارك فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تفتي في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة قال ابن شبرمة لا أدري أمو ابن الحائك أم ماهو لكن أعلم أن الدنيا خدمت إليه فحرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع السليين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء يحبته لقلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما ضاؤوه إلا قليل منهم - (٢)

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصرا اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القصور ولم يخرجوه له (٢) حديث قال للسليون إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء يحبته لقلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم - الآية أم أنف له على أصل .

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتعدوا وتساووا وكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يقاب به الأحياء في الدنيا من أجمل الذنوب قالوا لننقل إلى الله ظاهرا عنه فإنه لا أحد أحب إليه الملم من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم ينى من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . وإعلم أنه ليس من الزهد ترك اللال وبذله على سبيل السخاء والقنوة وعلى سبيل استيالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كلهم من عاصم العادات ولكن لا مدخل لى منه فى العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا طمعا فبغيرها لا تملكها إلا أن تتركها فانه يتصور بمن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروة وقنوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهى الدواهنأ من اللال وكأ أن تترك اللال على سبيل السلم طمعا فى الموضع ليس من الزهد فكذلك ترك طمعا فى الذكر والنساء والاشتهار بالقنوة والسخاء واستغفالا لى فى حفظ اللال من المشغول النامد والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حفظ آخر النفس بل الزاهد من آتته الدنيا راحة صفوا عفوا وهو قادر على التمتع بهما من غير تهمان جاءه وقبح اسم ولا فوات حفظ النفس فتركها خوفا من أن يأنى بها فيكون آنا بغير الله وعجبالا سوى الله ويكون مشركا فى حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا فى ثواب الله فى الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا فى أشربة الجنة وترك التمتع بالسرائى والنسوان طمعا فى الجور العين وترك التفرج فى البساتين طمعا فى بساتين الجنة وأشجارها وترك الزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا فى زينة الجنة وترك الطعام اللذيذة طمعا فى فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبت طياتكم فى حياتكم الدنيا - فأتر فى جميع ذلك ما وعد به فى الجنة على ما تيسر له فى الدنيا عفوا صفوا لىله بأن مافى الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا لمعاملات دنيوية لا جدوى لى فى الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - فخرج على قومه فى زينته - إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم وليكن ثواب الله خير لمن آمن - فقتب الزهد إلى الطماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الناء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء فى التفسير على الزهد فى الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لى لىلبؤم إىهم أحسن عملا - قيل معناه إىهم أزهى فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة زد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا توت منها وماله فى الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولا تعدن عىلك إلى مامتنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فى ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستجيبون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك ففهموه أن للؤمن هو الذى يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فهاورد منها فى دم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها فى كتاب دم الدنيا من ريع الهلكات إذ حب الدنيا من الهلكات ونحن الآن نتصر على فضيلة بعض الدنيا فاته من النجيات وهو الذى بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه شىته وجعل قره بين عىنيه ولم يأنه من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له هم وحفظ عليه شىته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راحة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إذ لأربتم اليد وقد أعطى صننا وزهدنا فى الدنيا فاقربوا منه

وترداد وجوههم يابضا وإشراقا » فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفى خبر آخر « إن أعمالكم تعرض على عشاركم وأقاربكم من اللوق فإن كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان فى الجسد وليست بهما وأعراض ، مسئ الواسطى لى علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صفة التحكىن والاستقرار الأراء يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا - منكم من يريد الدنيا والآخرة - (٢) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا والآخرة - (٣) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا والآخرة - (٤) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا والآخرة -

فانه ينفي الحكمة (١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا لسوء ذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله بتاييس الحكمة في قلبه وأنطق بهالسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال « قلنا يارسول الله أي الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يارسول الله وما مخموم القلب ؟ قال التقي التقي الذي لاغل فيه ولاغش ولايشي ولاحد قلنا يارسول الله فمن على أثره ؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) ومنهم من هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) » فجعل الزهد سبيلا للجنة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل القامات ومنهم من أضاف أن حب الدنيا متعرض لينقض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء ألقاها فيه وإلا ارتحلا (٤) » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وزهرها وكأني بالجنة والنار وكأني بمرس ربي بارزا قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ، عبد نور الله قلبه بالايمان (٥) » فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الايمان بمزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى التبرع في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ماهذا التبرع ؟ قال إن التور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يارسول الله وهل ذلك من علامة قال نعم التجاني عن دار التور والآنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قيل زوجه (٦) » فانظر كيف جعل الزهد شرط للاسلام وهو التجاني عن دار التور وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تبزون ما لا تسكنون وتحمون ما لا تأكلون (٧) » فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بوجع القضاء وترك الشهادة بالمصيبة إذا زلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنيوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون (٨) » فجعل الزهد تسكنا لايمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيته العبد قد أوتي صفتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلد بسند فيه ضعف (٢) حديث قلنا يارسول الله وما مخموم القلب ؟ قال التقي التقي الحديث ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يارسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بإسناد للذکور الحرألعلى في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء ألقاها فيه وإلا ارتحلا لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساکر في تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر .

نبياء وأدم بين الروح والجسد - أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور الوردة وإيليس من نار الوردة ولهذا قال - خلقتني من نار وخلقتني من طين - ولم يدر أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي لطاقتها تم بالعلم كما ينمو البدن بالذماء ولهذا في علم الله لأن علم الحق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان وللنور يدمجها وأن الروح هي الحياة بعبارة

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقال إليه على كرم الله وجهه ، فقال : بأبي أنت وأمي يارسول الله لا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا فسر لنا ، قال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويسمعون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن ولا يخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك » (٢) . وقال أيضا « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار » (٣) . والبخل عمرة الرغبة في الدنيا والسخاء عمرة الزهد والتناء على الفجرة ثناء على الشعر لاهعالة . وروى عن ابن السيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه هاء الدنيا ودواءها وأخرجها منها سالما إلى دار السلام » (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم « مر في أصحابه بشار من التوق حذل وهي الحوامل وكانت من أحب أمهاتهم إليهم وأتسها عندهم لأنها تجمع الظهر والاحم والابن والور ، وأعظمها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا البشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب بصره فقيل له يارسول الله هذه أمسا أمواتنا لا نتظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به - » (٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت « قلت يارسول الله ألا تستطم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، قال بإعاشة والذي نفس يده لو سألت ربي أن يجرى مني جبال الدنيا ذهباً لأجرها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وقهر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، بإعاشة إن الدنيا لا تنفي الحمد ولا لاك الحمد ، بإعاشة إن الله لم يرش لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرش لي إلا أن يكفني ما كلفهم ، قال - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - والله مالى بد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا بمجدي ولأقوة إلا بالله » (٦)

- (١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أره من حديث جابر وقد رواه الترمذى الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضيف نحوه (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث السخي قريب من الله الحديث الترمذى من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدينامن حديث صفوان بن سليم مرسلا ولا بن عدى في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجره الله بنافع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث مشكور وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضيفة (٥) حديث مرفى أصحابه بشار من التوق حذل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك - الآية لم أجده أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ألا تستطم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه بإعاشة إن الله لم يرش لأولى العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمى في مسند القردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلى من رواية عباد ابن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : بإعاشة إن الله لم يرش من أولى العزم

البدن بوجودها حيا وبالأعادة إليه في القيامة يصير حيا وذهب بسنن شكس الاسلام إلى أنه جسم لطيف مشبك بالأجسام المكشوفة اشتباك الماء بالسود الأخضر وهو اختيار أبى للمالى الجوسى وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيه من الروح والمهبط والتردد في البرزخ حيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن المرض لا يوصف بأوصاف إلا الوصف معنى واللى لا يقوم بالحق واختار بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضي الله عنه « أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق » ، ومن بسطة طعام تطعمه وتظم من حضر ، فقال عمر بإخصة ألت تملين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناعدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يبيع هو ولا أهل بيته غداة إلا جاعوا عشي ولا شبعوا عشي إلا جاعوا غداة . وناعدتك الله هل تملين أن النبي صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يبيع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ، وناعدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارضاع فشق ذلك عليه حتى شرب لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض وناعدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عبادة مثنية فثنيت له ليلة أربع طافات فنام عليها فلما استيقظ قال منحنوني قيام اليلة بهذه العبادة اتروها باثنتين كما كنتم تنهونها ، وناعدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتسل فيأبيه بلال فيؤذنه بالصلاة لما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تحفث ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ، وناعدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كسارين إزارا وردا وبشت إليه بأحد هاجبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طريقه إلى عقه فصرى كذلك لما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى غلظنا أن نسه مستخرج (١) وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروها والصبر عن محبوها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى - فاصبر كما صبر أولوا الزم من الرسل - وجماله مختلف في الاحتجاج به (١) حديث إن عمر لما تمت عليه الفتوحات قالت له حفصة البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناعدتك الله هل تملين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى الخ لم أجده هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو ابن عبد الله القدري متروك الحديث ولقترمذي من حديث عائشة قالت ما شيع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي قارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها والله ما شيع من خبز ولم مرتين في يوم قال حديث حسن ولشيعين من حديثها ما شيع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض والبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الأكل ولقترمذي في التماثل من حديث حفصة أنها لما سئلت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح ثيابه ثنتين فينام عليه الحديث ولا ين سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تفرش لثني صلى الله عليه وسلم عبادة باثنتين الحديث وتقدم في آداب للميشة وللبزار من حديث أبي المرداد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلل له اللبيق ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نمل روى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد قال يونس بن بكير قد حدث عن سعيد بن مسيرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما فيها قلت فيه سعيد ابن مسيرة قد كذبه يحيى القطان وضعفه البخاري وابن حبان وابن عدي وغيرهم ولا ين ماجه من حديث عباد بن الصامت صلى الله عليه وسلم قد عقد عليها زاد التطريفي في جزه للشهور فقد هاق عنه ما عليه غيرها وإسناده ضيف وتقدم في آداب الميشة .

سئل ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان قال أين يذهب ضوؤه للصباح عند فناء الأبعان قيل له فأين تذهب الجثوم إذا بليت قال فأين يذهب لها إذا مرضت . وقال بعض من يتم بالسلام الردود للدمومة وينسب إلى الاسلام الروح تفصل من البدن في جسم لطيف . وقال بسنهم إنها إذا فارقت البدن تحمل معها القوفا والهمية بتوسط النطقية فتكون حيث شاءت مطالعة للمعاني والمهوسات لأن

ساجان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلكت في طريق غير طريقهما وإن الله سابر على عيبيهما الشديدين لئلا أدركهما عيشهما الرغد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبلي يبئى أحدهم بال فقر فلا يلبس إلا البياء وإن كان أحدهم ليبتلى بال قمل حتى يفتنه القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم » (١) وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنهم الخزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضى الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم يا دنيا دنيا للدينار والدرهم قفلنا يارسول الله نهانا الله عن كز الذهب والفضة فأى شيء تدخر قال ﷺ : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا ذا كرا وزوجة سالحة تهيئه على أمر آخرته » (٢) وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ثلاثا إما لا يشارك قلبه أبدا لوقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا » (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل البدن الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة التي أحب إليه من كثرة » (٤) وقال السبيعي رحمه الله الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا بني الله لو أمرت أن تبنى بيتا فبئس بيتا قال انهو فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بئان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض على أن يجعل لي بطعام مكة ذهبا قللت لأبواب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأفترع إليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمعى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ يا جبريل والذى يشك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن جمع هدة من البهاء أقطعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرا لله

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء قبلي يبئى أحدهم بال فقر فلا يجد إلا البياء الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة - الآية قال تبا للدنيا والدرهم الحديث وفيه فأى شيء تدخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في النكاح دون قوله تبا للدنيا والدرهم وإزيادة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وإسحاق الصنف إنه حديث عمر لأن عمر هو الذى سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى المال ليتخذ كفى رواية ابن ماجه وكا رواه البزار من حديث ابن عباس (٣) حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرف قلبه حب الدنيا التناط منها ثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ مناه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون آفة أحب إليه من كثرة لم أجده استنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن طلحة مرسل لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة التي أحب إليه من كثرة وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرجوه فيه في مسند الفردوس وعلي بن أبي طلحة أخرجه مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله فالحديث إذن معضل .

تجردها من هيات
البدن عند الفارقة
غير يمكن وهى عند
ثلوث شاعرة بالثوت
وبعد للثوت متخلة
بنفسها مقبورة
وتصوّر جميع
ما كانت تعتقه حال
الحياة ونحس بالثوب
والصقاب في القبر قال
بضمهم أسلم للثلاث
أن يقال الروح شيء
عقلوى أجرى الله تعالى
العادة أن يحيى البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يذوق للثوت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
بفارقته يذوق للثوت
فان الكيفية واللاهية
يتماشى العقل فيها
كما يتماشى البصر في

القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا إسرائيل عليه السلام قد نزل إليك حين جمع كلامك فأنا إسرائيل
 فقال إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فيعني بفتاح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن
 أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبها وفضة فضلت وإن شئت نينا مسلكا وإن شئت نينا عبدا
 فأرأى إليه جبريل أن تواضع فله قال نينا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده
 خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بميؤب شمه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده
 عيبا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بميؤب شمه» (٣) وقال صلات الله عليه «من أراد أن يؤتبه
 الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة
 سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترغب للثواب ترك لذات ومن زهد في الدنيا
 هانت عليه الصبيات» (٥) ويروي عن نبينا وعن السبع عليهما السلام «أربع لا يدرنك إلا يتب
 الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الله كروقة التي» (٦) وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح
 بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا للصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع
 أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كتابة والله المستعان. وأما الآثار: فقد جاء في الأمر: لا تزال إلا لله
 إلا الله تدفع عن البعاد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما هم من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا مصفة
 دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم ستم بها صادقين. وعن بعض
 الصحابة رضي الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهدنا في الدنيا وقال
 بعض الصحابة لصدر من التابعين أشم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا أخيرا
 منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهد في الدنيا منكم. وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة
 القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفي به دنيا أن الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال
 رجل لسفيان أشبهني أن أرى عالما زاهدا فقال وعجك تلك صلاة لا توجد وقال وهب بن منبه إن
 للجنة نمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد
 قبل الزاهدين في الدنيا الماشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إن لأشبهني من الله ثلاث خصال
 أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي حلم فأعطى ذلك كله. وروى
 أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء يجرأ أن يقبلوها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فلم يقبلها فقال
 له يوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فيكي الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم
 كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هربت دعوها لأجل أن يشتغلوا بجلدها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فسمع على الصفا
 الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبها وفضة
 الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة
 وبصره بميؤب شمه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد
 قبه في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث ازهد في الدنيا عجبك الله الحديث تقدم (٤) حديث
 من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث
 من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في التمشاء من حديث علي بن أبي طالب
 (٦) حديث أربع لا يدرنك إلا يتب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث
 أنس وقد تقدم.

شعاع الشمس وكما
 رأى للشككون أنه
 يقال لهم للوجودات
 محصورة قديم وجسم
 وجوه وعرض
 فاروح من أي هؤلاء
 فاختار قوم منهم أنه
 عرض وقوم منهم أنه
 جسم لطيف كذا كذا
 واختار قوم أنه قديم
 لأنه أمر والأمر كلام
 والكلام قديم لما أحسن
 الإمساك عن القول
 فبا هذا سبيل وكلام
 الشيخ أبي طالب الكي
 في كتابه يدل على أنه
 يميل إلى أن الأرواح
 أعيان في الجسد وهكذا
 النفوس لأنه يذكر
 أن الروح تتحرك
 فخير ومن حركتها
 يظهر نور في القلب

أتم أردتم دعوى على كبرسى موتوا يا أهلى جوعا خير لكم من أن تدعوا فضيلا . وقال عبيد بن عمير كان للسبع ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا يبت غربولا يدخر لند أيضا أدركه الساء نام . وقالت امرأة أبى حازم لأبى حازم هذا الشتاء قد جهم علينا ولا بد لنا من الطعام واللباب والحطب قال لها أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحسن لا تمسك ثيابك قال الأمر عمل من ذلك . وقال إبراهيم بن آدم قد حببت قلوبنا بثلاثة أعطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالوجود والحزن على الفقد والسرور بالمدح فإذا فرحت بالوجود فأنت حريص وإذا حزنت على الفقد فأنت سائح والسائح معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه زككتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمد . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيها صرف إلينا وكأنه التفت إلى منى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه »^(١) فإذا هم هذا علم أن النعمة في اللع للوذى إلى الصحة أكبر منها في الاعطاء للوذى إلى السقم . وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترج لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لأخاه العمل المتعبد حتى لا يفرح من أربعة أشياء الجوع والعري والتقر والذل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما وحببت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولمى كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولأمر من في بيته بصناعة طعام قط فإذا كان الليل بقيام على أقدامهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنه دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أخزتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووافقه ما سلوا من الذنوب ولا يجنوا إلا بالغلظة رحمة الله عليهم ورضوانه .

(بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى قسمة وإلى اللزغوب عنه وإلى اللزغوب فيه)

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتت وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهد بها ويكفها وهذا يسمى للزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد وللزهد بذيئ أو لأقسامه ثم كسبه والزهد أو كذا يذبح كسبه ثم يذبح نفسه في الطاعات لافي البصر على مافرقه والزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير . الدرجة الثانية : الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إليها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالتي يترك درهما لأجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لأعماله زهدا ويلتفت إليه كما يرى البائع للبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهدم ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان . الدرجة الثالثة : وهي العليا أن يزهد طوعا وبزهد في زهد فلا يرى زهدا إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزقة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونسيم الآخرة أحسن من خزقة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة

(١) حديث إن الله يحب عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

بانه للآل فيلهم الخير عند ذلك وتتركها لشر ومن حركتها تظهر ظلمة في القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالأغواء وحيث وجدت أقوال للشايخ تشير إلى الروح أقول : ما عسى في ذلك على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أقنع به إذ مبلى في ذلك إلى السكوت والامساك فأقول والله أعلم : الروح الانساني العلوي السابوي من عالم الأمر والروح الحيواني البشري من عالم الخلق والروح الحيواني البشري هل الروح العلوي وسوره والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الانفلات إلى الدنيا كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الافاقه في البيع . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تكلم ؟ قال في الزهد قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا فنفذ يده وقال ظننت أنه يتكلم في شيء . والدنيا لا شيء . إيش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للأخرة عند أهل العرفه وأرباب الثواب للعموره بالمشاهدات وللکاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على باب فألقى إليه لقمة من خبز فشغفه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أخذ أمره في جميع عملكته أقرى أنه يرى نفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ماقد ناله فالشیطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت ففقدتها في حال الضغ وتنفذ على القرب بالابتلاع ثم يرقى عليها في اللذة ثم تنزع إلى التفت والتدبر ثم يحتاج بذلك إلى إخراج ذلك التفت فن تركنا لبناء عز الملك كيف ينفذ إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لسكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالاضافة إلى نعيم الأخرة أقل من لقمة بالاضافة إلى ملك الدنيا إذ لانسبة للتعالى إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتماهى ألف ألف سنه صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدره غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذا لا ينفذ الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى مازده فيه ولا ينفذ إلى مازده فيه إلا لأنه يراه شيئا معتداً به ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان العرفه فهذا ذات درجات الزهد وكل درجة من ههنا أيضاً لها درجات إذ تصير الزهد مختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر للشقة في الصبر وكذلك درجة للعجب بزهد بقدر التفاته إلى زهده . وأما أقسام الزهد بالاضافة إلى الرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات : الدرجة السفلى أن يكون للرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كضباب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرته لصدرت رواء » (١) فهذا هو زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو أعلموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العلم . الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرم لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه فلا ينفذ قلبه إلى الآلام ليقتصد الخلاص منها ولا إلى الذات ليقتصد ثيلها والتفكر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهو مومنه ثم واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفى وهذا زهد المحبين وهم المارئون لأنه لا يجب على الجمع بينهما لم يجب إلا الدينار فمكذلك من عرف الله والبشر والدرم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب إلا الدينار فمكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالحوار العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرته لصدرت رواء أحمد بن حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه إن حيسيت يمدك بحسبا فظنما كرمها ما وصلت إليك حتى سال مني المرقى ما لو ورده ألف بغير أكلة حتى لصدرت عنه رواء وفيه دريد غير منسوب محتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحوائى جباناً أليف
حامل قسوة الحس
والحركة يبعث من
القلب أعنى بالقلب
ههنا الضفة للحمية
العروفة الشكل للودعة
في الجانب الأيسر
من الجسد ويتكرر
في تجايف العروق
الضواري وههنا
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذي
قوامه بأجراء سنة الله
بالنقاء غالباً ويتصرف
بمسلم الطلب ليسه
باعتدال مزاج الأخلاط
ولو ردد الروح الانسان
الساكن على هذا
الروح تجلس الروح
الحيوانى وبأين
أرواح الحيوانات

والنظر إلى حق القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق لذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض وراقب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب لعب بالصغور التارك لذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن اللعب بالصغور في هسه أعم والألمد من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما أقسامه بالإضافة إلى الرغبة عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل للذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الأقاويل ولكن نشير إلى كلام عيظ بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل . فنقول: للرغوب عنه بالزهد إجمال وتفصيل وتخصيص مراتب بعضها أشرف لآحاد الأقسام وبعضها أجل للجمال . أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل مأسوي الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا ، والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها ممتعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة واللال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في اللال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، إذ الأموال وإن كثرت أسنانها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أسبابها فيرجع إلى العلم والقدرة وأعمى به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ ينعنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كأن معنى للال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن المحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها قال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحارث ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل - أعطوا أئمة الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم وتكاثر في الأموال والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - ثم رده للكل إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للآوى - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذ افهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفرقه في الشرح مرة والإجمال أخرى . فالخلاص أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا قصر أمه لا محالة لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فان من أراد شيئا أراد دوله ولا مئى لب الحياة إلا حب دوله ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردا ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - قال تعالى - قل متاع الدنيا قليل - أى لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال اللائقين . أما الزاهدون المليون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بانيان مرموس وانتظروا إحدى الحسينين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه بمبادرة الظلمة إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله وأويل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يحصر على نون الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر الموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وبعيتم على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت البجائز فلما مات عد على جسده ثمانية ثقب من آثار إجرحات هكذا حال الصادقين في الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
فصار قساعلا للطق
والإلهام قال الله تعالى
- ونفى وما سواها
فأنعمها بغيرها
وقواها - فقسوتها
برود الروح إلى الإنسان
عليها واقطعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فكوت النفس
تكون الله تعالى من
الروح الملوى وصار
تكون النفس التي
هي الروح الحيوانية من
الآدمي من الروح
الملوى في عالم الأمر
تكون حواء من
آدم في عالم الخلق وصار
بينهما من التألف
والتصادق كما بين آدم
وحواء صار كل واحد
منهما يذوق للو

وأما المتأفون فمروا من الخوف خوفا من الموت قبل لهم - إن الموت أتى تخرون منه فانه ملائكم - فأشارهم البقاء على الشهادة استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اهتدوا الضلالة الهدى فاراحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المتخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بمتعة الأبد استبشروا ببيعهم الذي يبيعونه بهذا يان الزهد فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للمتكمون في حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال يصر رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فيقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي الشهوة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو التنازع وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من عجل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أؤيس إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أؤيس أيضا الزهد هو ترك الطلب للضمون وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمقول والزهد إتباع العلم لزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والمقول الذي يطلب بالجاه في الدنيا فهو صحيح ولكن إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد قطنوا حاجته ينقض عمر الإنسان في الاشتغال بواحد ما يخرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني قلعب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والسبب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال ، وأن هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أؤيس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأدنى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأسل الزهد ، وفي الزهد أقاويل ورأى ما قلناه فلم نرى قلها قائمة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدته من قلبه لا يتلقف من صفة فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر قصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لتصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكره عند الحاجة فلا جرم ذكره بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاختبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال الخيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال سمنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يبتغى عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك حداً للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - لا آمن أي الله قلبي سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا يان أقسام الزهد بالإضافة إلى أمتاف للزهد وفيه فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض وقول وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم قال فرض هو الزهد في الحرمان والتفعل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات ، وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال

بفارقة صاحبه لال الله

تعالى وجعل منها زوجا

ليسكن إليها - فسكن

آدم إلى حواء وسكن

الروح الإنسان العاوي

إلى الروح الجواني

وصيره فساوكون

من سكن الروح إلى

النفس القلب وأعي

بهذا القلب الطيفة التي

عالمها للشفقة الحمية

فالمشفقة الحمية من

عالم الخلق وهله

الطيفة من عالم الأمر

وكان تكون القلب

من الروح والنفس في

عالم الأمر كتكون

النزرة من آدم وحواء

في عالم الخلق ولولا

للساكنة بين الزوجين

الذين أحدهما النفس

ماتكون القلب فن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلأنهاية الزهد فيه إذ لا نهاية لما تمتنع به النفس في الخطرات والبعثات وسائر الحالات لاسيا خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه إلا ساهرة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تنهاه فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توجد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا لما الذي بنا لك قال وما الذي تجد قال توجدك الحجر . أي تمتعت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذ مع ما تركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه ليس للسوح حق تحب وجهه تركا لنتم بلين اللباس واستراحة حن اللبس فسأته أمة أن يلبس مكان للسجدة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت على الدنيا فيسكن وزرع الصوف وعاد إلى مكان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أوبس بلغ من العري أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أنتي أنت إنما أقامني الله لي يرضى لي أن أتم بظل الحائط فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا أحصرها وأقل درجاته الزهد في كل شعبة وعظور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهو المحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن . فان كانت مهما كان الصبيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب والنسب ومخالطة الناس ومكالمهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الأقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ببقاء البضرويات النفس فيها انصرفت من الدنيا على دفع للهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بشيء إلا فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فاشغل بملف النافعة وبسببها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقته في طريق الحج ولا غرض لك في تمتع ناقته بالذبات بل غرضك مقصور على دفع للهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش للهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تصعد للتلاذذ بالتقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أتلاذذ بالأكل عند الجوع . فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلاذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده وطولوا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه قال انسان قد يستريح في قيام الليل ينشم الأسعار وصوت الأطياف ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك غير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسم الأسعار خيفة من الاستراحة به وأن القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا وتقصا في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بشيء الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكتوف فيه ماؤه فكان لا يرفقه من الشمس ويشرب لئلا يجارح ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شافا لئلا يقرية والاحتفاء مدة يسيرة لنتم على التأيد لا يشغل على أهل للفرقة القاهرة من لأقسام سياسة الشرع للتصميم بمروءة اليقين في معرفة للشادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(بيان تخصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينشم إلى فضول وإلى مهم ناقضون كالحيل للسوءة لا إذ قال الناس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوي مبال إليه وهو القلب للزبد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه حذيفة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب منصعب فيه إيمان وثاق فذلك الإيمان فيه مثل البقرة يدها لئلا الطيب ومثل الثفاني فيه كمثل القرحة يدها القبيح والصديد فأى اللادين

إنما يقتنيا للترفة ركوها وهو قادر على الشيء ولهم كالأكل والشرب ولنا قدر على تحصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر لهم الضروري ولهم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه وللهامات ستة أمور : للطعم والملبس والسكن وأثاثه والتسكع والسال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جملة ما قد ذكرنا من الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربيع للهلكات ونحن الآن نقصر على بيان هذه للهامات الستة [الأول الطعم] ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن لمطلوعه عرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فان من تلك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدير دفع الجوع عند عدة الجوع وخوف الأرض ومن هذا حاله فإذا استقل عا تناوله لم يدخر من غذائه لشهاته وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضفاف الزهد ومن ادخر لأكثر من ذلك فقد تمته زاهدا محال لأن من أمل قضاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأتقنها في عشرين سنة فهذا لإيضاح أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى التقدير وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه رطل وأعلاه واحد وهو ما قدره الله تعالى في إتمامه للسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغالة به . ثم لم يقدر على الاقتصاد على عدمه لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الحبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والقدرة وأعلاه خبز البر غير منخول فأذا لم يكن النخالة وصار حواري قد دخل في التتم وخرج عن آخر أبواب الزهد فلا من أولئك وأما الأدم فأقله اللح أو البقل والحل وأوسطه الزيت أو سیر من الأدهان أى دهن كان وأعلاه اللحم أى لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فان صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويحرب ليله ولا يأكل ليله ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي إلى أن يعطى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طرق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع للهلكات ولنظير إلى أحوال الأدم قالت عائشة رضی الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لما قم كنتم تضيئون قالت بالأمسين القرولاء » (١) وهذا ترك اللحم والزقة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويقتل المحصور ويلق أسابه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد » (٢) وقال السبع عليه السلام بحق أقول لكم إنه من طلب القردوس غيّر الشعر له والنوم على اللزابل مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

غلبت عليه حكمه
بها والقلب للنكوس
ميال إلى الأم التي هي
النفس الأمارة بالسوء
ومن التساقب قلب
مرتد في مسيله إليها
وعجب غلبة ميل
القلب يكون حكمه
من السعادة والشقاوة
والعقل جوهي الروح
المأوى لسانه والله
عليه وتديره القلب
الثريد والنفس الزكية
للطمشة تدبير الوالد
لوجه البار والزوج
للزوجة الصالحة
وتدبیره القلب
للكسوس والنفس
الأمارة بالسوء تدبير
الوالد للولد المأق
والزوج للزوجة السيئة
فنكوس من وجه

(١) حديث عائشة كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد الشعر ماري في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه نار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نادر وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر^(١). وكان السبيح صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني إسرائيل عليكم ببناء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فان كنتم تؤمنوا بشركهم وقد كنتم تأسرونهم الأنبياء والسلف في الطعام والشرب في ربيع للهلكات فلن يمددكم ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بمسل فوضع القدح من يده وقال «أما إن لست أحرمه ولكن آركه تواسعاً» تعالى^(٢) وآتى عمر رضى الله عنه شربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوله ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والله كرفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجمع إدماجه والحسنة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسبوا القلديله والعبادة حرفة والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [اللهم الثاني] اللبس وأقل درجاته ما يلبس الحر والبرد وستر المودة وهو كساء يغطي به وأوسطه قبض وقلنسوة وضلان وأعلام أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث للتقار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يفرمه القمود في البيت ، فإذا صار صاحب قبضين وسراويلين ومنديلين قد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث التقدير ، أما المجلس فأقله للسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلامه القطان القليل ، وأما من حيث الوقت فأقصى ما يستمر سنة وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بضمهم ثوبه يورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماصك عليه شهراً وما يقارب فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يصدق به فان أمسكه لم يكن زاهداً بل كان عبداً للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصالحين كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضى الله تعالى عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يلبس ما ليس^(٤)» وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهوراً أبداً ولا ألبس يلبس على دثار أبداً ولا أركب على ما تور أبداً ولا أملأ جوفى من طعام أبداً قال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود^(٥) وفي الخبر «ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يترعه وإن كان عنده حبيبا^(٦)» واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم^(٧)

ومنجذب إلى تدبيرها من وجه إذ لا بد له منها وقول القائلين واختلافهم في محل العقل لمن قال إن محله الدماغ ومن قال إن محله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البارئ وأولى المواقف أخرى والقلب والدماغ نسبة إلى البار والمواقف فإذا روي في تدبير المواقف قيل مسكنه الدماغ وإذا روي في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح الملوك يهيم بالارتضاع إلى مولاه خوفاً وسخا وقترها

الحديث تخدمون قوله إنما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر (٢) الحديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بمسل فوضع القدح من يده الحديث (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الشيطان وقد تقدم في آداب المشقة (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذي لا يلبس ما ليس له أصلاً (٥) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود رواه أحمد بسند جيد (٦) حديث ما من عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذر بسند جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة ^(١) . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف ^(٢) . واشترى سراويل ثلاثة دراهم ^(٣) . وكان يلبس فمكتين يضاوئ من صوف ^(٤) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانين أوسحولين من هذه التلاط وفي الخبر كان قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيس زيات ^(٥) . وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحداً وباسمراه من سندس قيمتها ما دراهم ^(٦) فكان أصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة سبحانه وكان قد أهدها إليه القوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم زعمه وأرسل به إلى رجل من لشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والدياج وكانه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحريم كما لبس خاتماً من ذهب يوم أمم زعمه ^(٧) فحرم لبسه على الرجال وكما قال عائشة في شأن بريرة اشتراطاً لأهلها الولاء ^(٨) فلما اشتد عليه سعد عليه السلام للبر لحظه وكما أباح للثمة ثلاثاً ثم حرمها تأكيداً أمر التنكح ^(٩) وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمته لم يعلم فلما سلم قال لفضلي النظر إلى هذه انهبوا بها إلى أبي جهم والتوى بأبيجانيته ^(١٠) يعني كساه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شر الله له قد خلق فأبدل بسير جديد فضلى فيه فلما سلم قال أعيذوا الشراك الحلقى وانزعوا هذا الجديد فأنى نظرت إليه في الصلاة

دخلت يوماً السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف ^(١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده ^(٢) حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو التيسع في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مهملان رده رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لبيعة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسيج عمن طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفي محمد بن عمر الواقدي ^(٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للسرووف أنه اشترى بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح ^(٤) حديث كان يلبس فمكتين يضاوئ من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانين أوسحولين من هذه التلاط تضم في آداب وأخلاق النبوة لبسه للشمة والبرد والحرارة . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيته في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحروية وعليه أحسن ما يكون من حلل الجنين وقال رأيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار خليليها صنع باليمن وتضم في آداب النبي صلى الله عليه وسلم ولأبي داود من حديث أبي رمة وعليه بردان أخضران سكت عليهما أبو داود واستقر به الترمذي ولأبي داود من حديث قدامة الكلبي وعليه حبة جرة وفيه عرف بن إبراهيم قال لا يعرف الله ^(٥) حديث كان قيس كأنه قيس زيات الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه ونسج لحية حتى كان ثوبه ثوب زيات ^(٦) حديث لبس يوماً واحداً وباسمراه من سندس قيمتها ما دراهم أهدها له القوقس ثم زعمه الحديث ^(٧) حديث لبس يوماً خاتماً من ذهب ^(٨) ثم زعمتفق عليه وقد تقدم ^(٨) حديث قال عائشة في شأن بريرة اشتراطاً لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها ^(٩) حديث أباح للثمة ثلاثاً ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ^(١٠) حديث صلى في خيمته لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة.

[١] قول العراقي ثم زعمه الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر داود ولم يتكلم عليه الشارح فلينظر له .

عن الأكون ومن
الأصحوان القلب
والنفس فإذا ارتقى
الروح نحو القلب إليه
حزوا الوالد الحسين
البار إلى الوالدوحن
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حين الوالد
الحنية إلى ولدها وإذا
حتت النفس ارتقت
من الأرض وازوت
عروقها الضاربة في
العالم السفلى والعلوى
هواها والمحميت
مادته وزهدت في الدنيا
ونجفت عن دله
الضرورة وأتت إلى دار
الخلود وقد غفلت النفس
التي هي الأم إلى
الأرض بوضعه الجليل
لتكونها من الروح
الجسواني الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على الثبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثنتين جديدتين فأعجبهما حسنها فخرهما ساجدا وقال: أعجبني حسنها فتراخضت لربي خشية أن يعقني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أولئك مسكينين ركة» (٢). وعن سنان بن سعد قال: حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجلت حافتيها سوداء فلما لبسها قال: «انظروا ما أحسنها وما أليتها قال قدامه الأعرابي فقال يارسول الله هبنا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شغل شيئا لم يدخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فبات صلى الله عليه وسلم وهي في الحسكة» (٣). وعن جابر: «قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الأبل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تعرجي مראה الدنيا تصيب الأبد فأنزله الله عليه وسلفك يسطيك ربك فترضى» (٤). وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من خيار أمي فأني أنبأني للآل الأطلي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤثمين على الناس خيفة وعلى أنفسهم حقبة يلبسون الخلتان ويقعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقدهم عند العرش» (٥). فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللباس «وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذا قال «من أحبني فليستق بسقي» (٦) وقال «عليكم بسقي وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عضوا عليها بالواجد» (٧). وقال تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» «وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال إن أردت اللحوق بي فإياك ومحالة الأغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقيه» (٨). «وعد على قميص عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلعة وقطع كية من الرستين وقال الحمد لله الذي كآني هذا من ريشه. وقال الثوري وغيره: البس من الثياب ما لا يشرك عند الماء ولا يعترك عند الجبال وكان يقول إن الفقير ليرى في وأنا أسقى فأدعه يجوز وعمر في واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرقة فأمنته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم قومت ثوبى صفيان ونليه بدرهم وأربعة دنانير. وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشهرها ما خدمته. وقال بعض السلف: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني: الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم من رقى ثوبه رقى دينه

(١) حديث لبس خاتما فنظر إليه على الثبر فرمى به وقال شغلني هذا عنكم الحديث تقدم (٢) حديث احتذى ثنتين جديدتين فأعجبهما حسنها الحديث تقدم (٣) حديث سنان بن سعد حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجلت حافتيها سوداء فلما لبسها قال: «انظروا ما أحسنها وما أليتها قال قدامه الأعرابي فقال يارسول الله هبنا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شغل شيئا لم يدخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فبات صلى الله عليه وسلم وهي في الحسكة» (٤) حديث جابر دخل على فاطمة وهي تطحن بالرحى الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بعناد ضعيف (٥) حديث إن من خيار أمي فأتاني النبي الأطلي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث تقدم وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب ووضعه (٦) حديث من أحبني فليستق بسقي تقدم في التلخيص (٧) حديث عليكم بسقي وسنة الخلفاء الراشدين الحديث أبو داود والترمذي ومصحفوا بن ماجه من حديث الرضا بن ساره (٨) حديث قال عائشة إن أردت اللحوق بي فإياك ومحالة الأغنياء

ومستندها في ركونها إلى الطبايع التي هي أركان العالم السفلي. قال الله تعالى: «ولو عايناهم لكان عذابنا لهم ولكنه أخف على الأرض واتباع هؤلاء» فإذا سكنت النفس القوي إلى الأرض انحلب إليها القلب للسكران انحذاب القلب إلى الوالد إلى الوالد المتلوجة النافسة دون الوالد الكامل السقيم وتجذب الروح إلى الوالد الذي هو القلب لما جبل عليه من الانحذاب الوالد إلى نفسه فذلك يتخلف من حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الامجادين يظهر حكم السماعة والشقاوة

وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزرته وربما يسطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول الفسك الذي وفي الحبر « الباذنة من الإيمان » وفي الحبر « من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبثي الجنة في ثياب الياقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يخطب فقال انظروا إلى أميركم يخطب الناس وعليه ثياب الساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في بزة فيصل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يشرط به فضرب ابن عامر فشكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أمته الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقنقديهم الفنى ولا يبرى بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقنقدي به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتتمين (١) » وروى فضالة بن عبيد وهو والى مصر أعتق حانيا قتيلا أنت الأمير وتعمل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نختنق أحيانا (٢) . وقال على لعمر رضى الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبك فارقع القميص ونكس الإزار واخضع النعل وكل دون الشيع وقال عمر اخشعوا ولباكم ولى السهم كسرى وقصر . وقال على كرم الله وجهه من تزا بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمم الذين غلوا بالنعم يعللون ألوان الطعام والوان الكياب ويقعدون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزره للؤمن إلى أنصاف سابقه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكمين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشعر من أمق إلا مرأه أو أحرق (٥) » وقال الأوزاعي لباس الدوف في السفرة وفي الحفر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة مادماك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا تجيئ فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي شئى وأقرا فأشكروا وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خيلا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شئ إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الترمذي وقال غريب والحاكم ومصحح من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التتم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتتمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء (٣) وأمرنا أن نختنق أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٤) حديث رجال من أمم يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمم وقد تقدم (٥) حديث أزرة للؤمن إلى أنصاف سابقه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمق إلا مرأه أو أحرق لم أجده إلا إسنادا .

الترمذي وقال غريب والحاكم ومصحح من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التتم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتتمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء (٣) وأمرنا أن نختنق أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٤) حديث رجال من أمم يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمم وقد تقدم (٥) حديث أزرة للؤمن إلى أنصاف سابقه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمق إلا مرأه أو أحرق لم أجده إلا إسنادا .

(١) الإرفاء بكسر الهمزة ثم راء ساكنة ثم فاء متصورة ثم هاء وليست بفاء : التذهن والتزجيل كل يوم . وقيل التوسع في الطعام والشرب ربحان له .

- ذلك تحديق العزق
الطيم - . وقد ورد
في أخبار داود عليه
السلام أنه سأل ابنه
سليمان بن مضع القتل
منك قال القلب لأنه
قالب الروح والروح
قالب الحياة . وقال
أبو سعيد القرني
الروح روحان روح
الحياة وروح الميت فاذا
اجتمعا قتل الجسم
وروح الميت التي إذا
خرجت من الجسد
يصير إلى ميتا وروح
الحياة ما به مجازي
الأفلاس وقوة الأكل
والشرب وضعفها ،
وقال بعضهم : الروح
نسب طيب يكون به
الحياة والنفس ربح
حرة تكون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال الإلوة عورته مستورة ، وقيل لسان الفارسي رضى الله عنه مالك تلبس الجريد من الثياب فقال وما لعبد والثوب الحسن فإذا عتق فله والله ثياب لا يبل أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يليسهما من الليل إذا قام صلى ، وقال الحسن لقد فرقت السبعي تحب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية ضاقت . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من للزابل ويشلها ويلفها ويلبسها قلت إنك تكسى خيرا من هذا فقال ماضرم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويكي [اللهم الثالث] للسكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موحنا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موحنا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سفوف أوحش أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بجره أو بإجارة فإن كان قدر سعة للسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجسس والسعة وإرضاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في السكن فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجبس أو التصب أو بالطين أو بالأجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مموكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما راد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آفة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والعرض من السكن دفع للطر والبرد ودفع للأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي فيه بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء يظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدرج والتقصيد يبنى بالتدرج كيف دروز الثياب فإنها كانت تقطع هلا والتشديد هو البنيان بالجبس والأجر وإنما كانوا يبنون بالسف والجبر : (١) وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون ليأيمهم كما توشى البرود الجماني » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علا بها (٢) « ومر عليه السلام بجنبنة معلاة فقال لمن هذه قالوا لقنلن فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فمأل الرجل أصحابه عن قبر وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير (٣) « وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تشل هلا وكانوا يبنون بالسف والجريد أماثل الثياب من غير كفف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كفف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بني أمية للدينة فصفوا التخل قبله للسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهمان حديث أنس سعيد كان السجد على عريض فوكف للسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه له كان قد علاها الطبراني من رواية أبي العباس بن خرقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بجنبنة معلاة فقال لمن هذه ؟ قالوا لقنلن فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنبنة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة حديث ابن حبان في التتعات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسل والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عن أوسرمان ينظر إلى فلينظر إلى أمعت صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

الحركات للقدموة
والثبوت وشال
فلان حار الرأس وفي
النصل الذي ذكرناه
يقع التثنية بمهية
النفس وإشارة للشيخ
بمهاية النفس إلى
ما يظهر من آثارها
من الأفعال للقدموة
والأخلاق للقدموة
وهي التي تتألف بحسن
الرياضة لإزالتها
وتبديلها بالأفعال
الردية زال والأخلاق
الردية تبدل . أخبرنا
الشيخ الماهر في الدين
أحمد بن اسمعيل
القزويني قال أنا إجازة
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس الحلبي قال أنا
القاضي محمد بن سعيد
المرخزاذي قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين» (١) وقال العبد الله ابن عمر «مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا فقال ما هذا قلنا نحن لنا قدوهي فقال أرى الأمر أجمل من ذلك» (٢) وأخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب قبل له لوبيت فقال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن عبيد وهو في بيت من قصب فقال عليه قليل له لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بين فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة» (٣) وفي الخبر «كل شقة لعبد يؤجر عليها إلا ما شقته في الماء والطين» (٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا قساما - إنه الرابطة والتطاول في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن» من حر» أورد (٥) وقال صلى الله عليه وسلم لرجل الذي شكاه إليه شقيق منزله «اتسع في السماء» أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بجس وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من بين بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون - فأوقد لي ياهمان على الطين - يعني به الأجر وقال إن فرعون هو أول من بنى له المجلس والأجر وأول من عمله هامان ثم تبعها الجبابرة وهذا هو الخزف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأعمار قال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسف ثم رأيت مبنيا من رصاص ثم رأيت الأن مبنيا بالطين فكان أصحاب السف خير من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني دارا ممرار في مدة عمره ليعيش بها وقصر أهله وزهد في أحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزى زرع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أمانه وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن يلاذ بالطين وكان ارتضاع بناء السقف فاقو بسطة قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف وقال حمرو ابن دينار إذا أطيئ البنيان فوق ستة أذرع ناداه ملك إلى ابن يافق القاسمين وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مفيد وقال لو أنظر الناس لما هيدوا فالنظر إليه معين عليه . وقال الفضل إن لا أعجب عن بني وترك ولكني أعجب ممن نظر إليه ولم يحتر . وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرففون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصابون إلى قبلكم ويموتون على غير دينكم . [اللهم الرابع] أثاث البيت ولزهد فيه أيضا درجات أعلاها حال عيسى المسيح صلاته الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطنع إذا كان لا يصحبه إلا المشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى بالمشط

(١) حديث إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين أبو داود من حديث عائشة بساند جيد خضره في الطين والطين حتى يعني (٢) حديث عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا لنا قدوهي الحديث أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه (٣) حديث من بين فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله الطبراني من حديث ابن مسعود بساند فيه لبن واتحاط (٤) حديث كل شقة لعبد يؤجر عليها إلا ما شقته في الماء والطين ابن ماجه من حديث خباب بن الارت بساند جيد بلفظ إلا في التراب أو قال في البناء (٥) حديث كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكن من حر أورد أبو داود من حديث أنس بساند جيد بلفظ إلا ما لا يجني ما لا بد منه . (٦) حديث قال لرجل الذي شكاه إليه شقيق منزله اتسع في السماء قال المصنف أي في الجنة أبو داود في المراسيل من رواية اليسع بن المغيرة قال شكاه خالد بن الوليد فذكره وقد وصله الطبراني قال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد إلا أنه قال أرفق إلى السما وأسأل الله المعقوف إن ساند ملين .

أبولسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السنياني
قال حدثنا محمد
ابن الحسن القطيني
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
القيسلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن هبة عن
خلفه بن يزيد عن
سعيد بن أبي هلال
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا قرأ
هذه الآية - قد أفلح
من زكاه - وقف ثم
قال : اللهم آت نفسي
زكواها أنت وليها
ومولاها وزكها أنت
خير من زكاه ، وقيل

ورأى آخر شرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه بما يجار له تصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة ولا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل المبرجات وهو الخبز في كل ما يكتفي فيه الخبز ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان للتصود يحصل به وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالتنظيف مع نفسه يأكل فيها ويحرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أعيان للتنظيف وأعلامها أن يكون له بدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد أوفى غفلة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الذي ينالم عليه وسادة من آدم حشوها ليف^(١) . وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف ، وروى «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط بجلوس فرأى أثر الشرط في جنبه عليه السلام فعمت عيناهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقصر وماها فيه من اللذات وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشرط قال صلى الله عليه وسلم أما ترى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك^(٢) » ودخل رجل على أبي ذر فجلس بقلب بصره في بيته فقال لا بأذن ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا يد لك من متاع مادمت ههنا فقال إن صاحب للزلا لا يدعنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قاله له ما معك من الدنيا فقال سمى عصى أنوك عليها وأقبل بها حية إن قلتها ومعى جراب أحمل فيه طعامى ومعى قصبة أكل فيها وأفضل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها ثيابى وطهورى للصلاة لما كان بعد هذا من الدنيا فهو يتبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله «وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترًا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبوراغ فقال من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فيهما وادعهما إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال بأن أنت قد أحسنت^(٣) »

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينالم عليه وسادة من آدم حشوها ليف أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف الترمذي في التلخيص من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرق (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط فدخل فرأى أثر الشرط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على باب منزلها سترًا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ ولأن داود وابن ماجه من حديث سقينة بإسناد جيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضدتي الباب فرأى القرام قد ضربت في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعل انظر فارجه الحديث والنسائي من حديث ثوبان بإسناد جيد قال جاءت ابنة هيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها ختم ذهب الحديث

النفس لطيفة مودعة في انساب منها الأخلاق والصفات للحمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتمم محل الذوق وهكذا النفس محل الأوصاف للذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيب والثاني الشره وطيشها من جهلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مكان أملس

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كبار أيتها ذكرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان» (١) وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقرآن صلى الله عليه وسلم ينাম في عبادة مثنية فإزال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها عدي العباد الحقة ونحى هذا القرائ عن قد أسهرني الليلة (٢) وكذلك أنه ذات مرة خسة أوسنة ليلا فيبيتها فسرير لته حتى أخرجهما من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنهما حينئذ حتى سمعت غليظه ثم قال «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهنه عنده» (٣) وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدم إلا بوجهه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ما لو باق كان إذا أراد النوم يامر الأرض بحجسه وجعل نوبه فوقه [اللهم الخاسر] للنكح وقد قال قالون لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرة وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد ذهب إلى سيد الزاهد بن النصارى فكيف زهد فيه بن وواقه على هذا القول ابن عينة وقال كان أزهده الصحابة علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة يضع عشرة سرية والصحيح ما قال أبو سليمان المداراني رحمه الله إذ قال كل ما شغل عن الله من أهل دماء وولد فهو عليك مشوم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كالمسكين في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل دفع الشهوة التالية فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه تقوى تركه ولا ضرة ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إلىهن والألسن بهن بحيث يشغل عن ذكر الله ترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر واللصاحبة وللواحدة فليس هذا من الزهد أصلا لأن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات واللذة التي تلحق الإنسان فيا هو من ضرورة الوجود لا قصره إذ لم تكن هي للتصديق والمطلب وهذا كمن ترك أكل الحبز وشرب لبناء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع وفيه أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يبقه فأمرت بالسلسلة فيمت فافتتحت بينها عبدا فأعنته فلما سمع قال الحمد لله الذي نحى فاطمة من النار (١) حديث رأى على باب عائشة سترًا فتهتكه الحديث الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (٢) حديث فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وفيه كان ينাম على عبادة مثنية الحديث ابن جبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأصناف فرأت فرائس رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة مثنية فأنطلقت فيعت إلى فرائس حشوه صرف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه جهاد بن سعيد يختلف فيه والمروفي حديث حفصة للتقدم ذكره من السائل (٣) حديث أنه ذات مرة خسة أو ستة عشاء فيبيتها فسرير لته الحديث وفيه ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهنه عنده أحد من حديث عائشة باسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه يائسة ما لفت بالذهب فجاء ما بين الجنة إلى الثمانية إلى التسعة فبصل قلبها يده ويقول ما ظن محمد بالحديث وزاد أعتقها وفي رواية سبعة أو تسعة ذات مرة وفيه من حديث ما سلمة باسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غام [١] الوجه قالت لحسبت ذلك من وجع قلت يائسها الله مالك غام الوجه فقال من أجل الدناير السبعة التي أعتنا أمس أسبينا وهي في خصم القرائ وفي رواية أسبينا ولم تنفها .

[١] غام بالمعجمة متخير يقال غم غم عن حاله لما روى أنه .

مصوب لا تزال متحركة
بجملتها ووضعه أو شبت
في حرصها بالقرائ
الذي يلقي نفسه على
منه الصباح ولا يتنع
بالضوء اليسير دون
المجموع على جرم الضوء
الذي فيه هلاكه فمن
الطيش توجد العجالة
وقلة الصبر والصبر
جوهر العقل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا يقبله إلا
الصبر إذ العقل يطمع
الموى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وهما اللذان ظهرا في
آدم حيث طمع في
الحلوة فخرس على أكل
الشجرة وسقطت النفس
لها أصول من أصل
نكونها لأنها مخلوقة

نفسه فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في نفسه من غير خوف آفة أخرى وهذا ما عناه سهل لأعماله
ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أن لا يشغله
كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن^(١) فلا معنى لزهده فيهن. حذرنا من مجرد كثرة
الواقع والنظر ولكن أتى بتصوّر ذلك فيير الأتقياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النساء
فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال
للرأة فينسكح واحدة غير جميلة ويراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يخار المرأة الدون
أو القيمة على المرأة الجميلة والشريفة . وقال الجنيد رحمه الله أحب المرء للبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث
والأخير حاله : التكسب وطلب الحديث والزواج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع
لهما فإذا ظهر أن الفتاة النكاح كلثة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيها جميعا [اللهم السادس]
ما يكون وسيلة إلى هذه الحاسة ، وهو اللال والجاه : أما الجاه فعنه ملك القلوب يطلب عمل فيها ليتوصل
به إلى الاستقامة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر على
من يخدمه اقتصر إلى جاء لأعماله في قلب خاضعه لأنه إن لم يكن له عند عمل وقدر لم يتم بخدمته ويقام
القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا هو أقرب ولكن يتبادى به إلى هوى لا يمتنع لها ومن حام
حول الحى يوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب شع أو دفع ضر أو خلاص
من ظلم فأما النفع فينبغي منه اللال فان من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستاجر قدر وإنما
يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكفل
فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم لإجباله له في قلوبهم أو عمل له
عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا يضبط لاسيا إذ انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والحائض
في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا فان اعتداله
بالدين والعبادة يمهله من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأدنى ولو كان بين الكفار فكيف بين
السلبيين فأما التوهمات والتقدير التي تخرج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام
كاذبة إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أدنى في بعض الأحوال فصلاح ذلك بالأحوال والصبر أولى من
علاجه بطلب الجاه ، فان طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا واليسر منه داع إلى الكثير وضراوته
أشد من ضراوة الحر فليحترز من قليله وكثيره . وأما اللال فهو ضروري في المعيشة أغنى القابل منه
فان كان كسوبا فإذا كتب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بضمهم إذا اكتسب حيتين
رفع سقطوا فلو كان هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك إلى ما يكتفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضيق
الزهاد أو قواهم جميعا وإن كانت له ضيقة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأفسك منها مقدار ما يكتفي
رحمة لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته
ولكن يكون من ضيق الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كشرطه أويس القرنى رحمه الله فلا يكون هذا
من الزهاد وقولنا إنه يخرج من حد الزهاد نفي به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من لقائهم
المحمودة بآياته وإلناهم الزهد قد لا يغارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر الناس
جميع ذلك أخف من أمر العبد وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه
فان أجابوا إلا تركهم وفعل بنفسه ما شاء . معناه أن التضييق للشرط على الزاهد خصه ولا يلزمه كل
ذلك في عياله . ثم لا ينبغي أن يجبرهم أيضا فخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١) حديثا كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والاشفاق عليهن تقدم في النكاح .

من تراب ولها بحسبه
وصف وقيل وصف
الضعف في آدمي من
التراب ووصف البخل
فيه من الطين ووصف
الصهوة فيه من الحما
للسنون ووصف الجهل
فيه من الصلصال
وقيل قوله كالتفكير فهذا
الوصف فيه شيء من
الشيطنة لا دخول النار
في النار فمن ذلك
الحدام والحيل والحسد
لن عرف أصول
النفس وجبلاتها عرف
أن لا قدرة له عليها
إلا بالاستقامة ياربها
وقاطرها فلا يتحقق
البسد بالإنسانية
إلا ببسد أن يدير
دواعي الحيوانية فيه
بالعلم والعدل وهو

إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لأن ذلك من الفطنة لامن الحاجة ، فاذا مضطر الانسان إليه من جاء ومال ليس يحذور ، بل التردد على الحاجة سم قاتل وللتقصير على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سبباً فافلا هو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم يحذور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مثبته أمره فن استأطاف نافعاً يحتاج لنفسه ومن تساهل نافعاً يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لنفسه وترك ما يبريه إلى ماله يبريه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرقة الناجية لاعماله ، وللتقصير على قدر الضرورة وللهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة الشروط ، ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أماتته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إلى موسى خليفك أعطاك فقال لرب عرفت مقتك فدنيا غفقت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من غير أحوال الأغنياء وما عليهم من الحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الدل فيه ، وقاية سعاده به أن يلم لو رثته نياً كلونه ، وربما يكونون أعداء له وقد يستمينون به على اللصية فيكون هو معيناً لهم عليها وذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القدر لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فاعلم بحكم على قلبه بسلاسل تقيد بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيد المال والجاه والأهل والولد وشهامة الأعداء ومراآة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه قصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه متقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبواً من عابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك اللوت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاته وخلقها فهي تجاذبه إلى الدنيا وغالب ملك اللوت قد علقت بروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند اللوت أن يكون كشيخ يشر بالقتار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمخاضة من الجانبين ، والذي يشر بالقتار إنما يترنل للولم يدهنه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره لما ظنك بأن يتعكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقيه قبل ما يراه من حسرة فوت الزول في أجلي عليين وجوار رب العالمين ، فبالزورع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسطرة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كانوا منهم عن ربهم يومئذ نجويون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فرب المذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير حلاوة النار فكيف إذا أشرفت الملاوة إليه ، ففسأل الله تعالى أن يقرر في أسباعتنا ما نمت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فأنك مفارقة ^(١) وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر :

(١) حديث ثبت في روجه أحب من أحببت فأنك مفارقة تخدم

رعاية طرفي الافراط
والتعريط ثم بذلك
تتوى إنسانيته
ومعناه ويدرك صفات
الشيطنة فيه والأخلاق
للنمومة وكان
إنسانيته ومضاه
أن لا يرضى لنفسه
بذلك ثم تكلف له
الأخلاق التي تنازع
بها الروبوية من
الكبر والمز وروية
النفس والعجب وغير
ذلك فبيري أن صرف
السودية في ترك
النازعة الروبوية
والله تعالى ذكر النفس
في كلامه القديم
بسلامة أوصاف :
بالطأنينة قال
- أليتها النفس
الطمئنة وسهاها لولة

مكدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غما وسط ماهو ناسجه
ولما انكشف لأوليائه الله تعالى أن البعد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز
نفسه وقضوا الدنيا بالكسبية حتى قال الحسن : رأيت سبعين يدرياً كانوا في أحل الله لهم أزهـد
منكم فيا حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالحسب والرخاء لو
رأيتهم قلم بجانيـن ، ولورأوا خياركم قالوا بالهؤلاء من خلاق ، ولورأوا شراركم قالوا مايؤمن
هؤلاء يوم الحساب . وكان أحدهم يمرض له لئال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على
نفسي ، فمن كان له قلب فهو لاهلجة يخاف من فساده والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله
عنهم إذ قال تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز
وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى
- فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فأحال ذلك كله
على التفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل ليعسى عليه السلام احملني منك في سياحتك ، فقال أخيرج
مالك والحقني . فقال لأستطيع فقال عيسى عليه السلام بسبب يدخل الفنى الجنة أوقال بشدة .
وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا ورثة أملاك ينادون في الأسواق بأربعة أصوات ملكان
بالشرق وملكسان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر ، ويقول
الأخر : اللهم أعط متفاعلاً وأعط عسكاً تلقا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لودوا الموت وابنوا
للخراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتعوا بطول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد يظن أن تارك لئال زاهد وليس كذلك فإن ترك لئال وإظهار الحشونة سهل على
من أحب للبح بالزهد فكم من الزهادين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام
ولازموا ديراً لأباب له وإمعاصرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل
على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في اللئال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ
النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والسياب الرقيقة كما قال
الحواص في وصف للدعين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يمهون بذلك
على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا
فيعطوا كما تعطى للساكنين ويحتجون لنفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأغنياء داخله
إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بملة غيرهم . هذا إذا طولوا بالحقائق والجشوا إلى الضايق
وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم ينسوا بصفية أسرارهم ولا بتبذير أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم
صفاتهم قبلتهم فادعوا حالاً لهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الحواص
رحمه الله . فإذا من معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يحول
في باطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
- لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - بل ينبغي أن يكون بالخذ من ذلك وهوان
يجز بوجود لئال ويخرج بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذلعه ومدحه فأول علامة
الزهد في اللئال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون أنه بالله تعالى والتألم على قلبه
حلاوة الطاعة إذ لا يغفل القلب عن حلاوة المحبة بإمعية الدنيا وإمعية الله وحافى القلب كلما طعموا
في القدر فإما إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره

قال - لأنفس يوم
القيامة ولا أتعب
بالنفس الاقامة -
وسماها أمارة ، فقال
- إن النفس لأماراة
بالسوء - وهى قس
واحدة . ولها صفات
متفائرة ، فإذا امتلأ
القلب سكينه خلج
على النفس خلج
الطمانينة لأن السكينه
مزيد الإيمان وفيها
ارتفاع القلب إلى مقام
الروح لما منح من
حظ اليقين وعند
توجه القلب إلى محل
الروح توجه النفس
إلى محل القلب ، وفي
ذلك طمانينتها وإذا
اتزجت من مقام
جبلها ودواعى
طبيعتها متظلمة إلى

وذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أضفى بهم الزهد فقال إلى الأُنس بالله . فأما الأُنس بالدين وبالله فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جيما وعمل لها وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباتره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيمانا ياتر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وأن يكون في أحد هذين للتابعين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده للدع واللحم والجود والدم ولا يستدل بما سلكه قلبا من السال على فقد زهده أصلا . قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بقلبي أنه ورت عن أبيه عشرين ديارا فأتقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير ، فقال أدبرت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأريد بالحقيقة الثانية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل مأمور الله حتى لا يتوسد حجرا كاملا للسبح عليه السلام ، فسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئ نصيبا وإن قل فإن أمثالا لا يستجريه على الطمع في غايته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا محابب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتماخضه شيء فلا بد أن ننظم السؤال اعتيادا على الجود والمجاوز لكل كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والرزق والفقر والموت والدم ذلك لتلبية الأُنس بالله . ويترفع عن هذه العلامات علامات أخرى لأحواله : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابنى رباطا أو أعمر مسجدا . وقال يحيى ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من ذلك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوفاء علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفيا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يجلب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال التصريافي : الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعزلا براسة . وقال أيضا الزاهد أنه يسطك الخلل والخرول والعارف يشمك الناسك والسبى وقال له رجل متى أدخل حائوت التوكل وألبس رداء الزهد وأصمعت الزاهدين ، فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك في السرى حلوق قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تنصف في نفسك . فأما ما لم يبلغ هذه الدرجة فبالوصف على سبيل الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تختص . وقال أيضا : الدنيا كالمروس ومن يطلبها ماضطها والزاهد فيها يسبح وجهها ويتف شعرها ويغرق ثوبها ، والعارف يشغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السري ما رست كل شيء من أمر الزهد فلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فاني أبالته ولم أطلقه . وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشكر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أوردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلتتفرع في بيانه إن شاء الله تعالى .

مقار الطمانينة فهي
لواصة لأنها تعود
باللوعة على نفسها
لنظرها عليها بعمل
الطمانينة ثم انجذابها
إلى عملها التي كانت
فيه أمارة بالسوء ،
وإذا أقامت في عملها
لا يشاها نور السلم
والسرقة فهي على
ظلمتها أمارة بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فتارة
يملك القلب دواعي
الروح ، وتارة يملكه
دواعي النفس . وأما
السرى فقد أدار
القوم إليه ووجدت
في كلام السوم أن
منهم من جبه بعد
القلب وقيل الروح ،
ومنهم من جبه بعد

(كتاب التوحيد والتوكل)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر الملك وللحكوت الفرد المزمة والمجبروت الرافع السواء بغير حماد القدر فيها أرزاق
العباد الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسياب إلى مسبب الأسباب
ورفع عنهم عن الالتفات إلى ماعداه والاعتدال على مدرسوهم فلم يبدوا إلا بإياه علما بأنه الواحد القدر
السمد الإله وتحقيرا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثاله لا يبتغي عندهم الرزق وأنه ما من ذرة
إلا إلى الله خلقها وامن دابة إلا على تهمزها ففاحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا
عليه فقالوا حسنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل المأدى إلى سواء السبيل وعلى
آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اللوتين بل هو من معالي درجات
القرين وهو في نفسه فاض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه تخوضه من حيث
الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالسكينة طعن في السنة
وقبح في الشرع والاعتدال على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تثير في وجه العقل وانتماس في
غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية
التموض والسرور لا يقوى على كشف هذا التطاع مع هذه الحفاه للإحسانرة العلماء الذين اكتحلوا
من فضل الله تعالى بأبواب الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل
للتوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب المتوكلين -
وأعظم بمقام موسوم بحجة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملايه فمن الله تعالى حسبه
وكافيه وصحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يندب ولا يبعد ولا يجيب وقال تعالى -
أليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو للسكند لهذه الآية فانه سؤال
في معرض استنطاق الحق كقول الله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا -
وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل يحكم - أي عز وجل لا يندب من استجار به ولا يشيع
من لا ذنبه جناحه والتجأ إلى ضامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تديره وقال تعالى
- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالك - يعني أن كل مالموسى الله تعالى عبد مسخر حاجته
مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لهم
رزقا فانيضوا عند الله الرزق واعبدوه - وقال عز وجل - وفي خزائن السموات والأرض ولكن لنا خزائن
لا يعلمون وقال عز وجل يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعدازنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد
فهو تنبيه على قطع للملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار . وأما الأخبار : فقد قال

(كتاب التوحيد والتوكل)

الروح وأولى منها
وألفظ وقالوا السر
عمل للشاهدة
والروح عمل المحبة .
والقلب عمل المعرفة
والسر الذي وقفت
إشارة القوم إليه غير
مذكور في كتاب
الله وإنما للمذكور
في كلام الله الروح
والنفس وتوسع صفاتها
والقلب والقواد والقل
وحيث لم نجد في كلام
الله تعالى ذكر السر
بالمراد المشار إليه ورأينا
الاختلاف في القول
فيه وأما قولنا إلى أنه
دون الروح وقوم إلى
أنه ألقف من الروح
فقولنا الله أعلم : الذي
صوه سرا ليس هو
بهي مستقل بنفسه

صلى الله عليه وسلم فباراه ابن مسعود وأريت الأم في اللوسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل واليهيكتي كثرهم وهايتهم قبل في أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سيمون أقبا يدخلون الجنة بغير حساب قيل : من مبارسول الله قال الذين لا يكتون ولا يتطرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون قام عكشة وقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلهم منهم قام آخر قال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال صلى الله عليه وسلم : سيفك بها كفاة (١) وقال صلى الله عليه وسلم : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير قدود خاصا وتروح بطنانا (٢) وقال صلى الله عليه وسلم : من قطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن قطع إلى الدنيا وكفه الله اليها (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده (٤) ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنه كان إذا أصاب أهله خاصة قال قوموا إلى الصلاة وقولوا : بهذا أمرني رب عز وجل قال عز وجل - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - (٥) الآية وقال صلى الله عليه وسلم : «لم يتوكل من استرقى واكنوى (٦)» وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليها السلام وقد رمى إلى النار بالجنين أنك حاجة قال أما إليك فلا واه بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذا قال ذلك حين أخذ ليرمي فأزله الله تعالى وإبراهيم الذي وفى - وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود امان عبيد يتصم في دون خلقي فكيفه السموات والأرض إلا جعلت له هرجا . وأما الآثار فقد قال السيد بن جبريل غفر عنه قرب فاقسمت على أمي لتسترقين فاولت الرائي يدى التي لم تلغ وفرأ الحواس قوه تعالى - وتوكل على الحى الذي لا يموت إلى آخرها فقال ما بينى للبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض الطباء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أمرزقته وقال بعض العلماء لا يشفك الضمون لك من الرزق عن الفروض عليك من العمل فضيع أمر آخرتك ولاتاك من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود النيد الرزق من غير طلب دلاله على أن الرزق مأمور بطالب البعد . وقال إبراهيم بن آدم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سأل ربى من أين يطمعني . وقال هرم ابن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف الميش قال أويس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأم في اللوسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل والحديث رواه ابن منيع باسناد حسن وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الحديث الترمذى والحاكم وصحاه من حديث عمرو قدسهم (٣) حديث من قطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الأشمث تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس باسناد ضيف (٥) حديث كان إذا أصاب أهله خاصة قال قوموا إلى الصلاة وقولوا بهذا أمرني ربى قال تعالى - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فصح ما منه من جد أبيه (٦) حديث لم يتوكل من استرقى واكنوى الترمذى وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له إلا أنه قال ومن حديث الثوري بن شعبة وقال الترمذى من اكنوى أو استرقى قد يرى من التوكل وقال النسائي من اكنوى أو استرقى .

له وجود ذات كالروح
والنفس وإنما لما
سفت النفس وتزكت
انطلق الروح من وثاق
ظلمة النفس فأخذ في
المروج إلى أوطان
القرب واترح القلب
عند ذلك عن مستقره
متطلعا إلى الروح
فأكتب وصفها فالدا
على وصفه فأنجم على
الواجدين ذلك الوصف
حيث رآوه أصنى من
القلب فسموه سرا
ولما حار القلب وصف
زائد على وصفه بطله
إلى الروح اسكتسب
الروح وصفها فالدا
في مروه وانجم
على الواجدين فسموه
سرا والذي زعموا أنه
ألفظ من الروح حروح

لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها للوعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكلا وجدت إلى كل خير سبيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا به وحواله وعمله والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمله هو الفكرة وحاله هو الراد باسم التوكل . فليبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو للسعي إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى معنى قياسا ولكن أبواب البقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نفي عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك : له الملك والإيمان بالجلود والحكمة الذي يدل عليه قولك : وله الحمد فن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال والولاية علم الجامعة إلا بها فاذن لا تنصرف إلا للقدرة الذي يتعلق بالجامعة والافتاتوحيد هو البحر الحظم الذي لا ساحل له فنقول : التوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى باب وإلى قصر وإلى قصر القشر ولتتل ذلك تحريدا إلى الألفاظ الضعيفة بالجوز في فترته المليا فان له قصرين وله لب وقلب ذهن وله لب القلب فالثانية الأولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد للتأقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كاصدق به محرم للسجين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام القرين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابطة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية افتناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم يرفضه لكونه مستترا بالباطن كان فانياً في نفسه في توحيد بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق فالأول موجد مجرد اللسان وبه صدق ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسمان والثاني موجد بمعنى أنه يعتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه اشراح واتساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا العقد حيل بقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل بقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف وبقصدها أيضا أحكام هذه العقدة وتدفعها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلماً وهو في مقابلة البتبع ومقصده دفع البتبع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد خصص للتكلم باسم للوحد من حيث إنه يعنى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موجد بمعنى أنه لم يشاهد إلا أفعالا واحدا إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى أفعالا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يقدر على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام وللتكلمين إذ لم يشاركوا للتكلم العامي في الاعتقاد بل في منعة تلفيق الكلام الذي به حيل البتبع عن تحليل هذه العقدة والرابع موجد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الشكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الثابتة القصوى في التوحيد ، فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثاني كالقشرة السفلى ، والثالث كاللب ، والرابع كاللحم المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر للذائق وإن نظر إلى باطنه فهو كره للظفر وإن أخذ

متصفا بوصف أخص
معا يهده والذي يهده
قبل الروح سرا هو قلب
انصف بوصف زائد
غير معا يهده وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب ترقى النفس
إلى محل القلب وتندفع
من وصفها قصر نفسا
بمطلقة عزت كثيرا
من مرادات القلب من
قبل إذ صار القلب يريد
ما يريد مولاه متبركا
عن الحصول والقوة
والإرادة والاختيار
وعندها ذللى طم
صرف العبودية حيث
صار حرا عن إرادته
واختياره وأما العقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح بمثابة

حطبا أطقا الناروا أكثر الدخان وإن ترك في البيت ضيق للكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز
الصون ثم يرى عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر
مذموم الظاهر وبالباطن لكنه ينفع مدقق حفظ القشرة السفلى إلى وقت اللوث والقشرة السفلى هي
القلب والبدن وتوحيد للنافع يصون بدنه من سيف التزاة قاتهم لم يؤمروا ببقى القلوب والسيف
إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرد عنه بالوث فلا يبقى لتوحيده فأكمة بدنه وكما أن
القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة إلى القشرة العليا قاتها تصون القلب ونحوه من الاعتقاد
الادخار وإذا فصلت أمكن أن ينفع بها حطب الكفا نازلة القدر بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى الكشف والشهادة
التي تحصل بالشرح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو الراد بقوة تعالى
- فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله عز وجل - أفن شرح الله صدره للإسلام
فوق على نور من ربه - وكان القلب خميس في نفسه بالاضافة إلى القشرة وكله للتصديق ولكنه لا يخضع
شرب مصارة بالاضافة إلى الدهن للسترخ منه فكذلك توحيد القلب مقصد عال لئلا يكون لكنه
لا يخضع هو بسلامة الكثر والانتفاء إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.
فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المصنوعة
كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا . فاعلم أن علمنا في علوم الكائنات وأسرار هذا العلم لا يجوز
أن نسطر في كتاب فقد قال الفاروق إن شاء الله عز وجل - أن علمنا في علوم الكائنات وأسرار هذا العلم لا يجوز
ما يكسر سورة استبعادك يمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
واحدا بنوع آخر من الشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن اتصف إلى روحه وجسده
وأطرافه وعروقه وعظامه وأعضائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ هو له إنسان واحد
فهو بالاضافة إلى الإنسانية واحدكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أعضائه وعروقه
وأطرافه وتفصيل دوحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستراق والاستبصار مستغرق
بواحد ليس فيه تفرق وكأنه عين الجمع وللنصف إلى الكثرة في ضربة فكذلك كل ما في الوجود من
الحال والخلق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد
وباعتبارات أخرى سواء كثير وبعضها أحد كثره من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق النقص
ولكنه يبين في الجملة على كيفية مصر الكثرة في حكم الشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك
الانكار والجود لتمام من قبله وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به مستك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيانا لك
نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه للشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم تارة قطرا كالبرق
الحافظ وهو الأكثر والحدوم نادر عز وجل في هذا أثار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص
يدور في الأسفار قال فإذا أنت فقال أدور في الأسفار لأصبح حائقي في التوكل وقد كان من للتوكلين
قال الحسين قد أنفقت عمر لك في حمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح
للقام الثالث في التوحيد فطال به بالقام الرابع فبعثه مقامات الوجدان في التوحيد على سبيل الاجمال .
فان قلت فلا بد من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض
في بياته وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول وهو الاتفاق
فواضح. وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والنفق بمثابة

اللسان . وقد ورد في

الحجر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه

قال و أول ما خلق

الله القل قال له أقبل

فأقبل ثم قال له ادبر

فأدبر ثم قال له أقعد

فأقعد ثم قال له اطلق

فأطلق ثم قال له اصمت

فصمت فقال وعزني

وجلال وعظمي

وكبريائي وسلطاني

وجبروتي ما خلقت

خلقاً أحب إلي منك

ولا أكرم على منك

بك أعرف وبك

أحمد وبك أطاع

وبك آتت وبك

أعطي وإليك أأب

ولك الثواب وعليك

الغائب وما أكرمك

البتة فمبد كور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المأم منه . وأما الثالث : فهو الذي بيني عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن القاعل للإله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم المألوف بأبداءه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تمتك وعليه انكالك فانه القاعل على الأهراد دون غيره وما سواه مسخرون للاستقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا انفتحت لك أبواب الكاشفة الفصح لك هذا انشاحا آتم من الشاهدة بالبرص وإنما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يتننى به أن يطرقي إلى قلبك غائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى الجمادات فكعبادك على للطرفي خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى النسيم في زوال الطرولي البرد في أجاج التيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور . ولذلك قال تعالى - فاذا ركبو في القلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاكم إلى البر إذا هم يشركون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والماء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محرك وهكذا إلى أن يتهى إلى المحرك الأول الذي لا يحركه ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات البديني النجاة إلى الريح بضاهي التفات من أخذ لجزر رقبته فكعب الملك توقيا بالموعة وتخليته فأخذ يشغل بذكر الخبر والكاغذ والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحركه في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يفتت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن خطرياه القلم والحبر والحواء والشمس والقمر والوجوم والطرول والنسيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا أمثل في حقه لاعتقاده أن للكل الوقوع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوه تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فإذا انكشف لك أن جميع مافي السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيسر عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأناك في للهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يطيعك ورزقه باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي عزز رقبته بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حر رقبته وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشهد ذلك ولا تشك فيه ويقول أيضا - ثم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو للسخر له وعند هذا زال أقدام الأكرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بؤس البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن خلط الضعفاء في ذلك كخلط الحقمة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فترى رأس القلم يسود الكاغذ ولم يتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فطلعت وظنت أن القلم هو السواد للبايض وذلك تصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لشيئ حقيقته فكذلك من لم يشرح بؤس الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهرا وبهاء الكل فوقه في الطريق

جى . أفتسل من الصبر . وقال عليه السلام : لا يسبحكم إلا سلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله . ودألت عائشة رض الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم قالت قلت : يا رسول الله بأى شيء يفخسون الناس ؟ قال : بالعدل في الدنيا والآخرة قالت قلت : أليس يجزى الناس بأعمالهم ؟ قال : بأماشة . دخل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون . وقال عليه السلام : إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيسأل

على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى صموا تخديسها وتسيبها الله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز لسان ذلق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم من السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك في ولا قدر لما يشاؤك فيه البهائم وإنما أريد به معما يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فان قلت فهذه أهوية لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف صيحت وقرست وكيف شهدت على نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله ينتهي فانها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لسكرتات ربى لنفد البحر - الآية ثم إننا نقاضى بأسرار تلك وللسكرت وإنشاء السر لزم بل يصدر الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار تلك قد نوحى غشايا فنادى بسره على ملا من الخلق ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إفشاء السر القدر (٢) ولما قال «إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر الأسرار فأمسكوا» (٣) ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة ذرات تلك وللسكرت قلوب أرباب للشاهدات مانعان : أحدهما استحالة إفشاء السر . والثاني خروج كلياتها عن الحصر والتهليق ولستنا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يغهم به على الأجمال كيفية إتياء التوكل عليه ونرد كلياتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفا وأصوات ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه الأسود فلم سودت وجهك وما السبب فيه قال الكاغد ما صنعتني في هذه للقاء فاني ماسودت وجهي بنفسى ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في الهبة التي هي مستقره ووطنه فصار عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظمنا وعدونا قال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما صنعتني فاني كنت في الهبة وادعا ساكننا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمسه القاصد واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادى وفرق جمى ويدنى كاترى على ساحة يضاء فالسؤال عليه لاطي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والأسابع فاني كنت قسبا تابعا على شط الأنهار متزها بين خضرة الأشجار بقاءتي اليد بسكني فحقت عنى قترى ومزقت عنى ثيابى واقتلعتنى من أصل وفصلت بين أنيابى ثم برمتى وهقت رأسى ثم غسقتنى في سواد الحبر : وضرارته وهي تستغديني وتمشي في فة رأسى ولقد شررت للبحر على جرحى بمؤالك وعنايك فتنتج عنى وسل من قهرنى فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرر بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركبتى فارس يقال له القدرة والعزة فهى التي ترددى

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث التهى عن إفشاء سر القدر ابن عدى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا له من وجل سره فقط أبى نعيم وقال ابن عدى لا يتركها في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر الأسرار فأمسكوا الحديث الطبراني وابن حبان في الصنفين وقد تقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا يمدد جناح يوحى
وإن الرجل يأتي
للسجد فيصل وصلاته
تدبل جبل أحد إذا
كان أحسنها عقلا
فبيل وكيف يكون
أحسنها عقلا ؟ قال
أورعها عن محارم
الله وأحرصها على
أسباب الخير وإن
كان دونه في العمل
والتعلم . وقال :
عليه الصلاة والسلام
«إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أشتاتا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وبرهما وصوبهما
وصلاهما ولكلما
يفتاوان في العقل
كأقبرة في جنب أحد»
وروى عن وهب بن

وتجول في بي نواحي الأرض أما ترى للدر والحجر والشجر لا يتدنى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي اللوي تساوين في صورة الصم والعلم والمظلم والدم ثم لامعة بينا وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فصل القدرة عن شأني فاني مركب أزجيجي من ركني فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأني في استعمالها اليك وكثرة استعمالها وترديدها فقالت مع عنك لومي ومعاتبي فكلم من لأنهم ملومون ومن ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أنني ظلمت اليك لما ركنيتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أستعصرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانين بي أنني ميتة أو معدومة لأنني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزجيجي وأرهنني إلى ماله مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على عاقبته وهذا هو الكل يسمى الإرادة ولا يعرف إلا باسمه وهجومه وصياله إذ أزجيجي من حمرة التوم وأرهنني إلى ما كان لي من مدحونه عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سألت الإرادة ماله الذي جراك على هذه القدرة الساكنة للطمشة حتى صرقتها إلى التحريك وأرهنقتها إليه إرهابا لم تجده عنه غملا ولا مناصا فقالت الإرادة لا تتجمل على ظنل فاعذروا أنت تعلم فاني ما انتبهت بنفسي ولكن أنبهت وما انبهت ولكني بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل عيبي ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان القلب بالإعخاص بالقدرة فأفخصتها باضطراب فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والمقل ولا أدري بأي جرم وقعت عليه وسخرت له وأئزمت طاعته لكني أدري أنني في دعة وسكون مالم يرد لي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وقفا وأئزمت طاعته إثرأما بل لايتقي لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخافة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتعير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استعمار وانتظار لحكمه فإذا انجزم حكمه أزجيجت بطبع وقهر تحت طاعته وأفخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فصل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل :

معي رحلت عن قوم وقد قدروا أن لا ضار قسم فالراصلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والمقل والمقل مطالباً لهم ومعاتباً إليهم على استنباط الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال المقل أما أنا فسرراج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فحقى قشش في يياض لوح القلب لما أشرق سراج القلب وما انبسطت بنفسي فكلم كان هذا الووح قبل خاليا عني فصل القلم عني لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فندد ذلك شتم السائل ولم يمتنه جواب وقال فطال عبي في هذا الطريق وكثرت منازلتي ولا يزال يحليني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكني كنت أظن أني خط التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في القواد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط وقش وإما خطي قم فليست أنفه فاني لأعلم قفا لإلأمن القصب ولا وحا لإلأمن الحدباء والحشب ولا خطا إلا بالحبر ولا سراجا إلا من النار وإني لأسمع في هذا التزلزل حديث الووح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أجمع جمجمة ولا أرى طعنا فقال له القلم إن صدقت فيأقلت فيضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضيف . واعلم أن للهاك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تتصرف وتدع ما أنت فيه لما هنا بشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استقام الطريق إلى للتصد فألق صمك وأنت شهيد . واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها وقد كان الكافد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت

منه أنه قال إني أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من المقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رمة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية المقل والكلام في ذلك يكثر ولا يؤثر مثل الأقوال وليس ذلك من غرضنا فقال قوم : المقل من العلوم فإن الحال من جميع العلوم لا يوصف بالمقل وليس المقل جميع العلوم فإن الحال من معظم العلوم يوصف بالمقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو رؤى فافا جاوزت انتبت إلى منازل وفيه الهامة والفرح والجبال الشاهقة والبحار العذبة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لأن عالم الملك أسهل منه طرعا وعلى الملكوت أوعر منه منهيا وإنسا عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والساء فلاحى في حد اضطراب الساء ولاهى في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشى على الأرض يمشى في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشى على الساء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنصع فإن كنت لا تحذر على لحي على الساء فانصرف قد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الساء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشى به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام ولما ازداد يقينا لحي على الهواء (١) لما قيل له إنه كان يمشى على الماء قال السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطيق قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا فهل لك من علامة قال نعم انتح برك واجمع متوه عينيك وحدقه نغوى فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أمارى أن أتى صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - قال السالك لقد تمت بصري وحده فوالله ما أرى قسبا ولا خشيا ولا أعلم قسما إلا كذلك قال العلم لقد أهدت النجاة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلبه الألقم ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته جسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قلبه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورمس ولا جهره زاج وغصص فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا إنشأراك إلا عشتا بين طغوة التنزيه وآتونة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف تزمت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها وزمت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خالق آدم في صورته » الصورة الظاهرة المدركة بالبرص فكأن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتورية وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكأن مزها صرفا ومقدسا خلا وأطو الطريق فانك بالواد القدس طوى واستمع بمر قلبك لما يوحى فمالك تجرد على النار هدى وللملأ من سرادقات العرش تادى بما تودى به موسى - إن أنا ربك - فلما سمع السالك من العلم ذلك استعصر قصور نفسه وأنه غث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حمة غضبه في نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيتة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحمسه غار فلما شمع فيه العلم بعبته اشتعل زيتة فأصبح نوراً على نور فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة واتضح بصرك فلما تجرد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قبل له إن عيسى يمشى على الماء قال لو ازداد يقينا لحي على الهواء تضم .

شرط ابتداء النظر
تقدم كمال العقل فهو
إذن من السالوم
الضرورية وليس هو
جميعا فإن صاحب
الخواص المختلة عاقل
وقد عظم بعض
مدارك السالوم
الضرورية. وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب الحكم بأن
الذاهل عن ذكر
الاستعانة والجواز
لا يتصف بكونه عاقلا
ونحن نرى العاقل في
كثير من أوقاته ذاهلا
وقالوا هذا العقل صفة
يتبها يدرك العلوم .
وغل عن الحرف بين
أحد الجانبين وهو من
أجل الشايع أنه قاله

فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لراس له قضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزأ ما الله تعالى عن خيرا إذا الآن ظهر لي صدق آيائه عن أوصاف القلم فاني أراه قللا كالقلم فند هذا ودع العلم وشكره وقال قدام مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إليه وقاله: ما بالك يا القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبيت به الارادات إلى أشخاص القدر وصرفهم إلى القدرات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصحت من جواب القلم إذ جاءته فأحالك على اليد القلم أنسى ذلك قال فجوابى مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم ما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى للقلب يمين الملك فاني قبضته وهو الذى ردنى وأنامتهور مسخر فلا فرق بين القلم إلى المسمى وقلم الأدمى في معنى التدبير وإنما الفرق في ظاهر السورة قال فمن بين الملك فقال القلم ما سمعت قوله تعالى - والسماوات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا قبضة بيته هو الذى رددها فسافر السالك من عنده إلى الجين حتى شاهده ورأى من عجائب ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصفه شئ من ذلك ولا شرحه بل لا يحوى جهلات كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه أنه يمين لا كالإيمان وبد لا كالأيدي وأصبع لا كالأصابع فرأى القلم حركا في قبضته فظهر له عند القلم فسأل الجين عن شأنه ونحركه للقلم فقال جوابى مثل ما سمعت من الجين القرآني أنها في عالم الشهادة وهى الخواطر القدرة إذ لا يدركها فى حجبها وإنما حركها القدرة لإحالة فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما يستحق عندها ما قبله وسألها عن تحريك الجين فقالت إننا نألف صفة فأسأل القادر إذ العدة على الوصوفات لأعلى الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء حجاب سرادات الحضرة - لا يسل حمائل وم يثاقل - فحشيت هبة الحضرة غر سقا مضطرب في فحشيت فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وأمنت بآئك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواه فلا أعوذ إلا بفوك من عقابك وبرحمتك من سخطك ومالى إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأتبتل بين يديك فأقول : اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأنى عليك فنودى من وراء الحجاب إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء بل ارجع إليه فإنا نك نغذو ما تهاك عنه فاتهته ومما قاله لك قبله فانه ما زادنى هذه الحضرة على أن قال « سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتمت على نفسك » فقال لى إن لم يكن لسان جرأة على الثناء عليك فهل القلب مطمع في معرفتك فنودى إياك أن تتخطى رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق الأكبر فتعبد فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأهم اقتديهم اقتدبتهم ما سمعت يقول المعجز عن درك الإدراك إدراك فيك كيف نسيما من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرة تاعا جرع من ملاحظة جماعنا وجلالنا فند هذا رجع السالك واعتذر عن استئتمومعابته وقال للجين والقلم والملم والإرادة والقدرة وما يهدا قبلوا اعتذرى فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فيها كان إنكبرى عليكم إلا من قصور وجهه والآن قد صبح عندي عذركم وانكشف لى أن لتفرد بالملك وللسكوت والمزق والجوروت هو الواحد القهار فأتهم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والأخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والأخر وهو صاف متناقصا وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بأخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالاشارة إلى الوجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا ببدوا واحدا هو الآخر

(١) حديث سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتمت على نفسك تقدم .

العقل غرزة نبيا بها
درك العلوم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرناه في
أول ذكر العقل : أنه
لسان الروح لأن
الروح من أمر الله
وهى التحمة للأمانة
التي أبت السماوات
والأرضون أن يحملنها
ومنها يغىض نور
العقل وفى نور العقل
تشكل العلوم فالعقل
لعلوم بمثابة السورح
للكتب وهو صفته
منكوس متطلع إلى
النفس تارة ومتصعب
مستقيم تارة فمن كان
العقل فيه منكوسا
إلى النفس فرقه في
أجزاء الكون وعدم
حسن الاستدلال
بذلك وأخطأ طريق

بالإضافة إلى سير السامريين إليه فاتهم لارتدادهم من منزل إلى منزل إلى أن يقع الالتئام إلى تلك الحفرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى الماكتين في عالم الشهادة الطالين لادراكه بالحواس المحس ظاهر بالإضافة إلى من يطلعه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبعيرة الباطنة النافذة في عالم للكبوت فكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القل: أعنى من انكشف له أن القاعل واحد . فان قلت قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبقى على الإيمان بعالم للكبوت فمن لم يفهم ذلك أوجده فطريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم للكبوت كانكار السمنية لعالم الجبروت ، وم الدين حصروا العلوم في الحواس المحس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس المحس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس المحس ، فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي إلى عالم الشهادة بالحواس المحس ولا أعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لمشاهداته ما وراء الحواس المحس كانكار السوفسطائية للحواس المحس فانهم قالوا ما تراه لا تتق به فلعلنا نراه في المنام ، فان قال وأنا من جعلهم فاني شاك في صفات الحسوسات فيقال هذا حضيض فسد مزاجه وتمتع بعلاجه فيترك أياها قلائل وماكل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يجهد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم للكبوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ما مود يقبل الأزالة والتقية اشتغلوا بتقيته اغتفال الكعالم بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بحواس أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات تلك واللكوت بشهادة التوحيد ككلمه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزل غسد بصاحبين والبه غسد بأميرين فيقال له على حد عقده العالم واحد والدبر واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لقد سدا فيكون ذلك على دوق ما رآه في عالم الشهادة وينفرد اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقده وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاورة . فان قلت فقل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في التال يصفق ويشارع إلى الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بعلامه الأولى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به البعيرة التي تلقنها من أستاذة أومن أبويه أومن أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الخطأ لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومائثال للكاشفين والمصدقين إلا كسرة فرعون مع أصحاب السامري فان سعة فرعون لما كانوا مطمئنين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وبجربتهم وأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتروا بقول فرعون لأقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف - بل - قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرتنا فاقض ما أنت فاض إماما قضى هذه الحيلة لهيا - فان البيان والكشف يمنع التثنية . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الإيمان فلما نظروا إلى جبل السامري وصعدوا خواره تقيروا وصعدوا قوله وهذا الحكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم صرا ولا شعاعا فكل من آمن بالنظر

الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالبعيرة التي هي الروح بمثابة القلب واهتدى إلى الحصون ثم عرف الكون بالكون مستوفيا أقسام للرفة بالكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله إقباله في أمره دل على إقباله عليه وماكرهه الله في أمره دل على الإدبار عنه فلا يزال يبيع عذاب الله تعالى ويحسب مساخطه وكما استقام العقل وتأيد بالبعيرة كانت دلالاته على الرد ونفيه عن التمسك به

إلى ثمان يكثر لاحتالة إذا نظر إلى عمل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم للسكرات فهو من عند الله تعالى فذلك لا يجد فيه اختلافا وتضاداً أصلاً . فقلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء . ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخراً . فاعلم أنه لو كان مع هذا إيشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع القتل ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء إن لم يشأ فثبت للشئ إليه إذ لو كانت إليه لا تقترن إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن للشئ إليه فلها وجدت للشئ التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لاحتالة ولم يكن لها سبيل إلى مخالفة الفاعل كالأزمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجرام للشئ فالشيئة تحدث ضرورة في القلب فلهذا ضرورات تترتب بعضها على بعض وليس للبعد أن يدفع وجود للشئ ولا انصراف القدرة إلى للتدور بعدها ولا وجود الحركة بعد ثبت للشئ للقدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبوراً مختاراً . فأقول لو انكشف الظاه لم عرف أنه في عين الاختيار مجبور فهو وإن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار . فلنشرح الاختيار بلسان للتكلمين شرحاً وجيزاً يليق بما ذكره متفلاً وتاماً فان هذا الكتاب لم يقصد به إلا العلم العامة . ولكني أقول لفظ الفصل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ قال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالثلاثة والخنجرة ويغرق للآء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في للآء والتنفس والكتابة . وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب عنك بثلاث عبارات فنسعى خرقه للآء عند وقوعه على وجهه فلا طبيعياً ونسعى تنفسه فلا إرادياً ونسعى كتابته فلا اختيارياً والجبر ظاهر في الفصل الطبيعي لأنهما وقف على وجهه للآء ونحطى من السطح البوادر الخرق الهواء لاحتالة فيكون الخرق بعد التخطي ضرورياً والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجرة إلى إرادة النفس كنسبة الخرق للآء إلى تحمل البدن فهما كان الثقل موجوداً وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه وكذلك الإرادة ليست إليه . ولذلك لو قصد عين الإنسان بارة طبق الأجفان اضطراباً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تقيض الأجفان اضطراباً فله إرادى ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة بالتعويض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا الفصل الطبيعي في كونه ضرورياً . وأما الثالث وهو الاختيارى فهو مظنة الاتباس كالكتابة والنطق وهو الذى يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إلى هو هذا الجبر بمعنى الاختيار فلنكشف عنه . ويأنه أن الإرادة تبع العلم الذى يحكم بأن الشئ موافقك والأشياء تنقسم إلى ما يحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير غير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذى يخطئ به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدتك بسيف فلا يكون في عليك تردد في أن دفع ذلك خبركك وموافق فلا جرم ثبتت الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير ضرورة وفكره ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفصل أو الترك فإذا حصل بالتفكير والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع به من غير روية ففكر فانبعثت الإرادة هنا كما ثبتت لدفع السيف والسنان فإذا انبثقت لفعل ما ظهر العقل

ضربين ضرب يعسر به أمر دنياه وضرب يعسر به أمر آخرته ، وذكر أن العقل الأول من نور الروح والفصل الثاني من نور الهداية فالعقل الأول موجود في عامة ولما قدم العقل الثاني موجود في الوجودين مفقود من الشركين . وقيل إنما سمى العقل عقلاً لأن الجبل ظلة فإذا غلب النور بصره في تلك الظلة زالت الظلة فأبصر فصار عقلاً للجبل . وقيل عقل الإيمان مسكنه في القلب وتمتعه في الصدر بين عيني الفؤاد والذى ذكرناه من كون العقل لسان

أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية العمل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير وريه بل على البديهة وهذا اختار إلى الروية فلا اختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيها في إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا ينصور أن تنبثق الإرادة إلا بحكم الحس والتخيّل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحزّ رقبة نفسه مثلاً لم يمكنه لاندماج القدرة في البدن والاندماج السكين ولكن لقد الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما قضت الإرادة لأنها تنبث بحكم العقل أو الحس يكون العقل موافقاً وقته نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن تردده بين شر الشرين فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف القتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالى ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرفه السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبث له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة لداعية والخير كتمسخره للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدور فأما هو محل ومجرى هذه الأمور فأما أن يكون منه تفكلاً ولا فاذن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل يكون الفعل خيراً أعضاؤه واقفاً وحادثاً بحكم أيضاً جبراً فإذ هو مجبور على الاختيار فضل النار في الاحراق مثلاً جبر محض وفضل الله تعالى اختيار محض وفضل الإنسان على مثله بين الترتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان فائزاً واتصوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفضل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تغير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ للذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستمارة والتجوز وذكر ذلك لا يلحق بهذا العلم وبطول القول فيه . فإن قلت فهل تقول إن العلم وله الإرادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من المتقدم . فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وإن أبيت ذلك فامعني ترتب البعض من هذا على البعض . فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالقوله أو بغيره بل حواله جميع ذلك على الشيء الذي يمر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يصف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فاتهم وقفوا على كنهه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ويبان ذلك بطول ولكن بعض القددورات مترتب على البعض في الحادث ترتب للشر وطول الشرط فلا صدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد عمل والحياة وكالاتها يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعلماء وبعضها لم يظهر إلا للخواص للكاشفين بنور الحق والإفلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والروم وكذلك جميع أصناف الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً ينهض فضل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلین علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد
ليس هو على ضربين
ولكنه إذا انتصب
واستقام تأيد بالبصيرة
واعتدل ووضع
الأشياء في مواضعها
وهذا العقل هو العقل
الستحيّ بنور الصرع
لأن انتصابه واعتداله
هذه إلى الاستقامة
بنور الشرع ليكون
الصرع ورد على لسان
النبيّ للرسل وذلك
لقرب روحه من
الحضرة الإلهية
ومكاشفة بسيرته التي
هي الروح عبثاً بالقلب
بشدة الله وآياته
واستقامة عقله بتأيد
البصيرة بالبصيرة
تحيط بالعلوم التي
يستوعبها العقل والتي

لا عين . ما خفناهما إلا بالحق - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كأحدث على هذا الترتيب الذي وجدنا متأخراً لا انتظار شرطه والشروط قبل الشرط محال والحال لا يوصف بكونه مقدوراً إلا بتأخر العلم عن النطقة إلا لفقد شرط الحياة ولا تأخر عنها الإرادة بمد العلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتهيئ ذلك غير ولكننا نضرب لتوقف التدوير مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلاً لا غريب ببادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن نهدر إنساناً محدثاً قد اتهمس في اللاء إلى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان للواء هو الرفع وهو ملاقة قدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقة للقدورات متعلقة بها ملاقة للواء للأعضاء ولكن لا يحصل بها للقدور كالأحصل برفع الحدث باللاء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الوجه في اللاء وجهه على اللاء عمل اللاء في سائر أعضائه وارتفع الحدث لرفعنا بظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن الدين برهه عن الوجه لأنه حدث عقيه إذ يقول كان للاملاية أو لم يكن وإنما لم يتغير عما كان فكيف حصل منه علم يحصل من قبل بل حصل ارتضاع الحدث عن الدين عند غسل الوجه فإذن غسل الوجه هو الرفع لحدث عن الدين وهو جعل ضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد للواء للقاء فلا ينسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أن العلة فكلها ينشئ أن فهم صدور للقدورات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قدسية والمقدورات حادثة وهذا قريح باب آخر لعالم آخر من عوالم المكشافات فلتترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل بالحقيقه واحد هو الخوف والمرجوع عليه التوكل والاعتقاد ولم تقدر على أن تدرك من همار التوحيد إلا نظرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في غمر نوح كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه موكلاً ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أنصف مؤتته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم انظله على القلب وما أعز حقيقته بوله عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لفاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان البعد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون البعد فاعلاً ومفعول بين فاعلين غير مفهوم . فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان لفاعل معنى واحد وإن كان له معنيين ويكون الاسم مجازاً مردداً بينهما بما تقتضيه كإيقال قتل الأمير فلاناً وإيقال قتل الجلالة ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلالة قاتل بمعنى آخر فكذلك البعد فاعل بمعنى والحق عز وجل فاعل بمعنى آخر فمضى كون الله تعالى فاعلاً أنه الممتنع للوجود ومعنى كون البعد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه القدرة ببدان خلق فيه الإرادة ببدان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلو وارتبط بالمتحرق بالمتحرق وكل ما له ارتباط بقدرة فأن عمل القدرة يسمى فاعلاً كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلالة قاتلاً والأمير قاتلاً لأن القتل ارتباط بقدرة تهما ولكن على وجهين مختلفين فلهذا يسمى فضلاً فاعلاً كذلك ارتباط للقدورات بالتدبيرين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بينهما مرة أخرى إلى نفسه قال تعالى في الموت - هل يتوفاكم ليملك الموت ثم قال عز وجل - الله يتوفى الأرواح حين موتها وقال تعالى أفرأيتم ما تعربون - أمثالاً في الإنعام قال تعالى أنا صابغهم حقيقاً الأرض صفاتاً يبتغونها بها عبداً - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم باروذاً فاحتسبوا حاسبوا - ثم قال تعالى - فنفضنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه

يطبق عنها فطاق العقل
لأنها تستمد من كتاب
إله التي ينشد البحر
دون قنادها والعقل
لجنان تؤدي البصيرة
إليه من ذلك خطراً
كما يؤدي القلب إلى
اللسان بعض ما فيه
ويستأثر يرضه دون
اللسان ولهذا المعنى من
حمد على مجرد العقل
من غير الاستمادة
بنور الشرع حتى
يلوم الكائنات التي
هي من الملك والمملك
ظاهر الكائنات ومن
استضاء عقده بنور
الشرع تأيد بالبصيرة
فاتصل على السكوت
والملكوت باطن
الكائنات اختص
بمكاشفته أرباب البصائر

السلام وكما قال تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - فانزلهم يذهبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم - وقال تعالى - وماريت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النبي والإتيان ظاهرا ولكن معناه وماريت بالمتى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالمتى الذي يكون العيد به راميا ، إذ هما مثنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - أفرايتم ما تمنون آتتم تخلفونه أم نحن الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا ، فيقول يا رب أذكر أم أنسى أم موج فيقول الله تعالى ماشاء وخلق الملك (١) وفي لفظ آخر «يصور الملك ثم ينضغ فيه الروح بالسادة أو بالشفاعة» . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يقتبس بوضعه فيكون كل قس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وسفته فهو حق شاهده أبواب القلوب يصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الآلهة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكيف من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكيف من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرف ربى برى ولولا رى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحيى وللميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين ففي الخبر «أن ملك الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت أنا لميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا حيى الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على مملكتهما ومسخرتهما له من الصنع وأنا للميت والحيى لا يميت ولا يحيى سوى (٢) » فاذن القتل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لذي ناوله الخمرة وخذها لولم تأتها لأنتك (٣) » أضاف الأيمان إليه وإلى الخمرة ، ومعالم أن الخمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب أتوب إلى الله تعالى ولأتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله (٤) »

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا الحديث البراز وابن عدى من حديث عائشة أن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يا رب ماذا الحديث وفي آخره فإمن شئى إلا هو يخلق معه في الرحم فيسنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا لميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا حيى الأموات فأوحى الله إليهما أن كونا على مملكتهما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال لذي ناوله الخمرة خذها لولم تأتها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة القلاء من رواية عبد بن شرحبيل ووصفه الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال لذي ناوله أتوب إلى الله ولأتوب إلى محمد عرف الحق لأهله تهتم في الزكاة .

والقول دون الجاهدين
على مجرد القول دون
البصائر وقد قال بعضهم
إن العقل عقلا ن عقل
لهما يسكنه في القلب
وذلك للمؤمنين للمؤمنين
ومتعملة في الصدرين
عنى القواد والعقل
الأخر مسكنه في السماع
ومتعملة في الصدرين
عنى القواد قبال أول
يدبر أمر الآخرة ،
وبالشأن يدبر أمر
الدنيا والذي ذكرناه
أنه عقل واحد إذا
تأيد بالبصرة دبر
الأمرين وإذا خفرد
دبر أمرا واحدا وهو
أوضح وأبين ، وقد
ذكرنا في أول الباب
من تدبيره النفس
للطبيعة والأمانة

فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو الحق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو للتجوز والستير في كلامه والتجوز وجه كما أن للحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فيها فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى هي سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلال فذا انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعت أياها القوى المستعز فلا فاعل إلا الله فالاسم له الحقيقة ولغيره بالمجازي تتجوز به هما وضعت القوى له ولما جرى حقيقة الحق على لسان بعض الأعراب قصدا أو اضما صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وأصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد:

● ألا كل شيء ما خلا الله باطل ● (١) أي كل ما لا قول له بنفسه وإعما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإعما حقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة إلا إلى القيوم الذي ليس كمثل شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كان لم تكن فانه اليوم كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر فامضى الثواب والعقاب والنقض والرضا وكيف غشبه فعل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلنأطول بعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر إلى سبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسببها هو الذي يورث الثقة بسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق للكاشفين فيه فطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يترتب فيه وهو أن يصدق تصديقا قينيا لا نصف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كله على عقل أعظم وعلم أعمهم وخلق لهم من العلم ما محتمله قوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما امتنى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميع علمه وحكمة عقله ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار للكهوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا الثبوتات حتى اطلعوا به على الحيرواثر والنفع والفرش ثم أمرهم أن يدبروا لللك وللكهوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بموضة ولأن ينقص منها جناح بموضة ولأن يرفع منها ذرة ولأن ينقص منها ذرة ولأن يدفع مرض أوعب أوهش أوقر أوضر فمن يلى به ولأن زال همه أوكال أوفى أوقع فمن آمن الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجوا فيها البصر وطولوا فيها النظر مارا وأقبا من ضاوت ولا ظنور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وهجر وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومصلحة فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا ثم ولا أكل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بخله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولولم يكن قادرا لكان مهزما يناقض الالهية بل كل قرر وضرفي الدنيا فهو حصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل خمس في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره لذل لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا للرزم لتمام الأسماء بالصحة ولولا النار

ما يقبى الانسان به إلى كونه عقلا واحدا دويدا بالبصرة تارة وبغداد بوصف تارة والله اللهم للصواب [السبب السامع والחסون في معرفة الحسائط وتضميلها وتميزها]

أخبرنا شيخنا أبو العجب السمروردي قال أخبرنا أبو الفتح المروزي قال أنا أبو نصر الترمذی قال أنا أبو محمد الجرجاني قال أنا أبو العباس المصنوعي قال أنا أبو عيسى الترمذی قال أنا هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاه بن السائب عن مرة الحمداي عن عبد الله بن مسعود

(١) حديث أصديق بيت قالته العرب بيت لبيد : ● ألا كل شيء ما خلا الله باطل ●

متفق عليه من حديث أبي هريرة بلقط قاله الشاعر وفي رواية لسم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وقسطنط على ذبحها ليس
 ينظم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تنضم على سكان الجنان بتظيم القوي على
 أهل التيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل
 ولو لخلق البهائم لم يظهر شرف الإنس فان الكمال والتمس يظهر بالإضافة فتقتضى الجود والحكمة
 خلق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل
 بناقص فكذلك الأمر في التناوت الذي بين الخلق في القصة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور
 فيه وحق لا لم فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في
 السمة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يقع إلا للمؤمنين
 ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره الكاهنون . والحاصل
 أن الخير والشر مقضي به وقد كان مقاضى به واجب الحصول بسد سبق الشبهة فلا راد لحكمه
 ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أساءك لم يكن
 ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه للرماز من علوم للكشفة التي هي أصول
 مقام التوكل ولترجع إلى علم اللامعة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثاني من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ماله الشيوخ
 في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للفرد والليل وبيان التوكل بترك الاضرار وبيان التوكل
 في دفع الضرر وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوى وغيره والله للوفيق برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينظم من علم وحال وعمل وذكرا فلما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة
 عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر المتأخرون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم
 كل واحد عن مقام نفسه وأخر عن حده كاجرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكتثار
 فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه
 واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى للقوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما
 اطمأن إلى نفسه ووثق به ولم يتجه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن
 اعتماد القلب على الوكيل وحده وتضرب للوكيل في الحصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة
 بتبليس فوكّل للخصومة من يكشف ذلك التبليس لم يكن متوكلا عليه ولا واقفا به ولا مطمئن النفس
 بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة
 أما الهداية فليعرف بها مواقع التبليس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء أصلا وأما القدرة
 والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يدهان ولا يخاف ولا يستحي ولا يجهل فانه ربما يطعن على وجه
 طيبس خصمه فيمنه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف الضعفة لمقلب عن
 التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الاضاح عن كل
 ما استجرأ القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التبليس قادر بذلاقة لسانه على حل هذه
 التبليس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بلذ كل ما يقدر عليه في حق من الجهود فان قدرته
 لا تضيقون العناية به إذا كان لا يهجمه أمره ولا يبالى به فكل خصمه أو لم يقدر على حقه أو لم يهلك فان
 كان شاكيا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أو كل منه
 لم مطمئن نفسه إلى وكيه بل يبقى مزعج القلب مستغرق المم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذر من تصور

رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « إن للشيطان لمة
 وابن آدم وللك لمة
 فأما لمة للشيطان فأباد
 بالنسوة وكذب الحق
 وأما لمة للآدم فأباد
 البحر وتصدق بالحق
 فمن وجد ذلك فليعلم
 أنه من الله فليحمد الله

ومن وجد الأخرى
 فليستوف بالله من
 الشيطان ثم قسرا
 الشيطان يصدك الفقر
 ويأمرك بالفحشاء -
 وإنما يتطلع إلى معرفة
 الدين وتمييز الخواطر
 طالب مرشد يتشوق إلى
 ذلك تشوق العاشق
 إلى الماء لما يطم من
 وقع ذلك وخطره
 وفلاحه وصلاحه

وكيله وسلطوه خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تفاوت تفاوت لا ينحصر فلا جرم تفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوت لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والملك والوكيل يسمى بجمع الحلال والحرام لأنه يحصل له يقين بنتهي الشفقة والعناية بتصير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصلات تصوران يحصل القطع به وذلك بطول المراسلة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أقصع الناس لسانا وأقواما يأنوا أقدرهم

على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك كيشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بمجمل العباد والأحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورسمته لك عناية ورحمة اكتمل لاحاطة قلبك عليه وحده ولم يفتش إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحلول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيب أحد أمرين إما ضعف اليقين بإحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب ومرمضه بإسبيل الله عليه وأزواجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج بما للوم وطاعة له عن غير قصان في اليقين فإن من يتناول عسلا فشب به بين يديه بالضرورة ربما خرطبه وتعلمد عليه تناوله ولو كلف العاقل أنه يبيت مع لبيت في قبر أو فراش أو بيت خرطبه عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه مجاهد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يخسر الآن ولا يحبه وإن كان قادرا عليه كأنها مطردة بأن لا قلب القلم الذي بيده حية ولا قلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين بنظر طبعه عن مضاجعة لبيت في فراش أو لبيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبين في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرصا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ هما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكيف من يقين اطمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام - أومن تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي - فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء للحياتية ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الحيات وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالأثرة إلى درجة النفس للطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا لو لم من مطمئن ليقين له كسائر أبواب اللذات والذاهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى نفوسه وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يتبعون الظن وماتوهي الأتقى وقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجرامه فرأى أن لا يتبع اليقين معانفسي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كأن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكنوب في التوراة لمؤمن من قته إنسان مثله وقد قال ﷺ «من استعز بالله يدأه الله تعالى ﴿١﴾» وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالخطوة بصفو اليقين ومنج للموقنين وأكسر التشوف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الأبرار قد يشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الحمه والطلب والارادة والحظ ومن الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطلع إلى معرفة اللتين ولا يتم تمييز الحواطر ومن الحواطر ما هي رسل الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتز بالله يدأه الله العقبى في الضمائم وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته العقبى في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى وثقة بكفائته وعنايته كحال في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غير هاولا يزعج إلى أحد سواها ولا يستمد إلا إياها فإذا رآها تعلق في كل حال بذليها ولحظها وإن نأه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه بأمه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فأنها مفعلة فانه قد وثق بكفائتها وكفائتها وعشقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراكه بالخير الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طوب ب تفصيل هذه الحاصل لم يقدر على تقين لفظه ولا على إحضاره مفصلاً فنهتوا ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتاده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد وثق في توكله عن توكله إذ ليس يلفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لتبرر للتوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فائعين توكله لأن له افتقاراً إلى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وحده إلى هذه الدرجة وأشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأمان قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل البيت بين يدي المائل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه يتأخره كقدرته الأزلية كما تحرك يد النامل ليت وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والتدبر والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كل ما يحدث جبراً فيكون بائناً عن الانتظار لما يجري عليه وغارق الصبي فإن الصبي يزعج إلى أمه ويسبح ويصلق بذليها ويصنو خلقها بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعج بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها الأب فالأم تغاضه وتحميه وهذا اللقائم إلى التوكل شمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يستل فيكم من نعمته ابتداء قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق وللقام الثاني لا يتخفى ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يتخفى ترك السؤال من غيره فقط . فإن قلت فهذه الأحوال يضور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عز زائد وللقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبداً منه بل يكاد لا يكون للقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجه فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحلول والقوة والأمياب طبع واقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع واقباضه عارض والوجه عبارة عن اقباض الدم عن ظاهر البشرية إلى الباطن حتى تصح عن ظاهر البشرية والظرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرية فإن البشرية تترق وترقى وترى من وراء حمرة الدم واقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا اقباض القلب بالكلية عن ملاحظة حلول والقوة سائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما اللقائم الثاني فينبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوماً أو يومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يمد أن يدوم ولا يمد أن يزول . فإن قلت فهل يقع البعد تدبر وتعلق بالأمياب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن اللقائم الثالث ينفي التدبر وأما ما دلت الحلافة باقية بل يكون صاحبها كالبهوت وللقام الثاني ينفي كل تدبر إلا من حيث التفرع إلى الله بالدعاء والانهال كتدبر الطفل في التعلق بأمه فقط وللقام الأول لا ينفي أصل التدبر . والاختيار ولكن يغني بعض التدبريات كالتمسك على وكيله في الحسومة فانه يترك تدبره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبر الذي أشار إليه وكيله به أو التدبر الذي عرفه من عادته وستدون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته بأن قوله له لست أترككم إلا في حضورك فيشغل لعمالة بالتدبر المحصور ولا يكون هذا منقضا توكله عليه إذ ليس هو فزعامة

عصيت الله وهذا حاله
عبد استقام قلبه
واستغامة القلب
لطمأنينة النفس وفي
طمأنينة النفس يأمن
الشیطان لأن النفس
كلما تحركت كذرت
صفو القلب وإذا
تكدس طمع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب يحفوف بالذكور
والرماية والذكر نور
بقية الشيطان كاتقاء
أحدنا النار . وقد
ورد في الحديث إن
الشیطان جاثم على
قلب ابن آدم فإذا
ذكر الله تعالى نولى
وخس وإذا غفل
التم قلبه فقهه وناداه
وقال الله تعالى ومن
يسئ من دسك

إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولإلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له
إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا متمدداً له في قوته لما حضر قوله وأما المأمور من عاداته وأطر استغفاره
أن يعلم من عاداته أنه لا يحاج الحزم إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً
على سنته وعاداته وأفاقاً بعقبتها وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند محاسنته فاذن لا يستغنى
عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولوترك شيئاً من ذلك كان قصراً في توكله
فكيف يكون له قصافيه ، ثم بعد أن حضروا به عاداته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وتقدم
ناظراً إلى حاجته فقد انتهى إلى اللقائ الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمجهول للتنظر لا يزعج
إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعاً إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل
بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا لأمانة النفس والتفتة بالوكيل والانتظار لما يجري
وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل
تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو من الأقسام وسائر تفصيله في
الأعمال فإذا فزع التوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار لا ينافي التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل
لن كان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته
بل من حيث إن الوكيل جملة مشتملة على حاجته وعرفه ذلك بإشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل
إلا أن هذه السكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لها
مفيداً في أنفسهم ولم يكونوا مفيدين لولا فعله وإنما صدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى
إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين إذ جعلهم مشرطاً لما يخلق
من بعدهم من القوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً فمن شاهد هذا كله كان له
الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله (١) وذلك قد يستبعد فيقال
كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه السكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها
وهيات فاعلم ذلك جزء على هذه الشهادة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه السكلمة وثوابها إلى
كل لاهة إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداها إلى الأخرى إذ في هذه السكلمة إضافة شيئين إلى الله
تعالى قطعاً وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين
الكل وبين شيئين تشرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد
تفسيرين ولين فكذلك لهذه السكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الحق قيدوا بالتفسيرين وما طروا
إلى اللين وإلى اللين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه خلصنا
وجبت له الجنة (٢)» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالطلق هذه التيقيد كما أخاف
للفترة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض اللواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض اللواضع والراد
به للتيد بالعمل الصالح فاللغة لا يزال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه
حديث قس وإتباع الصدق والإخلاص وراءها ولا ينصب سرير للكل إلا للقرينين وهم المخلصون ، ثم
لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك
أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة للقرينين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

الرحمن تقيين له
شيطانا فهو له قرين -
وقال الله تعالى - إن
الذين اتقوا إذا مسهم
طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم
مبصرون - فبالتقوى
وجود خالص الذكر
وبها يفتش باب ولا
يزال المبدى حتى
يحمى الجوارح من
للكاره ثم يحسبها من
الفضول وما لا ينبغي
تقصير أقواله وأفعاله
ضرورة ثم تستقل
تقواه إلى ما لا يوصله
الباطن وبقية عن
للكاره من الفضول
حتى يبقى حديث النفس
قال سهل بن عبد الله
أسوأ الناس حديث
النفس ويرى الإصغاء

سر موحنة متكئين عليها متباينين - ولما انتهى إلى أصحاب المين مازاد في ذكر الله والطلب والتواكؤ والأعجار والحوار العين وكل ذلك من قبات التطور والشروب ولأن كوله للشكوك ويتصور ذلك لهايم على الدوام وأن قبات الهائم من قبات الملك والزول في أعلى علين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه القابات قدرها وسعت على الهائم ولما رقت عليها درجة للالكة أقرى أن أحوال الهائم وهي مسية في الرياض متمتع بلاء والأشجار وأصناف الأكلات متمتع بالزوان والسفاد أعلى وألذ وأشرف وأجدر بأن تكون علة لقوى السكال مفيوط من أحوال للالكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى علين هيات هيات ما أبعد عن التصيل من إذا خير بين أن يكون حمار أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي تزوعها إلى صنعة الأسا كفة أكثر من تزوعها إلى صنعة الكتابة فهو بالأسا كفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه إلى نيل لذات الهائم أكثر من تزوعها إلى نيل قبات للالكة فهو بالهائم أشبه منه بالالكة لاهالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة للالكة فتركها الطاب للعجز ، وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالدم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تتعاضد من طلب السكال. وإذا كان هذا كلاما مقترنا فلتخرج إلى المتصود فقد بينا معنى قول لاه الله ومعنى قول لاهول ولا قوة إلا بالله وأن من ليس قاطبا لهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل . فان قلت ليس في قولك لاهول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة عيشين إلى الله فلو قال قاطب السماء والأرض خلق الله فهل يكون نوابه مثل نوابه ؟ فأقول لا لأن النواب في قدر درجة المثاب عليه ولما سواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة وإن جاز وصفهما بالصغر يجوز أن يفتت الأمور بظم الأشخاص بل كل عاى يخهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الآمين بل هما من خلق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يصدق النظر في الرأى والمقول حتى يثيق الشرع بمدة نظره فيهم مملكة عظيمة ومزلة عظيمة هلك فيها النافلون إذ أئبتوا لأشهم أمرا وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذى يصدق قول لاهول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان - إحداهما: النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقم والمطر وسائر الجمادات والثانية: النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم الثبتين وأخطرهما وقطعها كالسر التوحيد فقلبك عظم ثواب هذه الكلمة أعنى ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فإذا رجعت حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيضع عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليتين أن عيشتهما لا يخرج هما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلى قلت لأبي يزيد ما التوكل ؟ فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتسمعون وأهل النار في النار يمدون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جهة التوكل فإذا كرم أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحسنة وأن ما فعله الله تعالى فيه بالواجب فلا تميز بين أهل النار

إلى ما يحدث به النفس
ذبا فيقيه ويتشد
القلب عند هذا الانقاء
بالذكر افتاد الكواكب
في كبد السماء وبصر
القلب بما يحفظ خزينة
كواكب الذكر فإذا
صار كذلك بسد
الشیطان ومثل هذا
العبد يسدر في حقه
الخواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر النفس ومحتاج
الى أن يتقها ويميزها
بالم لأن منها خواطر
لا يشر إمساؤها
كطالبات النفس
بمجاتها وحاجاتها
تنقسم إلى الحقوق
والخطوط ويتبين
التمييز عند ذلك وإهام
النفس بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغصن أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو زيد قلنا يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطا في القيام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في النار إذ سدد منافذ الحيات (١) إلا أن يقال فعل ذلك برجه ولم يتبر بعبه سره أو قال إنما فعل ذلك شفقة حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحريك سره وتبره لأمر يرجع إلى نفسه وللتنظر في هذا عمل ولكن سيأتى بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا ينقص التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فإن احتراز لم يكن إنكساره على تديره وحوله وتوحيه في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل الثوريون للصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب غلغ الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه قليل له زدنا فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك مائة دين لم تأمن أن تموت ويقت دينك في عتقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاه لا تأمن من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسمعة القدرة وأن في القديرات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال قال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك قالوا لهم للمقامات الثلاث والثاني إشارة إلى القيام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام أنك حاجة فقال أما إليك فلا إذ كان سؤاله سببا يغنى إلى سبب وهو حفظ جبريل له ترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سحق جبريل لذلك فيكون هو التوكل لذلك وهذا حال مبهوت غلب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أبديته وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب وله بشرى إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وقتنه به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فرجه إليه وإتيائه وقضه بين يديه كاضطراب الطفل يديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها . وقال أبو جعفر الصادق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده وللإيمان يسكن به وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى ثاوت درجات نظره بالإضافة إلى المظنور إليه فإن العلم هو الأصل والوعد بقبه والحكم يتبع الوعد ولا يعد أن يكون الطالب على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك ولشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلناظرون بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق رحمه وتوفقه .

بيان أعمال التوكلين

اعلم أن العلم بمرث الحال والحال يشر الأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة كالعلم على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والتسرع قد أتى على التوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الذين يحفظون الله بل نكشف التطاء عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة البدن وسعيه بهله إلى مقاصده وسمى السبب باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسبب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لرفع ضرر لم يزل به كدفع السائل والسرقة والسلب أو لإزالة ضرر قد نزل به (١) حديث إن أبا بكر سدد منافذ الحيات في النار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تهم .

المخلوط قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ
فثبتوا - أي تثبتوا
وسبب نزول الآية
الوليد بن عتبة حيث
بشّر رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني
المصطلق فكذب عليهم
ونسبهم إلى الكفر
والعصيان حتى تم
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتلهم ثم
بعث خاله إليهم فسمع
أذان القرب والمشاء
ورأى ما يبدل على
كذب الوليد بن عتبة
فأنزل الله تعالى الآية
في ذلك فظهر الآية
وسبب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيها من
الله عياده على التثبت

كانت داوى من اللرض فتصود حركات اليد لاتمد هذه القنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

[الفن الأول : في جلب النافع] فنقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع هي ثلاث درجات : طوع به ومقتون تلقا يوفق به وموهوم ومما لائق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه . الدرجة الأولى : القطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت للسيئات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تعد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل حركة الصمى ومد اليد إلى الصمى وحركه كذلك مضنه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسنانه فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فإنا إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شجاعا دون الخبز أو خلق في الخبز حركة إليك أو يسخر ملكا ليخفف لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تدع الأرض وطمت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بندر أو أنه زوجتك من غير وقاح كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاءه فليس التوكل في هذا اللقاع بالعمل بل بالحال والعلم ، أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويستيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتقادك على فضل الله تعالى لاهي اليد والطعام وكيف تتمتع على صحة يدك وربما تجف في الحال وضلع ، وكيف تحول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويطل قوة حركتك ، وكيف تحول على حضور الطعام ، وربما يسلب الله تعالى من يملك عليه أو يثبت حية تزجرك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فيذلك فلتفرح وعليه فلتعول فإذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متينة ولكن الغالب أن للسيئات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يشارك الأوصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا بطرقها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتقاد على فضل الله تعالى لاهي الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يغله الخواص فان قلت : فهذا سمي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حرما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدتها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقارب بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتمشوش خاطر وتصد في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على التفتوت بالحشيش وما يفتق من الأشياء الحسية فيبعد هذين الشرطين لاغلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجزى به فيجاء به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يقول الخواص ونظراؤه من التوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لاخراجه الإبرة وللقراض والحبل والركوة ويقول . هذا لا يتدح في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للآدم فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البرئ فيريد ولو لا جمل ولا ينشب وجود الحبل والماء في البوادي كما ينشب وجود الحشيش واللباب يحتاج إلى الوضوء كل يوم مرات ولعلته في كل يوم أو يومين مرة فان للسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور فالسمل في
هذه الآية الفاسق
الكذب والكذب
صفة النفس لأنها
تحملي أشياء وتسول
أشياء على غير حقائقها
فتعين التثبت عند
خاطرها وإقائها
فيجعل العبد خاطر
النفس نبأ يوجب
التثبت ولا يستغزه
الطبع ولا يستجمله
الحوى فقد قال بعضهم
أدنى الأدب أن تحف
عند الجهل ، وآخر
الأدب أن تحف عند
الشبهة . ومن الأدب
عند الاشياء إزالة
الخاطر بحركة النفس
وخالفها وباربها
وقاطرها وإظهار الفقر
والفاقة إليه والاعتراف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتتكشف عورته ولا يوجد القراض ولا يرتقى البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يتحقق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً بل أنه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يسطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مخضوفاً إلى فيه فبين الله رجبين فرفان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا أقول لو أجاز لي شيب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطره طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم يساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال للأسأل أحداً عما حدث حتى يأتيني رب رزقي فبعد سبعا فكاد يموت ولم يأت رزق فقال يارب إن أحييتني فأتني رزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتعد بين الناس فدخل الصر وقعد بجانبه هذا بطعامه اجتراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بهذه في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فاذن التباعه عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة وجعل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية ففي التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت لما تقولك في العقود على البلد بغير كسب أهو حرام أوبساح أو مندوب . فاعلم أن ذلك ليس حرام لأن صاحب السباحة في البادية إذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون له لمراميل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والعبر يمكن إلى أن يتحقق ولكن لأوقاف باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه فقله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة قال الكسب والمخرج أولى له ولكن ليس فله حراماً إلا أن يشرف على اللوث فند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتتاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لأعالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من اللوث لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان صامياً وقال له يا جاهل كيف أخلفك ولا أرزقك ، وذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا رازق ولا محيت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تفتدو سخماً وتروح بطاناً وتزالت بدعائكم الجبال" (١) وقال عيسى عليه السلام : انظروا إلى الطير لا تززع ولا تصمد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم . فان قلت نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام كيف قضى الله تعالى لها هذا الحق للرزق . وقال أبو يعقوب السوسى للتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي الباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكذوبون . وقال بعضهم المبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل

بالجهل وطلب للمرة والموتة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب يثاب ويهان ويتبين له هل الخاطر يطلب حفظاً أو طلب حق فان كان للحق أمضاء وإن كان لا يحفظ ففاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لأن الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسمه في صمته إلا الوقوف على الحق دون الحفظ وإن أمضى خاطر الحفظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحفظ ويعضى خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره وثالث بدعائكم الجبال وقد تقدم قريباً دون هذه الزيادة فرواها الإمام محمد بن نصر في كتاب تنظيم قدر الصلاة من حديث معاذ ابن جبل باسناد فيه ثلث لوعرقم الله حتى معرفته لمشيته على البحور وثالث بدعائكم الجبال ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب الكلي مرسل دون قوله لشيتم على البحور وقال هذا منقطع .

بذل كالسؤال وبسببهم شب وانتظار كالتجار وبسببهم إسمان كالصانع وبسببهم بركة كالصوفية يشهدون العزى فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الوسطة . الدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يتوهم إضائها إلى السبلات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستصفي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الأكتساب ووجهه وذلك يخرج بالسكية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعنى من يكتب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرس على الدنيا والاتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يعطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالإضافة إلى إزالة الضرر الذي نهي صلى الله عليه وسلم وصف للتوكلين بذلك ولم يفهم بأنهم لا يكتبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئاً بل وصفهم بأنهم يتعاملون بهذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في السبلات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يجعلهم عن نفسه وإعجابهم بتدبيرهم ولله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية فاذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها من التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مغنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعمله وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعمل لا بالعمل . وأما المغنونات فالتوكل فيها بالحال والعمل جميعاً والتوكلون في ملازمة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات : الأول : مقام الحواس ونظراً وهو الذي يدور في الوجدانيات في زيادة فضل الله تعالى عليه في شوقه على الصبر أسبوعاً وفاقوته أو تيسير حشيشه أو أوقوت أو تشبته على الرضا بالموت إن لم يتيسر ثم من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بغيره ويموت جوعاً فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع قصده . المقام الثاني : أن يقصد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار وهذا أضنف من الأول ولكنه أيضاً متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالتصديق الأمصار معرض لأسباب الرزق فإن ذلك من الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يعطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد لا يصل رزقه إليه لا إلى سكان البلد إذ يصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه فوالفضل الله تعالى بتدبيرهم وتخريك دواعيهم . المقام الثالث : أن يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج أيضاً عن مقامات التوكل إذ لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجهه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكسب الحق يحفظ جميع ذلك وييسر أسبابه به بل يرى كسبه وبضاعته وكنائبه بالإضافة إلى قدرته الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الوثق فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يبدل وبم يحكم ثم إن كان هذا للكسب مكتسباً له أو لغيره على السالكين فهو بيده مكتسب وبقبله عنه منقطع غلال هذا أشرف من حال القاعدة في بيته . والباقي على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والرفة كما سبق أن الصديق رضي الله عنه لما بوع بالخلافة أصبح أخذاً الأبواب تحت حشائه والنزل على يده ودخل السوق يتأذى حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تعمل ذلك وقد أقت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فأنى إن أضعتهم كنت لمسأوئهم أضيق حتى فرغوا له قوت أهل بيته . من المسلمين فقاموا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحب أن يقال لم يكن الصديق

بمزيد علم لديه من الله وهو علم السمة لمبد ماؤون له في السمة عالم بالاذن فيمضي خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره بحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته وتقصاته عالم بمآله حكم لمسلم الحال وعمل القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لأنه أمر خاص لمبد خاص وإذا كان شأن السيد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لئس الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثاً ويستقط خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فمن أولى بهذا اللقاع منه فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدر الأسباب وبشروطان براعيا في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادّخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودبره أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا وعجب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراه الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمه الله عليهما وكان من للتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتسب في كل يوم دينارا ولا أبيت منه دافعا ولا أسترجع منه إلى قيراط أمحل به الحماة بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يشكهم في التوكل بحضرة وكان يقول أستحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الحامد بالخروج لطلب إلىصحه التوكل إلا على ضعف ولكن قوي بالخال والعلم كقول الكتائب وإن لم يسألوا بل تقوما بما يحمد إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك قد صار لهم سوطا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق . فان قلت لما الأفضل أن يمدني بيتي أو يخرج ويكتسب ؟ . فاعلم أنه إن كان يفرغ بركة الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستدبر نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئا بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالتمسوه له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستدبر إلى الناس فالكسب أولى لأن استدبر القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان التوكلون يأخذون ماله يستدبر إليه فهو سهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر الروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فردده فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فانه يقبل فلقحه وأعطاه فأخذه فقال أحمد عن ذلك قال كان قد استدبر نفسه فردده فلما خرج انقطع طعمه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب مראה في أسفاره رأيت الحضر ورضى بصحبي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون همما في توكله فاذن الكتائب إذا راعى آداب الكسب وشروطه فيته كالمسبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقتصد به الاستكثار ولم يكن اعتياده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً . فان قلت لما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرق بضاعته أو خسرت تجارتها أو عوق أدر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكن قلبه وبعده واحدا فان من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء قد سكن إليه وكان بشر يعمل للنازل فكرها وذلك لأن العبادي كاتبه قال بلنفي أنك استصنت على رزقك بالمنازل أرايت إن أخذ الله صمك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آله المنازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرحها . فان قلت فكيف ينصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب يجر بضاعة لا يمكن . فأقول بأن يعلم أن الدين برزقه الله تعالى بشر بضاعة فيهم ككرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرت وهلكت فيهم ككرة وأن يوطن نفسه على

نادرا لصيق مكانه من النفس لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاء إلى الأرض ومن ضائق النفس على التميز بين الحق والحظ ضائق نفسه وسخط عمل الشيطان إلا نادرا لدخول الإخلاص عليه ثم من الرادين للتعلقين بتعام القربين من إذا صار قلبه ساء مزينا بزينة كوكب الذكر يصير قلبه ساويا يترقى ويصير ياطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكما ترى تتدارل النفس للمطمئنة وتباعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات

أن الله لا يعمل به إلا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فلهذا لو تركه كان سببا لنفاسد دينه وقد اطمأن الله تعالى به وفاقته أن يموت جوعا فيضي أن يعتقد أن الموت جوعا غير له في الآخرة معها قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخير «إن البئس ليهن» من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كنيا حزينا يطير بجواره وابن عمه من سبقي من دهاني وماهي إلا رحمة رحم الله بها (١) ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان النخعي «إن أبي الخواري لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فاني ما صمت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات المحزنة ولكنه قال ما أدركته ولمه أراد إدراك أصداء وما يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على البعد من قدر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يشناه البعد لم يكمل حال التوكل فبقائه التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تتبني على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب قد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب قد طعن على التوحيد . فان قلت فهل من دواء يتنفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية . فأقول نعم هو أن صرفه عن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفنشاء والله يدكم منفرة منه وفضلا - فان الانسان بطبعة مشغوف ببالغ تخوف الشيطان ولذلك قيل الشفق بسوء الظن بولع وإذا انغمس إليه الجبن وضف القلب ومشاهدة التشكيك على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لولا اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودى في جوار للسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضمانه فعكفك في للسجد خير لك فقال بإهذا لولم تكن إماما تخف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك إذ ضللت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق . وقال إمام للسجد لبعض المسلمين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليت بها خلقت ثم أجيبك . وينفع في حسن الظن بجميع الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب منحه الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة الرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن آدم فقيل له ما أحبب ملأيت منه فقال يقينا في طريق مكة أليما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوتينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع قلت هو مارأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فكتب به إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا :

(١) حديث إن البئس ليهن من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضله لكان فيه هلاكه فينظر الله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه إلا أنه قال إن البئس ليهن في حاجة من حاجات الدنيا الحديث ضعوه .

يمرّج بامك كان
ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم بظاهرة
وقلبه فاذا استكمل
العروج تنقطع عنه
خواطر النفس لتسره
بأنوار القرب وبعد
النفس عنه وعند ذلك
تنقطع عنه خواطر
الحق أيضا لأن الخاطر
رسول والرسالة إلى من
بعد وهذا قريب وهذا
الذي وصفناه نازل
ينزل به ولا يدوم بل
يعود في هبوطه إلى
منازل مطالبات النفس
وخواطره فتعود إليه
خواطر الحق وخواطر
النفس وذلك أن الخواطر
تستدعي وجودا . وما
أشرفنا إليه حال التناء
ولا خاطر فيه وخاطر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جالس أنا ضائع أنا عارى
 هى ستة وأنا الضمير لضمها فكسر الضمير لضمها يابارى
 مدحى تترك لب نار خضها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال اخرج واطلق قلبك بغير الله تعالى وأدفع الرقة إلى أول من يلقاك فخرجت
 فأول من لقيت كان رجلا على بقة فتأولته الرقة فأخذها فلما وقفت عليها بكى وقال ما فعل صاحب
 هذه الرقة قتلته هو في المسجد الفلاني فدفع إلى صرة فيها ستائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسأله
 عن رأك البقة فقال هذا نصراني جئت إلى إبراهيم وأخبرته بالبقة فقال لا تمسها فانه يمسي
 الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم قبله وأسلم . وقال أبو يعقوب
 الأنطع البصري : جئت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضفا فحدثني نفسى بالخروج فخرجت إلى
 الوادي لعل أجد شيئا يسكن ضفى فرأيت ساجدة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبها منها وحشة
 وكان قائلا يقول لي جئت عشرة أيام وآخره يكون حطاك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت للمسجد
 وقعدت فاذا أنا برجل أعجمي قد أتبل حتى جلس بين يدي ووضع فطره وقال هذه لك قتلته كيف
 خصصني بها قال أعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرقت السفينة على الشرق فندرت إن خلصني
 الله تعالى أن أصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته قتلته
 اقتنصها ففتحها فاذا فيها مئيد مصرى ولوز مقشور وسكر كمام قبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا
 وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية مني إليكم وقد قبلها ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك من
 عشرة أيام وأنت تطليه من الوادي : وقال بمشاد الدينوي : كان على دين فاشتغل قلبى بسبيه
 فرأيت في النوم كأن قائلا يقول يا بخل أخلت علينا هذا القدر من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا
 المطاء فما حسبت بعد ذلك بقالا ولا قصبا ولا غيرها . وحكى عن بنان الحمال قال: كنت في طريق
 مكة أجيء من مصر ومضى زاد فقالت لي امرأة وقالت لي يا بنان أنت حال تعمل على ظهرك إذا تروهم
 أنه لا يرزقك قال فرميت زادي ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خلخالا في الطريق قتلته في نفسي
 أحله حتى يمسي صاحبه فرميا يطيق شيئا فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لي أنت تاجر تقول
 عسى يمسي صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رمى لي شيئا من الدراهم وقالت أنفقها فاكفيت بها إلى
 قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخنمه فأنبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا
 هو ذا يمسي التغير فقتري ما يوافق قلنا ورد التغير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له
 فقالوا لصاحبها بكم هذه قال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة
 من ممر قد خملت إلى بنان وذكرته له القصة . وقيل كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص
 فقال إن أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فطامعه غيره
 فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت
 البادية بغير زاد فأصابني فاقة فرأيت للرحلة من بيد فسرت بأن وصلت ثم فكرت في نفسي أتى
 سكنت واتسكنت في غيره وأليت أن لأدخل للرحلة إلا أن أحمل إليها فحشرت نفسي في الرمل
 حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدى فسمعت صوتا في نصف الليل ياليا بأهل الرحلة إن لله
 تعالى وليا حبسى شفه في هذا الرمل فالحقوه بقاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية . وروى
 أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بجائل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر وأولى الله تعالى
 اذهب فتمل القرآن فانه سينيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى اقتدعه عمر فاذا هو اعتزل

الحق اتسنى لمكان
 القرب وخاطر النفس
 بعد عنه لبعد النفس
 وخاطر الملك خلف عنه
 كخلف جبريل في ليلة
 العراج عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 حيث قال . لودنوت
 أئمة لا حترقت . قال
 محمد بن علي الترمذي
 الحديث والكلام إذا
 تحققت في درجته لم يخاف
 من حديث النفس
 فكما أن النبوة
 محفوظة من إلقاء
 الشيطان كذلك عمل
 السالك والمهتدة
 محفوظ من إلقاء النفس
 وفتحها ومجروس بالحق
 والسكينة لأن السكينة
 حجاب السكلم والحدث
 مع شفه .. وصحت

واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له إن قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عنى فقال إنى قرأت القرآن فأغنى عن عمر وأل عمر فقال عمر رحك الله الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء وزكمت وماتعدون فقلت رزقى فى السماء وأطلبه فى الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بذلك بأية ويجلس إليه . وقال أبو حمزة الحارثى سمعت من السنين فينا أنا أمسى فى الطريق إذ وقت فى بئر فذاعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فاستتممت هذا الحاطر حتى مر برأس البرجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البرجل لا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطموار رأس البر فهممت أن أصبح فقامت فى نفسى إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فينا أنا بعد ساعة إذنا بشئ جاء وكشف عن رأس البر وأدلى رجله وكأ به يقول تعلقى فى همة كه كنت أعرف ذلك فخلقت به فأخرجنى فاذ هو يسع فرؤ هتف فى هاتفا يا با حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فحشيت وأنا أقول:

نهائى حيانى منك أن أكشف الهوى وأغتنى بالقهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبدت شاهدى إلى غايى والطف بدرك بالطف
ترأيت لى بالتيب حتى صكنا عينا بضميرى بالتيب أنك فى الكف
أراك وبى من ميق لك وحشة فتؤنس بالطف منك وبالطف
وتحسى عبا أفت فى الحب حظه ولذا يجب كون الحياة مع الحظ

وأمثال هذه الوقائع مما يذكر وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه فى أسبوع ظلمت خيره له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ، ثم التوكل بهذه الأحوال وللشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل الليل

اعلم أن من له عيال فحكه غارق فى الفرد لأن الفرد لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استعراف وضيق نفس . والآخر أبواب الإيمان ذكرناها من جعلها أن يطبق نفسا بالموث إن لم يأت به رزقه علما بأن رزقه للوث والجوع وهو وإن كان نفسا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة فبرى أنه سبق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هنا هو للرض الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فبهسدا يتم التوكل للفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عدم الإيمان بالتوحيد وأن للوث على الجوع رزق مغبوط عليه فى نفسه إن اخفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الإيمان فاذن لا يمكن فى حقهم إلا توكل المكسب وهو لتقام الثالث كتوكل أى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول البوادر وترك العيال توكل فى حقهم أو الصدور عن الاهتمام بأمرهم توكل فى حقهم فهذا حرام وقد يفضى إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة على الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنية فى الآخرة أنه أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز أن يضيها إلا أن تساعد على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجزه التوكل . ولذلك كبرى أن أبى تراب التمشي نظرا إلى صوفى مد يد يله إلى قدر بطبعه لئلا يكله بعد ثلاثة أيام قال له لا يصلح لك التصوف أزم السوق أى لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن صبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو جى الروذبارى إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فأزموه السوق ومروه بالمثل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فبا يضر يده كتوكله فى عياله وإنما غارهم فى شئ واحد وهو أن تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبى محمد بن
عبد الله البصرى
بالصرة يقول الحارث
أربعة : خاطر من
النفس وخطر من
الحق وخطر من
الشیطان وخطر من
الملك فأما الذى من
النفس فيجس به من
أرض القلب والذى
من الحق من فوق
القلب والذى من الملك
عن بين القلب والذى
من الشيطان عن يسار
القلب والذى ذكره
إنما يصح لصيد أذاب
نفسه بالقوى والزهدي
وتصنى وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالركاة
المجاورة لا يأتينه
الشیطان من ناحية

وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس اشتغافاً عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع ومنه والرضا بالموث إن تأخر الرزق تأدراً وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأدنى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يدركوا تلك أسباباً وذلك لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأدنى في الدنيا لأجل الآخرة واستبداء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له حقيقة أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبراً لا يجوز الابدوزة وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سبط الحب والشفقة على الأم لتسكن به شادت أمهات اضطراباً من الله تعالى إليه عايناً في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له من يرضع به الطعام جمل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى للضعف ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدره اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على حسب حاجته أنسكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يوافق الغذاء الكثيف أثبت له أسناناً قواطع وطواحين لأجل للضعف فإذا كبر واستقل يسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة ، فحينئذ يبدد البلوغ جهل محض لأنه ما هضمت أسباب معيشته يلوغ به زادت فانه لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، ثم كان للشفق عليه شخصاً واحداً وهى الأم الأب وكانت شفقتها مفرطة جداً فكان يطمعه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والودعة والرقوة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلدة كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أمسى محتاج تأمل قلبه ورق عليه وانبتت له داعية إلى إزالة حاجته قد كان للشفق عليه واحداً والآن للشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفونه فمأزوى إلى الآن في سنى المحصب يتم قد مات جوعاً مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافه بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان للشفق واحداً وللشفق الآن ألف ، ثم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضمنت فيخرج من مجموعها ما يفيد النرض فكيف من يتم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر نصف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين ويترك التتم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون قسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوة الجنين

فان قلت الناس يكفونون اليقيم لأنهم يرونه عاجزاً وبسبب وأما هذا فبأنه قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثنا فليجهد نفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطالاً قد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستأن به على التضرع لله تعالى فما ليطال والتوكل وإن كان مشتملاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو موافق على العلم والعبادة قاتلاً لا يؤمونه في ترك الكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتباه بالله تعالى يقرر حبه

إلا ويصره فإذا سود القاب وعصاه الرين لا يصر الشيطان .
روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو زرع واستغفر وتاب سقل وإن عاد زيد فيه حتى تملأ قلبه قال الله تعالى - كلال ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - »
سمعت بعض العارفين يقول كلاماً دقيقاً كوشف به قال الحديث في باطن الانسان والحال الذي تراه لباطنه وتخيّل بين القلب وصفاء الله كـ

في قلوب الناس حتى يسمعون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يثق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس ومارى إلى الآن عالم أوعايد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمارات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله قدر عليه فإن من كان الله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخره القلوب كاسخر قلب الأول لها فقد قدر الله تعالى لللك ولللكوت تدبيرا كافيا لأهل لللك ولللكوت فمن شاهد هذا التدبير وتيق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب إلى الأسباب ، نعم ما برره تدبيرا يصل إلى للشتغل به الحلو والطبوز البجان والنياب الرقيقة والحيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الأحوال لكن دبره تدبيرا يصل إلى كل مشغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعر أو حشيش يتناوله لا محالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا يسب ترك التوكل إلا رغبة النفس في التمتع على الدوام وليس الياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضئيف عند من اقتضت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر لللك ولللكوت تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرا ندورا عظيما يتصور منه في حق الضطرب فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس انظر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال ووددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدنيار . وقال وعيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا وانتميت برزقي لظننت أني مشرك فإذا نهيت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإن كانه أنكره من جهل فأيا كان تجمع بين الإفلاس الإفلاس عن وجود لقام ذوقا والافلاس عن الإيمان به علما ، فأذن عليك بالقناعة بالبرز القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يمش إليك رزقك على يدى من لا تحسب فإن اشتغلت بالقوى والتوكل شاهدت بالتجربة بمداد قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، إلا أنه لم يشكك له أن يرزقه لحلم الطير ولقد اندد الأظمة لما ضمن الإفرازق الذي تدوم به حياته وهذا الضمون مبلول لكل من اشتغل بالضمائم والمطمأن إلى ضيائه فإن أدى أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما تظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يمتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قاله الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجليد قال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال إن علمت أنه يشاكم فذكروه قالوا ندخل البيت وتوكل ونظر ما يكون فقال التوكل على التجربة عك قالوا لما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الخراز كنت في البادية خائف جوع شديد فقلت نسي أن أسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من أضال للتوكلين فقال لي أن أسأل الله صبرا فما سمعت بذلك سمعت هاتين بيتي ويقول :

ويرغم أنه منا قريب وأنا لا نضيق من أناة

ويسألنا على الإلتزام جهدا سكنا لا نراه ولا يرانا

قد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضيف بالجلين باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا وانها بالله عز وجل فإن أسوأ أحواله أن يموت ولا يدان بأن ياتيه الموت كإتيان من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما قرر فبأته عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منافاة وعادات وتلقا وتوددا وكلا انطلقت النفس في شئ يرواها من القول والقول تأثير القلب بذلك وبمكثر فإذا عاد البعد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وعمل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمناجاة ، النفس وذكر النفس شيئا من فعلها وقولها كاللأم للنفس والمناجاة لها على ذلك فإذا كان الخاطر أول الفعل

ليس مطمئناً فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القانين بهذه الأسباب التى درها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما برده عليك من الأرزاق العجيبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك ولا تكن فى توكلك منتظراً للأسباب بل بسبب الأسباب كالاستكون منتظراً لقم الكاتب بل قلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والحركة الأولى واحدة لا يفتنى أن يكون النظر إلا إلى ههنا وهذا شرط توكل من غيوض البوادرى بلزاد أو قمد فى الأمصار وهو خامل وأما الذى له ذكر بالعبادة واللم فاذن قنع فى اليوم واليلية بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يلبق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحسب ولا يحسب على الدوام بل يأتيه أضماؤه فكره التوكل وإتهامه بالرزق غاية الضعف والقصور فإن اشتهر بسبب ظاهر يحجب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار فى حق الحامل مع الاستكساب فالإتهام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلم أتبع لأن شرطهم القناعة والمالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أبدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لا يلقى بالعامل الذى سلوكه يظهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع من السير بالسكر الباطن فاشتغاله بالسلك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه خضع لله عز وجل وإعانة للعلم على نيل الثواب ومن نظر إلى مجارى سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكسرة حكياً عن الأحق للرزق والمائل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه إذ نور رزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فساوأوا خلافه علواً أن الرزق غيرهم ولا تعلق بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحيا هلصكن إذن من جهلن البهائم

(بيان أحوال للتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال)

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤل الوقوفى بيدان على باب قصر للآل وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلاتنا كثيرة ومهم أرغفة من الحبز وأمرهم أن يطعموا بعضهم رغيفين وبعضهم رغيفاً رقيقاً ويحبثوا في أن لا يفتلوا عن واحد منهم وأمر نادياً حتى نادى قبيهم أن اسكنوا ولا تملقوا بفلان إذا خرجوا إليكم بل يفتنى أن يطعم كل واحد منكم في موضعه فإن الفلان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فن تلقى بالفلان وأكادهم وأخدر رغيفين فاذا قنع باب اليدان وخرج أتيته بفلان يكون موكلاً به إلى أن أقدم لعقوبته في ما مدموع عدى ولكن أخيه ومن لم يؤد الفلان وقنع برغيف واحد أنه من يد الفلان وهو ساكن فأتى أخضه بخلة سنية في اليدان المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلة له ومن أخطأ غلاتي لما أوصلا إلى عيشا فبات الليلة جائعاً غير متسخط للفلان ولا قاتلاً لئنه أوصل إلى رغيفاً فأتى غدا استوزره وأقرضه ما سلك إلى فاقسم السؤل إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى التقوية والعودة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جاعون قبادروا إلى الفلان فأقدم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في اليدان المذكور فقدموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالفلان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لقبلة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلة وقسم قالوا إنا نجلس بجراى من الفلان حتى لا نخطئها ولكن تأخذ إذ أعطونا رغيفاً واحداً ونقنع به فلما توزر بالخلة فزاروا بالخلة وقسم رابع اختلفوا في زوايا ليدان وانحرفوا عن مرأى أعين الفلان وقالوا إن اتبونا وأعطونا قننا برغيف واحد وإن

ومفتحه لفرقه من
أم شأن البعد لأن
الأضال من الخواطر
تنشأ حتى ذهب بعض
العلماء إلى أن العلم
للقترض عليه يقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « طلب
العلم فريضة على
كل مسلم » هو علم
الخواطر قال لها أول
العمل وبساده فساد
العمل وهذا لعمري
لا يتوجه لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أوجب ذلك على كل
مسلم وليس كل المسلمين
عندهم من القرعة
والعرفة ما يعرفون به
ذلك ولكن يعلم
الطالب أن الخواطر
بثابة البدر فتهاهاو

أخطأوا قاسمنا شدة الجوع اللية فلما نهوى على ترك التسخط فتألمت الرية الوزارة درجة القرب عند ذلك فما نفهم ذلك إذ اتبعهم التلعان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغبنا واحدا جرى مثل ذلك أياما حتى انتهى على الندور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تضر عليهم أضرار التلعان وشغلنا غفل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم لثالثنا تعرضنا للتلعان وأخذنا طعامنا فلنسا نطيق الصبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والأسباب فهذا مثال الخلق والميلان هو الحياة في الدنيا وباب الميادان لوت وللماد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتكلم إذا مات جائنا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وللتعلق بالتلعان هو للتدنى في الأسباب والتلعان للسخرين هم الأسباب والجالس في ظاهر الدنان يرى التلعان هم للقيوم في الأمصار في الرباطات والساجد على هيئة السكون والخفتون في الزوايا هم الساعون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تفهم والرزق يأتيهم لإطاع سبيل الندور فأن مات واحد منهم جائنا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انضم الحاق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من الشرة الباقية في الأمصار مترسعين للسبب بمجرد حضورهم واشتارهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز القرب واحد وله كان كذلك في الأعصار السالفة وأما الآن فالتارك للأسباب لا يتنهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[الفن الثاني في التعرض للأسباب الادخار] فمن حصل له مال يربث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل كل إن كان جائنا وليس إن كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويقرق الباقي في الحال ولا يأخذ ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه يدخره على هذه التية فهذا هو الوافي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية للقاء هذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر تسعة قضا فونها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا الثلاثة : الفأرة والخنزير والجمادى . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما قضا فونها فهذا هل يوجب حرمانه من اللقائم الحمد للوعود في الآخرة للتوكلين اختلوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو طالب للسك لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلامدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فاته يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب الجبين ، ثم أصحاب الجبين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب الجبين تتلاصق أسافل درجات السابقين فلامن التقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس أن ذلك كالمعتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم ليلة فمتفاوتون في الساعات وأقسام ما يتصور أن يكون عمر الانسان ويشتد درجات لاحصر لها فمن يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى القصور من يؤمل سنة وخمسة بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بيد فدان تلك الواقعة مقاصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعد كان لا يتم إلا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما قال عليه السلام وإن الله خروطينة آدم يده أربعين صباحا (١) ، لأن استحقاق تلك الطينة الخمر كان موقوف على مقتبلتها ماذكر فإذن ما وراء

(١) حديث فخر طينة آدم يده أربعين صباحا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث

بذر السعادة ومنها
ما هو بذر الشقاوة .
وسبب اختيار
الخواطر أحد أربعة
أشياء لا خاسر لها إما
شفق اليقين أو قلة العلم
بعمق صفات النفس
وأخلاقتها أو تباهة
الغوى بغير قواعدها
التقوى أو هبة الله في
جاهها . وما لها مطلب
الرفعة والازالة عند
الناس فمن عصم
عن هذه الأربعة
يفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن
اجتنب بها لا يلبسها
ولا يلبسها وإن كشف
بعض الخواطر دون
البعض لوجود بعض
هذه الأربعة دون
البعض وأقوم الناس

السنة لا يدخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب فان أسباب الدخول في الارتفاعات والارتفاعات تتكرر بتكرار السنين غالباً ومن آخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمه ومن كان أمه شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا ينفع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً ، وإن ضعف قلبه فسكنا على الادخار كان فضله أكثر ، وقد روى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه وأسامته أن يسلا فسلاه وكفناه يردته فلما دفعه قال لأصحابه «إنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولو لا خصلة كانت فيه ليمت ووجهه كالشمس الضاحية . قلنا وما هي يا رسول الله ؟ قال كان صوامقاً وما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما أوثقتهم وعزيمة الصبر (١) الحديث ، وليس السكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما توب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا يزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه إلى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فان كان يستشرف في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضيقة يكون دخله وأقيا بقدر كفايته وكان لا يفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى لأن للتصود إصلاح القلب لينجرد فذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والهنود ما يشغل عن الله عز وجل والإفانديا في عيائهم محذورة لاجودها ولا علمها ، ولقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التجار بترك تجارتهم ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصاف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم للفرد ، فأما للميل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لئلا يجبر لضيقهم وتسكين قلوبهم وادخار أكثر من ذلك يبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا قوت سنة (٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئاً لئلا تدخره ونهى بلال عن الادخار في كسرة خبز ادخارها ليفطر عليها فقال ﷺ «أثقي بلالا ولا تخفي من ذي العرش إقلالا» (٣)

ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف جدا وهو باطل (١) حدث أن قال في حق الفقير الذي أمر علياً أو أسامة فضله وكفناه يردته أنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفي آخره من أقل ما أوثقتهم وعزيمة الصبر لم أجد له أسلاً وتقدم آخر الحديث قبل هذا . (٢) حديث ادخر لئلا قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة (٣) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لقد تقدم نهى لأم أيمن وغيرها (٤) حديث نهى بلال عن الادخار وقال أثقي بلالا ولا تخفي من ذي العرش إقلالا بلال عن حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ، وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكلها ضعيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز ثم أراه .

بميزان الجواهر وأموهم بمعرفة النفس ومعربها صعبة الثال لا تكاد تيسر إلا بعد الاستصمام في الزهد والتفوى . واثق للشايع على أن من كان أحسنه من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة . وقال أبو علي الله تعالى من كان قوته معلوما لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق لا يقيد وذلك أن من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لعباده أن يسبق إليه في الأخذ منه والنقوت به ومثل هذا المعلوم لا يجب عن تمييز الجواهر إنما ذلك

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ » (١) اختدأ يسيد للتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال يتيم مع قرب الماء ويقول « ما يدري لى لا يألفه » (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذا كان لا يتق بما ادخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تحلياً للأقوياء من أمته فإن أتوا أمته مستغفراً بالإضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لئلا يهتدوا للضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر « أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » (٣) تطيبا لقلوب الضعفاء حتى لا يتيسر بهم الضعف إلى اليأس والفتور فيتركوا اليسور من الخير عليهم يسجزم عن منتهى الدرجات كما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة الملائين كلهم على اختلاف أصفانهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، وبدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي فأوجده له كفن فقال **يُحْيِي** فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان » (٤) وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين أحدهما أنه أراد كيتان من النار كما قال تعالى - تكويهم بأجهاهم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله يظهر الرهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تليس. والثاني أن لا يكون ذلك عن تليس فيكون للتبلى به نقصان عن درجة كاله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتان في الوجه وذلك لا يكون عن تليس فإن كل ما يغفله الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتي أحسن الله نياشيناً إلا بقصده من الآخرة . وأمّا بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدخر ليس من ضروره بطلان التوكل فيشبهه ما روى عن بشر قال الحسين الغزالي من أصعابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أحمى خفيف المارضين فقام إليه بشر قال وما رأيت ظمأ لحد غيره قال ودفع إلي كفاً من دراهم وقال اشترئ من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال جئت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيت أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذته الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فبقيت من ذلك وكبرهته فقال لي بشر لعلك أنكرت فلهذا قلت ثم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذلك أخونا فتح للوصلى زارنا اليوم من الموصل فأنما أراد أن يسلنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار [الآن الثالث في مباشرة الأسباب المضافة للضرر المرض للخوف] اعلم أن الضرر قد يمرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب المضافة رأساً أمافي النفس فكالتوكل في الأرض المسببة أوفى بجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المتكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ، ثم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومنظوة وإلى موهومة تركه للموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقة

يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإشاراً لأنه ينبغي لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسلف من إرادته فلا يحجبه للسلام وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلغ فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى ذلك ولم يجب بوسوس أخرى إذ لا فرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ في الحاطرين إذا كانوا من الحق أجمعا يتبع قال الجنيد الحاطر الأول

- (١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهوقفة . حديث الحق الله فقيرا [١] قد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ويقيم مع قرب الماء ويقول ما يدري لى لا يألفه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمرو وقد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا ثوباً في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث الحق الله فقيرا الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل فلهذا جئنا بـ

فان الكي والريقة قد تقدم به على المجهود فضلا ما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المجهود للزاله لورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسد للتوكلين إلا بترك الكي والريقة والطيرة ولم يصنعهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة واجبة تلبسوها لغير التوقع وكذلك كل ما في معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار بأكل التوم مثلاً عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهيئاً لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتحويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة وترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فأخذه وكبلاً وأصبر على ما يقولون - وقال تعالى - ولنصبرن على ما آتيناكموا على الله فليتوكل للتوكلون - وقال عز وجل - ودع أدام وتوكل على الله - وقال سبحانه وتعالى - فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - ثم أجر المالمين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أنى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والقوارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إلا بالندف فيه ولا يراد السعى ولا يترك السعى لئنه بل لإعاقته على الدين وترعب الأسباب ههنا كترتها في الكسب وجلب للنافع فلا تلوط بالأعادة وكذلك في الأسباب الدافعة عن اللال فلا ينص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إقامتها وإماضنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهل البعير وقال توكلت على الله واعتقلها وتوكل^(١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - وقال تعالى لموسى عليه السلام - فأمر ببيادى ليلا - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله ﷺ في الفار اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر^(٢) وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بين أن الظنون كالقطع وإنما هو للوهوم هو الذي يقتضى التوكل تركه . فان قلت قد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسد بيده على كتفه ولم يتحرك . فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يترك ذلك للتمام فإنه وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من القبر بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها . فان قلت وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليها ؟ فأقول : الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك التمام السابقة عليها أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى النضب فلا يزال يضك ويصيح غيرك فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستشل إلا بإهارتك وكان مسخراً لك فربما ترفع دجرك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكتب دارك أولى بأن يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكتب إهابك أولى بأن يسخر من كلب دارك فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر . فان قلت فإذا أخذ للتوكل سلاحه حذراً من الدواب وأغلق بإبه حذراً من اللصوص وعقل بصره حذراً من أن ينطلق فيأبى اعتبار يكون متوكلاً . فأقول يكون متوكلاً بالعلم والحوال فأما العلم فهو أن يعلم أن اللصوص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه فكيف من باب ينطق ولا يندفع وكيف من بصر يعقل ويموت أو يغفل وكيف من أخذ سلاحه يقتل

(١) حديث اعتقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكر ورواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد فيها (٢) حديث اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعاً للضرر تقدم في قصة اختفائه في الفار عند إرادة الهجرة .

لأنه إذا بقي رجح صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم . وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول . وقال أبو عبيد الله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أهم من الحواطر لأن الحواطر تخص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تمكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط . وقيل بنوع التوحيد يقبل الخطر من الله تعالى ويؤثر للفرقة يقبل من للكل وبؤر الإيمان

أو يغلب فلا تستل على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب كما نرى بالمثل في الوكيل في الخصومة فانه إن حضر وأحضر السجل فلا يستل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سيطتك وأتراض بحكمك فاني لأدري أن ما أعطيتني به فلا تسترجعها وأطاريه وودعة تسترهما ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي غيري وكثيراً قضيت فأتراض به وما أغلقت الباب تحصناً من قضاك وتسخطاً به بل جراً على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا تقة إلا لك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه عليه لم يخرج عن حدود التوكل بقول البير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فبينى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد لم يجد. ووجه مسروقاً نظري إلى قلبه فإن وجد من راضياً أو فرحاً بذلك علماً أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه. وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا لمن لا يتأسف على مفات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكوه بل يكتسبه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى قلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب يدهنه قد كانت السرقة مزيداً له في ذنبه من حيث إنه ظهر له تصوره عن جميع اللقائات وكذباً في جميع الدعاوى فبهذهذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاوئها ولا يتدلى بحبل ضرورها فانها خداعة إمارة بالسوء مدعية للغير. فان قلت فكيف يكون للتوكل ما لا حق فيه. فأقول للتوكل لا يخول بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يخطب بزاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات الحياة من أثاث البيت وقد يدخل فيه ما هو بمسكه ليجد محتاجاً لغيره إليه فلا يكون ادخاره على هذه التبة ميظلاً لثوكة وليس من شرط التوكل إخراج السكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإيما ذلك في اللأ كوله وفي كل ما زاد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء للتوكلين في زوال الساجد وما جرت السنة بتفرقة الكبرياء والأئمة في كل يوم ولا في كل أسبوع والمخرج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والقرص والإبر تدون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأميين. فان قلت فكيف يصور أن لا يحزن إذا خلفتنا الله الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي ثم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهي ما يجتبه إليه فكيف لا تأذى قلبه ولا يحزن وقد جيل بينه وبين ما يشتهي. فأقول إما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذا كان يظن أن الحيرة له في أن يكون له ذلك التناع ولولا أن الحيرة له في المارزة الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعاً به إذ يحتمل أن تكون خيرة الله في أن يتنزل فبذلك حتى ينصب في تحصيل فرضه ويكون ثوابه في التسبب والتعب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتبسيط المسس تيسر ظنه لأنه في جميع الأحوال والوقائع بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الحيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخير على الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يصور أن يندفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحاً بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسر هامسبب الأسباب عنابة وتلفاً وهو كالمرضى بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم إليه النداء فرح وقال لولا أنه

ينهى النفس ويؤمر
الاسلام يرد على العدو
ومن قصر عن درك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تمييز الخواطر
الخطير أولاً يميزان
السرور فما كان من
ذلك فلا وفر ضاحيه
وما كان من ذلك محرماً
أو مكروهاً يشفيه فان
استوى الخاطر ان في
نظر الطبيب أقرهما
إلى عافية هوى
النفس فان النفس قد
يكون لها هوى كامن
في أحدهما والتألم من
عائق النفس الاعوجاج
والركون إلى العيون
وقد لم الخاطر بنشاط
النفس والبديهة أنه
ينبوض القلب وقد
يكون من القلب قائق

يسرف أن القداء ينبغي وقد قوت على استماله لما قرب به إلى دين آخر عنه القداء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن القداء يسرقني ويسوقني إلى اللوث لما حال بيني وبينه وكل من لا يستغنى في لطف الله تعالى ما يلقه للرب في الواك للشفق الخائف لم الطب فلا يصح منه التوكل أملا . ومن عرف الله تعالى وعرف أهله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لا يبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي للتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يتل بواقعة لأجل غناه يقول باليتي كنت فقيرا .

(بيان آداب للتوكلين إذا سرق متاعهم)

للتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه . الأول : أن يلق الباب ولا يستغنى في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع التلق وبكمه وأخلافة كثيرة قد كان مالك بن دينار لا يلق بابا ولكن يشده جريطا ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا معرض عليه السراق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إفساكه يكون سبب هيجان رغبته ولذلك لما أهدى الفقرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خطبا لأحاجة لي إليها قال له : قال يوسوس إلى المدون ألم أخذها فساكنه احتز من أن يعصى السارق ؟ ومن غفل قلبه يوسوس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن يدعى عند خروجه الرضا بما يغنى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : إحداهما أن يكون ماله مانعا له من اللصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بسدود قد زلصصه بها كل الحرام لما أن جعله في حل . والثانية أن لا ينظم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو بدفع اللصية عن السارق أو تخفيفها عليه قد تصح للسلفين وأمثل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » (١) ونصر الظالم أن تمنحه من الظلم وضوءه عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تقصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويثير القضاء الأزل ولكن يتحقق بالذهنية فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك المزل فأتى النطقة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجلبع وعاش قتلت في سبيل الله تعالى وإن لم يولد له (٢) لأنه ليس أمر الولد إلا الواقع فأما الحق والحيطة والرزق والبقاء فليس إليه فهو خلق لكان ثوابه على فعله وقضاه لم ينضم فكذلك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد لئال مسروقا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الميرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يزال في طلبه في إساءة الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك المزل وأثر النطقة قرارها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلا .

بكنونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى شيء ساءة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشبه خواطر الحق على من يكون ضيف العلم فلا يدرك ثبات القلب والخواطر للثبوت منه إلا العلماء الراسخون . وأكثر ما يدخل الآفات على أرباب القساوي والأخذ من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القليل وذلك قوة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الملو في فهم . وينبغي أن يعلم السجد قطعا أنه مهما بقى عليه أثر

أعيد عليه فالأولى أن لا يقبض بهد أن كان قد جبهه في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقبه فطلبها حتى أعيأ ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصل فيه وركعتين فجاهد رجل ، قال : يا أبا عبد الرحمن إن ثاقبتك في مكان كذا فليس فله وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم يهد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل فيها فأريتها قال وهو مع ذلك كتيب حزير فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزير تنفس الصعداء ثم قال لم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إني لما رأيت منزلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ماريت مثلي فيها رأيت فقرحت بها فقامت بدخولها نادى مناد من فوقها اسرفوه عنها فليست هذه ؟ إنما هي لمن أمضى السيل ، فقلت وما إضفاء السيل ؟ قيل لي كنت تقول لشيء إنه في سبيل الله ثم رجعت فيه فلو كنت أمضيت السيل لأمضيتك . وحكي عن بعض الصياد بمكة أنه كان قائما إلى جنب رجل معه هيانه فاتبعه الرجل ففقد هيانه فاتهم به فقال له كم كان في هيانك فذكر له حلمه إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الصيادين مزحاما معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذ خذ حلالا طيبا فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصره صرورا ويبيع بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فبكنا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رخيلا ليعطيه فقيرا فخاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدرام والدينارين وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل تركه ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ في بطل أجره أيضا فبأن يبيع به في الخير « من دعا على ظاله قد أتى » . وحكي أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يسلم فلم يقطع صلاته ولم يزعج لطلبه فجاهد قوم يمزونه ، فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحمله قيل وما منك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تضلوا وتولوا خيرا فإني قد جعلتها صدقة عليه . وقيل لبضهم في شيء قد كان سرق له ألا يدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيا ، رأيت لورد عليك قال لا أخنه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، قال ما ظلمي أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه السكن ظم نفسه حتى أزيد شرا . وأكثر لبضهم هتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لاسرق في شتمه فإن الله تعالى ينصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن البديل يظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالما ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبق للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يمتنع له من اللطوم » . السادس أن يتم لأجل السارق وعصيانه وعرضه للذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جبهه مظلوما ولم يجهه ظالما وجعل ذلك قصا في دنياه لا قصا في دينه فقد شكى بعض الناس إلى طالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

من المولى وإن دق
وقل يبق عليه عسبه
قبية من اهتياه
الخواطر ثم قد غلط
في تميز الخواطر من
هو قليل السلم ولا
يؤاخذ بذلك ما لم يكن
عليه من الشروع
مطالبة وقد لا يسامح
بذلك بعض الناطقين
كوهفوا به من دقي
الحفاء في التميز ثم
استعجلهم مع علمهم
وقلة التثبت . وذكر
بعض العلماء أن لمسة
للك ولمسة الشيطان
وجدت لحركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت اتسع من
جوهرها ظلمة تنكث
في القلب همه سوء
فينظر الشيطان إلى

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد اتهمه (٢) حديث إن البديل يظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالما ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبق للظالم عليه مطالبة الحديث تقدم .

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في السلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت
للسلمين. وسرق من على بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال
أهل الدنانير بكي؟ فقال لا والله ولكن على السكين أن يستل يوم القيامة ولا تكون له حجة
وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق
السلف رضى الله عنهم أجمعين .

[القرن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدفع الضرر والرضاء] اعلم أن الأسباب للزينة للعرض أيضا
تقسم إلى مقطوع به كالسقاء للزيل لضرر العطش والحجر للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالنصد
والحجامة وتوشب الهواء السهل وسائر أجواب الطب أغنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة
وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكنى والرقية . أما لقطع فليس من التوكل تركه
بل تركه حرام عند خوف اللوث. وأما للهجوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم للتوكلين وأقولها السكى ويلىه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتداع عليها والالتكال إليها
غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة للتوسعة وهي للظنونة كالدواء بالأسباب الظاهرة عند
الأمهات فقصه ليس مناقضا لتوكل بخلاف للهجوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون
أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين المرجئين ويدل على أن
التدأوى غير مناقض للتوكل فدل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه
وسلم « مامن داء إلا له دواء عرفة من عرفه وجهه من جهه إلا السام » (١) « ينى الموت وقال
عليه السلام « تدأوا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء » . « وسئل عن الدواء والرقى هل ترد
من قدر الله حيث أقال: هي من قدر الله » (٢) وفي الخبر المشهور « ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا
مر أمك بالحجامة » (٣) وفي الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة
واحدى وعشرين لا يتبيخ بك الدم فيقتلك » (٤) « فذكر أن تبخخ الدم سبب الموت وأنه قاتل
يلذ الله تعالى ويمن أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم للمهلك من الإهاب وبين
إخراج المقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالاغواء
والوسوسة وذكر أن
حركة النفس تكون
إما هوى وهو عاجل
حظ النفس أو أمنية
وهي عن الجهل
الفرى أو دعوى
حركة أو سكن وهي
آلة العقل وعنه القلب
ولازد هذه الثلاثة إلا
بأحد ثلاثة جهل
أو غفلة أو طلب فضول
ثم يكون من هذه
الثلاثة ما يوجب فيه
فاتها تركه بخلاف
مأمور أو على وفق
منهى ومنها ما يكون
فيها فضيلة إذا ورت
بإباحة . وذكر أن
الروح إذا تحركت
انقدح من جوهرها
نور ساطع يظهر من

(١) حديث مامن داء إلا له دواء عرفة من عرفه وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبراني من
حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفة إلى آخره
وإسناده حسن والترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الحرم والطبراني في الأوسط والبخارى
من حديث أبي سعيد الخدرى والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخارى
من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزله له دواء ولمسلم من حديث جابر لكل داء دواء
(٢) حديث تدأوا عباد الله الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ « من حديث أسامة بن شريك
(٣) حديث سئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال هي من قدر الله الترمذى وابن ماجه
من حديث أبي خزيمة وقيل عن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذى وهذا أصح (٤) حديث ما مرت بلا
من الملائكة إلا قالوا مر أمك بالحجامة الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن
ماجه من حديث أنس بن سعيد (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
الحديث البخارى من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورضه الترمذى باللفظ « من حديث أسامة بن شريك
سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ » وقال حسن غريب وقال البخارى إن طريقه المقتضية أحسن
من هذا الطريق ولا ينماجه من حديث أنس بن سعيد من أراد الحجامة فليعتبر بسبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروح عن سنة الوكيل أصلاً وفي خير مقطوع ومن احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة (٢) وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصعابة بالتداوى وبالجملة (٣) وقطع لسعد بن معاذ عرفاً (٤) أي قصده وكوى سعد بن زبارة (٥) وقال ليل رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين «لأن كل من هذا يئى الرب وكل من هذا فانه أوفى لك» (٦) يئى سلقاً قد طبخ بدقيق شعير . وقال لصيب وقد رآه يأكل الخمر وهو وجع العين «تأكل خمرًا وانت أرمد» قال إنى أكل من الجانب الآخر خبسم صلى الله عليه وسلم (٧) . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة (٨) قيل السائل للكني . وتداوى بشيء غير مرة من القرب وغيرها (٩) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فكان يلقفه بالخناء (١٠) وفي خير أنه كان إذا خرجت به قرحة جل عليها خاء وقد جل على قرحة خرجت به ثياباً (١١) وماروى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج من الحضر وقد صنف في ذلك كتاب وصي طبي التي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الأسراليات أن موسى عليه السلام احتل بطة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا ملته

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن جبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف في راويه في الصعابي وكلاماً فيه زيد السمي وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوى لتبر واحد من الصعابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوه تداؤوا الحديث وسأى في قصة على وصيب في الجملة بعده (٣) حديث قطع عرفاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال رضى سعد في أكله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم يده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى أسد بن زبارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال ليل وكان رمداً لأن كل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم التلث (٦) حديث قال لصيب وقد رآه يأكل الخمر وهو وجع العين تأكل خمرًا وانت أرمد رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة ابن عدى من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه سيف بن محمد كذب أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبغته عقرت فتشى عليه فراقه الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى ضمخ كفاً من شونيز وشرب عليه ماء وعسل ولأبي جلي والطبراني في الكبير من حديث جده الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد مسلم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فلقفه بالخناء البزار وابن عدى في السكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأوصى بن حكيم كان إذا خرجت به قرحة جل عليها خاء الترمذي وابن ماجه من حديث مسلم قال الترمذي غريب (١٠) حديث جل على قرحة خرجت يدهمتر بالبخاري ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت قرحة أوجرح قال النبي صلى الله عليه وسلم يدهمكتك ولو وضع شفيان بن عينة الراوى سبائه بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا وورقة بضنا شفى مقينا.

ذلك الثور في القلب همة
عالية بأحد معان ثلاثة
إما بفرض أمر به
أو بفعل تعب إليه
وإما بجامح يسود
صلاحه إليه وهذا
الكلام يدل على أن
حركى الروح والنفس
هما للوجبتان لمتين .
وعندى والله أعلم أن
المتين يقسمان على
حركة الروح والنفس
فحركة الروح من له
اللائحة الهمة العالية من
حركة الروح وهذه
الحركة من الروح يركه
له اللائحة حركات النفس
من له الشيطان ومن
حركة النفس الهمة
الدينية وهي من شؤم له
الشيطان فلذا وردت
المتان ظهرت الحركات

فقالوا له لودايت بكذا لبرئت فقال لا تدأوى حتى يماضي هو من غير دواء فطالت عليه فقالوا له
دواء هذه العلة معروف مجرب وإنما تدأوى به قبرا فقال لا تدأوى وأقامت عليه فأوحى الله تعالى إليه
وعزق وجلال لأبرائك حتى تدأوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فدأووه نبرا
فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمي بتوكلك طي من أودع العقاقير
منافع الأشياء غيري . وروى في خير آخر أن نيا من الأنبياء عليهم السلام كاعلة بجدها فأوحى الله
تعالى إليه كل اليس . وهكذا في آخر الضف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم بالين فان فيها القوة قبل
هو الضف عن الجلع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم
أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد . وغسل ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه
يسور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبل السفرجل والنفساء الرطب فيها تين أن مسبب
الأمسياب أجرى سنته بربط اللبيات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى
كأثر الأسباب فكأن الحز دواء الجوع ولواء دواء العطش فالسكبين دواء الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لا يخرقه إلا في أحد أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح
يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكبين يدركه بعض الخواص فمن أدرى ذلك بالتجربة التحق
في حقه بالأول : والثاني أن الدواء يسهل والسكبين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب
في الزواج ربما يتبدل الوقوف على جميع شروطها وربما يغوث بعض الشروط فيقتادع الدواء عن
الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى لواء شروط كثيرة وقد يتفق من الموارض ما يوجب
دواء العطش مع كثرة شرب لواء . ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر في هذين الشئتين
والأفاسبب يتلو السبب لاهالة بهما تحت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتفسيره
وترتيبه بحكم حكته وكل قدرته فلا يضر التوكل استعماله مع النظر إلى سبب الأسباب ودون الطبيب
والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب من الداء والدواء فقال تعالى من قال فاصنع الأطباء
قال يا كلون أرزاقهم ويطيرون نفوس عبادي حتى يأتي شفاي أو قضائي فاذن معنى التوكل مع التدأوى
التوكل بالمع والحوال كما سبق في فنون الأعمال الدافعة لضرر الجالبة للنفع فأما ترك التدأوى رأسا فليس
شرطا فيه . فان قلت قالكي أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب
الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السهل وسقي للبردات المحرور وما السكي فلو كان مثلها في الظهور
لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد السكي في أكثر البلاد إنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب
فهذا من الأسباب للوهومة كالرقى لأنه يتميز عنها بأمر وهو أنه إحراق بالنار في الحال مع الاستثناء
عنه فانه مامن وجع يبالغ بالسكي إلا لوهة دواء يغني عنه ليس فيه إحراق فالإحراق بالنار جرح حربي
لبنية محذور السراية مع الاستثناء عنه بخلاف القصد والحجامة فان سرايتها بعيدة ولا يسد مسدها
غيرها ولذلك انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكي دون الرقى (١) وكل واحد منهما بعيد
عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأهأروا عليه بالسكي فامتنع فلم يزوالا وعزم عليه
الأمر حتى اكنوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم على اللاسكة فلما كنوت انقطع
ذلك غي وكان يقول اكنوتنا كيات فوالله ما أظلمت ولا أصبحت ثم تابعت ذلك وأنتب إلى الله تعالى

(١) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكي دون الرقى البخاري من حديث ابن عباس
وأبهرى أمي عن السكي ، وفي الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرقية من كل ذي حمة .

وظاهر من العطاء
والاستلاء من معط
كريم وميل حكيم وقد
تسكون هاتان اللتان
متداركتين وينبغي أثر
إحداهما بالأخرى
ولنفطن التيقظ
ينفتح عليه بمطالعة
وجود هذه الآثار في
ذاته باب أنس ويقي
أبدان فقد أحاله مطالعا
آثار المتن . وذكر
خاطر خامس : وهو
خاطر العقل متوسط
بين الحواطر الأربعة
يكون مع النفس
والمدور لوجود التمييز
وإثبات الحجة على
البدي ليدخل البدي في
الشيء بوجود عقل إذ
لو فقد العقل سقط
العقاب والغنايب وقد

وتمد وفيهم الأطباء فهلك للداوى وللداوى أى أن الهراء غير موقوف به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند الرئيس كذلك قلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يلبس على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المجرّب أعد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من البعاد والزهد هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تسقا في الأسباب كالسكى والرق فيتركه توكلا . السبب الرابع . أن قصد العبد ترك التداوى استيقاء للرض لينال ثواب للرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب هسه في القدرة على الصبر قدورد في ثواب للرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أعد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل ينيل الصبر على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان هدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء » (١) وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب الإبريز لا يربد ومنهم من دون ذلك ومنهم من خرج أسود هرقا » (٢) وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالخرافة لا تعرضون ولا تسقون » (٤) وقال ابن مسعود رضي الله عنه تعبد المؤمن أمس شيئا قلبا وأمرضه جسدا وتعبد للناقص أمس شيئا جسدا وأمرضه قلبا . فلما عظم الله على للرض والبلاء أحب قوم للرض واغتموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة ضعفها ولا يذكرها لطبيب ويقاس الله ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله للرض عنه وإنما يمنع للرض جورحه وعلوا أن صلاحهم تقودا متلامع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لبيدي صالحا ما كان يعمل فاته في وثاق إن أطلقت أبلته لما خيرا من له وما خيرا من دمه وإن توفيقه توفيقه إلى رحمتي » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه أنه نرس » (٦) فليل معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى البدي يصلى من

وإلى دعاوى الروح تارة
وإلى دعاوى الشيطان
تارة فلي هذا لأزيد
الخواطر على أريسة
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يذكر غير
المتين وهاتان العتان
هما الأصل والخطاران
الآخران فرع عليهما
لأن لمة تلك إذا حركت
الروح وهزنت الروح
بالهمة الصالحة قربت
أن تهتز الهمة الصالحة
إلى حفظ الرقرب فورده
عليه عند ذلك خواطر
من الحق وإذا تحقق
بالقرب يتحقق بالتقاء
فثبت الخواطر الربانية
عند ذلك كما ذكرناه
قبل لموضع قرينه
فيكون أصل خواطر
الحق لمة لتلك لمة

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أعد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل ينال ثواب للرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب هسه في القدرة على الصبر قدورد في ثواب للرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أعد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل ينال الصبر على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان هدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء » (١) وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب الإبريز لا يربد ومنهم من دون ذلك ومنهم من خرج أسود هرقا » (٢) وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالخرافة لا تعرضون ولا تسقون » (٤) وقال ابن مسعود رضي الله عنه تعبد المؤمن أمس شيئا قلبا وأمرضه جسدا وتعبد للناقص أمس شيئا جسدا وأمرضه قلبا . فلما عظم الله على للرض والبلاء أحب قوم للرض واغتموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة ضعفها ولا يذكرها لطبيب ويقاس الله ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله للرض عنه وإنما يمنع للرض جورحه وعلوا أن صلاحهم تقودا متلامع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لبيدي صالحا ما كان يعمل فاته في وثاق إن أطلقت أبلته لما خيرا من له وما خيرا من دمه وإن توفيقه توفيقه إلى رحمتي » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه أنه نرس » (٦) فليل معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى البدي يصلى من

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أعد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل ينال ثواب للرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب هسه في القدرة على الصبر قدورد في ثواب للرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أعد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل ينال الصبر على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان هدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء » (١) وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب الإبريز لا يربد ومنهم من دون ذلك ومنهم من خرج أسود هرقا » (٢) وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالخرافة لا تعرضون ولا تسقون » (٤) وقال ابن مسعود رضي الله عنه تعبد المؤمن أمس شيئا قلبا وأمرضه جسدا وتعبد للناقص أمس شيئا جسدا وأمرضه قلبا . فلما عظم الله على للرض والبلاء أحب قوم للرض واغتموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة ضعفها ولا يذكرها لطبيب ويقاس الله ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله للرض عنه وإنما يمنع للرض جورحه وعلوا أن صلاحهم تقودا متلامع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لبيدي صالحا ما كان يعمل فاته في وثاق إن أطلقت أبلته لما خيرا من له وما خيرا من دمه وإن توفيقه توفيقه إلى رحمتي » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه أنه نرس » (٦) فليل معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى البدي يصلى من

قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والتهوض إلى الطاعات يجب من ذلك وقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التدوي بالقوة والصلوة قائما. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فأنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف وإن لم يدخل في شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هولاء البارديسئل عنه لم يأخذوا من لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وللرض لا يتبع من أعمال القلوب إلا إذا كان الله غالبا مدعشا . وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة . السبب الخامس : أن يكون البعد قد سبق له ذنوب وهو خافس عنها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تمكينا فيترك التدوي خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قيل **لا تزال الحى ولليلة بالبعد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا شظية** (١) وفي الخبر «حى يوم كفارة سنة» (٢) قيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلثا وستون مفصلا تدخل الحى في جسمها ويوجد من كل واحد ألفا فيكون كل ألم كفارة يوم ، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموا فلم تكن الحى مخافة حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحى لا تزالهم (٣) ولما قال صلى الله عليه وسلم «من أذهب الله كربة لم يرض له ثوابا دون الجنة» (٤) قال فقد كان من الأنصار من يشفى المسمى وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يخرج بدخوله للصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطايه . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يارب أرحمه فقال تعالى كيف أرحمه فإياه أرحمه أى به أكثر ذنوبه وأزيد في درجاته . السبب السادس أن يستقر البعد في نفسه مبادئ البطر والطغيان تطول مدة الصحة فيترك التدوي خوفا من أن يماجه زوال المرض فتضاده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الأمل والتسوف في تدارك الفات وتأخير الحيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبت الخوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى الدامى وأقلها أن يدعو إلى التسمم في الباحات ، وهو تضعيف الأوقات وإهمال الرع العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله ببدا خيرا لم يخله من التنبه بالأمراض والصائب ولذلك قيل لا يخلو

(١) حديث لا تزال الحى ولليلة بالبعد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه خطية أبو موسى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصدوق بدل الحى والبطراني في الأوسط من حديث أنس مثل المرض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء وقع في صفائها ولونها وأسانيد ضيفة (٢) حديث حى يوم كفارة سنة القضاة في مسند الشهابين حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال ليه بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموا الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمدوا أبو موسى من حديث أبي سعيد الخدرى بسند جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الأمراض تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال لا في وان قلت قال فان هو كذا فاقومها قال فدا عالى أن لا يبارقه العوك حتى يموت الحديث والطبراني في الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جازى الحى قال يجرى الحسنات على صاحبها ما يخرج عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم أنى أسألك حى لا تمنى خروجا في سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا المسجد نيك الحديث والاستناد مجهول قاله طي بن اللدينى (٤) حديث من أذهب الله كربة لم يرض له ثوابا دون الجنة نعم للرفوع منه دون قوله فقد كان في الأنصار من يشفى المسمى .

الشیطان اذا حرك
النفس هوت بمجلتها
الى مرصعها من
التسرعة والطبع
ظهر منها لحركتها
خوارط ملامعة لبرزتها
وطيبتها وهواها
فصارت خواطر النفس
تجبة لمة الشيطان
فأصلها لثان ويتجان
أخرين وخاطر اليقين
والقل مندرج فيها
والله أعلم

[الباب الثامن
والحمس في شرح
الحال وللقام والفرق
بينها]

قد ذكر الاعتناء بين
الحال وللقام واختفت
إشارات الشيوخ في
ذلك وجود الاختلاف
لمسكان تشابهها

لأؤمن من علة أوفلة أوزلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الفقر سجن وللرض قيدي أجيب» بهم من أحب من خلقه فإذا كان في الرض حبس عن الطمان وركوب الماعى فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بهلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالمعافاة في ترك الماعى قد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بهدى؟ قال في معافاة قال إن كنت لم تصب الله عز وجل فأنت في معافاة وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوأ من العصية ماعوفى من عصى الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة البنظ بالعراق في يوم عيد ما هذا الذى أظهروه؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا يصيب الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما أراكم ماعجون - قيل الواو - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالمعافاة . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول المعافاة لأنه لبث أربعين سنة لم يصعب له رأس ولم يعم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لله ولأخذته الشقيقة يوما لشفته عن الفضول فضلا من دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر هالِكِ الذات (١)» وقيل الحمى رائد اللوث فهو مذكرة ودافع للتسوف . وقال تعالى - أولادون أنهم يشتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون - قيل يشتنون بأمراسٍ يختبئون بها ، ويقال إن البعد إذا مرض مرتين ثم لم يتب قال له ملك اللوث يا فافل جارك منى رسول بغير رسول فلم تجب . وقد كان السلف كذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يجابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقالوا لا يخلو لأؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو صاب يلية حتى روى أن حماد بن ياسر تزوج امرأة فلم تمكن بحرض فطلقتها وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة غسقى من وصفها حتى م أن يتزوجها ، قيل وأنها مامرضت قط ، قال لا حاجة لى فيها (٢)» . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، وقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عنى من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليُنظر إلى هذا وهذا (٣)» لأنه ورد في الخبر «الحمى حظ كل مؤمن من النار (٤)» . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما لا تقبل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال نعم من ذكر اللوث كل يوم حشرين مرة (٥)» . وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه فتحزنه» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فها أن كثرت فرائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها فإذ رأوا أنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التدوي كحصانا وكيف يكون حصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم.

(١) حديث أكثرُوا ذكر هالِكِ الذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تضمن (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى م أن يتزوجها فقيل فانها مامرضت قط فقال لا حاجة لى فيها أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره . وقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال إليك عنى الحديث أبو داود من حديث عامر البرام أخى الحضر [١] بنحوه وفى إسناده من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البرام من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقها حسن (٥) حديث أنس وعائشة قبل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟

[١] الحضر : بطن من محارب بن خصفة .

فى قسمهما وقد اخلهما
قترادى لبعض الثوب
حالا وتراعى لبعض
مقاما وكلا الرؤيتين
صحيح لوجود تداخلهما
ولا بد من ذكر ضابط
يفرق بينهما على أن
اللفظ والبارة عنهما
مشم بالفرق فالحال
على حالته وللقام
مقادا لثبوته واستقراره
وقد يكون الذى
بينه حالاً ثم يصير
مقاما مثل أن يثبت
من باطن البعد داعية
المهاسبية ثم تقول
الداعية بطله صفات
النفس ثم تعود ثم
تقول فلا يزال البعد
حال المهاسبية يتعاهد
الحال ثم يحول الحال
بظهور صفات النفس

(بيان الرد على من قال ترك التدوي أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بغيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأفوياء توجب التوكل بترك الدواء، يقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجابة والضعف عند تبنيح اللحم. فإن قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن يترفع القرب أو الحية فلا يتجنبها عن نفسه، إذ الله يبلغ الباطن والقرب تبلغ الظاهر فأى فرق بينهما؟ فإن قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لضعف العطش بالماء ولفج الجوع بالحزب ولفج البرد بالحية وهذا لا قائل به، ولا فرق بين هذه الدرجات فإن جميع ذلك أسباب رتبها محسب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها مئته، ويبدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فاتهم لما قصدوا الشام واتهبوا إلى الحجابة بلقهم الحفر أن به موتا عظيما وباء ذريما فافترق الناس فرقتين، قال بعضهم لا ندخل على الواء قلتي بأيدنا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نهر من اللوث فشكلون كمن قال الله تعالى فهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر اللوث - فرجعوا إلى عمر فسأوه عن رأيه، قال زجع ولا ندخل على الواء، وقال له الحاققون في رأيه: أضر من قدر الله تعالى؟ قال عمر نعم ضر من قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلا، قال: أرايتم لو كان لأحدكم غنم فحيط وادها له شيطان: إحداهما خضبة، والأخرى جعدة ليس إن رعى الخضبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى الجعدة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسانه عن رأيه وكان غابا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك، قال: عندي فيه بأمر المؤمنين شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر الله أكبر قال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا سمعت بالوواء في أرض فلا تدموا عليه وإذا وقع في أرض واتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»^(١) فصرح عمر رضي الله عنه بذلك وسجد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الحجابة بالناس، فلأن كيف اتفق الصحابة كلهم في ترك التوكل وهو من أهل القناعات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل. فإن قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوواء، وسبب الوواء في الطب الهواء وأظهر طرق التدوي للفرار من الضرر والهواء هو الضرر فلم يرضى فيه؟ فأعلم أنه لا خلاف في أن القرار عن الضرر غير منهي عنه، إذ الحجابة والتصد فرار من الضرر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على التصود ولكن الذي ينقدح فيه والمعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه بلا في ظاهر البدن بل من حيث دلول الاستنشاق له فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأعضاء آثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوواء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأذى استحكم من قبل ولكن يتوهم الإخلاص فيصير هذا من جنس اللوهمات كالرق والعلية وغيرها، ولو تجرد هذا للتي لكان منقضا للتوكل ولم يكن منياعه ولكن جاز منياعه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأعضاء في الخروج لما بقي في البلد إلا للرضى الذين أهدمهم الطاعون فانسكرت قلوبهم وقصدوا للتهددين ولم يبق في البلد من يتقيم للادوي يطعمهم الطعام وهم مجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيقًا وخلاصهم منتظر

قال ثم من ذكر اللوث كل يوم عشرين مرة لم أنف له على إسناد^(١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمعت بالوواء في أرض فلا تدموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الحجابة وأنهم بنهم بالثمام وباء الحديث رواه البخاري.

إلى أن تداركه
للعونة من الله الكريم
ويطلب حال الحجابة
وتستقهر النفس
وتتضبط وتندسكها
الحجابة فتصير الحجابة
وطنه ومستقره ومقامه
فيصير في مقام الحجابة
بعد أن كان له حال
الحجابة، ثم ينازله
حال للراقبة، فمن
كانت الحجابة مقامه
يصير له للراقبة
حال، ثم يجوز حال
الراقبة لتناوب السهو
والفلة في باطن العبد
إلى أن يشق ضباب
السهو والفلة وتدارك
الله عبده بالمعونة
فتصير للراقبة مقاما
بعد أن كانت حالولا
يستقر مقام الحجابة

كما أن خلاص الأسماء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين والسلمون كالبقيان يشد بسفه بضالوؤمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الذي يتقدم عندنا في تحليل التهي وينكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البه فاته لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البه حاجة إليهم، ثم لو لم يبق بالبه إلا مطعونون واقفروا إلى للتهددين وقدم عليهم قوم فرجا كان يتقدم استجاب الدخول ههنا لأجل الأمانة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، وهذا شبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الخرف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيًا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماسمه وغلط المباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك . فان قلت ففي ترك التدوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التدوى لينال الفضل ؟ . فنقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكثرها وأخاف على نفسه نيلان العافية وغلبة الشهوات وأحتاج إلى ما يذكره الموت لقلية الفضة أو أحتاج إلى نيل ثواب الصابرين قصوره عن مقامات الراسخين والتوكلين أو نصرت بصيرة عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف النافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغفه بجاهه بمنه عن التدوى وكان التدوى يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فإلى هذه النامى رجعت السورف في ترك التدوى وكل ذلك كالات بالاضافة إلى بعض الحقائق وبقيصان بالاضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه اللقائات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وبرية واحدة عند وجود الأسباب وقددها فاته لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى سبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الأسباب كما أن الرغبة في المال نفس والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالا فهي أيضا نفس بالاضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب كمال من المهربين الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب عنده وكان لا يمكنه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من إمساكه فاته كان أعلى رتبة من أن تقرأ الدنيا، وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها كمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وتركها لأمتهم فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك يظم ضرره، نعم التدوى لا ضرر إلا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خافق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث أنه يقصد به الصحة ليستنبها على المامى وذلك منهى عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا لنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا لحكم التدوى في مقصوده لحكم الكسب فانه إن اكتسب للاعتانة على الطاعة أو على المصيبة كان له حكمها وإن اكتسب للتمتع بالمباح فله حكمه قد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التدوى قد يكون أفضل في بعض الأحوال ، وأن التدوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

قراره إلا بانزاله حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره إلا بانزال حال المشاهدة فإذا منع الصبد بانزال حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه وانزل المشاهدة أيضا يصكون حالاً يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتخلص نفسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالقاء والتخلص إلى البقاء والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل بخرق شفاف القلب وذلك أعلى فروع

(١) حديث تشبه القرار من الطاعون بالقرار من الخرف رواه أحمد بن حنبل في حديثه ثالثة بأسانيد جيد ومن حديث جابر بأسانيد ضيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها تقدم ونظرة عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنبات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك اللهوومات كالسكى والرقى فإن ذلك تحقق في التدبيرات لا يلحق بالتوكلين .

(بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكفائه)

اعلم أن كنهان المرض وإخفاء الفقر وأتواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى القامات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكفائه أسلم عن الآفات ومع هذا فالإظهار لأبأس به إذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة : الأول أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لاني معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدراته تعالى ، فقد كان بشر يصف لبشر الرحمن المطلب وأوجاعه وكان أحمد بن حنبل يضر بأمراس يمجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يتدبى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيحدث به كما يتحدث بالتم . قال الحسن البصري : إذا حاد المريض له تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك هجره وإفشاره إلى الله تعالى وذلك بحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستمد منه السجرا كما روى أنه قيل لمي في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فظهر بضمهم إلى بطن كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أجهل من الله ؟ فأجاب أن يظهر هجره وإفشاره مع ما علم به من القوة والشرارة وتأديب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم : « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية (١) » فبهذه النبات يرخس في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على فقره إلا بضرورة وسير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار السكرانة لعل الله تعالى فإن خلا من قرينة السخط وعن النبات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تسخيم ومزيد في الوصف على الموجود من الملة ومن ترك التداوى توكلنا فلاوجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى السواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله -صبر جيل - لا شكوى فيه ، وقيل ليقوب عليه السلام ما ألقى أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأزمان فأوحى الله تعالى إليه : فرغت لشكواي إلى عبادي فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طائوس ومجاهد أنهما قالَا يكتب على المريض آتيت في مرضه وكانوا يكرهون أن ين المرض لأظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس لفته الله من أيوب عليه السلام إلا آتيت في مرضه فجعل الآتين حظه منه ، وفي الخبر إذا مرض البداوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لمراده فان حدث الله وأتى غير دعواه وإن شكا وذكر شرا فلا كذلك تكون (٢) وإنما كره بعض البياد العياقة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق باب فم يدخل عليه أحد حتى يرا فيخرج إليهم منهم فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أشتى أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره الملة إلا لأجل المراد رضى الله عنه وغنم أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال قد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض البداوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لمراده الحديث تقدم .

لشاهدة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أشأك إيمانا ياتر قلبي ، قال سهل بن عبد الله لقلب تجويزان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسوداؤه والتجويز الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل الثقل في القلب مثل النظر في العين وهو عقل لموضع خصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تبيث الأعمدة المحيطة بالمرئيات هكذا تبيث من نظر الثقل أعمدة السليم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بمون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفيق .

(كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا)

(وهو الكتاب السادس من ربيع اللحيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي زده قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرة ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرة ، ثم استخلصها للكشف على بساط عزته ، ثم جعل لهم بأسمائه وصفاته حق أشرفت بأتوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبجات وجهه حتى احترقت بباريحته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فسلكها اهتزت لملاحظة كنهه الجلال فغشها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصرته ، وكلمته بالانصراف آتية نوديت من سرادقات الجلال صبرا أياها الأنس عن نيل الحق بجمه وجهته ، فثبتت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقي في بحر معرفته ، وعثرة بنار محبته . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكامل نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن الحبة لله هي الناية القصوى من اللقائات والقدرة العليا من الدرجات فما بعد إدارك الحبة مقام الأوهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل الحبة مقام الأوهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهّد وغيرها وسائر اللقائات إن عرّض وجودها فلم تحل القلوب عن الإيمان بامكانها ، وأما حبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكسر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا للواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة الحبة لحوال الإمعان الجنس والثالث ولما أنكروا الحبة أنكروا الأنس والشوق ولادة للتاجه وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف النطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في الحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على للفرقة في الدنيا ثم بيان الأسباب للقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تهاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى فبعد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدناء وكرهه للعاصي لا تقتضيه وكذا القرار من العاصي ثم بيان حكايات وكلمات الصالحين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

اعلم أن الأمة حجة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفرض الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب بهذا فكيف يطيع من أحب وبذل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يهيم ويهوته - وقوله تعالى - والذين آمنوا أشد حبا لله - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إن قال أبو رزين القبيل وإرسول الله ما الإيمان قال أن يكون

(كتاب الحبة والشوق والأنس)

القلب ووصلت إلى سويده وهي حق اليقين هي أسوأ المطايا وأعسر الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كمنسبة الأجر من الثواب إذ يكون ربنا ثم طيننا ثم لنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كالبن ثم هذه الحالة وهي آخر القروع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا مكتسب بحيث كل الواهب من التوازل بالعبد أحوالا لأنها غير مقدورة

الله ورسوله أحب إليك مما سواها^(١) وفي حديث آخر «لا يؤمن أحدكم حتى يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواها»^(٢) وفي حديث آخر «لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»^(٣) وفي رواية «ومن قلب» كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آبؤكم وآباؤكم وإخوانكم - الآية وإنما جرى ذلك في معرض التهديد والإنكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبية قال «أحبوا الله لا تفتكروا بهن ثمه وأحبوا حب الله إياي»^(٤) وروى وأبى الرجال بارسول الله إن أحبكم قال **عليه السلام** استمد فقهر قال إن أحب الله تعالى قال استمد فليلا ^(٥)

وعن عمر رضي الله عنه قال «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كعب قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه فتدريته بين أبويه يندوانه بأطيب الطعام والشراب فذبحه حب الله ورسوله إلى ماتروخ^(٧) وفي الخبر المشهور «إن إبراهيم عليه السلام قال للوثة لإدعاء قبض روحه : هلا ريت خيلا يبيت خلية فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت حبا يكره قتله حببه فقال يملكه الوثة الآن فيأخض^(٨) وهذا لا يبعده إلا بعيد حب الله بكل قلبه . فإذا علم أن الوثة سب الاقتاع أزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى بلغت إليه وقد قال نينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبا وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبا واصل حبا أحب إلى من لاء البارد^(٩) » وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يا رسول الله من الساعة أقام ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم للره مع من أحب^(١٠) » قال سألت لمارأيت للسليلين فرحوا بى^(١١) بعد الاسلام فرحم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاتي من خالسي هبة الله تعالى هبة ذلك من طلب الدنيا وأوحشه عز جميع البشر . وقال الحسن بن عرف ربه أحب من عرف الدنيا وهذا للؤمنين من لايهلو حتى يغفل فإذا تمسك حزن . وقال أوسيان الهاراني

(١) حديث أبي زر بن انبعل أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواها أخرجه أحمد بزيادة في أوه (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها متفق عليه من حديث أنس بلقب لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لا يؤمن البدن حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من وآله وولده وه من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نسي قال لا والذي نسي يده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فانت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أجوا الله لما يندوك به من نمه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلا قال يا رسول الله إنني أحبك فقال استمد ففقر الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن مغل بلقب فأعد فققر تحفا دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تحلق به الحديث أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن (٧) حديث ابن إبراهيم قال تلك الموت إنجازه ليتبسط روحه هل رأيت خلايا يقبض خليه الحديث لم أجد له أصلا (٨) حديث اللهم ارزني حيك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعدت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود نحوه .

للبد بكسبه أطلقوا
 القول ومداول السنة
 الشيخ أن القامات
 مكاتب والأحوال
 مواهب وعلى الترتيب
 ائى دوجنا عليه
 كلها مواهب إذ
 المكاتب محفوفة
 بالوهاب وللواهب
 محفوفة بالكاتب
 فالأحوال مواجسد
 والقامات طرق الواجد
 ولكن في القامات ظهر
 العصب وبنيت
 للواهب وفي الأحوال
 بطن الكسب وظهرت
 للواهب فالأحوال
 مواهب عارية محمية
 والقامات طرق الواجد
 أمير المؤمنين على بن
 أبي طالب رضى الله
 عنه سأل عن طرق

إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . وروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة غرق قد خملت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فانام أحد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يسلمكم ما رجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فانام أحد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم اللراي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أتم للقربون أتم للقربون أتم للقربون . وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الساج قلت أأنا عبد البرد فقال من هذه حب الله لم يجد البرد . وعن سري السقطي تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المجين لله تعالى فانهم ينادون يا أولياء الله هلوا إلى الله سبحانه تشكك قلوبهم تتخلع فرسا . وقال هرم ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أجمل إليه وإذا وجد حلوة الأقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين القفرة وهى تسهر في الدنيا وروحها في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ عنه يستغرق اللذون بكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف جبهوجه بهدهش القول فكيف ودموده بنى مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبيد أنا نوحك لك محب فبحق عليك كن لي محبا . وقال يحيى بن معاذ مقال خرجت من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ إلى من مقيم عندك مشغول بشاغلك سنيرا أخذت إليك وسر بلتي بعزفك وأمكنتي من لطفك وتلتني في الأحوال وتلقيني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وجا تسقى من حياضك وتهلنى في رياضك ملازما لأمرك ومشغولا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك سنيرا فى ما بقيت حولك دندنه وبالضراعة إليك مهمة لأنى محب وكل محب بجبهه مشغوف وعن غير جبهه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإعماله المأمور في تحقيق معناه قلنتل به .

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن اللطيف من هذا الفصل لا يكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جمد بل هو من خاصية الحى للدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع للدرك ويلائمه ويؤله وإلى ما يتنافى وينافره ويؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بإلزامه وإذ ذلك فكل ما لا إدراك له قلة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما لا إدراك له فهو مبغوض عند المدرك وما يخفى عن استيعاب ألم وقلة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل قيد محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع غرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء . للذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سعى عشقا والبغض عبارة عن غرة الطبع عن المؤلم المتب فإذا قوى سعى مقتنفا هذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك نوع من المدركات ولكل واحد منها نوع من المدركات والطبع يسبق تلك الفئة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فقلة العين في الإبصار وإدراك المصبرات الجلية والصور المليحة الحسنة المستقلة والذنان في النغمات الطيبة والموزون وقلة الشم في الروائح الطيبة وقلة البوق في الطعوم وقلة التمس في اللبن والنعمومة

السموات فأنى أعرف بها من طرق الأرض إشارة إلى اللقائات والأحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من اللقائات فان السالك لهذه الطرق يسير قلبه صاوبا وهى طرق السموات ومتنزل البرصكات وهذه الأحوال لا يتحقق بها إلا ذو قلب صاوى . قال بضمهم الحال هو الذكر الحفى وهذا إشارة إلى شيء مما ذكرناه وصحت الشايخ بال عراق يقولون الحال مامن الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال يقولون هذا مامن العبد فاذا لاح للريد

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملئة كانت محبوبة إلى كل طبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوا ومعلوم أنه لاحظ العين والسمع فيه بل لشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا بالبصر والنفس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها بلوغ المحبوبات ومعالم أنه ليس تحتل بها الحواس الخمس بل حواس سادس منطلقة القلب لا يدرك إلا من كان له قلب وقد كانت الحواس الخمس تشارك فيها البهائم والإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب فاذن قد بطلت خاصية الإنسان وما يتميز به من الحسن السادس الذي يبرع عنه إما بالمثل أو بالصور أو بالقلب أو بما شئت من البارات فلا مشاحة فيه وهيات فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال العاني للذكر العقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأنياس فكيف لا يحاط به القلب بما يدرك من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس ثم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا التلبي إلى ما في إدراكه لئلا كما سيأتي تفصيله فلا يشكر إن حب الله تعالى إلا من آمن قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا كما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى الحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلتبين أسباب المحبة وأنسابها وبيان أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده وقررة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللانتمى للحب وأي شيء أتم ملامة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخدر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأبليت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يجب الموت والمعدم المحض إلا بالقاسية ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بلاء فنجويه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالحلاك والمعدم محموت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكذلك الوجود أيضا محبوب لأن النقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر للفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والحلاك والمعدم محموت في الصفات وكما الوجود كما أنه محموت في أصل القاتات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غرضة في الطباع بحكم سنة الله تعالى - ولن نجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ولأن المحبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لأنها عيانها بل لا يرتبط حظ في دوام الوجود وكأله بها حتى إنه يحب ولده وإن كان لا يأن له منه حظ بل يتحمل الشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في قيامه له نوع بقاء له فافترق حبه لبقاء نفسه يحب قيامه من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما هجر عن الطمع في بقاء نفسه أبدا ، نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا لم يقتله آخر قيام نفسه على ما دونه

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث الثاني من حديث أنس دون قوله ثلاث وقيل تقدم .

شيء من الواهب
والواجب قالوا هذا
مأمون الله وسوءه حالا
إشارة منه إلى أن
الحال موهبة . وقال
بعض مشايخ خراسان
الأحوال موارث
الأحوال محال بروق
فان في حديث النفس
وهذا لا يكاد يستقيم على
الاطلاق وإنما يكون
ذلك في بعض الأحوال
فاتها تسطرق ثم تستلبها
النفس فأما على الإطلاق
فلا والأحوال لا يخرج
بالنفس كالمهين
لا يخرج بالماء .
وذهب بعضهم إلى
أن الأحوال لا تكون

لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه الحق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه
لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا يسبهم متجملا بكلمهم فان العشرة واللحاح والأسباب
الخارجة كالجناس للكل فالإنسان وكما الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاعتدائه فالإنسان المحبوب الأول عند
كل حي فانه وكما ذاته ودوام ذلك كله والكره عنده من ذلك فلهذا هو أول الأسباب السبب الثاني:
الإحسان فان الإنسان عبة الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها
وقال رسول الله ﷺ «أهم لأجل لكافر على يدا فيجبه قلبي»^(١) إشارة إلى أن حب القلب للحسن
اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وقطرة لاسيما إلى تفتيرها وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي
الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجوع إلى السبب الأول فان المحسن من أمد المال
والعونة وسائر الأسباب للوصول إلى دوام الوجود وكما الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتأهل الوجود
إلا أن الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة
الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها
والطبيب محبوب لآلئها بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأساذ محبوب ولكن العلم
محبوب لذاته والأساذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير
محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والتنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذا ترجع الفرق إلى
ثناوت الرتبة والإفكل واحد يرجع إلى عبة الإنسان نفسه فكل من أحب المحسن لآلئها أحب
ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فضل من آلهة لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو قسم قسم
الحب ولو زاد زاد ويترقى إليه الزيادة والتقصان بحسب زيادة الإحسان وقصانه . السبب الثالث أن
حُب الشيء لذاته لا يخلو بل منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ
الذي يوثق بدوامه وذلك حب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك
لبين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لانقيها ولا تلتظن أن حب
الصورة الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذته أخرى قد تحب الصور الجميلة
لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا للذبة فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة
ولاء الجباري محبوب لا ليشرب لواء وتوكل الخضرة أوثان منها حظ سوى نفس الرؤية وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح الخضرة ولواء الجباري^(٢) والطباع السليمة فاشبهت باستلذاذ
النظر إلى الأتوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النفس المتناسبة الشكل حتى إن
الإنسان لتفرج عنه النجوم والموموم بالنظر إليها لا لطيب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملقة
وكل للذبة محبوب وكل حسن وجمال فلا يخفى إدراكه عن لذته ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا
بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لاعتدائه محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال»^(٣) .

[الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المعبوس في مضيق الخيالات والموسسات

(١) حديث المهم لأجل لكافر على يدا فيجبه قلبي أي تصور الله يلبي في مستند القردوس من حديث
معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يسبح الخضرة ولواء الجباري أي يوسم في
الطلب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الخضرة وإلى الماء
الجاري وإسناده ضعيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود.

إلا إذا دامت فأما إذا
لم تدم نفس لوأخ
وطوالع وبادرومي
مقدمات الأحوال
وليست بأحوال .
واختلاف الشاغل في أن
العبد هل يجوز له أن
ينتقل إلى مقام غير
مقامه الذي هو فيه
قبل إحكام حكم مقامه .
قال بعضهم : لا ينبغي
أن ينتقل عن الذي هو
فيه دون أن يحكم حكم
مقامه . وقال بعضهم :
لا يكلل القام الذي هو
فيه إلا بعد ترقية إلى
مقام فوقه فينظر من
مقامه العالي إلى مادونه
من اللقام فيحكم أمر
مقامه . والأولى أن يقال
والله أعلم : الشخص في
مقامه يسطي حالا من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا لتأليب الخلق والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحرارة واستعداد التامة إلى غير ذلك مما يومف من جمال شخص الانسان فان الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفات إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمبصر ولا تخيلا ولا متشكلا ولا يتوهم مقدرا فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن إدراكه كذا فلهذا لم يكن محبوا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تأليب الخلق وامتزاج البياض بالحرارة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في السورة ومعلمان العين تستلذبانظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ومامن شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فلبعض الحسن الذى تشترك به هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يقيق بعمق للمامة لأطرب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجعله وحسنه في أن يحضر كاله الذائق به للكنه له فان كان جميع كالاته للمكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالقرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالقرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كره وقر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تأليب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق بوقد يليق بغيره منه ضمن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به القرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الأواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فان قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك كلها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فاتها لا تفك عن إدراك الحواس لها فبعض محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حدها وإنما ينكر ذلك في غير الدرك بالحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق حميدة وإنما الأخلاق الجميلة رادها العلم والعقل والشفقة والشجاعة والتقوى والكرم والوردة وسائر خلال الخير وشي من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الحسنى بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة وللوصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع محبوبة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصعابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد الشق فيحبه ذلك على أن ينفي جميع ماله في نصرته مذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في إمامه ومتبوعه فكيف دم أريق في نصرته أرباب المذاهب وليت شعري من عجب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهدته بعالم يستحسن صورته فاستحسنه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد أهليت ترابا مع التراب وإنما عبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وإتقانها لقيادة علم الشرع ولتشرع هذه الخيرات فى العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس قاصرة عنها وكذلك من عجب بابكر الصديق رضى الله عنه ويغضله على غيره أوجب عليه رضى الله تعالى عنه ويغضله ويغضب له فلا يجهم إلا لاستحسان سورم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من عجب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يجب عظمه وحله وجهه وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانضم ولكن بقي ما كان الصديق به صدقا وهى الصفات المحمودة التى مصادر الخير الجميلة فكان الحب باقيا

مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن تلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويصرف الحلق فيه وكذلك ولا يضاف الشيء إلى العبد أنه يرتقى أولا يرتقى فان العبد بالأحوال يرتقى إلى القامات والأحوال مواهب ترقى إلى القامات التى يمتزج فيها الكسب بالمروية ولا يولج للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه فلا يزال العبد يرقى إلى القامات بزيادة الأحوال فعل ما ذكرناه يوضح تماخيل القامات والأحوال حتى التوبة

بقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع مجلتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بفكر شهوداته لجميع خلال الخير يتشعب على هذين الرصيفين ، وهما غير مدركين بالحق وعلمهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس الجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوا لأجله ، فاذن الجلال موجود في السر ولو صدرت السيرة الجلية من غير علم وبسيرة لم يوجب ذلك حيا فالحبيب مصدر السير الجلية ، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع مجلتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الخلق وطبعه إذا أردنا أن نحجب إليه غائبا أو حاضرا حيا أودينا لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتماثل في نفسه ولم يقدّر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لانه الله إلا بالاطناب في وصف الحسن والتابع التي لا مدرك بالحواس بل لما وصف الناس حائما بالسوء ووصفوا خائفا بالشجاعة أحبهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله الحب منهم بل إذا حكم من سيرة بمن للولك في بمن أنظار الأرض المدلل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد للزار ونأى الديار ، فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرج الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للماضي الباطنة أكثر من حبه للماضي الظاهرة فثنا بين من يحب نقشا مصورا على الحافظ لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : للناسبة الحقيقية بين الحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تاسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « لما تمارف منها اتلفت وماتتا كرمها اختلف » (١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضا من محباب أسباب الحب ، فاذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الانسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيا يرجع إلى دوام وجوده وبين على بقائه ودفع اللهلكت عنه وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن ففواجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاعتدال كماله كان للانسان وله جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير . أحسن إلى الخلق وعحسن إلى الوالد كان محبوا لاعتدال غاية الحب وتكون قوة الحب بمد اجتباع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فلتبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

(١) حديث لما تمارف منها اتلفت مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصعبة .

(بيان أن المتحقق للجنة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحبه الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب الملءاء والأقبياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزوه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للجنة سواه . وإيضاحه بأن ترجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجماعتها ولا يوجد في غيره إلا أحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة عند ما تخيله ضغفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقياً وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقائه وكاله ودوام وجوده وبضه لهلاكه وعدمه وشماته وتواطع كاله فلهذه جيلة كل حى ، ولا يتصور أن يفك عنها ولهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإعنا وجود ذاته ودوام وجوده وكاله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المحترع للوجود له وهو البقى له وهو للكل لوجوده فخلق صفات الكمال وخلق الأسباب للوصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب والإفادة من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف لولفضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عتيق وجوده لولفضل الله عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود لولفضل الله عليه بالتكامل خلقت . وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا الاقيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به فإن أحب المارف ذاته وجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يجب للزيد لوجوده والديم له أن عرفه خالقاً ومختزاً مبدئياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لأحبه فهو لجهله بنفسه وربه والمحبة ثمرة المعرفة فتقدم باندماها وتنفص بتفهمها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الله يباهد فيها وكيف يصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة الأعجاز التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا للتأمل صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وقائمه بها موجود به وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب التألب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احترازا عند وقوع القابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الترض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً لجهله بقوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره موافقه وجوده ومأزعه أيضاً ضرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلعا من هذا الحب فلا أنه اشتغل بنفسه وشهواته ودخل عن ربه وخالفه فغيره حق معرفته وقصر نظره على شهواته وعسر سواته وهو عالم بالشهادة الذى يشاركه البهائم في التمتع به والانساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يبطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبهه من الملائكة فينظر فيه بقدر قر به في الصفات من الملائكة وقصر عنه بقدر أخطاؤه إلى حشيش عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر ضياء في القلب يضمر به خطأ قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق السلم وزجر من طريق العسل وزجر من طريق الإيمان فينازل الشاب حال الزجر وهى موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة ولا يزال بالبعد ظهور هوى النفس يحويه آثار حال التسوية والزجر حق نستقر ونصبر مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد ينازلة حال تربه لانه ترك الاعتناء بالدنيا وتقصير له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بموته وانتدب
لصوته وقع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه واتهم وسّية إلى جميع حظوظه وأغراضه في
نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لأعالة عنده وهذا بينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فانه
لوعرف حق اللزقة لم أن الحسن إليه هو الله تعالى قط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فقلت
أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد
أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا نقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير
متصور إلا بالمجاز وإنما الحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أتم عليك بجميع خرائنه ومكنك
منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به
وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن الذي أتم خلقه وخلق
ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حيّك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه
أن صلاح دينه أودنيه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله
عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أودنيه في أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرا
في التسليم لا يستطيع مخالفة فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباعثة
للزقة إلى القبل وأما بده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار
مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته حسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن
حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما
الاحسان إلى غيره لجمال من الخلقين لأنه لا يبدل ماله إلا لغيره في البذل إما أجل وهو الثواب
وإما عاجل وهو الجنة والاستغفار أو التائب والصيت والاشتهار بالسعادة والكرم أو جذب قلوب الخلق
إلى الطاعة والمجبة وكما أن الانسان لا يلقى ماله في البحر إلا لغرض له فيه فلا يقبل في يد انسان
إلا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت قلت مقصودا بذكر الله في القبول
حتى يحصل غرضه من الذكر والتائب أو الشكر أو الثواب بسبب فضلك القداس تسخر لك في القبول
للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومحتاج مما يبدله من ماله عوضا هو أجمع عنده
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلا البتة فاذن هو غيره - متحق للشكر
والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسلط الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جاز مجرى
خازن الأمير فانه لا يرى حسنا بتسليم خلة الأمير إلى من خلقه عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة
والامتثال لما يرميه ولا يقدر على مخالفة ولو خلاه الأمير وقسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن
لو خلاه الله وقسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه دينه
ودنياه بقده فيذله لذلك . والثاني أنه مضطر مما يبدله حظا هو أوفى عنده وأحب مما يبدله فسكا
لا يبدل البائع حسنا لأنه يبدل بموض هو أحب عنده مما يبدله فكذلك الواهب اعتاض الثواب
أو الحمد والتائب أو عوضا آخر وليس من شرط الموض أن يكون عينا متشوبا بل المخطوط كلها
أعراض تستحق الأموال والأعيان بالإضافة إليها فلا حسان في الجود والجود هو بذل المال من
غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أتم على العالمين إحسانا
إليهم ولأجلهم لا حظ وغرض يرجع إليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق
غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال ومنع امتناع الجمع بين المواد والياض فهو المنفرد
بالجود والاحسان والطول والإيمان فإن كان في الطبع حب الحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله

فدمر أحواله بدلالة
شره النفس وحرصها
على الدنيا وروية الحاجة
حق تدارك اللونه
من الله الكريم فيزهد
ويستتر زهده ويصير
الزهد مقامه ولا تزال
نازلة حال التوكل تنزع
باب قلبه حتى يتوكل
وهكذا حال الرضا حتى
يطعن على الرضا ويصير
ذلك مقادسه وههنا
لطيفة وذلك أن مقام
الرضا والتوكل يثبت
وهو يقاوم وجود
فاعية الطبع ولا يحكم
يناف حال الرضا مع
وجود فاعية الطبع
وذلك مثل كراهية
يحبها الراضى بحكم
الطبع ولكن على
مقام الرضا يضر حكم

تعالى إذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه إذا بلغك خبر ملك مابد عادل عالم ورفيق بناس متعلق بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بيدك عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق منتهك شرير وهو أيضا بيدك عنك فانك تجد في قلبك خفة بينهما إذ تجد في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وخفة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول وأمن من شر الثاني لاقطاع طمك عن التوغل إلى بلادها فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن تقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا إلا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن إلى الكافة والتفضل على جميع أصناف الخلق أولا بإحسانهم وثانيا بتكليمهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بترفيفهم وتيسيرهم خلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة وربما بتجديدهم بالمزايا والنزول التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وساجياتهم ومثال الضرورية من الأعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الثروة استقواس الحاجبين وحرمة الفنتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لوفاة لم تتخرج بمحاجة ولا ضرورة ومثال الضرورية من التمتع الحاركة عن بدن الانسان للقاء والغذاء ومثال الحاجة الهواء واللبس والقوى كموثاق للزوايا والنزول خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار وقلائد القواك والأطعمة التي لا تتخرج بدنها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى القرش فاذن هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه الصلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه الصلة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل اذات الجمال لاحظ ناله منه وراء إدراك الجمال قد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة للذرة وبين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة للذرة بين القلب ونور البصيرة والأول يدركه السبيان والبهائم والثاني يختص يدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشاهدة حب الأنبياء والسلف وذوى السكرم النبوة والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع نقوش صورة الوجه وسمات الأعضاء وهو الراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدركه بحسن آثاره الصادرة منه الله عليه حتى إذا دله القلب عليه حال القلب إليه فأجبه فلي عيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عن أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يجهم إلى الحسن مظهره منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دله حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف الصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن هشي النقاش وبناء البناء انكشفه من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان العلوم أشرف وأتم بجلا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا التصور كلما كان أعظم وربة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل للوفاءات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهور حكم
الطبع في وجود
الكرهية المقصورة
بالعلم لا يخرجها عن
مقام الرضا ولكن يفقد
حال الرضا لأن الحال لما
تغيرت موهبة أحرقت
دعاة الطبع فيقال
كيف يكون صاحب
مقام الرضا ولا يكون
صاحب حال فيه والحال
مقدمة المقام والمقام
أثبت قول : لأن المقام
لما كان مشوبا بكسب
البعد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما
كانت موهبة من الله
نزهت عن مزج الطبع
بحال الرضا أصلا ومقام
الرضا أمكن ولا بد
للمقامات من زائد
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك ما قاربه ويخص به شرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات الصديقين الذين يحبه القلوب طبعا ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملائكته ورسوله وشرائع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة . والثالث نزولهم عن الرذائل والحيثات والشهوات القابلة الصارفة عن سنن الخير المجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يبرز عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الحق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا به لم وسكت في ضمير خالق نعمة أو بوضحة لم يطلخوا على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقادر ليسير الذي علمه الخلاق كلهم فتعجبوا عليه كما قال تعالى - خلق الانسان علمه البيان - فان كان جمال العلم وشرفه أمرا عجبوا وكان هو في نفسه زينة وكلاهما عوصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فناموا العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجمل أهل زمانه استحاله أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك العلم الأعم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضه مبيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجملهم لأن العلم الأجل لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية . وأما صفة القدرة فهي أيضا كمال والسبح لله فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه قديم حتى إن الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخائفه رضى الله عنهما وغيرهما من الشجاعتين وقدرتهما واستيلائهما على الأخرى فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وإرتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا المتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقوام بطشا وأقهرهم للشهوات وأقهرهم للنفس وأجمعهم لقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مأمتهى قدرته وإنما غاية أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نقما بل لا يقدر على حفظ عينه من السبي ولساته من الحرس وأذنه من الصمم ويده من الرض ولا يحتاج إلى عدا يميز عنه في نفسه وغيره مما هو على الحقيقة متعلق بقدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلا كها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيويتها وجميع أجزائها فلا قدرته على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه وللممكن له من ذلك ولوسطه وساطة أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس لعبد قدرة إلا بتسكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إننا كنا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطته إلا بتسكين الله تعالى لإمامه جزء من الأرض والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يعطى بها الناس من الأرض غير من تلك القدرة ثم تلك القدرة أيضا من فضل الله تعالى وبممكنه فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرة وسياسة وبممكنه واستيلائه وكما هو قوته ولا يحب الله تعالى ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا
تزد لافعات دون
سابقة الأحوال . وأما
الأحوال فلها ما يصير
مقاما ومنها ما لا يصير
مقاما والسر فيه
ما ذكره تان الكسب
في لتمام ظهر والوجهة
بظنت وفي الحال ظهرت
للوجهة والكسب
بطن فسا كان في
الأحوال للوجهة غالبة
لم تقييد وصارت
الأحوال إلى مالاتها
لها ولطف مسنى
الأحوال أن يصير مقامها
ومقدورات الحق غير
متناهية ومواهبه غير
متناهية ولهذا قال
بعضهم لو أعطيت
روحانية عيسى وكمالة
موسى وخفة إبراهيم

القاهر والعالِم القادر السموات معلويات يمينه والأرض وملكيها وماعليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكيه ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يمتثلها ولا يعلو ولا تنوب ولا تنور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا هو أثر من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والمظنة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان يصور أن يحب قادر لسكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواء أصلا . ولما عفا التزهد عن الميول والتنافس والتقصير عن الرذائل والحجائب فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقين وإن كانوا منزهيين عن السيوف والحجائب فلا يصور كمال التقديس والتزهد إلا الواحد الحق للملك القدوس ذي الجلال والإكرام . وأما كل مخلوق فلا يخاف من نقصه وعن شأني بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين السيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله وليس في القدرة أن يتم بتمهي الكمال على غيره فإن تمهي الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره فأما غيره وذلك محال في حق غيره فهو للتفرد بالسكمال للزهد عن التقصير من العيوب وشرح وجوه التقديس والتزهد في حقهم من التقصير بطول وهو من أسرار علوم للكشافات فلا يتطوّل بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوا فلا تهم حقيقة إلاه وكمال غيره وتمتزه لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ماهو أشد منه خصانا كما أن القدر كالا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كالا بالإضافة إلى القدر وأصل التقصير شامل للكل وإنما يضافون في درجات التقصير ؟ فاذن الجليل عجب وبالجيل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الفنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا مقبض لقضائه العالم الذي لا يميز عن علمه متعال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه وقاب التياصرة الأتلى الذي لا أول لوجوده الأبدى الذى لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذى لا يحوم إمكان الصدم حول حضرته القويم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجاد والحيوان والنبات للتفرد بالعزّة والجبروت للتوحد بالملك ولللكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكمال الذى تتجبر في معرفة جلالة القبول وتخرس في وصفه الألسنة الذى كمال معرفة المارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته وتمهي نبوة الأنبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم «أجمعين» ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه: العجز عن إدراك الإدراك إدراك سبحان من لم يعمل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، فليت شعري من يشكر إمكان حب الله تعالى حقيقا وبجهد مجازا أو يشكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجلال والمحامد ولعوت الكمال والمحسن أو يشكر كون الله تعالى موصوفا بها أو يشكر كون الكمال والجمال والبهاء والمظنة محبوا بالطبع عند من أدرك فسبحان من احتجب عن بشار العينان خيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبق له منه الحسن الذين هم عن نار الحجاب مبعودون وترك الحاسرين في ظلمات الممي يتبينون وفي مسارب المحسوسات وشبهوات البهائم يترددون بفنون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوية حقها ، وفي الزبور : من أظم عن

(١) حديث لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

عليه السلام لطابت
ماوراء ذلك لأن
موهوب الله لا تنحصر
وهذه أحوال الأنبياء
ولا تعطى الأولياء
ولكن هذه إشارة
من القائل إلى دوام
تطلع البعد وتطلبه
وعدم قناعة بما هو
فيمن أمر الحق تعالى
لأن سيد الرسل
صلوات الله عليه
وسلامه به على عدم
القناعة وقصر باب
الطلب واستنزاع بركة
للزهد بقوله عليه
السلام «كل يوم أزد
فيه علما فلا يورك لي
في صبيحة ذلك اليوم»
وفي دعائه صلى الله
عليه وسلم «اللهم ما قصر
عنه رأيي وضبط فيه

عبدني لئلا أوتار لولم أخلق جنه ولا ناراً ألم أكن أملاً أن أطاع ، ومريم عيسى عليه السلام على طاعة من الباد قد تحلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم علوفا ختموه وعلوفا رجوتهم ، ومريم قوم آخرين كذلك قالوا لئلا عباداً له وتطلياً لجلاله فقال أتم أولياء الله خالصكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إنى لأستحي أن أعبد للتوابع والعباد فأكون كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ولا لأجبر السوء إن لم يسط لم يعمل ، وفي الخبر لا يكون أحدكم كالأجبر السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ^(١) ، وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة وللشكالة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، وذلك ترى الصبي يأنف الصبي والكبير يأنف الكبير ويأنف العبد نوعه ويغفر من غير نوعه وأنس العالم بالفالم أكثر منه بالمعترف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنه بالفلاح ، وهذا أمر محسوس بالتجربة وكشفه الأخبار والآثار كما استصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب السجدة فيطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الأعداء الذي يثق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه الصبي على الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجنونة فاعترف منها التالف وما تترك منها اختلف» فالعارف هو التماسك والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنه لا يرجع إلى الشافية في الصور والأشكال بل إلى معاني باطنه يجوز أن يذكر بعضها في السكب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء القبة حتى يستر عليه السالكون بالطريق إذا استكملوا شرط السلوك فآلئى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر بها بالاعتقاد والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قبل تحلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب حامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والعلف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والتسبيح لهم وإرشادهم إلى الحق ومنهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم التسمية فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا يسعى طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها آدمي فهي التي يوصى إليها قوله تعالى - ويستلوك عن الروح قل الروح من أمر رب - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى - فإذا سويته وخصت فيه من روعي - وذلك أسجد له ملائكته وبشيره إليه قوله تعالى - إننا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلقاً الله تعالى لإبائك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته ^(٢)» حتى ظن القاصرون أن لاصورة إلا الصورة الظاهرة للدرجة باطواس فشبها وجسموا وصوروا ، تعالى القرب المألين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام «مرضت فم مرضت فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبيدي فلان فم مرضه ولوعده وجدتي عنده ^(٣)» وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالواقعة في التوابع بعد أحكام القرض كما قال الله تعالى «لا يزال يقرب العبد إلى بالتوابع حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ^(٤)» وهذا موضع يجب قبض عنان القلب فيه فقد

عيسى ولم يلقه نبي
وإنيق من خير وعده
أحد من عبادك أو
جبرأت معطيه أحدا
من خلقك فأنارغب
إليك وأسألك إياه
فاعلم أن مواهب الحق
لا تنحصر والأحوال
مواهب وهي متصلة
بكلمات الله التي يغد
البحر دون فادها
وتتعد أعداد الرمال
دون أعدادها والله
العلم المعطى .

[الباب التاسع
والحسنون في الاشارات
إلى القامات على
الاختصار والإيجاز]
أخبرنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
قال أنا أبو منصور بن

حزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى ثالثين مسرفين جاوزهوا حد النسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلوق حتى قال بعضهم أنا الحق وذل النصارى في عيسى عليه السلام وقالوا هو الإله وقال آخرون منهم تدرج الناسوت باللاهوت وقال آخرون أنحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتجليل واستحالة الاتحاد والحلول وانضح لهم مع ذلك حقيقة السرف فهم الأفلون ، ولعل أبا الحسن التورى عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لأنزل أنزل من وداذك منزلا تنجى الأبواب عند نزوه

فلم يزل يبدو في وجهه على أجمة قد قطع قصبا وبقي أصوله حتى تشقت قدما وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبدها وأقلها وجودا ، فمجمعيها السلو من أسباب الحب وجملة ذلك مظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجزأ ولا في أعلى الدرجات لا في أدناها فكان العقول القبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى قط كما أن العقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى قط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير مشاركتة بإحدى السبب والشركة قصان في الحب وغض من كاله ولا يفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد شركة فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شركة له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حشره كذا لا يتطرق القصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا دلل الحلية والكمال المحبة استحقالا لا يسام فيه أصلا .

(بيان أن أجل القذات وأعلاما معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لغة أخرى إلا من حرم هذه اللغة)

اعلم أن القذات تابعة للإدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والرائز ولكل قوة وغريزة لغة ولذتها في نيلها لمتنقى طبيا الذي خلقت له فإن هذه الرأز ما ركب في الانسان عينا بل ركب كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الضرب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في القلبة والانتقام الذي هو متنقى طبيا وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو متنقى طبيا وكذلك لذته السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الرأز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوه تعالى - ألن شري الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين والامني للاشتغال بالأساسي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في اللما لأن الضعيف يطلب اللما من الأقطاد وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لآجزاء البدن بسفها بما يدرك اللما التي ليست متخيلة ولا محسوسة كما إذا خلق العالم واختره إلى خالق قديم مبدع حكيم موصوف بصفات إلهية ولسم تلك الغريزة عقلا يشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق الجادة والنظرة قد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا فانه بين الصوفية والافلسفة التي فارق الانسان بها الهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن ننم وهذه الغريزة خلقت ليتم بها حقائق الأمور كلها لمتنقى طبيا للعرفة والم وهي لذتها كما أن متنقى سائر الرأز هو لذتها وليس غنى أن في العلم والفرقة لغة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والفرقة ولو في شيء خسيس يرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يهضم به وحتى إن الانسان لا يكاد يصبر عن التجدي بالملم والتجدي في الأشياء الحفيرة فالعالم بالأمم بالشرط نرج على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليل وينطلق لسانه بذكر ما يبله وكل ذلك لشرط لذة العلم وما يستفهم

خيرون إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن
علي بن محمد الجوهري
إجازة قال أنا أبو عمرو
محمد بن العباس بن
محمد قال أنا أبو محمد
يحيى بن صاعد قال أنا
الحسين بن الحسن
للروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا
الميم بن جيل قال أنا
كثير بن سليم المدني
قال سمعت أنس بن
مالك رضي الله عنه
قال أتى النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله أنزلني
درب العنان وأكثر
ذلك على أهل قتاله
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن أنت من
الاستغفار فأتى استغفر الله

من كمال ذاته به فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك رباح الطبع إذا انتهى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستقر عند صلح التواء كمال ذاته وكال علمه فيجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالخرافة والخيطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدير الأمور الحلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملكوته وملكوته السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي يعلم بواطن أحوال الناس وغير بذلك مجده لذة وإن جهه تخاضه طبعه أن يخص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تديره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بواطن حال فلاح أو حائك فإن أطلع على أسرار الوزير وتديره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشبه عنده والذمن علمه بأسرار الرئيس فإن كان خبيراً بواطن أسرار الوزير للملك والسلطان الذي هو للتسولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده والذمن علمه بواطن أسرار الوزير وكان تعدده بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أعده وجهه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألد المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لأعماله وأشرفها وأطيبها وليت شري هل في الوجود شيء أجل وأمل وأشرف وأكل وأعظم من خالق الأحياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومديرها ومربتها وهل تصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجلال والبهاء والجلال الأعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بجلالها وهجائب أحوالها وصفها واصفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الأطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الوجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألها وأطيبها وأشبهها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الانصاف به كالمها وجمالها وأجدر ما يطمع به القرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم للذيذ وأن الألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وتديره في ملكوته من منتهى مرشده إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة للفرقة أقوى من سائر اللذات أقوى لذة الشهوة والتشبيب لذات في الحواس الخمس فإن اللذات غنيفة بالنوع أولا كخفاقة لذة الوقع لذة السماع ولذة المرفة للذة الرياضة وهي غنيفة بالشفف والقوة كخفاقة لذة الشبق المتخلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة وكخفاقة لذة النظر إلى الوجه الجليل الفائق الجمال للذة النظر إلى مدونه في الجلال وإعتراف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة في غيرها فإن الخير بين النظر إلى صورة جميلة والتعجب ومشاهدتها وبين استنشاق رائحة طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشرط نرج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة التلبية في الشرط نرج أقوى عنده من لذته أكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود قول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كالأكل والحواس الخمس وإلى باطنة كالأدب والرياضة والتبلى والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للذن ولا لللس ولا للاذن ولا للسان الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين والأورنج وبين لذة الرياضة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان الخير خيمسي الأمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على الأمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختاره الرياضة بدل على أنها ألد عنده من المعلومات الطيبة ، ثم النافس الذي لم تكمل معانيه الباطنة بد كاصي أو كاذن ماتت قوله الباطنة كالغزوة لا يمد أن يؤثر لذة المعلومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز قصان الصبا والته فله معرفة الله تعالى ومطالبة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

في اليوم واليلة
 مائة مرة « وروى
 أبوهريرة رضي الله عنه
 في حديث آخر « قال
 لأستغفر الله وأتوب
 إليه في كل يوم مائة
 مرة » وروى أبوهريرة
 قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم « إنه
 ليغان على قلبي فأستغفر
 الله في اليوم مائة مرة »
 وقال الله تعالى « وتوبوا
 إلى الله جميعا أيه
 المؤمنون لعلكم
 تفلحون - وقال الله
 عز وجل - إن الله يحب
 التوابين - وقال الله
 تعالى - يا أيها الذين
 آمنوا اتوبوا إلى الله
 توبة نصوحا - التوبة
 أصل كل مقام وقوام
 كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الالهية الله من الرئاسة التي هي أعلى الذنات الغالبة على الخلق وغاية البارة عنه أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وأنه أعدهم ملاعين رأيت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذين جميعا فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والله كرم وينمى في بحر المعرفة ويترك الرئاسة ويستقر الخلق الذين برأسهم لله فيه رياسته وخاء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالوت الذي لا يدمر إنياه منها أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة إليها معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام ملكته من أعلى عليين إلى أسفل الساتلين قائما خالية عن الزاحمات والكدرات مقسمة لاختوار دين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلانها في عرضها فلا يزال الكافر بغطائها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ ألوت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلي الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإعمال الموت يثير أحوالها وقطع شواغلها وعواقلها ويغلبها من حبسها فأما أن يدمعها فلا ولا تحسن الذين قتلتوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من دونه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية - ولا تظن أن هذا مخصوص بالقتول في الحركة فإن لهارف بكل نفس درجة ألف شوق وفي الخبر «إن الشهيد يثنى في الآخرة أن يرده إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما رآه من نواب الشهادتين والشهداء يمتنون لو كانوا علماء لما رونه من علو درجة الملاء» (١) فالذين جمع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان المعارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحمده وبخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل طرف لله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزهاتهم بقدرة تفاوتهم في الساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرئاسة وهي باطنة أقوى في ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبريمة ولا لشيء ولا لمتنوع وأن لذة الحسوسات والشهوات تكون أقوى الكمال مع لذة الرئاسة ولكن يؤثرون الرئاسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت ميواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرئاسة فهذا يخص بمعرفة من نال رتبة المعرفة ذاتها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما لا يمكن إثبات رجحان لذة الرقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم البنفسج عند النمل لأنه قد صفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن نحن سلم من آفة اللذة وسلم حاسة شم أدرك التفاوت بين اللذين وعند هذا لا يبق إلا أن يقال من ذاق عرف ولصمى طلاب العلوم وإن لم يستقلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية قد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف الشكليات وأعمال الشهوات التي قوى حرصهم على طلبها قائما أيضا بمعارف وعوالم وإن كانت معلومتها غير شرعية شرف للمعلومات الإلهية فأما من طالع فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملكه الخلو الشهيبيير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويصحب من قسه في شجاة واحتياله قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالدوق والحساية في قلبه الجدي فهذا

(١) حديث إن الشهيد يثنى أن يرده في الآخرة إلى الدنيا ليقول مرة أخرى الحديث متفق عليهم حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يتحنون أن يكونوا علماء الحديث .

حالوهي أول اللغات وهي بمثابة الأرض لبناء فن لا أرض له لبناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإلى جميع على وقد وسع وجهدي اعترت للغات والأحوال ومخترها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بمد صحة الإيمان وعقبوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة ثم رأيتها في قاعدة الولادة المعنوية الحقيقة بمثابة الطابع الأربع التي جعلها الله تعالى بأجراء سبسته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع يلجج ملكوت السموات

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أقد الأشياء وأنه لائق فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبدا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بسن إخوان معروف السكرخي له أخبرني يابا محفوظ أي شيء هاجبك إلى المبادع والاشطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله يمد إن أحبته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفئك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفقى مشغولاً بطلب الرب تعالى قد ألهاه ذلك مما سواه ورأى بعض الشيوع يمر بن الحرت في النوم فقال ما فعل أبو نصر النجار وحيد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان وشر بان قلت فانت قال علم الله قلة رغبي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إلي يوم علي بن النوفق قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وفحاه يلقيانه من جميع الطيئان وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يصفع وجوه الناس فيدخل بعضا ويخرج بعضا قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سراق العرش رجلا قد شخص يصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف قلت لرضوان من هذا قال معروف السكرخي عبد الله لا خوف من ناره ولا خوف إلى جنته بل حيا له فأباه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين يمر بن الحرت وأحد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لراية ماحقة إسمانك قالت ما عبدهت خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدهت حبا له وشوقا إليه ، وقالت في معنى الحبة نظما :

أحبك حين حبّ الهوى . وحيا لأنك أهل لها كما

فأما الذي هو حبّ الهوى فشغل بكرك عن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحبيب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذاوذا كما

ولها أرادت حب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنشاه عليها بحفظ الماجلة وحب لها هو أهل الحب لجمال وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحين وأقوامها ولذقة مطالعة جمال الربوبية التي صرعها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لبيادي الصالحين مالا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) وقد تعجل بعض هذه الذات في الدنيا إن أنسى مفاذ قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد مقولهم فيرون ما يقولون جنونا أو كلفنا فقصص العارفين كلهم وسله ولقاء فقط فقى قرعة العين التي لا تلصق نفس ما أخفى لهم منها وإذا حصلت انصرفت المعصوم والتهوت كلها وسار القلب مستغرقا بتعجبها لغو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعم الجنة لم ينتفت إلى الكمال فنبهه وبلغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن ببلدة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لو عداة تعالى بعد أهو ذكر ما أعظم التهم بل من عرف الله عرف أن الذات للفرقة بالتهوت المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللفظة كما قال بعضهم :

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لبيادي الصالحين مالا عين رأت الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

وبكشف بالقدر والآيات وبصره ذوق وفهم لكلمات الله تعالى للزلات وعظمى بجميع الأحوال وللقامات فسكنها من هذه الأربع ظهرت وبها نيات وتأكدت فأحد الثلاث بمد الإيمان التسوية النصح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام البهوية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالية من غير تقور وقصور ثم يستأن على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي

صكافتي لقي أهواء مفارقة - فاستجمعت مذ وأتاك العيين أهوان
فصار يحسدني من كنت أحسده - وصرت مولى الورى مذ صرت مولانى
تركك فانس دنياهم ودينهم هسلا بذ كرك وادنى ودنيائى
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ووصه أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إشاراً لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والتكاح فان
الجنة معدن تمنع الحواس . فأما القلب فقدته في لقاء الله قط ومثال أطوار الخاق في لذتهم ما ندكره
وهو أن الصبي في أول حركته وتبخره يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده
ألفاً من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الرينة وليس الثياب وركوب السواب فيستحضر معها لذة
اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة
الرياسة والمال والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا أن الحياة
الدنيا لب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحضر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الأخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
العشرين وحب العلوم يقرب الأربعين وهي القاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسكر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المرة في الدنيا)

اعلم أن لادركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالأصور التخييلة والأجسام الثلاثة والمشكلة من
أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة
والأرادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصبره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
ولكن إذا فصح العين وأبصر أدرك بفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة للرؤية تكون موافقة للتخييلة وإنما الاتراقق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة
الرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كمنهض يرى في وقت الاسفار قبل انكشافه
التأخر ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا يخرق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فاذن
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وهي ذلك رؤيته
غاية الكشف لا لأنه في العين بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل للكشف في الحياة والصدر
مثلاً لاستحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخييلات فاعلم أن المعلومات التي لا تشكل أيضاً
في الخيال لمعرفتها وإدراكها دجتان : أحدها أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين التخييل والرئي فيسمى الثاني أيضاً بالإضافة إلى الأول
مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية حيث رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن منة
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر
والرئي . ولا بد من ارتضاع الحجب لحصول الرؤية ومما ترضع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعارض البدن ومقتضى الشهوات

قلة الكلام وقلة الطعام
وقلة المنام والأعزال
عن الناس . وافق
العلاء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
للقامات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدان أبدالاً بتأييد
الله تعالى وحسن
توفيقه وبين بالبيان
الواضح أن سائر
القامات تندرج في
حصة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالمقدمات
كلها ولها بسد الإعسان
التوبة وهي في مبدأ
صحتها تغفر إلى أحوال
وإذا صحت تشتمل
على مقامات وأحوال
ولا بد في إبدائها
من وجسود زاجر

وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنهى إلى الشاهدة والقائه في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن ترأى - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أى في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المراج^(١) . فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ماثلة بكدورات الدنيا غير منفصلة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فيها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبداً الأبد نعوذ بالله من ذلك . ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصفيل فيعرض على النار عرضاً يجمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأصاها في حق المؤمنين كما وردت الأخبار بسبعة آلاف سنة^(٢) ولن ترحل نفس عن هذا العالم إلا وبسجها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر للظالمين فيها جثياً - فكل نفس مستقيمة للورود على النار وغير مستقيمة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحد من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فبعد ذلك يشتغل بصنائه وقائه عن الكدورات حيث لا يبرق وجهه غيرة ولا قرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ماعله كأنكشاف تجلي الرأفة بالإضافة إلى ماخيه ، وهذه للشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية ، فاذن الرؤية حق بشرط أن لا ينهم من الرؤية استكمال الخيال في متجلى متصور خصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وصور وتهدير شكل وصورة قراءه في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا يعنيها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتتقبل مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهد في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية

ووجدان الوجه حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب وحال الوجه مفتاح التوبة ومبدؤها . قال رجل لبشر الخافي مالى أراك مهوماً . قال لأنى ضالاً ومطلوب ظللت الطريق ولقد صد وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة التفتة أدركنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزرع فأزجر . وقال الأصمى : رأيت أعرايا بالهرة يشكى عينيه وما يسل منها المساء قتله إلا

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أبى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلبي من جهة إسناده قوي مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيت نوراً أبى أراه ورجال إسنادها رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبار من أمي الحديث وفيه بطلوهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضعيف .

الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها هي بيننا لا تفرق منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة الريفية هي للتخيلة بيننا إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبأيامهم يقولون ربنا آتّم لنا نورنا - إذ تململ النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يؤخر بدرجة النظر والرؤية إلا المارون في الدنيا لأن المعرفة هي البدر الذي يتقلب في الآخرة مشاهدة كاتقلب النواة شجرة والحب زرعاً ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له ثمر ومن لم زرع الحب فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة باختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف باختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البدر إذ تختلف لهامحاً بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها ومنهها وذلك قال تعالى عليه الصلاة والسلام وإن الله يتجلّى للناس عامة ولأني بكر خاصة^(١) فلا ينبغي أن يظن أن غيري أبكر مني هو دونه يجد من لغة النظر والشاهدة ما يجد أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشرة إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشرة وغيره ولا يفاضل الناس بسر وقرني عشرة فضل لهامحاً يتجلّى آخره به وكأنك ترى في الدنيا من يؤثر في الرياسة على العلوم والتسكوع وترى من يؤثر في لغة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى التسكوع والعلوم والشروب جميعاً فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في لغة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمه إلى العلوم والتسكوع وهؤلاء بينهم هم الذين حالم في الدنيا ما وصفناهم من إثارة لغة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لغة التسكوع والعلوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لراية ماثولين في اللجنة قالت الجارح المار فثبت أنه ليس في قلبها التفات إلى اللجنة بل إلى رب اللجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لغة المعرفة في الدنيا فلا يجد لغة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يصحبه أحد إلا ما زرع ولا يحضر لاه إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتم به بهن قطعاً لأنه يتقلب مشاهدة بكشف التواء فتضاعف اللغة به كما تضاعف لغة العاشق إذا استبدل خيال صورة المشوق ورؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته وإحما طيبة اللجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لغة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذن نعيم اللجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع ضياء بالإيمان. فإن كانت لغة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لغة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافاً لأن لغة المعرفة في الدنيا ضئيلة فتضاعفها إلى حد قريب لا يتنهي في القوة إلى أن يستقر سائر لذات اللجنة فيها . فاعلم أن هذا الاستحسان للمعرفة مصدر من الخلق عن المعرفة فن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضئيلة فقلبه مشغون بملاق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلما رغب في معرفته ففكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لوعرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يسبقوا بها لغة اللجنة ثم هذه اللغة مع كمالها مناسبة لها أصلاً إلى لغة اللقاء وللشاهدة كمالاً مناسبة للغة خيال المشوق إلى رؤيته ولا لغة استنساخاً ورأى الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولا لغة اللبس باليد إلى لغة اللمس وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا أن يضرب مثال فتقول

(١) حدث إن الله يتجلّى للناس عامة ولأني بكر خاصة ابن هدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الإسناد وفي الميزان للذهبي أن لمار قطنى رواه عن الهاملى عن طي بن عبيدة وقال المار قطنى إن طي بن عبيدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزى في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

نعم عينك قال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فمن لا يزجر فاجر جري الباطن حال حبها الله تعالى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الأجزاء يجد البعد حال الاتقياء . قال بعضهم: من لم مطالعة الطوارق انتبه . وقال أبو يزيد : علامة الانتباه خمس إذا ذكر شسه انقصر وإذا ذكر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر وإذا ذكر الآخرة استعسر وإذا ذكر المولى انقصر . وقال بعضهم: الانتباه أوال دلالات الخبر إذا انتبه العبد من رقة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى

لذة النظر إلى وجه المشوق في الدنيا تفاوت بأسياب أحدها كالجمال المشوق وقصانه فان اللذة في النظر إلى الأجل أكل لأعالة . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والمشوق فليس التذاف من اشتد عشقه كالتذاف من ضعف شهوته وحبه . والثالث كمال الإدراك فليس التذاف بقوة المشوق في ظلمة أومن وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاف بإدراكه في قرب من غير ستر وعند كمال الضوؤ لإدراك اللذة فلضاجة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع انقطاع العوائق للشهوة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاف الصحيح القارح للتجرد للنظر إلى المشوق كالتذاف الخافض للدعور أو الرضا للتألم أو للشغول قلبه بهم من الهمات فقد راحقاً ضيف المشق ينظر إلى وجهه مشوقاً من وراء ستر رقيق على يد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حلة اجتمع عليه عقارب وزناير تؤذيه بترتدغه وتشتغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة مامن مشاهدة مشوقه فلو طرأت له الفجأة حالة اهتكت بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه اللؤذيات وبقي سليماً فارفاً وهجعت عليه الشهوة القوية والمشق للفرط حتى بلغ أقصى النيات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى لأولى إليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاعتقال به والعقارب والزناير مثال الشهوات للسلطة على الانسان من الجوع والمطش والغضب والهم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال تصور النفس في الدنيا وقصاتها عن الفوق إلى اللأا والأطى والفضائل إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة النعال والياسو التفات إلى العيب بالصفور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه اللشوات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تعدم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت به العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب ينظر لمنظمتها ولكن يكون ذلك كالبريق الخاطف وقدا يدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينصه وهذه ضرورة داعية في هذه الحياة الثانية فلا تزال هذه اللذة منصبة إلى اللوت وإنما الحياة الطيبة بعد اللوت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يدومون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كاليدور وجر المعرفة لاساحل له فلا حاطة بكه جلال الله محال فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار ملكه وقويت كثرة النعم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثرت البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزور إلا في صيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله» (١) لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتمتع في العمر الطويل بمددومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والاتطاع عن علائق الدنيا والتجرد لطلب ويستدعي ذلك زماناً لا يحالة فمن أحب الموت أحب لأنه رأى نفسه واقفاً في المعرفة بالقاء إلى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كرهه للموت وحبه عند أهل المعرفة . وأما سائر الخلق فتنظرهم مقصرون على شهوات الدنيا إن استمت

التيقظ فإذا تيقظ أثره تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب وإذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع إلى باب توبته حتى يسقى باتباعه حال التيقظ . قال فارس : أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار . وقيل : التيقظ تبيان خط السلك بعد مشاهدة سبيل النجاة . وقيل : إذا صحت البقطة كان صاحبها في أواسل طريق التوبة . وقيل : البقطة خردة من جهة اللولي فتأوب الحاضرين تدلهم على طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث : أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي ليحة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ووالد المطلب عبدالله بن حوطب يختلف في محبته ولأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الأمانة والترضى من حديث أبي بكره أن رجلاً قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم.

أحبوا البقاء وإن ضاقت بمنا الوت وكل ذلك حرمان وخسران معسرة الجهل والفتنة فالجهل والفتنة مفرس كل شقاوة والسلم والمعرفة أساس كل سعادة قد عرفت بما ذكرناه معنى الحق ومعنى العشق فانه الحبة المفرطة القوية ومعنى قوة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى قوة الرؤية ومعنى كونها الإنسان سائر الكائنات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كالممكن الرئاسة آفة من المعلومات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن اللبقة ومن يشتد رؤية مشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولتلتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وعرف لا ينظر إليه ولا يحكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالتصور عن أحد الآخرين ، هذا في حكم الجوار ، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ماظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره . إذ لا يجوز إزالة الظواهر بالنظر والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى)

يفتته قل بذلك إلى
مقام التوبة ففسده
أحوال ثلاثة تنضم
التوبة ثم التوبة في
استقامتها تحتاج إلى
الحاجة ولا تسيم
التوبة إلا بالحاجة .

قل عن أمير
المؤمنين على رضى
الله عنه أنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل
أن تموتوا ووزنوا
قبل أن توزنوا
وتزينوا للعرض
الأكبر على الله يومئذ
تعرضون لأخفى
منكم خافية فالحاجة
محفظه الأخماس وضبط
الحوائس ورعاية
الأوقات وإشراهمات
ويسلم اليد أن

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أتوام حيا لله تعالى فان الآخرة منهاها القدوم على الله تعالى ودرج سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب إذا قدم على محبوبه بمد طول شوقه وتمكن من دولم مشاهدته أبد الآباد من غير منقوص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف استطاع إلا أن هذا النعم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاءه حتى يتهيأ إلى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للحل فمتلما أخرج منه الماء - ما قبل الله لرجل من قايين في جوفه - وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام ياتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ويقدر ما يبق من الماء في الإناء ينقص من الحل المصوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم - ويقول تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بل هو معنى قوله لا إله إلا الله أى لا معبود ولا معبود سواه فكل محبوب فانه معبود فان المعبود القيد والمعبود هو القيد به وكل يحب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال ﷺ « أبغض إله عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام ومن قال لا إله إلا الله غلبا دخل الجنة (٢) ومعنى الاخلاص أن يغلب قلبه فله فلا يق فيمشارك غيره الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله قاله نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم من مشاهدته محبوبه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب فما حاله من ليس له إلا محبوب واحد وقد قال المصنف رحمه الله تعالى عنه حبسه غلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبدأ بأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب أهلها وماله والولد والأقارب والمقارب والوالد واليسار والتمتازات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله غلبا دخل الجنة تقدم .

حق إن للتفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسفار ملتفت إلى نعم الله تعالى ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر ماأنس بالله فينقص أنسه بالله ولا يؤق أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من الشرف إلا ويعد بالضرورة من القرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيّق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان وهما كالشرق والغرب وقد انكشف ذلك لدى القلوب انكشافاً أوضح من الإصرار بالعين وسيل قطع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاحتياط إليهما بزم الحوف والرجاء لما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر وأجنة والثبات ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جمعه طهارة القلب عن غير الله قطع حتى يتسع بعده لتزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شوائب الدنيا وعلاقتها بغيري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم تولد من هذا البذر شجرة المحبة والبرقة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال: «ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يسجد السكك الطيب - أي للبرقة - والعمل الصالح يرفعه - فالعمل الصالح كالجناح لهذه البرقة كالخادم وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا لهذه البرقة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم للعامة وغرضه العمل وغرض للعامة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويترنم بلم البرقة وهو علم للكاشفة ومهما حصلت هذه البرقة تبعها المحبة بالضرورة كما أن من كان متعللاً المزاج إذا أبصر الجبل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة فالتلذذ تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع البرقة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه البرقة بعد انقطاع شوائب الدنيا من القلب إلا بالفسر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفلاك ثم يترقون منها إلى التفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وبقوله تعالى - شهداء أنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له لم عرف ربك قال عرف ربّي بربي ولولا ربّي لما عرفت ربّي وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق - الآية وبقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وبقوله تعالى - قل انظروا ماذا تسمى السموات والأرض - وبقوله تعالى - الذي خلق جميع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خاشعاً وهو حسير - وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر . فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لثانئهما

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لئلا يسيء منه لئلا يستبدد الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن البيوتية لاداء حق الربوبية وبرايق العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرقابة ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل التعديت القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تسكت في

(١) حديث الطهور شطر الإيمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة . فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستعانة بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا تفتقد في إرادته في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بهيوات الدنيا وحفظ النفس وللنافع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشغال أبوابه الخارجية عن الحصر والتهابة إنهما من ذرئتين من أطى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكآل حكته ومتنهي جلاله وعظمته وذلك بما لا يتأهلى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فساقطوس فيه انقماش في

بحار علوم للكشفة ولا يمكن أن يتطلق به على علوم الجامعة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجسه . فقول : أسهل الطريقين النظر إلى الأنفال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى ثم الأنفال الإلهية كثيرة فنتطبع ألقها وأحقرها وأصغرها وننتظر في عجائبها فأقول الخواصات هو الأرض وما عليها أعنى بالإضافة إلى اللانفك وملكوته السموات فأنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة وثلاثين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لانسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكرسي كقطة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادير وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ «والأرض في البحر كالاصطبل في الأرض» (١) ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن للكشف من الأرض عن اللاء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الأدمى المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغرها بالإضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بمقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للقيام بزيادة جناحيه وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وحق صممه وبصره ودير في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الناذية والجاذبة والدافعة واللاسكة والمغاشية ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أثبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد للآس وكيف هداه إلى مسام بشرة الانسان حتى يمسح خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يفرزه في الخرطوم وكيف علمه اللس والتجرج للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفًا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذي ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الحرب واستعداد آتله وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي يمد يده فتمت فتركه للدم وهرب ثم إذا سكنت اليد يود ثم النظر كيف خلق له حدقين حتى يصير موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حدة كل حيوان صغير لما لم تحمل حدة الأجنان لصفوه وكانت الأجنان مصققة لمرآة الحدقة عن القذى والنيار خلق للبعوض والذباب يدين فتنتظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض لم أجده أصلا .

القلب نكتة سوداء
وتعقد عليه عقدة
وللتفقد الحاسب يحيى
الباطن لصلاة يشبط
الجوارح ويحقق مقام
المهاسب فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق
على أجزاء وقته إلى
الصلاة الأخرى فلا تزال
صلاته منورة تامة بنور
وقته ووقته منورًا
معمورًا بنور صلاته .
وكان يمشي الماسبين
يصحب الصلوات في
قرطاس ويدع بين كل
صلتين يامنا وكلمًا
ارتكب خطيئة من
كله غيبة أو أمر آخر
خط خطأ وكلمة انكسر
أو تحرك فما لا يبينه
قط قطلة ليسير
ذنوبه وحركاته فيما

قرآه على الدول يحس حذقه بيده وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحذقه الأنجان حتى يطبق أحدهما على الآخر وأطرافها حادة فيجمع التيار الذي يلحق الحدة ويرمي إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صور العين وتثبتها عند هيجان التيار فينظر من وراء شاك الأهداب واعتبا كما يمنع دخول النار ولا يمنع الإبصار وأما البعوض خلق لها حذقتين مصقتين من غير أجنان وعليها كيفية التصقيل باليدن ولأجل ضف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأن بصره ضيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى السكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت الظلم إلى اللوضن للضوء فلا يزال يطلب الضوء ويرى نفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لتصانها وجهها فاعلم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب على الشهوات الله ياصورة الفرائش في التهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه عليها إلى أن ينفس فيها ويقتدي بها وبذلك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي بجهل الفرائش فأنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الأبد أومدة مدينة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني محسك بهجركم عن النار وأنتم تهاقون فيها تهافت الفرائش^(١)» فهذه لمة محبة من محبات صنع الله تعالى في أضمر الحيوانات وفيها من المحاسن ما لا يجمع الأولون والآخرون على الاطاعة بكنهه وعزوا عن حقيقته ولم يطعوا على أمور جليلة من ظاهر صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطالع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشترك فيها غيره فأنظر إلى النحل ومجاهبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يمشون وكيف استخرج من لمبها الشمع والسمل وجعل أحدها ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت محاسن أمورها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن التنجاس والأقذار وطاعتها لواحد من جملة ما أكرمها به سبحانه وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه يقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجايب آخر العجب إن كنت بصيرا في تشك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل للسدس فلابتني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مضا بل مسدسا خاصة في الشكل للسدس بقصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ضامة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لا تضع الزوايا تتيق فارغة ثم لو تابها مستديرة لقيت خارج البيوت فرج ضامة فإن الأشكال للمستديرة إذا جمعت لم تجمعت متراسة ولا هكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراس الجملة منه بحيث لا يتيق بعد اجتماعها فرجة إلا للسدس وهذه خاصية هذا الشكل فأنظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صفر جرمه ولطائفه

لا يئنه لتضيق المحاسبة
بحار الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء
لوضن صدقة في حسن
الافتاد وحرصه على
تحقيق مقام العباد وهذا
مقام المحاسبة والرعاية
يقع من ضرورة صحة
التوبة قال الجنيد: من
حصلت رعايته دامت
ولاشه . وسئل
الواسطي: أي الأعمال
أفضل قال مراعاة السر
والمحاسبة في الظاهر
والراعية في الباطن
ويكمل أحدهما بالآخر
وهما تستقيم التوبة
والراعية والرجاء حالان
شرافان وصيران
مقاسين شرعيين
يضعان بصحة مقام
التوبة وتستقيم التوبة

(١) حديث إني محسك بهجركم عن النار وأنتم تهاقون فيها تهافت الفرائش متفق عليه من حديث أبي هريرة ثلث ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجاءت الدواب والفرائش يقمن فأنا أخذ بهجركم وأنتم تتجمعون فيه فقط مسلم والقصير البخاري على أوله وسلم من حديث جابر وأنا أخذ بهجركم وأنتم تهاقون من يدي .

لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه لئلا يمشيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فأعترف بهذه اللمة اليسيرة من محمات الحيوانات ومع عنك عجايب ملكوت الأرض والسموات فإن التقدر الذي يملئه فهنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إرضاه ولا نسبة لما أحاط به علما إلى ما أحاط به العلاء والأنبيا ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بملء بل كل ما عارفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبانظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فأنبه الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الهائم والفكر اللازم فمسالك تحظى منها بقدر يسير ولكن تال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

اعلم أن للؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت منهم فتلقونها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلوها على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان مسلم وتصديق واشتغالوا بالعلم وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتخيلون هم الضالون والمعارفون بالخفاي هم القريبون وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من اللقرب بين فروع ورحمان وجنة نعم - الآية فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأشياء فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقيه منهم والعموم لأنهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن المامى يعرف علمه بمجمل والفقهاء يعرفونه مفصلا فتكون معرفة الفقهاء به أتم وإعجابه به وجهبه له أشد فأن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لاحالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأحبه تضاعف لاحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بملءه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعة إزداد به معرفة وإزداد حبه وكذا سائر الصناعات والقضائل والمامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري مالى التصنيف فيكون له معرفة بمجمل ويكون له حبه ميل بمجمل واليسير إذا نقض عن التصنيف وأطلع على مآلها من السجائب تضاعف حبه لاحالة لأن هم لب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمنتفع والمالم يحمله صنع الله تعالى وتصنيفه والمامى بذلك يعتقد وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في العوض مثلا من عجائب صنعه ما يثير به عقله ويثير فيه له ويزداد بسببه لاحالة عظمة الله وجلاله وكآل صفاته في قلبه فيزداد له حبه وكآل إزداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وإزداد به معرفته حبه واجبر هذه المعرفة أغنى معرفة عجايب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصره ومعها تفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله مثلا لكونه عسنا إليه منما عليه ولم يحبه لانه ضقت محبته إذ تنبت بغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلا كحبه في حالة الرضا والنماء وأما من يحبه لانه لا يستحق للحب بسبب كآله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فهذا أمانته هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب لتفاوت في مساهمة الآخرة وذلك قال تعالى - ولا تآخروا - كبر درجات وأكره فضيلا .

على الكمال بهما
فصارت المحاسبة
والرأية والرعاية من
ضرورة مقام التوبة .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف أبي بكر
الشيرازي قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن
القارسي يقول سمعت
الجريري يقول أمرنا
هذا مبنى على تصنيف
وهو أن تلام نفسك
للمراقبة تعالى ويكون
العلم على ظاهره قائما .
وقال للرمثي: للمراقبة
مراعاة السر للملاحظة
الحق في كل لحظة
ولقد قال الله تعالى
- أفمن هو أشم على
كل نفس بما كسبت -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر للوجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول وتري الأمر بالنفس من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وبما قلنا إنه أظهر للوجودات وأجلها لمنى لأفهامه لا ابتال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر للوجودات حياته وعلمه وقدرته وإرادته للشيأة أجل عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه ومحبته ومرسته وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضنا نشك فيه كقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمانيته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته لفاعله لإدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد به بالضرورة كل مناشاهده وتدركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبت وشجر وحيوان وساء وأرض وكوكب وبر وبحر ونا وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أفضنا وأجسامنا وأوصافنا وقلوبنا وأحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علنا أفضنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالقل والبصرة وكل واحد من هذه المدركات لم يدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأداة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ونصرتها ومحركها ودالة على علمه وقدرته وألقه وحكته والوجودات للمدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فأنها تتأدى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أول تركيب أعضائنا والتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرفة عظم ظهوره فأنه برت العقول ودشت عن إدراكه فإن ما قصر عن فهمه عقولنا فله سببان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله . والآخر ما يشاهد وضوحه وهذا كأن الحفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لاخفاء التبار واستتاره لكن لشدة ظهوره فإن بصير الحفاش ضعيف يبره نور الشمس إذ أنشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره حيا لا تمتاع بإساره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام ومنتصف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراف والاستئذنة في غاية الاستعراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفاءه فسيبان من احتجب بإشراف نوره واستخفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتجنب من إخفاءه ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تسببان بأشدها ومع وجوده حتى إنه لا شد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الله لالة على نسق واحد أشكال الأمر ومثاله نور الشمس للشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزلزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائما لاشراف لا غروب لكانت نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السوداء والياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال
ومسرفة الزيادة
والتمسان وهو أن يعلم
مبائر حاله فيا بينه
وبين الله وكل هذا
ملازم لصحة التوبة
وصحة التوبة ملازم لها
لأن الحاطر مقدمات
السزائم والنسزائم
مقدمات الأعمال لأن
الحواطر تحقق إرادة
القلب والقلب أسير
الجوارح ولا تتحرك
إلا بتحرك القلب
بالإرادة والمراقبة
حس مواد الحواطر
الردية فصار من تمام
المراقبة تمام التوبة
لأن من حصر الحواطر
كفي مؤنة الجوارح لأن
بالمراقبة اصطلاح عروق
إرادة للكارة من

فأنا لا نشاهد في الأسود إلا الأسود وفي الأبيض إلا الأبيض فأما الضوء فلا ندركه وحدوه ولكن لما غابت الشمس وأظلمت الواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فقلنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بنوره وأصفت بصفة فارقتها عند التروب ففرقنا وجود النور بمدمه وما كنا نطلع عليه ولا نعلم إلا البصر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذمع أن النور أظهر المحسوسات إذ به ندرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لتبره انظر كيف تصور استنباط أمره بسبب ظهوره لولا طريان مذه فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهت السموات والأرض وبطل الملك واللكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أوردت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في تصور الأفهام وأما من قويت بصيرته ولم تصغف حسنة فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفاضه أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دون وجوده وإعنا الوجود لو كان الذي به وجوده الأقوال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأقوال إلا ويرى فيه الفاعل ويحصل عن القفل من حيث إنه صماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه وتصنيفه ورأى فيها الشاعر والصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعصف وزاج ، رقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير الصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا به وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله الذي يقال فيه إنه في التوحيد وأنه في عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا قنينا عنا قنينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضرب الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للعرض إلى الأنهم أو باستخفافهم بأشبههم واعتقادهم أن يان ذلك لتبرهم بما لا ينهم فهذا هو السبب في تصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن للدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند هدم العقل ثم يبدو فيه غرر العقل قليلا قليلا وهو مستغرق لهم بحيواته وقد أنسى بذكراته ومحسوساته وألقها فسقط وقها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل التقية حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فضلا من أمثال الله تعالى خارقا لقادة مجييا انطالق لسانه بالمعرفة طبا فتنا سيجان الله وهو يرى طول التبار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحصى بجهادتها لطول الأنس بها ولو فرض أنك تبلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان فذهت واحدة على سبيل التقية خفيف على عقله أن يظهر لعظم تعجب من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا أمثاله من الأسباب مع الاتهام في الشهوات هو الذي صد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والباحث في مجارها الواسعة فالتاس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به التل إذا كان راكبا لجار وهو يطلب حمارة والجليات إذا صارت ، مطوية صارت متعامة فهذا سر هذا الأمر فيحقق ولذلك قيل:

قد ظهرت لي تخفي على أحد إلا على أنه لا يصرف القصر
لكن يطلب بما أظهرت محتجيا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

القلب وبالحاسة
استدراك ما افادت
من الرقبة . أخبرنا
أبو زرعة عن ابن
خلف عن السلي قال
سمعت أبا عبد الله القري
يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في حسنة
الطريق الحاسبة
والرقابة ومياسة
العمل بالعلم وإذا سمعت
التوبة صحت الاتابة
قال إبراهيم بن آدم
إذا صدق العبد في
توبته صار منيئا لأن
الاتابة ثاني درجة
التوبة وقال أبو سعيد
القرشي للمنيب الجامع
عن كل شيء يشغله
عن الله إلى الله وقال
بعضهم الاتابة الرجوع
منه إليه لا من شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد أن ينكر حقيقة الشوق إذ لا تصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون المعارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأبواب البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيمكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشاق إليه في غيبته لاعتداله فأما الحاصل الحاضر فلا يشاق إليه فإن الشوق طلب وتجوف إلى أمر وللوجود لا يطلب ولكن يياته أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلا فلا يشاق إليه فإن من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق إليه وما أدرك بكامله لا يشاق إليه وكال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة عبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يشاق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهين لا يكشف إلا بئالهمن للشاهدات . فقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشاق إلى استكمال خياله بالرؤية فهو انعمى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قدره في ظلمة بحيث لا يكشف له حقيقة صورته فيشاق إلى استكمال رؤيته وتعمد الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجه عبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خياله صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل المعارفين فإن ما اتضح للمعارفين من الأمور الالهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحاً بآلة الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخييلات فإن الخيالات لا تفر في هذا العالم عن التخييل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكررات للمعارف ووهنات وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح للمشاهدة وتعمد إشراق التخييل ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة وجوب الشوق فانه منتهى عبوب المعارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا ما الثاني أن الأمور الالهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبيد المباد بعضها ويبقى أمور لا نهاية لها غامضة والمعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لامرقة واضمحلال امرقة فاضحة الشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية لقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من الميعين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطى ذلك فقد أضررتي التلق قال فرأيت في النوم أنه أوفقني بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت معنى أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءى وهل يسكن للشقاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبلك فلم أدر ما أقول فأغفر لي وعلمي ما أقول فقال قل اللهم رضى بضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لاقى الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد طالما بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتنفع له فلا يسكن قط شوقه لاسيا من يرى فوق درجته درجات كثيرة لأنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد ذلك شوقا لا يظفر فيه ثم ولا يبعد أن تكون

غيره فمن رجع من غيره إليه ضيق أحد طرفي الأناة والنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواء ف يرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شيعا لا وصف له فأما بين بدى الحق مستغرقا في عين الجمع وعطافة النفس ورؤية عبوب الأعداء والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرقابة والراقبة . قال أبو سليمان ما استعصفت من نفسي عملا فلا تحسبه العجزى من استعصمت شيئا من أحواله في حال إزدائه فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع

الطاف الكشف والنظر متواليه إلى غير نهاية فلا يزال النعم واللذة متزايداً أبداً لا يابوتكون قد ما يستجد من لطائف النعم شائعة عن الاحساس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا يشترط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن كان ذلك غير مبدول فيكون النعم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - تورهم يسمي بين أيديهم بما يأتمهم يقولون ربنا آتهم لنا تورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن يتم عليه ما تعلم التورهم مما تزود من الدنيا أصل التور ومحتمل أن يكون للرداء إتمام التور في غير ما ينتظر في الدنيا استتارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو للرداء بمثابة قوله تعالى - انظرونا فتنبس من نوركم قبل ان رجوا وراهمكم فالتسوا تورا - يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً فاما أن يتجدد نور فلاولم يحكم في هذا برجم الظنون محطوط ولم يتكشف لنا فيه بديهي بيقين بفساد الله تعالى أن يزيدنا علماً ورحمة وبرئنا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كل كشف لحقائق الشوق ومعانيه . وأما شواهد الأخبار والآثار فأكث من أن تحصى فما أشهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد البش بعد اللوث وثقة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك ^(١) » وقال أبو البرداء لكعب أخيراً عن أنس بن مالك قال قال رسول الله تعالى : ما ل شوق الأبرار إلى لقاءي وإنني إلى لقاءهم لأشد شوقاً قال وكتب إلى جانيه من طلبني وجدني ومن طلب غيبي لم يجدني ، قال أبو البرداء أشهد أني سمعت رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) يقول هذا في أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني وجلس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبه ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك شيئاً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحبته جبار لا يشده أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيبي لم يجدني ، فارتضوا يا أهل الأرض جأتم عليهم من غرورها وهلو إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي والتسوا بي أو أنكم وأسارع إلى حبسكم فاني خلقت طينة أحيائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب للتشائق من نوري ونمتها بجلائي . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي محبوبين وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حدوث طريقتهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علمتهم قال يراعون الظلال بالتيار كما يراعى الراعى الشقيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب فإذا جهن الليل واستلط الظلام وقشرت القروش ونصبت الأسرة وخلال حبب غيبه صبوا إلى أقدامهم واقتشوا إلى وجوههم وتاجروا بملامى وتخلوا إلى أنفاسي فبين صارخ وبكاء وبين متأوه وشك وبين قائم وقاعدوين راكع وساجد بيني ما يتحدون من أجل وبسمى ما يشكون من حبي أول ما أعطيت ثلاث : أثلث من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلت لهم . والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه داود أني كم تذكر الجنة ولأنسأني الشوق إلى قال يارب من للتشائق إليك قال ان للتشائق إلى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلى آخرها ينظرون إلى وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأشبهها على معاني ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا

(١) حديث أنه كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد البش بعد اللوث الحديث أحمد والحاكم وتقدم في المعومات .

إلى ابتداءه فيروى
نفسه ثانياً ومن لم يكن
نفسه بغيران الصديق
فيأله وعليه لا يبلغ
مبلغ الرجال وروية
عيوب الأفعال من
ضرورة صحة الانابة
وهو في تحقيق مقام
التوبة ولا تستقيم
التوبة إلا بصديق
المجاهدة ولا بصديق
العباد في المجاهدة إلا
بوجود الصبر . وروى
فضالة بن عبيد قال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
المجاهد من جاهد نفسه
ولا يتم ذلك إلا بالصبر
وأفضل الصبر الصبر
على الله بكوفهم
عليه وصديق للرقابة
له بالقلب وجميع مواد

سجدوا لي فأقول إنى لم أدعكم لتسجدوا لي ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب للشائقين إلى
وأباهي بكم أهل الشوق إلىى فان قلوبهم لنفى في سائى للاسكنى كما نفى الشمس لأهل الأرض.
يادود إنى خلقت قلوب للشائقين من رضوانى وغمتها بنور وجهى فالتخذهم لنفى عدى ،
وجعلت أبادهم موضع نظرى إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طرقا ينظرون به إلىى يزادون فى
كل يوم شوقا . قال داود يارب أرنى أهل عبتك ، فقال يادود انت جبل لبنان فان فيه أربعة
عشر تمسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرهم منى السلام وقل لهم إن ربكم
يقربكم السلام ويقول لكم الانسألون حاجة فانكم أجبائى وأمنائى وأوليائى أفرح لفرحكم
وأسارع إلى عبتكم فأتانم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة
الله عز وجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود إنى رسول الله
إليكم جيشكم لأتكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسباعهم نحو قوله وألقوا أصدارهم إلى
الأرض ، فقال داود إنى رسول الله إليكم يقربكم السلام ويقول لكم الانسألون حاجة الاتادون
أمم صوتكم وكلامكم فانكم أجبائى وأمنائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى عبتكم وأنظر
إليكم فى كل ساعة نظرا الوالدة الشفقة الرقيقة . قال بقرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فى معنى من
أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر
فما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أنجبتنى على
الدهاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدمل لنا زوم الطريق إليك وأتمم بذلك لنا
علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون فى طلب رضاك فأمتنا علينا بمجودك . وقال الآخر : من
نظمت خلقتنا ومننت علينا بالفكر فى عظمتك أنجبتنى على الكلام من هو مشغل بعظمتك
متفكر فى جلاك وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كنت ألسنتا عن دمالك لظلم شأنك
وقربك من أوليائك وكثرة متك على أهل عبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا فذكرك
وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تخميرنا فى شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إتمامها
النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترى البعد على سيدنا إذ أمرتنا بالدهاء بمجودك فهب
لنا نورا تهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا
وبدعنا عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نصحتك فىا وهبت لنا وتخلصت به علينا . وقال
الآخر : لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر :
أسألك من بينهم أن تسمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال
الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أوليائك فامتن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ
دونك . فأمر الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفرق
كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه مريبا فانى كاشف الحجاب فى بينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى
وجلالى . فقال داود يارب بم قالوا هذا منك قال بحسن الظن والكتب عن الدنيا وأهلها والحلوات فى
ومنجاتهم إلى وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه
واختارنى على جميع خلقى فعد ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فى بينى وبينه حتى
ينظر إلىى نظر الناظر بينه إلى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقره من نور وجهى ، إن

الحواطر والصبر
ينقسم إلى فرض
وفضل فالفضل كالصبر
على أداء للقرضات،
والصبر عن المحرمات
وهو الصبر الذى هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى وسكان
للسائب والأوجاع
وترك الشكوى
والصبر على إخفاء
الفقر، والصبر على كتم
النسج والكرامات
ورؤية البر والآيات
ووجوه الصبر فرضا
وفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهمه الأقسام من
الصبر ويشيق من
الصبر على الله بأزوم
حمة للرأفة والرأفة

مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشقيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذقه طعم ذكرى ، فإذا
فلت ذلك به ياداوود سميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لاختر عن الاشتغال بي .
يستجلى القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقى لايرى غيرى ولا أرى
غيره فلو رأيته ياداوود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانفلق قلبه إذا سمع
بذكرى أباهي به ملاسكتي وأهل ممواتي يزهد خوفا وعبادة ، وعزى وجلالى ياداوود لأصدته في
الفردوس ولأصفين صدره من النظر إلى حق رضى وفوق الرضا . وفي أخبار داود أيضا : قل
لبايدى للتوجهين إلى عبيتى ماضركم إذا احتجبت عن خلقى ورفضت الحجاب فيما بيني وبينكم
حتى تنظروا إلى عيون قلوبكم وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت دنى لكم وما
ضرركم مسخطة الخلق إذا التستم رضائي . وفي أخبار داود أيضا : إن الله كمالى أوحى إليه نزع
أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وسحبها لا يمتنعان في قلب .
ياداوود خالص حبيبي خالصة وأخالط أهل الدنيا مخالطة وذيتك قتلته ولا شهد ذنبك الرجال ، أما
ما استبان لك مما وافق عبيتى فتمسك به ، وأما ما أعشلك عليك قتلته حتى أتى أسارع إلى
سياستك وتبرعك وأكن فائدك وذلك أعطيك من غير أن تسألني وأعنيك على الشدائد
وإن قد حلفت على نفسي أن لا تأثيب إلا عبدا قد عرفت من طليته وإرادته إلقاء كفه بين
يدي وأنه لا غنى به عني ، فإذا كنت كذلك تزعت القلة واللوحشة عنك وأسكن التنى قلبك
فأني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبيدى إلى نفسه ينظر إلى ضالمها إلا وكلته إليها أنصف
الأشياء إلى تضاد صملك فكفون متعبيا ولا يفتن بك من يصحبك ولا تجد لمرقنى حدا فليس
لها غاية ، ومع طلبت من الزيادة أعطيك ولا تجد للزيادة منى حدا ، ثم أعلم بني إسرائيل أنه
ليس بيني وبين أحد من خلقى نسب فلتعلم رغبتهم وإرادتهم عندي أبع لهم مالا عين رأى ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضئى بين عيذك وانظر إلى يصير قلبك ولا تنظر بينك
إلى في رأسك . إلى الذين حبيت عقولهم على فأمرجوها وسخت باقطع ثوابي منها فاني حلفت
بزي وجلالى لا أفتح ثوابي لبيد دخل في طاعنى للتجربة والتسويق تواضع لمن تملعه ولا تطاول
على الريدن ، فلو علم أهل عبيتى منزلة الريدن عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها . ياداوود
لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذ فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كتبتك عندي
جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى الخلقين . ياداوود : تمسك بكلامي وخذ من شمسك
لنفسك لا تؤثيب منها فأحجب عنك عبيتى لا تؤيس عبادى من رضى قطع شهوتك على فاقما
أبعث الشهوات لضعفة خلقى ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فاتها تنقص حلالة مناجاتى ،
وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عنى فاني
لم أرض الدنيا لحبيبي وزهته عنها . ياداوود : لا تجعل بيني وبينك طالما يحبك بسكره عن
عبيتى . أولئك قطاع الطريق على عبادى الريدن استمن على ترك الشهوات لإدمان الصوم ،
وإياك والتجربة في الإقطار فإن عبيتى للصوم إدماه . ياداوود تحب إلى بمادة تمسك أمشيها الشهوات
أنظر إليك وترى المحب بيني وبينك مرقوعة إنما أداريك مدلالة لتؤتى على ثوابي إذا مننت
عليك به وإنى أحببه عنك وأنت متمسك بطاعنى . وأوحى الله تعالى إلى داود ياداوود يعلم للديرون عنى
كيف انتظاري لهم ورقى بهم وشفق على ترك معاصيهم لما تواخا خوفا إلى وتخطت أوصالهم من عبيتى

وفى الجواهر ، فإذن
حقيقة الصبر كائنة
في التوبة ككيفية
للراقبة في التوبة
والصبر من أعز
مقامات اللواتين وهو
داخلى في حقيقة
التوبة . قال بعض
العلماء : أى شيء
أفضل من الصبر
وقد ذكره الله تعالى
في كلامه في نيف
وتسعين موضعا وما
ذكر شيئا بهذا العدد
وصحة التوبة تحصى
على مقام الصبر مع
شرفه . ومن الصبر
الصبر على النعمة ،
وهو أن لا يصرفها
في مصبة الله تعالى
وهذا أيضا داخلى
في صحة التوبة

ياداوود هذه إرادتي في اللذين عنى فكيف إرادتي في اللذين عليّ ياداوود أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما يكون عبدي إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإثبات تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

(بيان عجة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفته معنى ذلك . ولقد قدم الشواهد على عبته ، فقد قال الله تعالى - يحرم ومحبونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فلم يذبكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتاب من الذنب كن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحبته تاب عليه قبل اللوث فلم تضره الذنوب للماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر للماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب » (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » (٣) وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » (٤) الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : عمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورى من القاطع المحبة خارج عن المحر ، وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء اللائق والعشق عبارة عن الليل الغالب للفرط ، وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسمى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود للتبوع ، وإثما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليس الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التابع في سائر الأسماء

(١) حديث أنس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له منه وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وقد قدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم وصححه إسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر ذكره وآخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن حبان (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة يلينا بالفرء صبرنا وابلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والتضرب والصبر عن محبة الناس والصبر على المحول والتواضع والذل داخل في الزهد وإن لم يكن دخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوبة من اللقائات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركها وتركها بالثوبة

أظهر كالم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا ينفى فيه الخالق الخلق وواضع الة إنما وضع هذه الأسامي أولا لخلق فان الخلق أسبق إلى القول والأنهم من الخالق فكان انتصاليها في حق الخالق بطريق الاستارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في قس ناقصة فانها ما يوافقها تقتضيه بئله كالا فتلذ بئله وهذا عمل على الله تعالى فان كل كمال وجهه وبها وجلال يمكن في حق الإلهية فهو حاضر وحامل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله قطع وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، وذلك قال الشيخ أبو سعيد اللبي رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - يحيم ويحيونه - فقال بحق يحيم فانه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعاله وتصفاته فهو فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الأنطاط في حبه لبياده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى يمكنه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل قبله لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكن هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبيده فهو حادث يحدث بسبب التقضي له كما قال تعالى ولا يزال عبيدي يتقرب إلى بالتواقل حتى أحبه فيكون تقربه بالتواقل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ، ولا يهم هذا الإبتال وهو أن لللك قد يقرب عبيده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه ليل لللك إليه إما لينصره بقوته أو ليسترع مشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهي أسباب طعامه وشربه أو ليقبله إن لللك يحبه ويكون معناه إليه لما فيه من المنى الموافق للآلئ له وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالاتفاق به ولا للاستتجاب به ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق والصفات والحاصل الحيدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة لللك والفر الحظ من قربه مع أن لللك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع لللك الحجاب عنه ويمنه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الحيدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توسل وحسب نفسه إلى لللك فحب الله للعبد إنما يكون للمنى الثاني بالمعنى الأول وإنما يصح تمثيله للمنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تميز عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القرب من الله تعالى والقرب من الله في العبد من صفات البهائم والسيباع والشياطين والتخلق بحكام الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا صار قريبا فقد تميز قريبا يظن بهذا أن القرب لما تجدد قد تميز وصف العبد والرب جمعا إذا صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذا التميز عليه محال بل لا يزال في نوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا يكشف هذا الإبتال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ يطلب القرب من درجة لئله في كمال العلم وجهه والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالزول إلى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضن الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائما في التميز والترقى إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب فكلمة صلا كل صفة وأهم علما وإحاطة بمقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقهر الشهوات وأظهر زهارة عن

فالنفس اذا تزكيت
بالنوبة التصوح زالت
غشا التراسمة الطيحية
وقلة الصبر من وجود
التراسمة للنفس وإبائها
واستصانها والنوبة
التصوح تلين النفس
وتخرجها من طبيعتها
وشراستها إلى اللين
لأن النفس بالحاسبة
والراقية تصفو وتطفيء
نيرانها للتأجبية
بتأية الهوى وتبلغ
بطمانتها عمل الرضا
ومقامه وتطمئن في
مجارى الأندار قال
أبو عبد الله النابجى
له عباد يستحيون
من الصبر ويتفقون
مواضع أقداره بالرضا
تلقا ، وكان صمير
عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله، ثم قد يقدر التلذذ على القرب من الأستاذ على مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى فإنه لا نهاية لكمال وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينشئ إلا إلى حد محدود فلا طمع له في المساواة ثم درجات القرب متفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انقضاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا نجا الله للعبد تفرس منه نفسه بدفع الشواغل والمأامى عنه وتطهير باطنه عن كموروت الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو موله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا يرجع يشقى إلى ما فاتته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى . فإن قلت محبة الله للعبد أمر متبني فم يعرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب الحب البائع اقتناه قليل وما اقتناه ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا ماله (١)» فعلامته محبة الله للعبد أن يوحسه من غيره ويعمل بينه وبين غيره . قيل ليس على السلام لم لا تسترى حماراً فتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشقى عن نفسه بحمار، وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفاه (٢)» وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يتنليك فاعلم أنه يريد مصافيك ، وقال بعض الريدن لأستاذة قد طولت حتى من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فأثرت عليه إياه قال لا قال فلا طمع في المحبة فإنه لا يعطى عبداً حتى يلوه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له وأعطا من نفسه وزاجراً من قلبه بأمره ونهيه (٣)» وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً بصره بعبوب نفسه (٤)» فأخص علاماته حبه له فإن ذلك يدل على حب الله . وأما القفل الدال على كونه محباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو للغير عليه وللغير لأمره وللزينة لأخلاقه وللمستعمل لجوارحه وللسدد لظواهره وباطنه والجائع همومه وما واحداً ولقبض الدنيا في قلبه وللوحش له من غيره وللؤنس له بلية للتاجد في خواتمه والكشف له عن المحجب بينه وبين معرفته فذا وأمانته هو علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله فإنها أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعها كل واحد ومأسهل الدعوى وما أعز للمنى فلا ينبغي أن يشتر الإنسان بتبليس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتحسها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتجارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار القائمة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا وعجب مشاهدته وقائه وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومغارتها بالموت فنبهني أن يكون عبداً للموت غير فارٍّ منه فإن الحب لا يتقل عليه السفر عن وطنه إلى استقرار محبوه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له في مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له وأعطا من نفسه الحديث أبو منصور الهيثمي في مسند القردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن ينفرد إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً بصره بعبوب نفسه أبو منصور الهيثمي في مسند القردوس من حديث أنس بزيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالي سرور
الإمواقع القضاء قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينحس
حين وصاه «احمل الله
باليقين في الرضا فإن لم
يكن فإن في الصبر
خيراً كثيراً وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من خير
مأعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له»
فالأخبار والآثار
والحكايات في فضيلة
الرضا وشرفه أكثر
من أن تحصى والرضا
ثمرة التوبة النصح
وما تخلف عبد عن
الرضا إلا يتخلقه عن
التوبة النصح فإذا
تجمع التوبة النصح
حال الصبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليتعلم بمشاهدته والموث مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى الشاهدة . قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ^(١) وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أطلع من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في المريد مع لقاء الله من كثرة السجود وقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله نجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لمريض الله تعالى عنهما : الحق هزيل وهو مع قلة مريض والباطل خفيف وهو مع قلة قوي . فإن حفظت وسيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولني تسجده ، وروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله غلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا قبضت العدو غدا فلقني رجلا هديدا بأهله هديدا حرده أقاتك فيك ويقايني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويقر بطني فأفك القتيك غدا قلت يا عبد الله من جدع أهلك وأذنتك فأقول فيك يارب وفي رسلك فتقول صدقت قال سعد لقد رأيته آخر التار وان أخوه أذنته لقتل في خط ^(٢) قال سعيد بن السيب أرجو أن يرى الله آخر قسمه كما أرى أوه ، وقد كان الثوري وشريك الحارثي يقولان لا يكره الموت إلا مريب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البيهقي بعض الزهاد أحب الموت فمكانته توقف فقال لو كنت صادقا لأحببته وتلا قوله تعالى - قتلنا الموت إن كنتم صادقين - فقال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يمتنع أحدكم الموت» ^(٣) فقال إني أحاطة لفسر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب التراب منه . فان قلت ممن لا يحب الموت فهل يصحور أن يكون حبا ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والوالد والولد وهذا يناقض كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يعد أن يكون له مع حب الأهل والولد هاربة من حب الله تعالى ضيقة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاة عاتبة قريش في ذلك وقالوا أنكعت عتيقة من حنظل قريش لولي فقال والله لقد أنكحتك إياها وإني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أعده عليهم من فقهه فقالوا كيف هو أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم ^(٤) » فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيجبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون لغيره

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله غلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسم عليك إذا قبضت العدو غدا فلقني رجلا هديدا بأهله هديدا حرده أقاتك فيك ويقايني ويخمد أنفي وأذني الحديث الطبراني ومن طريقه أبو نعيم الحلية ولسانه جيد (٣) حديث لا يمتنع أحدكم الموت لفسر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاة عاتبة قريش في ذلك وفيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم » أنه من حديث حذيفة وروى أبو بصير في الحلية للرفع من حديث عمران بن سالم أحب الله حقا من قلبه وفي رواية له إن سالما هديدا لم يعز وجل ولم يغف الله عز وجل ما صامه عبد الله بن لحيعة

الرضا والخوف والرجاء
مقامان شريكان من
مقامات أهل البين
وهما كائنان في صلب
التوبة الصريح لأن
خوفه حمله على التوبة
ولولا خوفه ما تاب
ولولا رجائه ما خاف
فالرجاء والخوف
يتلازمان في قلب المؤمن
ويستندل الخوف
والرجاء للثاب للستيم
في التوبة . دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو على
سباق الموت فقال
« كيف نجده قال
أجدني أخلف ذنوبي
وأرجو رحمتي فقال
ما اجتمعا في قلب عبد
في هذا الوطن إلا أعطاه
الله ما وجاواته بما

بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعداؤه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون البید في ابتداء مقام المحبة وليس بكره الموت وإنما بكره
محلته قبل أن يستمد لقاء الله فذلك لا يدل على منصف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبر بقدم
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليبيد له داره ويبدل له أسبابه فيلقاه كما يهواه فأرغ القلب
عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته
الدخول في العمل واستمراق المهم في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه
في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويحجب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال
مواظبا على طاعة الله ومتقربا إليه بالذوايل وطالبا عنده مزايلا للرجات كما يطلب الحب مزيدا القرب
في قلب محبوه وقد وصف الله الحبيب بالإيثار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
ساجة عما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قبح الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام اغردت عنه وتخلت للعبادة واضطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراقه
نهارا فتدافيه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى التبار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قد
أن أعرفه فأما إذ عرفته لما أبقت محبة لسواه وما أريد به بدلا حق قال لها إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدن وجاعلهما نبيين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فتدعا سكنت إليه ؟ فاذن من أحب الله
لا يسيبه ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تصلى إليه وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفصال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هوته فأرضى بما عرضى وإن سخطت قضى

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إثارة على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب للنهي وهو كذا قال لأن محبة لله تعالى سبب محبة الله له كإكمال
تعالى - يحمم ويحبونه - وإذا أحبه الله تولاها ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا
يغذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا - فإن قلت فالصبيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كالمها ولا يضاد أصلها فكيف
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن للفرقة قد تفسد والتسوية قد تغلب فيجب عن القيام بحق المحبوب ولا عليه ما روى
« أن نعيان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن
آتى به يوما فغده قلته رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلته فانه يجب على الله رسوله (١) » فلم يخرج به المحبة ، نعم خرج به للصبيته عن كمال الحب

(١) حديث آي بنهاني يوما فغده قلته رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلته فانه يجب على الله
ورسوله البخاري وقد تقدم .

يخاف « وجاء في تفسير
قوله تعالى حولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة
هو البسبب يذنب
الكبار ثم يقول قد
هلكنا لا يفيض عمل
فالتائب خاف ظناب
ورجال الفقرة ولا يكون
التائب تابا إلا هو راجع
خائف ثم إن التائب
حيث قيدا الجوارح عن
السكرانة واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
شكر النعم لأن كل
جارية من الجوارح
نعمة وشكرها قديما
عن النسيئة واستعملها
في الطاعة وأما ما كرر
لنعمته كبر من التائب
للتسليم فإذا جمع مقام
الثوبة هذه اللامات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض المارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حيا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال التقييل إذا قبلتك أنحب الله تعالى فأسكت فانك إن قلت لا ، كذرت وإن قلت نعم ، فليس وصف المحبين فاحذر للقت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل اللذة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى اللذة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . ومنها أن يكون مستترا بذكر الله تعالى لا يفتخر عنه لسانه ولا يغلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتبعه به علامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب كلب محله فالجبة إذا قوت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركا في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبوا الله لما يندوكم به من نعمة وأحبوا لله تعالى (١) وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فاعما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فاعما يكرم الله تعالى . وحكي عن بعض الريدن قال كنت قد وجدت حلوة للتاجاة في سن الارادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتي قرة فاهطعت من التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف كتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي حبة القرآن فصاودت إلى حالي . وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدهم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله حب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة حب الدنيا وعلامة حب الدنيا أن لا يأخذنها إلا زادا وبلقة إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنه بالخلة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه وقواظب على التهجيد وينتم هذه الليل وصفاء الوقت باطناع المواقف وأقل درجات الحب التلذذ بالخلة بلحبيب والتتم بمناجاته فمن كان التوم والاشتغال بالحديث أنه عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لإبراهيم بن آدم وقد زل من الجبل من أن أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لاستأنس إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عن رجلين رجلا استبطأ ثوابي فاقطع ورجلا نسياني فرفض بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطاً عن درجة محبته وفي قصة بريح وهو البعد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برحاً نهم البعد هو لي إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يسبحه نسيم الأسفار فيسكن إليه ومن أحسن لي يسكن إلى شيء . وروي أن عابدا عبد الله تعالى في غيبة دحرا طويلا فظفر إلى طائر وقد عشى في شجرة يأوي إليها ويصغر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت أنس بصوت هذا الطائر

التوبة حال الرجوع
وحال الاتباء وحال
التيقظ ومخالفة النفس
والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والانابة والصبر والرضا
والمحاسبة والرقابة
والرعاية والشكر
والخوف والرجاء وإذا
صحت التوبة التصحيح
وتركت النفس انحلت
مراة القلب وبان فبح
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهد يتحقق
فيه التوكل لأنه لا زهد
في الوجود إلا لا عناية
على الوجود والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكلما بقي
على الصديق في تحقيق
للقامات كلها بعد
توبته يستدرك

قال قنصل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل فلان العابد استأنست بمخلوق لأحطك درجة لا تتأمله شيء من عملك أبدا ، فأذن علامة المحبة كال أنس بمنجاة المحبوب وكال التمس بالخلوة به وكال الاستيعاش من كل ما ينشئ عليه الخلوة ويسوق عن لغة للتأجاة وعلامة أنس مسير العقل والهم كله مستغرقا بلغة للتأجاة كالأى مخاطب ومشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة يعظم حتى كان في صلاحه ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والتأجاة قرعة عنه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الأنس والمحبة قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تذكر على صممه صارا مثل الماشق واللهمان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه فالحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هتت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضى الله تعالى عنه من ذاق من خالص حبة الله شفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال المطرف بن أبي بكر المحب ليسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبة إذا جنة الليل نام عن أبيس كل حب يحب لقاء حبيبه فيها أناذا موجود لمن طمئن . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأفصك فقال إذا قصدت قد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض الله . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى في كلام الخلق وقراءة الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأسف على ما فوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعة فيكثر رجوعه عند الفترات بالاعتصاف والاستتباب والتوبة . قال بعض المارفين إن لله عبادا أجوه وأطاموا إليه فذهب عنهم التأسف على الفاتت فلم يشأوا يحفظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فساكن لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تديره لهم وحق المحبة إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشغل القلب ويسأله ويقول رب بأى ذنب قطعت بركة عني وأبعدني عن حضرتك وعذبتني بنفسى وبمنجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته ويذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستغفها ويسقط عنه تعصيا كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تمتت به عشرين سنة . وقال الجيد علامة المحبة دوام النشاط والهدوء بهوية ختر بدنه ولا تفر قلبه . وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور . وقال بعض العلماء والله ما شئتني عبث لله من طاعته ولو حل بظلم الوسائل فكل هذا أمثاله موجود في المشاهدات فإن الماشق لا يستقبل السعى في هوى ومشوقه ويستسلم خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تهاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فكذا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صار غالبا قهر لاعماله ما هو دونه فن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من اللال ترك اللال في حبه ، وقيل لبعض المحبين وقد كان ينزل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة قال سمعت يوما عبدا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بحلى كله وأنت معرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني قابض تنفق على قال يابدى أملكك ما أملك

زده في الدنيا وهو ثالث الأربعة . أخرنا هيننا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن طي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن عباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن اللروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بغاطمة رضى الله عنها فرأها قد أحدث في البيت سرا وزواله في يديها فلما رأى

ثم أتق عليك روحى حق تلك قنات هذا خلق لخلق وعبد لمبد فكيف يبد لمبود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحما بهم شديد على جميع أعداء القوي على كل من يخاف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى - أعداء على الكفار رحما بينهم - ولا تأخذوا لأمم ولا يصره عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفون عني كما يكفك الصبي بالنبي وبأبوان إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكفه ويضربون لحارمه كما يغضب القر إذا مردقائه لا يالى قل الناس أو كثرنا فانظر إلى هذا لكلك فان الصبي إذا كلف بالنبي لم يخافه أملا وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فان ظم أخذه معه في ثيابه فاذا اتعبه عاد وتمسك به ومهما فارقه يبكى ومهما وجدته ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما الخرف فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات الحجة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت حجة الله على خلقه وخلص حبه نضفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حبه في الله تتم في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب للقرين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لن نبي لهم قال - يسقون من رحيق عنقوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاج من تسنيم عينا ضرب بها للقرين - فاذا طاب شراب الأبرار لشرب الشراب الذي هو للقرين والشراب عينا عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لنى عليين ثم قال - يشهد للقرين - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهد للقرين وكان الأبرار يجدون للزبد في حلهم ومزقهم بقربهم من للقرين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حلهم في الآخرة - ما حلهم ولا يشك إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نبيده - وكالتعالى سجزا ووقا - أى وافق الجزء أعمالهم تقوبل الخالص بالسرف من الشراب وقبول للشوب للشوب وشوب كل شراب على قدر مسبق من الشوب في حبه وأعماله - فمن جعل مثقال ذرة خيرا يرمو من جعل مثقال ذرة شرا يرم - وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين نحن نعلم ما كنتم في الدنيا رجاء لنعم الجنة والخور العين والقصور مكن من الجنة ليقيموا منها حيث يشاء فلنعم مع الوالدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنهى لفته في الآخر لأنه إنما يعطى كل إنسان في الحجة ما تشبه نفسه وتلك عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك للآل ولم يلب عليه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقصد صدق عند ملك مقدره - فالأبرار يرمون في البساتين ويتصمون في الجنان مع الخور العين والوالدان وللقرين ملازمون للحضرة ما يكون بطرفهم عليها يستحقون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها تقوم بضياء شهوة البطن والفرج مشغولون والمجالسة أقوام آخرون وتلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الألباب (١) » ولما نصرت الأنهم عن ذلك معنى عليين عظم أمره قال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة - ومنها أن يكون في حبه خائفا متضاللا تحت الحمية والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الحمية كما أن إدراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين يخافون في مقام الحمية ليست تثيرهم وبسبب مخاوفهم أشد من بسبب قائلها خوف الإعراض وأشد منه خوف المحاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا للنبي في سورة هود هو الذي شيب سيد

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الألباب البزار من حديث أنس بن مالك بن مسعود مختصرا على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الخوارى وله أدرج فيه .

ذلك رجع ولم يدخل
ثم جلس لجلس بسكت
في الأرض وقول
مالى ولدينا مالى
ولدينا فرأت قاطعة
أنه إنما رجع من أجل
ذلك السر فأخذت
السستر والزوالد
وأرسلت مع بلال
وقالت له اذهب إلى
النبي صلى الله عليه وسلم
قل له قد صدقت به
فمنه حيث شئت فأتى
بلال إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد صدقت به
فمنه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
بأبى وأمى قد قلت
بأبى وأمى قد قلت
اذهب فبه « وقيل
في قوله تعالى - إنا
جئنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم إيمانهم

الحسين (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا يبدأ لنموت - ألا يبدأ لمدين كما بدت ثمود - وإنما نظم هية العبد وخوفه في قلب من آلف القرب وذاته وتمم به حديث العبد في حق البدين يشيب سماعة أهل القرب في القرب ولا يمن إلى القرب من آلف العبد ولا يسكن لحوف العبد من لم يكن من بساط الطرب ثم خوف الوقوف وسلب الزيد فانا قلنا أن درجات القرب لنهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون (٢) » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى استغفر الله سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان يبدأ بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على القصور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي فسلب للزيد بسبب الشهوات عقوبة لعدم قائما المحصور فيحبهم عن الزيد مجرد الدعوى والسحب والركون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف وذلك هو للكر الحفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت مالا يدرك بعد فوته . مع إبراهيم بن آدم قال لا يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفوف
رسوى الإعراض عنا
قد وهينا لك ما فات فهب ما فات منا

فاضطرب وخشى عليه فلم يبق يوما ولية وطرات عليه أحوال ثم قال سمعت التمام من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكننت عبدا واسترحت ثم خوف السوا عنه فان الحب يلزمه الشوق والطلب الحديث فلا يفر عن طلب للزيد ولا يتلى إلا بلطف جديد فان تسلي عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجته والسوا يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية مماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله للكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السوا فيقف مع الرجاء ويترجم عن النظر أو بنبلة الغفلة أو الهوى والنسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تطلب جنود اللاتسك من العلم والعقل والكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحكمة فن أوصافه ما يوح فيورث السوا كأوصاف الجبرية والمرة والاستغناء وذلك من مقدمات للكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو التفت والسوا عنه مقدمة هذا القام والأعراض والحجاب مقدمة السوا وحق الصدر بالبراهيقا عنه من دوام الله كرومالة لو طائف الأوراد أسباب هذه العاني ومقدماتها وتطور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام اللقت ثمود بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وعدة الحذر منها بصفاة للراقبة دليل على صفى الحب فان من أحب شيئا خاف لأعماله تقده فلا يغلو الحب عن خوف إذا كان المحبوب بما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من غير حجة اتقطع عنه بالبعد والاستحاش ومن عبده من طريق الحب والخوف أحبه الله تعالى تقربه ومكنه وعله فالحب لا يغلو عن خوف والخائف لا يغلو عن حبه ولكن الذي غلبت عليه المحبة

(١) حديث شيخني هود أخرجه الترمذي وقد هدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره روله البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد هدم .

أحسن عملا - قيل
الزهد في الدنيا . مثل
أمير المؤمنين على بن
أبي طالب رضي الله
عنه عن الزهد قال
هو أن لا يبالى بمن
أكل الدنيا مؤمن أو
كافر . ومثل الشبل
عن الزهد قال ويلكم
أمر مقبدر الجناح
بموضة أن يزهدها .
وقال أبو بكر الواسطي
إلى من يقول برك
كنيف وإلى من يقول
بإعراضك عما لا تزن
عند الله جناح بموضة
فاذا صح زهد العبد
صح توكله أيضا لأن
صدق توكله مكنه من
زهده في الوجود فن
استقام في التوبة
وزهد في الدنيا وحق

حق اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام الحية وبعد من المحين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت الفرقة لم تثبت تلك طاعة البشر فاعلم الخوف بعله ويخفف وقته على القلب قد روي في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته فقبل ذلك فقام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينفع به شيء فساله الصديق ربه تعالى فقال يا رب انتقم من القفرة بضيا فأوحى الله تعالى إليه إما أعطيتك جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة فذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من الحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخبرت إجابتهم إلى أن فهمت أنت لهذا فلما أجبتهك فيها سألت أعطيتهم كما أعطيتك قسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انحصر بها أعطيتك فأذهب الله عنه حبة الجزء وبقى معه عشر مشواره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاهه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل في وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الأحرار منهم والبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان نؤاده زبر الحديد
قد عزت محتائب وجلت عن الأبرار إلا القليل
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عيد
ولأحباب أفرح بعيد ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجليل رحمه الله ينشد أياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات :

سرت بأنا في التوبى قلوبهم خلوا قرب للجاد للفضل
عرا صا قرب الله في ظل نفسه تجبول بها أرواحهم وتقل
موارد في على المز والتهى وبصدم عنها لما هو أكل
روح جز مفرد من صفاته وفي حلل التوحيد تمشي وترقل
ومن يد هذا ما تدق صفاته وما كنهه أولى لديه وأصله
سأ كنتم من على به ما يوصوه وأبذل منه ما يرى الحق يبدل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم وأمنع منه ما يرى للع فضل
على أن لرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والعلن أجمل

وأمثال هذه العارفات التي إليها الاشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهر هاهنا انكشف شيء من ذلك لمن لم يتكشف له بل لو افترق الناس فيها حُرِّت الدنيا بالحكمة تقتضي ههنا الثقة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما حُرِّت الدنيا زهدم فيها وطلت الأسواق والعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتتوا بأعضهم ولو قُتت الألسنة والأقدام عن كثيرهما انشتمت العلوم ولكن له تعالى فيها هو سر في الظاهر أسرار وحكم كأن له في الخير أسراراً وحكماً ولا تمنى لحكته كالأهية قدرته . ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوق من إظهار الوجد والحبة تمطيا للمحجوب وإجلالا له وحيه منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولا تقدر ينحل في الدعوى ما يتجاوز حد الشيء ويؤيد عليه فيكون ذلك من الاقراء وتظم التوبة عليه في الشيء وتتميل عليه البلى في الدنيا ، نعم قد يكون المحب مكره في حينه ينهض فيموت فخطرب أحواله

هذين اللقائين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقق بها وترتيب
التوبة مع المراقبة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
العبد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب التوبال
شيئا ثم يرضى من
تظهر الجوارح عن
الخاص إلى تطهير
الجوارح مما لا يبيح
فلا يسمع بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
يشغل باله بالهاسب
من الظاهر إلى
الباطن ويستولى
الرغبة على الباطن
وهو التحق بسل
القيام بمحو خواطر
الصية عن باطنه

فيظهر عليه جبه فان وقع ذلك عن غير محمل أو ككساف فهو معذور لأنه مقهور وربما تشتمل
من الحب نبراته لاطلاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يدفع فيضاته فاقادروا على الكتمان يقول:
وقالوا قريب قلت ماأنا صانع بقرب شمع الشمس لو كان في حجرى
ثالى منه غير ذكركم بخاطر يبيح نار الحب والشوق في سدرى
والماجر عنه يقول :

يغنى فيسدى السمع أسرارہ و يظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبهم غيره كيف حاله ومن سره في جفته كيف يكتم
وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بدا أكثرهم بإشارة به كأنه أراد من يكثر التعرض به
في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محموت عند المحبين والسماه بالله عز وجل
ودخل ذو النون الصرى على بعض إخوانه ممن كان يذكر الحبة فركه مبتلى بيلادقال لايجه من وجد
ألم ضره قال الرجل لكني أقول لايجه من لم يتم بضره قال ذو النون ولكني أقول لايجه من شهر
نفسه بجه قال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فان قلت الحبة تنهى للقامات وإظهارها إظهار للغير
فلماذا يستكبر فاعلم أن الحبة عمودة وظهورها عمود أيضا وإعما للذنوم والتظاهر بها لما يدخل فيها
من الدعوى والاستكبار وحق الحب أن يتم في حياها في أفعالها وأحوالها دون أقوالها وأفعالها وينبغي
أن يظهر جه من غير قصدته إلى إظهار الحب وإلى إظهار التمل إلى الله في الحب بل ينبغي أن يكون
قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فاما إرادته اطلاع غيره فغيره فغيره على الحب وقادح فيه كما ورد في الإنجيل
إذا تصدقت تصدقت بحيث لاتعلم فمالكم ما صنعت يمينك قالى يرى الخفيات يحريك علانية وإذا صنعت
فاضل وجهك وادعن رأسك لتلاطم بذلك غير ربك فاعظما القول والتمل كل مضموم إلا إذا غلب
سكر الحب فانطلق اللسان واسطربت الأعضاء فلا يلزم فيه صاحبه . حتى أن رجلا رأى من بعض
المجانين ما استجه فيه فأخبر بذلك مروفا الكرخي رحمه الله فقسيم ثم قال ياأخى له عجبون صفار
وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم وما يكرهه التظاهر بالحب بسبب أن الحب إن كان
عارفا وعرف أحوال اللائكة في جهنم الله ثم وشوقهم اللازم الذى به يسعون الليل والنهار لا يفترون
ولا يصون الله أمأمرهم ويضعون ما يؤمرون لا يستكف من شمه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه
من أخس المحبين في ملكته وأن حبه أنقى من حب كل حبه لله قال بعض الكاشفين من المحبين
عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بدل المجهود واستغراق الطاقة حتى ظننت
أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويقال في آخرها فابلت صفا
من اللائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء قلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبدهمنا
منذ ثلاثة آلاف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالى فوجهها
لمن حق عليه الوعيد تخيفا عنه في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحياته حتى الحياة
خرس لسانه عن التظاهر بالسعوى ، نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحسانه وتردداته
كأحكي عن الجيد أنه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم يعرف لملته دواء ولا عرفنا لها سببا
فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا فارورة مائه فغطر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى أراه
بول ماشق قال الجيد فصمت وعضى على وقصته القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته
فقسيم ثم قال فله الله ما أبصره قلت ياأستاذ وتبين الحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر القبول
قالا تممكن من
رماية الخطرات عصم
عن غفلة الأركان
والجوارح وتقسيم
نوبته قال الله تعالى
ثنيه صلى الله عليه
وسلم - فاستقم كما
أمرت ومن تاب
معه - أمره الله
تعالى بالاستقامة في
الثوبة أمرا له ولأبيه
وأمنه وقيل لا يكون
الريد مريضا حتى
لا يكتب عليه صاحب
القبائل شيئا يضر
منه ولا يلزم من
هذا وجود الصفة
ولكن السائق التائب
في النادر إذا ابتلى
بذنب ينصحه أهل الدين
من باطنه في

لو شئت أقول ما ليس جلدي على عظمي ولا سل جسدي إلا حبه ثم غشي عليه وتدل النشئة على أنه
أصبح في غلبة الوجد ومقدمات النشئة فهذه جامع علامات الحب وثمراته . ومنها الألف والرضا كما
سيأتي . وبالجملة جميع عاصم الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يشهد الحب فهو اتباع الهوى وهو
من رذائل الأخلاق ، ثم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه أو لم يجل
لأخرجون عن هذين التسميتين ولذلك قال الجليلي الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالقولم قالوا
ذلك بمعرفة في دلوام إحسانهم وكثرة نعمه فلم يتماثلوا أن أرضوه إلا أنهم نقل عنهم وتكثر
على قدر النعم والاحسان فأما الخاصة فالألف بمنزلة القدرة والقدرة والسلام والمحبة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسن لم يمتنعوا أن أحبه إذ استحق عديم المحبة بذلك
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم منهم من الناس من يحب هواه وعدو الله إبليس وهو مع ذلك
يلبس على نفسه بحكم الضرور والجهل فيظن أنه يحب الله عز وجل وهو الذي قدت فيه هذه
العلامات أو يلبس بها غافا ورياء وحمية وخرقه حاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك كملء السوء وقرأه السوء أولئك يضاه الله في أرضه وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال
يادوست أي ياحب قيل له قد لا يكون جيبا فكيف تحول هذا فقال في أذن القائل سرا: لا يخار
إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب
إبليس وقد قال أبو تراب النخعي في علامات المحبة آياتا :

لتأخذن قلبه بـ دلائل ولديه من خف الحبيب وسائل
● منها تسعة بحر بلاه وسروره في كل ما هو فاعسل
فاتح منه عطية مقبولة والتقر لإكرام وبر ما جبل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العادل
ومن الدلائل أن يرى متبهاً والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متبهاً لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متشفا متحفظا من كل ما هو فائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشفرا في خرقين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من فاضل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فصل فاضل
ومن الدلائل زهده فيا يرى من دار ذل والقيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باسكيا أن قد رآه على قبيح ضائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى ليليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا بملكه في كل حكم فازل
ومن الدلائل ضحكك بين الورى والقلب يحزون كقلب الكاكل

(بيان معنى الألف بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الألف والحروف والشوق من آثار المحبة لأن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب
نظره وما يلبس عليه في وقته فإذا غلب عليه الظلم من وراء حجب القلب إلى منتهى الجلال واستشعر
تصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج اليوتسمى هذه الحالة

القلب ساحة لوجود
النعم في باطنه
على ذلك والنعم نوبة
فلا يستحب عليه
صاحب الثواب شيئا
فإذا تاب نوبة نصوحا
ثم زهد في الدنيا
حتى لا يهتم في غداه
لشأنه ولا في عشاها

لغناه ولا يرى الأذخار
ولا يكون له تعلق
م بشئ قد جمع
في هذا الزهد
والقر والزهد أفضل
من القسر وهو قفر
وزيادة لأن القسر
عادم لشيء اضطرارا
والزهد نازك لشيء
اختيارا وزهده
بحق توكده وتوكله
بحق رضاه ورضاه
بحق الصبر وصبره

في الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه القرح بالقرب ومشاهدة المحنور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبصار القلب بما يلاحظه فيسمى استبصاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات المز والافتناء وعدم اللبالة وخطر إمكان الزوال والبعد تأم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تأله خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات وللأحاطة تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالأنس معناه استبصار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نسيه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإني من يشاق وهذا كلام مستغرق بالقرح بما ناله غير ملتفت إلى ما يقضي في الامكان من مزايا الألفاظ ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلو كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يوق عن الخلو فيكون من أقل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه التشيان لأن الحب يوجب عبودية كلام المحبوب وعبودية ذكره فيخرج من القلب عبودية ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتاني بدكره وأوحشني من خلقه . وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وفي مستأنا ومن سواي مستوحشوا قيل رايهم قلت هذه التزلة قالت بركي ما لا ينبغي وأنا في بمن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له ياراهب لقد أحببتك الوحدة فقال يا هذا لو دقت حلوة الوحدة لاستوحشت إليهم من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت ياراهب ما أقل ما تجدني في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يدرك البعد حلوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت للعامة قلت ومتى يسفو الود قال إذا اجتمع لهم فصارها واحدا في الطاعة . وقال بعض الحكماء هيبا للخالق كيف أرادوا بك بدلا هيبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة صديق الصدق من معاينة الخلق والتبرم بهم واستنارته بعبودية الله ذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعبودية الله ذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فيأشروا روح اليقين واستلأنوا المستوعر للترفون وأنسا بما استوحش منه الجاهلون هجموا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأمل أو تلك خلفاء الله في أرضه والامانة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهد وقد ذهب بعض للتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال للدركات بالبصائر أكل من جمال البصائر ولغة مرقها أغاب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب بحرف بنلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القصور فظن أنه لا وجود إلا للفتنة فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قسر مجرد ووراءه الحب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج البهن منه لا محالة وهو مغنور ولكن عنده غير مغنول وقد قيل :

يحقق حبس النفس
وصديق المجاهدة
وحبس النفس لله
يعشق خوفه وخوفه
يعشق رجاءه ويجمع
بالتوبة والزهد كل
القمامات والزهد
والتوبة إذا اجتمع
صحة الإيمان وعقوده
وشروطه يجوز هذه
الثلاثة رابع بتمامها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال السنية
يتكشف بعضها بهذه
الثلاثة وييسر بعضها
متوقف على وجود
الرابع وهو دوام
العمل ويكثر من
أثره واللتحقين بالزهد
للتدعيم في التوبة
تخلقوا عن كثير من
مضى الأحوال لتخلقهم

الأنس بالله لا يحويه بطلان وليس يدركه الحلول محال
والأنسون رجال كلهم نجس وكلهم مصفوة لله تعالى
(بيان معنى الانبساط والإدلال الذي يشره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام غلب واستحكّم لم يشوشه قلق الشوق ولم ينصفه خوف التفرد والحجاب فانه يشر
نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال وللناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكراً الصورة لما فيه
من الجراءة وقلة الحيلة ولكنه محتمل من أنهم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك القام ويتشبه بهم
في الفعل والكلام هلك به وأشرف على السكرو مثاله مناجاة برحق الأسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لئلا يسأل الله عز وجل إليه كيف استجيب لهم وقد أظفقت عليهم ذنوبهم
ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف استجيب لهم وقد أظفقت عليهم ذنوبهم
سرارهم خبيثة يدعوهم في غير يقين ويأمنون مكرى أرجع إلى عبد من عبادي يقال له برحق قتلته
يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق
إذا بهد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شدة قد عقدتها على عنقه فصره موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما حملك فقال اسمي برحق فأنت طلبتنا منذ حين
أخرج فاستسقى لنا فنخرج فقال في كلامه ما هذا من ضالك ولا هذا من حلك وما الذي بدا لك أقصت
عليك حيوتك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم قد ما عندك أم أشتد غضبك على الذين أملت كنت
غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالسخط أم ترى أنك مجتمع أم تخشى القوت فتعجل
بالقوة قال فابرح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى السخط في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برحق فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف أريت حين خاضتني كيف انصفني
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برحقا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن
قال احترقت أشخاص بالبصرة فبقي في وبطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر
بذلك فبعث إلى صاحب الحصن قال فأتني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«يكون في أمي قوم شعثاء رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لبرمهم»^(١) قال ودفع حريق بالبصرة
جاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق النار فقال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحترق بالنار قال فاعزم على النار أن تنفأ قال فزعم عليها فطفت وكان أبو خص
يمشي ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو خص ما أصابك فقال ضل حماري ولا أملك غيره
قال فوقف أبو خص وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد علي حمارة قال فظهر حمارة في الوقت وصر
أبو خص رحمه الله . فهذا وأمثاله يجري تدوي الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجندري رحمه الله
العموم لكفرهم وهم يجدون للزبد في أحوالهم بذلك وذلك محتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل:

قوم تخالجهم زهو يسيدهم والبد يزهو على مقدور مولا

تاهوا برؤيته مما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبدون رضاه عن البد بما يشب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون في أمي قوم شعثاء رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله
لأبرمهم . ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه القاطع وجهه .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد في الدنيا
إلا لسكال القرب
للتعان به على إدامة
العمل لله تعالى والعمل
له أن يكون العبد
لا يزال ذا كراً أو نالاً
أو مصلياً أو مراقباً
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعي أو مهم
لا بد منه طبعي فإذا
استولى العمل القاهي
على القلب صح وجود
الشغل الذي أداه إليه
حكم الشرع لا يشتر
باطنته عن العمل
فإذا كان مع الزهد
والقوى متمسكاً
بدوام العمل قصد
أكل الفضل وما إلى
جسداً في العبودية

هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبأت لأولى البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بين الاعتبار فأعماها عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام وإيليس أماتراها كيف اشتهركا في اسم اللصية والحالفة ثم تابنا في الاجتهاد والصمة . أما إيليس فأبلى عن رحمة . وقيل إنه من اللجدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه - وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى - وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الأمراض عن عبد والاقبال على عبد وما في اليهودية بيان ولكن في الحال مختلفان ، قال - وأما من جارك يسمى وهو يخشى فأنت عنه تلهى - وقال في الآخر - أما من استنى فأنت له تصدى - وكذلك أمره بالعمود مع طاعة ، قال عز وجل - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم - وأمره بالإعراض عن غيرهم ، قال - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم - حتى قال - فلا تمد بيدك بكفى مع القوم الظالمين - وقال تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - فكذا الانبساط والإدلال يحصل من بعض الصياد دون بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إن هي إلا فتنة تفضل بها من تشاء وتهدى من تشاء - وقوله في التليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - قال - ولهم على ذنب - وقوله - إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطق لسانى - وقوله - إننا نخاف أن يخرط علينا وأن يطفى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القيس والحنية فوقه بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه إلى يوم القيامة - لولا أن تدارك نعمة من ربه لشد بالراء وهو مملوم - قال الحسن العراء هو القيامة ، ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال وللقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التضائل والتفاوت في القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من للتضليل والإدلال سلم على نفسه ، قال - والسالم على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبت حيا - وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم مقام الحية والحياة فلم ينطق حتى أتى عليه خالقه ، قال - وسلام عليه - وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف ما فعلوه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أوله قوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - إلى رأس العشرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نبغا وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ففقر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل عفى من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان آصف من السرفيين وكانت مصيته في الجوارح ففعا عنه قد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا أباي السعيدين وإياي محبة الزاهدين إلى كم يصيغى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزني وجلالى لأن أخذته عصفا من عصفائى عليه لأتركه مثقا لمن معه ونكلا لمن بعده . فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :
من خرج من قالب
اليهودية صنع به ما
يصنع بالآبق . ومثل
سهل بن عبيد الله
القمي : أي منزلة إذا
قام العبد به مقام
اليهودية قال إذا ترك
التدبير والاختيار فإذا
تحقق العبد بالتوبة
والزهد ودوام العمل
لله يشغله وقته الحاضر
من وقته الآتي ويصل
إلى مقام ترك التدبير
والاختيار ثم يصل إلى
أن يملك الاختيار ،
فيكون اختياره من
اختيار الله تعالى وإراده
هو ما ووقوره عليه
واقطاع مادة الجهل
عن بطنه . قال يحيى
ابن معاذ : الرازي مدام

كثيما من رمل ثم رفع رأسه وبديه نحو السماء وقال: إلهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تقب علي وكيف أستعصم إن لم تحصني لأعوذن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا أسفأنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد ثبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدله به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه ، وفي الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى عبد تدارك بدينه كان أشقى على الملوك كم من ذنب واجتمع به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الأمم » فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما مضى به للشيئة الأزلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبلنا في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يعرف إليهم بالتدبير فيقول - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وتارة يعرف إليهم بصفات جلالة فيقول - للذي القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - وتارة يعرف إليهم في أمثاله المحفوظة والزجوة فينال عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول - ألم تر كيف فعل ربك بأدم ذات المصادم - ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القبل ولا يدنو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الارشاد إلى معرفة ذات الله وتدبيره وأمره فقامت أمثاله وأمره في أمثاله وسنته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التدبير واذا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن فقال ومن قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن (١) لأن منتهى التدبير أن يكون واحدا في ثلاثة أمور : لا يكون حاصله منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله - لم يلد ولا يكون حاصله من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله - ولم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله - ولم يكن له كفوا أحد - وبجمع جميع ذلك قوله تعالى - قل هو الله أحد - سوجلت فضيل قول لا اله الا الله فهذا سرار القرآن ولا تنتهي أمثاله هذه الأسرار في القرآن - ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - ولله في ذلك لآيات لمن يسمو دعى الله عنه نوروا القرآن وانفسوا غرائبه فبه علم الأولين والآخرين وهو كآل ولا يعرفه الا من طالع آحاد كلماته ففكره وصفا له ففهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر ملك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن مبنية في طي القصص والأخبار فكن حريصا على استنباطها ليكتشف لك فيه من المعاني ما تستعجز منه العلوم للخرقة الخارجة عنه فهذا ما أردت اذا ذكر من معنى الأنس والانبساط الذي هو غمرته وبيان شأوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته)

اعلم أن الرضا نعمة من نعم المحبة وهو من أعلى مقامات التربين وحقيقته قابضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وقبه في الدين فقد أنكروا منكرين تصور الرضا بما يخالف الحق ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فضل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وأنعم بذلك قوم فرأوا الرضا باقصور والسوق وتركا الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ، ولو انكشف هذه الأسرار لمن اتصرت على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم قبه في الدين وعلمه التأويل » (٢)

(١) حديث من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث دعاه لابن عباس اللهم قبه في الدين وعلمه التأويل متفق عليه دون قوله وعلمه التأويل ورواه أحمد بهله الزيادة وتقدم في العلم .

العبد يعرف بقاله
لاختر ولا تكن مع
اختيارك حتى تعرف
فانظر كيف صار عارفا
بقاله إن علمت اختر
وإن علمت لاختر
لأنك إن اخترت
فباختيارنا اخترت
وإن تركت الاختيار
فباختيارنا تركت
الاختيار فانك بنا في
الاختيار وفي ترك
الاختيار والبعد
لا يتحقق بهذا المقام
المالي والمخالف للزير
الذي هو النية والنهاية
وهو أن علمك الاختيار
بعد ترك التدبير
والخروج من الاختيار
إلا بإحكامه هذه
الأممية التي ذكرناها
لأن ترك التدبير فناء
وعليك التدبير

فانبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيها يخالف
المهوى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كثره الدماء والسكوت على العاصي .

(بيان فضيلة الرضا)

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان - ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى
- وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن
كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - فكما
أن مشاهدة ذلك كور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضائك ^(١) فسلوهم
الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فنذكر حقيقة وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو
بمعنى آخر يقرب بما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ يقتصر أنفهام الخلق
عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بأدراكه من نفسه . وحل الجلفة لا يرتفع فوق النظر إليه فائتأسأله
الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية النيات وأقصى الأمان لماعظروا بنعيم النظر فلما مروا
بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وطولوا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى - والله ينما يزيد -

قال بعض للبرسين فيه يأتي أهل الجنة في وقت للزبد ثلاث تحف من عتدب العالمين : إحداها هدية
من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى - فلا تمس ما أخفى لهم من قرة
أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى - سلام تولا من
رب رحيم - والثالثة يقول الله تعالى : إني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك
قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أمي من النعم الذي هم فيه أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا
العبد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله طائفة من أصحابه ما أتم فقالوا
مؤمنون فقال ما علمنا إلا ما نبيك فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب السمكة ^(٢) » وفي خبر آخر أنه قال « حكام علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء ^(٣) »
وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى به ^(٤) » وقال ^(٥) « من رضى من الله
تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ^(٦) » وقال أيضا « إذا أحب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفه » وقال أيضا « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة
من أمي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فقول لهم

(١) حديث إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك للزبار والطيراني في الأوسط من حديث
أنس في حديث طويل يسند فيه ابن وفيه فيتجلى لهم يقول أنا الذي صدقتم وعدي وأتممت عليكم
نعمتي وهذا عمل إكرامي فسلوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو جلي بلفظهم قول ماذا تريدون
فيقولون رضائك الحديث ورجله رجال الصحيح (٢) حديث ما أتم فقالوا من أصحابه ما أتم فقالوا
مؤمنون فقال ما علمنا إلا ما نبيك الحديث تقدم (٣) حديث أنه قال في حديث آخر حكام علماء كادوا
من قههم أن يكونوا أنبياء أيضا (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى
به الترمذي من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من
الله بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ورواه في أمالي الهاملي بإسناد ضعيف من حديث
علي بن أبي طالب ومن طريق الهاملي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

والإختيار من الله
تعالى لعبد ورده إلى
الاختيار تصرف بالحق
وهو مقام البقاء وهو
الانسلاخ عن وجود
كان بالعبد إلى وجود
يسير بالحق وهذا
العبد ما بقي عليه من
الاعوجاج ذرة واستقام
ظاهرة وباطنه في
البودية وعمر السلم
والعمل ظاهره وباطنه
وتوطن حضرة القرب
بنفس يدي الله
عز وجل متمسكة
بالاستكانة والافتقار
متعققة بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« لا تنكفئ إلى شيء
طرفة عين فأهلك ولا
إلى أحد من خلقك
فأضيع إلا كرامة

لِللَّاسِكَةِ هَلْ رَأَيْتُمْ الْحَسَابَ يَقُولُونَ مَارَأَيْنَا حَسَابًا فَقُولْ لَهُمْ هَلْ جِزْمُ الصَّرَاطِ يَقُولُونَ مَارَأَيْنَا صَرَاطًا فَقُولْ لَهُمْ هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ يَقُولُونَ مَارَأَيْنَا شَيْئًا فَقُولِ لِللَّاسِكَةِ مِنْ أُمَةٍ مِنْ أُمَّتٍ ؟ يَقُولُونَ مِنْ أُمَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولْ تَأْيِيدُنَا كَمَا اللَّهُ حَدَّثَنَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُكَ فِي الدُّنْيَا يَقُولُونَ خَلَصْنَا نَاقِلًا فِينَا فَلْيُنَا هَذِهِ التَّرَافَةَ بِخُذْ رَحِمَةُ اللَّهِ يَقُولُونَ وَمَاذَا ؟ يَقُولُونَ : كَمَا إِذَا خَوَّتَا نَسْتَجِي أَنْ نَصِيهِ وَنُزِيهِ بِالْبَصِيرِ عَمَّا قَسَمَ لَنَا فَقُولِ لِللَّاسِكَةِ بِحَقِّ لَكُمْ هَذَا ﴿٢٧﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَعْطَاكُمُ اللَّهُ الرِّضَا مِنْ قُلُوبِهِ فَتَقَرُّوا بِإِجَابِ تَهَرُّكِهِ وَانْزِلَا ﴿٢٨﴾ .

وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن قضناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون حتى حتى أرضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال ومن أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل لينظر ماله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى يوزل البدن من حيث أنزله البدن من نفسه ^(٢٧) وفي أخبار داود عليه السلام المألوئى والمهم بالحسين أن إلههم يذهب حلوة مناجاة من قلوبهم ، يادادو إن يحب من أوليائي أن يكونوا روحانيين لايتصون . وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دلي على أمر فيه رضاك حتى أحبه فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأبنت لاتصبر على منكرك . قال يارب دلي عليه ، قال فإن رضاى فى رضاك قضائى . وفى مناجاة موسى عليه السلام أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه المحبوب سألنى قال فأبى خلقك كنت عليه ساخط . قال من يستعيرنى فى الأمر فإذا قضيت له سخط قضائى . وقدروى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يسر بى بالأنى لم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليخذه ربأ سواى ^(٢٨)» ومثله فى الشدة قوله تعالى فبا أخبره عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله تعالى قدرت للتقارير ووبرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقى ^(٢٩)» وفى الخبر المشهور «يقول الله تعالى خالت الخير والشر فطوبى لمن خالته الخير وأجرت الخير على يديه وويل لمن خالته الشر وأجرت الشر على يديه وويل ثم وويل لمن قال لم وكيف ^(٣٠)» وفى الأخبار السابقة أن نبيا من الأنبياء شكأ إلى الله عز وجل الجوع والقتل وعشر سنين لما أعجب إلى ما زاد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكروا هكذا كان بؤلا عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أتبت الله لطافة من أمق أجنحة فيطيرون مع قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلي على حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على القتيبي ساقط حاله والحديث منكره مخالف لقولان ، وللأحاديث الصحيحة في الورد وغيره (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطقروا شباب قتركم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يحرم الله عند الله فليظن بالله عنده الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بنظ منزله ومنزلة الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا اله إلا أنا من لم يصبر على بلاي الحديث الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الأدي بصقر على قوله من لم يرض بقضاي وصبر على بلاي فليتمسك بها سوى وإسناده ضيف (٥) حديث قال الله تعالى قدرت للآدم ودرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى الله الرضا الحديث في أجده هذا اللفظ والطبراني في الأسطون حديث أن أمانة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ مثاق الدين الحديث وإسناده ضيف (٦) حديث قول الله خلقت الجبر والخير فطوى لمن خلقت الخير وأجرت الخير على يده الحديث ابن شاهين في شرح

الوليد ولا تغل غفر.

آ الباب الستون :

ف. ف. في

الكشاف في القواعد

ط. أ. ج. أ.

على التريب

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَوْنَهُمْ

رويم معنى التوبة ان

يثوب من التوبة قبل

معناه قول رابعة

أستغفر الله العظيم

من قلة صدقي في قولي

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . وَسُئِلَ

الحسن الغزالي عن

التوبة ، فقال تسألني

عن محمد بن أبي النضر

من تربية الامانة

قَالَ الْحَاكِمُ مَا تَقُولُ

١١٧ : ١١٨

تاریخ: ۱۳۹۸/۰۵/۲۵

خلاف من الله عز

وجلد من اجل

قدره عليك. قال

لما توية الاستجابة .

وهكذا سبق لك متى وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أقتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبذل ما قدرته عليك فيكون مأجب فوق مأجب ويكون ما تريد فوق ما تريد وعزى وجلالى لقد تلجلج هذا في صدره مرة أخرى لأعوزك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان يمشى أولاده الصغار يمسحون على يده وينزلون جبل أحدم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، قال له بعض ولده يا أبت : أما ترى ما يصنع هذا بك لو يهتبه من هذا فقال يا بني : إنى رأيت ما لم تروا ، وعلمت ما لم تعلموا . إنى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيمسينى ما أعلم . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى شئ : فقلت له فقلت ولا شئ : لم أفعله لم لأفعله ولا قال فى شئ : كان ليته لم يكن ولا فى شئ : لم يكن ليته كان وكان إذا خاصنى خصام من أهله يقول دعوه لوقضى شئ لسان (١) . » ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما تريد فإن سلت لما أريد كفتيك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أصبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد . [وأما الآثار] فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يمسحون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز ما بقى لى سرور إلا لى مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ، فقال ما يقضى الله تعالى . وقال يمين بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس له حيلة دواء . وقال القشيري : إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز ابن أبي رواد : ليس الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ولا لى الصوف والشعر ولكن الشأن فى الرضا عن الله عز وجل . وقال عبد الله بن مسعود : لأن الحس جرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لى : كان ليته لم يكن لى : لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع ، فقال لى لأرحمك من هذه القرحة ، فقال : لى لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج فى عيني . وروى فى الاسرائيليات أن أبدا عبد الله دهرا طويلا فأرى فى المنام فلانة الرامية رفقتك فى الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان بيت قائما وببيت نائمة وبظل صائغا وبظل مغطىة ، فقال أمالك عمل غير ما رأيت ، فقالت ما هو والله إلا ما رأيت لأعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خبيثة واحدة هى فى إن كنت فى شدة لم أتمن أن أكون فى رخاء وإن كنت فى مرض لم أتمن أن أكون فى صحة وإن كنت فى الشمس لم أتمن أن أكون فى الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خبيثة هذه والله خبيثة عظيمة يميز عنها البعاد . وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى لى السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو البرداء ذروة الايمان الصبر لحكم الرضا بالقدر . وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أرواحه . وقال الثورى يومئذ راحة : اللهم ارض عنى فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر ابن سليمان التميمي لى يكون البعد راضيا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وكان القشيري يقول إذا استوى عنده اللع والطاعة فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه يرضى عن عبيده عارضى العبيد من مواليهم السنة عن أبي أمامة بساند ضعيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لى شئ : فقلت له الحديث متفق عليه وقد تقدم .

قال أن تستحي من الله فقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق اليأس بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب . قال ذوالنون توبة الصوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية مجرم عن بوق ما ناله غيرهم . سئل أبو عبد سبل عن الرجل

قلت وكيف ذلك قال أليس مراد السد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن عجة قمن عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ السبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيتهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحسنه وجلاله جل الروح والفرح في الرضا واليقين وجل التمر والحزن في الشك والسخط » (١) .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق القلب به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفوال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يطول الاحساس بالألم حتى يجرى عليه للؤلؤ ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الألم استدبل به على الجراحة بل الذي يشغول شغل قريب قد تصيبه شوكة في قسمة ولا يفتش بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو حتى رأسه بعيدة كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بهم من مهامة فرغ للزمن والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستغرق به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق في المحبة يشاهد معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يشتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه فطرق استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة للدرجة بحاسة البصر فكذلك يقوى حب الصور الجميلة للباطنة للدرجة بنبور البصيرة وجمال حشرة الربوبية وجلاله لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش ويدهش عليه فلا يحس بما يجري عليه . فقد روى أن امرأة فتح للوصل عثرت فاطمعت ظفرها فضحكت قتيل لها أما تعجبن الوجع ؟ قالت إن لذة ثوابه أذات عن قلبي مرارة وجهه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يبالغ غيره منها ولا يبالغ فيه قتيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجب ، وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك أنه ولكن يكون راضيا به بل رافيا فيه مريدا له أعز منه وإن كان كارهيا بطبعه كالذي يلتزم من القصاد القصد والحماجة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به ورافق فيه ويشتهه من القصاد به منة غبطة فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره طيب منه مشقة السفر وجهه راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وفكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويهوى أن ينال الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لا معنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنه ومطلوباً لكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواسفها للتوأسفون في نظمهم وشرهم ولا معنى في الإملامة جمال الصورة الظاهرة بالبرص فإن نظري إلى الجمال فساهو لإجله ولم يودهم مشغول بالأقدار والأخبار بدائته من نقطة مبهرة ونهاية جيفة قنطرة وهو فيما بين ذلك يحمل العنزة وإن نظري إلى للدرك

(١) حديث إن الله يحسنه وجلاله جل الروح والفرح في الرضا والحزن في الشك والسخط من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بقسطه وقد تقدم .

يسوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء قبله أو يراه أو يسمع به فيجد حاله فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشعوى وينكره قبله ويلزم نفسه الانكار ولا يفرقه ويدعو الله أن ينسبه ذلك ويشتهه بنسبه من ذكره وطاعته قالوا إن غل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسل وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره . وهنا

للجمال فهي العين الحديسة التي تلتقط فبا ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعد قريبا والقيبح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدى الذي لا منتهى لكاله للدرك بين البصرة التي لا يسترها القلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بدلولت حبة عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف لهذا أمر واضح من حيث النظر بين الاعتبار وشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم قد قال شفيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجليد سألت سرًا السقطة هل يجد الحب ألم البلاد ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء عجبته حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مرتد برجل وقد ضرب ألف سوطي شرقة بغداد لم يشكهم ثم حمل إلى الحبس فبعت بثلثي دينار . قال لا في عاشق قتلته ولم سكت ؟ قال لأن ممشوق كان مجذبا ينظر إلى قتلته فلو نظرت إلى الممشوق الأكر قال فزعت زعقة خرميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهب عيونهم في قلوبهم من قوة النظر إلى الله تعالى ثم عاتفة سنة لا ترجع إليهم لما ظنك بقلوب وقست بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابته وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال بشر فصدت عبادان في بدانيق فاذا برجل أعمى مجلوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه ففرضت رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردود السلام فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعت إربا إربا ما زدته له إلا حبا . قال بشر لما رأيت بعد ذلك قعدة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جامعوا نظروا إلى وجهه فتنفلم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو بأبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لاستنهارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مديية وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم القراق من القيامة أطول والوت من ألم الفراق أجمل

قالوا الرجل قتلته لست براجل لكن من مهجتي التي ترحل

ثم قرأ بالمديية بطنه وخرميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي أنه كان يهوى في بعض الملوك حبيب عنه يوما واحدا وروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلي على عبد أهل الأرض فدل على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب يصصره فسمعه وهو يقول : إلهي متمتي بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأقيمت لي فيك الأمل يا رب يا رسول . وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن قنادة وجدته عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا القلام حدث فمات القلام فخرج ابن عمر في جنازته ومارجلا أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك قال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فها وقع أمر الله رضيانا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فادبوك يوقظهم للصلاة والحمار يتقون عليه الماء ويعمل لهم خيادم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فخرنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب غرق بطن الحمار فخرنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم استبخوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم ويقوام قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذي قاله سهل كاف
بالغ لكل طالب صادق
يريد صحة توبته .
والعارف القوى الحال
يتمكن من إزالة
الحلاوة عن باطنه
ويسهل عليه ذلك .
وأسباب سهولة ذلك
متنوعة للعارف ومن
يتمكن من قلبه حلاوة
حب الله المحاسن عن
صفاته مشاهدة وصرف
يقين فأى حلاوة تبقى
في قلبه وإنما حلاوة
الموى لعدم حلاوة حب
الله . وسئل السوسي
عن التوبة فقال التوبة
من كل شيء ذمه العلم
إلى مامدحه العلم وهذا
وصف يوم الظاهر
والباطن من كوخف
بصره العلم لأنه لا يقاوم

والخير والله فكأن الحيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف حق
 لطف الله تعالى رضى بخله على كل حال . و يروى أن عيسى عليه السلام من رجل أعشى أبصر بمقد
 مضروب الجنين بأعلى وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى علانى هما أبلى به كثيرا
 من خلقه قال له عيسى يا هذا أى شيء من البلاد أراه مصروفاً عنك قال ياروح الله تأخيراً من أجل
 الله في قلبه ما جعل في قلبى من معرفته قال له صدقت هات بذلك فتأوله يدها فلأول أحسن الناس وجهاً
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فحصب عيسى عليه السلام وتصدىقه وقطع عروة بن الزبير
 رجله من ركبتيه من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحداً عيناك لأن كنت أخذت
 لقد أقيمت ولئن كنت إبتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الآية وكان ابن مسعود يقول القفر والقي
 مطيتان ما بالى أبهرها ركبت إن كان القفر فإن فيه الصبر وإن كان القي فإن فيه البذل . وقال
 أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فإلى منه الإشتام الربح وعلى ذلك لو أدخل
 الخلاق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً . وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال
 أما الثانية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسراً على جهنم يبر الخلاق على إلى الجنة ملائكة
 جهنم تحلق لسمه وبدلاً من خلقته لأقيمت ذلك من حكمة ورضيت به من قسمه هذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منة الاحساس بألم النار فإن بقي إحساس فينصره ما يحصل من ذلك
 استشهاده حصول رضا محبوبه بإفاته إلى النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان
 بعيداً من أحواله الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستكثر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن
 ما هو عاجز عنه يحجز عنه الأولياء . وقال الروذباري قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الصديق قول فلان
 وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما منعه فقال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التنظيم والاجلال فلا أعرف . وإن كان هذا من طريق الاشفاق والتسحق للخلق فأعرف قال
 ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحسين قد استعصى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
 ولا يقعد قد شب له في سريره من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه الصلاة
 فجلس يسكن لما يراه من حاله فقال لم تبكي ؟ قال لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا ليك فإن أحب
 إلى الله تعالى أحب إلى ثم قال أحدثك شيئاً لعل الله أن ينفعك به واكنم على حتى أموت إن اللاتكة
 تزورني فأنسى بها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاد ليس بموتوة إذ هو سبب هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلاده كيف لا يكون راضياً به قال ودخلنا على مريد بن متبة
 نموده فرأيناه ثوباً ملقى لما غلنا أن نمته شيئاً حتى كشف فقالت له امرأته أهل فلذلك ما نطمعك
 ما نسيك قال طالت الضجة وديرت الحرافيف وأصبحت نضوا لأطعم طاماً ولا أسيخ شراً منذ كنا
 فذكر أياماً وما يبرئني أني شمت من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد
 كان كفيف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعولهم لهذا وكان يجاب
 الدعوة . قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فصرفت إليه نرفقي وقال أنت قارى أهل مكة؟
 قلت نعم فذكر قصة فقال في آخرها قلت له يا عم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصرك فقبض . وقال يابن قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى . وضاع لبعض الصوفية وصغير
 ثلاثة أيام لم يبرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرد عليك فقال اعترضني عليه فيما قضى أعد
 على من ذهب ولقي . وعن بعض الباطنية أنه قال إنى أذنبت ذنباً عظيماً فأنا أبكي عليه منتسباً سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو ؟ قال قلت مرة لكى كان ليته

لجعل مع العلم كالأجاة
 قليل مع طوع الشمس
 وهذا يستوجب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الخاص والعام وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن يظهر الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأهم
 أوصافها . وقال
 أبو الحسن الثوري
 التوبة أن تتوب عن
 كل شيء سوى الله
 تعالى . قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ملاك
 ديتكم الورع : أخبرنا
 أبو زرعة بإجازة عن
 أبي بكر بن خلف عن
 أبي عبد الرحمن السلمي
 بإجازة قال أنا أبو سعيد
 الحلال قال حدثني

لم يكن . وقال بعض السلف لو فرض جسمي بالمراض لكان أحب إلي من أن أقول كفى قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لميد الواحد بن زيد هبتنا رجل قد تعبد خمسين سنة قصد فقال له يا حيبي أخبرني عنك هل كنت به ؟ قال لا فقال أنت به ؟ قال لا فقال قبل رزيت عنه ؟ قال لا قال فاعلم أنك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أني أستحي منك لأخبرتكم بأن معاملتك خمسين سنة مخرولة ومناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتخلى إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تعدى طبقات أصحاب المئين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل الصوم . ودخل جماعة من الناس على الشبل رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أتم ؟ قالوا محبوك فأقبل عليهم برمهم بالحجارة فثاروا فقال ما بالكم ادعيتهم حتى إن صدقتهم صبروا على بلأى ، وقبلش رحمه الله تعالى :
 - إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت بها غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يقبض الله عز وجل مصدقا وله قد كذبه . وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها هلك ظل يوارى بها يعني بذلك أن الذهب منموم عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكرون منه . وقيل إنه وقع الحريق في السوق فقبل للسرى احترق السوق وما احترق فكانت فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت فجبه عمره توبة واستغفرا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحفظهم كان ممكنا في حب حق الله تعالى وحفظه الآخرة قطعا . وإمكانه من وجوب : أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب للوجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثاني الرضا به لالحظ وراهه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يلبس الحب بحيث ينضم مراد الحب في مراد المحبوب فيكون الداء الغيا . عنده سرور قلب بحبوه ورضاه وتقوى إرادته ولولي هلاكه روحه كما قيل : فما يرجع إذا أرضاكم ألم وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالتفليس والتجربة وللشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من قدّمه من نفسه لأنه إنما قدّمه لثقله سيئه وهو فرط حبه ومن لم يلق طعم الحب لم يعرف هيبه فالحسين هيب أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافعي قال : كنت في مجلس بالرقعة عند صديق لي وكان معنا فني يتشقق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وخنثت :

علامة ذل الهوى على العاشقين إليك

ولاسيا عاشقي إذا لم يجد مشتقى

فقال لها اتقي أحسنت والله يا سيدتي أتأذنين لي أن أموت فقامت من راسدا قال فوضع رأسه على الوسادة وألقى فيه وخمن عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيد رأيت رجلا متفلقا بك صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا الفلق الذي تظهر لي فقال قد علم الله أني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي ست لمت فقال إن كنت صادقا لمت فقال فتشى الرجل وخمن عينيه فوجد ميتا . وقال ممنون الحب كان في جوارحنا رجل وله جارية بها إياها الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيا فينا هو يحرك القدر إذا قالت الجارية أم قال فدهش الرجل وسقطت للفقير يدمو جمل يحركه مالى القدر بيده حتى سقطت أمامه فقالت الجارية ما هذا فقال هذا ما كان قولك . وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالصرقة باطل سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن قتيلة ثنا عمر بن عثمان قال حدثنا جبة عن أبي بكر بن أبي مريم عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوحا على نهر فذا فرغ من وضوئه أفرغ فضله في البحر وقال يلهه الله عز وجل قوما ينفعهم . قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالقوى ووزن بالوزن أن يذل لصاحب دينيا قال معروف السكري حفظ لسانك من اللع كما تحفظه من السم . قال من الحرث بن أسد الهامسي أنه كان على طرف أمية الوسطى هرق إذا مديدة إلى

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت
ثم رمى نفسه إلى الأرض فغمره ميتافه أو أماته قد صدق به في حب الخلق والتصديق به في حب الخلق
أولى لأن الصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في
العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد البصر ينكر جمال الصور والذي قد السمع ينكر لذة
الأصان والنفحات للوزونة فإني قد القلب لا بد أن ينكر إياها هذه الذات التي لا مظنة لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير منقضى للرضا)

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة الدعاء ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض الباطنيين المتفرين وزعموا
للعاصي والقصور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا بهذا جهلا بالتأويل وغفلة
عن أسرار الشريعة، فأما الدعاء فقد تعدينا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء عليهم السلام على ما قلناه في كتاب الدعوات تدل عليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أعلى المقامات من الرضا وقد أتى الله تعالى على بعض عياده بقوله يدعو تارخا ورهباء أما إنكار الدعاء
وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وضمهم على الرضا به قال السور شوا بالحياة الدنيا وأطاعوا

بها - وقال تعالى - رضوا بأن يكونوا مع الخوالب وطيع على قلوبهم - وفي الخبر للشيور «من شهد
منكرا فرضي به فكأنه قد فعله» وفي الحديث «إدخال على الشر كفاهه» وعن ابن مسعود: «إن العبد
ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قبل وكيف ذلك؟ قال يلهيه فرضي به وفي الخبر ولو
أن عبدا قتل بالشرق ورضي بقتله آخر بالقرب كان شريكا في قتله» وقد أمر الله تعالى بالجدول للنافسة
في الحفريات وتوفى الضرور قال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم
«لا أحد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يشيها في الناس ويصليها ورجل آتاه الله المال فسلطه على
هلكته في الحق» وفي لفظ آخر «ورجل آتاه الله القرآن فهو قوم به آتاه الله العلم والتبار فيقول الرجل
لو آتاني الله مثل ما آتى هذا فقلت مثل ما فعله» وأما بعض الكفار والعجابر والانكار عليهم ومقتهم
لما ورد فيه من هوانه القرآن والأخبار لا يصح مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء - وقال تعالى
- وكذلك تولى بعض الظالمين بعضا - وفي الخبر «إن الله تعالى أخذ الشياق على كل مؤمن أن
يفض كل منافق على كل منافق أن يفرض كل مؤمن» وقال عليه السلام «لله مع من
أحب» وقال «من أحب قوما واللام حشر معهم يوم القيامة» وقال عليه السلام «أوفق

(١) حديث الدال على الشر كفاهه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد
ضيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالشرق ورضي بقتله آخر في القرب كان شريكا في قتله
لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولا بين عدى من حديث أبي هريرة من حضر مصيبة ففكرها ففكسأما
غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها ففكسأما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لأحمد
إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم
(٤) حديث إن الله أخذ الشياق على كل مؤمن أن يفرض كل منافق الحديث لم أجد له أصلا
(٥) حديث لله مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما واللام حشر معهم الطبراني من حديث
أبي قرصافة وابن عدى من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زميرهم زاد ابن عدى
يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التميمي ضيف.

طعام فيه شبهة ضرب
عليه ذلك الرق .
سئل السبل عن الورع
فقال الورع أن تترفع
أن يثقت قلبك عن
الله طرفة عين . وقال
أبو سليمان الداراني
الورع أول الزهد كما
أن القناعة طرف من
الرضا . وقال يحيى بن
معاذ الورع الوقوف
على حد العلم من غير
تأويل . سئل الخراس
عن الورع فقال أتى
لا يتكلم البعد إلا بالحق
غضب أو رضى وأن
يصكون اتهامه بما
يرضى الله تعالى .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن أبي بكر بن خلف
إجازة عن السلي قال
سمعت الحسن بن أحمد

عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله (١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيد. فان قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٢) فان كانت للماصي بقضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذف في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فمكرها ومقتهما كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يفتبس على الضمراء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد انبسط على قوم حق رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا ومحوه حسن الخلق وهو جهل محض بل قول الرضا والكراهة تضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد ليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو من أعدائك وساع في إهلاكك فتكره موته من حيث إنه مات عدوك وتراض من حيث إنه مات عدوك وكذلك للصبي لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك لذلك ورعاً بما يفعله فيه وجه إلى اليد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه محموقاً عند الله وبغضاً عنه حيث سلب عليه أسباب البعد ولقد نفى من هذا الوجه منكروهم ومذموم ولا يتكشف هذا لك إلا بثال فلنفرض محبوا من الخلق قال بين يدي عبيد أن أريد أن أميز بين من يحبني ويضيق وأصعب فيه مياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته وأخذته عدواً لي فكل من أحبني أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضني أعلم أنه صديقي وعلمي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب المداوة خلق على كل من هو صادق في محبة أو طمأنينة أو طمأنينة يقول أما تدير لك في إبداء هذا الشخص وضربه وإبداءه وتصريك إيائه للبغض والمداوة فأنا محب له وراض به فانه رأيك وتدير لك وضلك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يجبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استئطافه بالشتم للوجوب لمقتضيه من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدير لك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لك ذلك تصاننا في تدير لك وتقومنا في مرادك وأنا كاره قهراً مرادك ولكنه من حيث إنه توصف بهذا الشخص وكسبه له وعدوان وتهمج منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يعتزل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه لانه حيث هو مرادك ومقتضى تدير لك وأما بضرك به بسبب شتمك فانا راض به وعجب له لأنه مرادك وأنا طمأنينة موافقتك بإضامض له لأن شرط المحب أن يكون لطيف المحبوب حبيبا ولمنوه عدواً وأما بضرك فانه في أرضاه من حيث إنك أردت أن يضرك إذ أبغضته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضته من حيث إنه وصف ذلك للبغض وكسبه وفعله وأمته لذلك فهو محموق عندي لفته إياك وبغضه ومقته لك أيضاً عندي مكرهه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضي وإنما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت
عبد بن داود بن يوري
يقول سمعت ابن الجلاء
يقول أعراف من أظم بمكة
ثلاثين سنة ولم يشرب
من ماء زمزم إلا من
ماء استقاه بركوته
ورعاه ولم يتناول من
طعام جلب من مصر
شيئاً . وقال الخواص:
الورع دليل الخوف
والخوف دليل للفرقة
والفرقة دليل القربة
قولهم في الزهد: قال
الجنيد: الزهد خلق
الأبدى من الأملاك
والقلوب من التبع.
ومثل الشبي عن الزهد
قال لا زهد في الحقيقة
لأنه إما أن يزهد فيما
ليس له فليس ذلك
بزهدي أو يزهد فيما له

- (١) حديث أوتق عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصحة
- (٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعادته أن آدم راض بما قسم الله عز وجل الحديث وقال عريب وتقدم حديث أنس بن مالك أن الله لا يمكن أغنى الناس وحديث إن الله يسقطه جل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة وقادري الخير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ومرض به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة للنسبة عليه حتى يجرحه ذلك إلى حب النسبة ويجرحه الحب إلى فعل النسبة ينال به ضرب المحبوب الشخص الذي ضربناه مثلا لجرحه القرب إلى الضرب والنسب إلى القرب ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت مصيبته بتدبيره يشبه بعض الشتم لمن عنته وإن كان عنته إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبده أعنى تسليط دواعي النسبة عليه يندخل في أنه سبقت مشيئته بإصاذه ومقتة فواجب على كل عبد محب لله أن يرضى من أمضى الله ويمت من مقته الله ويبدأ من أبغض الله عن حشره وإن اضطره بجره وقدرته إلى معاداته وعاقبته فإنه يسيطر ودمعون عن الحشرة وإن كان بعيدا بإصاذه قهرا ومطرودا بطرده واضطرار مولاه من درجات القرب ينبغي أن يكون مقتيا بفضله إلى جميع المحبين موافقة للمحبوب بإظهار الضرب على من أظهر المحبوب الضرب عليه بإصاذه وبهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض في الله والمحبة في الله والتقشيد على الكفار والتخليط عليهم والبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستند من سر القدر الذي لأرضه في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في الشيئية والأرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إنما جعلا منه من غير إقرار في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم «لا قدر سر الله فلا تشعروا»^(١) وذلك يتصلق بلم الكشفه وفرضنا الآن بيان الامكان فيما تبيد به الحلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت اللامع مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الفرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالفتنة والصحة من اللامع وسائر الأسباب العينية على الدين غير منافع للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تبيد البلاد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة الضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا لكشف وسيا لتوابع مزاياء اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس منافعا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب ربه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب ربه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على منه الله تعالى لا يناقض التوكل واعتقاده في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام لا سق لتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاد معرض الشكوى وانكره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاد على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض . وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكوى وذلك في السيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن منة الصنعة مدامة للسان والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقير بلاه وحنة والبال هم وحب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذف في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمديره وللملكة لما لكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه : لا بألى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي .

الحمل وحديث أسالك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تشعروا برقيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلامه ضيف .

فكيف يزهد فيه وهو
معه وعنده فليس
إلا خلف النفس وبذل
مواصلة ، يشير إلى
الأقسام التي سبقت بها
الأقلام وهذا لواطره
هدم قاعدة الاجتهاد
والكسب ولكن
مقصود السبيل أن يقلل
الزهد في عين السند
بالزهد فلا يتر به .
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا
رأيت الرجل قد أوفى
زهدا في الدنيا ومنطقا
فاقربوا منه فإنه يليق
الحكمة» وقد مرى الله
عز وجل المراهدين
علاء في قصة لادون
قَالَ تعالى - وقال
الدين أوتوا العلم ويحكم
نواب الله خير - قيل

(بيان أن القرار من البلاد التي هي مظان للماضي ومظنها لا يقدح في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون ^(١) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المصيبة لأن كل واحد منهما من أركان قضاء الله تعالى وذلك محال بل المنة في النهي عن مفارقة البلد بظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا تمتد لهم فيه لكون هؤلاء أضرًا وتلك شبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالقرار من الزحف ^(٢) ولو كان ذلك القرار من القضاء لما أذن لمن قارب البهية في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف للمنى ظهر أن القرار من البلاد التي هي مظان للماضي ليس قراراً من القضاء بل من القضاء القرار بما لا بد من القرار منه وكذلك مدة اللوازم التي تدعو إلى الماضي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التفرغ عن الصبغة ليست ممنوعة فإزالة السلف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بحداد وإظهارهم ذلك والقرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بها شرًا من بحداد نيل وكيف قاله بعد تزدي فيه فسمه الله وتستمر فيه مصيبة الله ولما قمم خراسان قيل له كيف رأيت بحداد قال ما رأيت بها إلا شريطاً غضباناً أوتاجراً لهفاناً أوقاراً حيراناً لا ينيى أن تظن أن ذلك من النية لأنه لم يتعرض لشخص بينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه بحداد رقب استمداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يصدق بستة عشر ديناراً لسلك يوم دينار كفاية لقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحمري . وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراق قال فاستنبح به بلخني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قبض الله له قرباناً من البلاد وذكر كعب الأحمري يوماً العراق قال فيه تسعة أشعار الشعر وفيه الباء المشعل وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره والشام وعشرة بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوماً عند الفضل بن عياض فجاءه سوفي متدبرج بعبادة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بحداد فأعرض عنه وقال يأتينا أهدم في زى الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال في عفى الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال للتبديد بحداد مثال للتبديد في الحش وكان يقولوا لهما قدوا في القيام بهما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفس قيل وأين تختار السكنى قال بالخور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بحداد أهدم زاهد وشيروم شرر فهذا يدل على أن من يلى بيهة تكثر فيها للمضى ويقل فيها الخير فلا عذر له في القيام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مخرج القلب منها قالوا على الملوك - ربنا أخرجنا من هذه القرية النظام أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم تزل البلاد وقمر الجميع وحمل للطينين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب هجر الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إننا نقول إلى فعل الله تعالى فأما هي في نفسها لا تواجه لرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القمامات الثلاث رجل يجب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورجل يجب البقاء لخدمة الولي ورجل قال لا أختر شيئاً بل أرضي

م الزاهدون . وقال سهل بن عبد الله فضل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا ، وقيل في قوله تعالى - وجعلناهم أممًا يهدون بأمرنا لما صبروا - قيل عن الدنيا ، وفي الخبر والمساء أممات الرسل عالم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء في الأثر لا تزال لإله إلا الله تدفع من البعاد سخط الله ما لم يبالوا ما قسم من دنياهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين .

(١) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تخدم في آداب السفر (٢) حديث إنعجب الخروج من بلد الطاعون بالقرار من الزحف تخدم فيه .

بما اختاره الله تعالى ورفضت هذه السألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلمهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط قال الثوري كنت أكره موت النجاة قبل اليوم واليوم وددت أني مت قال له يوسف لم قال لما أخوف من الفتنة فقال يوسف لكفي لا أكره طول النقاء قال سفيان لم قال قال لي أصادف يوما أيوب فيه وأعمل صالحا فقبل لوهب إرضي تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختار شيئا أحب ذلك إلى أحب إلي الله سبحانه وتعالى قبله الثوري عن عمته وقال روحانية رب الكعبة .

(بيان حجة من جليات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

قيل لبعض العارفين إنك حب قتال السبع حباً عظيماً محبوباً والمحب محبوب له أيضاً الناس يقولون
إنك واحد من السبعة قال أكل السبع وكان يقول إذا رأيتموني قد رأيتم أربين بدليل وكيف
وأنت شخص واحد قال لأني رأيت أربين بدلا وأخذت من كل بلد خفقا من اختلاف قوله بلنا
أنك ترى الحضر عليه السلام تقسم وقال ليس السبب بمن زى الحضر ولكن السبب بمن يريد الحضر
إن يراه فيجب عنه وحكي عن الحضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق ولي
له تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة حدثتني
مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تدعوا ذلك قبل حدثنا بأحد جاهدك
نفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطعكم فيه قبل حدثنا عن رياضة نفسك في باديتك
فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمعت على فزمت عليا أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق التوم سنة فوفت
لي بذلك . وحكي عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بدو صلاة العشاء إلى طلوع
الفجر مستورا على صدور قميمه وأما أخيه مع غيبه عن الأرض ضاربا بدقته على صدره مشاخصا
ببنيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأعلم ثم قد قال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيهم الله على
الماء ولكني في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيهم على الأرض
فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ
بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم يا سيدي
فقال ماذا أنشأهنا ؟ قلت منذ حين فسكت قلت يا سيدي حدثني شيء فقال أحدثك بما يصلح لك
أدخلني في تلك الأسفل فدورني في للسكرات السفلى ورأى الأرضين وما تحته إلى التي ثم أدخلني في تلك
الملاوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سألني أي
شيء رأيت حتى أهبه لك ؟ قلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عبيدي
حقا تبتدون لأجل صدا لأصنافك ولأفطن فذكر أكسياه . قال يحيى فهأنى ذلك واستأثرت به
وهبت منه قلت يا سيدي لم لأسأله للفرقة به وقد قال لك ذلك للوكة سألني ما شئت قال فصاح بي
صيحة وقال اسكت وملك غرت عليه مني حتى لأحب أن يرفه سوله . وحكي أن أبا تراب النخعي
كان معجبا ببعض الرديدين فكان يدينه ويغوم بمساحله والريد مشغول بعبادته ومواجهته
فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من توبه
لو رأيت أبا يزيد هاج وجد الريد فقال وعك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغتنى
عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي قلت وملك حشر بالله عز وجل لو رأيت
أبا يزيد مرة واحدة كان أشجع لك من أن ترى الله صبيح مرة قال فبت الفتن من قوه وأنكره
فقال وكيف ذلك قال له وملك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ترى أبا يزيد

وقال سول: أعمال البشر كلها في موازين الزهاد ونواب زهدهم زيادة لهم. وقيل من سمى باسم الزهد في الدنيا قد سمى بالفساد. سمى بالفساد سمعوا من سمى بالزهد في الدنيا قد سمى بالفساد سمعوا. وقال السري الزهد ترك حفظ النفس من جميع مافي الدنيا وجمع هذا الحفظ للآلية والطبيعة وجب للزهد عند الناس وجب المحنة والتأني وسئل الشبل عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة. وقال بعضهم لما رأوا عقارة الدنيا زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقداره عرف ماقلت فقال احبني الى هذا ذكر قصة قال في آخرها فو قضا على تل تنتظره
ليخرج إلينا من التبعة وكان يأوي إلى غيضة فيها سبع قال فر بنا وقد قلب فروة على ظهره قلت
لأقني هذا أبو زيد فانظر إليه فخطر إليه القتي ضمق فخر كناه فاذا هويت تصاوننا على دفنه قلت
لأبي زيد يسدي نظره إليك فقه قال لا، ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف
له بوجهه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضا عن حمله لأنه في مقام الضياء للريدن فقه ذلك،
ولما دخل الرنج البصرة قتلوا الأخص ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه قالوا لولمات الله تعالى
دفعهم فسكت ثم قال إن لله عبادا في هذه البهجة لودعوا على الظالمين لم يصيح على وجه الأرض ظالم
إلا ملأ في ليله واحدة ولكن لا يصلون قيل لم ؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسأله أن لا يخيم الساعة لم يقيمها وهذه أمور يمكنه في أخصها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخف عن التصديق والايمن بامكانها فان القدرة واسمة والفضل
عزم ومحاب للالك ولللكوت كثيرة ومتدورات الله تعالى لانهاية لها وفه على عباده الذين اصطفى
لأنايته له ولذلك كان أبو زيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب
ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أما ما فاضاعة فان سكنت إلى ذلك حيك به وهذا بلاد مثلم
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل . وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء
وأربعين يساعين في المواد عليهم ثياب من ذهب وفضة وجوههم يتخشف ويثني مهين فخطرت
إليني نظرة فحوت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بشائين حوراء فوقهن في الحسن والجمال،
وقيل لي انظر إليني قال فوجدت وخمشت عيني في سجدتي لئلا أنظر إليني وقلت أعوذ بك
بماسوكة لأحاجة لي بهذا فلم أزل أنضرع حتى صرفهن الله عني . فاشال هذه للكشافت لا ينبغي
أن ينكرها للؤمن لإفلاسه عن مثله فلم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه للظلمة وقلبه
القاسي لفاق جمال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد تجاوزة عقبات وتلي مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا ، ثم
مكاشفة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبق متحصنا بعصم الجمل فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأهياء من الناس وبعد صفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق فيفيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى
جبري إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الجديدة إذا شكلت وهيت وصقلت وصورت
بصورة الراء فخطر للتكر إلى مافي يده من زيرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف للرئي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجهل والغالل فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك
وقصور من رآه وبشي للستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يتم روايح المكاشفة من
سلك شيئا ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه للذة قال كنت أكره الله
تعالى حالي منهنا أسأله أن يكتم على ويخفي أمرى . وروى أنه رأى الحضر عليه السلام ، قال له
ادع الله تعالى لي ، قال يسر الله عليك طاعته . قلت : زدني قال وسرنا عليك ، فقيل معناه
سرنا عن الخلق ، وقيل معناه سرنا عنك حتى لا تلقت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال ألقى
الشوق إلى الحضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليمكني شيئا كان أهم الأهياء
على . قال فرأيت فما غلب على همى ولا همى إلا أن قلت له يا أبا العباس عني شيئا إذا قلت حجت عن
قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرف أحد بصلاح ولا ديانة ، فقال قل : اللهم أسبل على كيشف

زهدهم في الدنيا
لجوانها عندهم وعندي
إلى الزهد في الزهد
في هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزهد اختار الزهد
وأراد وادارته تستند
إلى عله وعله قاصر
فاذا أقيم في مقام ترك
الإرادة والسلب من
اختياره كاشفه الله
تعالى بمراده فيترك
الدنيا بمراد الحق لا بمراد
نفسه فيكون زهد
بالله تعالى حيث لا أو
يظلم أن مراد الله منه
التلبس بشيء من
الدنيا فما يدخل بالله
في شيء من الدنيا
لا ينقص عليه زهد
فيكون دخوله في

سرك وحط على سرادقات حبيبك واجمعي في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك لما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي أمار بحيث كان يستندل ويغتم حتى كان أهل الامة يسخرون به ويستخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم ليعطونه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذمهم وخوله فنهكنا حال أولياء الله تعالى في أمثالهم ولا ينبغي أن يطلبوا للزورون وإنما يطلبونهم تحت الرضات والياسوق المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأتي بالإخفاء ثم قال تعالى: أوليائي تحت قباني لا يعرفهم غيري ، وقال صلى الله عليه وسلم ورب أعمت أغبرني طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأخره (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشاهد العالماني التلويح للذكورة للمعجبة بأعضائها المستبشرة بجمالها وعليها وأقرب القلوب إليها القلوب للسكرات للسكرات فلهذا استشارا إذ ذلوا وانضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر بأنيابهم التفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أحسن منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل فلا في حقه بل يرى تسودون ذلك حتى صار التواضع والطبع صفة ذات فثقل هذا القلب يرجى له أن يستشقي مبادئ هذه الروائح فان قدقنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بل يمكن ذلك لأنه فيمن لا يشتر أن يكون من أولياء الله فليكن عبداً لأولياء الله مؤمنينهم فمسي أن يحضر مع من أحب وبشده لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبي إسرائيل أين بيت الزرع قالوا في التراب قال يحيى أقول ليحى لا تبيت الحكمة إلا في قلب مثل التراب وقد انتهى للريدون لولايته الله تعالى في طلب شروطها بأذلال النفس إلى منتهى الضعة والحقنة حتى روى أن ابن السكري وهو أستاذ الجند داه رجل إلى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في لذة الرأبسة أنه عن ذلك فقال قد رزقت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولوردتني خسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت عنه أيضاً أنه قال زلت في حجة ففرت فيها بالصالح فقتلت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعاً فوقها وخرجت وجمعت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني فترعوا مرقعاً وأخذوا الثياب وسفوني وأوجعوني ضرباً فصرمت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فكنت نفسي فهكنا كانوا يرون من أعضائهم حتى يخافهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فإن التفتت إلى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتحلل حال وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ، وذلك حتى أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يشارك مجلس أبي يزيد ، قال له يوماً أنا منذ ثلاثين سنة أموم البحر لأنظر وأقوم الليل لأنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا مسدق به وأحبه ، فقال أبو يزيد ولو صمت ثلاثاً مئة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك عجبك بنفسك قال فلماذا صوام ؟ قال نعم قال قلبي حتى عمله قال لا تحمله ، قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة إلى الزين فاحلق رأسك ولحيتك واتزع هذا اللباس وأزر بياضة وعلق في عنقك عملة حمولة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل لكل من صفني صنعة أعطيتهم جوزة وأدخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يبرفك وأنت على ذلك قال الرجل سبحان الله يقول لي مثل هذا قال أبو يزيد فوالله سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسيحبها

الشيء من الدنيا بالله
وبأن من زهدنا
في الزهد والزهد
في الزهد استوى عنده
وجود الدنيا وعدمها
إن تركها تركها بالله
وإن أخذها أخذها
بالله وهذا هو الزهد في
الزهد وقد رأينا من
العارفين من أنهم في
هذا اللقاع . ونوق هذا
مقام آخر في الزهد هو
لن يرد الخلق إليه
اختياره لسمعة علمه
وطهارة نفسه في مقام
البقاء في زهد زهدنا
ثالثاً وترك الدنيا بعد
أن مكن من غاصبها
وأعبدت عليه
موهوبة ويكون تركه
الدنيا في هذا اللقاع
بأختياره واختياره

(١) حديث رب أعمت أغبرني طمرين مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وما سبعت ربك فقال هذا لأفعله ولكن دلتني على غيره فقال ابتدء بهذا قبل كل شيء فقال لا أطيقه قال قد قلت لك إنك لا تهبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظرة إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجم من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أو لم يعرض بمثل هذا المرض أصلاً فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة في الشريعة واضحة وهي مع ذلك مستتبعة عند من يعد نفسه من علماء الشريعة فقد قال عليه السلام (١) ولا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون ثقة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف (٢) وقد قال عليه السلام في ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يراى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما لدنيا والآخرة والآخرة أقر أمر الآخرة على الدنيا (٣) وقال عليه السلام لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضى لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له (٤) وفي حديث آخر ثلاث من أوتيتهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والتضبط والتصدق في التقي والفرق وخشية الله في السر والعلانية (٥) فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولي الإيمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجعله لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الإيمان ، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عجل الله فرجه أن لا يغتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيء من خلق وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجها وإن قطع بالناشير لم يجد لسي الحديد ألماً ، فمن يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والسكشافات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ومقامات الإيمان وخافوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصدوق رضي الله عنه « إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن به من أمق وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم » (٦) وفي حديث آخر « إن الله تعالى ثلثاً خلق من قبله خلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحب إلى الله النساء » (٧) وقال عليه السلام

من اختار الحق قد
يخاف تركها حياتاً ناسياً
بالأنبياء والصالحين
أرى أن أدخلها في
مقام الإلهدرفق أدخل
عليه لموضع صفته من
درك شأوا الأقوياء من
الأنبياء والصدوقين
فترك الرفق من الحق
بالحق لحق وقد يتناوله
بأختياره رقاً بالنفس
بتدبير يسوسه فيه
صرح العلم وهذا
مقام التصرف لأقوياء
المعارفين زهدوا ثانياً
بالله كما زهدوا غانياً بالله
كما زهدوا أولاً لله .
[قولهم في الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الخدمتوا أعلاها
وقال بعضهم : الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون ثقة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وعلى هذا فهو ومثله فعل ابن أبي طلحة إجماع من التابعين ولم أجد له أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الهيثمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة في سالم الرادى ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق الحديث الطبراني في الصغرى بلقظ ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أوتيتهن فقد أوتي آل داود العدل في الرضا والتضبط غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات قد كرهن بشعوه وقد تقدم (٥) حديث إنه قال للصدوق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن به من أمق الحديث أبو منصور الهيثمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن علي مع تقدم وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث إن الله تعالى ثلثاً خلق من قبله خلق منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلقت بضعة عشر وثلثاً خلق من جاء خلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلثاً شريعة وثلاث عشرة شريعة

« رأيت ميزانا دلى من السماء فوضت في كفة ووضت أمقى في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأبقى فوضت في كفة فرجع بهم (١) » ومع هذا كله فقد كان استمراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للحبة مع غيره فقال « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » معنى قوله .

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالحبة ينضج بها)

قال سفيان : الحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره مدوام الله كرو قال غيره إشار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى غرات الحبة فأما نفس الحبة فلم تعرضوا لها ، وقال بعضهم الحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتحتج الألسن عن عبارته ، وقال الجليل حرم الله تعالى الحبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بموضع فإذا زال الموضع زالت الحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احسن أن تدل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله لئن لم نلحظنا العارف والمحبة فقال العارف إن تكلمت بكلمة هلك والمحبة إن سكنت هلك وقال الشبلي رحمه الله :

يا أيها السيد العسكريك عين الحشا مقيم
يارائع الثوم عن جفونيأنت بما مر بي عليم
مهيت لمن يقول ذكرت إلى وهل ألقى فأذكر مانسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحياولولا حسن خلقى ماحييت
فأحيا بالثى وأموت شوقافكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأساً بعد كأسلما شهد العراب وما رويت
فلبت خياله نصب ليسىفان قصرت في نظري مهيت

وقالت رابعة العدوية يوماً من بدلتا على حبيبتنا فقالت خادمة لها حبيبتنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطمعت على سر عبد فلم أجده فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حى وتوليته يحفظنى وقيل تكلمهم سمعون يوماً في الحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل يقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات وقال إبراهيم بن آدم إلى إنك تعلم أن الجنة لا تزنى عندى جناح بموضة في جنب ما أكرمتنى من محبتك وأنتى يذكر كرك وفرغنى لتفكر فى عظمتك . وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طامش والأحقق يبدو وبروح فى لاشى والعالمق عن عبوه فقاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله إنى لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق غشقى عن حب الخالقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والمحبة له وقال أبو يزيد الحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاة مولاة وقال الشبلي الحب دهش فى الفتوحيرة فى تعظيم وقيل الحب أن تحو أثرك عنك حتى لا يلقى فيك شيء راجع منك إليك وقيل الحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخوامس الحبة هو الارادات واحترق جميع الصفات والحاجات وسئل عن الحبة فقال

وفيه وفى الكبير من رواية للتبرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الايمان واليزار من حديث عثمان بن عفان إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شربة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضئيفة (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضت في كفة ووضت أمقى في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن تصبر في الصبر
أى لا تطالع فيه
الفرج . قال الله تعالى
والصابرين فى البأساء
والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم الثقون .
وقيل : لكل شيء
جوهر وجوهر الانسان
القل والجوهر القل
الصبر فالصبر عرك
النفس وبالعرك تلين
والصبر جار فى الصابر
يجرى الأنفاس لأنه
يحتاج إلى الصبر عن
كل ما يمسى ومسكره
رمد ، وم ظاهر او باطنا
والسلم يدل والصبر
يقول ولا تنفع ولاالة العلم
غير قبول الصبر ومن
كان السلم سالمه فى
الظاهر والباطن لا يتم

عطف الله قلب عبده لمشاهدته بمد القوم للمراد منه وقبل معاملة الحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والمحبة والتعظيم وأفضلها التنظيم والمحبة لأن هاتين للترتين يقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن بيان للؤمن إذا عرفد بعز وجل أحبه وإذا أحب الله وأقبل عليه وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحصره في الدنيا ويروح في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد صحت أسراء من التبعيدات قول وحي بأية والله موع على خد جبار بقوله الله قد سمعت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحباله قال قلت لها فلي تمة أنت من عمك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني بأقرانه يذني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو سلم للديرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماثوا عوقا إلىى وتعلمت أوصلهم من عني بإداود عنه إرادنى في الدارين عنى فكيف إرادنى في القلين على إداود أخرج ما يكون البعد إلىى إذا استنى عنى وأرحم ماأ كون بعبدى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلىى وقال أبو خالد الصفاق لى نبي من الأنبياء ما بد أقاله إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لنا معشر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبل رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إداود كرى لهذا كرى ونجنى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فضله ومن اشتاق إليه جد فى مسيره . وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه لمن برأى ولا أراه . وقال الجنيدي رحمه الله بنى بوسى عليه السلام حتى عمى وقام حتى انحنى وصلى حتى أقصد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لحضنت إليك شوقا منى إليك وعن بن أبى طالب كرم الله وجهه قال وسألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال العرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كثرى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر رداى والرضا غنىمى والعجز غررى والزهو حرقى واليقين قوى والصدق شفيعى والطاعة حبي والجهد خلقى وقرعة عيني فى الصلاة (١) وقال ذو النون سبحة من جعل الأرواح جنودا مجندة فأرواح المارقين جلايلة قنسية فذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك حنوا إلى الجنة وأرواح النافلين هوائية فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض الشايع زأيت فى جبل السكام رجلا أحمر اللون ضعيف البدن وهو يتقز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقال الشوق نار الله أعلها فى قلوب أوليائه حتى عرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والأرادات والموارض والمجاهات فهذا التقدر كافى فى شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلتنصر عليه والله لوفى للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس تناولته كتاب النية والإخلاص والصدق .

(كتاب النية والإخلاص والصدق)

(وهو الكتاب السابع من ربيع النيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان اللواتين وهر بوجدانته إقرار الصادقين وشهدان لا إله

(١) حديث على سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال العرفة رأس مالى والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضي عياض من حديث على بن أبى طالب وأجد له إسنادا .

(كتاب النية والإخلاص والصدق)

ذلك له إلا إذا كان الصبر مستقرا وممكنه العلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الفرزة العقلية وهما متقاربان لأحد مصدرهما والصبر يتعامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما فى مستقره وفى ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبالتصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح ويبان ذلك بدق وناهيك بشرط

الإله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والأنس وللآلحة القرين أن يبدوه
عبادة الخلقين قال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فإله الإلهين الخالق
الثنين . فانه أغنى الأغنياء عن شركة الشاركن . والصلاة على نبيه محمد الرسلين وعلى جميع
النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[أمّا بعد] قد انكشف لأرباب القلوب بصيرة الإيمان وأتوا القرآن أن الوصول إلى السعادة بالإسلام والمبادئ الفاسدة كلها هيكل الإسلامون والمالكون كلهم هيكل الإسلامون والمايون وكلهم هيكل الإسلامون والمتلون على خطر عظيم فالعلم بشرية غناء والتي بشر إخلاص رياء وهو اتفاق كفاء ومع العيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا - وقد منا إلى معاملا من عمل فبئسنا هباء متشورا - وليت شعري كيف يصح بنيتي من لا يعرف حقيقة التوبة أوكيف خلص من صحت التوبة إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف أعطى الخاص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق منهاف الوظيفة الأولى في كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يعلم التوبة أولا تحصل للفرقة ثم يصحبها بالعمل بمدتهن حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبادة إلى النجاة والإخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب : الباب الأول في حقيقة التوبة ومظاهرها . الباب الثاني : في الإخلاص وحقيقته . الباب الثالث : في الصدق وحقيقته . [الباب الأول في التوبة] وفيه بيان فضيلة التوبة وبيان حقيقة التوبة وبيان كون التوبة خيرا من العمل وبيان تضليل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج التوبة عن الأخبار .

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولما نظر الذين يدعونهم بالهدى والعشير يردون وجههم والرداءك الإرداءة
 الية وقال **عليه السلام** «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته
 إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة أو مال فليس بها حينئذ حجة» (١)
 وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر شهاده أمي أصحاب القرى ورب قليل بين الصنفين أعلم بدينه» (٢)
 وقال تعالى - إن يراد إصلاحا بوفى الله بينهما - فجعل الية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم
 «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٣) «وإنما ينظر إلى
 القلوب لأنها مظنة الية» وقال صلى الله عليه وسلم «إن العبد يعمل أعمالا حسنة قصد للآخرة في
 مصنف عظمة خلق بين يدي الله تعالى يقول أقرأه الله الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجبى ثم
 ينادى للآخرة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئا
 من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل
 عفا وملا فهو يعمل بصله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمعلمت كما يعمل فيها في
 الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته عفا فهو يتبسط بجمله في ماله فيقول رجل لو آتاني
 الله تعالى مثل ما آتاه لمعلمت كما يعمل فيها في الوزر سواء» (٥) «الآخرة كيف شرهك بالية في حاسب محله

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أنكر شهاده أنس أصحاب القرى ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنية أحمد من حديث ابن مسعود فيه عبد الله بن أبيه (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن العبد لعمل أعمالا حسنة تصعد بها لللائكة الحديث إسناده قطعي من حديث أنس بإسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علما ومالا الحديث إن ما به

الصبر قوة تملأ -
يؤتى الصابرون أجرهم
غير حساب، كل أجر
أجره عسا ب وأجر
الصابرين غير حساب.
وقال الله تعالى ثلثه :
- واصبر واسمك
الإله - أضاف الصبر
إلى نفسه لشرف
مكانه وتكمل الصفة
بـ . قيل وقف رجل
على الشبل فقال أى
صبر أعد للصابرين
قال الصبر في الله قال
لأعلاء الصبر فقال لا،
فقال الصبر مع الله
فقال لأعزب الشبل
وقال ويحك أى شيء
هو قال الرجل الصبر
عن الله قال فصرخ
الشبل صرخة كآذان
تلتف روحه، وعندي

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال «إن بالمدينة أقواما ما قطعتا واديا ولا وطننا موطننا غيظ الكفار ولا تقنا حققة ولا سابقنا عصمة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا بمنال حسم المذنبين كإعس النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له فاجر رجل تزوج امرأة أمنا فكان يسمى مهاجر أم قيس (٢) وكذلك جاء في الخبر «إن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتل الحمار (٣) لأنه قاتل رجلا يأخذ سلبه وحماره قتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا ينوي إلا عقلا لله ما نوى (٤) وقال أبي «استنعت رجلا يزعمى فقال لاحق يعمل لي جملا فبصلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من ديناه وآخرته إلا ما جعلت له (٥) وروى في الأسر إيليا أن رجلا مربكبان من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قلبه إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فصدقت به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٦) وفي حديث عبد الله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قهره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه فضيله وفارقها أزهى ما يكون فيها (٧) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جمعا يخسف بهم البلاء قتل رسول الله يكون فيهم الكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم (٨) وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القتلة على النيات (٩) وقال عليه السلام «إذا التفتي الصفان زلت اللاتكة تكسب الحلق على مراتهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصية ألا فلا هؤلاء فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله من حديث أبي كشة الأعماري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة تكل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي زيادة وفيه «إنما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن مهيح (١) حديث أنس بن بالمدينة أقواما ما قطعتا واديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فاجر رجل تزوج امرأة أمنا وكان يسمى مهاجر أم قيس الطبراني بإسناد جيد (٣) حديث إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتل الحمار لم أجده أصلا في اللوصولات وأعمار واه أبو اسحق التراوي في السنن من وجه مرسل (٤) حديث من غزا وهو لا ينوي إلا عقلا لله ما نوى الثاني من حديث عبادة ابن الصامت وتقدم غير مرة (٥) حديث أبي استنعت رجلا يزعمى فقال لاحق يعمل لي جملا فبصلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من ديناه وآخرته إلا ما جعلت له الطبراني في مسند الشاميين ولأبي داود من حديث يعل بن أمية أنه استأجر أجيرا للفرز وحسى له ثلاثة دنانير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أجده في غزوة هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي حسى (٦) حديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله قهره بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيدون قوله وفارقها أرغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهى ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف بهم يحشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم (٩) حديث إنما يقتل القتلة على النيات ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والثانية من حديث عمر بإسناد ضعيف بلفظ إنما يمت وروناه في فوائد عمم بلفظ إنما يمت للسكون على النيات وابن ماجه من حديث أبي هريرة إنما يمت الناس على نياتهم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه .

في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك أن الصبر عن الله يكون في أنص مقامات الشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء وإجسلا وتطابق بصيرته بجلا وذوبانا ويترقب في مغاير استكاثه وتخفيه لإحساسه بظلم أمر التجلي وهذا من أشد الصبر لأنه بواستدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تودان تكسب بصيرتها باستملاع نور الجمال وكان النفس منازعة لعدم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة قاطدة الصبر

هي العليا فهو في حبيب الله (١) » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يمت كل عبد على مامات عليه (٢) » وفي حديث الأنصف عن أبي بكرة « إذا التقى المسلمان بينهما قتال قتال وللتقوى في التاريخ يارسول الله هذا القتال فما بال للتقوى ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) » وفي حديث أبي هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان ومن أذن ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب له تعالى جاب يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنفن من الحيفة (٥) » . وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما ألغرض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ، وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته ثم عون الله له وإن همت همت بقدره . وقال بعض السلف . رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدين لردته نيته يوماً إلى نية سالحة وكذلك الجاهل يمسك ذلك . وقال الثوري : كانوا يعلفون النية للعمل كما تعلمون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تتوى الخير فأنت بخير ، وكان بعض الرديين يطوف على العلماء يقول من يدني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى فاني لا أحب أن يأتي على ساعتين ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله قليله قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا قربت أو تركته فهم بمهله فان المام بعمل الخير كامله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحسوها وإن ذنوبكم أكثر من أن تعلموها ولكن أصبحوا توايين وأسوأوا بين يفر لكم ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولهم نصية واتبته إلى غير آثم . وقال أبو هريرة : يثبون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض إذ قرأ أول سورة النجم حتى علم الجاهدين منكم والصابرين ونبأ أخباركم - يمكن ورددها ويقول : إنك إن بولت فاستحسنتك استأثرنا . وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد يقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فالحري أن يسلم ما دون ذلك ، فاذن عماد الأعمال النيات فالعمل مقترن إلى النية ليصير بها خيراً أو التيق في شياً غيراً وإن خلد العمل بما أتق .

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والتقصيد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب بكنيتها

(١) حديث إذا التقى الصفان نزلت للامانة كتبت الخلق على مراتبهم فلا يقاتل لأدنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في حبيب الله (٢) حديث جابر يمت كل عبد على مامات عليه رواه مسلم (٣) حديث الأنصف عن أبي بكرة إذا التقى المسلمان بينهما قتال قتال وللتقوى في التاريخ يارسول الله هذا القتال فما بال للتقوى ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه (٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان أحد من حديث صيب ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الدين دون ذكر الصادق (٥) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك الحديث أبو الوليد السقاري في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسل .

عن الله تعالى ذلك .

وقال أبو الحسن بن

سالم هم ثلاثة متصير

وصابر وصبار للتعصير

من صبر في الله ليرة

يسير ومرة يجمع

والصابر من يصبر في

الله وله ولا يجمع

ولكن توقع منه

الشكوى وقد يمكن

منه الجزع وأما الصابر

فذلك الذي صبره في

الله وله وبالله فهذا هو

وقع عليه جميع البلا

لا يجمع ولا يتغير من

جهة الوجود والخيفة

لأن جهة الرسم

والحلقة وإشارته في

هذا ظهور حكم العلم

فيه مع ظهور صفة

الطبيعة . وكان

القلبي يشغل بهذين

البيتين :

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أسهل وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أغنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يملكه فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة الأنياب القلب إلى ما يراه موافقا للعرض إما في الحال أو في الآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور بولاهم غرضه ويخالقه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب لللائم للوافي إلى نفسه ودفع الضار للنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء للضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصبر القضاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصبر النار لا يمكنه الحرب منها غلق الله الهداية وللعرفة وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر القضاء وعرف أنه موافق له فلا يكتفي بذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له بأعنة عليه إذ الرضى يرى القضاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة واللذيل ولقد علمه المصلحة المحركة إليه فخلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعطى به نوما في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يكتفي فكم من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زنا خلقت له القدرة والأعضاء للتحركة حتى يتم به التناول والعرض لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم وللعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا لفاذا جازمت المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلت عن مراضة باعث آخر صارف عنه انبثت الإرادة وتحقق الليل فاذا انبثت الإرادة انبثت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد وللعرفة فالتابعة عبارة عن الصفة التوسطية وهي الإرادة وانبثت النفس بحكم الرغبة واللذيل إلى ما هو موافق للعرض إما في الحال وإما في الآل فالحرك الأول هو العرض للطلب وهو الباعث والعرض الباعث هو القصد للثوى والانبعاث هو التصدد والنية واتهاض القدرة لحكمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن اتهاض القدرة للعمل قد يكون يباعث واحد وقد يكون يباعث اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر اتهاض عاضدا له ومعاوننا فيخرج من هذا القسم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن ينفر الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزيج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه صارا فانبثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانبثت القدرة عامة بقتضى الانبعاث فيقال نيته القرار من السبع لانية له في القيام لثيروه وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالاضافة إلى العرض الباعث ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتناول رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قريه الفقير حاجة فيضيقها للفقير ومثاله يعلم أنه لو لا قومه لكان يقضي بمجرد القرابة وأنه لو لا قرابته لكان يقضي بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غنى فيرغب في قضاء حاجته ويهتري أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فنام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حية ولو لا الحلية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقنم على الفصل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنقسم هذا مراقبة لبواعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوت الحب من
ألم الشو
ق وخوف القراق
يوثر ضرا
صابر الصبر فاستغاث
به الصبر
و فصاح الحب للصبر
صبرا
قال جعفر الصادق
رحم الله أمر الله تعالى
أنفيا به بالصبر وجعل
الحظ الأمل للرسول
صلى الله عليه وسلم
حيث جعل صبره بالله
لا بنفسه فقال
- وما صبرك إلا بإيائه -
وسئل السري عن
الصبر فتكلم فيه فذهب
على رجله عقرب فجعل
يضربه بإبرته فليل له لم
لاتدفعه ؟ قال أستحي
من الله تعالى أن أنسكلم

ولكن قوى مجموعهما على إيهام القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضئيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الذي يطلب درهما فلا يصطبه ويقصده الأجنبي الفقير يطلب درهما فلا يصطبه ثم يقصده قريبه فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقير وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس ترضى التواب وتقرض الشتاء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يمشيه مجرد قصد التواب على العطاء ولو كان الطالب طامعا لا تواب في التصديق عليه لكان لا يمشيه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورتا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل . ومثاله في المحسوس أن يتعاون الضئيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضئيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة عادة في الصدقات فانفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار القمل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من شبه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس العاونة فالباث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والترضى الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع لباث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لاحكام لها في نفسها وإنما الحكم للتبوع .

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم : نية المؤمن خير من عمله (١))

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله عليه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضئيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات مددودة والأعمال تدوم والمعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية مجردة خيرا من العمل مجردة دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بالنية أو على النية لاخير فيه أصلا والنية مجردة خيرا وظاهر الترجيح للفقيرين في أصل الخير بل للفقير به أن كل طاعة تنظم نية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أى لكل واحد منهما أثر في التصود وأثر النية أكثر من أثر العمل لقنائه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والترضى أن لغيره اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرا فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترتبة على العمل فلا يفرغها إلا الأمن فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى القصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى التصود قال الحزب خير من التكاثر فاعلموا يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاعتناء ولا يفرغ ذلك إلا من فهم أن للنزاهة مقصدا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها ببعض

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث الترمذي ابن سنان وكلاهما ضئيف .

في حال ثم أخالته
ماتسكلم فيه . أخبرنا
أبو زرعة بإجازة عن
أبي بكر بن خلف بإجازة
عن أبي عبد الرحمن
قال سمعت محمد بن خالد
يقول سمعت الفرغانى
يقول سمعت الجعيد
رحمه الله يقول إن الله
معالى أكرم المؤمنين
بالإيمان وأكرم الأيمان
بالعدل وأكرم العدل
بالسبر فالإيمان زين
للمؤمن والعدل زين
للايمان والصبر زين
للعقل وأشد عن
إبراهيم الحواص
رحمه الله :

صبر على بعض
الأذى خوف كله
ودافعت عن نفسى
نفسى ففرت

طاعات غذاء للقلب ، وللقصود شفاؤها وبهاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتسميها ببقاء الله تعالى . فالتقصود لئلا السعادة بقاء الله فقط ولن يتم بقاء الله إلا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره ، فالأمن يحصل بدوام الذكر والرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والمحبة تتبع الرفعة بالضرورة ولن يفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا . ولن يفرغ من شواغلها إلا إذا أقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر " مينضا له وإعما يميل إلى الحيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطه بها كما يميل العاقل إلى القصد والحجامة لعله بأن سلامته فيها ، وإذا حصل أصل الليل بالمرقة فاعلم يقوى بالعمل يقتضي الليل واللواظية عليه فإن اللواظية على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى القضاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون فيه في الابتداء الاضياف ، فان اتبع مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد فيه ورسخ وعسر عليه النزوع وإن خالف مقتضى فيه ضحك عليه وانكسر وربما زال وانعقد بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضميما لوليمه وعمل يقتضيه فدوام على النظر والمجالسة والمخالطة والمحادثة تأكد ميلا حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميلا لكان ذلك كقطع القوت والتذاء عن صفة الليل ويكون ذلك زبرا ودفا في وجهه حتى يصف ويكسر بسببه ويضع ويضعي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تزداد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تزداد بها الدنيا والآخرة ، وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للفكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى الضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بعله يموت عزيز من أعزّه أو يهجوم أمر غوف تأثرت به الأعضاء وارتدت الترائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للنوع فكانه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والرحايا والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب يتأكد صفاتها فيه فالقلب هو للقصود والأعضاء آلات موصلة إلى القصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد » (١) وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعي والرعية » (٢) وأراد بالراعي القلب . وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لاعماله أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ، ثم يجب أن تكون النية من جملة أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وفرضا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب لإرادة الخير ويؤكد فيه الليل إليه ليرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر بالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الترض لأنه متمكن من نفس المقصود ، وهذا كان للعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والنساء الواصل إلى للعدة ، فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر

وجربها للكروه
حتى تدرب
ولولم أجربها إذن
لاشعأرت
الأرب ذل سأل لنفس
عزة
ويارب نفس بالتدال
عزت
إذا مادت الكف
النفس التي
إلى غدير من قال
اسألوني فقلت
سأبر جهدي إن في
الصبر عزة
وأرضى بديناي وإن
هي قلت
قال عمر بن عبدالعزيز
رحمته الله : ما أنتم الله
على عبد من نعمة ثم
انترتها فاضنه بها
انترع منه السبر
إلا كان مااضنه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث الثعلبان بن بشر
وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية تقدم ولم أجبه .

إلى اللدة ، فما يلاقى عين اللدة فهو خير وأتقن فهكذا ينبغي أن يحتمل تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تخير القلوب وتبديل صفاتها قسط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه يحكم المادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعاً ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يقيم فإذا مسح رأسه وقبه تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً لأن من مسح رأس يقيم وهو غافل قبله أو ظان أنه مسح نوا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول اللهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعا على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمه وما سواه وجوده عنده بالإضافة إلى الترضي للطلب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلاً وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شراً فإنه لم يؤكد الصفة للطلب تأكيدها حتى أكد الصفة للطلب قدماً وهي صفة الراء التي هي من الليل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيراً من العمل ، وبهذا أيضاً يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يسمها كسبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإعطاء الاعمال بالمثل يزيد بها تأكيدها فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم والاحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبطلانها إشاراً لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاكف عن العمل عاكف فإن نال الله لحومها ولم يداؤها ولكن ياله التقوى منكم بالتقوى ههنا أعنى القلب وذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوماً بالدين تدشركون في جهادنا كما تقدم ذكره لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبطلان المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الحارثيين في الجهاد وإنما فرقهم بالبدان لواقع تخص الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني فهم جميع الأحاديث التي أو ردها في فضيلة النية فأعرضها عنها ليكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة .

(بيان تحصيل الأعمال للتلقة بالنية)

اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساماً كثيرة فمن فعل وقول وحر كوكسون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك بما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي وباحات . القسم الأول : للمعاصي وهي لا تنتهي عن موضعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من محرم قوله عليه السلام وإنما الأعمال بالنيات فيظن أن للصيغة تشبهاً طاعة بالنية كالذي ينتاب انساناً امرأة قلب غير مأويطهم قبحاً من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجداً أو ربطاً بمال حرام وقصد الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظلاً وعدواناً ومعصية بل قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاصٍ بجهله إذ طالب العلم فريضة على كل مسلم والحجرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً هيئات بل للروج لذلك على القلب حتى الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاهل مائلاً إلى طلب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : ما عصى الله تعالى بمصيبة أعظم من الجهل . قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أعمد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب العلم فن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يعلم وكذلك أفضل ما أطبع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

ما أنزعه منه وأنتد

لسمنون :

تجرعت من حاليه

نمى وأبوسا

زمانا إذا أجرى مزاله

احتسى

فكم غمرة قد جرتنى

كؤوسا

فجرعت من بحر صبرى

أكؤوسا

تدرعت صبرى

والثحت صروفه

وقلت لنفسى الصبر أو

فاهلك أسى

خطوب لوان الكلم

زاحم خطبها

لساخت ولم تدرك لها

السكف ملسا

[قولهم في الفقر] قال

ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فاذا كان

لك لا يكون لك حتى

فان من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو عادة الجهل ومنبع فساد العالم وللقصود أن من قصد الخير بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم ، وقد قال الله سبحانه - فاستلوا أهل الذکر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يلدز الجاهل على الجهل ولا يحمل الجاهل أن يسكت على جهله ولا لعالم أن يسكت على علمه ^(١) » ويقرب من تقرب السلاطين بيئاته للساجد وللدارس بالمال الحرام تخرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار للشغولين بالقسق والفجور القاصرين همهم على مآراة العلماء ومباراة السفهاء واستالة وجود الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والسالكين فان هؤلاء إذا تلموا كانوا قاطع طريق الله وانقض كل واحد منهم في بلدته نأبوا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجريه الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك وبإل حجيجه يرجع إلى العلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطامعه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألبي سنن وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم السجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمصيبة منه لا مفي وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإتمام حب الرياسة والاستعجاب والتفاخر بعلوم العلم بحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شرى ما جوابه ممن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الحليمة وقد صدق بأن يزوجها هذا السيف والقرص في سبيل الله فان إعداد الخيل والرباط والقوة للفراسة من أفضل القربات فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء وأحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء ^(٢) » فليت شرى لم حرم هذا السخاء ولم يجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لأن يمدد بشره والمسلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يصاون بأعداء الله عز وجل وهو الهوى فين لا يزال مؤثرا لادبائه على دينه ولهو على آخرته وهو عاجز عنها ثقة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السوء حرمهم الله بصفة قد دون أحوالهم يتردد إليهم فلو رأوا منه تصيرا في قتل من التوافل أنسكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجره وقوه عن مجالسهم وتركوا تسكيا فضلا عن تعليمه لهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تمود جميع السالف بالعلم من العاجر العالم بالسنة وما توفدوا من الفاجر الجاهل . حتى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تقريره عليه وهو

تؤثر . وقال السكاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح التقى بالله تعالى لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر . وقال النوري : نعت الفقراء الكون عند العلم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاضطراب عند للوجود . وقال الدراج قد كنت كنف أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فحيرت ، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنفك هذه القطعة . قال قد رأيتهما ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا قلت : ما كان أمر هذه القطعة بحق مبروك فقال ما رزقني

(١) حديث لا يلدز الجاهل على الجهل ولا يحمل الجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلعين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يلدز الجاهل على الجهل وقال لابن أبي بديل ولا يحمل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن لله ثلثائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب الحجة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلفظ أنك طيبت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر مئكتك الطين وهو
أمة من شارع للسليم فلا تصلح لنقل العلم فكذلك كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا
وأمثاله مما ينبغي على الأغنياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأحكام الولسة وأصحاب
الأسنة الطويلة والفضل الكبير، أعني الفضل من العلوم التي لا تشمل على التحذير من الدنيا
والزجر عنها والترغيب في الآخرة والبعاء إليها بل هي العلوم التي تتلاقى بالخلق ويتوصل بها إلى جمع
الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فاذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يختص
من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون العاصي إذ الطاعة تغلب مصيبة بالقصد وللإحسان يغلب
معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تغلب طاعة بالقصد أصلاً، نعم لنية دخل فيها وهو أنه إذا ناسف
إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وإلها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة. القسم الثاني الطاعات
وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى
لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فيبكرة بالنيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة
يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات
كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال الثقلين ويبلغ به درجات للقرين أولها أن يعتقد أنه بيت الله
وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
«من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على الزور إكرام زائره» (٢) وقاتها أن ينظر الصلاة
بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى - ورابطوا - . وثالثها الترهيب
بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كفه وهو في معنى الصوم وهو
نوع ترهب، وذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهانية أمي القعود في الساجد» (٣) ورابعها
عكوف الملم على الله ولزوم السر والفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد
وخامسها التجرد فذكر الله أولاً واستماع ذكره ولتذكر به كما روي في الخبر «من غدا إلى المسجد ليذكر
الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى» (٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر معروف
ونهي عن منكر إذ المسجد لا يخلو عن من يرى في صلاته أو يتطأ ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهيه
إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتضاعف خيراؤه. وسابعها أن يستفيد أخا
في الله فإن ذلك غنمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشأ أهل الدين المحبين لله وفي الله. وثامنها
أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتطأ في بيت الله ما يجتنبه هناك الحرمه،
وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أضمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع
خصال أخا مستفاداً في الله أو روحه مستنزلة أو علما مستظرفاً أو كلفة تدل على هدى أو مصرفه

الله تعالى من الدنيا
صفراء ولا يضاه
غيرها فأردت أن
أوصي أن تشد في كفى
فأردها إلى الله وقول
إبراهيم الخواص الفقر
رداء الشرف ولباس
المسلمين وجبايب
الساكنين . وسئل
سئل بن عبد الله عن
التقير الصادق قدس
لابسأل ولا يرد ولا
يحبس . وقال أبو علي
الروذباري رحمه الله
سألني الزقاق قدس
يأبأ على ترك الفقراء
أخذ البقرة في وقت
الحاجة قال قلت لأنهم
مستنون بالمطعم عن
المطايء قال نعم ولكن
وقع في شيء آخر فقلت
هات أفدني ما وقع لك

(١) حديث تضيف الحسنة بعشر أمثالها تقدم (٢) حديث من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى
وحق على المزور إكرام زائره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحو من
رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بأسماء صحيح وقد تقدم في الصلاة (٣) حديث رهانية أمي القعود
في المساجد لم أجده أصلاً (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل
الله تعالى هو معروف من قول كعب الأحبار رويته في جزء ابن ماقوق والطبراني في الكبير من حديث
أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حج تاماً واحتجوا بإسناده جيد
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كأن غدا أو راح

عن روى أو يترك القنوب خشية أوحيا، فهذا طريق تركيز النيات وقس به سائر الطاعات والباحات
 إنما من طاعة إلا ويحتمل نيات كثيرة وإجماعه في قلب العبد للؤمن بقدر جده في طلب الخير
 وتشمرة له وتفكره فيه فهذا تركو الأعمال وتضاعف الحسنات [القسم الثالث للباحات] وما من شيء
 من اللباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات ونال بها مآل الدرجات فأعظم
 خسران من يغل عنها ويتطاولها تطاول البهائم للهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحق العبد
 شيئا من المحطرات والخطوات والاحتضات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم ضله وما الذي قصد به
 هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب» (١)
 وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى
 عن كل عيبه وعن ذات الطينة بإسبغيه وعن له ثوب أخيه (٢) وفي خبر آخر «من تطيب لله تعالى
 جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنثى من
 الجيفة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية . فان قلت فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب
 وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله . فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الأوقات
 يتصور أن يقصد التمتع بلبات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال لجسده الأقران أو يقصد به
 رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبية
 إذا كان مستحلا للنظر إليهن ولأمور أخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب مصيبة فذلك يكون
 أن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتتم فان ذلك ليس بمصيبة إلا أنه يسئل عنه
 ومن توفى الحساب عذب ومن آتى شيئا من مباح الدنيا لم يذب عليه في الآخرة ولكن ينقص
 من نعم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعمل ما ينفق ويخسر زيادة نعم لا يفي وأما الدبات
 الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣) وينوي بذلك أيضا
 تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا لله إلا بطيب الرائحة وأن يقصد به رويح
 سيرانه ليستريحوا إلى المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه
 التي تؤذي إلى إهداء مخالطيه وأن يقصد بحسب باب الفرية عن الثنائين إذا اغتابوه الروائح الكريهة
 فيعصون الله بسببه فمن تعرض للفرية وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المصيبة كما قبل:
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تضارهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أشار به إلى أن
 التسبب إلى الشرّ شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به في التبرؤ كالأوهى عليه دركه مما تدينه
 بالفكر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زادته فهذا أو مثله من النيات لا يصح الفقه عنها إذا
 كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبية على قلبه وإذا لم يلب على قلبه إلا تعميم الدنيا لم تحضر هذه النيات
 (١) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب تقدم (٢) حديث معاذ إن العبد ليسأل يوم القيامة
 عن كل شيء حتى عن كل عيبه وعن ذات الطينة بإسبغيه وعن له ثوب أخيه لم أجد له إسنادا
 (٣) حديث إن ليس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه . من حديث أبي هريرة
 وأبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده وليس أحسن ثيابه الحديث ولأبي
 داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي
 مهنته وفي إسناده اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حقة سراء عند باب المسجد فقال يا رسول الله
 لو اشتريت هذه فلبستها يرم الجمعة الحديث .

قال لأنهم قوم لا ينفعهم
 الوجود إذله فاقتم
 ولا تفرم الفاقة إذله
 وجودهم قال بعضهم
 الفقر وقوف الحاجة
 على القلب ومحوها
 مما سوى الرب وقال
 للسوحي الفقير الذي
 لا يفتنه الثم ولا يفرقه
 المحن . وقال يحيى بن
 معاذ حقيقة الفقر أن
 لا يستفي إلا بالله وروحه
 عدم الأسباب كلها
 وقال أبو بكر الطوسي
 بقيت مدة أسأل عن
 معنى اختيار أصحابنا
 لهذا الفقر على سائر
 الأشياء فلم يجنى أحد
 بجواب يقتضي حتى
 سألت نصر بن الحارثي
 فقال لي لأنه أول
 منزل من منازل

وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء،
 والباحث كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها قصى بهذا الواحد ماعداه ولهذا قال بعض العارفين من
 السلف إنى لا تستحب أن يكون لى في كل شيء نية حتى في أكلى وشربى ونومى ودخولى إلى الخلاء
 وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن ووفراغ القلب من
 مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه
 وتطهير قلب أهله والتوصل به إلى نيل صالح عبيد الله تعالى بهذه فحسبك به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان
 طيما بأكله ونكاحه وأغلب حفظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير مجتمع لمن غلب
 على قلبه ثم الآخرة وقلبك ببنى أن يحسن نيته مهما منع له سائل ويقول هو فى سبيل الله وإذا بلغه
 اغتياح غيره له لطيط قلبه بأنه سيحصل سيئاته وسنقل إلى ديوانه حسنةه وليزو ذلك بسكوته عن
 الجواب فى الخبر « إن البعد ليحاسب قبل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينسرى لمن
 الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتجنب ويقول يارب هذه أعمال ماعلمتها قط يقال هذه
 أعمال الدين اغتايوك وآذوك وظفوك (١) » وفى الخبر « إن البعد ليوالى القيامة بحسنات أمثال الجبال
 لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وغش هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسنةه ولهذا من
 حسنةه حتى لا يبقى له حسنة فقول للالكسة قد قضيت حسنةه وبقي طالبون يقول الله تعالى ألقوا عليه
 من سيئاتهم ثم سکوا له صكا إلى النار (٢) » وبالجملة فالأكثر إذا كن تستحق شيئا من حركاتك فلا تكثر
 من ضرورها وشروها ولا تمد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد بما لم يلق
 من قول إلا لدية رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أتبره من حاطط جلولى فتخرجت
 ثم قلت تراب وما تراب قبره فهتف بي هاتف سيلم من استخف بتراب ما بقى غدا من سوء الحساب
 وصلى رجل مع الثورى فرآه مقوب الثوب فرقه فهد يده ليصلحه ثم قبضا فلم يسوءه الله عن ذلك
 فقال إنى ليست لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن إن الرجل يعلق بالرجل يوم القيامة
 فيقول بينى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لينى من حاططى وأخذت خطيما من
 ثوبى فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين فإن كنت من أولى الزم والتهى ولم تكن من للقرين
 فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك ورأب أحوالك ولا تسكن
 ولا تتحرك ما لم تأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا قصد وما الذى تال به من الدنيا وما الذى فوتك
 من الآخرة وعماذا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأمر نفسك وما خطر
 بياك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في إسراك وامتناعك فان ترك القمل فعل ولا بدله من نية
 صحيحة فلا يبنى أن يكون النامى هو حتى لا يطلع عليه ولا يترك ظواهر الأمور ومشهورات الحيرات
 والظن للأغوار والأسرار تخرج من حين أهل الاعتراض قد روى عن كز عليه السلام أنه كان يسل
 فى حائط بالطين وكان أجيرا قوم قد دعوا له رغينا إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

التوحيد فقصت بذلك
 وسئل ابن الجلاء عن
 الفقر فسكت حتى صر
 ثم ذهب ورجع ثم قال
 أنى لم أسكت إلا لخدم
 كان عندي فلهبت
 فأخرجته واستجيت
 من الله تعالى أن أتكلم
 فى الفقر وعندي ذلك
 ثم جلس وتكلم .
 قال أبو بكر بن
 طاهر عن حكم القير
 أن لا يكون له رغبة
 فان كان ولا بد لا تجاوز
 رغبته كفايته . قال
 فارس قلت ليعنى
 الفقراء مرة وعليه أثر
 الجوع والفرس لم أنسا
 فيطمعوك ؟ قال إنى
 أخاف أن أسألهم
 فيمنون فلا يلحون
 وأشد ليضهم :

(١) حديث إن البعد ليحاسب قبل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينسرى لمن
 الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الدين اغتايوك الحديث أبو منصور
 الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث عيث بن سعد البلوى مختصرا إن البعد
 ليلقى كتابه يوم القيامة منتصرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولما عملها فيقال بما
 اغتايك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لهيعة (٢) حديث إن البعد ليوالى القيامة بحسنات أمثال
 الجبال وفيه ويأتى قد ظلم هذا وغش هذا الحديث يخدم مع اختلاف .

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فنجبروا منه لما علوا من سخائه وزهده وظنوا أن الحير في طلب الساعدة في الطعام قال إني أعمل لقوم بالأجرة وقدما إلى الرغيف لأقضى به على عملهم فلوأ كلمهم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعت عن عملهم فالسير هكذا ينظر في البواطن بنور الله فان ضمه عن العمل قص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام قص في فضل ولا حكم لقضائل مع القرائن . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل لما كلى حتى لقي أماسيه ثم قال لولائي أخذته بدين لأجيب أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فان أجابه فاسل فضله وزران وإن لم يأكل فضله وزر واحد وأراد بأحد الوزرين الضاق وبالتالي تعرضه أخاه لما يكره لوعله فكذلك ينبغي أن يتفقد المبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية فان لم تحضره النية توقفت فان النية لا تدخل تحت الاختيار .

(يَان أَن النَّبِيَّةِ غَيْرِ دَاخِلَةٍ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية تحسين النية وتكبرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدبره أو تجارتها أو أكه نويت أن أدرس فذا أو أكل فذا ويظن ذلك نية وهيئات ذلك قص وحديث لسان وفكر أو انشغال من خاطر إلى خاطر والنية يمزج من جميع ذلك وإنما النية اثبات النفس وتوجهها وميلها إلى مظهر لها أن فيه عرضها إما عاجلا وإما آجلا وليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كتقول الشبان نويت أن أتعشى الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحب وأعظمه قلبي فذلك عمال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه . وذلك مما لا يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما ثبت النفس إلى الفعل إيجابا بالقدر الباعث للوافق لنفس اللام لها ومالم يستعد الانسان أن عرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصد وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فأنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يستعد فرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع نية الولد بل لا يمكن إلا بنية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يلبط قلبه أن إقامة سنة النكاح (١) اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليست بنية أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية ، ثم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع التفرات عن الولد من هزل اللؤنة وطول السب وغيره فإذا حصل ذلك ربما اثبت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد لثواب فتحررك تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه مباشرة القصد فإذا انتهت القدرة الحركة للسان بقبول القصد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان تأويافان لم يكن كذلك فليقدره في نفسه ويرده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضر نايه حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضر في نية ونادى بعضهم إسمائهم وكان يسبحهم من هات للدرى قالت أجيء بالمرأة فسكت ساعت ثم قالت تم قيل له في ذلك فقال كان لي في للدرى نية

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

قالوا غدا الصيد ماذا
أنت لابس
قلت خدعة ساق
عبد الجرجا
قرر وصبر عما ثوبان
تحتها
قلب يرى ربه الأعياد
والجما
أخرى لللابس أن تلقى
الحبيب به
يوم التزاور في الثوب
الذي خلعا
الدهر لي مأم إن غبت
بأمل
والعبد مدمت لي
مهاى ومستعما .
[قولهم في الشكر]
قال بعضهم الشكر
هو النية عن النعمة
برؤية للمسلم . وقال
يحيى بن معاذ الرازي
لست بشاكر مدمت
تشكر وغاية الشكر

ولم تحضرني في المرأة نية فتوقفت حتى هياها الله تعالى ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة قبل الثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لملت وكان أحدهم إذ سئل عما من أعمال البر يقول إن رزقي الله تعالى نية فلت. وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيتدبره قيل له في ذلك قال أتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرني نية فلت. وحكي أن داود بن الجبر لما صنف كتاب القل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فبما صنفها ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرج على الأسانيد فأنظر فيه بين الجبر إنما نظرت فيه بين العمل فاتفقت قال أحمد فردته على حتى أنظر فيه بالدين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال جزاك الله خيراً لقد اتضعت به وقيل لطاوس أدع لنا فقال حتى أجد له نية. وقال بعضهم أنا في طلب نية لبيادة رجل منذ شهر لما صحت لي بعد. وقال عيسى بن كثير مشيت مع سميون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره اضمرت قال ابنه ألا تحزن على الضياء قال ليس من نيتي وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يصحوا أهلاً إلا بنية لهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة وباء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو اثبات القلب بحري بحري التوسل من الله تعالى فقد تنيس في بعض الأوقات وقد تعدد في بعضها، فم من كان القابل على قلبه أمر الدين يسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للغيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فيثبت إلى التفاصيل غالباً ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لا يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في القرص إلى الإجماع جسد وفاقته أن يتذكر النار ويهدد نفسه عقابها أو نعم الجنة ويرغب نفسه فيها فرجاً تبث له داعية ضمنية فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تنيس للراغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويمر على بسيط الأرض من يفهمها فضلاً عن يتطاعها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يثق النار ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتطعيته لدائه ولجلاله لا لأمر سواء فهو من جملة النيات الصحيحة لأعمال إلى اللوعدي الآخرة وإن كان من جنس التألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والباطن وموضع قضاء وطرها الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة الله وإنه لينا بماله إذا كثرت أهل الجنة لله وأما عبادة ذوى الألباب فاتها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه جالها وجلالها وسائر الأعمال تكون مؤكدة وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الائتلاف إلى التسكوت والطوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربه بالنداء والضي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يشتمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر للتنم بالنظر إلى الحور العين عما يشتم بالنظر إلى وجه الصور الصنوعة من الطين بل أشد فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين والصور للصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمة الشهوانية لقضاء الوطرن من ضالطة الحسان وإعراضهن عن جمال وجه الله الكريم يشاهي استعظام الخنفساء لصاحبها وإقبالها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء فهي أكثر القلوب عن إبطار جمال الله وجلاله يشاهي عن الخنفساء عن إدراك جمال النساء فانها لا تنشر به أصلاً ولا تلتفت إليه ولو كان لها عقل وذكرن لها لا محتسنت عقلن من يلتفت إليهن سوا زناهن مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون والله خلقهم.

التحريم وذلك أن
الشكر لغة من
الله يجب الشكر
عليه. وفي أخبار داود
عليه السلام إلى
كيف أشكره وأنا
لا أستطيع. أن
أشكره إلا بنعمة
ثانية من نعمه فأوحى
الله إليه إذا عرفت
هذا قد شكرتني
ومعنى الشكر في اللغة
هو الكشف والاظ
يقال شكر وكسر
إذا كشف عن قمره
وأظهره ففشر النسم
وذكرها وتعددها
بالسان من الشكر
وباطن الشكر أنه
تستعين بالنسم على
الطاعة ولا تستعين بها
على اللصبة فهو شكر.

حكى أن أحمد بن خضويه رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أبا زيد فان يطلبني ورأى أبو زيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال إلي . ورؤى الشبلبي بعد موته في المنام قيل له ما قل الله بك فقال لم يطالبني على الله ماوى البرهان إلا على قول واحد قلت يوما أى خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أى خسارة أعظم من خسران لقائى والفرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له الجدول إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستكرها الظاهرون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه تقيصة لأن الأعمال والنيات وذلك مثل المغفر فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضر نية في الانتصار دون المغفر فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليرجع نفسه ويقوى على العبادات في المستقبل وليس تقيصة نية في الحالين للصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له بل لو لم العادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترك ساعة لمهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة . قال أبو العرداء إنى لا أستجيب شئ من الله فيكون ذلك عوناً لى على الحق وقال على كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها إذا كرهت ععبت وهذه دقائق لا يدركها إلا ممارسة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطلب قد يبالغ المحروور بالمعجم من حرارته ويستعده القاصر في الطلب وإنما ينبغي به أن يبعد أولاً قوته ليجتمل للمعالجة بالصد والحاذق في لعب الشرط نبح مثلاً قد يزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك إلى الغلبة والضعف البصيرة قد يضعك به ويشجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يديه قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيفكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة القلب والبصير للوقوف يقف فيها على لطائف من الحيل يستعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضر إنكاراً على ما يراه من شيخه ولا للمتمثل أن يترضى على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا ينفعه من أحوالها يسامه لها إلى أن يكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

(الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال الله الدين الحالم - وقال تعالى - إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - زلت فيمن جعل لله واجب أن يعبد عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله ^(١) وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال « ظن أبى أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بشغافتها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم ^(٢) » وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعت قلب من

(الباب الثاني في الاخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي وصححه من حديث النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بشغافتها ودعوتهم وإخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخاري باللفظ هل تصرون وترزقون إلا بشغافتكم .

العمة . وصحت شيخنا رحم الله يشد عن بعضهم : أولئك نعماً أبوح بشكرها وكفى كل الأمور بأسرها فلا شكرتك ما حبيت وإن أنت فاشكرتك أعظمى في قبرها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يعمدون الله في السراء والفراء » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ابتلى فسر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفره قيل لا بله قال وأولئك

أحببت من عبادي^(١) » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتبتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لماذا بن جبل « وأخلص العمل عجزكم عنه القليل^(٢) » وقال عليه السلام « مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بتاييس الحكمة من قلبه على لسانه^(٣) » وقال عليه السلام « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل أتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فاجبت فيقول يارب كنت أقوم به أتاه الليل وأطراف التهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا تقدر قيل ذلك ورجل أتاه الله ما لا يقول الله تعالى لقد أصمت عليك فإذا أصمت فيقول يارب كنت أتصدق به أتاه الليل وأطراف التهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا تقدر قيل ذلك ورجل تدل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أصرت بالجهد فتأملت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا تقدر قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على غنم وقال يا أيها الغنم إن أول خلق تسعرون جهنم بهم يوم القيامة^(٤) » فخذلوا في هذا الحديث على مما يروونه وروى ذلك فيسكن حتى كادت نفسه تزهر ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآتي في الأسرار إلييات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم وقالوا إن ههنا قوم يعبدون شجرة من دون الله تعالى فنضب لذلك وأخذ فأسمه على عاقبه وقصد الشجرة ليقطعها لاستغلبه إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد حرك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذلك تركت عبادتك واشتغلت بنفسك وشرغت لغير ذلك فقال إن هذا من عبادي قال فاني لأتركك أن تقطعها فتأخذه العابد فطره إلى الأرض وقصد على صدره فقال له إبليس أطلعتني حتى أكلت قدام عنه قال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يرضه عليك وما تبصده أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في آفاق الأرض ولولا ما يهيم إلى أهلها وأمرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فإني لقتل قلبه العابد بسرعة وقصد على صدره فعبز إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأتبع قال وما هو قال أطلعتني حتى أنزل لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لاشيء لك إنما أنت كل من الناس يسولونك ولعلك تحب أن تفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشيع وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولكي أن أجعل عندك أمك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذت منهما فأنفقت في نفسك وعيالك وتصدق على إخوانك فيكون ذلك أمتع لك وللسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يشرم قطعها شيئا ولا يفتح إخوانك للزمنين قطعك إيها فتفكر العابد فيا قال وقال صدق الشيخ لست بفي فيأمرني قطع هذه الشجرة ولا أمرني أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن . مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي رويته في جزء من مسلسلات القرويني مسلسلا يقول كل واحد من رواه سأل فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء الميجمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن بن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من التزاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضيف (٢) حديث أنه قال لماذا أخلى العمل عجزكم منه القليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما إن عدى ومن طريقه ابن الجوزي في اللوزعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل أتاه الله العلم الحديث وقد تقدم .

لسم الأمن وم
مبتدون . . . وقال
الجيد فرض الشكر
الاعتراف بالنعم بالقلب
واللسان . وفي الحديث
« أفضل الذكر لاله
إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله » . وقال بعضهم
في قوله تعالى وأسبغ
عليك نعمه ظاهرة
وباطنة - قال الظاهرة
الموافاة والقبول والباطنة
السلوى والفر
فان هذه نعم أخرى
لما يستوجب بها من
الجسراء . وحقيقة
الشكر أن يرى جميع
القضى له به نعمًا غير
ما يضره في دينه لأن
الله تعالى لا يفضي العبد
للؤمن شيئا إلا وهو
نعم في حقه فلما عاينة

وما ذكره أكثر منمنة فهاهنا على الوفاء بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبه قيات فلما أصبح رأى دينار بن عند رأسه فأخذها وكذلك القدر ثم أصبح اليوم الثالث وما بهد في ريشة انفسه وأخذ رأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أقبل تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بجدار على ذلك ولا سبيل لك إليها قال تتناوله العابد ليفعل به كاذل أول مرة فقال هرات فأخذه إبليس وصرعه فاذا هو كالصقور بين رجله وقد لبس على صدره وقال لتتزين عن هذا الأمر أولاً فحينئذ فطر العابد فاذا لا طاقه له به قال ياهذا غلبني غلغ عن وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللهنا صرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - لإعبادك منهم المحاصن - إذ لا يتخلص البعد من الشيطان إلا بالأخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا بني أخلصي أخلصي تتخلصي . وقال يعقوب للكشوف : الخلس من يكتم حسنة كما يكتم سيئاته . وقال سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيتك كفاء الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخيه له أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل . وقال أيوب السخيتاني : تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا صني له ومن خلط خلط عليه . ورؤى بعضهم في المنام قيل له كيف وجدت أعمالك ؟ فقال كل شيء عملته لله ووجدته حتى حبة رمان لعلتها من طريقى وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيت في كفة السيئات وكان قد شق حماري قيمته مائة دينار لما رأيت له ثوباً فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حماري فيها فقبلت في أنه قد وجه حيث يشت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لنة الله فبطل أجره فيه ولولت في سبيل الله لوجدته في حسناتك . وفي رواية قال وكتب قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرم إلى فوجدت ذلك لا طي ولا لى . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه قد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص يميز العمل من السيوب كتميز اللبن من القز والهم ، وقيل كان رجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فأتته أن حضر يوماً موضعاً فيه جمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نقش فساكنوا ففتشوا واحدة واحدة حتى بلغت التوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فها الله تعالى بالاخلاص وقال إن نجوت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدررة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا المرأة فقد وجدنا الدررة . وقال بعض الصوفية : كنت قائماً مع أبي عبيد التستري وهو يحتر أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فسار به حتى قال أبو عبيد لا ، فمر كالسحاب بسح الأرض حتى غاب عن صني فقلت لأبي عبيد ما قال لك ؟ فقال سألت أن أحج معه قلت لا قلت فهل فعلت ؟ قال ليس لى في الحج نية وقد نويت أن أتم هذه الأرض المشية فأخاف إن حججت معه لأجبه تعرضت لقت الله تعالى لأنى أدخل في عمل الله شيئاً غيره فيكون ما أتانيه أعظم عندي من سبعين حبة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر ففرض بعضنا صلاة فقلت أشترها فأنتفع بها في غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بمنها فبرحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك اليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الفزاة فأملى عليه خرج فلان منزها وفلان مراثيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظروا إلى وقالوا كتب فلان خرج تاجرا فقلت

يرفها ويهمها وإما
أجله بما يقضى له من
للكاره فاما أن تكون
درجة له أو تعجبا أو
تكفيرا فاذا علم أن
مولاه أنصح له من
نفسه وأعلم بمصالحه
وأن كل ما منه نعم فقد
شكره .

[قولهم في الخوف]
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « رأس
الحكمة عافية الله »
وروى عنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال
« كان داود النبي عليه
السلام يحسب يومه الناس
يظنون أن به مرضاً
وما به مرض إلا خوف
الله تعالى والحياة منه »
قال أبو عمر النمشي
الحافظ من يخاف من

الله في أمرى ما خرجت أجور وما مئى نجارة أجور فيها ما خرجت إلا للزوق وقال يا شيخ قد اشترت أمس بخلافة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فظفر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه بخلافة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه عابري. وقال سرى السطى رحمه الله تعالى : لأن تصلى ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سيحالة بعلو . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الاخلاص عزيز وقال الملم بدر والمعلم زرع وماؤه الاخلاص . وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلاق الاخلاص فقط . وقال الجليل : إن لله عبادا علقوا قلما علقوا عملا قلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد الروزى : الأمر كله يرجع إلى أصابن فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين .

(بيان حقيقة الاخلاص)

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فلذا صفنا عن شوبه وخلص عنه مئى خالصا ويسمى القلص المسمى الهامس إخلاصا قال الله تعالى - من بين فرت ودم لنا خالصا سائفا للشاربين - فاما خالص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرت ومن كل ما يمكن أن يتنجس به والاخلص بضاده الاشراف فمن ليس خالصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات فالاخلص في التوحيد بضاده للتشريك في الإلهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلص وضده يتواردان على القلب فحله القلب وإنما يكون ذلك في القصور والنيات وقد ذكرنا حقيقة الية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد مئى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى اللوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو محمل ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو محمل ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الاحاد عبارة عن الليل ولكن خصصته العادة بالليل عن الحق ومن كان باعته مجرد الرياء فهو معرض للهلكا ولنا تسلكم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربح للهلكات وأقل أموره ماورد في الخبر من « إن للرائى بدعى يوم القيامة بأربع أسامى رائى يا عباد يا مشرك يا كافر (١) » وإنما تسلكم الآن فحين انبث قصد التقرب ولكن بمنز هذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يسوم ليتنفع بالحاجة الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يبتغى عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بمكة السفر أو يتخلص من شر يمرض له في بلده أو ليهرب عن عدوه في منزله أو يترجم بأهله وولده أو يشتغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أيا ما أو لينزو ولينجاس الحرب ويستم أسبابه ويقدر به على تهيئة الساكر وجرحها أو يصلى بالليل وله غرض في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله وأورسله أو يتم الملم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيا بين العشرة أو ليكون عقاره وأهله محروما بمن العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصحة ويتفرج ببلدة الحديث أو تسكفل بخدمة الماء والصوفية لتكون حرمة وافرقة عنهم وعند الناس أو لينال برحقا في الدنيا

(١) حديث إن للرائى بدعى يوم القيامة يا رائى يا عباد الحديث ابن أبى الدنيا في كتاب السنة والاخلص وقد نظم .

نفسه أكثر مما يخاف
من الشيطان . وقال
بعضهم ليس الخائف
من يبكى ويمسح
عينيه ولكن الخائف
التارك ما يخاف أن
يقطب عليه . وقيل
الخائف الذى لا يخاف
غير الله قيل أى
لا يخاف نفسه إنما
يخاف إجلالا له
والخوف للنفس خوف
المقوبة . وقال سهل
الخوف ذكر والرجاء
أنهى أى منها تولد
حقائق الإيمان . قال
الله تعالى - ولقد
وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم
وإياكم أن اتقوا
الله - . قيل هذه الآية
تقطب القرآن لأن مدبر

أو كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراهة أو تومنا ليتنظف أو يترد أو اعتزل لتطيب رائحته أو روى الحديث ليرف به أو استأذ أو اعتكف في المسجد ليخف كراهة السكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليخفف لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها أو صدق على السائل ليقطع إزاره في السؤال عن نفسه أو يود مريضاً ليعاذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جناز أهله أو فعل شيئاً من ذلك ليرف بالحير ويدكر به وينظر إليه بين الصالح والوفاء فهما كان باعته هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الحطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «وَأَن آغَى الشَّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ» وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تسترغ إليه النفس ويعيل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تنكسر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه متمسك في شهواته قلما ينفك فعل من أمثاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأعراض حاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل من سلم له من حمرة لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجى وذلك لئلا لمة الإخلاص وعسر تفتية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا يباغث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ إن كانت هي الباغية وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرنا فيها إذا كان القصد الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الواقعة أو في رتبة للشاركة أو في رتبة للمعاونة كما سبق في التية ، وبالجملة فاما أن يكون الباغية النفس مثل الباغية الدين أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنده وكراهة وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلاً وكثيراً حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعثة وماهذه لا يتصور إلا من يحب لله مستهتر بالله مستغرق المم بالأخرة بحيث لم يبق لمحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يجب الأكل والشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الطبيعة فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويتخفى أن لو كفى شر المجمع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلقاً باعتداله لأنه ضرورة دينه فلا يكون له ثم إلا الله تعالى لئلا هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل جميع التية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً حتى يرغم نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على الندور وكان أن من غلب عليه حب الله وحبه الآخرة فاكسبت حركاته الاعتدالية منه وجمه وصارت إخلاصاً فاعلى يجلب على نفسه الدنيا والموالاة والرئاسة ، وبالجملة غير الله قدراً كتبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً إذ إن علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا زالت تيسر الإخلاص وكل من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مفرراً لأنه لا يرى وجه الآخرة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت ملتصقاً بالسجدة في الصف الأول لأنني تأخرت يوماً لئلا تفضيت في الصف الثاني فاعتزني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فهرقت أن نظر الناس إلي في الصف الأول وكان مسروراً وسبب استراحة قلبي من حيث لا أعلم وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتبه له إلا من وثقه الله تعالى والموافقون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئاتهم وهم الرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبدا لهم سيئات ما كسبوا -

الأمر كله على هذا .
وقيل إن الله تعالى جمع
للمؤمنين ما فرقه على
المؤمنين وهو الهدى
والرحمة والعلم
والبرهان فقال تعالى
- هدى ورحمة لذن
هم لربهم يهربون -
وقال - إنما يخشى الله
من عباده العلماء -
وقال - رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن
خشى ربه - وقال
سهل: كمال الإيمان بالعلم
وكمال العلم بالخوف .
وقال أيضاً: العلم كسب
الإيمان والخوف
كسب المعرفة . وقال
ذوالنون: لا يسقى الحب
كأس الهبة إلا من بعد
أن ينضج الخوف قلبه .
وقال فضيل بن عياض

وبقوله تعالى - قل هل ينشكركم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأشد الخلق تمردا لهذه القسمة السواء فان الباحث للأكثرين على نشر العلم قدّة الاستيلاء والفرح بالاستبعا والانتشار بالحد والتناء والشیطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظين على الله تعالى بصيحة الخلق ووعظه للسلطين وخرج يقول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسره من نصرة الدين ولو ظهر من أثراته من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساه ذلك وخمه ولو كان باعث الدين لشكر الله تعالى إذ كشفه الله تعالى هذا لهم فيه ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إنما غمك لا قطع الثواب عنك لا لانصراف وجود الناس عنك إلى غيره إذ لو استظفوا بقولك لكنت أمت للثابتات وأقامت قنات الثواب محمولا لا يدري للسكين أن اقتياده الحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من اغترافه وليت شعري لو اغترم عمر رضى الله عنه بتصدع أبي بكر رضى الله تعالى عنه للامانة أكلن لحمه محمولا ولمنوما ولا يترتب ذنوب أن لو كان ذلك لكان ملموما لأن اغتياده الحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر ، لما بال السواء لا يفرحون بمثل ذلك وقد يتخذه بعض أهل العلم بضرور الشيطان فيحدث فيه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخياره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان عنى الجهل والترور فان النفس سهلة القيادة في الوعد بأمثال ذلك قبل زول الأمر ، ثم إذا دعاه الأمر تغير ورجع ولم يرضع الوعد وذلك لا يسهله إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اجتفافه بمتاحتها ، لفرقة حقيقة الإخلاص والصلح به بحر عميق يرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والقرود القذرة وهو للسق في قوله تعالى - لا يجاهدك منهم الخالصين - فليكن البعد شديد التقفد والرافة لهذه الدقائق وإلا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر .

(بيان أول الشيوخ في الإخلاص)

قال الوسى : الإخلاص قد روي الإخلاص ، فان من شاهد في إخلاصه الإخلاص قد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى صفة العمل عن الحب بالقول فان الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب ، وهو من جهة الآفات . والخالص : ماصفا عن جميع الآفات فهذا ترمض لآفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون البعد وحرركاته في تعالى خاصة . وهذه كلمة جامعة هيطة بالقرض وفي معناه قول إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أى شئ أهدى إلى النفس ، قال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال رويم : الإخلاص في الصل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجالا وعاجلا والمابد لأجل تتم النفس بالهوات في الجنة تعامل بل الحقيقة أن لا يريد بالعمل الإوجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص للطلق . فاما من يصل لرجاء الجنة وخوف النار فهو غفلس بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لدوى الألباب وجه الله تعالى قط ، وهو القاتل لابتغرك الإنسان الحافظ والبرامة من الحظوظ صفة الالهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضي أبو بكر الباقين بشكثير من يدعى البرامة من الحظوظ وقال هذا من صفات

إذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك إن قلت لا
كفرت وإن قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من خاف .
[قولهم في الرجم] قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقول الله
عز وجل أخر جوامن
النار من كان في قلبه
مقال حبة من خردل
من إيمان ثم يقول
وعزى وجسالى
لأجل من آمن به
من ساعة من ليل
أوتار كمن لا يؤمن
بى . قيل «جاء أعرابي
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من يبل
حساب الخلق ؟ قال
الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه ؟ قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشهوات الموصوفة في الجنة قط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة وللناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يبعد الناس حظا بل يتجبنون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من آفة الطاعة وللناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سرا وجهرا جميع نعم الجنة لاستحققوه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن عظمهم بمبودم قط دون غيره . وقد أوعى : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق قط وهذا إشارة إلى آفة الرياء قط ولذلك قال بهنهم الاخلاص في العمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما استتر عن الخالق وصفا عن الملائق وهذا أجمع للقاصد . وقال المحاسبي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قوله الخواص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص البوذية . وقال الحواريون ليس عليه السلام : ما الخالص من الأعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجليل : الاخلاص صفية العمل من الكدورات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يباينك الله منها . وقيل : الاخلاص دوام الرقابة ونسيان المحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقوال في هذا كثيرة . ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي يان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم . وإذا سئل عن الاخلاص قال : أن تقول رب الله ثم تستقيم كما أمرت (١) هـ أي لا تبعد هواك وتضك ولا تصيد لإربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا .

(يان درجات الشوائب والآفات للكثرة للاخلاص)

اعلم أن الآفات الشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضئيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الحفاء ولا ينهم اختلاف درجاتها في الحفاء والجلاء إلا ابتال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثلا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلي مهما كان خالصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أودخل عليه حائل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بين الرقار والصلاح ولا يزدريك ولا يبتاك فتضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على البتدين من الريدن . الدرجة الثانية يكون الريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فأتته في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومتعدي بك ومنظور إليك وما تضع يؤثر عنك وتتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فساه بتعدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضا

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : رب الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ ولقد ملني وحسه وابن ماجه من حديث حفيان بن عبد الله التقي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعصم به قال قل رب الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم .

تخبرم الأعرب قال
الذي صلى الله عليه
وسلم م ضحككت
يا أعرابي ؟ قال
إن الكبريم إذا قدر
عفا وإذا حاسب
صاحبه . وقال شد
الكرمانى : صلاة
الرجاء حسن الطاعة .
وقيل : الرجاء رؤية
الجلال بين الجلال .
وقيل : قرب القلب
من ملاطفة الرب .
قال أبو علي الروذباري :
الحسوف والرجاء
بكناس الطائر إذا
استويا استوى الطائر
وتم في طيرانه . قال
أبو عبد الله بن خفيف :
الرجاء ارتياح القلوب
لرؤية كرم للرجو .
قال مطرف : لو

عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرض نفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا معنى التلبس بل القنصى به هو الذى استقام في نفسه واستقام قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فحسب النفاق والتلبس فمن اقتدى به أثيب عليه . وأما هو فيطالب بتلبسه ويصاب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به . الدرجة الثالثة وهى أدنى مما قبلها أن يجرب البدن نفسه في ذلك ويتبدل كيد الشيطان ويصل أن عاقبته بين الخلوة وللشاهدة لغير معنى الرياء ويصل أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخضع لمشاهدة خلقه تخضعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه في اللأ ويصل في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء بالتباض لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتفاتة في الخلوة وللأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم صلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة اللرايين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة وللأ بهائم بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كالإلتفات إلى الجمادات في الخلوة وللأ بهائم وهذا من معنى مشغول المم بالخلق في اللأ والخلأ بهائم وهذا من الكياد الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة أى وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيجبر الشيطان عن أن يقوله استمع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تفتن لذلك فيقول له الشيطان شكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيضرب قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين للكر والجداع فإن خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الخلوة تلازمه في الخلوة ولكان لا يخلص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الحاضر بما يأنه في الخلوة كما يأنه في اللأ ولا يكون حضور الشير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة سببا دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو يستخرج عن صفو الإخلاص مدلى الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخفة السوداء في الآفة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسل من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بسمه الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للعتشمرين لعبادة الله تعالى لا يفلت عنهم لحظة حتى يجعلهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فإن هذه سنن في أوقات مخصوصة والنفس فيها تخطف في لارتباط نظر الخلق بها ولا يستأنس الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنن لا ينبغي أن تركها ويكون انبات القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها هو باخر من حد الإخلاص بسببه وما لا يصل من هذه الآفات كلها فليس محال بل من متكلف في مسجد مغمور نظيف حسن العمارة يأنى إلى الطبع فالشيطان يرتبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون الحركة الخفى في سره هو الأنس بحسن صورة السجدة واستراحة الطبع إليه ويبتلى بذلك في ميلة إلى أحد للسجين أو أحد للوضيئ إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزج بشوائب الطبع وكدورات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخفة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة تنعم في المم وفي دن الجاه والرياء .

وزن خوف اللؤمن
ورجاء لا اعتدلا .
والخشوف والرجاء
للإيمان كالخناجين
ولا يكون خافا إلا
وهو راجع ولا راجيا
إلا وهو خائف لأن
موجب الخوف الإيمان
وبالإيمان رجاء
وموجب الرجاء الإيمان
ومن الإيمان خوف
ولهذا السرى روى
عن لقمان أنه قال
لا يه خوف الله تعالى
خوفا لا تأمن فيه
مكره وارجع أهدي من
خوفك ، قال فكيف
أستطيع ذلك وإنما
لى قلب واحد ؟ قال
أما عفت أن للؤمن
للو قلبين يخاف
بأحدهما ويرجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري النفس الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يظلم ومنها ما يجل لكن يسهل دركه ومنها ما يبدى بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغشى القلب ودغل الشيطان وخبت النفس أخفض من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركنان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واشتغاره بها كنظر السوادى إلى حرمة الدينار للموهم واستدارته وهو منشوش زائف في نفسه وقيط من الخالص الذي يرتقيه الناقد البصير خير من دينار يرتقيه الغر التي فهكذا يضاهون أمر العبادات بل أهد وأعظم ومداخل الآفات للطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصائها فليتنعج بما ذكرناه مثالا والظن ينه القليل عن الكثير والبلد لا ينه التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل .

(بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إما أن يكن خالصا لوجه الله تعالى بل مترج به هو بمن الرياء أو حظوظ النفس قد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب للقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإعما النظر في الشوب وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له (١) وليس نحو الأخبذ عن تمارض فيه والذي يتفحس لما فيه والملم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فإن كان الباعث الذي يساوي باعث النفس قواما وكساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفسد للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخفض من عقاب العمل الذي يجرد للرياء ولم يترج به شأبة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الذي وهذا قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - فلا ينبغي أن يصح قصد الخير بل إن كان غالباً على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف النطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من الهلكات وإعما غداء هذا المهلك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من اللجيات وإعما قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فإن كان حقوة هذا جدر بقوة الآخر فقد قواما فكان كالمتضرع بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من البردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالباً لم يخل القلب عن أثر فكا لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس نحو الأخبذ عن تمارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد حسن أدركت رجلاً غزاً يلتمس الأجر والله كرمه قال لا شيء له فأعاده ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه والقرمذي وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فلما اطلع عليه أهله قال له أجرين أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم في ذم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأهمها
من حكم الإيمان .
[قولهم في التوكل]
قال السري : التوكل
الاخلاص من الحول
والقوة . وقال الحنيد
التوكل أن تكون لله
كما لم تكن فيكون الله
لك كما لم يزل . وقال
سهل : كل القامات
لها وجه وفقاً غير
التوكل فإنه وجه بالاتفاق
قال بعضهم يريد توكل
الناية لا توكل الكفاية
والله تعالى جل التوكل
مقرونا بالإيمان قال
- وعلى الله فتوكلوا إن
كنتم مؤمنين - وقال
- وعلى الله فليتوكل
المؤمنون - وقال فيه
- وتوكل على الله
الذي لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يصح مثال فرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إثارة القلب أو تسويمه وفي تفريره من الله أو إبادته فإذا جاء - بآثره شرًا مع ما يعمده شرًا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان العمل بما عثر به شريرًا والآخر يعمده شرًا واحدًا فضل له لأعماله شر وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحاً» (١) فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض غفيه فإذا اجتمعا جميعاً فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة وحسب لهذا لإجماع الأمة أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صبح وأتيب عليه وقد استرجع به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما للترك طول الساقطة ولانواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب . ومعنى ذلك أن التزاة لا يدركون في أنفسهم خرفة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرقة محبط بالسكينة ثواب جهادهم بل الصلح أن يقال إذا كان الباعث الأصلي وللرجوع التوى هو إغلاء كلة الله تعالى وإعازة الرغبة في النعمة على سبيل التوبة فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوى ثوابه ثواب من لا ينفك قلبه إلى النعمة أصلاً فان هذا الالتفات قصار لأعماله . فان قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب النعمة والتجارة وسائر الحظوظ قد دروى طلاس وغيره من التابعين وأن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسطعن للزروف أوقال يتصدق فيحب أن يعمد ويؤجر فلم يدر ما يوقل له حتى نزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - (٢) وقد قصد الأجر والحمد جميعاً وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أذن الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره من حيث شئت» (٤) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل على عملاً فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريك» وروى أبو موسى «أن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه تقولون لأن شيد ولله أن يكون قديماً دقي راحته ورفقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له» (٦) فقوله هذه الأحاديث لا تافس ما ذكرناه بل الراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقول من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك صبيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أبي سعيد السبيط الحسنة تمحها تهم في ريادة النفس وفي التوبة (٢) حديث طلاس وعدة من التابعين أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسطعن للزروف أوقال يتصدق فيحب أن يعمد ويؤجر فقلت لمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - (٣) حديث طلاس وعدة من التابعين أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسطعن للزروف أوقال يتصدق فيحب أن يعمد ويؤجر فقلت لمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - (٤) حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره من حيث شئت» (٥) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل على عملاً فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريك» وروى أبو موسى «أن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه تقولون لأن شيد ولله أن يكون قديماً دقي راحته ورفقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له» (٦) فقوله هذه الأحاديث لا تافس ما ذكرناه بل الراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقول من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك صبيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

ذواته: التوكل ترك تدبير النفس والأفكار من الحول والقوة . وقال أبو بكر الرافعي: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد . وقال أبو بكر الواسطي: أصل التوكل سدى القائل لا أفكر سدى وأن لا يفكر التوكل في أمانيه ولا ينفك به إلى توكل لحظة في عمره . وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحضر نفسه تبرا يدتها فيه وبش الدنيا وأهلها ألق حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله . وقال سهل أول مقامات التوكل أن يكون اليد بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشكر كما حيث ورد فطلق للنسأوى وقد بينا أنه إذا تسلى الصدقان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشكر أبدى خطر فانه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالذلك قال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أي لا يرجى المقام عند الشكر التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الفوز ويبدا أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزججه إلى مجرد الفوز وإن لم يكن غنمة وقد ر على غزو طائفتين من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء لا علاء كلها وللغنية لا ثواب له على غزوه ألبتة ونحو ذلك أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل في أس على المسلمين لأن أمثال هذه الشوائب النابتة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور فيكون تأخير هذا في قصاص الثواب قافما أن يكون في إجابته فلاه ثم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والاخلاص قضا يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون في عبادته آفة فيكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الحافظون من ذوى الجسائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى سيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لأعتد بما ظهر من عمل وقاله عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحجبت ستين حجة لمادخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولائى ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآلة والراء فان ذلك منتهى بنية الشيطان منه إذ للتصود أن لا يغوث الاخلاص ومهما ترك العمل قد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم بأسيعد الحراز وخفف في أعماله فتسكلم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطلبه بالإخلاص فتضر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبتة نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يسجز عنها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تغفل إذ الاخلاص لا يقطع للعامة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فماتت لك ترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شركه.

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذبا» (١) ويكنى في فضيلة الصدق أن الصدق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض اللع والثناء قال سوا ذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدقا نيا - وقال - وأذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نيا - وقال تعالى - وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدقا نيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياة وحسن الخلق والشكر. وقال بشر بن الحرث من عامل الله بالصدق

حكايات بين يدي القائل بقله كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون القصار : التوكل هو الاعتصام بالله . وقال سهل أيضا : اعلم كله باب من التمدد والتعبادة باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التسوكل . وقال : التقوى واليقين مثل كفاف البران والتوكل لسانه به تصرف الزيادة والنقصان ويقع لى أن التوكل على قدر العلم بالوكيل فكل من كان أتم معرفة كان أتم توكل ومن كل توكله غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم إن

(الباب الثالث في الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد حُذِمَ

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرضى رأيت منصورا الدينورى فى المنام قلت له ما فعل الله بك قال غفرلى ورحمنى وأعطانى ما لم أؤمل قلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا قال الصدق وأتبع ما توجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك . وقال رجل للحكيم ما رأيت صادقا قال له لو كنت صادقا لغرت الصادقين وعن محمد بن على السكتانى قال وجدنا دين الله تعالى مبينا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل والحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثورى فى قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الدين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا بحجة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدواء من صدقنى فى سريره صدقته عند المحوفين فى علانيته وصاح رجل فى مجلس الشبلى ورمى نفسه فى دجلة فقال الشبلى إن كان صادقا فله تعالى نجاته كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فله تعالى يترقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت فيها التجارة ولا يتم بعضها إلا بيبض الإسلام الخالص عن البدعة والمهوى والصدق لله تعالى فى الأعمال وطيب اللطم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى إسرائيل يجمعون فقردها ونهايتهم سونها . لاكثر أنفع من العلم والأعمال أربع من العلم ولا حسب وأوسع من التضرع ولا قرين أزين من العمل ولا رفق أشين من الجهل ولا شرف أهن من التقوى ولا كرم أوفى من ترك المهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أسمى من الصبر ولا سيرة أسمى من الكبر ولا دواء أكين من الرفق ولا داء أوجع من الحرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أصح من الصدق ولا قرر أدل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا إعادة أحسن من الحشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أصفى من الصمت ولا فائز أقرب من اللوث . وقال محمد بن سعيد الروزى إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرة يدك حتى تبصر كل شيء من محابب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراقى أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الحق وقيل لى النون هل لعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ قال :

قد تبينا من الذنوب حيارى لطلب الصدق بألح سبيل
فطوى المهوى تخف علينا وخلاف المهوى علينا قسيل

وقيل سهل ما سهل هذا الأمر الذى نحن عليه قال الصدق والسماحة والشجاعة قبل زدنا فقال اتقى والحياء وطيب الفداء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق ^(١) وعن الجيّد فى قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقيهم - قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)

اعلم أن كمال الصدق يستعمل فى ستة معان صدق فى القول وصدق فى النية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالوعد وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن تصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صدّيق لأنه مبائن فى الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ من الصدق فى شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا فى الإخبار أوفى يتضمن الإخبار وبه عليه والخبر إما أن يتعلق بالمضى أو بالمستقبل

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ .

قوله للرفقة خيد صرف
العلم بالعدل فى القسمة
وإن الأقسام نصبت
بإزاء للتسليم عدلا
وموازنة فإن النظر
إلى غير الله لوجود
الجهل فى النفس وكل
ما أحس بشيء يتضح
فى توحيده براه من
منبع النفس فتصان
التوكل يظهر بظهور
النفس وكاله ثبت
شبهة النفس وليس
للاقواء اعتداد
بتمحيص توكلهم وإنما
شغلهم فى تضييق
النفس بتجوية مواد
القلب فإذا غابت
النفس أحسنت مادة
الجهل فصح التوكل
والبدد فخير ناظر
إليه وكما تحركه من

وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ أفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها لمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كالألوان أحدها احتراز عن الماريض بتدليل على الماريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المنور من الكذب تنهى على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتغنييه للصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرى مجرام وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن إطلاعهم على أسرار الملك لمن اضطر إلى شيء من ذلك صدقه فيه أن يكون نطقه فيه أنه فيما أمره الحق به ويتغنيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مقعما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد له أنه بل للدلالة على الحق والهدى إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الوضع ينبغي أن يبدل إلى الماريض ما وجد إليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفروى بيده^(١) وذلك كي لا يتيسر الجهر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس بكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا»^(٢) ورخص في النطق على وفق للصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب، والصدق هنا يتحول إلى التوبة فلا يرعى فيه إلا صدق التوبة وإرادة الخير لهما صبح قصد وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقا وصدقا كيفما كان لفظه ثم التبرير في أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي بأصبعك دأرت فوضي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو هنا واحتراز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأنهم الظالم أنه ليس في الدار فالكالك الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن الماريض أيضا لإلغاء الضرورة والكالك الثاني أن يرعى معنى الصدق في أفاظه التي ينبغي بها ربه كقوله - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض لئن كان ينصرف عن الله تعالى مشغولا بأمان الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله - إياك نبسو قولنا نأبى الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة البودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولوطوب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لمعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل متقيد العبد به فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام بأعبد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «نفس عبد الدنيا نفس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخيعة»^(٣) فسمى كل من تهيد قلبه بغير عبدا له وإنما العبد الحق لله عز وجل من أعقق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فإذا تهدمت هذه الحرية صار القلب فارغا غلقت فيه البودية لله فتنشئه الله وبمحبته وتهيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له امراد إلا الله تعالى ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يتقن أيضا عن إرادته لله من حيث هو بل بفتح مجايريد الله له من تقرب أو إبعاد فتضى إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضى بل يبق فيه متسع لطلب التماس واغتراض بل هو بين يدي الله كاليت بين يدي التماس وهذا منتهى الصدق في البودية

(١) حديث كان إذا أراد سفرا ورى بيده متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حديث ليس بكاذب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث خص عبد الدنيا الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

النفس بقية يرد على ضمير م - قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء - فيطلب وجود الحق الأعيان والألوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه وصير التوكل جنتا اضطرارا ولا يفتح في توكل مثل هذا التوكل ما يفتح في توكل الضفاء في التوكل من وجود الأسباب والوسائل لأنه يرى الأسباب مواتا لأحيائها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة: [فولم في الرضا] قال الحرف الرضا مكون

لله تعالى القابض الحق هو الذي وجوده لمولاه لالنفسه وهذه درجة الصديقين . وأما الخبيث عن غير الله فدرجات الصادقين وببدها تتحقق البيوتية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول . الصدق الثاني: في النية والارادة فارجع ذلك إلى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فان ما زجه شوب من حفظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كاربونا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيها قلت ؟ فقال قلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم (١) فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته ، وقد قال بعضهم: الصدق صحة التوحيد في القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يشهد إن للناحقين لكاذبون- وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لامن حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يستدعي ما يقول فكذب في دلالة بقرينة الحال بل ما في قلبه فانه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد . وأن يكون مخلصا . الصدق الثالث: صدق الزم فان الانسان قد يقدم الزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله ما لصدقت بجميعه أو يشتره أو إن لقيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قاتلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق فيه الزمة قد صادفها من نفسه وهي عزة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه ميل وتردد وضف يضاد الصدق في الزمة فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان شهوة صادقة ويقال هذا للرئيس شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوة عن سبب ثابت قوى أو كانت ضيفة قد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخبرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالزم للصمم الجازم على الخبرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه: لأن أقدم فتهرب عنى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه الزم الجازم والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وكذلك عماد كره من القتل . ومرايم الصديقين في المزائم تختلف فقد يصادف الزم ولا يتبهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلى ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم يقض عزمه بل في الصادقين ولؤثمين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق . الصدق الرابع: في الوفاء بالزم فان النفس قد تسخو بالزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم واللؤنة فيه خيفة فاذا ضاقت الحفائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات أخلت الزمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالزم . وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - قد روى عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرائني أنا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله الله ما صنع قال فشهد أحدا في العام القابل فاستقبله سبعة معاذ فقال يا أبا عمرو إلى أين فقال ولها أربع الجنة إنى أجدر ربها دون أحد قاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وعثمانون مائة رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخى إلا بيناته ، وقول هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - (٢) . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب

(١) حديث الثلاثة حين سأل العالم ماذا عملت فيها قلت الحديث تقدم (٢) حديث أنس أن عمه أنس بن

القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضا سرور القلب بحر القضاء . وقال سفيان عند راية الله ارض عنا فقاتل له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه راض فسلما بعض الحاضرين متى يكون البدر ارضيا عن الله تعالى فقالت إذا كان سروره بالصية كسروره بالثمة . وقال سهل إذا اتصل الرضا بالرضا انضلت الطمانينة - فطوبى لهم وحسن مآب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وقال عليه السلام وإن الله

ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - (١٧) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أيمنهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته . قال الراوى : فلأدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم طار فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (١٨) وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس فودعا إنا إن رزقنا الله تعالى ما لا تصدقن فيضلوا به فزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فما آتاهم من فضله فخلعوا به وتولوا ولم يعرضون فأعتهم نقابا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - لحمل الزعم عياد وجمال الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصديق أشد من الصديق الثالث فإن النفس قد تسخو بالزعم ثم تكبح عند الوفاء لشدة غلبها ولهيجان الشهوة عند التحمك وحصول الأسباب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يقتل عليا بذلك فتتبرع عن عزمها أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخدرى رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء قالا لى ما لى الصديق قلت الوفاء بالعهد فقالا لى صدقت وعرجا إلى السماء الصديق الخامس فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف لما ذكرناه من ترك الرأى لأن الرأى هو الذى قصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة لئن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدي شيوخ ومن شهوراته فهذه أعمال تحرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موسوقا بذلك والوقار هذا غير صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مراعيا لإيام ولا ينجو من هذا إلا باستواء الشريعة والملائكة بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير يسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر الباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويوفت بها الإخلاص وإن كانت عن غير قصد فيوفت

النفس لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى قتاله بأحد حتى قتل فوجدنى جسده بنزع ونماتون من بين رمية وضربة وطعنة وزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عدد البخارى مختصرا إن هذه الآية زلت فى أنس بن النضر (١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا (٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بمحكمة جسد الروح والفرح فى الرضا واليقين وجمال المم والحزن فى الشك والسخط وقال الجليل الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمهبة كالحول والرجاء فانهما حالان لا يفرقان البعد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لا يستثنى من الرضا والمهبة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله لعبده لأنه اختاره الأفضل فيرضى له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس ينال الرضا من القمن

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سرى سرى خيرامن علانيق واجعل علانيق صالحا » (١) وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرة البعد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرة أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرة فذلك الجور وأندودا:

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى قد عز في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فإنه على سبعة فضلي سوى الكد والعنا
فإن خالس الدينار في السوق نفاق ومفسوؤه الردود لا يقتضى الثنا

وقال عطية بن عبد الناصر : إذا واقتت سريرة المؤمن لعلانيته باهى الله به اللائكة يقول هذا عيسى حقا . وقال معاوية بن قرة من يدلى على بكاء بالليل بسم التبار ، وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بجىء كان من أشمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانيته منه ، وكان أبو عبد الرحمن الترمذى يقول لى عاملت الناس فإني وبينهم بالأمانة وعاملتك فإني بيني وبينك بالحانية ويكي ، وقال أبو يعقوب التبرجوري : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فأذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق الباس : وهو أهل الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والرهو والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادي يطلق الاسم يظهرها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته مسمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان قرأ هذه الآية (٢) « ولنضرب للخوف مثلا لما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما براه إذا خاف سلطانا أو قطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترمد فرصته ويتقصص عليه عيشه ويشتمل عليه أكله ونومه ويتقسم عليه فكره حتى لا يتنعم به أهله وولده وقد يزعم عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التصب وللشفقة والتمرض للاخطار كل ذلك خوفا من ذلك المهدور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام بها ولا مثل الجنة نام بها » (٣) فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبيد من حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي فإذا قوى مسمى صادقا فيه فسر قوله تعالى ونظمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ليرجل عليه السلام « أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا ينطق ذلك قال بل أرى قواعد البقيع في لبة مقمرة فأناه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق بمنى جوانب السماء فوقه النبي ﷺ مفتشا عليه فأفاق وقد عاد

للدنيا في قلبه مقدار .
وقال السري : خسر
من أخلاق للقرين
الرضا عن الله فيأحب
النفس وتكسره
والحب لله بالتجيب
إليه والحياء من الله
والأنس به والوحشة
بما سواه . وقال الفضيل :
الراضي لا يتنى فوق
مركته شيئا وقال ابن
القيمون الرضا بالحق
والرضا له والرضا عنه
فرضا به مديرا وعشارا
والرضا عنه قابضا
ومعطيا والرضا له إلها
وربا . سئل أبو سعيد
هل يجوز أن يكون
المبدع راضيا ساخطا قال
نعم يجوز أن يكون
راضيا عن ربه ساخطا
على نفسه وعلى كل قاطع

- (١) حديث اللهم اجعل سرى سرى خير من علانيق الحديث تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سأله عن الإيمان قرأ قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - رواه محمد بن نصر للروزي في تنظيم قدر الصلاة بأسانيد متصلة لم أجده في إسناده .
(٣) حديث لم أر مثل النار نام بها الحديث تقدم .

جبريل لصورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرائيل إن العرش لمل كاهله وإن رجليه قد مرقتا تحت ثخوم الأرض السفلى وإنه ليتناغر من عظمة الله حتى يسير كالوصع (١) « يعني كالصفور الصغير ، فانظر ما الذي يشاهد من العظمة والمهية حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر اللاتكليفات ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التنظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مروت لية أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى (٢) يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يبنوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلبك قال ابن عمر رضي الله عنهما أن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلمك حتى في دين الله . وقال مطرف ما من الناس أحد إلا وهو أحق قيا بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أشر حقير (٣) « قال الصادق إذن في جميع هذه القامات عزز ثم درجات الصدق لاتباعها وقد يكون البعد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوى وفيها حواهن ضيف ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا فيمت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقل لها حتى يفرغ من وقتها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق فقال ابن السيب ما ظننت أن هذه الحاصل تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلوات وأتوا الجنائز ولم يملأوا هذا البلغ فهذه هي درجات الصدق ومعاينه والكلمات للأتورة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لاحد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لامة المؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيطة بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق : الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختار عليك غيره فقال تعالى - هو اجبتاكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا ابتليت به فلا تلتزمه لما الجبال لأنظر كعب صدقه فإن وجدت صابرا اتخذته ولما وحييا وإن وجدت جروما يشكوني إلى خلقي خذته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان للسائب والطاعات جليا وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والاخلاص ، يتلوه كتاب الرقبة والمحاسبة والحمد لله .

يقطعه عن الله . وقيل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا عبد يقول القدر أحب إلى من النبي والسقم أحب إلى من الصحة قال رحمه الله أبا عبد ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله لم يمتن أنه في غير الحالة التي اختار الله وقال علي رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينه من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله في كل حال . وقال يحيى يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل

- (١) حديث قال لجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا يطبق ذلك الحديث تخمد في كتاب الرجاء والخوف أنصر من هذا الذي ثبت في الصحيح أن رأي جبريل في صورته مرتين
- (٢) حديث مروت لية أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله الحديث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإيدى ضمه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمار عن عطارده وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أشر حقير لم أجده أصلا في حديث مرفوع .

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل شيء بما كسبت القريب على كل جارحة بما جرت على ضلالت القلوب
إذا هجست الحسب على خواطر عباده إذا اختلجت الأذى لا يحرز عن علمه مقال ذرة في السموات
والأرض بمررت أوسكنت المحاسب على التفرير والتقطير والقتيل والكثير من الأعمال وإن خفيت
للتفضل بقبول طاعات العباد وإن صرفت للتطاول بالقوى عن مماسهم وإن كثرت وإنما محاسبهم
لتعلم كل نفس ما أحضرت وتظهر فيها قدس وأخرت فعله أنه لولا ترومها للرقابة والمحاسبة في الدنيا
لشقيت في صيد القيامة وهلكت وبدد المجاهدة والمحاسبة والرقابة لولا فخره بقبول بضاعته الرجا
لحابت وخسرت فبما كان من نعم نعمته كافة العباد وحملت واستمرت رحمة الخلائق في الدنيا
والآخرة وغمرت فضحات فضة السموات القلوب بالإيمان والفرحت وبين توفيقه خفيت الجوارح
بالعبادات وتآذت وبحسن هدايته أجملت عن القلوب ظلمات الجهل وانقضت وبأيده وفصرته
انقضت مكاييد الشيطان وانقضت وبلغت عنايته ترجع كافة الحسنات إذا حلت وببسمه
تيسرت من الطاعات ما تيسرت منه الطهارة والجوارح والعباد والاداء والاسعاد والافشاء والصلاة
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفاء وعلى أصحابه قادة الأخياء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - وضع للوزن القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال
حبة من خردل أثينا بها وكفى ما حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب قترى المجرمين مشفقين
بما فيه ويؤولون ياولتنا ما لهذا الكتاب لا خادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا معاملا
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقال تعالى - يوم يمشهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاء أولو ونسوه
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى - ثم توفى كل نفس ما كسبت ولم يظلمون -
وقال تعالى - يومئذ يمد كل نفس بما عملت من خير مضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا
وخرم الله قس - وقال تعالى - واعلموا أن الله يلم بما في أنفسكم فاحذروا مضرا وأهاب البصائر من
جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطلبون بتأويل الدر من الحطرات
والعظاظ وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأعطار إلا التزوم بالمحاسبة وصدق للرقابة ومطالبة النفس
في الأتقاس والحركات ومحاسنها في الحطرات والعظاظ فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خصمه في القيامة
حسابا وحضر عند السؤال جوابا وحسن تغلبه وما يؤمن لم يحاسب نفسه ذات خيرا وبطلت في عرصات
القيامة وقامته إلى أخرى ولتت ميثاقه فما انكشف لهم ذلك علوا أنه لا ينجيهم من الإطاعة الله
وقد أمرهم بالصبر والرياسة فقال عزم من قال - يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا وصابروا - فابطلوا
أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالرقابة ثم بالمحاسبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكان لهم في الرابطة
مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتوضيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل
حساب فبعد مشارطة ومراقبة وبقية عند الحسبان المعاقبة وللمعاقبة فلتذكر شرح هذه المقامات والله
التوفيق .

(لتمام الأول من الرابطة للشارطة)

اعلم أن مطلب للتعاين في التجارات للتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الرعي وكان التاجر

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

منك في قرضي بما
عمل وتخلص فيها عمل
وقال بعضهم الراض
من لم ينس على فالت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وقيل ليحي
ابن مافيق يبلغ العبد
إلى مقام الرضا قال إذا
أقام نفسه على أربعة
أصول فيها يامل به يقول
إن أعطاني قبلت
وإن منعتني رضيت
وإن تركتني عديت
وإن دعوتني أجيت
وقال الغلب رحمه الله
بين يدي الجيد لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
الجيد فوالك ذا منق
صدر قدال صدقت قال
فريق الصدر تركه
الرضا بالتساوي هوذا
إنما قاله الجيد رحمه

يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإيماء مطلبه وورعه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أفلح من رزقها وقد خاب من دسها - وإيماء فلاحها بالأعمال السالطة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرجها فيها رزقها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشاره أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويحاقبه وأوصافه وأبصاره فكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف وشرط عليها الشروط وشرعها إلى طرق الفلاح ويحزم عليها الأمر بسواك تلك الطرق ثم لا يخلط عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم يرمها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالسيد الحائن إذا خلا له الجلو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها القردوس الأمل وبطوغ سدة للتبني مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محضرة بالإضافة إلى نعيم العقي ثم كيفما كانت قصيرا إلى التصبر والاضطلاع ولا خيرة لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح باقتطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على اقتطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل :

أشد التم عندى في سرور يتيقن عنه صاحبه انشالا

لطم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يخلط عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حرركاتها وسكناتها وخطراتها وحظواتها فان كل شئ من أفعال العبد جوهره شبيهة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الأبد فاقضاء هذه الأهاس ضائعة ومصرورة إلى ما يجلب الملاك خسرا عظيما هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فانما أصبح العبد وفرغ من فرصة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشاركة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول لنفسه مالي بضاعة إلا لا يمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهني الله فيه وأنسى أجل وأتم على به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل في صالحها لحاسبني أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضني هذا اليوم فان كل شئ من الأهاس جوهره لا قيمة لها وعلى النفس أن اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر « أنه ينشر للعبد بكل يوم ويلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة ثورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيثابره من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند تلك الجبار الملووذج على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار وفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة موحش تفتح ويتشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيثابره من الحلو والفرح والوقسم على أهل الجنة لتنعس عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه (١) وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيقتصر على خلوها وبناها من غير ذلك ما ينال التآدر على الربح الكثير ولللك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاتته وتأهيك به حسرة وغشا وهكذا تهرش عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه أجدى اليوم في أن تعمرى خزانتك ولا تدعها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميل إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم ويلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة من حسناته الحديث بطوله لم أجده أصلا .

الله شيئا منه على أصل الرضا وذلك أن الرضا يحصل لا بفلاح القلب واتساعه واشتراح القلب من نور اليتيم قال الله تعالى - أن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - فإذ تمكن النور من الباطن اتسع الصدر واقتضت عين البصيرة وهان حسن تدبير الله تعالى فيتنزع السخط والفجر لأن اتسع الصدر تضمن حلالة الحب وتسل المحبوب بموقع الرضا عن الحب الصادق لأن الحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لغة رؤية اختيار المحبوب

درجات عليين ما يدرك غيرك وتبقى عندك حسرة لا تتركك وإن دخلت الجنة فألم التبن وحسنة لا يطلق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن السوء قد عني عنه اليس قد فاتك جواب الحسين أشار به إلى التبن والحسرة وقال الله تعالى - يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم الثابن - فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والقرج واليد والرجل وتسلمها إليها فاتها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة - وها تم أعمال هذه التجارة وإن لجهم سمة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإحما يتبع تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له محرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بين الاحتقار بل عن كل فضول مستحق عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأل عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم يتع به حق يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى صحاب منع الله بين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله ومنه رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاعتماد والافتادة وهكذا ينبغي أن يغسل الأمر عليها في عضو عضولها لسانها والبطن أما اللسان فلا أنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجناته عظيمة بالنية والكذب والخيلة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واليمن والعداء على الأعداء والارادة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بسدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباده إلى طرق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراتهم فليشترط على نفسه أن لا يترك اللسان طول النهار إلا في الذكر فتطلق اللؤمن ذكر ونظيره صرة وصمته ففكرة وسمايلفظ من قول إلا لله رقيب عتيد - وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال والاجتناب الشبهات وعمنه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالنوع عن شهوات البطن لينفها أكثر مما ناله شهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك بطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم تستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم واليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويحذر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاعتماد لها بأسبابها وهذه شروط يغترق إليها في كل يوم ولكن إذا عمود الإنسان شرط ذلك على نفسه أليماً وطاوعة نفسه في الفناء بجميعها استغنى عن الشرطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد الشرطة فيها بقي ولكن لا يغفل كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد وقه عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فليعلم أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والالتزام للحق في مجاريها ومجدها منية الأعمال وبسطها كما يوعظ العبد الأبق للتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعدة عن البودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الله كرى تنفع اللؤمنين - فهنا وما يجري مجراه هو أول مقام للرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله التحذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا وهذا السبيل وكل نظر في كثرة ومقدار لفرقة زيادة وقصا فانه يسمى محاسبة فانظر فيما بين يدى البعد في نهاره يعرف زيادته من قصا من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

من اختياره كما

نيل :

وكل ما يغفل المحبوب

محبوب .

[الباب الحسادى

والستون في ذكر

الأحوال وشرها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السهروردى رحمه الله

قال أنا أبو طالب الزنى

قال أخبرتكم كريمة

للسروية قالت أنا

أبو الميم الكشميرى

قال أنا أبو عبد الله

السرورى قال أنا

أبو عبد الله البخارى

قال تاملان بن حرب

قال حدثنا عتبة عن

قادة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال ثلاث من

— ولقد خلقنا الإنسان ونمل ماتوسوس به نفسه — ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه وبسطه « إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رجدا فأفسده وإن كان غيا فأنته عنه » . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون الطفل غالبا للهوى فلا تامل قضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن للؤمن إذا أيسر العاقبة أمن الندامة . وروى عطاء بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى عن الله » . دان نفسه أي حسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله — اتنا لمدنيون — أي لحاسبون . وقال عمر رضي الله عنه : حسبوا أنفسهم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتيسوا للعرض الأكبر ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لشكيب كيف يجدها في كتاب الله قال ويلها من الأرض من ديان الساء فعلا بالمعزة وقال لإمام حبيب نفسه قال كتب الأمير المؤمنين إليها إلى جنبها في التوراة ما ينبغي حرق لإمام حبيب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها . [الرابطة الثانية للرابطة] إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها مذكراته فلا يلقى إلا للرابطة لما عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكائنة قلبها إن تركت طفت وفست . ولندكر فضيلة للرابطة ثم درجاتها . أما للفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال وأن تعبد الله كأنك تراه » وقال عليه السلام « عابد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وقد قال تعالى — ألئن هو قائم على كل شيء بما كتبت — وقال تعالى — ألم يعلم بأن الله يرى — وقال الله تعالى — إن الله كان عليكم رقيبا — وقال تعالى — والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم ببهاذاتهم قائمون — . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله من قصده فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عثمان النري : أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرابطة وسياسة عمله بالملم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجبري : أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك الرابطة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عثمان : قال لي أبو حمزة إذا جلست للناس فكُن واعظا لنفسك وقلبك ولا يشرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكى أنه كان لبعض الشيوخ من هذه الطاقة فليد شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو غائب وعن شيوخ فندا بمدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكنيا وقال ليديع كل واحد منكم طائرا في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كالألم فرجع كل واحد بطائر مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تدفع كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الرابطة وقالوا حق لك أن تكرم .

كن فيه وجه حلاوة
الابن : من كان الله
ورسوله أحب إليهما
سواهما من أحب عبدا
لا يحب إلا لله ومن يكره
أن يموت في الكفر يجد
إذ أهذه الله منه كما
يكره أن يلقى في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهر بن
أبي الفضل قال أنا
أبو بكر بن خلف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو عمر بن حيوة
قال حدثني أبو عبيد
مؤمل عن أبيه قال
حدثني . شمر بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهب عن إبراهيم
ابن أبي عتبة عن
الربيع بن سارية
قال وكان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث عبد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خالت يوسف عليه السلام قامت فغطت وجهه منه كان لها قال يوسف مالك أُنْسَتَين من مراقبة جماد ولا أُنْسَتي من مراقبة الملك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا أُنْسَتي فقال ممن أُنْسَتي ؟ وما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكبها . وقال رجل للجنيديم أُنْسَتين على غض البصر فقال بلك أن نظرت الناظر إليك أسبق من نظرك إلى الناظر إليه . وقال الجنيدي : إنما يتحقق بالرقابة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلفن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبوني والذين اثنت أملاهم من خشيق وعزق وجلالي إلى لألم بسذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والبطش من عناق صرفت عنهم المذاب . وسئل المحاسبي عن الرقابة فقال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال المرتضى : للرقابة مراعاة السر بملاحظة القلب مع كل لحظة ونقطة . وروى أن الله تعالى قال : لا تسكنه أُنْسَتموكون الظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن علي الترمذي أجل مراقبتك لمن لا تنيب عن نظره إليك وأجل شكره لمن لا تنقطع نعمه عنك وأجل طاعتك لمن لا تستخني عنه وأجل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يترن القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم البدي بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاميه نفسه وتزود لماله . وسئل ذواتون بم نال البدلجنة ؟ فقال بحس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانيات انتظار الموت بالأنفاس له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خوت الدهر وما فاضل
خوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة
ولا أن ما عتبه عنه شيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذلعب
وأن غدا لناظرن قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظمي قال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجتبرت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك لقد كثرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالرقابة بمن لا تخفى عليه خافية وعلبك بالرجاء بمن يملك الوفاء وعلبك بالخوف بمن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن الناظر ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبدة بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فمرنا في بعض الطريق فأعذر عليه راع من الجبل فقال له يراعى بيني غاة من هذه الغنم فقال إنى يملكه فقال قل لسيده أكلها الذئب قال فأين الله قال فكيف عمر رضى الله عنه ثم هذا إلى اللؤلؤ فاستراه من مولاه وأعطاه وقال اعتنك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تحفظ في الآخرة .

(بيان حقيقة الرقابة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة الرقابة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه لمن أحترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبنا ويعنى بهذه الرقابة حالة القلب يشمرها نوع من المعرفة ويحترز تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب الرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إليه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تشر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال الباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشيرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المرة إذا صارت بيننا

صلى الله عليه وسلم
يدعو و اللهم اجعل
جلك أحب إلى من
شئى وصمى وبصرى
وأهلى ومالى ومن
لله البارء فكأن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
شأن الحب وخالف
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكنيته وذلك
أن العبد قد يكون فى
حال قائما بشروط
حاله حكم العلم والجنة
تقاضاه ضد العلم مثل
أن يكون واضحا
والجنة قد تسكره
ويكون النظر إلى
الأشياء بالعلم لا إلى
الاستصاء بالبيعة
قد يجب الله تعالى
ورسوله حكم الإيمان

أعنى أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لاشك فيه لا يلبث على القلب كالم بالوت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والوقوف بهذه المعرفة ثم للتقربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين ، فراقبتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة للتقربين من الصديقين ، وهي مراقبة التنظيم والجلال ، وهو أن يسير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الحبة فلا يلقى فيه متسع للاكتفات إلى التبر أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب . أما الجوارح فانها تمتلئ عن الالتفات إلى اللباحات فضلا عن المخطورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالستمة بها فلا تحتاج إلى تدبير وعييت في حفظها على سنن السداد ، بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستمعة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه ما واحدا فكفاه الله سائر الموم ، ومن نال هذه الدرجة قد ينفل عن الحلقى حتى لا يصير من يحضر عنده وهو فاع عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا سمع به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك ، فقال لمن جابه إذا مرتت في طريقك ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب العظيمة للوكة الأرض حتى إن خدم ذلك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس اللوكة لشدة اشتغالهم بهم بل قد يشغل القلب بهم خير من ميقات الدنيا فيفوس الرجل في التفكير فيه ويعنى فربما يجاوز الوضع الذي قصد ويشغل الشغل الذي نهى له . وقد قيل لبيد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اغتفل بحاله عن الحلقى ، قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة لما كان الإسريما حتى دخل عتبة القلعة ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة ، فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق قال ما رأيت أحدا . ويروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بأمرأة قد نفقها فقسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا ؟ فقال ما ظننتها إلا جادرا . وحكى عن بعضهم أنه قال مرتت بجماعة يترامون وواحد جالس بيدها منهم فقصمت إليه فأردت أن أكله فقال ذكر الله تعالى أشبهى قتلت أنت وحدك قال معي ربي وملكاى قتلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له قتلت ابن الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك غافل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الشبل على أبي الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتناع لا يتحرك من ظاهره شيء قال له من أين أخذت هذه الرقابة والسكون ، قال من سنور كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها عمرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الزمة لقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس للصبرى المعروف بالزاهد إن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال للرابعة ، فلونظرت إليهما نظرة فلكان تستفيدهما فدخلت صور وأنا جامع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كفى شيء فدخلت للسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي التبة فسلمت عليهما لما أجا بانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . فقلت : فندركا بالله إلا ردتهما على السلام فرجع الشاب رأسه من مرقته فبصر إلى وقال وإبن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكبير . وإبن خفيف : ما أكل شفاك حتى تنفرغ إلى قاتنا . قال فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في للسكان فقبب عندها حتى صلتا العظم والصبر

وحب الأهل والأولاد
بحكم الطبع . وللمحبة
وجوه وبواصت المحبة
في الإنسان متوعدة
لها محبة الروح
ومحبة القلب ومحبة
النفس ومحبة العقل
فقول رسول الله
سلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الأهل
وللأهل وللماء البارد
معناه استعمال عروى
المحبة بمحبة الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى غالبا فيحب الله
تعالى بقلبه وروحه
وكليته حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
في الطبع أيضا والجوالة
من حب الماء البارد
وهذا يكون حبا
صافيا لحواص تنفس

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرفع رأسه إلى : وقال : يا ابن خفيف نعم أصحاب الصاب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لأأكل ولا أشرب ولا أنام ولا أرتبما أكلا شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفكما أن يعطاني لعل أن أتعطى بمثلها فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيته على قلبك بذلك لسان فله ولا عظمك لسان قوله والسلام قم عنا فنهذ درجة للراقيين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لقب ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب النين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متمسة للثلاث إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع عمارة الأعمال لا تخلو عن الرقية . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يعجمون إلا بعد التثبت فيه ويعتصمون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فاتهم يرون الله فى الدنيا مطالعا عليهم فلا يتجاوزون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك ميمى أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لاعتى إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا يمشك ولا تستترك فانها تهيى الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من اللوك أو كبير من الأكابر فيستترك التعظيم حتى ترك كل ما أنت فيه شغلا به لحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته . وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر فى العمل . أما قبل العمل فينظر أن مظهره وتحركه بفعله خاطره أهو لله خاصة أهو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يكشف له ذلك بذور الحق ، فان كان قد تعالى أمضاه ، وإن كان لغير الله استحيى من الله وانكشف عنه ثم لم تفسه على رغبته فيه وهمة به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وأنها عدوة قسمها إن لم يتداركها الله بصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا يحصى لأحد عنه فان فى الخبر إنه يشتر لغيره فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الديوان الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن^(١) ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تغمه لمولاه أوملت إليه بشمورك وهواك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى قبله كيف فعلت هذا فان فى كل عمل شرط وحكما لا يدرى قدره ووقته ووصفه إلا بعد قيامه له كيف فعلت أعلم محقق أى مجهول وظن فان سلم من هذا الديوان الثالث وهو للطالبة بالاخلاص فيقول له لمن عملت الوجه الله خالصا وفاقولك إنه إلا الله فيكون أجره على الله أو لمراثة خلق مثلك فخذ أجره له عملته تتال ما جمل دنياك قد وثيقا نصيبك من الدنيا بمجملته بسوء وغفلة قد سقط أجره وحبط عمله وخاب سعيك وإن عملت لتبلى أقول لسان الذين تدعون من دون الله إذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وترقه بنعمتي ثم تعمل لتبلى أقول لسان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . إن الذين يمدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ثم علك أماسيتى أقول - الله الذى الخالص - فادع عرف البداية بصدقه هذه اللطالبات والوحيات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد لاسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يدعى ولا يبيد إلا بعد التثبت

(١) حديث يشتر لغيره فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن لم أتف له على أصل .

به وبثوره تار الطبع
والجيلة وهذا يكون
حب القات عن
مشاهدة يكوف
الروح وخلوصه إلى
موطن القرب . قال
الواسطى فى قوله تعالى
- يحيم ومجوبه -
كما أنه بذاته يحيم
كذلك يحوم بذاته
فالله راجعة إلى
الذات دون التوحيات
والصفات . وقال بعضهم
الحب شرطه أن تاحفه
سكرات المحبة فإذا لم
يكن ذلك لم يكن حبه
فيه حقيقة فإذن الحب
جان حى عام وحى
خاص فالحب العام
مفسر بمشاكل الأمور
وربما كان حيا من
معدن العلم بالألاء

ولا يحركه جفا ولا أمة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم له: «إن الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن قته الطين بأصبعيه وعن لمة ثوب أخيه» (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتبّت فان كان له أمضاء . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عنده فما كان فيه مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان «اتق الله عندك إذا هممت» (٢) وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همة ليس كما طبل ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الراقية ولا غرض من هذا إلا لئلا يلبس للثمن وللعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فلي لم يعرف غسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرشاه في نيته وهمة وفكرته وسكوته وحركته فلا يسلّم في همة للراقية بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التحمل فيه يسلّم هيات بل طلب العلم فرصة على كل مسلم ولهذا كانت ركنات من عالم أفضل من ألف ركنة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان وموانع الضرور فينتقي ذلك والجاهل لا يعرفه كيف يهتزم منه فلا يزال الجاهل في لبب والشيطان منه في فرح وهمانية فعمود بالهمن الجهل والتفقه فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبدا أن يقف غسه عند همة بالقول وسعيه بالجراحة فيتوقف عن العلم وعن السعي حتى يتكشف له بؤر العلم أنه في تعالى فيمضيه أوهو لموى النفس فيتجه ويترجى القلب عن الفكر فيه وعن العلم بفان الخطرة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أورت الرغبة والرغبة تورث العلم والمعلم يورث جزم القصد والتقصير يورث القيل والقيل يورث البوار ولتقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبه الأول وهو المخاطر فإن جميع ما وراءه يتبته وهما أشكل على البعد ذلك وأظلمت الواقعة لم يتكشف له فيضكر في ذلك بؤر العلم ويستعبد بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن هجر عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستغنى بنور علماء الدين ولا يفر من العلماء الضالين القليلين على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قدأ وحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عن طالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن هبة أولئك قطاع الطريق على عبادي ، فاقطوب المظلة بحب الدنيا وعدة الثمر والتكالب عليها محبوبة من نور الله تعالى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوية فكيف يستغنى بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بضيها ومقتيا وهي شهوات الدنيا فلتكن همة المريد أولا في أحكام العلم أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أو متعبد الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشهوات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات» (٣) جمع بين الأمرين وهما متلازمان حائلين ليس له عقول وانزع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشهوات ولذلك قال عليه السلام «من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا» (٤) فما قدر العقل الضعيف الذي سمد الآدمي به حتى يمد إلى هوى وحقه بتقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا

(١) حديث قال لماذا إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن اتق الله عندك إذا هممت إذا هممت أحمد والجامع وصححه وهذا التقدير منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشهوات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه خصص بن عمر الجدي ضعف الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا تقدم ولم أجده .

والتماء وهذا الحب يخرج من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العالم الذي يكون اكتسب اليد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكرات وهو الاستئناس من الله الكريم ليسه واستغناؤه بإياه وهذا الحب يحسبون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس للكتسب مدخل وهو مفهوم من قوله النبي صلى الله عليه وسلم «أحب إلى من الماء البارد» لأنه

بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو التقوى أخرجهوا هذا العلم الذي هو قته الدين من حجة العلوم وتجردوا لفته الدنيا الذي ماقصد به لإدغم الخواص عن القلوب ليتفرغ لفته الدين فكان قته الدنيا من الدين بواسطة هذا لفته وفي الخبر «أتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت» (١) ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل الدراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاختباء كان متبعا لهواهم معجبا بآراءه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا ومحباب كل خي رأي برأيه فليكن خاصة نفسك» (٢) وكل من خاض في شبه بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفنى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأصبح الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فأتبعه وأمر استبان فيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فسله إلى طاله» (٤) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم» (٥) فأعظم قسمة الله على عباده العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيما - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاصطلون - وقال تعالى - إن علينا الهدى - وقال - ثم إن علينا ياتنه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه : الهوى شريك المني ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونهم طاردهم اليقين ومقابلة الكذب التندم وفي الصديق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يمدك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوتق الراس التوفى وأوتق سبب أخذت به سبب يئسك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصحلت بمنوك والرزق رزقان رزقي طلبه ورزقي يطلبك فإن لم تأتته أنك وإن كنت جازعا على ما أصب بما في يدك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فاعلم الأمور أغباه وللره يسره ودرك ما لم يكن ليفوته ويسوره فوت ما لم يكن ليدركه لما ناك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تئمه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهلك فيها بسد للوت وغرمتنا من قل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فاذا نظر الأول فحاربت نظره في العلم والحركة أمي لله أم الهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرأى جنى من همه وإذا عرض له أمران أحدهما للدين والآخر للأخرة آثر الأخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما يتكشف في حركاته أن يكون متبعا لهواه ولكن

(١) حديث أتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا والمحديث تقدم (٣) حديث إياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح
تلتذ بحب الذات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظهر عن
مطالعة الصفات وطلع
من مطالع الإيمان
قالب هذا الروح ولما
صحت ههنا هذه ما خبر
الله تعالى عنهم بقوله -
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب يذل لهو به
ولهموب محبوه
وينشد :
لبن تدي ألب عين
وتقي
ويكرم الله العجيب
للكرم
وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
السنية وموجها وهو
في الأحوال كاتوبة
في القامات فمن صحت

لا يبنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبنيه» (١). النظر الثاني للمراقبة عند التروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقتضى حق الله فيه وبحسن النية في إتمامه وبكامل صورته ويتطامه على أكل ما يملكه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخفى في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن العمل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلا فيبنى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما مستقبله القبلة» (٢) ولا يجلس مقربا إذ لا مجالس للوكة كذلك وملك للوكة مطلع عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا يجالس للوكة فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في الرقابة بل لو كان في قضاء الحاجة فراحته لأدائها وفاء بالمراقبة فإذن لا يخو البعد إيماناً يكون في طاعة أو في مصيبة أو في مباح فراقته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في مصيبة فراقته بالتوبة والندم والافتقار والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فراقته بمرعاة الأدب ثم يهود للندم في التوبة وبالشكر عليها ولا يخو البعد في جملة أحواله من بلي لا يبدله من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من الرقابة بل لا ينفك البعدى كل حال من فرض الله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه يسارع به إلى منفرة الله تعالى ويسابق به عبادة الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له في طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام الرقابة - ومن يتحد حدود الله فقد ظلم نفسه فيبنى أن يتفقد البعد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من القراءة والندم وقدر على القضاة فيبنى أن يلتزم أفضل الأعمال ليشغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو ميوّن والأرباح تبلغ مجازياً القضاة فيذلك يأخذ البعد من دنياه لأخبرته كما قال تعالى «ولا تنسى نصيبك من الدنيا» وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لأصعب فيها على البعد كيما انقضت في مشقة أو رهاقة وساعة مستقبله لم تأت بعد لا يدري البعد أي شيء إليها أم لا ولا يدري ما يقضى الله فيها وساعة راحته يبنى أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحصر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيطول عليه الزم على الرقابة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أيامه فله آخر أيامه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أيامه فيبنى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما روى أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون المؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرملة لحاش أوقدة في خير هرم» (٣) وما روى عنه أيضاً في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات تساعة يتأجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها بالمعظم والشرب» (٤)

نوبته على الكمال
تحقق بسائر اللقائات
من الزهد والرضا
والتوكل على ما شرعناه
أولاً ومن صحت
عبته هذه تحقق
بسائر الأحوال من
القناعة والبقاء والصحو
والخو وغير ذلك
والتوبة لهذا الحب
أيضاً بخاتمة الجسدان
لأنها مقشقة على الحب
العالم الذي هو لهذا
الحب كالجسد ومن
أخذ في طريق
المحبوبين وهو طريق
خاص من طريق
الحبة يتشكل فيه
ويجتمع له روح الحب
الحاس مع قالب
الحب العام الذي
تفتتح عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبنيه تقدم (٢) حديث خير المجالس ما مستقبله القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون المؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرملة لحاش أوقدة في خير هرم (٤) وما روى عنه أيضاً في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات تساعة يتأجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها بالمعظم والشرب» وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فان في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطمع والشرب لا يبنى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والتفكير فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه ولفظن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أشأم : قسم ينظرون إليه بعين التبعص والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية تباطؤ قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباغية عليه وخلق الآلات للسفرة المشهورة فيه كاصطناعه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين القبح والشكرهه ويلاحظون وجه الاضطراب إليه وبودهم لو استنصوا عنه ولكن يرون أشبههم مقهورين فيه مشغرين لصوراته ولهذا مقام الزاهدین وقوم يرون في السنة الصانع ويرتقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من التفكير تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهومن مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ الحب إذا رأى صفة حبيبه وكتابه وصنفيه نسي السنة واشغلت قلبه بالصانع وكل ما يترده البعد فيه صنع الله تعالى في النظر منه إلى الصانع جمال رجب إن تحت له أبواب للسكوت وذلك عزز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بين الرغبة والحرس فيأمنون على ما فاتهم منه ويحرمون بما حرم من جعلته ويدعون منه ما لا يوافق هوائهم ويمسونه ويدعون قاعه فيدعون الطيب والطيب ولا يسمون أن القاع لا يطيب والطيب لا يندثره ولله هوافة تعالى وأن من دم شيئاً من خلق الله خبر الله قد قد دم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر (١) فهذه الرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على التماس لمن أحكم الأصول .

(الرابطة الثالثة : محاسبة النفس بعد العمل . ولتذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها)

أما القضية : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسها هذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزونها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر « أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمتوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر قدبر عاقبته فإن كان رهداً فأمضه وإن كان غيماً فاته عنه وفي الخبر ويبنى لما قل أن يكون له أربع ساطت ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وعبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة » (٢) وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبسوون - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالكرة إذا جئ الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون البعد من المقيدين حتى يحاسب نفسه أهد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فأنظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة قد برها وأبدلها بكلمة غيرها وحدث أبي طلحة حين فلقه الطائر في صلاته قدبر ذلك فجعل - أطعمه صدقة الله تعالى ندما ورجع لأمور في مقامه (٣)

(١) حديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة تقدم غير مرة (٣) حديث أبي طلحة حين فلقه الطائر عن صلاته فجعل حديثه صدقة تقدم غير مرة .

النصوح وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن القلب في أطوار المقامات والرتب من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - واللهن جاهدوا فينا لهدينهم سبيلنا - ومن قوله تعالى - ويهدي إلى الله من ينيب - أثبت كون الانابة سبباً للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صريح الاجتهاد غير مبطل بالكسب فقال الله تعالى - يجتبي إليه من يشاء - فمن أخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فحبله بأباً يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكون لك هذا قال أردت أن أجرب نفسي هل تكره . وقال الحسن : للؤمن قوام على نفسه بحاسب الله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإعمالهم الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن للؤمن فيجوز الشيء بسببه فيقول والله إنك لتتجبن وإنك من حاجي ولكن هيات حبل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويرط من الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لأعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعه يقول ويحيى وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ والله لتتقين الله أو ليمدبك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس الوارثة - قال لا يلقي المؤمن إلا صاب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربي وأقاربي بعضي قد مال صاب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحمه الله ماذا قال لنفسه ألت صابحة كذا ألت صابحة كذا ثم ذهبا ثم خطمها ثم ألتها كتاب الله تعالى فكان له قالها وهذا من معاتبتي النفس كما سيأتي في موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان قائم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة أكل من محارها وأشرب من أنهارها وأعانني أبكارها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدها وأمالج سلسلها وأغلغلها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدني قالت أريد أن أورد إلى الدنيا فأعمل صالحاً فقلت فأنت في الأمانة فاعلمي ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحمه الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحمه الله امرأ أخذ بئتان عمله فنظر ماذا يريد به رحمه الله امرأ نظر في مكابرة رحمه الله امرأ نظر في ميزانه فإزال يقول حق أياك ، وحكي صاحب للأخف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء إلى الصبح يضع أميعة فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه في سبيل التوصية بالحق فيذني أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسنها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الحيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لم تلتقي إلا بالماضيات فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتحقق به خطر الشقاوة والسعادة أبدأ بالأبدان هذه المسألة إلا عن الفطنة والخذلان وقلة التوفيق نمود بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وهكرمو إن كان من خسران طالبه بضمائه وكلفه تداركه في المستقبل ، فكذاك رأس مال العبد في دينه القرائن وبرهه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة التهار ومعاملة نفسه الأمانة بالسوء فيحاسبها على القرائن أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلاً وإن فوتها من أصلها طالبها بالتقصاء وإن أداها ناقصة كلها الجبران بالنوافل وإن ارتكب بمعصية اشتغل بقبورها وتصدى بها ومعاينتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بحريكه وكما أنه يخشى في حساب الدنيا من الحجة والقياس فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يفتن في شيء منها فينبغي أن يتقن خبيرة النفس ومكرها فاتها خداعة مكررة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتفضل بنفسه

صفوها وخالصها بأنم وصفها والمقامات لاقيده ولا تحبسها وهو يقيدها ويحبسها بترقيتها منها وارتزاعها صفوها وخالصها لأنه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخالص خلق ملائمة صفات النفس وقسموها والمقامات كلها مصفية لثبوت الصفات النفسانية فارتد صفية من الرقية والتوكل يصفية عن قلة الاعتماد للثبوت عن جهل النفس والرضا بصفية من ضربان عرق المنازع والمنازع علقها جود في النفس ما شرب عليها محروس الحجة الخاصة فيبقى ظلتها

من الحساب ما يستتبعه غيره في صيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقياه وقوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكن ؟ فإذا عرفت مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه في قلبه وفي جريدته حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الدين ، أما بعضها فالإقامة والنهال وبضها برد عينه وبضها بالقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما تفل عن توبة ابن الصمة وكان بالقة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أياما فإذا هي وأحد عشر ألف يوم وخمسة أيام فحسب يوما فحسب وقال : يا ولي الله ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خرم مشيا عليه فإذا هويت قسموا قالوا يقول بالك ركضة إلى القردوس الأعلى فكذلك ينبغي أن يحاسب نفسه على الألفاظ وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى البد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قرية من حمرة ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي ولللكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه.

(للرابطة الرابعة في معاينة النفس على تصورها)

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارنة معصية وارتكاب تصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يحملها فاته إن أهمها سهل عليه مقارنة المعاصي وأنت بها نفسه وعصر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يماقها فإذا أكل لقمة هبة يشوه نفس ينبغي أن يماق البطن الجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يماق العين بنع النظر وكذلك يماق كل طرف من أطراف بدنه بمنته عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على غلظها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يستر . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتبدد في صومته فشك ذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة قافلتن بها وهم بها فأخرج رجلا لينزل إليها فأدركه الله بساقه فقال ما هذا الذي أريدان أصنع فرجعت إليه نفسه وعصه الله تعالى فقدم فلما أراد أن يجدره إلى الصومعة قال لهيات هيات رجل خرجت تريد أن تعصى الله تتودد معي في صومتي لا يكون والله ذلك أبدأتكم بالصومعة نصيبها الأمطار والريح والتلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره وعي عن الجليل قال سمعت ابن الكريبي يقول أما ينبغي ليبة جنابة فاصبحت أنا أغتسل وكانت ليبة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخر للاماء وأدخل الحمام ولا أعني على نفسي قتلته واهبها أنا أعلم الله في طول عمرى فيجب على حق فلا جدني للسارة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقتي هذه وآليت أن لا أزعمها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . وعي عن أن غزوان وأبا موسى كانا في بيتين فمنازهما تكتشف جاري فتنظر إليها غزوان فرغ يده فقلطم عينه حتى جرت وقال إنك للحائلة إلى ما يشركون ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشررب للاء البارد طول حياته فكان يشررب للاء الحار لينص على نفسه البش . وعي عن أن حسان بن أبي ستان مر بقرعة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسأين عما لا ينيك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن نعيم جاء رابع القبيس يسأل عن

وجودها لمن تحقق
بالحب الحاصل لانت
نفسه وذهب جودها
فإذا ينزع الزهد منه
من الرغبة ورغبة
الحب أحرقت رغبته
وماذا يصني منه التوكل
ومطالبة الوكيل حشو
بصيرته وماذا يسكن
فيه الرضا من عروق
للتأذعة ممن لم تسلم
كليتته . قال الروادري
مالم تخرج من كليتك
لا تدخل في حد الحبة
وقال أبو يزيد من
قلته عجبته فديته
رؤيته ومن قلته عشفته
فديته منامته ، أخبرنا
بذلك أبو زرعة عن أبي
ابن خلف عن أبي
عبد الرحمن قال سمعت
أحمد بن علي بن جعفر

أبى بدمصر قتلنا إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نومهم ولم ينصروا فأبى بدمصر سولا وقلنا له ألا نوقظك لك جاء الرسول وقال هو أشغل من أن يغيب عنى شيئا أدركته وهو يدخل القبر وهو ياتب قسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك نيام الرجل معي شاهدا وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تكلمين بيلا طلعين أما إن لله على عبدا لا تضربا ولا أوسدك الأرض نوم حولا إلا لمرض حائل أو لقل زائل سواء لك أما تستحيين كم توبخين وعن غيبك لا تتبين قال وجعل يبي وهو لا يشعر بكأن قها رأيت ذلك انصرفت وركنت . وعجبي عن عيب الهادى أنه نام ليلة لم يقم فيها فيجد قام سنة لم يتم فيها عقوبة للهى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال وانطلق رجل ذات يوم فزغ ثيابه وتبرغ في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوق وثار جهنم أشد حرا أجفة البليل بطلاة بالتهاريفينا هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأراه فقال خلعتي تنسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما لقد صنعت لك أبواب السهاو لقد يابى الله بك لللاكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك جعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم معهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أرمم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سددك قال الرجل اللهم اجعل الجنة مأهم^(١) . وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شربها قال ماطى وجه الأرض قس أبض إلى منها فكيف أعطيا شربها وادخل ابن السكك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على القرب قال يا داود سجت قسك قبل أن تسجن وعذبت قسك قبل أن تعذب فال يوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلا تبع زمانا ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سببا يأكل في كل بيت إحدى عشرة تمر ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى قسه وقال منك أبيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فقل إنك ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصبح في الناس فقاموا إلى الصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب قسه ويقول أى قسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا قلت لى أهلك وعيا لك فأطعك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا قلت لى أهلك وعيا لك فأطعك ورجعت والله لأعزرك اليوم على الله أخذك أو تركك قلت لأرقتك اليوم فرمقتك فجعل الناس على عدوم فكان في أوائلهم ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا امرأتوه وثابت قائم فوالله ما زال ذلك ذا به حتى رأيته صريما فصدت به وبدات ستين أو أكثر من ستين طعنوا فذكرنا حديث أبي طايبة لما اختل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط ككفارة لذلك وإن عمر كان يضرب بقميعة بالذرة كل ليلة ويقول ماذا علمت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على قسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأخنف بن قيس لا يغيره الصباح بالليل فكان يضع أصبه عليه ويقول لنفسه مامحلك على أن صنعت يوم كذا كذا وأنكر وهيب بن الورد هيا على قسه فتنت همرات على صدره حتى عظم ألمه فبجمل يقول لنفسه وهك إعالم أريدك الحيز ورأى محمد ابن جرير داود الطائي وهو يأكل عند إبطاره خبز أبصر عليه فقال له لوأ كنته بملح فقال ابن قسى لتدعوني إلى اللع منذ سنة ولا ذاقى داود ملحا مادام في الدنيا فيك كذا كانت عقوبة وأولى الحزم لأقسمهم العجب

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فزغ ثيابه وتبرغ في الرضاء وكان يقول لنفسه وثار جهنم أشد حرا أجفة البليل بطلاة بالتهاريفينا

يقول سمعت الحسين
ابن عوف يقول قال
أبو يزيد ذلك فإذا
الغلب في أطوار
القمامات لوم المهيين
وطى بساط الأطوار
لحواص المهيين وم
المحبوبون خلقت عن
همهم للقمامات وربما
كانت للقمامات على
مداير طبقات
السماوات وهي مواطن
من يتعثر في أذيال
بهايم . قال بسن
العسكري لا إبراهيم
إلحواص إلى ماذا أدى
بك التصوف فقال إلى
التوكل قال تسمى في
عمران بطنك أين
أنت من القناء في
التوكل برؤية الوكيل
فانقضى إذا تحركت

أنك تماقب عبدك وأمنك وأهلك وولدك على ما صدر منهم من سوء خلق وتصبر في أمر وتخاص
أنك لو تجاوزت ضمهم فخرج أمرهم عن الاختيار وبضواعتك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدوك وأشد
طغيانا عليك وضربك من طغيانها أعظم من ضربك من طغيان أهلك فإن غلبتهم أن يشوشوا عليك
مميثة الدنيا ولوعقت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم اللقيم الذي لا آخر له وتسلك هي الق
تنص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

[الرابطة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حسب نفسه فرأها قد عارفت مصيبة فينبغي أن يبايها بالقربات التي مضت وإن رآها
تتواني بحكم السكل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤديها بتقبل الأوراد عليها ويلزمها
فنوناً من الوظائف جبراً لما فاتته وتداركاً لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن
الخطاب نفسه حين فاتته صلاة الصبر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له فيمنها مائتا ألف درهم
وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحياتك اليلة وأخريلة صلاة القرب حتى طلع كوكبان فأعتق
رقتين وقالت ابن أبي ربيعة ركننا الفجر فأعتق رقبة وكان بعضهم يحمل على نفسه صوم سنة أو
الحج ماشياً أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها . فإن قلت إن
كانت نفس لا تطاوعني على المجاهدة وللراغبة على الأوراد فأسهل معالجتها . فأقول - سيك في ذلك
أن تسميها ماورد في الأخبار من فضل المجتهدين ^(١) ومن أشفع أسباب العلاج أن تطلب مصيبة عبد
من عباد الله يجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتهتدي به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعتزيت بقرعة في
العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتياحه فعملت على ذلك أسبوعاً إلا أن هذا العلاج قد
تعبد إذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين فينبغي أن يسد لمن للشاهدة إلى
البيع فلا شيء أشفع من حجاج أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيمن المجتهد الجيد وقد انتهى عنهم
وبقي ثوابهم ونسبهم أيد الأبد لا ينقطع فاعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فمتع
نفسه أياماً قلائل بشهوات مكندة ثم يأتيه اللوت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أيد الأبد نموذج بالله
تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة الريد في الاجتهاد اقتداء
بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أقولاً يحبهم الناس مرضى ومأم برضى ^(٢)»
قال الحسن اجتهدتهم العبادة قال الله تعالى - وللهذين يؤتون ما أتوا وفقهم وجعلناهم من الحسن يعملون
مما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ^(٣)» ويروي أن الله تعالى يقول للملائكة ما بالعباد يجتهدون

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام
بشهر آيات لم يكتب من الثوابين ومن قام بمائة آية كتب من القاتنين ومن قام بألف آية كتب
من القنطرين وله ولقنات وابن ماجه من حديث أبي هريرة باسناد صحيح رحم الله رجلاً قام
من الليل فصل وأغظ امرأته ولترملى من حديث بلال عليه السلام جيل الليل فانه ذاب السالين
قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢)
حديث رحم الله أقولاً يحبهم مرضى ومأم برضى لم أجده أصلاً في حديث مرفوع ولكن رولاه أحمد
في الزهد موقوفاً على طي في كلامه قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض
(٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن
رولاه بسنة عن وهو مدلس ولترملى من حديث أبي بكره خير الناس من طال عمره وحسن
عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفتها مثقلة من
دائرة الزهد بردها
الزهد إلى الدائرة
بزهد وللنوك إذا
تحركت نفسه بردها
بتوكله والراغب بردها
برضاه وهذه الحركة
من النفس بما
وجودية تختل إلى
سياسة العلم وفي ذلك
تضم روح القرب
من بعيد وهو أداء
حق اليهودية مبلغ
العلم وبحسب الاجتهاد
والكسب ومن أخذ
في طريق الخامسة
عرف طريق التخلص
من البقايا بالتستر
بأنوار فضل الحق
ومن اكتفى ملابس
نور القرب بروح دائمة
المكوف محبة عن

فيقولون لهنّا خوتهم شيئا غافوه وشوّتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف
 لو أنّي جاعدي لكانوا أشدّ اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا
 يفرحون بشيء من الدنيا أقل ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا
 التراب الذي تطوّروه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمرأه بصنعة
 طعام قط ولا جمل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم فاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم
 الليل قيام على أطرافهم يفترون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يتاجون ربهم في فسك
 رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها وما يروا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة
 أجزتهم وسألوا الله أن يفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلكوا من الذنوب ولا نجوا
 إلا بالخرقة . ويحك أنّ قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يسودونه في مرضه وإذا قيم شاب
 ناضل الجنين قال عمر له يا فتى ما لي بك ما أرى قال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال
 سألتك بالله إلا مددتي قال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وسفر عندى زهرتها
 وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربّي والناس يساقون إلى الجنّة والنار
 فأطعمت ذلك نهاري وأسهرت ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال
 أبو نعيم كان داود الطائي يشرب التثيت ولا يأكل الحبز قليل له في ذلك قال بين مضغ الحبز وشرب
 التثيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما قال إن في مضغ بيتك جذعا مكسورا قال يا ابن
 أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السفك وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
 فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن زرين من غداة إلى العصر لما التفت
 بينة ولا يسرة قيل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما البعد إلى عظمة الله تعالى
 فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق
 إلا وساقاه متفتخان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال
 أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت البعير يوما واحدا الظأ له بالهواجر والسجود له في جوف الليل
 وبجالة أقوام يتشّفون أطايب الكلام كما يشقى أطايب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجهد في العبادة
 ويصوم في الحر حتى يضر جسده ويسفر فكان عقبة بن قيس يقول له لم تذهب تشك فيقول
 كرامتها أريد وكان يصوم حتى يضر جسده ويسل حتى يسقط فتدخل عليه أنس بن مالك والحسن
 قتالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أتعبك لولا أني علمت من الاستكثار شيئا إلا جئت
 به . وكان بعض المجتهدين يصل كل يوم ألف ركعة حتى أشد من رجله فكان يصل جالسا ألف ركعة
 فإذا صلى العصر احتج ثم قال هجيت للخلقة كيف أردت بك بدلائك هجيت للخلقة كيف أنست
 بسواك بل هجيت للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك . وكان ثابت البناني قد حبيت إليه
 الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصل لك في قبره فلا تكن لي أن أصلي في قبري .
 وقال الجنيد : حاربت أعبد من السرى أمت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة
 الموت . وقال الحرث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فسلموه في ذلك
 قال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأحوال وم غافلون قد اعتسكفوا على حظوظ أنفسهم
 وسوا حظهم الأكبر من ربهم فيكي القوم عن آخرهم . وعن أبي محمد النازلي قال جاور أبو محمد
 الجريري بمكة سنة ظم ييم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يد رجله فصر عليه
 أبو بكر الكتاني فلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطنى

إلى الورق والمروى
 لا يرضه طلب ولا
 يوحشه سلب فازهد
 في التوكل والرضا كان
 فيه وهو غير كائن
 فيها على معنى أنه كيف
 يقلب كان زاهدا وان
 رغب لأنه لم يلق لا
 نفسه وإن روى منه
 الانكسار إلى الأسباب
 فهو متوكل وإن وجد
 منه الكراهة فهو
 راض لأن كراهته
 نفسه وشبه الحق
 وكراهته لخلق أعيد
 إليه فسه بدواعيها
 وصفتها مطهرة
 موهوبة محسوسة
 ملحوظ بها صارعين
 الهاء دواء وأصار
 الاعلال غفيرة وناب
 طلب الله له مناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق الكنانى ومشى مفكرا ، وعن بعضهم قال دخلت على فتحة للوصلى
فرايته قد مد كفيه يمينى حتى رأيت الدموع تتحد من بين أصابعه قد نوت منه فاذا دموعه قد
خالطها صفرة قلت ولم بالله ياتج بكيت الدم قال لولا أنك أحلفتى بالله ما أخبرتك ، فبكيت دما
قلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخافى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
لئلا يكون ما عشت على الدموع قال فرايته بعد موته فى المنام قلت ما صنع الله بك ؟ قال غفرلى قلت
له فإذا صنع فى دموعك ؟ قال قبرى ربي عز وجل وقال لى ياتج السمع على ماذا ؟ قلت يارب على
تخافى عن واجب حقك فقال والله على ماذا ؟ قلت على دموعى أن لاتسمع لى فقال لى ياتج
ما أردت بهذا كله وعزى وجلالى لقد صد حافظك أربعين سنة بصحبتك ما فيها خطية ، وقل
إن قوما أرادوا سفرا فالحادوا عن الطريق فأتوا إلى راهب منفرد عن الناس فادعوه فأشرف عليهم
من صومعته فقالوا ياراهب إننا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ رأسه إلى السماء فلم القوم
ما أراد فقالوا ياراهب إننا سألوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تسكتروا لأن الهارن ربيع والعمر
لا يموت والطالب حيث فصب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحلق غدا عند مليكهم فقال
على نياتهم فقالوا أوصنا فقال زدودوا لى قدر سقركم فإن خير الزاد ما بلغ البقعة ثم أراهم إلى الطريق
وأدخل رأسه فى صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مروت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته ياراهب فلم يجبى فناديته الثانية فلم يجبى فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا
براهب إنما الراهب من رهب الله فى سلاله وعظمه فى كبرياه وصبر على بلاه ورضى بفضاه وحده
على آلاله وشكره على نعمائه وتواضع لفظته وذلك لزمته واستسلم لقدرته وخضع لمباهته وفكر
فى حسابه وعقابه فتهاره صامم ولله ظلم قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فذلك هو الراهب وأمانا
فكلب غنور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا أعترهم قلت ياراهب لى الذى قطع
الحلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخى لم يقطع الحلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها هل
للناسى والتوب والمائل من رضى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقرب من
ربه . وقبل لنادوا الطائر فوسرحت لحيتك فقال لى إذن تمارخ ، وكان أوىسى القرن يقول هذه
ليلة الركوع فيجى الليل كله فى ركعة وإن كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيجى الليل
كله فى سجدة ، وقيل لما تاب حبة الغلام كان لا يتبأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لمورقت بنفسك
قال الرفقى أطلب دعوى أئيب قليلا وأنتهم طويلا وسج مسروق لى تام قط إلا ما جدد ، وقال سيفان
الثورى عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقي . وقال عبد الله بن خلاد :
كان أحدم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن
يسلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومى يأمأوى كل شر فلما ضعف انصهر على خبثه فلم يكن
يكنى ويقول ذهب نصف عملى وكانت ابنة الريح بن خنم تقول له يا أيت مالى أرى الناس ينامون
وأنت لاتنام ؟ فيقول يا ابتنا إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الريح مائلى الريح من البكاء
والسهر نادته يا بنى لك قلت قتيلا قال نعم يا أماء قالت لى هو حق نطلب أهله فيخبر عنك فوالله
لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وغفوا عنك فيقول يا أماء هى نفسى ، وعن عمر ابن أخت جبرين
الحرث قال سمعت خالى جبر بن الحرث يقول لأمى يا أختى جوفى وخواصرى تغرب على قالت له
أمى يا أختى أنا أنذنى لى حتى أصل لك قليل حياء بكف دقيى عندى تصدأ برم جوفك فقال لها
وبحك أخاف أن يقول من أين لك هذا التقيى فلا أدري إيش أقول له فبكيت أمى وبكى معها

طالب من زهد وتوكل
ورضا أوامر مطلوبه
من الله ينوب عن كل
مطلوب من زهد
وتوكل ورضا . قالت
راية : حب الله لا يسكن
أنيته وحبنيته حتى
يسكن مع محبوبه .
وقال أبو عبد الله
القرشى حقيقة الحبة
أن تهب لمن أحببت
كلك ولا يبق لك نك
شبه . وقال أبو الحسين
الوراق : السرور بالله
من شد الحبة له والحبة
فى القلب نار تحرق كل
دنس . وقال يحيى بن
معاذ صبر المحبين أشد
من صبر الزاهدين
واحبيا كيف يصبر
الإنسان عن حبيبه .
وقال بعضهم من أدى

وبكيت معهم . قال عمر و رأيت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضيقاً فقال له أمي يا أختي ليت أمك لم تلدني فقد والله قطعت كبدي مما أرى بك فسعته يقول لها وأنا قلت أمي لم تلدني وإذ ولدني لم يدر لديها على . قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الربيع : أتيت أوبسا فوجدته جالساً قد صلى الفجر ثم جلس فجلست قلت لا أشغله عن الصبح فكشك مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلبت عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نومة ومن بطن لا تشبع قلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أوبس فقال يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأوبس أن لا يكون مريضاً يطعم للريض وأوبس غير طاعم وبنام للريض وأوبس غير نائم . وقال أحمد بن حرب : يا عجب لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسرع تحته كيف ينام بينهما ، وقال رجل من النساءك أبيت لإبراهيم بن آدم فوجدته قد صلى العشاء فقدمت أرقبه فلف نفسه بعبادة ثم رمى نفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءه الخافك ذلك في صدره فقلت له رحمك الله قد تمت الليل كله مضطجماً ثم لم تعبد وضوءه فقال كنت الليل كله جالاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلاً كان أحدهم يصل فيسبح عن أن يأتي فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش وتزل للنساء في إحدى عينيه فكشك مشرب سنة لا يلم به أهله وقيل كان ورد ممنون في كل يوم خضابة وكمة ، وعن أبي بكر الطويعي قال كان وردى في شبيبتي كل يوم وليلة أقرأ فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي ، وكان منصور بن النضر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع - وقد قالت له أمه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل طامته لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، وقيل لما مر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وعظماً المواجه فقال هل هو إلا أنني صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لها ينام حتى يسبح فاذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم لها ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف أدخل وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : سمعت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر لها رأيته نام بليل ولا نهار . وروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت خلف علي رضى الله تعالى عنه القبر فلما سلم انفتل من بينه وعليه كآبة فكشك حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب عهد علي الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شتاً غبراً صفراً قد باتوا الله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الربيع وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين بين من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بينه وخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحف بك زحفاً حتى يكون الكلل منك لاني فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول أظن أصحاب عهد علي الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لأزاحمهم عليه زحاماً حتى يملوا أنهم قد خلقوا وراهم رجلاً . وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

عبادة الله من غير توديع
عن عامر مفر كذاب
ومن ادعى عبادة الجنة
من غير إتيان ملكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب القرآن فهو كذاب
وكانت رابعة تلشد :
تعصى الإله وأنت
تظهر حبه

هذا لعمري في القفال
بديع

لو كان جيك صادقاً
لأطعته

إن الحب لمن يحب
مطيع

وإذا سكن الحب
للأحوال كاثوبة

للمقامات فمن ادعى
حالا يبتغي حبه ومن

ادعى عبادة تفتريه

ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزايدا ، وكان إذا جاء الشتاء اضطلع على السطح ليشره البرد وإذا كان في الصيف اضطلع داخل البيوت ليجد الحر فليتام وأنه ملت وهو ساجد وأنه كان يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي . وقال القاسم بن محمد غدت يوما وكنت إذ اغدت بدأت بعبادة رضى الله عنها أسلم عليها غدت يوما إليها فآذا هي تصل صلاة الضحى ، وهي تقرأ - فن الله علينا ووقانا عذاب السموم - وبكى وتدعو وتردد الآية فتمت حتى ملئت وهي كاهي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع فترفت من حاجتي ثم رجعت وهي كاهي تردد الآية وبكى وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصل على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء الشتاء . وقال بعضهم : ما أخاف من اللوث إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سبنا الصالحين صفرة الألوان من السهر ومضى الدرون من البكاء وذوبر الشفاء من الصوم عليهم غيرة الحاضرين . وقيل للحسن : ما بال للتجدين أحسن الناس وجوها فقال لهم خلوا بالرحمن فألبسهم ثوبا من ثوبه ، وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهي خلقتني ولم تؤامرني وتيقني ولا تمنني وخلقت معي عدوا وجعلته يجرى معي يجري النسم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا المصوم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأبى الراحة والفرح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صبيحات كان إذا صلى العشاء وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد حدث به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصبحين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالهصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الربك المرسوس أكل هذا الليل ترقدون أنلا قومنون قرحلون قيوثيون فيسمع من ههنا بك ومن ههنا دلع ومن ههنا قارى ومن ههنا متوضى ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح حمد التوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أنهم عليهم فرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلوا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين ويوتا للحكمة وتوايبت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبولون ومدبرون وقلوبهم تجول في اللسكوت وتلوح بعجوب التبريم ثم ترجع ومهما طوائف من لطائف القوال لا يمكن الإتيان واصفا أن وصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبلوون لمن أرادهم تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالكلف وإنما هو فضل الله يؤتية من يشاء . وقال بعض السالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تحييه لها هوى عال فاقبمت الصوت فإذا أنا بوضعة عليها هجر ملف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا - إلى قوله وسعدركم الله تحية - قال فجلست خلفه أصم كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرفنيها عليه فقلت وأسأله هذا لشعائي ، ثم انتظرت إفاقة فأناقي بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال الباطلين أعوذ بك من إعراض المنافقين ثم قال لك خيتم قلوب الحاضرين وإليك فرغت آمال للتصبرين واسطعنتك ذلت قلوب المارين ثم قض بدقه قال وللدنيا

فان التوبة قالب روح
الحب وهذا الروح
قيامه بهذا القلب
والأحوال أعراض
قوامها بجوهر الروح.
وقال صمدون : ذهب
المحبون لله يشرف
الدنيا والآخرة لأن
التي صلى الله عليه وسلم
قال «لله مع من
أحب» فهم مع الله
تعالى وقال أبو يعقوب
السوسي لاصح المحبة
حتى تخرج من رؤية
المحبة إلى رؤية
المحروب بشاء علم
المحبة من حيث كان
له المحبوب في القلب
ولم يكن هذا بالمحبة
فإذا خرج المحب إلى
هذه النسبة كان
مجا من غير محبة .

ومال الدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك إلى عبيك فانهي وإياهم فاحذري ثم قال
 أين القرون للناحية وأهل السهور الساقطة في التراب يملون وعلى الزمان ينفون فإدعهم يا عبد الله أنا منذ
 اليوم خلقك أنتظر فراغك قال وكيف يفرغ من يصادر الأوقات وتبادره بخافسقبها بالموت إلى نفسه
 أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وحببت آثامه ثم قال أنت لها ولكل عدة أتوقع نزولها ثم لها عن
 ساعة قرأ - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر
 مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو مضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خاطري
 هب لي إساءتي من فضلك وجللي بسترى واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقت بين يديك فقلت
 له بالذي ترجوه لنفسك وثق به إلا كنتي فقال عليك بكلام من يظنك كلامه ودع كلام من أوقته
 ذنوبه إن لي هذا اللومع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي - ليخرجني عما أنا فيه
 غيرك فإليك عنى يا غدوق قد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك صبة من قلبي وأنا أعوذ بالله
 من شركك ثم أرجو أن يبيدني من سخطه ويضللني رحمة - قال فقلت هذا ولي الله أخاف أن أعفله
 فأجابني في موضعى هذا فانصرف وتركتني . وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في مسيرى إذ ملئت إلى
 شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لي يا هذا قم فإن اللوت لم يمت ثم هام على وجهه
 فابتسمه فسمعت وهو يقول - كل نفس ذائقة اللوت - اللهم بارك لي في اللوت فقلت وفيما بعد اللوت
 فقال من أين بما بعد اللوت حشر منزى الجن والانس لم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنيت
 الوجوه يمشى ويهيم بالنظر إليك وإملا قلبي من المحبة لك وأجرني من ذل التوسيع غدا عندك فقد
 آن لي الحياء منك وحن لي الرجوع عن الأمراض عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسبق أبلى ولولا
 عفوك لم ينسبط قبا عندك أملى ثم مضى وتركني ، وقد أشتدوا في هذا اللحن :

تحمل الجسم مكثب التؤاد ثمه بقمة أويطن وادى
 ينوح على معاصي فاضحات يكدر ثقلها صفو الرقاد
 فان حاجت مخاوفه وزادت فدعوه أغشى يا حمادى
 فأتت بما ألقبه علم كثير الصفح عن ذلل العباد
 وقيل أيضا : الله من التلاذذ بالتواهي إذا أقبلن في حلال حسان
 منيب فر من أهل ومال يسبح إلى مكان من مكان
 ليخمل ذكره ويبقى فرما وينظر في السيادة بالأمانى
 لذلك التلاوة أين ولي وذكر بالتؤاد وبالأسان
 وعند اللوت يأتيه بشير يشر بالنسجة من الموان
 فيسرك ما أراد وما تحفى من الراحة في غرف الجنان

وكان كرر بين مرة يمت القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقليل
 قد أجهدت نفسك قال كم عمر الدنيا قليل صبة آلاف سنة قال كم مقدار يوم القيامة قليل فحسن
 ألف سنة قال كيف يسبح أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم متى أنك لو عشت عمر الدنيا
 واجتهدت صبة آلاف سنة ونخلت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان رحلك
 كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف
 الصالحين في مراعاة النفس ومراقبتها لئلا تمردت نفسك عليك وامتنعت من اللواظبة على العبادات
 فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع

مثل الجنيب عن
 المحبة قال : دخول
 صفات المحبوب على
 البديل من صفات
 المحب . قيل هذا على
 معنى قوله تعالى وإذا
 أحببتهم كنت له صما
 وبصرا . وذلك أن
 المحبة إذا ضفت وكملت
 لا تزال تجلب بوصفها
 إلى محبوها ، فإذا
 انزبت إلى غاية جودها
 وقتت والرابطة متصلة
 متأكدة وبكال وصف
 المحبة أزال للوانع من
 المحب وبكال وصف
 المحبة تجذب صفات
 المحبوب تحطفا على
 المحب الخاص من
 مواعيد قادمة في صدق
 المحب ونظرا إلى
 قصوره بعد استفاد

في القلب وأبحث على الاقتداء فليس الخبر كالمانية وإذا مجزت عن هذا فالتقلد عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن إيل فمعى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والسكون في زميرهم وغمارهم وهم القلاء والحسكاه وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهة الثافين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تخرط في سلك الحق وتقع بالتعب بالأغصان وتؤثر عقاله القلاء فان حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطلق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستكفي أن تكوني أقل من امرأة فأخسر رجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ، ولندكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات قد روى عن جبهة المدوية أنها كانت إذا صلت التمتة قلت على سطح لها وشدت عليها درعها وخارها ثم قالت إلهي قد طارت النجوم ونادت العيون وغلقت اللوك أبوابها وخلال حبيب بحبيبه وهذا قاضي بين يديك ثم قبل على صلاتها فإذا طلع الصبح قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شمري أقبليت مني ليلتي فأنت أم رددتها على فأعزى وعز علي هذا دأبي ودأبك ما أيقيني وعزتك لو اتبرعتي عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . وروى عن مهربانها كانت تحي الليل وكانت مكشوفة البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها عزون إليك قطع العابدون دجى الليالي يستيقنون إلى رحمتك وفضل منفرتك بك يا إلهي أسألك لا يغيرك أن تحبلى في أول زمرة الساجدين وأن ترفني بك في عليين في درجة المقرين وأن تاتقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء أكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وقال يحي بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما صنع عن النياحة والبكاء قلت لصاحب لي لو أتينها إذا دخلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأتينها قلت لها لورقت بنفسك وأقصرت من هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى مما تريدن قال فيكنت ثم قالت والله لوددت أنى أبكى حتى تنفد دموعي ثم أبكى دما حتى لا يبقى قطرة من دمى جارية من جوارحي وأنى إلى البكاء وأنى إلى البكاء فلم تزل تردودانى إلى البكاء حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المجتهدات قالت رأيت في منامي كأنى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم قلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قال خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان قدومها قلت ومن هذه المرأة قيل أم مسوداء من أهل الأيكة قال لها شعوانة قالت قتلت أخفى والله قالت فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على ناحية تطير بها في المواد فلما رأيتها ناديت يا أخفى أما تمرين مكافى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألتحق بك قالت فقبست لى وقالت إيان لقدومك ولكن احفظى عني اثنتين أترى الحزن قلبك وقدمى حبة الله على هوك ولا ضرر لمصمت . وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكانت بها معيافا فكانت في بعض الليالي نائمة لى جنبى فانتبهت فالتفتها فلم أجدها فتمت أطلبها فإذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى إلا ما غفرت لى ذنوبى فقلت لها لا تشولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت يا مولاى بحبى لى أخرجنى من الشرك لى الإسلام وبحبى لى أعظم عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سريفة فزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أيتها وشيئا فقامت يوما لحادم لى أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها لما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبة تقول خلقت سريفة ثم غديتها ببعيتك من حال لى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متبرعة لى سخطك بالتوبع على معاصبك فلما جد فلتة أراها تظن أنك لا ترى سوء فعلها وأنت علم خير وأنت على كل شيء قدير . وقال ذو النون المصري خرجت لية من وادى كنان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل لى وهو يقول

جهده ليعود الحب
بفوائد اكتساب
الصفات من المحبوب
يقول عند ذلك :
أنا من أهوى
ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بذنا
فإذا أبصرنى أجمرته
وإذا أبصرته أجبرتني
وهذا الذى عبرنا عنه
حقيقة قول رسول الله
صل الله عليه وسلم
« تخلقوا بأخلاق الله »
لأنه ينزله النفس
وكال الزكية يستمد
للمحبة والمهبة موهبة
غير معطاة بالزكية
ولكن سنة الله
جارية أن الزكى يفرس
وأبصاره بحسن توفيقه
وأبصاره وإذا منح
زاهة النفس وطهرتها

- وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتملون - ويكفي قسما قرب من السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف
ويدها ركوة قالت لي من أنت غير فزعة مني قتل رجل غريب قالت يا هذا وهل يوجد مع
الله غربة قال فكبت لتولها قالت لي ما الذي أبكاك قلت قد وقع الدواء على داء قد ترح فأسرع
في نجاهه قالت فإن كنت صادقا فلم يكبت قلت برحمك الله والصادق لا يكذب قالت لا قلت ولم ذلك قالت
لأن البكاء راحة القلب فسكت متجبا من قولها . وقال أحمد بن علي استأذني عذرة لحجبتنا فلازمننا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك عن جاء يشغلي
عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا قالت جعل الله قراكم في بيتي
للتفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فأنتم منه نظرة فخرمغيا
عليه فأصابه فتق في بطنه فباليث عذرة إذا رفعت رأسها لم تمس وباليث إذا عصت لم تعد . وقال بعض
الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومعي جارية حبشية فاحسبني في موضع ناحية السوق وذهبت في بعض
حوائجني وقلت لا تبرحي حتى أقصرف اليك قال فأصرفت فلم أجدها في اللوح فأنصرفت إلى
منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأني عرفت الغضب في وجهي قالت يا مولاي لا تعجل لي إنك
أجلسني في موضع لم أر فيه ذاكر لله تعالى فغثت أن يحسف بذلك للوضع فسببت قولها وقلت لها
أنت حرة . قالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أهدما .
وقال ابن الملاء السمدى كانت لي ابنة عم قال لها ريبة تصيدت وكانت كثيرة القراءة في الصحف فكلما
أتت على آية فيها ذكر النار بكيت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء قال يقولون عجمها انطلقوا بنا
إلى هذه المرأة حتى نعلمها في كثرة البكاء قال فدخلتنا عليها قلنا يا ريبة كيف أصبحت قالت أصبحت
أضيافا منيخين بأرض غريبة تنتظر متى ندهي فنجيب قلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه قالت
إن يكن ليبي عند الله خير لما يضرها مذهب منها في الدنيا وإن كان لها عند الله شر فسيبها بكاء
أطول من هذا ثم أعرضت . قال قال القوم قوموا بنا نفسي والله في شيء غير ما نحن فيه . وكانت معاذة
الدوية إذا جاء النهار تقول هذا يوم الذي أموت فيه فهاطمت حتى تمسى فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي
أموت فيها فتصلي حتى تصبح . وقال أبو سليمان الداراني بث ليلة عند ربة فقامت إلى حراب لها وقت أنا
إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزا من قواني على قيام هذه الليلة قالت
جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شمانة تقول في دعائها إلهي ما أشقوني إلى قاتلك وأعظم رجائي لجزائك
وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطئ عند لشوق للشتاقين إلهي إن كان دعا جلي
ولم يقربني منك عمل قد جعلت الاعتراف بالذنوب وسائل علي فإن عفوت فمن أولى منك بذلك
وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلهي قد جرت على شمس في النظر لها وبقي لها حسن نظرك
فالويل لها إن لم تسعدني إلهي إنك لم تزل في برا أيام حياتي فلا تطع عن ركب بعد مماتي ولقد رجوت
من تولاني في حياتي بإحسانه أن يسبقني عند مماتي بغيره إلهي كيف أياس من حسن نظرك بعد
مماتي ولم تولني إلا الجليل في حياتي إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافني فإن عجب لك قد جارتني فتول من
أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهه إلهي لو أردت إلهاتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي
لم تسترني فتعني بماله هديتي وأمد لي ما به سترتي إلهي ما أظنك تردني في حاجة أتيت فيها عمرى
إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .
وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى أسوت وبكت حتى عمت وصلت
حتى أصعدت وكانت تصلي قاعدة فلما عليها ثم ذكرناها شيئا من الغفوليون عليها الأمر قال فنهزت

جذب روحه بمحاذب
المجة خلخ عليه خلخ
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك عنده
ربة في الوصول تارة
ينبت الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطاي الله
فسير متناهية
وتارة يسلي بما منع
فيكون ذلك وصوله
الذي يسكن نيران
هوقه ويبعث الشوق
تستقر الصفات للوهبة
الحققة رتبة الوصول
عند الحب ولولا باعث
الشوق رجح التهفري
وظهرت صفات نفسه
الحالفة بين الرد وقليه
ومن غل من الوصول
خير ما ذكرناه وتغافل
له خير هذا التدفرو

ثم قالت على بنى فرح فؤادى وكلم كبدى والله لو ددت أن الله لم يغفنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أقبلت على صلاتها . فذلك إن كنت من الرابطين للراغبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين لبيت نشاطك وزيد حرصك وإليك أن تنظر إلى أهل عصرك فإناك إن تطع أكثر
من في الأرض يشاك عن سيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية المستعبر وإن
أردت مزيدا فليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فإن
حدثك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان
والآن فإن خالفت أهل زمانك وأولك عجزنا وسخرنا بك فواقعهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك
إلا ما يجرى عليهم والصلية إذا عمت طابت فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتتخذ بزيورها وقل
لها رأيت لو هجم سبيل جارف يفرق أهل الديار وينتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقد رت أنت على أن تخارقهم وتركبي في سفينة تخلصن بها من الفرق فهل تخرج
في نفسك أن الصلية إذا عمت طابت أم تركبي مواقفهم وتستجلبهم في صميمهم وتأخذين حذر
مما دهاك فإذا كنت تركبي مواقفهم خوفا من الفرق وعذاب الفرق لا يمتد إلى الساعة فكيف
لتهربين من عذاب الأبد وأنت متمترسة له في كل حال ومن أين تطيب الصلية إذا عمت ولأهل
النار غفل شاغل عن الالتفات إلى الصوم والخصوص ولم يهلك الكفار إلا بواقة أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثامهم مقتدون - فليك إذا اشتغلت بمعاجة نفسك
وحملها على الاجتهاد فاستمع أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريرها وتعرضها سوء نظرها لنفسها
فساها تزجر عن طغيانها .

(الرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقتك مارة بالسوء مالة إلى الفرقة فرقة من الخير
وأمرت بتزكيتها وتوحيها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها ولطماعها
عن لذاتها فإن أهمتها جمحت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والندم
واللامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس اللطيفة للدعوة
إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تخلفان ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن
بوعظ غيره ما لم تشتغلن أولًا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ
نفسك فإن أصطقت فسط الناس وإلا فاستحي منى وقال تعالى - وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين -
وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغياوتها وأنها أبدا تميز غيبتها وهمايتها ويستند أنها
واستكانها فإذا نسبت إلى الحق فقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والقطنة
وأنت أمد الناس غياوة وحما ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداهما على
القرب فإلك غرحين وتضخكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الحطب الجيم وعساك اليوم
تختطفين أوغدا فأركن لوت يبيد ويراه الله قريبا أما لمعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
البعيد ما ليس بآت أما لمعلمين أن اللوت يأتي بئنة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة
وأه لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شئ دون صيف ولا في صيف دون شئ ولا في نار دون ليل ولا في ليل
دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأغصان يمكن أن يكون
في اللوت فبما فإن لم يكن اللوت فجأة فيكون للرض فجأة ثم يرضى إلى اللوت فبما لا تستعدين للوت

متعرض للذهب

النصارى في اللاهوت

والناسوت. وإشارات

الشيوع في الاسترقاق

والقتناء كلها خالدة إلى

تحقيق مقام المحبة

بامتلاء نور اليقين

وخلاصة الذكر على

القلب وتحقيق حق

اليقين بزاله أوجاج

البقايا وأمنت الآوث

الوجودى من بقاء

صفات النفس وإذا

صحت المحبة تربت

عليها الأحوال وبقيتها.

سئل الشبل عن المحبة

فقال كأس لها وهج

إذا استقر في الحواش

وسكن في النفوس

تلاشت. وقيل للعبة

ظاهره واطن ظاهرها

اتباع رضا المحسوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أمتدبرين قوله تعالى - اقرب لناس حسابهم وهم في غفلة معرضون مايتهم من ذكر من ربهم حدث الاستمراء وهم يلبون لاهية قلوبهم - وبك يا نفس إن كانت جرائك على مصبة الله لإعتقادك أن الله لا يراك لأعظم كفرك وإن كان مع علك بإطلاعه عليك فما أهد وقاحتك وأقل حياك . وبك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أع من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تعرضين لعت الله وغضبه وشديده عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيات هيات جري نفسك إن أهلك البطر عن ألم عذاب ما تحسني ساعة في الشمس أوفى بيت الحمام أوفى أضبك من النار ليتبين لك قدر طاعتك أم تقترين بكرم الله وفضله واستغناء عن طاعتك وعبادتك فمالك لاتمولين على كرم الله تعالى في مهمات دينك فاذا صدك عدو فلم تستبطين الحيل في دفعه ولا تكتلينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقت حاجة إلى شوق من شهوات الدنيا بما لا ينقض الإلحاد النار والدم فمالك تزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لاتمولين على كرم الله تعالى حتى يثر بك على كنز يوسف عبدا من عبيده فيجعل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أفتحسبين أن الله كرم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا يتبدل لها وأن رب الآخرة واللهنا واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وبك يا نفس ما عجب قناعتك ودعائك بالباطلة فانك تدعين الإيمان بلسانك وأثر التفاني ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاه وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقا - وقال في أمر الآخر قسواً ليس للإنسان إلا ما سعى - فقد تكدف لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفلاك وأصبحت تتكالبين على طلبها تنكالب للدعوى المستتر ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض اللغو وللستر محرمها من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان الناقوس في البرك الأسفل من النار . وبك يا نفس أنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت اهلت وتخلصت وهيات أهصين أنك تتركين سدى ألم تكن نقطة من مقيي متى كنت هقة خلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الوقي فان كان هذا من إضبارك فما أ كرك وأجهلك أمتنكرين أنه مما ذا خلقك من نقطة خلقك قدرك ثم السيل يسرك ثم أمانك فأفترك أنك كذبت في قوله ثم إذا شاء أعسررك بأن يضررك في مرضك لصبرك عنه وتركته واجهدت نفسك ولوان يهوديا أخبرك في أنه أعطيتك بأنه يضررك في مرضك لصبرك عنه وتركته واجهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء للتوذين بالمسجرات وقول الله تعالى في كتيبه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع قسان عقل وقصور علم والسبب أنه لو أخبرك بطفل بأن في ثوبك ضربا لريت ثوبك في الحال من غير مطالبة به بدليل وبرهان أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول سعي من جملة الأغبياء أم صار حرجهم وأغلابلهم وأنك لا زقوهم ومقامها وصديقها ومومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من غريب لأعسين بألمها إلا يوما أو أقل منه ماهذه أفعال القلاء بل لو انكشف ليلهم حالك لتضحكوا منك وسخروا من عقلك فان سكنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل ولتوت لك بالمراد ولله يختطفك من غير مهلة فبا إذا آمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالأعمال مائة سنة أفتظنين أن من يعلم الدابة في حضيض القبة يخلع ويهدر على قطع القبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرايت لو سافر رجل لينفق في التربة فأقام فيها مئتين متعللا بطلا لا يدتهسه بالنتقة في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقولهن وظنن أن تقية النفس ما يطمع فيه مدة قرية أو حسانه أن مناصب القتها تتال من غير تحفه اعتيادا على كرم الله سبحانه وتعالى

وباطنها أن يسكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه فمن الأحوال السنية في الهبة الشوق ولا يكون الحب إلا مشاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يضيئه الحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم : حزني كسكنك لا أله أمد

ينهي إليه ولله أمد ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى لعل اليوم آخر عمرك فلم لا تستغل
فيه بذلك فإن أوحى إليك بالامبالا لما للنازع من البادية وما الباعث لك على التسوف هل لاسب
إلا بهزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التيب والشفقة أنتظرين يوما يأتيك لاصر فيه مخالفة
الشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا مخالفة فلا تكون الخلق لا المحفة بالكارم ولا تكون للكاره
قط خفيفة على النفوس وهذا حال وجوده أما تأملين مذكم تمدين نفسك وتقولين غذا غدا فقد
جاء القد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن القد الذي جاء وصار يوما كان لهي الأمل لا بل
تجزين عنه اليوم فأنت غذا عنه أهجر وأهجر لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلمها
فاذا أهجر العبد عن قلمها للضعف وأخرها كان كمن هجر عن قلم شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة
أخرى مع العلم بأن طول اللذة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القلم ضعفا وهنا لما لا يتدر عليه في
الشباب لا يقدر عليه قط في الشيب بل من التناهي رياضة الحرم ومن التذنب تهذيب الدين والقبض
الربط يقبل الاعتناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت أيتها النفس لا تهمن بهذه
الأمر الجلية وتركين إلى التسوف لما بالك تمدعين الحكمة وأية حماقة تزيد في هذه الحماقة ولعلك
تقولين ما معنى عن الاستقامة إلا حرص على لغة الشهوات وقلة صبري على الآلام وللشفقات فما أهد
غياوتك وأتبعت اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلي التتم بالشهوات الصافية عن السكورات
الدائمة أهد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهواتك فانظر لما في مخالفتها قرب
أكله تمنع أكلات وما فوقك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح
وبهنا بشر به بطول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنًا وامتنع عليه شربه طول
العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أيسر ثلاثة أيام ليقيم طول العمر أم يقضى شهوته في
الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلومه ألم المخالفة ثلاثة أيام وثلاثة آلاف يوم جميع حرك
بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى
جميع العمر وإن طالته مدته ، وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم علة وأطول مدة أو ألم
النار في دكات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما لا يتوانين
عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو لحق جلي . أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك يوم الحساب وقلة
معرفتك بظلم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير
الثبات إلى مكروه واعتداجه واستغفاله عن عبادتك مع أنك لا تعتمد على كرمه في ثقتك من الجز
أو حبة من اللؤلؤ أو كلة واحدة تسميها من الخلق بل توصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل
وهذا الجهل تستعين قلب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى عن الله الأمانى » ويحك يا نفس
لا يبتغي أن تحرك الحياة الدنيا ولا يترك بالله التورع فانظري لنفسك فما أمرتك بهم كثير ولا تضيعي
أو فاتك فالأغصان ممدودة فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بفسك فاعتنى بالصحة قبل السقم والفرار
قبل الشغل والفرار قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستندى للآخرة على قدر
بما لك فيها يا نفس أما تستمدين لشتاء جذر طول مدته فتجعين له القوت والكسوة والطيب جميع
الأسباب ولا تسكين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ويلدو حطب
وغير ذلك فانه قادر على ذلك أنتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من
زمهرير الشتاء لم تظنن أن ذلك دون هذا كلاً أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداراني فأرأته يكن
قلت ما يبكيك رحك
الله قال وبك يا أحمد
إذا جن هذا الليل
اقرعت أهل الحبة
أندامهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأشرف الليل
جل جللاه عليهم
يقول « يعني من تلذذ
بكلامي واستراح إلى
متاجاتي وإن مطلع
عليهم في خلواتهم أصعب
أعينهم وأرى بكاءهم
يا جبريل ناد فبهم
ما هذا البكاء الذي
أراه فيكم هل خبركم
خبر أن حبسا يذهب
أحبابه بالنار كيف
يحمل في أن أعذب
نوما إذا جن عليهم
الليل تلقوا إلى فهي

في الشدة والبرودة أظن أن البعد ينجم منها غير سعي هيات كما لا يدفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار
وسائر الأبواب فلا يدفع حر النار وبردها إلا بحسن التوحيد وخلق الطاعات وإنما كرم الله تعالى
في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لافي أن يدفع عنك العذاب دون حصنه كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهدك للطريق استخرجها من بين حديد وجحر حتى تدفع
بها برد الشتاء عن قسك وكان شراء الحطب والجبة مما يستغنى عنه خالقك ومولاك وإنما اشترته
لنفسك إذ خلقه سيلا لستراحتك فطاعتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى
نجاةك فمن أحسن فلفسه ومن أساء فلفها والله غنى عن العالمين . وحك يا نفس ازعي عن جهلك
وقيس آخرتك بدنياك فما خلقك ولا يشكك إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده . وكما
بدأكم تهودون وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا . وحك يا نفس ما أراك إلا ألفت الدنيا
وأنت بها فسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكد في نفسك مودتها فاقسي أنك
غافلة عن عقاب الله وتوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فأنت مؤمنة بالمرتقى للفرق بينك وبين محابك
أقترين أن من يدخل دار ملك يخرج من الجانب الآخر فمد بهر إلى وجهه ملبع يعلم أنه يستغرق ذلك
قلبه ثم يسطر لاهمالة إلى مفارقتها أهو معدود من الغلاء أم من الخلق . أما تملين أن الينا دارك
اللؤلؤ وما لك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب فأنك مفارقة فاعمل ما شئت فانك تجزي
به وعسى ما شئت فانك ميت ^(١) » . وحك يا نفس أملين أن كل من يلفظ إلى ملاذ الدنيا يؤانس
بها مع أن الموت من ورثه فأنما يستكبر من الحسرة عند الفراق فأنما يزعم من السم للهلك وهو لا يدري
أو ما تطيرين إلى الدين مضوا كيف بنوا وعلوهم ذهبوا أو خالوا وكيف أورش الله أرضهم وديارهم أعداهم
أما تترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤمنون مالا يدركون يعني كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانكس أعظم من
هذا يمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها خينا وخرب آخرته وهو سائر إليها قاطعا ، أما تستحيين يا نفس
من مساعدة هؤلاء الخلق على حماقتهم واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور وإنما تليلين
بالطبع إلى التشبه والافتداء قيسى عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بسفل هؤلاء التكئين على الدنيا
واقترى من القرعين بمن هو أسفل عندك إن كنت تتعدين في نفسك العقل والد كما بنفس ما يحب
أمرك وأهد جهلك وأظهر ظمئناك ، هيالك كيف تصمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس
أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تفكرين أن الجاه لامع إلا مائل القلوب من بعض
الناس إليك فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما ترفين أنه بعد خمسين سنة
لا تبقي أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسبأ في زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر
من ذكرك كما آتى على اللوك الذين كانوا من قبلك فهل خمس منهم من أحد أو تسع لهم ركزا
فكيف تبين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا
من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذهنت لك الرقاب وانتظمت لك الأبواب كيف يؤاي
إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فإن كنت يا نفس لا تتركين
الدنيا رغبة في الآخرة لجلوك وعسى بصيرتك فما لك لا تتركها ترفعا عن خسة شركائها وتزهاعن
كثرة عناها وتوقيا من سرعة فاتها أم مالك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهدت في كثيرها وما لك

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب فأنك مفارقة الحديث تقدم في العلم وغيره .

حلفت إذا وردوا
القيامة على أن أسفر لهم
عن وجهي وأيهمهم
رياض قدسي وهذه
أحوال قوم من المؤمنين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كأنهم من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الزهد وإذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق . قال الواسطي
في قوله تعالى وهبنا
إليك رب ترضى . قال
هوبا واستهانة بمن
وراه . قال هم أولاء
على أنرى . من شوقه
إلى مكالة الله ورعى
بالألواح لما فاته من
وقته . قال أبو عبيان
الشوق ثمرة الخيبة فمن
أحب الله اشتاق إلى

تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها وزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف الدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخصاء لها أجهلك وأخس همك وأستط رأيك إذا رغبت عن أن تكون في زمرة للقرابين من النبيين والصديقين في جوارب العالمين أبد الأبدين لتسكن في صف الصالح من جملة المحيي الجاهلين بأما قاتلها فاحسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري وعملك يا نفس قد أشرفت على الهلاك واقترب للوث وورد الذير فمن ذابلسي عنك بعد اللوث ومن ذا يصوم عنك بعد اللوث ومن ذا يترضى عنك ربك بعد اللوث . وعملك يا نفس مالك إلا أيام مدودة هي بشاعتك إن أبهرت فيها وقد ضيبت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما مضيت منها لكنت مفصرة في حق قصص فكيف إذا ضيبت البقية وأصررت على ما دلت . أما تلمين يا نفس أن اللوث موعذك والقبر بينك والقراب فراغك والودأ نيلك والقرع الأكبر بين يديك ، أما علمت يا نفس أن عسكر اللوث عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أخسهم كلهم بالإيمان للطفلة أنهم لا يرحون من مكاتهم مالم يأخذوك معهم ، أما تلمين يا نفس أنهم يمتنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليشتلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمنيته يوم من عمرك توبيع منهم بالدنيا عند ذهابها لا تشروه لو قدروا عليه وأنت تفرحين أيامك في الفقة والبطالة . وعملك يا نفس أما تستحيين تزئين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالمظالم أفستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق . وعملك أمو أهون الناظرين عليك أن أمربن الناس بالخير وأنت متلطفة بالذال تدعين إلى الله وأنت عنه قارة وتذكرين بالله وأنت له تاسية ، أما تلمين يا نفس أن للذنوب أنثى من العذرة وأن العذرة لا تظهر غيرها فلم تطمئنين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . وعملك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لطنت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بئؤمك . وعملك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا للإبل يس بقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا تحسبين بسلك وفيه من الآفات ما لو نجوت منمراسبرأس لكان الربح في يديك وكيف تحسبين بسلك مع كثرة خطاياك وزلك وقد لمن الله إليس بخطيئة واحدة بعد أن حده ما تقي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . وعملك يا نفس ما أغدرك وعملك يا نفس ما أوقعك وعملك يا نفس ما أجهلك وما أجزأك على النعاسي وعملك كم تمقدين تنفضين وعملك كم تمدين فتندوين وعملك يا نفس أشغلين مع هذه الخطايا بصارة دنياك كأنك غير مرتاحة عنها أما تنظيرين إلى أهل القبور كيف كانوا جميعا كثيرا وبؤا مشيدا وأملوا بيذا فأصبح جمعهم بورا وبنياتهم قبورا وأملهم غرورا وعملك يا نفس أما لك بهم مرة أمالك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخذلين هيات ساء ماتوهمين ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك قايي على وجه الأرض فصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراق أن تبدور سربك منحدرة إليك بسواد الأوان وكحل الوجوه وبشري بالعذاب قبل ينفك حيشد الندم أوقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والجبب كل الحبب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصرة والقطعة ومن فطنتك أنك تخرحين كل يوم زيادة مالك ولا تحزنين بقصان عمرك وما تقع مال يزيد وعمر ينقص . وعملك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبل عليك وتحيلين على الدنيا وهي ممرضة عنك ، فك من مستحيل يوما لا يستكمله وك من مؤمل لقد لايته فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قربين تحسرم عند اللوث ثم لاترجعين عن جهالتك فاحدري أينما النفس للسكنية يوما آلى الله فيه على شهه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجلبه سره وعلايته

لقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فإن أجل الله لآت - تحسرة للمشتاقين معناه أني أعلم أن عوقبك إلى غالب وأنا أجلت للقائك أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشاقون إليه وقال ذو النون: الشوق أطى الدراجات وأطى القمامات إذا بلغها الإنسان استبطأ اللوث شوقا إلى ربه ورجاه لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السالك في الحنين إلى رب يوقونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقون به ما بعد اللوث والله تعالى بكاشف أهل ودّه بطايبا يحذونها

فانظري يا هسي بأى يدن تخفين بين يدي الله وبأى لسان تخبين وأعدى للسؤال جواباً ولجواب صواباً واعلمي بنية عمرك في أيام قصار لأيام طوال وفي دار ذوالدار مقام وفي دار حزن ونسب لدار نعيم وخلود اعملى قبل أن لاتسمى اخرجى من الدنيا اختياراً خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطراب ولا تخرجى بما يساعدك من زهرات الدنيا قرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر بشمك ويغري ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حقه له في كتاب الله أنه من وتود الدار فليكن نظرك يا هسي إلى الدنيا اعتباراً وسعيك لها اضطراباً ورفضك لها اختياراً وطلبك للآخرة اجتداراً ولا تكون ممن يجوز عن فكر مألوف وينتني الزيادة فيا بى وينهى الناس ولا ينتهى واعلمى يا هسي أنه ليس للدين عوض ولا لإيمان بدل ولا لجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يساره وإن لم يسر فاستطى يا هسي يمله للوعظة واتبى هذه النصيحة فإن من أعرض عن للوعظة فقد رضى بالثأر وما أراك بها راضية ولا لهذه للوعظة واعية فإن كانت التساوية تمنحك عن قبول للوعظة فاستغنى عليها بدولم التجد والقيام فإن لم تزل فبالوالمطبة على الصيام فإن لم تزل فبقلة المأخاطة والكلام فإن لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام فإن لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقلل عليه وأنه قد تراكت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئ نفسك على النار قد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً فكل ميسر لما خلقه فما نرى فيك مجالاً لعظم فانقطى من نفسك والنقطة كبيرة من الكبائر فعوذ بالله من ذلك فلا تسبيل لك إلى التنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع السداد طرق الخير عليك فإن ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه النصيحة التي أتيت بها وهل تسمح عينك بدعوة رحمة منك على نفسك فإن صحت فاستغنى الصبح من بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبي على النجاة والبكاء واستغنى بأرحم الراحمين واشتغى إلى أكرم الأكرمين وأدنى الاستغاة ولا تملئ طول الشكاية لله لأن يرحم ضعفك ويثبتك فإن مصيبتك قد عظمت وبلبتك قد ضاقت وتعماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراح عنك الطل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستثاء ولا مهرب ولا منجأ ولا منجأ إلا إلى مولاه فافزعى إليه بالتضرع واخشى على قسرك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم للتضرع الدليل ويثبت الطالب للثبوت ويوجب دعوة للضطر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظاات ولم يكسر لك التوبيخ فالمطلوب منه كرم وللثول جواد وللستاث بر رءوف والرحمة واسعة والكرم قاض والفوضاامل وقولى يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا اللذنب الصرر أنا الجريء الذى لأقلع أنا للتأدى الذى لأستغى هذا مقام للتضرع للسكين والبائس الفقير والضعيف الحفيظ والمهاللة التريق فبجل إغاثنى وفرجى وأرئى آثار رحمتك وأدقنى برعدوك ومغفرتك وارزقنى قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قد قال وهب منى منى لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترحماً له فمعه فاطم الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو عزون كتيب كتبه منكس رأمه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذى أرى بك قال يا رب عظمت مصيبتى وأحاطت بى خطيئى وأخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار الفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكى على خطيئى فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم أسطقتك لنفسى وأحلتك دارى وخضمتك بكرامتى وحذرتك من غطى ألم أخلقك يديى وقذخت فيك

علما ويطلبونها فوقاً
فكذلك يكون عوقهم
ليصير لهم ذوقاً وليس
من ضرورته مقام الشوق
استبطاء الموت وربما
الأصحاء من المحبين
يتلذذون بالحياة لله
تعالى كما قال الجليل
رسوله عليه الصلاة
والسلام بل إن سألنى
ولسكن وعيالى وعاملى
له رب العالمين فمن
كانت حياته لله منحه
الكريم أنة للتناجاة
والهبة تستلنى عنه
من النقد ثم يكشفه من
النسج والمطايا فى الدنيا
ما يتحقق بمقام الشوق
من غير الشوق إلى
ما بعد الموت وأنكر
بضمهم مقام الشوق
وقال إنما يكون الشوق

من روحي وأسجدت لك ملائكتي فصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزني وجلالي
لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يبدوني ويسبحوني ثم عصوني لأنزلهم منازل العاصين فيكي آدم
عليه السلام عند ذلك ثلثة عام . وكان عبيد الله البجلي كثير الكلام يقول في بكاؤه طولاً لله : إلهي أنا
الذي كما طال عمرى زادت ذنوبي أنا الذي كما همت بترك خطيعة عرضت في شهوة أخرى وإعبيده
خطيعة في بقل وصاحبها في طلب أخرى وإعبيده إن كانت النار لك مقبلاً وماوى وإعبيده إن كانت
القارع لرأسك تهباً وإعبيده قضيت حوائج الطالبين وللحاجتك لا تحصى . وقال منصور بن عمار صحت
في بعض الليالي بالكوفة فبادبنا جبريل وهو حورقولي يارب وعزتك ما أردت بمصيتك عافيتك ولا عصيتك
إف عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا ليقوتك متعرض ولا لتفكر مستخف ولكن سولت في نفسي
وأعاني على ذلك حقوقي وغرتي سترك للرعي على قصيتك جهلي وخالفك بغلي فمن عذابك
الآن من يستغذي أو يجهل من أعصم إن قطعت حبلك عني وأسواته من الوقوف بين يديك غدا
بذاقيل للمخفين جوزوا وبقيل للمتقين أطول أمع الحزين أجوز أمع التقلين أطول كبريتك متى كثرت
ذنوبي ديل كما طال عمرى كثرت معاصي قال مني أوب ولى مني أعود أما أن لي أن أستحي من ربي
فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معابة قوسهم وإيما مطلبهم من التناجاة الاسترخاء ومقصدهم
من اللعابة التنبيه والاسترخاء فمن أهل اللعابة والتناجاة لم يكن لنفسه مراعياً وبرهش أن لا يكون
الله تعالى عنه راضياً والسلام . ثم كتاب الحاسبة والراقية . ويتلو كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

(كتاب التفكير)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع للنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لم يقدر لانهاء عزته تمحوا ولا قطرا ولم يجعل لراق أقدام الأوهام ومرمى سهام الأنفهام
إلى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في يدهاء كبريائه والهة حيرى كما اهترت لنيل
مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً وإذا همت بالانصراف آتية توديت من سرادقات الجلال صبراً
صبراً ثم قيل لها أجبلي في ذل المودية منك فكرا لأنك لو تشكرت في جلال الربوبية لم تهدري
له قدراً وإن طلبت وراء التفكير في صفاتك أمراً فانظري في نعم الله تعالى وإياديه كيف توالى عليك
تترى وجددي لكل نعمة منها ذكراً وشكراً وتأملي في محار القادر كيف فاضت على السالمين خيراً
وشراً ونقما وضراً وعسراً ويسراً وفوزاً وخسراً وجبراً وكسراً وملياً وتشراً وإيماناً وكفراً وعراقاً
ونكراً فإن جاوزت النظر في الأمثال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمبراً خاطرت بنفسك
بمجازاة حد طاقة البشر ظلاماً وجوراً فقد انبهرت بالقول دون مبادئ إشرافه وانقضت على أعقابها
اضطراباً وقهراً والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يمد سيادته غراً صلاة تبقى لنا في
عرصات القيامة عدة وذخراً وطى آله وأسماجه الذين أصبح كل واحد منهم في مقام الدين بدراً
ولطواف السالمين صدراً وسلم تسليماً كثيراً .

[أما بعد] فقد وردت السنة بأن « تشكر ساعة خير من عبادة سنة »^(١) وكذا الحديث في كتاب

(كتاب التفكير)

(١) حديث تشكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان في كتاب العظيمة من حديث أبي هريرة

القاب وبقي غيب
الحبيب عن الحبيب
حتى يشاق ولها شاق
الأنطاك عن الشوق
قال إنما يشاق إلى
القاب وما غبت عنه
منذ وجدته وإنكار
الشوق على الاطلاق
لا أرى له وجهاً لأن
رب العطايا وللنوح
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف ينكر الشوق
من الحب فهو غير غائب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجد ولكن
يكون مشتاقاً إلى ما لم
يجد من أنصبة القرب
فكيف يمنع حال
الشوق والأمور هكذا
ووجه آخر أن الانسان
لا يد له من أمور بردها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن التفكير هو مفتاح الأنوار وبدء الاحتباس وهو شبكة العلوم ومصيدة للعارف والقيوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده وعجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لئنه أم لفظة تستفاد منه فإن كان لفظة لما تلك الفكرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تتدروا قدره » وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك قالوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهما الترب أرباً يضاه نورها ويضاهيها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصوا الله طريقة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا؟ » وعن عطاء قال وانطلقت يوماً أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال قول رسول صلى الله عليه وسلم زرغباً تردد حيا قال ابن عمر فأخبرتنا بأحب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت وقالت كل أمره كان عجباً أنا في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال فذبحني أتبذل لرب عز وجل فقام إلى القربة فوضأ منها ثم قام يصلى فسكى حتى بل لحته ثم سجد حتى بل الأرض ثم انطجع على جنبه حتى أتى بلل يؤذنه بسلامة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ورحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أزل الله تعالى علي في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (٣) قيل

بلفظ ستين سنة بأسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في اللوضعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جداً ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة (١) حديث ابن عباس إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تتدروا قدره أبو نعيم في الحلية بالرفع منه بأسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في الترهيب والترغيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا الإسناد فيه نظر قلت فيه الزايع بن نافع متروك (٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله الحديث رويناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام (٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرتنا بأحب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تهم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الله بن أبي سليمان عن عطاء.

حكم الحال الموضع
بشرحه وطيخته
وعدم وتوفه على حد
الم الذي يقتضيه حكم
الحال ووجود هذه
الأمور مشير لثار الشوق
ولا نفس بالشوق إلا
مطالبة تنبث من
الباطن إلى الأولى
والأعلى من أفسدة
الترب وهذه المطالبة
كأثرة في الحبين بالشوق
إذن كائن لاوجه
لأنكاره وقد قال قوم
شوق للشاهدة واللقاء
أشد من شوق البعد
والقيومة فيكون في
حال القيومة مشتاقاً
إلى اللقاء ويكون في
حال اللقاء والشاهدة
مشتاقاً إلى زواجر
ومبائر من الحبيب

لأولاً زاعى ما غاية التفكير فمن قال يقرؤهن ويسلمن . وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم خدر بعد موت أبي ذر فسألها عن عادة أبي ذر فقالت كان يراه أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقيل لأبراهيم إنك تطيل التفكرة تقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفیان بن عيينة كثيراً ما يمثل بقول القائل :

إذا لمره كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لبيس بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطق ذكراً وصمته فكبراً ونظره عبرة فانه مثلى . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لتو ومن لم يكن سكوته تفكيراً فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لغو وفي قوله تعالى - أسألف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قال أمنع قلوبهم التفكير في أمرى . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من الباطنة فقالوا يا رسول الله وما حظها من الباطنة ؟ قال النظر في المصنف والتفكير فيه الاعتبار عند عبادي » (١) ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت : لو تطالعت قلوب للتئين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب القلب من خير الآخرة لكانت عيش ولم تهر لهم في الدنيا عين . وكان لثمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تدمر الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أهم للتفكير وطول التفكير دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : التفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل الباطنة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي ورأه ما كنا متفكرين أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشر بن عمر عن الناس في عظيمة الله ماصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح عبيث إذا جلس فتحن بكسائه فجعل يكي قتيلا فيك ؟ قال تفكرت في ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان التفكير في الدنيا حجاب عن الآخرة وغوية لأهل الولاية والتفكير في الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب . وقال حاتم من البصرة يزيد العلم ومن الله كر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والتدبر على الشر يدعو إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إنى لست أبذل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهو ما إذا كان همه هو الله وجلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل القتل لم يزالوا يمدون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فسطقت بالحكمة . وقال اسحاق بن خافق داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة فقرأ تفكرك في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويكي حتى وقع في دار جبار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريا نادى يمدني سيف وخن أن له لى فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شرت بذلك . وقال الجنيب أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع التفكرة في ميدان التوحيد والتفكير بنسيم للفرقة والتفكير بكأس الحب من بحر الوداد والنظر بحسن الظن له عز وجل ثم قال يا لهامان مجالس ما أجملها ومن شرابها ما أسطويع لمن رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من الباطنة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة لبنياد ضعيف .

وإضاهة وهذا هو الذى
أراه وأختاره . وقال
فارس : قلوب المشتاقين
منورة بنور الله فإذا
تحركت أضيأاً أشاء
النور ما بين للشرق
والغرب ليبرضهم الله
على اللبسكة فيقول
هؤلاء للشتاقون إلى
أشدكم أنى يا بسم
أشوق . وقال أبو يزيد :
لو أن الله حجب أهل
الجنة عن رؤيته
لاستأثروا من الجنة
كما يستغيث أهل النار
من النار . مثل ابن
عطية الله عن الفوق
تقال هو أحرأق الحشا
وتلعب القلوب وتقطع
الأكياد من البعد
بعد القرب . مثل
بشيم هل الشوق

وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجة من السرور والعزم في الرأي سلامة من التفریط والتندم والروي والفكر يكشفان عن الحزم والقطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصرة ففكر قبل أن تهم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تهم . وقال أيضا الفضائل أربع : إحداهما الحكمة وقوامها الفكرة . والثانية المفة وقوامها في الشهوة . والثالثة القوة وقوامها في الغضب . والرابعة العدل وقوامها في اعتدال القوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها ويان مجاريها .

(بيان حقيقة الفكر وعمره)

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار مرتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإثار من العاجلة فله طريقتان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإثار من الدنيا فيقلبه ويصدق من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيقبل بعمله إلى إثار الآخرة اعتقادا على مجرد قوله وهذا يسمى تخليدا ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأبقى أولى بالإثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المرتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإثار إلا بالمرتتين السابقتين فاحضار للمرتتين السابقتين في القلب لتتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكير فباعتبارات متراصة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي عتلة للماني وإن كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم السارم والهند والشفيف يوارى على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالسارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المرتين من حيث إنه يبرهنهما على معرفة ثالثة وإن لم يقع البور ولم يمكن إلا الوقوف على المرتين فينطلق عليه اسم التذكر لاسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فن ليس يطلب المعرفة الثالثة لاسم ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكر ، وفائدة التذكر كارتكار للمارف على القلب لترسخ ولا تسمى عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فيه ذاهو الفرق بين التذكر والتفكير والمارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة تاج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك تاج آخر وهكذا يتعاضد التتاج ويتعاضد العلوم ويتعاضد الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنسد طريق زيادة المارف بالموت أو بالوفاة . هذا لما يقدر على استباز العلوم ويهتدي إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس قائما بمنوا الزيادة في العلوم فقد هم رأس اللال وهو المارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون منه من المارف ماهو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإشباع الإزدواج لتضي إلى النتائج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستباز تارة تكون بنور اليأس في القلب يحصل بالقطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتأمل والممارسة وهو الأكثر ثم للتفكير قد تحضره هذه المارف وتحصل له الفكرة وهو لا يشمر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإبراد فكمن إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيرادها والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته إلا عن المرتين السابقتين وهو أن الأبقى أولى

أعلى أم الحبة ؟ قال
الحبة لأن الشروق
يتولد منها فلا مشتاق
إلا من قلبه الحب فالحب
أصل والشوق فرع
وقال النصر اباض :
لما خلق كلهم مقام
الشوق لا بقاء للاعتناق
ومن دخل في حال
الاعتناق هام فيه
حق لا يرى له أثر ولا
قرار . ومنها الأنس
وقد سئل الجنيدي عن
الأنس فقال : ارتفاع
الحصنة مع وجود
المهية . وسئل
ذو النون عن الأنس
فقال : هو انبساط
القلب إلى المحبوب قيل
معناه قول الخليل -
أرى كيف تحمي الوفاء -
وقول موسى - أرى

بالإشارة وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإشارة مرجع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة . وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرة الخاصة العلم لاغير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر ، فالتفكير إذن هو لبدا ولتنتاح لخبرات كلها وهذا هو الذي يكتشفك عن قضية التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن التفكير ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فاذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تحسب ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذي ينقل من السكاهة إلى المحاب ومن الرغبة والحرض إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتحوي ولذلك قال تعالى - لمعلم يتقون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تظم كنية تثير الحال بالفكر فثلاثة مآذركه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يبرئنا من الآخرة أولى بالإشارة فإذا رست هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهدي في الدنيا وهذا ما اعتناه بالحال إذا كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب المآلة والميل إليها والذمرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغباته ثم تغيرت إرادته أعمال الجوارح في طراح الدنيا والآمال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار المرتين في القلب ، وثانيها التفكير وهو طلب المعرفة للصورة منهما . والثالثة حصول المعرفة للطلو واستنارة القلب بها ، والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضي بها للوضع قصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتمتض الأعضاء للعمل فكذلك زاد نور المعرفة هو التفكير فيجمع بين المرتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا عضويا كما يضرب الحجر على الحديد ضربة عضويا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد وتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تمتض الأعضاء للعمل بتمتض حال القلب كما يتمتض المآزر عن العمل بسبب الظلة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره ، فاذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والمالومات لأنها يلهو والأحوال التي تتصور أن تتقلب في القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفسكو وجاريه وأنها فياذا يفكر لم يتقدر عليه لأن جاري الفكر غير محصورة وعمراته غير متناهية ، نعم نحن نتحدث في ضبط جاريه بالاشارة إلى مساهمة العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان حصل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالتحصيل بعضها فأنها مشتقة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على جاري الفكر .

(بيان جاري الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وإما جاريه فأنما يتعلق بالدين فنلتزم القسم الآخر ونعني بالدين العامالة التي بين المبدؤين الرب تعالى لجميع أفكار العبد إيمان أن تتعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمبدؤ وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبعد إيمان أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيها هو مكروه ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى وإما أن يكون في أفعاله وملكوته وملكوته وجميع مافي السموات والأرض وما بينهما ويكتشف

أنظر إليه وأند

لروبه

شفت قلبه بماديك فلا

ينفك طول الحياة

عن فكر

آسقى منك بالواد قد

أوحشني من جميع

ذا البشر

ذكرك لي مؤنس

يمارضني

يوعدني هناك منك

بالفكر

وحينا سكنت

يامدى همي

فأنت من موضع النظر

دروى أن مطرف

ابن الشيخ كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنسك بالله

واشغاك إليه فان

له عبادا استأنسوا

بالله وكانوا في حديثهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام مثال وهو أن حال السائرین إلى الله تعالى وللتأتين إلى لقائه يضاهي حال العاشق فلنتخذ العاشق للسهر مثالا ، فتقول : العاشق المستغرق في المحبة يشبه ما يدور في فكره من أن يتعلق بمشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فلما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته لیتتم بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أفضاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته لیتكون ذلك مضعا لذته ومقويات لهجة وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقط من عين محبوه حتى يترى عنها أرقى الصفات التي تحبه منه وتحبه إليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فلذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه مقاما لغيره فحجب الله تعالى بيبني أن يكون كذلك فلا يبدو نظره وتفكره محبوه وبمهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلنبدا بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفضاله فله تميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق به العامة الذي هو القصور وهذا الكتاب وأما القسم الآخر فينطق به للكشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاملات وإلى باطن كالصفات النجيات والمهلكات التي عملها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاملات تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالقرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكروهات التفكر في ثلاثة أمور : الأول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فربما لا يظهر كونه مكروها بل يدركه بتدقيق النظر . والثاني التفكير في أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قاربه فيأمن من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الأقسام فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاری الفكر في هذه الأقسام على ما اتفقا البصير في الفكر إلى جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الأقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاملات والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثلا ليقیس به المرید سائر ما هو يفتتح به باب الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصي] يبني أن يغشى الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لحسية بها فيتركها أو لا بسببها بالأسس فيتداركها بآثاره والتدبر أو هو متعرض لها في نهارة فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في الإنسان ويقول إنه متعرض للفتنة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالناس والمارة والمأزح والحق والخوض فيا لا يسي إلى غير ذلك من المكروهات فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على هذه العذاب فيها ثم يتفكر في أحوال الله أن كيف تعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالزلة والافتراء وأن لا يجالس إلا صالحا متقيا يسر عليه مهما تسلك بما يكرهه الله والإقضي حرجا في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا لله فيكفذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في ممة أنه يسعى إلى التمسك بالكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسعه من زيد وعمرو وأنه يبني أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالهوى عن التفكير فمهما كان ذلك في تفكر في جلته أنه إنما يسعى إلى الله تعالى في بال كل والشرع بإيا بكثرة ألا كل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإماما بكل الحرام والشبهة فينظر من أين معلمه ومبليه ومسكبه ومكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخلته ثم

أعد استئناسا من الناس في كثرتهم وأوحى ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكونون الناس أوحى ما يكونون . قال الواسطي : لا يصل إلى عمل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها . وقال أبو الحسين الوراق : لا يكون الأنس بالله إلا ومعه التعظيم لأن كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه . [الله تعالى فانك لا تزايد به أنسا إلا ازددت منه هبة وتعظيما . قالت رابعة : كل مطيع مستأنس وأنشدت : ولقد جعلت في القواد حدى

يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام وينتقل على نفسه أن العبادات كلها ضامة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه حرام (١) كالورد الجرب به فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهم يحصل بالتفكير حقيقة المعرفة بهذه الأحوال لاشتغال بالمرآة طول النهار حتى يخطأ أعضاؤه [وأما النوع الثاني وهو الطاعات] فينظر أولاً في القرائن المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر قصصها بكثرة التوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها بما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبدة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتطير في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أشغل العين بعبادة القرآن والسنة فلم لأفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع بين التمتع فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بين الازدراء فأزجره بذلك عن مصيئته فلم لأفعله وكذلك يقول في حصة إني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة ذكر لئالي أعطه وقدما لله تعالى به وأودعيه لأشكره فما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيه وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إني قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالوسائل عن أحوال القراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح ومحرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة لها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أصدق بالمال الفلان فاني مستغن عنه وسما احتجت إليه رزقي الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الأثار أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وعلماؤه وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه وقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بديق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرضى في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يتركها بمحله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات الهلكتية التي أهلها القلب] فيمرقها بما ذكرناه في ربيع الهلكتات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والفتنة والفرور وغير ذلك ويتقدم من قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه مفرغ عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستعداد بالعلامات عليه فان النفس أبداً تعد بالحير من نفسها وتختلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن تجرب بمحمل حزمة حطبت في السقو كما كان الأولون يجربون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض لضرب ناله من غيره ثم يجرب بالي كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في إنه له هو موصوف بالصفة الكبرية ثم لاو ذلك علامات ذكرناها في ربيع للهلكتات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تنبئ تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والفتنة وخيب الله خيالها من غيرتها بالعدل فيتفكر ويقول إنما عمل بيدي وجارحتي وقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلى وأنا هو من خلق الله وفضله على فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرر لأعضائي قدرتي وكل ذلك قدرتي وإرادتي فكيف أحجب بسمي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في شدة بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكمن من كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى برفع عن الكبر وكمن من مسلم يموت شقياً

وأجبت جسمي من
أراد جلوس .
فالجسم مني للجائس
مؤانس
وعيبب قلبي في القواد
أنسي
وقال مالك بن دينار:
من لم يأنس بعبادة
الله من عبادة الخارقين
تقد قل عليه وعسى
قلبه وضيع عمره .
قيل لبعضهم من معك
في البار قال الله تعالى
معي ولا يستوحش من
أنس بره . وقال
الحرّاز: الأنس عبادة
الأرواح مع المحبوب
في مجالس القرب .
وصنف بعض العارفين
صفة أهل الحبسة
الواصين فقال: نجد
لهم الوعد في كل طرفة

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم .

بشير حاله عند اللوت بسوء الحاقمة فاذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحاقمة فيتشكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعامل أفعالاً للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تشكر في أن هذه صفة اليهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقوع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات لللائكة كامل والقدرة ولما انصف به اليهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان باليهائم أغيه وعن اللائكة القريبين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتبع له طريق التذكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب [وأما النوع الرابع وهو للتبقيات] فهو التوبة والتعم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهدة في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فلنتذكر المبداً كل يوم في قلبه ما الذي يوزنه من هذه الصفات التي هي للقرية إلى الله تعالى فاذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يشرها إلا علوم وأن العلوم لا يشرها إلا أنكارها فاذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والتسليم فليفتش ذنوبه أولاً وليتذكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لقتل الله تعالى حتى يثبت له حال الندم وإذا أراد أن يستعين من قلبه حال الشكر فليفتش في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرسائه جميل ستره عليه في ما شرحتنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتذكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليفتش في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في اللوت وسكراته ثم فيها يمد من سؤال المنكر وسكبر وعذاب القبر وحياته وعقابه ويداع ثم في هول النداء عند تقعة الصور ثم في هول المحشر عند جميع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب وللضائقة في التقير والقطمير ثم في الصراط وقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى التهلكة فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى التبيين فينزل دار القرار ثم ليحضر بسوء أحوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الأربانية للوكلائ بها وأنهم كلما نصبت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد جمعوا لها تنيظاً وفزيراً وهم جراً إلى جميع ماورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليفتش في الجنة ونعيمها وأشجارها وأثمارها وحورها وولدها ونعيمها التيم وملسها اليهائم فكذلك طريق التذكر الذي يطلب به العلوم التي تشر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر جماعه فلا يوجد فيه أشنع من قراءة القرآن بالتفكير فانه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزرع عن سائر الصفات للذنوب فينبغي أن يقرأه البصير ويرد الآية التي هو محتاج إلى التفكير فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة قراءة آية بتفكير وفهم خير من ختمه بنير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسراراً لا تنصير ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتي جوامع الكلم ^(١) وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

بدوام الاتصال وآوام
في صكفه بمحقق
السكون إليه حق
أنت قلوبهم وحت
أرواحهم شوقاً وكان
الحب والشوق منهم
إشارة من الحق إليهم
عن حقيقة التوحيد
وهو الوجود بالله
فذهبت مناهم واضطمت
آمالهم عنده لما بان
منه لهم ولو أن الحق
تعالى أمر جميع الأنبياء
يسألون لهم من أسألوه
بعض ما أعد لهم من
قديم وحدانيته ودوام
أزليته وسابق عله
وكان نصيبهم معرفته
به وفراغ همهم عليه
واجتماع أهوائهم فيه
فصار بمحمد من
عبيده العموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم تقدم.

العالم حق التأمل لم يقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت في تلك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت وعمل ما شئت فانك مجزي به» (١) فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة جبن لاسترقبوا حال ذلك بينهم وبين التفتت إلى الدنيا بالكيفية فهذا هو طريق الفكر في علوم اللامعة وصفات البصير حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة وللبتديء يبنى أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يصير قلبه بالأخلاق المحمودة وللقامات الشريفة ويبرزه باطنه وظاهره عن اللسار. ولعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية للطلب بل للشغور به محبوب عن مطلب الصديقين وهو التمتع بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفتى عن همه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق بالمهم بالمحبوب كالماضي للشيء عندنا الحبيب فانه لا يفرغ لظفر في أحوال نفسه وأوصافها بل يثق كالموتى الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة الشاق . فأما ما ذكرناه فهو تفكير في عمارة الباطن ليسلح القرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه حتى يتمم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقية الحسين بن منصور وقال لم أنت قال أدور في البوادي أصاح حالي في التوكل فقال الحسين أذيت محرمك في عمران باطنك فأبى القناني التوحيد فالتقاء في الواحد الحق هو غاية تصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين. وأما التزهد عن الصفات للهلكات فيجري مجرى الخروج عن الله في النكاح. وأما الانساف بالصفات للنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى بهيمة المرأة جهزها وتظفها وجهها ومشعلها شرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرة الرمح وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب، فكذا يبنى أن نهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالسيد السود لا يحرك إلا خوفا من الضرب وطعنا في الأجرة فتدرك وإتمام البدن بالأعمال الظاهرة فان يترك وبين القلب حجابا كثيرا فاذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للرجال أقوام آخرون وإذا غرقت جمال الفكر في علوم اللامعة التي بين اليد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك ودينتك صباحا ومساء فلا تنفل عن نفسك وعن صفاتك للجنة من الله تعالى وأحوالك للقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل مرید فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات للهلكات وجملة الصفات للنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتفي من للهلكات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والراء والحسد وعدة التضب وشرة الطعام وشرة الوفاق وجب للمال وجب الجاه . ومن النجيات عشرة : التدم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الجوف والرجاء بوازع هدى الديناء والإخلاص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرة خصلة شجرة مدمومة وعشرة عمود نموا كني من المنموعات واحدة فيخط عليها في جريدته ويضع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتزبه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكفه إلى نفسه لم يقدر على نحو أثل الرذائل عن نفسه فيقبل على القسمة الباقية وهكذا يشغل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالانساف بالنجيات ، فاذا انصف بواحدة منها كالطوبة والتدم مثلا خط عليها واشغل بالباقي ، وهذا يحتاج إليه المرید للمشم .

(١) حديث إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحبيب تهم غير مرة

دفع عن قلوبهم جميع
المحوم . وأنشد في

منه :

كانت قلبي أهواء
مفرقة

فاستجتمت إذا راك
النفس أهوائي

ضار يحسدني من
كنت أحسده

وصرت مولى الوري
مصدرت مولائي

تركت للناس ديام
وديمهم

علا بد كرك ياديني
ودبائي

وعد يكون من الأنس
الأنس بطاعة الله

وذكره وتلاوة كلامه
وسائر أبواب القربات

وهذا القدر من الأنس
نفسه من الله تعالى

ومنعة منه ولكن

وأما أكثر الناس من اللدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم للمصطفى الناهرة كآكل
 الشبيرة وإطلاق اللسان بالنسبة والثناء والثناء على النفس والافراط في معاداة الأعداء وموالاة
 الأولياء وللداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يحد نفسه من
 وجوه الصالحين لا يفتك عن جملة من هذه المصطفى في جوارحه وما لم يظهر الجوارح عن الأثم لا يمكن
 الاشتغال بمصادرة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يطلب عليهم نوع من النصبة فينبغي أن يكون
 تقدم لها وتضخم فيها لئلا يعاصيهم بمنزلة عنها. مثاله العالم الورع فإنه لا يخفى طالب الأمر عن إظهار
 نفسه بالمع والطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة
 لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب
 والخيلاء والزين والتصنع وذلك من اللهكات وإن رد كلامه لم يخل من غيظ وأثرة وحقد على من
 يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من
 حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد شرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على ما لم آخره فمغرور
 وضمة الشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستكفاف في الرأى والأعراض لم يخل
 عن تكلف وتصنع لتحسين القفط والأياد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب التكلفين والشيطان
 قد يلبس عليه ويقول إما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه
 القلب إعلاء لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على
 واحد من أقرانه فهو مغرور وإما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما
 اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للورع له العتد لفضله أكثر احتراما
 ويكون بقلبه أشد فرحا واستبشارا بمن يخلو في موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة فربما
 ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتفادوا ضاير النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره
 وإن كان يعلم أنه متغنى بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات للهكات المستكففة في سر
 القلب التي قد يظن أن العالم النجاة مهيأ وهو مغرور فيها وإما يتكشف ذلك بهذه العلامات فتنته العالم
 عظيمة وهو إماما لك وإماما لك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب
 عليه العزلة والافتراد وطلب الجحود والمدافعة للفتاوى مما سئل فقد كان المسجد يعجى في زمن الصحابة
 رضى الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون
 الفتوى وكل من كان يخفى كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقوى شيطان الإنسان إذا قالوا
 لا ضل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الحق وليلقى لهم إدين الإسلام مستغن
 عنى فإنه قد كان معمورا قبل وكذلك يكون بعدى ولومت لم تنههم أركان الإسلام فإن الدين مستغن
 عنى وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبي ، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم غيالا يدل على غاية
 الجبل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرأية
 والعلو يحلهم على كسر القيود وهم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم
 لا يندرس مادام الشيطان يحب إلى الخلق الرأية والشيطان لا يفتن عن عمله إلى يوم القيامة بل يفتن
 لتسر العلم أتوهم لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين
 بأقوام لا خلاق لهم» (١) «وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) فلا ينبغي أن يتر العالم بهذه
 التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترق في قلبه حب الجاه والثناء والتسليم فإن ذلك بذر التفات

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين
 بالرجل الفاجر تقدم أيضا في العلم :

ليس هو حال الأنس
 الذي يكون للجبين
 والأنس حال شريف
 يكون عند طهارة
 الباطن ولكنه يصدق
 الزهد وكال التقوى
 وقطع الأسباب
 والعلاقات وهو الخواطر
 والمواجس ومقتنه
 عندى كنس الوجود
 بجل لأفع العظمة
 وانتشار الروح في
 ميادين التسويع وله
 استقلال بنفسه يشتمل
 على القاب فيجمعه به
 عن الهية وفي الهية
 اجتماع الروح وروبه
 إلى عمل النفس وهذا
 الذي وصفناه من
 أنس اللغات وهية
 اللغات يكون في مقام
 البقاء بعد العبور على

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه واللباب يثبت النفاق في القلب كإثبات الماء بالقل (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذبيان ضاربان أرسلا في زريبة فتم بأكثر إفسادهما من حب الجاه واللباب في دين الرء للعلم (٢) » ولا يقطع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والحرب من مخالطهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التفتن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التي فأما أمثالا فينبغي أن يكون تذكركنا فيها يقوى إيماننا بيوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون قالوا قطعا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب لما أعمروا الأعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجس شيئا طلبه وقد علمنا أن الحرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في القرائن منها فلم يحصل لنا من عمرة العلم إلا أنه يقتضى بنا الحرس على الله بنوا التكالب عليها ويقال لو كان هذا ملموما لكان انتفاء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالقوم إدامتنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تذكركنا فتسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا وبروقنا للثوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا للتم علينا بهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم العالمة فإن فرغوا منها انقطع التفاهم عن أعضهم وارتفعوا إليها إلى التفكير في جلال الله وعظمته والتمتع بمشاهدته بين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الاتصاف من جميع الهلكات والاصناف بجميع النجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا مع لولا مكدر مقطوعا وكان ضييفا كالبرق الحافظ لا يثبت ولا يدوم ويكون كالماء الذي خلا بمشوقته ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تنفذ غمرة بعد أخرى تنفض عليه لغة للشاهدة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات للذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوعات وفي الزيد زبد ألم لضيق على لبغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر البديق صفات نفسه المجهو يقول الكر وهه عند رب تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ، وفيه مقامان اللقار الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أحواله وهذا مما منع منه حيث قيل تذكروا في خلق الله تعالى ولا تذكروا في ذات الله وذلك لأن العقول تحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة إلى جلال الله تعالى كمال بصر الخفافى بالإضافة إلى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يخفى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في شية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كمال الإنسان في النظر إلى الشمس فانه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوله ومضى على بصره لو أدام النظر ونظرة المختطف إليها يورث العمى ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدعش واضطراب القل فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لا تحتمل بل التدرج اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن السكان ومنزه عن الأقطار والجهاث وأنه ليس داخل العالم ولا خارجا ولا هو متصل بالمالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول ألوام حتى أنكروه إذ لم يطبقوا إسماعه ومعرفته بل ضغبت طائفة من احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يتعاطى ويتعالى عن أن يكون رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسا مشخضا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمته فله وجلاله حتى قال بعض الحكماء من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف إلا لله لظن للسكان أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يثبت النفاق في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذبيان جاحقان أرسلوا في زريبة فتم بأكثر إفسادهما من حب الجاه واللباب في دين الرء للعلم .

مهر القناء وهما غير
الأنس والهيبة الذين
يتعجبان بوجود القناء
لأن الهيبة والأنس
قبل القناء ظهرا من
مطالعة الصفات من
الجلال والجلال وذلك
مقام الثوبين وما ذكرناه
بعد القناء في مقام
التحسين والبقاء من
مطالعة الذات ومن
الأنس خضوع النفس
للطمشة ومن الهيبة
خشوعها والخضوع
والخشوع يتقاربان
ويفرقان بقرق لطيف
يذكر بلعامة الروح
ومنها القرب قال الله
تعالى لئني عليه الصلاة
والسلام - واسجد
واقرب - وقد ورد
« أقرب ما يكون البعد

والمنظمة في هذه الأعضاء. وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم المنظمة فيه ، ثم غاية أن يقدر شبه جليل الصورة جالسا على سر يرمو بين يديه غلمان يتناون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم المنظمة بل لو كان للذئب عقل وقيل له ليس خالتك جناح ولا يد ولا رجل ولا له طير أن لا تسكر ذلك وقال كيف يكون خالتي أخص مني أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون لي آفة وقدره لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الإنسان لجهول غلظوم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادى بصفائى فنكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى التفكير فيه لكننا نعدل إلى المقام الثانى وهو النظر فى أفعاله وعجائرى قدره وهجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلالة وكبرائه وتقدمه وتعالى وتعدل على كمال علمه وحكمته وعلى غنا مشيئته وقدرته فينتظر إلى صفاته من آثار صفاته فإننا لانطبق النظر إلى صفاته كما أنا نطبق النظر إلى الأرض مهما استتارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور التمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر فى نفس المؤثر وجميع وجودات الدنيا من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاظمة أشد من العلم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته اليوم بنفسه كأن قولم نور الأجسام بنور الشمس للشيئة بنفسها ومنها انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع شئ ما حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة ينض قليل من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأنفال واسطة تشاهد فيها صفات القاعل ولا نرى بأنوار الذات ببدان باعدتها عنها بواسطة الأنفال فهذا سر قوله ﷺ «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله تعالى» .

(بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فضل الله وخلق وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وخرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لكد البحر قيل أن ينفد عشر عشره ولكننا نشير إلى جل مننه ليكون ذلك كالثقل لما عداه . فتقول للوجودات الخافضة منقسمة إلى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وكمن للوجودات التى لانصلها كما قال الله تعالى «وخلقنا خلقا متفكرين» سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يحيطون - وقال - وننشك فيا لا تعلمون - وإلى ما يعرف أصلها وحيلها ولا يعرف غصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما ذكرناه بحس البصر وإلى مالا ندركه بالبصر أما الذى لا ندركه بالبصر فكل ما لا تتكلموا به والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك وعجائب التفكير في هذه الأشياء مما يضيق ويغص فلا نعدل إلى الأترب إلى الأنفام وهي للدرجات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكونها ومحسها وقربها وحركتها ودوراتها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومادناتها وأنهارها وبحارها وحجراتها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدركة بشيئها وأمطارها وتلوجها ورعدها وبرقها وصورها وشبهها وأوصافها فيها فهذه الأجناس للشاهد من السموات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينقسم كل قسم

من ربه في سجوده »
فالساجد إذا أدبى علم
السجود يقرب لأنه
يسجد ويطوى
بسجوده بساط الكون
ما كان وما يكون
ويسجد على طرف
رداء المنظمة يقرب.
قال بعضهم إن لأجد
الحضور فأقول بأفقه
أو يارب فأجد ذلك
على أفضل من الجبال
قبل ولم قال لأن النداء
يكون من وراء حجاب
وهل رأيت جليسا
ينادى جليسه وإنما
هي إشارات وملاحظات
ومناظرة وملاحظات
وهذا الذى وصفه مقام
عزى متحقق فيه
القرب ولكنه مشعر
بمحمود ومؤذن بفسر

إلى أصناف ولا نهاية لانتساب ذلك وإشامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك مجال الفكر فلا تحرك ذرة في السموات والأرض من جاد ولا نبات ولا حيوان ولا
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وحكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك
شاهد لله تعالى بالوحدة والوحدانية ودال على جلالة وكبريائه وهي الآيات الباهرة عليه ، وقد ورد القرآن بالبحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره ، فلنذكر كيفية الفكر
في بعض الآيات ، فإن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى ماتت في الأعمار في الوتوف على عشر وعشرين أو ثمانين سنة ، فيا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بما كيف تطعم في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال - كل الإنسان
مأا كفرة من أمي شيء خلقه ، من نطفة خلقه قدرة ، ثم السيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا نراه
أشره - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتشرون سوفال تعالى سلم
يك نطفة من ممي يعني ثم كان علة خلق فسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقنا من نطفة فإذا هو خسيم بين - وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علة والمعلقة مشغولة للصفة عظاما
فقال تعالى - وقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة - الآية ، فتكرّر ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع فقط ويترك الفكر في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قد تلوّن تركت ساعة ليضربها المواد قد تدت وأنتت كيف أخرجها
ربّ الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألف والحرية في قلوبهم وكيف
قدم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الواقع وكيف
استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق للولود من النطفة وسقاء بهاء
الحيض وغذاء حتى يماروا بكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاء مشرقة علة حمراء ثم كيف جعلها
مضفة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار والاعمال
ثم كيف ركب من العروق والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشفق السمع والبصر
والأنف والتم وسانر اللسان ثم مد اليد والرجل وقسم رءوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأظفار ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب والعدة والكبد والطحال والرئة والرحم ولثانة والأمعاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة وقدت طبقة
منها أو زالت سفة من صفاتها تطلعت العين عن الإسار فلو ذهبنا إلى أن نصف ما في أحاديث هذه الأعضاء
من العجائب والآيات لا تحصى في الأعمار فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها
من نطفة سخيقة رقيقة ثم جعلها قواما لبدن وعمادا له ثم فدرها بتقارير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه مشير وكبير وطويل ومستدير وجوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا
إلى الحركة جملة بدنه وبعض أعضائه مفتقرا لتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاسل حتى تيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاسلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وأمسته بالعظم

يكون ذلك لمن جابت
نفسه في نور روحه
ثقلية سكره وقوة هوى
فأذا صاها وأفاق تخلص
الروح من النش
والنفس من الروح
وبعد كل من البدن
إلى محله ومقامه فيقول
يا الله وأرب يسان
النفس الطمئة العائنة
لى مقام حاجتها وهل
عيسوديتها والروح
تستقل فتوحا وبكال
الحال عن الأنوال
وهذا أم وأقرب من /
الأول لأنه وفي حق
القرب باستقلال الروح
بالتفوق وأقام رسم
العبيودية بهود حكم
النفس إلى محل الاختار
وحظ القرب لإزالة

الآخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرًا غائصة فيه مؤابقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها ضار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتمتع عليه ولولا للفواصل لتغيرت عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقدر كبرها من خمسة وخمسين عظاما مخلقة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه لها ستة نخس القصف وأربعة عشر لحي الأعلی واثان لحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبة للرأس وركبها من سبع خرزات عجوبات مستديرات فيها تحركات وزيادات وقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خروزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء عتلة فيصير به من أسفله عظم المصمى وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكف وعظام اليدين وعظام المانة وعظام العجز وعظام الخنجر والساقين وأصابع الرجلين ، فلانطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظاما سوى العظام الصغيرة التي حتى بها خلل الفواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة صغيرة دقيقة وليس للتعود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء والشروحون وإنما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخلقتها أنه كيف قدرها وديرها وخالف بين أشكالها وأقدارها خصصا بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان عتاج إلى قلمه ولو قص منها واحدا لكان قصانا يحتاج إلى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات خلق خلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسما وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأعشية ، وهي مختلفة القادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفائها لو قصت واحدة من جعلها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصص وقدر مخصص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول ، فلفكر بحال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب للعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته قرى بمن العجائب والسمعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة قرى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها وقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقتها ومبايعها فلانظرن أن ذرة من ملكوت السموات تفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأحسن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لاسبية لجميع مافي الأرض إلى عجائب السموات ولقد قال تعالى - أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغشى ليلاها وأخرج ضحاها - فارجع الآن إلى النطفة فو تأمل حالها أولا وماصارت إليه ثانيا وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانسى على أن يخلقوا النطفة صما وبصر أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو خلقوا فيها عظاما أو عروفا أو عصبان أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقه ببدن أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى صورة

بشوف نصيب الروح
باقامة رسم البودية
من النفس . وقال
الجنيد إن الله تعالى
خسرب من قلوب
عباده على حسب
ما يرى من قرب قلوب
عباده منه فانظر ماذا
يقرب من قلبك .
وقال أبو إسحق
السوسي مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن
قريبا حتى يقبض عن
رؤية القرب بالقرب
فلذا ذهب عن رؤية
القرب بالقرب فذلك
قرب وقد قال فاعلم :
قد تحققت في الله
ر ففانجلك لسان
لاجمعنا لسان
واتقنا لسان

إنسان مصور على حائط تأتق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها كأنه إنسان عظيم تصبجك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده ونعم فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصيغ واللقم واليد والحائط وبالتدقيق باليد والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فعله الجمع بين الصيغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تصبجك منه وتستعظمه وأنت ترى النقطة القنطرة كانت معدومة غلقها في الأصلاب والتراب ثم أخرجهما منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزائها للتشابه إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وبطنها ورب عروقتها وأصابعها وجعلها مجرى لثديها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها حمية بصيرة عالة ناطقة وخلق لها الظهر أساساً ليدنها والبطن حاوي الآلات غذائها والرأس جامعاً لحواسها فتحت العينين وربط طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم سماها بالأفجان لتسترها وتحفظها وتصلها وتدفع الأقداء عنها ثم أظهر في مقدار عسنة منها صورة السموات مع اتساع أكتافها وتباعد أطرافها فهو ينظر إليها ثم غش أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ سمها ويدفع المومام عنها ومحوطها بصدقة الأذن لتجمع الصوت قترده إلى صاخبها ولتحمي بديب المومام إليها وجعل فيها مخزجات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصد ما دأب في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وقصص منجربه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامعه وأغذيت وليستنشق بمنفذ للتخزين روح الهواء غذاء قلبه وترويحاً لحرارة بطنه وقصص القدم وأودعها اللسان ناطقاً وترجماناً ومعرباً عما في القلب وزين القدم بالأسنان لتكون آلة العطب والكسر والقطع فأحكم أسومها وحدد ردوسها ويض لونها ورب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر للتلطوم وخلق الثنيتين وحسن لونها وحكها لتتطيق على القدم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام وخلق المنجرة وهما الخارج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في عارجل مختلفة تختلف بها الحروف لتيسر بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الخناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والحسونة وللالة وصلابة الجوهر ورواوتها والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقاً حتى يميز السامع بين الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ وزين الوجه بالحب والجلجين وزين الحاجب بقعة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطية وسخر كل واحد قفل مخصوص فسخر للمعدة لتفجج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والراة والكلى لخدمة الكبد فالطحال يجمعها يجمع السواد عنها وللراة لخدمة الكلى يجمع الصفراء عنها والكلى تخدمها يجمع اللآية عنها وللثانة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والوروق تخدم الكبد في إرسال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولها لتند إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع ثلاث أمامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطلوا بدقيق الضكر وجهاً آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من هذا الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدموا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبقاً يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن غيبك الله
عظيم عن لحظ عياني
فقد صيرك الوجه
يد من الأحشاء داني
قال ذو النون ما زادني
أحد من الله قرابة إلا
ازداد هيبة . وقال
سهل أدنى مقام من
مقامات القرب الحياء
وقال الصرا باذي
بأبواب السنة تال
للسرقه وبأداء
الرائض تال القرية
والمواظبة على التوابع
تال الهبة . ومنها
الحياه والحياه على
الوصف السام والوصف
الحاص فأما الوصف
الحاص فما أمر برسول
الله صلى الله عليه وسلم
في قوله «استحيوا من
الله حتى الحياه قالوا

ضما غير تام كانت معرفة له وإن بسطها وضم أحاسنها كانت معرفة له ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنازل ومهادا لها من ورائها حتى لا تتقطع وليلقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تلتاؤها الأنازل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يتم أحد مقامه في حرك بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحرك حتى تمتد إليه ولو في النوم والشفقة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يثر على موضع الحرك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الطعام والنشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى للصورة ولا آتته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يسمى آتته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يصرف فيه فسيماته ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تعلم رحمة فانه لما اتق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تنكس وتمحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للتغذ كانه قائل بصير بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى الطعام الذي ثم لما كان بدنه ضعيفا لا يعتمد الأضدية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين القرت والقم سائحا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما ثم الصبي ثم فتح في حلة الثدي قنبا ضيفا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد اللبس تدريجيا فان الطفل لا يطبق منه إلا القليل ثم كيف هداه للاقتصار حتى يستخرج من ذلك الضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورائته كيف أخر خلق الإنسان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتنذى إلا باللبن فيستغنى عن السن وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأثبت له الأسنان عند الحاجة لاقبلها ولا يبدعها فسيماته كيف أخرج تلك المظام الصلبة في تلك الآثات اللينة ثم خلق قلوب الوالدين عليه لقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والقل والمهادية تدريجيا حتى بلغ وتكامل فصار مرافقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كفورا أو شكورا مطيعا وأعاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه ميمعا يصيرا إنا هدىناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة فهربك عجائب الحضرة الربانية العجب كل العجب بمن يرى خطأ حسنا أو نقشا حسنا على حافظ فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكير في النقاش والخطا وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذره وما أكل سنته وأحسن قدره ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يفكر عن صانعه ومصوره فلا تدعته عظمتة ولا يحيره جلالة وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدئك التي لا يمكن استغناؤها فهو أقرب مجال تفكيرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول بطنك وفركك لا تصرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجتمع وتضرب فتقاتل والبهائم كلها تتشارك في معرفة ذلك وإنما خاصة الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأشياء إذ بها يدخل العيد في زمرة للامتلاك للترين ويحصر في زمرة التبيين والصدقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه الزمرة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير إذ لا قدرة

إننا نستحي برسول الله
قل ليس ذلك ولكن
من استعيا من الله
حق الجلاء فليحفظ
الراس وماوى والطن
رماحوى وليد كرلوت
والبلوى ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا فمن
فضل ذلك قد استعيا
من الله حق الجلاء
وهذا الجلاء من
القمامات وأما الجلاء
الحاس فمن الأحوال
وهو ما قل عن عثمان
رضى الله عنه أنه قال إنى
لأقتل في البيت للظلم
فأنطوى حياء من
الله . أخرنا أبو زرعة
عن ابن خلف عن
أبي عبد الرحمن قال
سمعت أبا العباس
البنسدادى يقول
سمعت أحمد السقطي

للبية على ذلك وأما هو قد خلق الله له القدرة ثم عطاها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وإذا عرفت طريق الفكر في تحسك فذكر في الأرض التي هي متركبة ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياتها أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وسجلها ذلولا فتصوّفنا فيها وسجلها قارة لاتتحرك وأرسي فيها الجبال أوتادها لتحميها من أن تدمر ثم وسع أكنافها حتى يحجز الأديون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى - واليهاب ينهاها بأبد وإننا رسومون والأرض فرشناها نعم للهاديون - وقال تعالى هو الله جل لكرم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه المزج من ذكر الأرض لينفكر في عجائبها فظهرها مقر للأشياء وبطنها مرقع للأموث قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا - فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأخضرت وأنبئت بمحافظ النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جواب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع الياهتها فصر العيون وأسفل الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الجبارة اليابسة ومن التراب الكدر ما يرقع بقاعد إصافيا لا لاجل به كل شيء حتى فأخرج به فروع الأشجار والنبات من حب وعشب وقصب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لانحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأراسيع بفضل بفضها على بسن في الأكل تسقي بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في التوبة نخلة مطوقة بتقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل شبة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وقش ظاهرها وباطنها قراها تباركها بامتشاجها فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعم وورع ولون وشكل بخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافع وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافع للأنعام ثم النباتات بفنائه وهذا أقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في المدافع السفر من أحماق العروق وهذا يستعمل إلى الصغار وهذا يجمع البهائم والسموم وهذا يستعمل إليها وهذا يصني اللحم وهذا يستعمل دما وهذا يفرج وهذا يؤوم وهذا يقوى وهذا يصفى فترتبت من الأرض ورقة ولائمة لا أول ولا منافع لا يقوى البئر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات محتاج القلاح في تربيته إلى عمل مخصوص فالتخلل وتؤثر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والذفل ويصن ذلك يستنبت بيت البئر في الأرض ويصن بفسر الأصناف ويصن يركب في الشجر ولو أودنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله ومجاليها لاحتقت الأيام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس بقية يسيرة تلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات [ومن آياته الجواهر الودعة تحت الجبال والماندة الحاصلة من الأرض] ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروز والياقوت وغيرها وبضها منطقة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والبرص والحديد وبضها لا يتطبع كالفيروز والياقوت والحلج وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتفتيتها وتخاذ الأواني والآلات والتقود والحلي منها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والغاز وغيرها وأقبل للبح ولا يحتاج إلى التلطيظ الطعام ولو خلعت عنه بهة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأرض سبعة بجورها حيث يجتمع فيها الماء الصافي من الطر فيستعمل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناوله متقال منه

ابن صالح يقول
محمد بن يحدون يقول
سمعت أبا اللباس
يقول لك إن الحياه
والأنس يطوفان
القلب فإذا وجداه
الزهد والورع حطوا
والإرجس والحياه
أطراق الروح إسلاها
لعظم الجلال والأنس
التذاذذ الروح يحال
الجمال فإذا اجتمعا
فهو التافيه للنو الهياه
في الغطاء وأنشد
شيخ الأسلام :
أشتاقه فإذا بدا
أطرق من إحلاله
لاخفيه بل عيه
وساينه لجلاله
الوت في إدباره
والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته فيتها عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثاً ولا لعباً ولا هزل بل خلق السلك بالحق كائين على وجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه وقلقه قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا حيناً واحداً خلقناهما إلا بالحق . ومن آياته أصناف الحيوانات : وأقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي وانقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات ثم أقسامها في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجايب ما لا تشك معه في عظمة خلقها وقدره وقدرها وحكمه معورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقاة والخفايا والنحلة أو العنكبوت وهي من صنائر الحيوانات في بنائها بيتها وفرجها غذاءها وفي إلقائها زوجها وفي إدارتها لنفسها وفي حفظها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نهدر على ذلك قريح العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بقدر ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخط بين طرفيه ثم يبتنى - ويبنى العنكبوت الذي هو خطه على جانب لينصق به ثم يندو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يردد ثانياً وثالثاً ويحبل بعد ما ينشأ متعاباً تاتياً هندسياً حتى إذا حكمه قد القبط وربط الخيوط كالسدى اشتغل باللمعة يضع اللحمة على السدى ويضيف بضه إلى بعض ويحكم المقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويحبل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بدأ إلى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زوايق من حائط أو صل على طرف الزاوية فيحيط ثم علق نفسه فيها بغير خط آخر ويبنى منسكاً في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه وأخذته ولف خيطه على رجله وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجايب ما لا يحصى أتري أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون نفسه أو كونه آدمى أو لعله أو لاهدي له ولا علم أن في شئ ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل القليل العظيم فضله الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب صنعه لقاطره الحكيم وخالقه القادر السليم فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق للذبح ورجاله وكما قدرته وحكمته ما تتعجب فيه الألباب والبقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا يحصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنهم أكثر التعجب للماض ، فم إذا رأى حيواناً غريباً ولودوداً تعجب تعجبه وقال سبحان الله ما عجب ولا شأن أعجب الحيوانات وليس تعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألقاها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً لحماؤها وكان لهم في ظلمهم وإفاسهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وموانا لأقدامهم وجعل آياتها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زيتاً لركوب وحشها حاملة للأثقال قاطعة للوادي وللغارات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا لاجل عيظ جميع منافعها سابق على خلقه إياها سبحانه من الأمور مكشوفة في علمه من غير تخشع ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استبانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيد فناء الخلق إلا الأذقان القهرة وقدرته والاعتراف برؤيته والارتداد بالجزع عن معرفه بجلاله وعظمته فمن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما يغمر القضا الاعتراف بالجزع عن

وأصد عنه إذا بدا وأروم طيف خياله قال بعض الحكماء من تكلم في الحياة ولا يستحي من الله فيها يشك به فهو مستدرج . وقال ذو النون: الحياة وجود الحياة في القلب مع حشمة ما سبى منك إلى ربك . وقال ابن عطاء . العلم الأكبر الحياة والحياة فإذا ذهب عنه الحياة والحياة فلا خير فيه . وقال أبو سليمان : إن البعاد محموا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتسليم والحياة وأشرهم منزلة من يحبل على الحياة لما أيقن أن الله تعالى يراه على كل حال

مدرسته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بنه وراحمته . ومن آياته البحار العميقة المكتشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكتشف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم « الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض » (١) « فانسب اصطبل إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها تأمل الآن عجائب البحار فإن عجائب ما فيها من الحيوان والجواهر أصناف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن صنفاً من سعة الأرض ولعلم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فظن أنها جزرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالتيار إذا اشتعلت فتتحرك وسلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو زرع أو إنسان إلا وفي البحر أمثاله وأصنافه وفيه جناس لا يسبغها نظير في البر وقد ذكرت أو صافيتها في عجائبها وجميعها أقوام عنوا ركوب البحر وجميع عجائبها لم أنظر كيف خلق الله الأولو ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أبت للرجان من صم الصنوبر تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ماعده من العنبر وأصناف النفاس التي يذنها البحر وتستخرج منه ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرها في البحار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتعمل أنفاله ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف للإنسان موارد الرياح ومهاجها ومواقيتها ولا يستقصي على الجملة عجائب صنع الله في البحر في عجائب ما أعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشفوع بالأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والانصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج البعد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزان الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزان الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من آدمي فكيف يستعظم الدينار والدرهم وتفاصيل الجواهر وبفضل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستغفار عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فبها تمتع للفكر وعجائب كل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة فاطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنماتها فائلة لكل ذي لب أماراتي وترى صورتي وتري صفاتي ومنافسي واختلاف حالتي وكثرة فوائدتي أنظن أني كوني قسي أو خلقني أحد من جنس أو ما استحي أن تنظر في كلمة مر قومة من ثلاثة أحرف فقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية للرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بعمل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطقة لأرباب السمع والقلب لا الذين هم من السمع معزولون وهم في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الجف في الوقت الذي يظهر الخطيط والتصوير على وجهي فينشق النقاش حدائق وأجفاني وجهي وخدي وشفتي فترى النقوش يظهر شيئاً فشيئاً على التدرج ولا ترى داخل النطقة قهاها ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خير منها للألم ولا لأرباب النطقة ولا للرحم إنما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده بنقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتملته فهل تقدر على أن تعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطقة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامة للنطقة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنة
أكثر مما استحيا
العاصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : الغالب
على قلوب المستحيين
الاجلال والتمظيم دائماً
عند نظر الله إليهم .
ومنها الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكشفات القلوب
وشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
السهول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يجد
البعد غير خافه
ولا يصل بسره خاطر .
لتسیر صانعه . وقال .
سهل بن صيد الله
حركوا بالباله فتعركوا
ولو سكنوا الصلوا .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لامن داخل ولا من خارج فان كنت لاتعجب من هذه العجائب ولا تعجب بها أن الذي صور
وقش وقدر لانظيره ولا يساويه قاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين
القائلين من اللبابة والتباعد ما بين القائلين فان كنت لاتعجب من هذا تعجب من عدم تعجبك فانه
أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبين مع هذا البيان
جدير بأن تعجب منه فسيحان من هدى وأضل وأغوى وأرعد وأشق وأسد وتشمع صائر أعجابه
فما هدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلاؤه الخلق
والأمر والامتنان والفضل والعلف والتهر لاراد لحكمه ولامقرب لقضائه ومن آياته الهواء اللطيف
المحبوس بين مقر السماء ومعدب الأرض [لا يدرك بحس القس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى
بالعين فضه وجلته مثل البحر الواحد والطور حلقه في جو السماء ومسبقة صباحه فيه بأجنحتها
كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج
البحر فإذا حرك الله الهواء وجهه ريحاها فأن شاء جعله ثراين يدي رحمته كما قال سبحانه - وأرسلنا
الرياح لواقع - فيصل يحركه روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستدلقها وإن شاء جعله عذابا
على العصاة من خليقته كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر نزع من الناس
أنهم أعجاز نخل منقعر - ثم انظر إلى لطيف الهواء ثم شدته وقوته مهما منطفي للآاء فأتق للنفوخ
يتعامل عليه الرجل التوى ليمسه في الماء فيجبر عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيسب فيه
فانظر كيف يتفيض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه
الماء وكذلك كل جوف فيه هواء لا ينفوس في الماء لأن الهواء يتفيض عن القوس في الماء فلا ينصل
عن السطح الداخل من السفينة تفتي السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معاقلة في الهواء اللطيف
كأنه يقع في بحر فيمتلق بذيل رجل توى تمتنع عن الهوى في البر ف لسفينة يغمورها تشبث بأذيال
الهواء التوى حتى تمتنع من الهوى والقوس في الماء فسيحان من خلق الركب الثقيل في الهواء اللطيف
من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من التروم والرعد والبرق
والأمطار والكوج والشهب والمواعق فمى عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة
ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عين - وهذا هو الذي يبينها وأشار إلى
تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى - والسمحاب السخر بين السماء والأرض - وحيد - ثم عرض للبرق
والبرق والسمحاب والطر فإذا لم يكن لك حظ من هذا لجة إلا أن ترى المطر بينك وتسمع الرعد بأذنك
فالبهمة تشاركك في هذه اللرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم اللاأأهي لقد فحت عينيك
فأدركت ظاهرها فقمض عينك الظاهرة وانظر بعصرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وثرائب
أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه إلا ما طمع في استقصائه فأتمل السمحاب الكثيف الظلم كيف
ترام يجتمع في جو صاف لاكدورة فيه وكيف يخلفه الله تعالى إذ انشأه ومق شاد وهو مع رخاوته شامل
لعماء الثقيل ويمسك له في جو السماء إلا أن أذن الله في إرسال الماء وتطيع القطرات كل قطرة بالقدر
الذي أراد الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه ترى السمحاب يرش للماء على الأرض ويرسله قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تصل واحدة بأخرى بل تترك كل واحدة في الطريق الذي رسم
لها لاتصل عنه فلا يتقدم للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسبب الأرض قطرة قطرة فلا اجتماع الأولون
والآخرون على أن يخلدوا منها قطرة أو يعرفوا عسدها ينزل منها في بهة واحدة وأقرب واحدة
لحجر حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي : العمال أربعة
ثائب وزاهد ومشتاق
وواصل فالثائب
محبوب بتوحيه
والزاهد محبوب بزهده
وللمشتاق محبوب
بماله والواصل لا يحبه
من الحق شيء وقال
أبو سعيد القرشي :
الواصل الذي يسهله الله
فلا يحس عليه القطع
أبدا ولتصل الذي
يجهده يمتل وكلا دنا
اقطع وكان هذا
الذي ذكره حال
الريد والراد لكون
أحبدها مبادأ
بالكتشوف وكون
الآخر مردودا إلى
الاجتهاد . وقال
أبو زيد : الواصلون
في ثلاثة أحرف مهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والوداب مكتوب في تلك القطرة غط إلى لا يدرك بالبصر الظاهر إنما رزق البصر العالائي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطفها في الوقت القلاني هذا مع ما في اعتقاد البرد الصلب من الماء الغاطي وفي تآثر التلوج كالمثل للندوف من السحاب التي تخص كل ذلك فمثل من الجبال القادريه من الحلال الظاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا يدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكنا والخضوع تحت جلاله وعظمته للإمامين المجاهدين إلا الجهل بكيفيته ورجم القنون بذكر سببه وعلة فيقول الجاهل القنور إنما ينزل الماء لأنه ثقل بطبعه وإما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة اكتشفها وخرج بها ولو قيل له مامعنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه القتل وما الذي رقى للماء السبوب في أسفل الشجر إلى أعلى الأغصان وهو ثقل بطبعه فكيف هو إلى أسفل ثم راض إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فينذي كل جزء من كل ورقة ويجري إليها في تجاويف عروق شجرة صفار يروى عنه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للمعدوي طول الورقة عروق صفار فكان الكبير نهروما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشر منها خطوط عكسوية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تتوسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة لفيذيا وينبها وزيتها وتبني طرقاتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء القوا كالأن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك يجذب جاذبا الذي سخر ذلك الجاذب وإن كان يقبى بالأخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار لللك ولللكوت فلم لا يحال عليهم أول الأمر فتهايه الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجايب السموات قد مداته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والماء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأسمفر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والجموم في كتابه فإمن سورة الأناشتل على تفسيها في مواضع ومن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والهاء ذات البروج والهاء والطارق والهاء ذات الحلب والهاء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها - وكقوله تعالى - فلا تأمن بالحنس الجوار الكنس - وقوله تعالى - والجم إذا هوى - فلا تأمن بواقع الجموم وإن قسم لوتلون عظيم - فقد علمت أن عجايب النطفة النفرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أمسك الله بها ما ظنكم بما أقسم الله تعالى به وأحال الرزاق عليه وأماها إلى بقال تعالى وفي الساجد رزقكم وما توعدون - وأنى على للتفكرين فيه قال - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته ^(١) - أي تجاوزها من غير تفكر ودم الرضين عنها قال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومن أعياها ممرضون - فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السابوه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يباع الكتاب أجله وذلك ساء الله تعالى محفوظا فقال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وبينا قوتكم سبعا شدادا - وقال - أنتم أشد خلقا أم السماء شاهارفع محكمافسواها فانظر إلى اللكوت ترى عجايب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى اللكوت بأن تعد البصر إلى قري زرة السماء وضوء الكواكب وتضرعها فإن البأ

(۱) حدیث و بیلگن قرا هله الایه ۛم مسح بها سبیلته ای قوله تعالی - ویشکرون فی خلق السموات والأرض - ۛقلم .

لَهُ وَهَنَهُمْ فِي اللَّهِ .
وَرَجَعَهُمْ إِلَى اللَّهِ .
وَقَالَ الْبَارِي: الْوُصُولُ
قَامَ جَلِيلٌ وَذَلِكَ
أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ
عَبْدًا أَنْ يُوَصِّلَهُ
اِخْتَصَرَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ
وَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْبَيْدَ .
وَقَالَ الْبَيْدُ: الْوَاصِلُ
هُوَ الْخَاصِلُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَقَالَ رُبُّهُ أَهْلُ
الْوُصُولِ أَوْسَلُ اللَّهِ
إِلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ فَفَهِمُوا
عُظُوفُ الشَّيْءِ
مَنْعُوعُونَ مِنَ الْخَلْقِ
أَبَدًا . وَقَالَ ذُو النُّونِ
مَارِجٌ مِنْ رَجْعٍ إِلَى
مِنْ الطَّرِيقِ وَمَا وَصَلَ
إِلَيْهِ أَحَدٌ فَرَجَعَ عَنْهُ .
وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَاقَ
وَالْوَالِصَةَ أَشَارَ إِلَيْهِ
الشُّيُوعُ وَكُلٌّ مِنْ

تشارك في هذا النظر فإن كان هذا هو الراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن عبر عن الملك والشهادة وما ظاب عن الأبصار فعبّر عنه باليب والملكوت والله تعالى عالم اليب ولا يظهر على غيبة أحد إلا من ارتقى من رسول فأجل أيها العاقل ففكر في الملكوت ففسر فتح لك أبواب السماء فتجول قبلك في أنظارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فتدرك ما يرجي لك أن تبلغ رتبة عمر من الحجاب برضى الله عنه حيث قال : رأى قلبي ربي . وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء للكتف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكوا كلها ثم الكسرى ثم العرش ثم الملكة الذين هم حملة العرش ووزان السموات ثم نه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكسرى والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبين هذه الفلاوق المنظمة والنسائات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقا حتك وتدعى معرفتك وتقول قد عرفته ويعرف خلقه فقيا ذا أنشكر وإلى ماذا أنطاع فأرض الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها وغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير ثور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعاً في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطورها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة المقر وبعضها على صورة الجمل والثور والأمد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة متبقة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب سير آخر سفرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف الواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الغداه على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباساً والنوم سباتاً والنهار معاشاً وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إماتته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف إذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت قريبا بينهما اعتدل الزمان وهجأب السموات لامطعم في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق التفكير واعتقد على طريق الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا وفيه تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعد وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعد وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا غدر آدمي على أن يدركها ويدور بجوارها وقد افتق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثون مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها ^(١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون منهم من يجد الله بطريق الأنفال وهو رتبة في التجلي فينفي ضله وطل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التمييز والاختيار وهذه رتبة الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لمقام القضاء مشتملاً على باطنه أنوار اليقين وللشاهدة مشياً في

(١) الحديث الدال على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « في نار الله الحامية لولا ما زعمها من أمر الله لأهلكك

التي تراها أسفرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وهذا تعرف ارتضاعها وبهذا إذ لم يد صارت ترى صفاراً ولذلك أعار الله تعالى إلى بعدها فقال - رفع سمكها فسواها - وفي الأخبار أن ما بين كل مياه إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام^(١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضعافاً فانتظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مكرورة فيها وإلى عظامها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لتعجب بحركتها فضلاً عن أن تدرك سرعتها لكن لا تفك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طواع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة قد قدر الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس قال لا نعم قال كيف تقول لانهم قال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس خمسمائة عام^(٢)» فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة القاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أركانها في حدة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتتجسس عينك نحوها ترى جميعها بهذه السماء بظلمتها وكثرة كواكبها لاتنظر إليها بل انتظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى تراه موزواً بالصبيح عموها بالذهب فلا تقطع تصيبك منه ولا تزال قد كرهت وصف حسنه طول حركه وأنت أبداً تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى حوائطه وإلى عجايب أمتته وغراب حيواناته ونباتاته فهو هم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الأرض التي هي أخص أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انشرد بيناه وترميه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت بطنك وفركك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تأكل بطناك ولا تفكر على أن تأكل عشر مائة كلة هيمه تشكون الهيمه فوقك بشئ درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بألسنتهم بين يديك ويسمرون خبائث الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إليك فلا يملكون لك ولا لأقربهم فمما ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا القصور وغفلت عن النظر في جلال السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال ملك السموات والملك وما ملكك ومثل عتلك إلا كتل النمل يخرج من جحرها إلى حفرة في قصر مشيد من قصور الملك ربيع البنيان حين الأركان مزينة بالجواهر واللؤلؤ وأنواع الدخائر ماطى الأرض ولطيران في الكثير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالتلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقت^(٣) حديث بين كل مساء إلى مساء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال يروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصره عن أبي ذر ورواه قتات إلا أنه لا يعرف لأبي نصره صانع من أبي ذر^(٤) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لانهم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجده أصلاً .

شهوده عن وجوده
وهذا غريب من
تجلى للعلات لحواص
القرين وهذا للقيام
ربة في الوصول ونوق
هكذا حق اليقين
ويكون من ذلك في
الدنيا الخواص لم وهو
سريان نور الشاهدة
في كلية البعد حتى
يغطي به روحه وقلبه
وشبه حتى قابله وهذا
من أطول رتب الوصول
فأدخفت الحقائق يعلم
البعد مع هذه الأحوال
الشرقة أنه بعد في
أول التزل في الوصول
هيئات منازل طريق
الوصول لا قطع أبد
الآباد في عمر الأخرة
الأبدى فكيف في العمر
التصير الدنيوي ومنها

والنفائس فانها إذا خرجت من جحرها ولبيت صاحبها لم تحدث لو قدرت على التطق لإعانيتها وغنائها وكيفية إدخارها فأما حال القصر ولللك الذي في القصر فهي بمنزلة عن التفكير فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن حسيها وغنائها وبينها إلى غيره وكما غفلت الغلة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن مكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه الغلة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه الغلة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للغلة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجايب قصرك ويداع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في السموات وتعرف من عجايبها ما الخلق غافلون عنه ولتضيض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال لا آخر له ولو استمعنا أعمارا طويلا لم ندر على شرح ما مضى الله تعالى علينا بمرقبته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفة جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفته للملائكة القربون كإسرافيل وجبريل وغيرهم من جميع علوم الملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جسمهم فقال - وما أو تيمم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معافدا للجل التي تجول فيها فكر التفكيرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لاهل معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثرت من معرفة عجب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تعظم علما بسبب معرفتك بعله فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى إن كل كلمة من كلامه وكل بيت عجب من أبيات شعره يزيدك علما من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يشأه أبدا وإنما لكل عبد منها بقدر ما رزق ، فلنقتصر على ما ذكرناه ولننصف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرننا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرننا فيه من حيث إنه فضل الله قطوكل ما نظرننا فيه فان الطبيعي يظنر فيه ويكون نظره سبب ضلالة وشقاوته وللوفيق يظنر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يصل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ، فمن نظرن في هذه الأمور من حيث إنها فضل الله تعالى ومنه استفاد منه للفرقة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظرن فيها قصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لامن حيث ارتباطها بسبب الأسباب قد شقي وارتدى فخذى بالله من الضلال ، ونسأله أن يجنبنا ملة أقدم الجبال بينه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

(تم الكتاب التاسع من ربيع للتجليات والحمد لله وحده وصلى على محمد وآله وسلامه)
يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جميع الهدى بوان بحمد الله تعالى وكرمه .

القبض والبسط وما
حالات شريفان قال الله
تعالى - والله قبض
ويبسط - وقد تكلم
فيها الشيوخ وأشاروا
إشارات هي علامات
القبض والبسط ولم
أجد مكشفا عن
حقيقتها إلا أنها كنفوا
بالأشارة والأشارة
تفتح الأهل وأحببت
أن أشبع الكلام فيها
له يشوق إلى ذلك
طالب ويجب بسط
القول فيه والله أعلم .
واعلم أن القبض
والبسط لهما موسم
معلوم ووقت محتم
لا يكونان قبضا ولا
يكونان بسطا ووقتهما
وموصفاهما في أوائل حال
الحاجة الخاصة لا في نهايتها

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للنجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

ولأجل حال الحية
الخامسة فمن هو
في مقام الحبة العا-
لثانية حكم الإحسان
لا يكون له نفس ولا
بسط وإنما يكون له
خوف ورجاء وقد يجد
شبه حال البسط ونفسه
حال البسط وظن
ذلك أيضا وبسطا
وليس هو ذلك وإنما
هو "م" يترته فظنه
قبضا واعتزاز حسا
ونشاط طبيعي نظمه
بسطا والمم والنشاط
يصدران من محل
النفس ومن جوهرها
لبقاء صفاتها وبما دامت
صفة الأمانة فيها جنة
على النفس يكون منها
الاعتزاز والنشاط والمم
وهو ساجور النفس

[أما بعد] فبدر من اللوت مصرعة، والقرباصجوة، والدودأنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقائمة معدة، والجنة والنار مورد، أن لا يكون في فكر إلا في اللوت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا له، ولا تطلع إلا إليه، ولا صريح إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار وترسب إلاه، وحقيق بأن يعد نفسه من اللوت وبها في أحباب القبور، فإن كل ما هو آت قريب والييد مائس يأت، وقد قال صلى الله عليه وسلم «الكي من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»⁽¹⁾، ولن ييسر الاستعداد لأشئ إلا عند تجديد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالأصنام إلى المذكراته والنظر في للنبات عليه ونحن نذكر من أمهات ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقائمة والجنة والنار ما لا يدلي به من تذكره في التكرار وملازمته بالافكار والاستيعار، ليكون ذلك مستحاضا في الاستعداد فقد قرب لما بعد اللوت الرحيل لما بقي من العمر الأقليل والحقاق عنه غافلون - اقرب الناس حسابه وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالوت في شطرين :

(الشرط الأول في مقدماته وتوابعه إلى صفحة الصور ، وفيه ثمانية أبواب :)

الباب الأول في فضل ذكر اللوت والترتيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأبد وقصره . الباب الثالث في سكرات لوت وعده وما يستحب من الأحوال عند اللوت . الباب الرابع في وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المختصين من الخلفاء والأمراء والصالحين . الباب السادس في الأقوال المأثورة على الجنائز ولقائهم وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة اللوت وما يقابله ليل في القبر إلى شدة الصور . الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكشوفة في الليل .

(کتاب ذکر اللوت وما بعدہ)

(١) حديث الكيس من دأب نفسه وعمل لما بعد الموت تهنم غير مرة .

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن التحرك في الدنيا للسكبي على غرورها الهب شهواتها ينفل قلبه لبعاطة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكرها بكروه وهر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم - قل إن الموت الذي ترون منه فانه ملائكم ثم تردون إلى عالم العيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إمامتهم وإماتان مبتدئ أوعارف منه أما التهلك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويستغل بعذته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بدا ، وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبش به من قلبه الحروف والحسية فيجرب تمام التوبة وربما يكره الموت خوفا من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الراد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » (١) فان هذا ليس يكره الموت لقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتصغيره وهو كالميت يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للاقائه على وجه رمضان فلا يدركها لقاءه ، وعلمة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا يشتغل له سواء بالإلتفات بالتهكم في الدنيا وأما المعارف فانه يذكر الموت دائما لأنه موعده للاقائه لحبيه والهيب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستطبي « جى » للموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ويقتل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء من فاقة لأفزع من ندم الأمم إن كنت تعلم أن القدر أحب إلى من التني والسم أحب إلى من السمعة والموت أحب إلى من العيش فهل على الموت حتى أتاك ، فاذن التائب معذوري كراهة الموت وهذا معذوري حب الموت وتجنبه وأولى منها رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى صار لا يخاف نفسه وموت ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولا فلهذا قد انتهى غرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو النايب والمنتهى ، وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفصل فان التهلك أيضا يستفيد بذكر الموت التجاني عن الدنيا إذ ينش عليه نعيمه ويكدر عليه صفوائه وكل ما يكدر على الإنسان الذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(بيان فضل ذكر الموت كيما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر هادم اللذات » (٢) معناه نقصوا بذكره اللذات حتى يقطع ركونكم إليها فقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلم البهائم من الموت ما علم ابن آدم ما كلف منها ميتا » (٣) وقالت عائشة رضى الله عنها « يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم واليلة عشرين مرة » (٤) « وأما حب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجاني عن دار الفرور ويتقاضى الاستعداد للأخرة والتفلة عن الموت تدعو إلى الاتهام في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن الموت » (٥) « وأما حال هذا

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثروا من ذكر هادم اللذات الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لو تعلم البهائم من الموت ما علم ابن آدم ما كلف منها ميتا البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجنيبة وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم واليلة عشرين مرة (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم من حديث عبدالله بن عمر مرسل بسند حسن .

والشياط ارتضاع موج النفس عند تلاطم هجر الطبع فاذا ارتقى من حال الهبة العامة إلى أوائل الهبة الخاصة يصير ذاهل وذا قلب وذا نفس لوانة وينشأوب التقيض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الايقان وحال الهبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطي يقبض صلاك ويبسطك فيها له وقال النوري يقبضك بآلاك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود التقيض لظهور صفة النفس وغلبيتها وظهور البسط لظهور صفة القاب وغلبته

لأن الدنيا سجن للؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مفاضة نفسه ورياضة شهبوه ومدانة شيطانه فانوث إطلاقه من هذا المذاب والاطلاق تحمة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «اللوث كفارة لكل مسلم» (١) «وأراد بهذا التسليم حقاً للؤمن صدقاً الذي يسلم للسكون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق للؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالاعم والصغار فالوثة يطهره منها ويكفر بها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته انفراداً . قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس قد استعمل فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم يذكر مكر الذنات قالوا وما مكر الذنات قال اللوث» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثر ما ذكر اللوث فاته بمص الذنوب وزهد في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كني بالوثة مفرقة» (٤) «وقال عليه السلام «كني بالوثة واعظاً» (٥) . «وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال: اذكروا اللوث أما الذي تسمى يده لو تملكون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيكم كثيراً» (٦) «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه ، فقال: كيف ذكر صاحبك للوثة قالوا ما كنا نكاد نسلمه يذكر اللوث قال فان صاحبك ليس هناك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم طائر عشرة قال رجل من الأنصار من أكرس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال: أكثرهم ذكر الموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكرس» (٨) «وما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح اللوث الدنيا فلم يترك له لب فرحاً . وقال الربيع ابن خثيم ما غالب ينظره للؤمن خيراً له من اللوث وكان يقول لا تشعروا بآحادنا سوى إلى ربنا سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : أخى أحذر اللوث في هذه الباري أن يصير إلى دار ترضى فيها اللوث فلا تجده . وكان ابن مبرين إذا ذكر عنده اللوث مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فينتدوا كرون اللوث والقيامه والآخره ثم يكون حقاً أن يديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئاً قطعاً عن قنة الدنيا ذكر اللوث والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب (١) حديث اللوث كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ من حديث أنس قال ابن العربي في سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقة في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم يجلس قد استلذه الضحك فقال شوبوا مجلسكم يذكر مكر الذنات الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث هكذا مرسلًا وروىناه في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثر ما من ذكر اللوث فاته بمص الذنوب وزهد في الدنيا ابن أبي الدنيا في اللوث باستاذ ضعيف جد (٤) حديث كني بالوثة مفرقة الحديث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الرواصة من رواية أبي عبد الرحمن الحلي مرسلًا (٥) حديث كني بالوثة واعظاً الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض روى له البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا اللوث الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث من حديث ابن عمر باستاذ ضعيف (٧) حديث ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبك للموت الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن مغول قد كره بلافا بزيادة فيه (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم طائر عشرة قال رجل من الأنصار من أكرس الناس الحديث ابن ماجه مختصراً وابن أبي الدنيا بكاه باستاذ جيد .

والنفس مادامت لامة
قارة مغلوقة وتارة
غالبية والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب تحت
حجاب نوراني لوجود
قلبه كما أن صاحب
النفس تحت حجاب
ظلماني لوجود نفسه
فاذا ارتقى من القلب
وخرج من حجاب
لاقيده الحال ولا
يتصرف فيه فيخرج
من تصرف التبعيض
والبسط حيثك فلا
قبض ولا يبسط مادام
متخلصاً من الوجود
النوراني الذي هو القلب
ومتحققاً بالقرب من
غير حجاب النفس
والقلب فاذا طاه إلى

من عرف اللوت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقد مطرف رأيت فباري النائم كان قائلاً يقول
في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر اللوت قلوب الخلقين فوالله ما رام إلا الوالحين . وقال أشعث كتنا
ندخل على الحسن فأخبرنا هو النار وأمر الآخرة وذكر اللوت . وقالت منيرة رضي الله تعالى عنها إن امرأة
اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها فتساور قلبها فقالت أكرهى ذكر اللوت يرق قلبك فقلت فرق
قلبك فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر اللوت عنده يقطر جبهه
دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر اللوت والقيامة يبكي حتى تتخلل أوصاله فإذا ذكر الرحمن رحمت
إليه حسه . وقال الحسن . ما رأيت قاطلاً قط إلا أحيته من اللوت حذراً وعليه حزناً وقال عمر بن
عبد العزيز لبعض العلماء عظمى فقال ألسنت أول خليفة تموت قال رضى قال ليس من آباءك أحد إلى
آدم إلا ذاق اللوت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً في داره
فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر اللوت وكان يقول لو فارقت ذكر اللوت قلبي ساعة
واحدة لقدسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا اللوت قد نصص على أهل النسيم فيصمم
فاطلبوا نمياً لا موت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لمنسبة أكثر ذكر اللوت فإن كنت واسع العيش
مضيعة عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان الداراني قلت لأبي هرون :
أعجبين للوت ؟ قالت لا ، قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدمياً ما انتهيت لقائه فكيف أحب لقائه وقد عصيت
(بيان الطريق في تحقيق ذكر اللوت في القلب)

اعلم أن اللوت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لغة فحرم فيه ذكرهم فهو من يله كره ليس
بذكره قلب فارغ بل قلب مشغول بهيمة الدنيا فلا ينجع ذكر اللوت في قلبه بالطريق فيه أن يفرغ
البعد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر اللوت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفاضة عنطرة
أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا في هذا بأمر ذكر اللوت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يزل
فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأصبح طريق فيه أن يكثر ذكر أحواله وأقرانه الذين مضوا قبله
فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف حال التراب
الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزائهم في قبورهم وكيف أرموا لنساءهم وأيتامهم وأولادهم وضيقوا
أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجاسمهم وأنشطت آثارهم فهما تذكر رجل رجلاً وفصل في قلبه حاله
وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه لموت وانخداه
بمواته الأسباب وركوته إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك والقهو وغفلته عما بين يديه من الموت
والربيع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد نهضت من جلاله ومفاصله وأنه كيف كان ينطق
وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما
لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حق
جاءه اللوت في وقت لم يحسبه فأنكشف له صورة ذلك وقبح مصبه النداء إما بالجنة أو بالنار فند
ذلك ينظر في حسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبتهم كما قبتهم . وقال أبو العبداء رضي الله
عنه : إذا ذكرت الموتى فند نفسك كأحدم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ
بنبيه . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غداً أو رباً إلى الله عز وجل فتقومونه
في صبح من الأرض قد توسد التراب وخلف الأجاب وقطع الأسباب فبلاز ما يقبله الأفكار وأمثالها مع
دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يحمد ذكر اللوت في القلب حتى يوجب عليه بحيث يصير نصب
عينه فنند ذلك يوشك أن يستمد له ويتجافى من دار التورور وإلا قال كبر يظهر القلب وعذبة اللسان

الوجود من القناء
والبقاء يسود إلى
الوجود التوراني الذي
هو القلب فيود القبيض
والبسطة إليه عند ذلك
ومهما غفلت إلى القناء
والبقاء فلا قبض ولا بسطة
قال فارس وألا القبيض
ثم البسط ثم لا قبض
ولا بسطة لأن القبيض
والبسطة يقع في الوجود
فأما مع القناء والبقاء
فلا ثم إن القبيض قد
يكون عقوبة الإفراط
في البسط وذلك أن
الوارد من الله تعالى
يرد على القلب فيمتلئ
القلب منه وحوافرها
واستبشارا فتنسرق
النفس السمع عند
ذلك وتأخذ نصيبها
فإذا وصل أثر الوارد

قليل الجدوى في التحذير والتنبه ومهما طاب قلبه جرى من الدنيا بيني أن تذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، فظهر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنهم بكى فقال والله لا ألوت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من شيق القبور لقرت بالدنيا أينما ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

(الباب الثاني في طول الأمل وفضية قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضية قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيد الله بن عمر وإذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالساء وإذا أمسيت فلا تذكر نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن سخطك لسمك فانك يا عبد الله لا تدري ما لك غدا (١) وروى علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال وإن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الأمل فانه الحب للدنيا ثم قال : إلا أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب وينقض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن الذين آباء وللدنيا آباء فكونوا من آباء الذين ولا تكونوا من آباء الدنيا إلا أن الدنيا قد ارتفعت مولية إلا أن الآخرة قد ارتفعت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم تموتون في يوم حساب ليس فيه عمل (٢) وقالت أم للنضر وأطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشي إلى الناس فقال : أيها الناس أمانتحيون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون (٣) وقال أبو سعيد الخدري واشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجيون من أسامة للشرى إلى شهر إن أسامة أطول الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيني إلا ظننت أن عسرى لا يلبثان حتى يقبض الله روحى ولا رقت طرفى فلظننت أن واضه حتى أبقي ولا قصت لمة إلا ظننت أن لا يبقى حتى أفس بها من اللوت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تتقون فسدوا أفسكم من اللوق والذي نفسي بيده - إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين - (٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهرق للاء فيتمسح بالتراب فيقول له يا رسول الله إن للاء منك قريب فيقول ما يدري لى لا يلبثه (٥) وروى وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لبيد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالساء الحديث ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر في آخر حديث كن في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث علي بن أهد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنعوه وكلاهما ضيف (٣) حديث أم للنضر أيها الناس أمانتحيون من الله تعالى قالوا وما ذلك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون ما لا تدركون من الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضيف وقد تضمن (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجيون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بإسناد ضيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهرق للاء فيتمسح بالتراب فيقول للاء منك قريب فيقول ما يدري لى لا يلبثه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبرز بإسناد ضيف .

إلى النفس طلت بطلما
وأفرقت في البسط
حتى تشاكل البسط
نشاطا فقابل القبض
عقوبة وكل القبض
إذا فنى لا يكون إلا
من حركة النفس
وظهورها بفتيا ولو
تأدبت النفس وعدت
ولم تحرر بالظناني تارة
والصبيان أخرى
ما وجد صاحب القلب
القبض وما دام روحه
وأنه ورعاية
الاعتدال الذي يبد
باب القبض متلقى من
قوله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما
آتاكم - فوارد القبح
مادم موقفا على
الروح والقلب لا يكف

بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبسه فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا
الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يضاهله ابن آدم ويغشيه الأجل بدون الأمل (١) وقال عليه السلام
«مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون مئة إن أخطأته الدنيا وتبع في الحرم» قال ابن مسعود هذا
الرء وهذه الختوف حوله شوارع إليه والحرم وراء الختوف والأمل وراء الحرم فهو يؤمل وهذه
الختوف شوارع إليه فأبها أمر به أخسده فإن أخطأته الختوف كته الحرم وهو ينتظر الأمل قال
عبد الله «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا صريحا وخط وسطه خطا وخط خطا إلى جنب
الخط وخط خطا خارجا قالوا تدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط
وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تهشه إن أخطأه هذا تهشه هذا وإذا كان الأمل
يعني الخط الخارج (٢) وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويقي معه اثنتان
الحرص والأمل» وفي رواية وتنبه به اثنتان الجرس على المال والحرص على العمر وقال رسول
الله ﷺ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبهاك آخر هذه الأمة بالبلخ والأمل» (٣) وقيل بيننا
عيسى عليه السلام جالس وخبث يصل بمسحة يشير بها الأرض قال عيسى اللهم انزع مني الأمل فوضع
الشيخ المسحة واستطجع فلبث ساعة قال عيسى اللهم اردد إلي الأمل فقام فبذل يصل فساءه عيسى
عن ذلك قال بينا أنا حمل إذ قالت لي منى إلى متى تعمل واثبت شيخ كبير فأقيت للسجدة واستطجعت
ثم قالت لي منى والله لا بد لك من عيسى ما بقيت فمعت إلى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل ونبهوا أجالكم
بين أبطاركم واستحيوا من الحق الحياء» (٤) «وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني
أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير المات وأعوذ بك من أمل يمنع
خير العمل» الآثار : قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلى لحشيت على ذهاب عقل ولكن
الله تعالى من على عباده بالنفثة عن اللوث ولولا النفثة ما تنبوا بسيفي ولا قامت بينهم الأمواق. وقال
الحسن السبوي والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا ما ماضى المسلمون في الطرق. وقال الثوري
بلى أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك لم يمتأ العيش. وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل
واللفظ له الرمهرمزي في الأمثال من رواية أبي التوكل الناجي عن أبي سعيد الحدرى وإسناده
حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي التوكل مرسل (٢) حديث
مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون مئة الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن الشيخين وقال
حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا صريحا وخط وسطه خطا
الحديث رواه البخاري (٤) حديث أنس يهرم ابن آدم ويقي معه اثنتان الحرص والأمل وفي رواية
ويشبه معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في
قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبهاك آخر هذه
الأمة بالبلخ والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لحيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث الحسن أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل الحديث
ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسل (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني
أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير المات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل
ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف جها ولا أدري من حوشب.

ولا يستوجب صاحبه
التبش سببا إذا لطف
بالفرح بالوارد بالابواء
إلى الله وإذا لم يتجنى
بالابواء إلى الله تعالى
نطقت النفس وأخذت
حظها من الفرح وهو
الفرح بما أتى المنوع
منه فمن ذلك التبش
في بعض الأحيان
وهذا من اللطف
الذنوب الموجبة لتبش
وفي النفس من حركاتها
وصفاتا وقياسات متعددة
موجبة لتبش ثم
الحسوف والرجاء
لا يمد بها صاحب
التبش والبسط ولا
صاحب الأنس والهمية
لأنهما من ضرورة
الآيمان فلا يصلمان
وأما التبش والبسط

عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال سلمان القارسي رضى الله عنه ثلاث أعجبتني حتى أشعنتني مؤمل الدنيا ولأوت يطلبه وغافل وليس يفطن عنه وشاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضى وثلاث أحزنتني حتى أكنيتي فراق الأحبة محمد وحزبه وهول الطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زلزلة بين أبي أوفى بدموعه في المنام قتلت أي الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثوري الذي هدانا الله لهذا الصواب لا أمل ليس بأكل الفيلظ ولا لبس الباعة وسأل للفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فنهيت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن بالإسجد أن لا تسلم فيصك قتال الأمر أبجل من ذلك . وقال الحسن اللوث معتود بنواصمك . والذي تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنه والسيف عليه ينتظر متى تقرب عنه . وقال داود الطائي لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتني قد أمنت عظمي وكيف أؤمل ذلك وأرى الصبايح تضيء الخلائق في ساعات الليل والنهار . وحكي أنه جاء هتفيق البليلى إلى أستاذة فقال له أوهاشم الرمان في طرف كماله من مصرور فقال له أستاذة إني هذا ملك قتال لوزات فدعا إلى أخ لي وقال أحب أن تخطر عليا فقال يا هتفيق وأنت تحدث غشك أنك تبتغي إلى الليل لا لكذلك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب ودخل . وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا محالة فزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن ماين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترهبوا وترهبوا ولا يطلون عليكم الأعداء فتضوق قلوبكم وتتقاولوا لدوكم قاله والله ما بسط أمل من لا يدري له لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد مبداه حور بما كانت بين ذلك خطفات الناي وكما رأيت ورأيت من كان بالدنيا مقفرا وإنما ترهب من من وثق بالجنة من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلها إلا بأصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن أترك بما لا أهي عنه فسي تقتصر صفقي وتظهر عيني وتبدو مسكتي في يوم يبدو فيه النقي والفقر وللوازين فيه منصوبه لقد عنيتم بأمر لو عنيتم به النجوم لانكدت ولو عنيتم به الجبال لقات ولو عنيتم به الأرض لثقت أما لطلون أنا ليس بين الجنة والنار مرة وأنكم سائرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والتوسط بينهما اللوث ويحكي في أنشأت أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إذا لم تكن على الدنيا طوبى لك والوث من الإنسان قريب والنقص في كل يوم منه نصيب واليبلاء في جسمه ديب فإدرك قبل أن تداي بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ ما له خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الحطية حول لجل أمه بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن محيطة صحت أي قول أيها المنتر بطول صحت أما رأيت متنا قط من غير سقم أي بالتربط طول للهالة ما رأيت مأخوذ فطعن غير عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لتسيت ما قد تقدم من قدامك أبالصحة فتتروا أم بطول المأفاة تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تبحرون إن ملك الموت إذا جاء لا يمنه منك تروعاك ولا كثرة احتشاك أما علمت أن ساعة للموت ذات كرب وغصص وتندما على التفریط ثم قال رحم الله عبدا حمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو بكر الصديق بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتى يوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما جئ من أجلك لحدث فطولك أم لك ولو غبت في الزمان من عملك ولتصرت من حرصك وحيلك وإنما يهلك غدا ندمك لو قذرت بك نفسك وأهلك وأهلك وحشك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والتسبب فلا أنت إلى دنياك فالادولاني حسانك انك إذا فعل

فيعدمان عند صاحب
الإيمان لتقصان الحظ
من القلب وعند صاحب
الفناء والبقاء والقرب
لتخلص من القلب
وقد يرد على الباطن
قبض وبسط ولا
يعرف سببها ولا
يخفى سبب القبض
والبسط إلا على قليل
الحظ من العلم الذي
لم يحكم علم الحال ولا
علم المقام . ومن أحكم
علم الحال والمقام لا يخفى
عليه سبب القبض
والبسط وربما يشبهه
عليه سبب القبض
والبسط كما يشبهه عليه
المهم بالقبض والنشاط
والبسط وإنما علم
ذلك لمن استقام قلبه
ومن عمم القلب
والبسط وارتقى منها

ليوم القيامة قبل الحسرة والتداعية فيكي سليمان بكاء شديد وأقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أحذرك متحولا من دار مهلكة إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك قصير في قرار باطن الأرض بدظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك ويتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقول ان يكن غير ذلك فأعاذني الله وليك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم بليغك سبعة الحشر وفتح الصور وقيام الحيار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباتت الأسرار وأسررت النار ووضعت للوازيين وحيى بالتيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فإليت شعري ما حالي وحالكم يومئذ في هذا ما هدم الأذات وأسل عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أما تالله ولما كم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موتهما من قلوب المؤمنين فأتعاضن بموله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلعوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا يحبسكم الله فيه الحكم والتسلل فيا ينسكم غلاب وهقى غدا بعد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وقانيا ياتي وعقوة بسمادة لا ترون أنكم في أسلاب المال كين وسيخلف بدمكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تفسون غدا يورثكم إلى الله عز وجل قد قضى نعيمه واقطع أمه فنعونه في بطن صانع من الأرض غير مود ولا يمدد فخلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وإيم الله إلى لأقول مقاتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر عما علم من تسي ولكنك تسانن من الله بادة أمر فيها بطاعته وأهسى فيها عن معصيته وأستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يديه حتى يلت دموعه لحية وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال التقاع بن حكيم قد استمددت الموت منذ ثلاثين سنة فلو أناني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا للسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن يزل بي ولو أناني ما أمرت بشيء ولا عيتهن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة ضحكك لولأ كفا نك قد خرجت من عند التصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها دواود الطائي فاتبذ قعد ناحية وهي تدفن فجئت فقدمت قريبا منه فتكلم قال : من خاف الوعد قصر عليه العبد ومن طال أمه ضف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشكك عن ربك فهو عليك مشنوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما فعلون ويحزون بما يقدمون فما ندب عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يستلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاء خصمون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي قد علمت أني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها قال معروفا وأنت تحدث نفسك أن تبلى صلاة أخرى فهو ذباله من طول الأمل فانه يمنع من خير الصل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كتب الله عليها القضاء وكتب على أهلها الظن عنها فكم من طامر موثق عما قيل فخر بكم من مقيم معتبط عما قيل يظن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما هنر ترك من الثقة وتزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كقوى ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قمر العين إذ دماه الله بقدره ورماء يوم سخته قلبه آثاره وديناه وصير قروم آخرين مصاصه ومضاه إن الدنيا لا تسر بقدر ماقرس إنما تسر قليلا ونحزن طويلا . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

فنفسه مطمئنة
لا تنتفع من جوهرها
نار توجب القبض ولا
يتلاطم بحر طبعها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط وريما
صار لكل هذا القبض
والبسط في نفسه لا من
نفسه فحكون نفسه
للطمئنة بطبع القلب
فيجبرى القبض
والبسط في نفسه
للطمئنة وما لقلب قبض
ولا بسط لأن القلب
منحصن بضعاء نور
الروح مستقر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها القضاء
والبقاء) قد قيل
القضاء أن يغنى عن
الحظوظ فلا يكون له
في شيء حظ بل يغنى

أنه كان يقول في خطبته أن الوضاعة الحسنة وجوههم للسجون بشياهم أين للوالتدين بواللدين
وحسنوها بالحيطان أين الدين كانوا يسطون التلبة في مواطن الحرب قد تضرع بهم البحر فأصبحوا
في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم التبا التجا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنسى بها
وجهيها ولذاتها وعلاقتها قل على قلبه مفارقتها فانتع قلبه من التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها
وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالأمانى الباطلة فينسى نفسه بدأيا بما يوافق مراده
وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوجهه وقدره في نفسه وقدر تواب البقاء وما يحتاج
إليه من مال وأهل وذوار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كغالب هذا التكرم وقفا
عليه فيلغو عن ذكر الموت فلا يقدر فيه فإن خطرته في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد
له سوف ووعد نفسه وقال الأمل بين يديك إلى أن تتكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيئا
فإذا صار شيئا قال إلى أن تخرج من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة
أو تخرج من تدبير هذا الوعد وجهازه وتدبير مسكنه أو تخرج من قهر هذا العدو الذي يستعبدك
فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بأعمال ذلك الشغل عشرة أفعال أخرى وهكذا
على التدرج يؤخر يوما بعد يوم ويغضى به عقل إلى عقل بل إلى أشغال إلى أن تحطفت الدنيا في وقت
لا يحسب فتهطل عند ذلك حسرتة وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون من نحن سوف
والسوف للسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسوف اليوم هو معه غدا وإنما زاد بطول للذة
قوة وروسخا ويظن أنه يصور أن يكون للخالص في الدنيا والمحافظة لها فإن غلط طويهايات لها يغرق
منها إلا من اطرحها :

فالحق أحدها منها لباتسه وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والتفقه عن معنى قوله **فإن** وأحب من أحبت فانك
مفارقة (١) . وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعود على شباب فيستبعد الموت لصغره مع الشباب وليس
يفكر للسكين أن مناجى بله لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البهائم أقوال أن الموت في الشباب
أكثر قليلا أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشباب وقد يستبعد الموت لصغره مع الشباب فيستبعد الموت في الشباب
يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فاما يقع فجأة وإذا
مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا القائل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب
وشيب وكهولة ومن سيف وشقاء وخريف وريبع من ليل ونهار لعظم استعظامه واشتغال بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا يدعو إلى طول الأمل وإلى النطقة عن تهرب الموت القريب
فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يجدر نزوله به ووقعه فيموت أبدا يظن أنه يشيع الجنائز
ولا يجدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه
فلم يألفه ولم يصور أن يألفه فانه لم يشع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر
وسببه أن يقبس نفسه بغيره ويظن أنه لابد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل الذين ينطى
به لحد قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسوفه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل
فحب الدنيا فحلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب المحاضر وبصلاح الحكمة
(١) حديث أحب من أحبت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

عن الأشياء كلها
شغلا بين لحي فيه
وقد قال عامر بن
عبد الله لأبى
امرأة رأيت أم حاطبا
وتكون محظوظا فيها
لله عليه مصروفا
عن جميع الخالقات
والبقاء بغيره وهو
أن يغنى عما له ويبقى
بألفه تعالى . وقيل
الباقى أن تصير
الأشياء كلها له شيئا
واحدا فيكون كل
حركته في موافقة
الحق دون مخالفة
نفسه قانيا عن
الخالفات باقيا في
الموافقات . وعنى
أن هذا الذي ذكره
هذا القائل هو

البائسة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء المضال الذي أعيأ الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا بالإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطيئة هو الذي يجمع عن القلب حب الخلق فإذا رأى حجارة الدنيا وقاسية الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من للشرق إلى الغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر متضئ فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب سجاها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تهدير اللوت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأتران والأشكال وأنهم كيف جاءهم اللوت في وقت لم يفتشوا بأمان كان مستعدا لقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الأمل قد خسر خسرا ثامنا فليظفر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لاهالة وكيف تنفتت عظامها وليتفكر أن الدود يبدأ جدهته التي أولا وأول اليسرى لما على بدنه شيء إلا وهو قطعة الدود وماله من نفسه إلا الدلم والصل الحامس لوجه الله تعالى وكذلك يشكر فيها سنوره من عذاب القبر وسؤال المنكر ونكير ومن الحشر والنشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر اللوت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك بأبدان الله تعالى - يؤد أحدم لويصر ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى الحرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي حب الدنيا حبا هديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقواته من الكبر إلى الدين اتقوا وقليل مام» (١) ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عالم قابل ولكن هذا يستمد في الصرف لانشاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكتفيه لبسته اشتغل بالبادية ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستمد إلا التباهة وأماله فلا قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأني فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كما قال نبينا ﷺ «باعد الله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح» ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لبي لأجلته ومنهم من يكون اللوت نصب عينيه كأنه واقع به فهو يتنظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة موقع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه قال ما خطوت خطوة إلا ظننت آتي لأبيها أخرى (٢) وكما قل من الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلا ويتنفس بينا وشيلا فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك اللوت من أي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

(١) حديث الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترقواته من الكبر إلى الدين اتقوا وقليل مام لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤله لماذا عن حقيقة إيمانه قال ما خطوت خطوة إلا ظننت آتي لأبيها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف .

يقام صفة التوبة
التمسح وليس من
البقاء والبقاء في شيء
ومن الإشارة إلى البقاء
وأروى عن عبد الله
أن جبرائيل سلم عليه
إلهان وهو في الطواف
لم يرد عليه فحسبه
إلى بعض أصحابه قتالا
فكنا نترامى الله في
ذلك المكان . وقيل :
البقاء هو التوبة عن
الأشياء كما كان قتاد
موسى حين تجل ربّه
عليه . وقال الخراز :
البقاء هو التلذذ
بالحق والبقاء هو
الحضور مع الحق .
وقال الجنيد : البقاء
استجماع الكل عن
أوصافك وتبطلت
الكل منك بكنيته

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة - ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في الإبادة إلى العمل لكل إنسان يدعى أنه نصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يتقى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون لوقت نصب العين لا ينقل عنه ساعة قليلا يستعمل الموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش إلى اللسان شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الضد وما يكون فيه لثقل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ووقت النجاة فالوقت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت للزلزل وقطعت الساقة ولا تكون كذلك إلا بإبادة العمل اغتناما لسلك نفس أمهلت فيه .

(بيان للإبادة إلى العمل وحل آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستمد الذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستمد الذي ينتظر قدومه غدا فلا يستمد الذي يتجرب القرب الانتظار فمن انتظر محيى الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالملذات ونسى ما وراء اللذة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للجنة بكاملها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك بمنه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى نفسه متسحا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال **عليه السلام** « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو قرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هراما مبيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر فاجتنبه ينتظر الساعة أو الساعة أدهى وأمر ^(١) » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يمشي « اغتنم شيئا قبل خمس شيا بك قبل هرمك وموتك قبل سقمك وضاعت قبلك قرك وكفرانك قبل غفلتك وحياتك قبل موتك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ^(٣) » أي أنه لا يستنهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدجلا ومن أدجلا بلغ للزلزل ألا إن سلمة الله غالية إلا أن سلمة الله الجنة ^(٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تبقيها الزادفة وجاء الموت بما فيه ^(٥) » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك النية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة ^(٦) » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت القير والساعة الوعد ^(٧) »

(١) حديث ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو قرا منسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غناء الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في نصير الأمل بلفظ الصنف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم شيئا قبل خمس شيا بك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزد مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدجلا ومن أدجلا بلغ للزلزل الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تبقيها الزادفة الحديث الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك النية الحديث ابن أبي الدنيا في نصير الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت القير والساعة الموعد ابن أبي الدنيا في نصير الأمل وأبو القاسم البغوي بإسناد فيلهي .

وقال إبراهيم بن
شيبان علم القناء
والبقاء بدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
كان غسير هذا
فهو من الخالط
والزندقة . وسئل
الحراز ما علامة
القائي قال علامة من
ادعى القناء ذهب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل القناء
في القناء صحتهم أن
يسحبهم علم القناء
وأهل القناء في القناء
صحتهم أن يسحبهم
علم القناء .

واعلم أن أقوال
الشيوخ في القناء

أن يكون عمره عليه حجة وأن تردبه أيامه إلى مشقة جعلنا الله وإياكم عن التبطير لعملا لتتصرب
عن طاعة الله مصيبة ولاجل به بعد الموت حسرة إنه جميع الدعاء به يده التحير دائما فبالإيمان وقال
بعض القسرين في قوله تعالى - فتنم أنفسكم - قال بالشهوات واللذات وتور بصمتة قال بالتو بتسواربتهم -
قال شككم - حتى جاء أمر الله - قال الموت - وغركم بالله القرور - قال الشيطان - قال الحسن
تصبروا وتشدوا فأنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل، نيك فيجب
ولا ينفث فاشتوا يصلح ما عجزتكم وقال ابن مسعود مامنكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله
عارية والضرب مرتحل والغارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات
فيه قال مرحبا بكم وأهلا بكم الله بالسلام وأهلنا وإياكم دار اللقائم هذه علائكة حسنة إن صبرتم
وسدتم وأقيم فلا يكن حطكم من هذا الخبر رحمة الله أن تسموه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه
الأذن فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غايظا ورأى محمدا يضع يده على الأذن ليقبض على قصبته
ولكن رفع له علم فشمير إليه الواح الواح الجبال جعلوا لهم مرجون أنيتم ورب السكة كأنكم والأمر
مما رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة وليس خلقا وثق بالارض واجتهد في العبادة
وبقي على الخطيئة وهرب من الموت وباتني الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك (١). وقال عاصم الأحول
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله بهذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخص إليك
دونهم ولا تزل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك التهار في لائمه فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئا
قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حادثة فنب قديم .

(الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عنده)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد السكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت لم يجد هالكان
جدرا بأن يتفص عليه عيشه ويشكر عليه سروره ويغارتة سهوه وغفلته وحقيقا بأن يطول فيه
فكره ويعظم له استداده لاسيا وهو في كل شئ يصدده كما قال بعض الحكماء كرب يبدسك لا تدرى
مق يشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب أن
الانسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس
خشبات لتسكدرت عليه دته وقصد عليه عيشه وهو في كل نفس يصدد أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات التزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهول والقرور . واعلم أن شدة الألم في سكرات
الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يلقها فأنما يعرفها إنا بالقياس إلى الآلام التي أدركها وما
بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على شدة ما هم فيه فأنما القياس الذي يصد له فهو أن كل عضو
لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فلها أواب العنصر جرح
أو حريق سرى الأثر إلى الروح فيقدر ما يسرى إلى الروح يتألم وللؤلم يفرق على العنصر وهو سائر
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح لا يلقى غيره فأنما أعظم
ذلك الألم وما أشده . والتزع عبارة عن مؤلم تزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق
جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فهو أصابته شوكة فالألم الذي
يجده إنما يجري في جزء من الروح يلقى ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر
الاحتراق لأن أجزاء النار تقوس في سائر أجزاء البدن فلا يلقى جزء من العنصر المحترق ظاهرا

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث
ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى
على كون العبد وهو
ينقسم إلى فناء ظاهر
وفناء باطن فأما الفناء
الظاهر فهو أن
يتحل الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأنفال
ويسلب عن العبد
اختياره وإرادته فلا
يرى نفسه ولا غيره
فصلا إلا بالحق ثم
يأخذ في المعاملة
مع الله تعالى بحسبه
حق سمع أن بعض
من أتيم في هذا
اللقام من الفناء كان
يقى ألياما لا يتناول
الطعام والشراب حتى
يتجرده فصل
الحق فيه ويقض
الله تعالى له من

وباطنا وإلوهيته النار تحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء الجسم : وأما الجراحة فاعلم
تصيب للوضع الذي منه الحديد قُطع فكان كذلك ألم الجرح دون ألم النار فإلم التزعيم بهجم على نفس
الروح ويستترق جميع أجزائه فإنه للتزعيم المجهنوب من كل عرق من المروق وعصب من الأعصاب
وجزء من الأجزاء ومنفصل من لفافه ومن أصل كل شعرة وبشرة من التفرق إلى القدم فلا تسأل
عن كربيه وألمه حتى قالوا إن اللوت لأخذ من ضرب بالسيف وقطر بالناخير وقطرش بالمقاريض
لأن قطع اليدين بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان تناول المباشر نفس الروح وإنما
يستشيت للضروب ويصبح ليقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الليث ومياحه مع شدة
ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتضاعف على قلبه وبلغ كل موضع منه فهدت كل قوة وتنصف كل جراحة
فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيته وهوعف وأما اللسان فقد أبكته وأما الأطراف فقد
شفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاضغاث ولكنه لا يقدِر على ذلك فإن بقيت
فيه قوة صحت له عند نزاع الروح وجذبها بخوار وغرغرة من حلقه ومصدره وقد تغير لونه وتوارب
حتى كأنه يظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر
في داخله وخارجه حتى ترشح الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتقلص الشفتان وتقلص اللسان إلى أصله
وترشح الألتان إلى أعالي موضعهما وتضجر أنامله فلاسل عن بدن يجلب منه كل عرق من عروقه
ولو كان المجهنوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجهنوب نفس الروح التالفة من عرق واحد
بل من جميع المروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فبدأوا لقدميه ثم ساقاه ثم غداؤه ولكل
عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم عند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا
وأهلها ويضيق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والتندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قبل
توبة العبد ما لم يفرغر ^(١) » وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
إذا حضر أحدهم الموت قال إني بئس الآن - قال إذا عاين الرسل عند ذلك تبدوه منحتوه ملك
الموت فلا تسأل عن طعم حرارة اللوت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « اللهم هون على محمد سكرات اللوت ^(٢) » والناس إنما يستعينون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن
الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من
اللوت حتى قال عيسى عليه السلام بإمضاء الحوار بين ادعوا الله تعالى أن هون على هذه السكرة بيني واللوت
لقد خلت اللوت عذابة أوقفت خوفي من اللوت على اللوت . وروى أن قريظا من بني إسرائيل صرا وبعبرة
فقال بعضهم لبعض لودعوتكم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى
فأذاهم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني
لقد ذقت اللوت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة اللوت من قلبي وقالت ثالثة رضى الله عنها لأخي
أحداهم هون عليه اللوت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه
عليه السلام كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين الصب والصبب والأنامل اللهم فأعني على
اللوت وهوته على ^(٣) » وعن الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وضغته وألمه فقال

يطعمه ويقيه كيف
شاء وأحب وهذا
لمعري فناء لأنه في
عن شمه وعن الثير
نظرا إلى فعل الله تعالى
بخفاء فعل غير الله
والقضاء الباطن أن
يكشف تارة الصفات
وتارة بمشاهدة آثار
عظمة الذات فيستولي
على باطنه أمر الحق
حتى لا يبقى له حاجس
ولا موماس وليس من
ضرورة القضاء أن
يذهب إحساسه وقد
يتفق غيبة الإحساس
لبعض الأشخاص
وليس ذلك من
ضرورة القضاء على
الاطلاق وقد سألت
الشيخ أبا محمد بن
عبد الله البصري

- (١) حديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغر الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر
- (٢) حديث كان يقول اللهم هون على محمد سكرات اللوت تخدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ
- الروح من بين الصبب والصبب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعبة
- ابن خيلان الجني وهو محل سقط منه الصحاح والتأني .

هو قدر ثلثة ضربة بالسيف^(١) . « و سئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وغده فقال إن أهون الموت بمنزلة حكة في صوف فهل تخرج الحكة من الصوف إلا ومعا صوف^(٢) » . « و دخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم ما منه عرق إلا وبألم الموت على حدة^(٣) » وكان على كرمه فوجه بعض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس يده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن لبيث يجد ألم الموت ما لم يبت من قهره بالشهادين أو سأل الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمنين وهو أشد من نشر النشور وقرض القاريس وغلى في القدور ولو أن لبيث نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتضعوا بيث ولا هوانوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يلقها بعنه شدد عليه الموت لينبغي بسكرات الموت وذكره جده على الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجزه هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفة فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من الرضى كيف تجدون الموت قما مرض قيل فقلت كيف جده فقال كان السموات مطبقة على الأرض وكان شيء يخرج من قنب إبرة وقال صلى الله عليه وسلم « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر^(٤) » وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن شعرة من شعر لبيث وضعت على أهل السموات والأرض لما توارى الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت شيء إلا مات^(٥) » وروى « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت^(٦) » وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسوف جبل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إذا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له رب يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالصغور حين يقلى على القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلك يد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت^(٧) »

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغسته وألمه فقال هو قدر ثلثة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث سئل عن الموت وغده فقال إن أهون الموت بمنزلة حكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلًا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم ما منته عرق إلا وبألم الموت على حدة ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بنسند ضعيف ورواه في الرض والكفارات من رواة بعيد ابن عمير مرسلًا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت الفجأة قرأه المؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة بإسناد صحيح قال وأخذ أسف ولأبي داود من حديث خالد بن الوليد موت الفجأة أخذه أسف (٥) حديث مكحول لو أن شعرة من شعر لبيث وضعت على أهل السموات والأرض لما توارى الله تعالى في الدنيا في الموت من رواية أبي ميسرة وفيه لو أن ألم شعرة ، وزاد وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاهى على الموت سبعين ألف ضعف أو بميسره هو عمرو بن شريك والحديث مرسل حسن الاستناد (٦) حديث لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجده أصلًا ولعل المنصف لم يورده حديثًا قاله وروى (٧) حديث إنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون
بقاء التخيلات في السر
ووجود الوسواس من
الشرك الحفي وكان
عندي أن ذلك من
الشرك الحفي فقال لي
هذا يكون في مقام
القنأ ولم يذكر أنه
هل هو من الشرك
الحفي أم لا ثم ذكر
حكاية مسلم بن يسار
أنه كان في المسألة
نوقست أسطوانة في
الجامع فأتعج لمدها
أهل السوق فدخلوا
السجد فرأوه في
المسألة ولم يحس
بالأسطوانة ووقعها
فهذا هو الاسترقاق
والقنأ باطننا ثم
قد يتسع وماؤه
حق لعله يكون

وفاطمة رضى الله عنها تقول واكره لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على أهلك بعد اليوم^(١) وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كمن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكه بقرق ثم جذبه رجل شديدا فالتفت فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن البعد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بشها على بعض قول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة^(٢) » فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن للتمكون في العاصي وتوالى علينا سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث . الأولى : هذه النزعة كاذب كراته . الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب قال رأى صورته التي يقبض عليها روح البعد للذنب أعظم الرجال قوة لم يلق رؤيته ، وقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تربي صورتك التي قبضت عليها روح الناجي ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود قائم الشعر من الرق أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لحب النار والدخان قضى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق القاهر عند الموت لاصورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي رجل في الدار قالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليقين منه عناه فجاء داود فراه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهيب للملوك ولا يمنع من الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت ومنزل داود عليه السلام مكانه^(٣) » وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجموعة فضر بها . برجه فقال تسلمني بأذن الله قالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالسي في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سريري ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فبالت ما كان من تلك المجموع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها الصاة وكفهاها للطمعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزعة دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه لثة لئنص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما للطبع فانه يراه في أحسن صورة وأجلها ، وقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتدب فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا رجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها رجا فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تربي الصورة التي قبضت فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن هذه الموت إلا صورتك كان حسبه ، ومنها مشاهدة للملكين المحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه مات من موت حتى يترأى له ملكاه

متحققا بالفناء وممناها روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فصل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الإذن في كليات أموره ليكون في الأشياء باقلا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب الانتظار لا إذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله يباطه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للإذن هو باق وبالبقي مقام

(١) حديث إن فاطمة قالت واكره لكربك يا أبت الحديث البخاري من حديث أنس لفظ واكره ابتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرهه (٢) حديث إن البعد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بشها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأن هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد بإسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه

الساكنان عمله فإن كان مطعيا قال له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أصعبنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شغوص بسر لئلا يلبس ولا يرجع إلى الدنيا أبدا . الإلهامية الثالثة : مشاهدة الصلوة مواضعهم من النار وخوفهم قبل الشاهدة قائم في حال السكرات قد تجاوزت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن يخرج أرواحهم بالمسموع اسمك الموت بأحد البشريين إما أسر يلعنو الله بإنار أو أسر ياولى الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره » وحق يرى مقعده من الجنة أو النار (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه » فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قائم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (٢) ، وروى أن حذيفة بن اليمان قال لا ينسود وهو لما به من آخر الليل قم فالتفت رأى ساعة هي قائم ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الجحراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم أشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى الجنة أم النار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك للموت أذهب إلى فلان فأتى بروحه لأرجه حسبي من عمله قد بولته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خبائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الرغفران كل واحد منهم يشره بيشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة سفينة لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال يقول له جنوده مالك يا سيدنا يقول أمارتون ما أعطى هذا المجد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصوما (٣) » وقال الحسن لأرواح المؤمنين إياي لقاء الله ومن كانت راحتي لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشره ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا إخواننا الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخواننا عليكم السلام إلى النار أو به فوالله وبني بعضهم أن يبقى في التزعزاع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . غفوف سوء الحماة تقطع

- (١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحق يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن طي موقوفا لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على من أن يخرج من الدنيا حتى يعلم أين أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عباد بن الصامت ما يشهد لك إن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بمذاب الله وتعتقته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عباد بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى على عبده قال يملك الموت أذهب إلى فلان فأتى بروحه لأرجه حسبي من عمله قد بولته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خبائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الرغفران كل واحد منهم يشره بيشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة سفينة لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال يقول له جنوده مالك يا سيدنا يقول أمارتون ما أعطى هذا المجد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصوما (٣) » وقال الحسن لأرواح المؤمنين إياي لقاء الله ومن كانت راحتي لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشره ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا إخواننا الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخواننا عليكم السلام إلى النار أو به فوالله وبني بعضهم أن يبقى في التزعزاع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . غفوف سوء الحماة تقطع

لا يصبه الحق عن
الحق ولا الحق عن
الحق وإقاني محجوب
بالحق عن الحق
والقاء الظاهر لأرباب
القبوب والأحوال
والقاء الباطن لمن
أطلق عن وثاق
الأحوال وصار بالله
لا بالأحوال وخارج
من القلب فصار مع
مقلبه لأمع قلبه .

[الباب الثاني والستون
في شرح كات مشيرة
إلى بعض الأحوال في
اصطلاح الصوفية]
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو القنبح محمد بن
عبد الباقى بن سليمان
بإجازة قال أنا أبو الفضل
أحمد بن أحمد قال أنا
الحافظ أبو لسيم

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الحاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا يلقى بهذا الوضع ، ولكننا لا نطول بذكره وإعادته .

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اربقوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويست شفتاه فهي من رحمة الله قد زلت به وإن غلط غلط الخوف وحر لونه وأربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد زل به (١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهدي مقابليها من الخطايا (٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد عظم له بما عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : احضروا موتاكم وذكروهم فاتهم برون ما لا ترون وتقوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا فترك فيه فوجد طرف لسانه لا سقا بمنكته يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص (٥) » ويبنى المسلمون أن لا يبلغ في التلقين ولكن يتلطف فرعا لا ينطق لسان المريض فيشقى عليه ذلك ويؤدي إلى استقامته التلقين وكراهيته لكلمة أخرى أن يكون ذلك سبب سوء الحاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فأنما لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان الضرب مشغوظا بالدين ملتفتا إليها متأسفا على فاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن تفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل والله بن الأشعث على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكن أرجو رحمة ربي فكبر وأثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء (٦) » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتماعا في قلب عبد في مثل هذا

الأسماني قال تميم
ابن إبراهيم قال ثنا
أبو مسلم الكشي قال
ثنا مسور بن عيسى
قال ثنا القاسم بن
عيسى قال ثنا ياسين
الزياتي عن أبي الزبير
عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« إن من معادن
التقوى تسلك إلى
ما قد علمت علم مالم
تسلم والنفس فيها
علمت قلة الزيادة فيه
وإنما يزهو الرجل في
علم مالم يعلم قلة الانتفاع
بما قد علمه فشأن
الصوفية أحكام الأساس
التنوي وتعلموا العلم
له تعالى وعملا بما
علموا لموضع شواهد
فصلهم الله تعالى مالم

- (١) حديث اربقوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرقت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهدي مقابليها تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم .
- (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمى في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف (٦) حديث دخل وأثلة ابن الأشعث على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ابن حبان بالملفوظ منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

للوطن إلا أعطاه الله القى رجو وأمنه من القى يخاف (١) وقال ثابت البناني كان شاباً محدثاً وكان له أم تظنه كثيراً وتقول يا بني إن لك يوماً فذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول يا بني قد كنت أحذرك مصرك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كثيراً للبروف وإني لأرجو أن لا يمدني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحه الله بحسن ظنه به . وقال جابر بن وداعة كان شاب به رفق فاحضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خائلي لتسبيبه فإن فيه ذكر الله تعالى فقل الله رحيمى فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد شئت وأن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي قبله إنك تموت فقال يا بني يذهب بي قالوا إلى الله قال لها كرامتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو الحسن بن سليمان قال لي لأحضرنه الوفاة يا متمر حديثي بالرخس لاني ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن بك وكانوا يستحبون أن يذكر له بعد ما حسن عمله عندهم على حسن ظنه به .

(بيان الحسرة عند لقاء ملك اللوت بحكايات يرب لسان الحال عنها)

قال أمث بن أسلم سألت إبراهيم عليه السلام ملك اللوت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك اللوت ما صنع إذا كان نفس بالشرق ونفس بالغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح بأذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد حدثت في الأرض فتذكرت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يشربه بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليها السلام ملك اللوت عليه السلام مالي لأراك تصدق بين الناس فأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي مخصأو كتب علي إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فعدا غيايباً ليس بها فلم يجد قطب فيه راحة حتى ليس ما هي به ، رأت وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم يجد فيها حتى أتى أبواب فركب أحسنها فاجاء إليس فنهض في منخره فنفخ ففلاؤه كبراً ثم صار وسارت سمع الجول وهو لا ينظر إلى الناس كرا فاجاء به رجل رث الهبة فسلم فزاد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل الأجاج فقد طأطأت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أزل قال لا الآن فقهره على الجلام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادني فمرأته فسار وقال أنا ملك الموت فتخبر لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهل وأتضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتهلك أبداً قبض روحه غر كأنه خشية ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فسار وقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طأطأت غيبته على فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اتض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر لي أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إن أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوئلاً وأصلني ثم أقبض روحى وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل ما لا فلا أشرف في الموت قال لبنيه أروني أعتافه أموالى فأتى بشيء كثيراً من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه فرأه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالله خولك ما أنا بخارج من مزارك حتى أفرق بين روحك وبدنك فقال فاعلمه حتى أفرقه فقال له هات انتطعت عنك الملهة فلما كان ذلك قبل حضور أجلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جمع ما لا فاعصى ولم يدع صفاً من المال إلا أخذته وأبقي نصراً وجعل عليه بايين وثمين وجمع عليه سراً من غفاته ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقصد على سريره ورض إحدى رجله على الأخرى وهم يأكلون

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخافه في الحديث تقدم .

يطوا من غراب
العلوم ودقيق الاشارات
واستنبطوا من كلام
الله تعالى غرائب العلوم
وجمالب الأسرار
وترسخ قدمهم في العلم
قال أبو سعيد الخراز
أول اللهم الكلام الله
العمل به لأن فيه العلم
والفهم والاستنباط
وأول اللهم لقاء السمع
والمشاهدة لقوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شمس
وقال أبو بكر الواسطي
الزاسفون في العلم هم
الذين درسوا بأبوابهم
في غيب القلوب وفي
سر السر ففرهم
ماعرهم وأراد منهم
من مقتضى الآيات

فما فرغوا ، قال يا بني انصبي لسنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك اللوت في هيئة رجل عليه خفاقان من الثياب وفي عنقه حذالة يتشبه بالمساكين قترع الباب بشدة عظيمة فرموا أنزعه وهو على فراشه فوثب إليه الثلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا إلي مولانا كم قالوا وإلى ملكهم فخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم قترع الباب قرعة أهد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنني ملك اللوت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الدل والتخضع فقال قولوا له قولنا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لك الله من مال أنت غفلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أدخل لربي فأطلق الله للال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين في ورد للثقي عن بهمهم وكنت تتسكع للتصامات في وتجلس على عوالي اللولك في وتففق في سبيل الثمر فلا أمتنع منك ولو أغفلتني في سبيل الخير غفلت غفلت وابن آدم من تراب فنطلق وير ومنطلق بأثم ثم قبض ملك اللوت بروحه فقطع . وقال وهب بن منبه قبض ملك اللوت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء وقالت لللائكة لمن كنت أهد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت قبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأثبتها وقد ولدت مولودا فرحمها لغربها ورحمت ولدها لصفوه وكونه في فلاة لا تمسه له بها قالت لللائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك للولد الذي رحمته فقال ملك اللوت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شبان دفع إلى ملك اللوت صحيفة يقال قبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فإن البعد لفرس التراس ويشكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك اللوت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجدته منهم قد استوفى رزقه وأغنى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فأخذ ملك اللوت بضادتي الباب فيقول والله ما كنت تفرز ولا تأفيت له حمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لمودة بعد عودة حتى لا أبقي منك أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهبوا عن ميثم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بيتا جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا بعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فرما مضطبا فقال له من أنت ومن أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الله دار فربها وأما أنا فوالذي لا يمنع من الحجاب ولا أستأذن على اللولك ولا أخاف مولاة للسلطين ولا يمنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذلا له فقال له أنت إذن ملك اللوت قال أنا هو قال فهل أنت عملي حتى أحدث عهدا قال هيأت اعطيت مدنتك وانضمت أنفاسك وقد فت سامتاك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإلى أين تنهب بي قال إلى عمالك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم حملا صالحا ولم أهد بيتا حسنا قال فإني لأظن زاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صرخ وبكاء قال يزيد الرقاشي لو يسلون سوء النقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خبشة قال دخل ملك اللوت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدني قال لماذا تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الربيع حتى تحملني إلى أقصى الهند ففعلت الربيع ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أناه ثانيا رأيته تديم النظر إلى واحد من جلسائي . قال نعم كنت أعجب منه لأنني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قرية وكان عندك فصيت من ذلك .

مالم يرد من غيرهم
وخلصوا بحر الصلح
بالهم لطلب الزادات
فانكشف لهم من
مدخور الخزان
والخزون تحت كل
حرف وآية من التهم
وهجائب النسم
فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا
بالحكمة . وقد ورد
في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيا رواد سفیان بن
حیة عن ابن جریج
عن عطاء عن أبي
هريرة أنه قال إن من
العلم كبرية المسكون
لا يله إلا الطاء بالله
فإذا انطقوا به لا ينكرو
إلا أهل الترة بالله .
أخبرنا أبو زرعة قال

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأأخذنه في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بقوا وسيدهم إذا جموا وأن الجنة عهدة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني (١) وقالت عائشة رضي الله عنها وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقسه بسبع قرب من سبعة آبار فقلنا ذلك فوجد راحة فخرج فضلى بالناس واستغفر لأهل أجدودنا لهم وأوصى بالأضار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هبتها التي هي عليها اليوم وإن الأضار عيني التي أوتيت إليها فأكرموا كريمي عيني عهدهم وتجاوزوا عن مسيئتهم ثم قال إن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكي أبو بكر رضي الله عنه ووطن أنه يريد عسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر صدق وأهذه الأبواب الشوارع في المسجد لإبواب أبي بكر فاني لا أعلم امرأة أفضل عندى في الصعبة من أبي بكر (٢) قالت عائشة رضي الله عنها «قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومى وبين سحري وخبرى وجمع الله بين ربي وربىه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن ويده سواك فيصل ينظر إليه فصرخت أنه يسببه ذلك فقلت له أأخذك فأومأ برأسه أن نعم فاولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت أنه لك فأومأ برأسه أن نعم فليته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن الموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرقيق الأمل الرقيق الأمل قتل إذن والله لا يغتار (٣)» وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأضار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرداد تها أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بكتائبهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك يده وقالها فتداولوه فقال ما تقولون فقالوا نقول نخشى أن نوت وتصاح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على يدي الفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم مصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلخى أنكم تخافون على الموت كأنه استكار منكم للموت وما تتركرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنى إليكم أفشكم هل خلدني قبل فيمن بعث فأخذ فيكم إلا أني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خير أووصى بالمهاجرين فبا بينهم فان الله عز وجل قال - والصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا - إلى آخرها وإن الأمور تجري بأذن الله فلا يعملنكم استبطاء أمر على استبطائه فان الله عز وجل لا يجعل لسلعة أحد ومن غالب الله عليه ومن خادع الله خدعه - فهل عيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتفتقوا أركانكم - وأوصيكم بالأنصار خير أقاتهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي بمدى فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأأخذنه في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي للسلطنة من بمدى قال أبشر يا حبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفس وإسناده ضيف (٢) حديث عائشة أمرنا أن نقسه بسبع قرب من سبعة آبار فقلنا ذلك فوجد راحة فخرج فضلى بالناس واستغفر لأهل أجدودنا لهم وأوصى ابن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالضعفة (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومى وبين سحري وخبرى وجمع الله بين ربي وربىه عند الموت الحديث متفق عليه .

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «ي ينطق» وهو العلم الذي الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر - آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما - فها تداوله ألسنتهم من الكلمات ففهاون بعضهم لبعض وإشارة منهم إلى أحوال يحدونها ومما سلات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فهذا جمع ثم فرق فقال وللأسفة وأولوا العلم - وقوله تعالى - آمنا بالله - جمع ثم فرق قوله - وما أنزل إلينا - والجمع أصل والتفرقة

أَنْ حَسَنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يَشْأَرُوا كَمَا التَّأَرَّكَ أَلَمْ يَسْعُوا عَلَيْكُمْ فِي الدَّيَارِ أَلَمْ يُؤْثِرُوا عَلَى أَغْشَاهُمْ بِهِمْ الْخَصَاصَةَ
أَلَا هُنَّ وَلِيَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيُحْزِنَ أَحَدَهُمَا وَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَسْأَلُونَهُمْ عِلْمَهُمْ
أَلَا وَإِنْ فَرَطَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَحْقُونَ بِهِ أَلَا وَإِنْ مَوَدَّكُمْ الْحَوْضُ حَوْضِي أَعْرَضَ عَنِّي بَصَرِي الشَّامِ
وَصَعَاءُ الْعَيْنِ يَصِيبُ فِيهِ مِزَابُ السَّكُونِ مَا أَشَدَّ يَأْسًا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَيْنِ مِنَ الْبُرْدِ وَأَحْلَى مِنَ الصَّهْدِ
مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَطْمَأَنَّ أَبَدًا حَصَاؤُهُ الْأَوَّلُ وَبَطْنُهُ لَسَانُهُ مِنَ حَرَمِهِ فِي الْوَقْفِ غَدَا حَرَمُ الْخَيْرِ كُلِّهِ
أَلَا هُنَّ أَحَبُّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَى غَدَا فَيَكْتَفِ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا مِمَّا يَنْبَغِي فَقَالَ الْبَاسُ يَا نَبِيَّ أَوْسُ بِفَرَسٍ
فَقَالَ إِنَّمَا أَوْسَى بِهَذَا الْأَمْرِ قَرِيبًا وَالتَّاسِ بَيْعَ قَرِيبِي بِرِمٍّ لِيَرْمَ دُفَاجِرْمَ فَاجْرِمَ فَاسْتَوْصَا
أَلْ قَرِيبِي بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْقَتْلَ تَبِعَ الْقَتْلَ وَتَبِعَ الْقَتْلَ الْقَتْلَ وَتَبِعَ الْقَتْلَ الْقَتْلَ وَتَبِعَ الْقَتْلَ الْقَتْلَ
وَإِذَا فَجَرَ النَّاسَ عَقُومَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ تَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١)
وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَسَلُ الْبَابِ الْبَاكِرِ
فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ وَتَدَلَّى قَالَ لِيَهْنِكُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا عَدَدَ اللَّهُ فَلَيتَ شَعْرِي
عَنْ مَقْلَبِنَا قَالَ قَالَ إِلَهُ اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ لَتَهْتَمِي ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْأَوَى وَالتَّوَدُّوسِ الْأَطَى وَالْكَأْسِ الْأَوَى
وَالرِّيقِ الْأَطَى وَالْحَلِطِ وَالْمَيْشِ لَهْنًا قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ يَلِيَّ غَدَاكَ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدَنِي
قَالَ قَبْرِ نَكْتَنُكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةِ بَعَانِي وَفِي يَاضٍ مَعَرٍ قَالَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مِنَّا
وَبِكَيْتِنَا وَبِكَيْنِ قَالِ مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَيْسِكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَسْتُمُونِي فَضَمُونِي
عَلَى سِرْبِي نِيَّ بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُونِي عَنْ سَاعَةِ فَأَنْ أُولَئِكَ مِنْ صَلَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ
الَّذِي صَلَّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ - ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى قَوْلِهِ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
وَيَصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَائِكَةُ اللَّوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّ فَادْخَلُوا عَلَى أَتَوَاجِا زَمْرَةً زَمْرَةً وَسَلُّوا السَّابِغَ وَلَا يُؤْذَنُ
بِزَيْكَةِ وَلَا مِصْبَحَةٍ وَلَا رَنَّةٍ وَلَيْسَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنُكُمُ الْإِمَامُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدَنِي ثُمَّ زَمَرَ النَّسَاءُ ثُمَّ زَمَرَ الصِّبْيَانُ
قَالَ فَمَنْ يَدْخُلُكَ الْقَبْرِ؟ قَالَ زَمَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدَنِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا تُرَوِّهُنَّ وَهَمَّ يَرُونَكُمْ
فَوَمُوا فَأَدَاؤُنِي إِلَى مَنْ يَبْدَى (٢) وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْرَةَ جَاءَ بِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ فَأَذَّنَ
بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّي بِالنَّاسِ غَرِجَتْ قَمَلٌ بِحُضْرَةِ الْبَابِ الْإِمْرَانِي
رَجُلٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ قَمَلٌ يَأْمُرُ فَصَلَّيْتُ بِالنَّاسِ قَلَامَ عَمْرِو فَمَا كَبَّرَ وَكَانَ رَجُلًا صَيَّا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ذَلِكَ وَاللَّسْلُونُ قَالَهُمَا ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فُلَيْصُ بِالْأَسِ قَالَتْ ثَالِثَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَارَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا بَكْرٍ جَلَدَ بَرِيْقَ
الْقَلْبِ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلِبَ الْبُكَاءُ فَقَالَ إِنَّكُمْ صَوِّبَاتٌ يَوْسُفُ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فُلَيْصُ بِالْأَسِ

(١) حَدِيثُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَزَادَ تَهْلًا أَطْفَاؤًا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْبَاسُ فَأَعْلَمَهُ بِكَلَامِهِمْ وَاسْتَفَافَهُمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُرُوجِهِمْ تَوَكُّفًا
مَعْصُوبِ الرَّأْسِ يَخْطُ رَجُلُهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ النَّبْرِ فَذَكَرَ خُطْبَتَهُ بَطْلُوها وَحَدِيثُ
مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ وَفِيهِ نِكَارَةٌ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا وَأَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَرَارٍ بْنُ الْأَزْوَريِّ تَابِي. رَوَى عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَفِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ لَيْسَ بِالْقَوِي (٢) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ سَلِّ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ الْحَدِيثُ فِي
سُؤَالِهِ لَهُ مَنْ يَلِيَّ غَدَاكَ وَفِيهِ نَكْتَنُكَ وَكَيْفَةَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُمَرَ
ابْنِ عَمْرِو وَهُوَ الْوَادِدِيُّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ إِلَى ابْنِ عَوْفٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ كَأَقْدَمِ.

رفع لكل جمع
بلا مفرقة زائدة
وكل مفرقة بلا جمع
تعطيل . وقال الجنيدي
القرب بالوجود جمع
وضيعة في البشرية
مفرقة وقيل جمعهم في
المفرقة وقرئهم في
الأحوال والجمع اتصال
لا يشاهد صاحبه إلا
الحق في شاهد غيره
فأجمع والفرقة تهود
لأن شاء بالمباينة
وعباراتهم في ذلك
كثيرة والمقصود أنهم
أشاروا بالجمع إلى
تجريد التوحيد
وأشاروا بالفرقة إلى
الاكتساب فعل هذا
لا جمع إلا بفرقة
ويقولون فلان في عين
الجمع يتون استيفاء

قال صلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بذلك وعجك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت فيقول عبد الله إن لم أر أهدأ أولى بذلك منك قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا لرغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من الخطرة والمهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويغفون عليه ويتشابهون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءه وعصمه الله من كل ما تخوف عليه من أمر الدنيا والدين ^(١) وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوالهم مستبشرين وأخوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثاء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجني عن هذا لللك يستأذن لي» فخرج من في البيت غيры ورأسه في حجرى و جلس وتحت في جانب البيت فاجبى لللك طويلا ثم إنه دعاني فأدور رأسه في حجرى وقال للتسوة ادخلن قفلى ما هنا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك اللوت جادى قال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فإذا أمرت قلت لكف عنى حتى يأتمنى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستبقنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجنا وكأنا ضربنا بصاحه ما نغير إليه شيئا وما يتكلم أحدهن أهل البيت أعظاما لذلك الأمر وهية ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فرفعت حسه خرج أهل البيت فدخل قال إن الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول كيف تحبذ وهو أعلم بالذى تحبذ منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمك قال أجدنى وجسا قال أجبر فان الله تعالى أراد أن يملك ما أعدلك قال جبريل إن ملك اللوت استأذن على وأخبره الخبر قال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يملك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك اللوت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يحمى وأذن للنساء فقال بإفاضة ادنى فأكتب عليه فاجابها فرفعت رأسها وعيناها تتمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكتب عليه فاجابها فرفعت رأسها وهى ضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فالتأى بذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فكيفت ثم قال إنى دعوت الله أن يلحقك بى في أول أهلى وأن يملكك معى فضحك وأدنت أختها منه فشمهما قالت وجاء ملك اللوت فسلم واستأذن فأذن له فقال لللك ما تأمر يا محمد قال ألحقى بربى الآن قال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك

(١) حديث عبد الله بن زمعة جاء به بلال في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبى بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجل ليس فيها أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبى بكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل في أول ربيع الأول وقال مروا من يصلى بالناس وقال يابى الله ذلك وللؤمنون مرتين وفى رواية له فقال لا لا لا ليس للناس ابن أبى حنيفة يقول ذلك منضبا وأما ما فى آخره من قول عائشة فى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله إن أبى بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال إنك إنك صوابات يوسف مروا أبى بكر قليل بالناس .

مراقبة الحق على باطنه
فالذا ماد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة
فصحة الجمع بالتفرقة
وصحة التفرقة بالجمع
فيها يرجع صاحبه
إلى أن الجمع من العلم
بالله والتفرقة من العلم
بأمر الله ولا بد منها
جميعا . قال للزير
الجمع عين القضاء بالله
والتفرقة البوذية
متصل بسببها بالخص
وقد غلط قوم وادعوا
أنهم في عين الجمع
وأشاروا إلى صرف
التوحيد وعطلوا
الاكتساب فتردقوا
وإنما الجمع حكم الروح
والتفرقة حكم القالب
وما فله هذا التركيب
باقيا فلا بد من الجمع

ولم ينس عن الدخول على أحد إلا إذ نزل عليه ولكن ساعدك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحي وطوى الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقي لا والله يثب محمد الحق على البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كله ولا يثبت إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قالت قدمت إلى النبي ﷺ حتى أضمر رأسه بين يدي وأمسكت صدره وجعل يضي عليه حتى غلب وجهه وترشح وشجا ما رأيته من إنسان قط فجلت أسأت ذلك العرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فكنت أوله إذا أفاق بأبي أنت وأمي وقسى وأهل ماعلي جيتك من الرشح فقال يا عائشة إن قسى للؤمن تخرج بالرشح وقسى الكافر تخرج من شدة كنفس الحمار فتند ذلك ارتنا وبهنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يجده أخى به إلى أبي فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يمسي أحد وأما صدم الله عنه لأنه ولاء جبريل وميكائيل وجعل إذا أغشى عليه قال بل الرفيق الأعلى كان الأخيرة تمامه عليه فإذا أطلق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متاكسين ماسلين جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتضاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضى الله عنها ما قبلت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بظلمة

(١) حديث عائشة لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم ووجدوا بهم مستبشرين وأخبار رسول الله ﷺ بالنساء فبقينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجني عنى ، هذا الملك يستأذن على الحديث بطوله في مجي ملك للوت ثم ذهابه ثم مجي جبريل ثم مجي ملك اللوت ووفاته صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك اللوت أن اهبط إلى حبيبي وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة ولرفق به في قبض روحه وفي دخول ملك اللوت واستئذنه في قبضه فقال يا ملك اللوت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في سماء الدنيا وللانكس يزوره فيك فلما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقمع عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن يملك اللوت فاته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فذا ملك اللوت يبالغ قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كره بذلك إلى أن قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد النعم بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضا متروك قاله الهار قطنى ورواه الطبراني أيضا من حديث الحسين بن على أن جبريل جاءه وألقى عليه عن ربه كيف تمجده ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك اللوت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولافناه ثم استأذن ملك اللوت وقوله أمض لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون التميمي قال البخارى ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجي ملك اللوت أولا واستئذنه قوله إن ربك يقرئك السلام قال ابن جبريل فقال هو قريب منى الآن يأتي فخرج ملك اللوت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث. (٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتضاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والنفسرة . وقال الواسطي إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت وإذا كنت قائما بهرك فأتت فان بلا جمع ولا نفرة . وقيل جميع بذاته وفرقه في صفاته وقد يردون الجمع والنفرة أنه إذا أثبت نفسه كسبا ونظرا إلى أعماله فهو في النفرة وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو في الجمع وجميع الاشارات بنى أن الكون يفرق والمكون يجمع فدن أثر المكون جمع ومن نظرا إلى الكون فرق فالنفرة عبودية والجمع توحيد فإذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالسكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل أبي قحافة من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها ولما مات رسول الله ﷺ اتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم لللائكة ثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بسنا البد وخط آخرون فلاتوا الكلام بنير يان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وطى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ولم ير جسده الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمتنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وإنما زعموا الله عز وجل كما زعم موسى وهو آتكم^(١) وفي رواية أنه قال: يا أيها الناس كنوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يموت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ يده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والساد وإن كان الناس لم يعرفوا إلا بقوله إلى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولعله قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبعد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبعد رب محمداً فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إنا أنزلنا ما أتتكم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تملآن وغمضه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جله النمل والقتال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طابت

أثبت طاعته نظراً إلى كسبه فرق وإذا أثبتنا بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأنفال خارقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . مثل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام قال: أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبير من موسى ثم كلم فكان للكلم ولللكام هو وصيف كان يطبق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا، بإياه جمع ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قسوة تلك

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ لللائكة ثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بسنا البد وخط آخرون فلاتوا الكلام بنير يان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وطى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ولم ير جسده الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمتنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وإنما زعموا الله عز وجل كما زعم موسى وهو آتكم^(١) وفي رواية أنه قال: يا أيها الناس كنوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يموت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ يده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والساد وإن كان الناس لم يعرفوا إلا بقوله إلى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولعله قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبعد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبعد رب محمداً فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إنا أنزلنا ما أتتكم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تملآن وغمضه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جله النمل والقتال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طابت

حيا وميتا انقطع موتك ما لم ينقطع موت أحد من الأنبياء والنبوة فعضمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصمت حتى صرت مسلاة وعصمت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان خيرا رامتك لجئنا لحزنك بالفوس ولولا أنك نهييت عن البكاء لأخذنا عليك ماء السيون فأما ما لا نستطيع فيه عنا فسكند وادكار محالفان لا يزحان اللهم فأبلغه عنا إذ ذكرنا بإمحمد صلى الله عليه عندك ولكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يتم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واخفظه فينا (١) . وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأتى عجب أهل البيت بمجئهم أهل الصلي كلها ذكر شيئا لزدادوا لها سكن هيجهم إلا تسليم رجل على الباب حيث جلد قال السلام عليكم بأهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونحو من كل عناققة فالله فارجوا وبه فتقوا فاستمعوا له وأنصتوا وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء قد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فنادم مناد آخر لا يرفون صوته بأهل البيت أذكروا الله واحمدوه على كل حال تسكونوا من المحاصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فاقه فأطيعوا وبأمره فأعمروا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى المقام بحرم حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث نفس الناس عبراتهم بخطة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغضبه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفحل وللقال فأكب عليه فكشف الثوب من وجهه الحديث إلى قوله واخفظه فينا ابن أبي الدنيا في كتاب الزواء من حديث ابن عمر باسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في جماع التزوية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عناققة فالله فارجوا وبه فتقوا ثم سمعوا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فاطيعوا وبأمره فأعمروا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع لم أجد فيه ذكر البسع وأما ذكر الحضر في التزوية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بلى قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصحبه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الزواء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يكون فدخل عليهم رجل طويل شعر للتكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بضادني باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالاك فأتى الله تعالى فأثنيوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فإن للصاب من لم يجبره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فنظروا بيننا ومما فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخوتني عليه السلام جاء يميزنا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أن نسمع حسولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالاك ودركا من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فإن المحرم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي تدرن من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تسلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمروفي عن علي بن الحسين مرسل من غير ذكر في كآ رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الحضر.

القصة مع ولولا
تلك القوة ما قدر
على السمع ثم أئسد
القاتل مثالا ؛
وبدا له من بعد
ما اندلس الهوى
بقى تألني موهنا
لما نه

يدو كحاشية الرداء
ودونه
صب البرى متنع
أركانته
فبدا لينظر كيف لاح
فلم يطق
نظرا إليه ورده
أشجانه
فالتار ما اشملت عليه
ضلوعه
ولما ما سمحت به
أجفائه
ومنها قولهم التجليل
والاستار قال الجند

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده الله
 الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كأنزل وأن الدين كاشع
 وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق للبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك
 ونيك وحبيك وأمينك وخيرتك وصفوك بأفضل ماصليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل
 صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام التلقين محمد قائد الخير
 وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يشبه به
 الأولون والآخرون واحضنا بمقامه الممجد يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلنه الدرجة
 والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كاصليت وباركت على
 إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يبيد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يبيد الله فإن
 الله حي لم يموت وإن الله قد هدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزا فإن الله عز وجل قد اخذنا لنبيه صلى الله
 عليه وسلم ماعدته على ماعدتك وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يفتنكم
 الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وما جاول الشيطان بالخير ليجزوه ولا تستظفروه فيلحق
 بكم ويقتسمكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول
 ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا: كذا وكذا يوم
 كذا: كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإنهم ميتون - فقال والله لكأنني اسمع به في كتاب
 الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت
 - إنا لله وإنا إليه راجعون - وصاروا الله على رسوله وعند الله تحتب رسوله صلى الله عليه وسلم
 ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لنفسه قالوا : والله ما ندري كيف
 تفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرده عن ثيابه كما تفنع بموتانا أو نفسه في ثيابه قالت فأرسل
 الله عليهم النوم حتى ما بقى منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائم ثم قال لا يدري من هو صاوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا فقاموا ذلك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في قبضه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قبضه فتودينا أن نخلعوا
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقرئناه ففعلناه في قبضه كما تفعل موتانا مستلقيا مانشأه
 أن يقبل لنا منه عضو لم يالغ فيه إلا قلب لنا حتى تفرغ منه وإن منا لحيفا في البيت كالحرف الرشاء
 ويصوت بنا ارتقا رسول الله ﷺ فانكم مستكفون فكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولم يترك سيدا ولا لبا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرس لحده بغيره وقطيفة وفترشت ثيابه عليه التي كان
 يلبس يقظان على القطيفة والفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بئرا في حياته
 لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة (١) فني وفاته عبرة تامة للمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرس لحده بغيره وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بئرا في حياته لبنة
 على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة أما وضع للفرشة والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم
 من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بقى في حياته فقد تقدم أيضا .

إنما هو تأديب
 وتهذيب وتذويب
 فالتأديب عمل الاستار
 وهو للعوام والتهذيب
 للخواص وهو التجليل
 والتذويب للأولياء
 وهو المشاهدة وحاصل
 الاشارات في الاستار
 والتجليل راجع إلى
 ظهور صفات النفس .
 ومنها الاستار وهو
 إشارة إلى غيبة صفات
 النفس بكمال قوة
 صفات القلب (ومنها
 التجليل) ثم التجليل قد
 يكون بطريق الأفعال
 وقد يكون بطريق
 الصفات وقد يكون
 بطريق الذات والحق
 تعالى أبقى على
 الحسواس موضع
 الاستار رحمة منه

لعمرك ما بيني التراء عن الحق إذا خرجت يوما وصافى بها الصدد فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد - انظروا ثوبي هذين فاعساوهما وكفونوا فيهما فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الفمام بوجهه . ربيع التامى عصمة للأرامل

قال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا ينظر إليك ؟ قال قد نظر إلى طبيبي وقال إنى ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان القارى رضي الله تعالى عنه يعود . قال يا أبا بكر أوصنا قال : إن الله فاع علىكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلافك . واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تحزنن الله في ذمة فيك في النار على وجهك، ولما قل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فإذا تحول لربك قال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاه فقال إنى موصيك بوصية . اعلم أن الله حقا في التها لابقية في الليل وإن الله حقا في الليل لابقية في النهار وأنه لا يضل النافعة حتى تؤدي القرصة وإما حلت موازين من قلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وهله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يقل وإما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفت عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وعجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا يبلغ مبلغ هؤلاء فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الله على ما يقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً رهاياً ولا يبقى يديه إلى الهلكة ولا يتنى في الله غير الحق فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غالب أحب إليك من اللوت ولا يلدك . وإن ضيقت وصيتي فلا يكون غالب أبغض إليك من اللوت ولا يلدك منه ولست بمعجزه ، وقال سعيد بن السيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أثناء ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك . قال أبو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق للين قالوا وما الأفق للين ؟ قال فاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأشجار وأشجار يشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا المكان : اللهم إنك ابتدأت الحق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فرقتين فرقا فنعيم وفرقا لغير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعر . اللهم إنك خاتمت الحق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم ذقيا وسعيدا وغويا ورشيذا فلاتدنى بمعاصيك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقه فلا تعرض لها بماعلت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك أن أشاء ما يقربني إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تحرك شئ إلا إذا نكت فاجعل حركاتي في تمواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما أملا يعمل به فاجعلني من خير التسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيت به صدورهم فالتبرع صدرى للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأهينى بعد اللوت حياة طيبة وقربني إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى تهته ورجاؤه غيرك فأنت تهتى ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل .

لهم ولغيرهم فأما لهم
فلا تهم به . يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لغيرهم فلا تهموا بمواضع
الاستقرار لم يتفتح بهم
لاستقرارهم في جميع
الجمع وبروزهم في الواحد
القبائل . قال بعضهم
علامة تجلب الحق
للأسرار هو أن لا يجد
السر ما يسلط عليه
التعبير وهو به القيم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
أجلال . وقال بعضهم
التسجلى رفع حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستقرار أن تكون
البشرية حائلة بينك
وبين شهود النبي .
(ومنها التجريد والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر مابين وبينه إلا عبد الله بن عباس وكان إذا مر بين الصنين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استوا حتى إذا لم يرفهم خلا هتفم فسكر قال ورمقاً سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فمأهوا إلا أن كبر فسمعتهم يقول قلني أو أكلني الكلب حين طمعه أو لؤلؤة وطار الملح يسكن ذات طرفين لا يمر على أحد مينا أو محالا إلا طمعه حتى طمن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن الملح أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه قائماً من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحي السجدة ما يدرون ما الأمر غير أنهم قدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصرى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قلني قال فتاب ساعة ثم جاء قال غلام الليرة بن شبة قال عمر رضي الله عنه قالته الله لقد كنت أمرت به معروفاً ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني يد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكرهم رفقاً فقال ابن عباس إن شئت فعلت : أي أني شئت فتلتم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلكم وحجوا حجبكم فاحتدل إلى بيته فاطلقتنا معه قال وكان الناس لم تصبه مصيبة قبل يومئذ قال قاتل يقول أخاف عليه وقائل يقول لأبأس فأني بنيت فخر به منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فخر به منه فخرج من جوفه فصرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يشتون عليه وجاء رجل شاب فقال أيسر أمير المؤمنين يشرى من الله عز وجل قد كان لك حصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كبنانا لاهي ولألي فلما أدبر الرجل إذا إزاره عسى الأرض فقال ردوا على العلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أتى ثوبك أو أتى ثوبك ثم قال يا عبد الله انظر ما لي من الدين غسيوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه فقال وني في مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فلي في بني عدي بن كعب فإن لم ترض أموالهم فلي في قريش ولا تدم إلى غيرهم وأد عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقلت قتل عمر عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه فذهب عبد الله فلم واستأذن ثم دخل عليها فوجها قاعده تبكي فقال اقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبه فقالت كنت أريد نفسي ولأورثته اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارضوني فأسمده رجل إليه فقال ما ليك قال الذي يحب أمير المؤمنين قد أدنت قال الحمد لله ما كان شيء أم إلى من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أدنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قننا فولجت عليه فبككت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلها فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوس يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما رى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى علياً وعثماناً والزبير وطلحة ومعداً وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس لهم الأمر شيء كهيئة التزوية لفان أصابت الامارة معداً فذلك وإلا فليستن به أيكم أرفأ قالوا لعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصي خليفتي بدي بالهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرماتهم وأوصيه بالأنصار خير الله في يومه والله أوفى بالإيمان من قباهم أن يقبل من محسنهم وأن ينفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خير أقاتهم وردد الإسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن البعد يبعد عن الأغراض فيا بعده لا يأتي ما يأتي به نظراً إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإتقاده والتفريد أن لا يرى نفسه فيا يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنى الأفعال والتفريد بنى نفسه واستغفره في رؤية لمة الله عليه وغيبته عن كسبه ومنها الوجد والتسواجد والوجود) قالوا جدياً يريد على الباطن من الله يكسبه فرحاً أو حزناً ويشيره عن هيبته

وجاء الأموال وغنم البدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رسالتهم وأوصيه بالأعراب خيرا فاتهم أصل الحرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حوائج أموالهم ويرد على قرائهم وأوصيه بصفة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بهدم وأن يجادلهم من وراءهم ولا يكتفهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحمل قلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أذخولوه فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الإسلام على موت عمر ^(١) » وعن ابن عباس قال « موضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجلا قد أخذ عني كفي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلقت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وإياي الله إن كنت لأظن ليحط بك الله مع صاحبك وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « فجب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ^(٢) » فاني كنت لأرجو أو لأظن أن يحملك الله معهما .

(وفاة عثمان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور وقد خلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان محصورك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين يدي وبين كفتي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفلطرت عندنا فاخترت أن أفلطرت عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثمان في الوت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نسي يده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبكم الذين ألباكم على قال فجاء بهما كأنهما حماران أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعمل غير جر رومة فقال من يشتري رومة يحمل دلوه مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترينا منها من صلب مالي فأثم اليوم نعنمون أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش السرة من مالي ؟ قالوا نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن السجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقة آل فلان فيزيدها في السجد يغير منها في الجنة فاشترينا من صلب مالي فأثم اليوم نعنمون أن أصل فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثياب بكمه ومعه أبو بكر وعمر وأنا فحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيق قال فركضه برجله وقال اسكن ثيابي فما عليك إلا بي وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ^(٣) . وروى عن شيخ من شبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الإسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب الشريعة من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول علي بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذي وقال حسن والنسائي.

وتطلع إلى الله تعالى
وهو فرحة يحدها
للغلاب عليه صفات
تسه ينظر منها إلى الله
تعالى والتواجد
استجلاب الوجد
بالذكر والتفكير
والوجود السام فرجة
الوجد بالخروج إلى
فضاء الوجدان فلا وجد
مع الوجدان ولا غير
مع البيان فالوجد
برسمية الزوال
والوجود ثابت ثبوت
الجبال وقد قيل :
قد كان يطربني ووجدني
فأضدني
عن رؤية الوجد من
في الوجد ، وجود
والوجد يطرب من لي
الوجد راحة
والوجد عند حضور
الحق مفقود

خرب والدماء تسيل على لحيته جمل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم
إني أستعديك عليهم وأستينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتي .

(وفاة على كرم الله وجهه)

قال الأصمعي الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها على كرم الله وجهه أتماما من التياح حين طاع العجر
يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع مثقال ضاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة قائم على بطنه وهو يقول:

أشد حيازك للموت . فإن للسوت لايقا

ولا تجزع من اللوت إذا حبل بواديا

فما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فصره فصره فخرجت أم كلثوم ابنة على رضي الله عنه فجلست تقول
مالي ولصلاة العدة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة العدة قتل أبي صلاة العدة وعن شيخ من قريش أن
علي كرم الله وجهه لما صر به ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما صر بواصي بنه
ثم لم ينطق إلا بإله إلا الله حق قبض ولما نقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله
عنه فقال يا أخي لأني شيء تجزع تهدم على رسول الله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وهما أبو الكوطين خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماءك وعلى حمزة وجعفر وهما عماءك قال يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله
وعن محمد بن الحسين رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه
خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتكررت وأدبر معروفها
وانشرفت حتى لم يبق منها إلا كسبابة الإثاء الأحصي من عيشي كالمرعى الويل لأتروا الحق لا يصلح به
والباطل لا يتقاهي عنه ليرب للؤمن في لقاء الله تعالى وإني لأرى للوثة الإسعاف والحقائق الظالمين إلا اجرا .

(الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أقصدون فأعده فعمل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى
وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الحرم والأخطاط ألا كان هذا وغصن الشباب بفرض ربان وبكى حتى
علا بكأوه وقال يارب أرحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واخفف الآلة وعد بحملك
على من لم يرج غيرك ولم يبق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه
في مرضه فرأوا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني أجمع إلا ما جربنا ورأينا
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستقبلنا بيشتنا لما لبثنا الدنيا أن قضت ذلك منا حالا
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترت وأخطقتنا واستألمت إلينا أف الدنيا من
دار ثم أف الدنيا من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيتها الناس إن من زرع
قد استحصه وإن قد وليكم ولئن يليكم أحد من بدى إلا وهو شر مني كما كان من قبل خيرا مني
ويأيد إذا ولي أجلي قول غسلى رجلا لييا فان الأيب من الله بكمان فليتم التسلى وليجرم بالتكبير
ثم أحمدا إلى مندبل في الحزاة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقرا من شعره أو أظفاره
فاستودع القراصة أنقى وأذن وعيني واجمل التوب على جللى دون أ كفاي . ويأيد حفظ
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتوني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم
الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل معاوية اللوت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بدى طوى
وإنى لم آل من هذا الأمر شيئا . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دهق
يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به الفسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل من كسب بدى يوما يوم

(الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين)

(ومنها التلبية) التلبية
وجد متلاحق فالوجد
كالبرق يبدو والتلبية
كتلاحق السبرق
وتواتره ينب عن
التبين فالوجد ينطق
سريما والتلبية تنطق
للأسرار حرز انبعا.
(ومنها المسامرة) وهي
نمرد الأرواح بحسب
مناجاتها ولطيف
منافاتها في سر السر
بلطيف إدراكها
القلب لتفرد الروح بها
فتلتذ بها دون القلب
(ومنها السكرو الصحو)
فالمسكر استقبله
سلطان الحال والصحو
العود إلى ترتيب الأفعال
وتهديب الأقوال
قال محمد بن خفيف

ولم آله من أمر الدنيا شيئا فبلغ ذلك أباحزم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا للوثة يتنعمون ما نحن فيه وإذا حضروا للوثة لم تتم نعم فيه . وقيل لبلد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدني كما قال الله تعالى - وقد جثمتوا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية - ومات . وقالت طائفة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم وولوسا عني نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بين وبينه باب وهو في قبة له فسمعتهم يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين -

ثم هذا فجلست لأسمع له حركة ولا ما قلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هوميث وقيل له لما خبرته اللوثة اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما قتل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه اللوثة فرفع عمر بصره وقال ولا آمن اللوثة أيضا على من لم يسق السم قال للطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تنهب نفسك قال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شغائي عند شجرة أدنى ما رفست يدي إلى أدنى فتناولته اللهم خر لعمري في قتالك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى قبله ما ميكك يا أمير المؤمنين أجبر قد أحيا الله بك سنا وظاهر بك عدلا فبكى ثم قال ليس أوقف فأسل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيه لم خفت على نفسي أن لا تقوم بجنتي بين يدي الله إلا أن يلقني الله حجتها فكيف بكثير مما ضيقنا وقتنا عينا فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فأجلسوه قال : أنا الذي أمرتني فصرخت ونيتي فصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر قبيل له في ذلك فقال إني لأرى خضرة مأم يا بنس ولا جن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انتهى إلى كفانه يده عند اللوثة وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عن مالي هلاك عن سلطانتي وفرش للأموال وماذا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا زول ملكه أرحم من قد زال ملكه وكان التمسح يقول عند موته لو علمت أن حمري هكذا قصير ما فلت وكان للتصير يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهب الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبيته من يأخذها بما فيها ليه كان يرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لا تنفري لي فكان عمر بن عبد العزيز تميمه هذه الكلمة منه ويخطه عليها ولما حكى ذلك الحسن قال أقالما ؟ قيل نعم قال عسى .

(بيان أقوال جماعة من خصوص السالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين)

لما حضرت معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لقرس الأشجار ولكن لظما للمواجر ومكابدة الساعات ومزاخمة العلماء بالركب عند خلق الذكر ولما اشتد به الزرع ونزع زحاما لم يزرعه أحد كان كما أتاني من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أختفى خفيك فوعزتك إنك تعلم أن ظلمي عليك عجب ولما حضرت سلمان الوفاة بكى قبله ما ميكك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر خيلان القلب
عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواسطي
مقامات الوجد أربعة
الذهول ثم الحيرة ثم
السكر ثم الصحو كمن
صبح بالبحر ثم دامت
ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج لعل هذا من
بقي عليه أثر من
سريان الحال فيه
ففيه أثر من السكر
ومن عاد كل شيء منه
إلى مستقره فهو صاحب
فالسكر لأرباب القلوب
والصحو لله صكاشقين
بمقائق النسيب .
(ومنها المحور والإيات)
الحو بإزالة أوصاف
النفس والإيات بما
أدبر عليهم من آثار
الحب كزوس وألحو

صلى الله عليه وسلم أن تكون بلفة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ^(١) ثم فطامات سلمان نظري جميع ما ترك فإذا تيمته بضمة عشر درهما ولما حضر بلاء الوفاة قالت امرأته واحزنه فقال بل واطرباه غدا تنالني الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وشجلك وقال لكل هذا فليعمل الصالحون - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قهقهة ما يريك له ما يريك قال أنتظر من الله رسولا يشرفني بلفظة أو بالآثار ولما حضر ابن للتكدر الوفاة بكى قهقهة ما يريك له ما يريك فقال والله ما بكى لأدب أعلم أني أتيت ولكن أخاف أني أتيت شيئا حسبت هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر ماسر بن عبد القيس الوفاة بكى قهقهة ما يريك له ما يريك قال ما بكى جزعا من اللوث ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما بقوتني من غدا المواجه وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفره واقفه زادته ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فيكبي نصر فقال له ما يريك قال ذكرت ما كنت فيه من النعم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأضيء وأن يعينني موت الفقراء ثم قال له اتقيا ولا تصد على ما لم أنصركم بكلام ثان - وقال عطاء بن يسار يمدني إليس رجل عند الموت قال له تجوت فقال ما أنتك بعد وبكى بعضهم عند اللوث قهقهة ما يريك له ما يريك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل - إنما يتقبل الله من التقيين - ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يعود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتنهي آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهدي أوله وقال الجديري كنت عند الجندب في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم التبروز وهو يقرأ القرآن فتمت قتلته في هذه الحالة يأبى القاسم قال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صفيق - وقال روم حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول:

حينئذ قلوب المارقين إلى الذكر
وتندكهم وقت النجاة لئس
أدبرت كسوف الشمس علينا عليهم
فأغفوا عن الدنيا كغفاه ذئب الشكر
هو مهمو جوارحه بمسحكر
فأجابهم في الأرض قتل بحجة
وأرواحهم في الحجب نحو المال لئسرى
فما عزموا إلا قسرب حبيبهم
وما عزموا من مس يؤس ولا ضر

وقيل للجندب إن أبي سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند اللوث فقال لم يكن بسبب أن تطير روحه احتياقا وقيل لدى النون عند موته ما تشبه قال أن أعرفه قبل موته بلحظة وقيل بعضهم وهو في التزج قل الله قال إلى متى تقولون الله وأنا عتق رب الله - وقال بعضهم كنت عند عبيد الله بنوري قد قدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن للإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجعد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومدر جلي ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدت لهاموني فقامت الرافعة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقت ميتة - ويحك من فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هلما أبو إسماعيل قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يأبى على قلبه ذلك الرب العاقبى وإن لم ترد هامى أنشأ يقول:

وحكك لانتظرت إلى سواكا بعين موفة حتى أراكا
أراك محذوقا بتور لحظ وبالحد الورود من حياكا

هو رسوم الأعمال
ينظر الفناء إلى نفسه
ومامنه والنيات
إيمانها بما أنشأ الحق
له من الوجود به
فهو بالحق لا بنفسه
بأبواب الحق إليه
مستأفيا بعد أن
عماه عن أوصافه -
قال ابن عطاء يحبو
أوصافهم ويبت
أسرارهم (ودنها علم
اليقين وعين اليقين
وحق اليقين) فلم
اليقين ما كان
من طريق النظر
والاستبدال بعين اليقين
ما كان من طريق
الكشف والتوال
وحق اليقين ما كان
بتحقيق الاتصال
عن لوث الصامال

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلفة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم.

وقيل للجند قل لا إله إلا الله قال مانسته فأذ كره وسأل جعفر بن نصير بكران الديوري خادم النبي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلة وصدقت عن صاحبه بألوف فما لي قلي خقل أعظم منه ثم قال وصنتي الصلاة فقلت نفسيّ خليل لحيت وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها لي لحيت ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يخفه في آخر عمره أدب من آداب الشريفة وقيل لبشر الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القوم على التشديد وقيل لصالح بن مسبار ألا توصي بانيك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غير مولانا احتضرا يوسلمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أجزع فانك تخدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون أحضر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويمايقك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قبله وأوصاه فقال احفظوا أمراد الحق فيكم احضروا بعضهم فيكتم أمراته فقال لها ما ييكك فقالت عليك أبكي فقال إن كنتي كائكة فابكي على نفسك قلقد بكيت لهذا اليوم أروحي سيئة وقال الجند دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تحبكم فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابي من طبيبي
فأخذت الروح لأروحه فقال كيف يجد ربح الروح من جوفه يخترق ثم أنشأ يقول :
القلب يخترق والسمع مستيق والكرب يجتمع والسير مفترق
صكيف الترار على من لا قراره مما جناه الهوى والشوق والتلق
يأرب إن يك شيء فيه لي فرج فامتنع عليّ به ما دلم لي رفق

وحكى أن قوما من أصحاب الشيلي دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول :
إن يبيتا أنت ما كره غير محتاج إلى السرج وجهك للأمول حجتا
يوم يأتي الناس بالجميع لا أتأخ إلى فرجا يوم أدمو منك بالفرج
وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجند في وقت زعمه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال أعلدني فاني كنت في ودي ثم ولي وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان مملك فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتك به وقتت على باب قلبه أربعين سنة فكلامه فيه غير الله حبيته عنه وحكى عن الخمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان قد كرت محاسنه فأفاق فقال لمن للتكلم؟ فقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لي إن بكل سخي رفيق ثم طفي دولا حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجدته قلقا فقال يا أبا محمد هذا أوان التلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأصحابه لهذا الرجل الصالح علفت عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله وعن النسابي قال دخلت على شيخ من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارقني بي . ودخل بعض الشاغل على عماد الدينوري في وقت وفاته فقال له لعل الله تعالى وضع من باب الهناء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها لما أعرتها طرفي . وقيل لرويم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لأحسن غير مولانا حضرت الثوري الوفاة قبل له قل لا إله إلا الله قال ليس ثم أمر . ودخل للزني على الشافعي رحمة الله عليها في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الله نيارا حلولا ولاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس اللية شاربيا وعلى الله تعالى ولهم ولا أمدى أروحي نصير إلى الجنة فأنهيا أم إلى النار فأعزها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال
قال فارس : علم اليقين
لا اضطراب فيه
وعين اليقين هو
العلم الذي أودعه
الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نعمت
اليقين كان علما
بشبهة فإذا انضم
إليه اليقين كان علما
بلا شبهة وحق اليقين
هو حقيقة ما أشار
إليه علم اليقين وعين
اليقين . وقال الجند
حق اليقين ما يتحقق
البعد بذلك وهو
أن يشاهد القيوب
كما يشاهد الرليات
مشاهدة عيان
وعلمك على التيقن
عنه بالصدق كما أخبر
الصديق حين قال لما

ولما قسا قلبى وضاعت مذاهبي
جئت رجائى نحو غفوك سلما
تساعطنى ذنبي فلما قرنته
بغفوك ربي كان غفوك أعظما
لما زلت ذا غفوعن الله نبلم أزل
تجود وتغفو منة وتمكربا
وفولاك لم يوفى يا بليس هابدا
فكيف وقد أغوى صفيك آدماء

ولما حضر أحد من خضرويه مثل عن مسئلة فدمت عيناه وقال يا بني بلب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أختنح بالسعادة أو الشقاوة فكان لي أوان الجواب فنهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس في أقاويل المارقين على الجنائز ولقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عمرة البصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل التفلة فالتأنيلا يزيدهم مشاهدتها الإقصادة لأنهم ينظرون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لامحالة على الجنائز يحمولون أو يحسبون ذلك ولستكم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فطل حسبانهم وانقرض على القرب زمامهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعه في غد أو بعد غد . وروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر . وكان مكحول المشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإننا رمحون موعظة بلية وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له . وقال أميد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني قسي شيء سوى ما هو مفعول به وما هو سائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يكي ويقول والله لا تفر عني حتى أعلم إلى ماذا صرنا إليه ولا أعلم ما دمنا حيوا وقال الأعمش كنا نسد الجنائز فلا ندري من لمزى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نسد الجنائز فلا نرى إلا متقما باكيا فكذا كان خوفهم من اللوث والآل لا تنظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا ولا أكثرهم يضحكون ويلهون ولا يسلكون إلا في مبراته وما خلفه لورثته لا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ماخلقه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سب لهذه التفلة إلا قسوة القلوب بكثرة الماصي والقبور حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونقتل ونشتغل بما لا يمتينا فنسأل الله تعالى العقلة من هذه التفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكلام على البيت ولو عقلا البكوا على أنفسهم لآل البيت نظر إبراهيم الخليل إلى أناس يترحمون على البيت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك للوث وقد رأى ، ومראה للوث وقد ذاق ، وخوف الحائمة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن السلاء : جلست إلى جرير وهو على على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيعتي والله هذه الجنائز وأنا شأ يقول :

تروعا الجنائز مقبلات وتلهو حين تنهب مدبرات

مكروعة ثلة مختار ذئب فلما قلب طادت رائعات

فإن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبيه والاستعداد ولكي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آداب وسنة في فن التفقه ومن آداب حسن الظن بالمت وإن كان قاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرا الصالح فان الحائمة خطرة لا تدرى حقيقتها ، وذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات

(الباب السادس في أقاويل المارقين على الجنائز ولقابر)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أتيت لبياتك » قال الله ورسوله وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل ليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم العلم وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لحواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (ومنها الوقت والراد بالوقت ما هو غالب على المبدد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت همرك بالتوحيد وعمرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذي خطايا . ويحك أن رجلاً من التلمذيين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم يجد امرأته من يمينها على حمل جنازته إذ لم يدبرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فلما تجرت حملها وحملها إلى الصلي لئلا يصلي عليه أحد فحلتها إلى الصحراء لدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد تزل يصلي على فلان فخرج أهل البلد فصل الزاهد وصلىوا عليه وتعب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال تليل في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليه فانه مغفوره فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولاً يشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخمر قالت نعم ثلاثة أيام : كان كل يوم يبيت من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصل الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشتل بالقسق ، والثاني أنه كان أبداً لا يغويته من يتم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التقصد لهم ، والثالث أنه كان يبيت في أثناء سكره في ظلام الليل فيسكى ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فاستصرف الزاهد وقد أضرع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دنف أخ له فقال على قبره :

فإن تيج منها تيج من ذي عظمة وإلا فإني لإخائك ناجياً

(بيان حال القبر وأقوابهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل « يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم يشس القبر والليل وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبق على ما يفنى ولم يعد خدماً من أيامه وعد نفسه من أهل القبور (١) . » وقيل ليل كرم الله وجهه ما هناك جاورت القبرة قال إني أجدم خير جيران إني أجدم جيران صدق يكونون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضله منه (٢) » وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس إلى قبري وكنت أدنى القوم منه فسكى وبكىوا فقال ما يبكيكم فلنا بكينا لكنا قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن استغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة (٣) »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم يشس القبور والليل (٢) الحديث تميم (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس على قبري وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي الحديث وتميم في آداب الصحة أيضاً ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أبواب بن هانئ منه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

مائل البعد وقته
فانه كالسيف يعض
الوقت يحكمه ويقطع
وقد يراه بالوقت
ما يهجم على البعد
لا يكسبه فيتصرف
فيه فيكون يحكمه
يقال فلان يحكمهم
الوقت يعني مأخوفاً
عما منه بما لحق .
(ومنها التوبة والصدقة)
فالشهود هو الحضور
وقد بحث للرابطة
ووقتها بوصف
لشاهدة لنادام البعد
موصوفاً بالشهود
والرعاية فهو حاضر
فإذا قصد حال
الشاهدة وللرابطة
خروج من دائرة
الحضور فهو غائب
وقد ينون بالتوبة

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى ييل لحيته فقتل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وإذا وقفت على قبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد^(١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فقتل وصلى ركعتين فقبل له هذا ثم لم تكن تصنه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأجبت أن أقبر إلى الله بهما وقال مجاهد أوله ما يكلم ابن آدم خفرته تقول أنا بيت الله وبيت الوحدانية والبيت القبرية والبيت الظلمة هذا ما أعدت لك لما أعدت لى . وقال أبو هريرة أن أبا بكر يوم قبرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبو الهرداء يقعد إلى القبور قبل له فى ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرونى وما دى وإذا قلت لم يفتابونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول يا أهل القبور ما لى إذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع النجى . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرتت الآية أخشرك فى القبر وساكه إنك لو رأيت لبيت بعد ثلاثة قبرة لاستوحشت من قربه بعد طول الأنى منك به ولو رأيت بيتا يحول فيه الجوامع ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الميتة وطيب الريح وقناه الثوب قال ثم شئى ههنا خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول أبى القبور فى خفرته ولتخلى فى القبر وحدته للسناسن فى بطن الأرض بأصمائه ليت همى بأى أصمائه استبشرت وبأى أخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى ييل صمائه ثم يقول استبشرت بالله بأصمائه الصالحة واغتبط والله بأخوانه للتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتذكر نفسه ولم ينع لهم فقد خان نفسه وخاينهم وكان بكر العابد يقول يا أماء ليتك كنتى بى عتيا إن لآبنا فى القبر حسبا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم هناك ربك إلى دار السلام فالنظر من أين نجيته إن أجيته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجيته من قبرك متعتها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرها إنما الدواهي فى بواطنها وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول يا أهل القبور من نواصيتهم وعابيتهم أعمالكم فواعملوا ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور فلا يزال ذلك ما به حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجدته روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدته حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قسوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجسون لى أعمل صالحا فإني تركت يديهما وسوى فراشه فنوم فقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بينى وبينك شئى وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى دنائهم وعيشهم أما ترى صرعى قد حلت بهم الثلاث واستحكف بهم إلى وأصابت الجوامع مقيلا فى أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أتم عن صائر إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائلى يقول يا ثابت لا يتركك صوت أهلها فكم

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى ييل لحيته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه ويهجم فى آداب الصلوة .

التبسة عن الأشياء
بالحق فيكون على
هذا المعنى حاصل ذلك
راجعا إلى مقام الفناء
(ومنها) الدوق والشرب
والرى) فالقوى إيمان
والشرب علم والرى
حال فالقوى الأرباب
البواهي والشرب لأرباب
الطوائف والسوانح
والوامع والرى لأرباب
الأحوال وذلك أن
الأحوال هي التي تستقر
لها لم يستقر فليس
بحال وإنما هي لوازم
وطوائف وقيل الحال
لا تستقر لأنها تحسول
فاذا استقرت تكون
مقاما (ومنها) المحاضرة
والكاشفة والشاهدة
فالمحاضرة لأرباب
التسوين والشاهدة

من نفس مغمومة فيها ، وروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فنظت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أسوأ زربة لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلوا القسطاط ودخلت
للدنينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ماقدسوا فسمعوا من الجانب الآخر بلر يسوا
فأقبلوا . وقال أبو موسى التيمي : توفيت امرأة التززدق غفرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم
الحسن فقال له الحسن يا أباقراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منسختين سنة
فلما دفنت أقام التززدق على قبرها قال :

أخاف وراء القبر إن لم تاتني أهد من القبر التها وأضيحا
إذا جاءني يوم القيامة قائد عفيف وسواق يسوق التززدقا
قد خاب من أولاد آدم مني إلى النار مثول القلادة أزرقا
وقد أنشدوا في أهل القبور :

تف بالقبور وقلى على ساحاتها من منكم للتمور في ظلماتها
ومن للمسكر منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبخر الفضل في درجاتها
لو جادوك لأخبروك بألسن نصف الحقائق بعد من حالاتها
أما للطبع فأنزل في روضة يغضى إلى ماشاء من دوحاتها
والجهرم الطاغى بها متقلب في خصرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسمى إليه فروحه في شدة التدبيب من لذاتها
ومن داود الطائي على امرأة تبيك على قبر وهي تقول :

عسدت الحياة ولا تلتها إذا كنت في القبر قد أخلدوكا
فكيف أذوق لعلم الكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابنه بأى خديك بدأ الدود فصق داود فصق داود وخر متشيا عليه . وقال مالك بن دينار
مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أبيت القبور فادبتها فأين العظم والمختر
وأين اللد بسلطانه وأين للزكي إذا ما انخر
قال فتوديت من بينا أصعب صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تناهوا جينا فما خير وماتوا جينا ومات الخير
تروح وتندو بنات الترى فدمجوا حسن تلك الصور
قياساتى عن أناس مضوا أما لك فما ترى مشير

قال فرجعت وأنا بك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تأجلك أجدات ومن صموت وسكانها تحت التراب خفوت
أي جامع الدنيا تسير بلاؤه لمن تجميع الدنيا وأنت موت

أرباب التحسين
والكاشفة بينها إلى
أن تستقر فالمشاهدة
والماضرة لأهل العلم
والكاشفة لأهل الدين
والشاهدة لأهل الحق
أى حق اليقين (ومنها)
الطوارق والبوايد
والبساده والواقع
والقادر والطوايع
والواسع والأواغ
وهذه كلها ألقاظ
مقاربة للحن ويمكن
بسط القول فيها
ويكون حاصل ذلك
راجعا إلى معنى واحد
يكثر بالعبارة فلا تأنده
فيه وللتعود أن هذه
الأسماء كلها مبادى
الحال ومقدماته وإذا
صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا فاتم أما ذراك قواسع وقبرك معمور الجوابت حكم
وما ينفع للقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم
وقال ابن الهك مررت على القابر فإذا على قبر مكتوب :

ير أأاري جنات قبرى كان أأاري لم يعرفوني
ذوو لليراث يقتسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وطأوا فباله أسرع ما نسوني
ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأجاب غنسل لا ينسح للوت يواب ولا حرس
فكيف تفسح بالديا ولدتها يامن يد عليه اللقظ والنفس
أصبحت بالافلا في النفس منفسا وأنت دهرك في اللذات منفس
لا يرسم للوت ذا جهل لمرته ولا الذى كان منه السلم يقتبس
كم أخرس للوت في قبر وقت به عن الجيوب لسانا ما به خرس
قد كان قمره مسمورا له شرف قمره اليوم في الأجدات مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقت على الأجة حين صفت قودرم كأفراس الرهان
فما أن بكيت وقاض دمي رأيت عيناى بينهم مكافى
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لي قائل صار قيمان إلى رمة
فأين ما يوصف من طبه وحده في اللاء مع جسمه
هيات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لي أمل قصر لي عن باؤه الأجل
فلينق الله ربه رجل أمكنه في حياته العنل
ما أنا وحدي قلت حيث ترى كل إلى مثله سينقل

فهذه آيات كتبت على قبور لتعبر سكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصر هو الذى ينظر إلى
قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستند للحوق بهم ويملأهم لا يرحون من مكانهم ما لم يلحق
بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضى له لكان ذلك أحب إليهم من
الدنيا مجذا فيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور فأنما حسرتهم على يوم
من العمر ليتدارك القصر به تنصيره فيخلص من العقاب وليستزيد الوقف به رتبته فيتضاعف له
الثواب فأنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك
الساعة ولذلك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضى لها فوطن تحسك على التحسر على تضيقها عند
خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فعدت بعض الصالحين
رأيت أسألى في الله فإرى النائم قلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها
بنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا

هذه الأسماء كلها
ومعانيها .

(ومنها التساوين
والتمكين)

فالتساوين لأرباب
القلوب لأنهم تحت
حجب القلوب والقلوب

تخلص إلى الصفات
وللصفات تعدد بتعدد
جهاتها فظهر لأرباب

القلوب بحسب تعدد
الصفات بتوحيات ولا
تجاوز للقلوب وأربابها

من عالم الصفات وأما
أرباب التمكين
فخرجوا عن مشائم

الأحوال وخرقوا
حجب التساوب
وباشرت أرواحهم

مسطوح نور الذات
فارتفع التواون لمد

قد قام فصي ركبتين لأن أكون أقدر على أن أصليها أحب إلى من الدنيا وما فيها .

(بيان أقاولهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن يزوره في تقدمه عليه في اللوت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يظن عليه تأنيده لمامه أنه لاحق على القرب وليس بينهما إلا تضييق وتأخر وهكذا الموت فإن مضى السبق إلى الوطن إلى أن يلقى التأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يميز به كل مصاب فالرسول صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله » (١) وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زبد بن أسلم توفي ابن لهُواد عليه السلام غزون عليه حزنا شديدا فبقي له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهباً قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ ولا موت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اتان قال أو اتان (٢) ويلخلص الولد الدعاء لولده عند اللوت فإنه أرجى دعاء أقرب به إلى الاجابة . وقب محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه لحقني رجائي وآمن خوفي ووقفت أبوسن على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب له ما غفرت له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ، ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وجبت له ما صر فيه من يرى فيه له ما صر فيه من طاعتك . ولما مات ذو بن عمر بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بيد ما وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متحن به بما تمتعت ووفيته أهله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت تؤمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي قد وجبت له ذلك فبقي له عذابه ولا تمتد به فأبكي الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بصدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فاقد مضينا وركناك ولولنا ما ضلناك . ونظر رجل إلى امرأة بالبرقة قال ما رأيت مثل هذه النشارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يضرني شيء أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح غاة في يوم عيد الأضحي وكان لي صبيان مليحان بابان فقالا أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخبرته وذبجه وما شعرنا به إلا من شطط في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذبح فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من عدة الحر قالت فأرادني المهر كما ترى فأشال هذه المصائب يبنني أن تتذكر عند موت الأولاد ليسل بها من شدة الجزع لئلا من مصيبة إلا لا تصور ما هو أعظم منها وما يذهب الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للحيات وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار بقبور الصالحين مستحبة لأجل التبرع مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلى من فارس أخلفه خاني (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم الحديث تقدم في النكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

التعريف بالذات بالجلت
ذاته عن حصول
الحوادث والتعريفات
فلما خصلوا إلى مواطن
القرب من أنصبه تجلي
الذات ارتفع عنهم
التأويل فالتأويل
حينئذ يكون في
نفوسهم لأنها في محل
القابض لموضع طهارتها
وقدسها والتأويل الواقع
في النفوس لا يخرج
صاحبه عن حال
التحسين لأن جريان
التأويل في النفس
لبقاء رسم الانسانية
وثبت القسم في
التحسين كشف حق
الحقيقة وليس للشيء
بالتحسين أن لا يكون
للبسب تغير فإنه
بشر وإنما الشيء به

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت تهتكم عن زيارة القبور فزورها » ها فيها تذكركم الآخرة غير أن لاقولوا هجرا (١) « وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ (٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار (٣) كما وردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من القابر فقلت يأم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عنها قالت نعم ثم أمر بها (٤) ولا ينبغي أن يتعمك بهذا يؤذن للنساء في الخروج إلى القابر فانهن يكنن المجر على رموس القابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزيارسة فكيف يحتل ذلك لأجلها ، نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بدلة تردعين الرجال عنها وذلك بشرط الاختصار على النداء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو يوسف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل للوق فان معالجة جسدك أو موعظة بليغة وصول على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله (٥) » وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله ﷺ « زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة (٦) » وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بشرا أحدا لا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فصل وبكى عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبوه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برآ (٧) » وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لم يموت والداه وهو عاق لما فسد عاقله لما من بعدهما فيكتبه الله من البارئ (٨) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كوشف من الحقيقة لا يتوارى منه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التساوين قد يتناقص النفس في حق عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون يسوءه على مستقر الإيمان وتلوته في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس المنهى والوقت للميتى والحال للمتوسط فكانه إهارة منهم إلى أن للتبدى بطرقه من الله تعالى طارقي لا يستقر والتوسط صاحب حال غالب حال عليه ولتنهى صاحب نفس

(١) حديث على كنت تهتكم عن زيارة القبور فزورها ها فيها تذكركم الآخرة غير أن لاقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يونس في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور والاعتظا ويقال أحمد وأبو يونس غير أن لاقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جعدان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث برينة وعيشة أحمد بن عمران الأحنس، متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريمان ألفرا كب وفيه أنه لما أذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث برينة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنتني أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقبلت عائشة يومان من القابر فقلت يأم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبي الدنيا في القبور بسناد جيد (٥) حديث أبي ذر زار القبور تذكر الآخرة واغسل للوق فان معالجة جسدك أو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم في مسنده جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلًا وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبوه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برآ الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان رفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وعيشة عند الطبراني هي بن العلاء الجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل لم يموت والداه وهو عاق لما فسد عاقله لما من بعدهما فيكتبه الله من البارئ ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزير عن محمد بن جحادة

« من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي » وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة عتبتا كنت له شفيعا وشهدا يوم القيامة » وقال كعب الأحبار: ما من غير يطلع الا يزور سبعون قاضيا من الثلاثة حتى يغفوا بالقر يضررون بأجنتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أسوأ عرجوا وهبط مثلهم صنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الثلاثة يوقرونه. وللمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه لليت وأن يسلم ويسبح القبر ولا يمس ولا يقبه فان ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رايتهم يقرأوا كثيرا بحمد الله إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي يوسف. وعن أبي أمامة قال رايت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه اتشح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويمس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وقال سليمان بن سعيد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأثونك ويسلمون عليك أخفهم سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يمر فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم المجندري رايت عاصبا في منامي يمد يده بيديني فقلت أليس قد مات قال بلى قلت أين أنت فقال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا وقرن من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتي إلى أبي بكر بن عبد الله الذي فتلت أخباركم قلت أجامعكم أم لا وراحكم قال هيات بليت الأجسام وإما تلتاق الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا يا أكرم قال نعم فعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال فضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة قبيل ما لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن المولى يعفون زوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبري قبل طلوع الشمس يوم السبت علم لبيت بزيارته قبل وكيف ذلك قال لسان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل مختلف إلى الحياة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أسي وقف على باب القابر فقال آس الله وحشتم ورحم غريبتكم ونجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فأنصرفت إلى أهلي ولم آت القابر فادعوا كما كنت أدعو فينبأ أنا نائم إذا خلق كثير قد جادوني قلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل القابر قلت ما جاءكم بهم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الهديوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعوذ بالله لما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب البصري رايت أبا ترابة الصدوي العابد في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشر بن غالب هديا لك تأتيك على ألباق من نور شجرة بتبادل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموت فاستجب لهم جمل ذلك الدعاء على ألباق النور وخر بتبادل الحرير ثم أتى به ليلت قبيل هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ليلت في قبره إلا كالتريق للنور ينتظر دعوة تلتحق من أياه

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عتيق والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبري قد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة عتبتا كنت له شفيعا وشهدا يوم القيامة تقدم في (٣) حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويمس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن مسعود ولم أنقب على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأصبلي.

متسكن من الحال
لا يتنابذ عليه الحال
بالنية والمضروب
تكون الواجبه
مقرونة بأخافه متينة
لا تتنابذ عليه وهذه
كلها أحوال لأربابها
ولهم منها ذوق وشرب
والله يفسح يركمهم
آمين

[الباب الثالث
والستون في ذكر
شئ من البدايات
والتهالوت وصحتها]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
الشريف أبو طالب
الحسين بن محمد الزكي
قال أخبرتنا كريمة
الروضة قالت أخبرتنا
أبو الهيثم محمد بن مكي

أواخيه أوسديق له فلذا لحفته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموال
الدعاء والاستغفار (١). وقال بعضهم مات أخ لي فزأيت في المنام فقلت ما كان حاله حيث وضعت
في قبره قال آتاني آت بهاب من نار فقلوا أن داعيا دعاني لرايت أنه يسير بين يدي هادي يستحب
تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي شهدت أبأمامة الباهلي وهو في
الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم
فموتهم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب
ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعا ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا
برحمتك الله ولكن لا نسمون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنت رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا والقرآن
إماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بناما يصعدنا عندهذا وقد قلنا حجة
ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف اسم أمة قال فلينبه إلى
حواء (٢) ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحداقال: كنت مع أحمد بن
حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير أعند القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من القابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن
اسماعيل عن عبد الرحمن بن السلاء بن الجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارح إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد
ابن أحمد البرزوي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم القابر فاقراءوا فاتحة الكتاب واليسموا الذين وصل
هو الله أحدوا وجعلوا ثواب ذلك لأهل القابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقيمت من الشام إلى البصرة
فزلت الحندق فتظهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فتمت ثم تشبث فادأ صاحب القبر
يشكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا شدد على العمل ثم قال لركعتان
اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا أقرهم السلام فانه قد يدخل
علينا من دعائهم نور أمثال الحيايا فالقصوص من زيارة القبور لزار الاعتبار بها ولزور الاستماع بدعائه
فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولأهل الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور
في قلبه الميت كيف تخرق أجزاؤه وكيف يمشي من قبره وأنه على القبر سيلحق به كما روى
عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في جبد القيس متبسة فكان إذا جاء الليل
تخومت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فيلقني أيتها عويت في كثرة آياتها للقابر

الكشمي قال آت
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القريري قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن إبراهيم
البخاري قال حدثنا
الحلي قال حدثنا
سفيان بن عيينة قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأنصاري قال أخبرني
محمد بن إبراهيم التيمي
أنه سمع علقمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضى الله
عنه يقول على للتبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
«إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت
هجرته إلى الله
ورسوله فحجته إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ما لليت في قبره إلا كالطريق للثوث يتنظر دعوة تملقه من أيه أو من أخيه أو صديق له
الحديث أبو منصور الديلي في مسند القردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن
عبد الواحد قال ألقه حدث عن هشام بن عمار يحدث بأبلى (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت أبأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فموتهم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا بأسناد ضعيف .

قالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإن لآلئ القبور فسكنى أنظر وقد خرجوا من بين ألبانها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه لتجفروا وإلى تلك الأجسام لتتفرد وإلى تلك الأجنان الجمعة فيألفها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنسكل مرارتها للأفئس وأعد تلقاها للأبدان بل ينبئ أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لشدة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد دخلت قبرى وقد خرجت الحديثان فسألتني الحديثين وتعلمت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من القم وافتتح القم وتآ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج النود والصديد من الناخر لو رأيت أعجب بما تراه الآن ويستحب التناء على الميت والابذل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تحضوا فيه»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تحضوا الأموات فاتهم قد أفضوا إلى ما قدموا»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تدكروا موتاكم لا تحضر فاتهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار لحسبهم ما هم فيه»^(٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فله عمر عن ذلك فقال إن هذا أثمتكم عليه خيرا فوجب له الجنة وهذا أثمتكم عليه شرا فوجب له النار وأتم شهادته في الأرض»^(٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البديلوت فينئى عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لللائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى ونجاوزت عن طمى في عيدى»^(٥)

(الباب السابع في حقيقة اللوت وما يلقاه الميت في القبر إلى شحة الصور)

(بيان حقيقة اللوت)

اعلم أن الناس في حقيقة اللوت ظنوننا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن اللوت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عقاب ولا عجز ولا شر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للحدادين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه يصدم بالموت ولا يتألم ببقا وبلا يشتم شباب مادام في القبر إلى أن يباد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح أقية لا تمص بالموت وإنما للشباب والمخاطب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تحضوا فيه أبو داود من حديث عائشة بأسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فاتهم قد أفضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تدكروا موتاكم لا تحضر فاتهم البخارى من حديث عائشة أيضا (٤) حديث إن البديلوت فينئى عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جبراته الأدينين غير إلا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبيدى على ما علموا ونفرت له ما علم.

(الباب السابع في حقيقة اللوت وما يلقاه الميت في القبر)

كانت هجرته إلى دنيا
يصيبها أو إلى امرأة
ينكحها فهجرته إلى
ما هاجر إليه البنية
أول العمل وعصها
يسكون العمل وأهم
ما للريد في ابتداء
أمره في طريق القوم
أن يدخل طريق
السوية ويتزأ
بزيهم وبجاس طاقهم
له تعالى فان دخوله
في طريقهم هجرة
حاله ووقته. وقد ورد
«لهاجر من هجر
ما تم الله عنه» وقد
قال الله تعالى - ومن
يخرج من بيته
مهاجرا إلى الله ورسوله
ثم يدركه اللوت قد
وقع أجره على الله -
فالريد ينبئ أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن اللوت معناه تغير حال قط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامة بدنية وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبطل بالبد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة وذلك قديماً بنفسه بأنواع الحزن والغم والكسد ويقنع بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيقطع بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبيد من عباده وإنما تعطى الجسد بالموت فيضاهي تعطى لأعضاء الزمن فيفسد ما كان مع فيه وبشدة تقع في الأنصاب تمنع قود الروح فيها فتكون الروح السائلة المعلقة للذكاة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بنفسها وللوت عبارة عن استصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأغنى بالروح للنفى الذي يدرك من الإنسان العلوم والآلام النعموم ولذات الأفراح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفراح والنعموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والإنسان بالحقيقة هو للنفى للدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يعوت أي لا ينعدم ومعنى اللوت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالوقت زمانة مطلقاً في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية . ثم تغير حاله من جهتين : أحدهما أنه سلب منه عينه وأفته ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه الله وولده وأقاربه وسائر مآثره وسلب منه خيه ودوابه وغلته ودوره وعقاره وسائر أملاكه والآخر بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن للوأم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسي الرجل عن تلكه وللأم والألم واحد في الحالتين ، وإنما معنى اللوت سلب الإنسان عن أمواله بأزواجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويمتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد اللوت ويصعب شقاؤه في مفارقتها بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قبره كان يلبسه مثلاً ويخرج به وإن لم يكن يفرح إلا يذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت مساعده إذ دخل بينه وبين محبوبه وقطعت عنه الموائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شافقة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهي الحقيقة بين حال اللوت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوقاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتعيط ما لم يكن مكشوقاً له في النوم والانس نيام فاذا ماتوا اتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشبهه عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض حمرة النار لخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسياساً وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقيل الدفن وتفتل فيه نيران القراق أعنى فراق ما كان يطعمن إليه من هذه الدنيا الثانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبئنة فإن من طلب الزاد للبئنة فاذا بلغ القصد فرح

يخرج إلى طريق القوم فله تعالى فانه إن وصل إلى نهايات القوم قد خلق بالقوم بالمنزل وإن أدركه اللوت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره من الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخيراً أبوزرعة إجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي البساس البغدادي عن جعفر الخدي قال سمعت الجنيدي يقول أكثر الصوائق والجنواات واللوانع من فساد الابتداء فالمريد في أول مساوله هذا الطريق يحتاج

بفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان
يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب
والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن ثم قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب
وقد يفي عنه ويكون حال التتم بالدنيا للطمع إليها كحال من تعم عند غيبة ملك من الملوك في داره
وملكه وحرره اعتاداً على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدري ما يتساهل من قبيح
أفعاله فأخذه الملك بئسة وعرض عليه جريدة قد دوفت فيها جميع فواحش وجنائاته ذرة ذرة وخضوة
خطوة ولللك قاهر متسلط وغور على حرمة ومتنعم من الجنة على ملكه وغير ملتفت إلى من يشفع
إليه في الصلاة عليه فانظر إلى هذا للأخذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك بمن الخوف
والحلمة والحياء والتجسس والندم فهذا حال لبت القاجر للفت بالدنيا للطمع إليها قبل نزول عذاب
التبر به بل عند موته نمود بالله منه فإن الحزى والافتضاح وهتك السترا أعظم من كل عذاب يحل بالجسد
من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال لبت عند اللوت شاهد ما أولوا البصائر بمشاهدة باطنة
أقوى من مشاهدة العين وشهد ذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف النطاء عن كنه
حقيقة اللوت إذ لا يعرف اللوت من لا يعرف الحياة ومعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك
ماعية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى »^(١)
فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما للأذن فيه ذ كحال
الروح بعد اللوت ويدل على أن اللوت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها كآيت وأخبار
كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل
أحياء عند ربهم يرزقون فرحين - ولما قتل صناديق قريش يوم بدر نادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فله واعدكم ما وعدكم ربي حقاً فله
يا رسول الله أتأديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنهم لا سمع لهذا الكلام
منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »^(٢) « فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة
الآية نص في أرواح الشهداء ولا يغفل لبت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم والتبر
إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة »^(٣) وهذا نص صريح على أن اللوت معناه
تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة لبت وسعادته يتجلى عند اللوت من غير تأخر وإنما
يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله - وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« اللوت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إقامات أحدكم عرض عليه
مقدمه غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار وقال هذا
مصدق حتى ثبت إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة القمدين من عذاب ونعيم في الحال »^(٥)

- (١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح مثق عليه من حديث
ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويشتلونك عن الروح - وقد تقدم
- (٢) حديث نداءه من قتل من صناديق قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً الحديث
مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار وروضة من رياض الجنة
الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجاء والخوف (٤) حديث أنس اللوت القيامة من مات
قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في اللوت باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم
عرض عليه مقدمه بالتداة والنبي الحديث مثق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام التوبة وإحكام
النسبة تنزيهاً من
دواعي الحسنى. وكل
ما كان لنفس في حفظ
عاجل حتى يكون
خروجه خالصة تعالى.
وكتب سالم بن عبد الله
إلى عمر بن عبد العزيز
اعلم يا عمر أن عون الله
للجسد بقدر النية فمن
ثبت نية تم عون الله
ومن قصر عنه نية
قصر عنه عون الله
بجسد ذلك . وكتب
بعض الصالحين إلى
أخيه أخلص النية في
أعمالك يكفك قليل
من العمل ومن لم يمتد
إلى النية بنفسه صعب
من يمله حسن النية.
قال سهل بن عبد الله
التستري أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة (١) » وقال مسروق ما غيبت أحدا ما غيبت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعل بن الوليد كنت أمشي يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما تحب لمن يحب قال اللوث قلت فإن لم يمت قال يمل ما له وولده وإنما أحب للوث لأنه لا يحب إلا المؤمنين . وللوث إطلاق للؤمن من السجن وإنما أحب قلة للمبالغة لأنه فتنة وسبب للأمن بالدنيا والأمن بمن لا يد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند اللوث لأحالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين يخرج قسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتنفس في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من يخاف من الدنيا ويرحم بها ولم يكن له أنس إلا يذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في اللوث خلاصه من جميع المؤذيات وانفراجه بمحبوه الذي كان به أنسه من غير طائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم والذات وأكل الذات للشهداء الذين قد تلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله الراضين بالقتل في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا قد بدأ بها طوعا وبالآخرة بالبائع لا يابض قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها لها أعظم فرحه بما اشتراها إذا رآه وما أقل التنازع إلى ما باعه إذا فارقته وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بسى الأحوال ولكن لا يدركه اللوث عليه فتخير والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك اللوث على مثل هذه الحالة فلماذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لما نال لذة الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما أعطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع لجميع أحداث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى تيميمهم بمبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى أبشرك الله بالخير فقال إن الله عز وجل قد أحيا بك وأقمده بين يديه وقال تمن على عبيدي ما شئت أعطيك فقال يارب ما عبدتك حتى عبادتك أتمى عليك أن تردني إلى الدنيا فأناقل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع (٢) » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا فتنة واحدة فكنت أشتهي أن أرى فأقتل فيه فتلات . واعلم أن للؤمن يشكفه له عقيب اللوث . من سعة لال الله ما يكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثله كالحبوس في بيت مظلم فتخرج به باب

للريد للبتدىء التبرى
من الحركات للدمومة
ثم النقل إلى الحركات
المحمودة ثم التفرّد
لأمر الله تعالى ثم
التوقف في الرشد ثم
الثبات ثم البيان ثم
القرب ثم لتناجاة ثم
الصلاة ثم اللواة
ويكون الرضا والتسليم
مراده والتفويض
والتوكل حاله ثم يمن
الله تعالى بسند هذه
بالمعرفة فيكون مقامه
عند الله مقام للتبرئين
من الحلول والقوة
وهذا مقام حمة العرش
وليس بسند مقام
هذا من كلام سهل
جمع فيه ما في البداية
والنهاية ومق تملك
الريد بالصدق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر ابن ماجه بسند ضيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا تان (٢) حديث عائشة ألا أبشرك يا جابر الحديث وفيه إن الله أحيا أباك فأقمده بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث باسناد فيه ضعف وقرتمدى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبيدى تمن على أعطك قال يارب تخيّن فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجعون .

إلى بستان واسع الأكفاف لا يبلغ طوله أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشقى العود إلى السجن للظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً قال رجل مات وأصبح هذا صرحاً من الدنيا وتركتها لأهلها فإن كان قد نوى فلا يبرأ من رجع إلى الدنيا كما لا يبرأ أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه^(١) هـ فرفك بهذا أن نسبة صفة الآخرة إلى الدنيا كنسبة صفة الدنيا إلى بطن أمه^(٢) الرحم وذلك صلى الله عليه وسلم وإن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكل على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يجب أن يرجع إلى مكانه^(٣) وكذلك المؤمن يخرج من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يجب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يجب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه^(٤) هـ أغار المستريح إلى الزمن والمستراح منه إلى القاهر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب التقي مرينا ابن عمر ونحن صبيان ننظر إلى قبر فاذا حجة بادية فأمر رجلاً فوارها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الذي شيئا وإنما الأرواح التي تعاقب وتتاب إلى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإتهم ليسلوه ويكفونوه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بأنني أن أرواح المؤمنين مرسلات تلعب حيث شئت وقال الثعلبي بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول ألا ترون من الدنيا إلا مثل الباب يورق وجوهها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم^(٥) هـ وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ولا تفضحوا موتاكم ببيئات أعمالكم فأنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور^(٦) هـ ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً آخرى بعد عدي الله بن روحاً وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في جوارح طير يرض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركتها لأهلها فإن كان قد نوى فلا يبرأ من رجع إلى الدنيا كما لا يبرأ أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسل ورجاه ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكل على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يجب أن يرجع إلى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقة عن جابر بن قاتم السلفي عن سليم بن عامر الجنازي مرسل هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة باللفظ مر عليه بجزالة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده للسنن (٤) حديث الثعلبي بن بشير ألا ترون من الدنيا إلا مثل الباب يورق وجوهها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدنى عن الثعلبي بن بشير من قوله الله ﷻ ورواه بكاه الأزد في النخاء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسميل السكوني رواية عن مالك بن أدنى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزد لا يصح إسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدنى (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم ببيئات أعمالكم فأنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والمهاجر باسناد ضعيف ولأحمد من رواية من مع إسناده عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث .

والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يفتق صدقه وإخلاص شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الحلق نكسل الآفات التي دخلت على أهل البدائيات لموضع نظرم إلى الحلق وبقنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ولا يكمل إيمان الفرد حتى يكون الناس غنسه كالأباهر ثم يرجع إلى شبه غيرها أصغر صاغرة إشارة إلى قطع النظر عن الحلق والخروج منهم وترك التسبيح بإذاتهم . قال أحمد بن خنوسه : من أحب أن يكون الله تعالى معه على حال فليأمر

صل الله عليه وسلم يقول «إن لبيت يرف من يسه ومن يحمله ومن يديه في قبره» (١). وقال صالح
الري بلغني أن الأرواح تتلاقى عند اللوت فتقول أرواح اللوت للروح التي تخرج إليهم كيف كان مأواك
وفي أي الجسد كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن عمير أهل القبور يرتقبون الأخبار فإذا تأم
البيت قالوا ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم أوما قم عليكم فيقولون إن الله وإننا إليرا جون سلك به
غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله فسد كما يستقبل الغائب . وقال جاهد
إن الرجل ليشر بصلاح نفسه في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صل الله عليه وسلم أنه
قال «إن نسي المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشرى في الدنيا يقولون أنظروا
أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت
فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبل قالوا والله وإننا إليرا جون ذهب به إلى أمه الهوى» (٢).

(بيان كلام القبر لبيت)

وكلام اللوت إيا لسان اللقال أول لسان الحال التي هي أصح في فهم اللوت من لسان اللقال في فهم
الأمم قال رسول الله صل الله عليه وسلم «يقول القبر لبيت حين يوضع فيه عرك ما بين آدم ما غرك في
الم تعلم أتى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت السود ما غرك في إذ كنت تجري فذاذا
فان كان مسلحا أجاب عنه عجب القبر فيقول أ رأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول
القبر إني إذا تحول عليه خضرا ويمود جسده نورا وتصد روحه إلى الله تعالى» (٣) . والذاذهو
الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكلها فسر الرواي . وقال عبيد بن عمير اللوت ليس من ميت يموت
إلا نادته خرفة التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراء فان كنت في حياتك في مطيعة
كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت ضايا فأنا اليوم عليك شمة أنا الذي من دخلني مطيعة خرج
مسرورا ومن دخلني ضايا خرج مشورا . وقال محمد بن صبيح بلغني أن الرجل إذا وضع في قبره فغذب
أو أصابه بضم ما يكره ناداه جيرانه من اللوت أيها للتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك
فيما مترا ما كان لك في متقدمنا إياك فكرة أمارأيت أحمانا عناؤت في الهمة فهلا استدركت
مافات إخوانك وتاديه بقاع الأرض أيها للقتير بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن
الأرض من غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبه إلى التزلزل
لا بدله منه . وقال يزيد الرقاشي بلغني أن البيت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله ؟ فقالت
أيها البعد للنفرد في خرفة قطع عنك الأخلاء والأهلون فلا تيس لك اليوم عندنا . وقال كعب : إذا
وضع البعد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والصدقة قال فتحي
ملائكة المذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليك ثم غلا سبيل لكم عليه قد أطال في القيام في

الصدق فان الله تعالى
مع الصادقين وقد ورد
في الخبر عن رسول الله
صل الله عليه وسلم
«الصدق يهdy إلى
البر» ولا بد للفريد
من الخروج من اللال
والجاء والخروج عن
الحلق بقطع النظر
عنهم إلى أن يحكم
أساسه فيعلم دقائق
الموى وخفايا شهوات
النفس وأشنع شيء
للفريد معرفة النفس
ولا يقوم بواجب حق
معرفة النفس من له
في الدنيا حاجة من
طلب الفضول
والزيادات أو عليه
من الموى بقية . قال
زيد بن أسلم : خلصتان
هما كمال أمرك تصبح

(١) حديث أبي سعيد الخدري إن البيت يرف من يسه ومن يحمله ومن يديه في قبره ورواه أحمد
من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبة عبد الملك بن حسن (٧) حديث أبي أيوب بن
حس اللؤم إن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشرى يقولون أنظروا أخاكم حتى
يستريح ابن أبي الدنيا في كتاب اللوت والطبراني في مسند الشاميين بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك
في الزهد موقوفا على أبي أيوب بإسناد جيد ورواه ابن صاعد في زوائد على الزهد وفيه سلام الطويل
ضعيف وهو عند النسائي وابن جبان نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٨) حديث يقول
القبر للبيت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في بيت الفتنة الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب
القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في المعلى من حديث أبي الجعاج الحنالي بإسناد ضعيف.

عليها فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسبيل لكم عليه قد أطال ظمأه لله في ديار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه قد أنصب تسوا أئب بدنه وحج وجهه لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كنوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأيت ملائكة الرحمة فنقرش له فراش من الجنة ودارا من الجنة ويضع له في قبره مد بصره ويؤتي بتقديس من الجنة فيستخيه بجزءه إلى يوم يبعث الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة يفتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يسمع خطو مشيعه فلا يكلمه شيء إلا أقره يقول ومكثا بن آدم أليس قد حذرني وحذرتي ضيق وتقي وهولي ودودي فلماذا أعدت لي (١) » .

(بیان عذاب القبر وسؤال منکر ونکیر)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسرا رأسه ثم قال « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إني لأؤمن إذا كان في قبلي من الآخرة بث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم نواطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يبعث أن يدخل بروحه ثم فإذا صدر روحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجوه فأروهم ما أعددت لهم من الكرمان فإني وعدته منها خلقناكم فيها نعيمكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناله ما أولوا مديرين حتى يقال لهاذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربني الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ قال فيقهرته انتهارا شديدواهى آخر فتنة تعرض على ليت فإذا قال ذلك نادى نادى أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى - يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أجز برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقم فيقول وأنت فيشرك الله خبر من أنت ؟ فيقول أنا عمالك الصالح والله ما علمت إن كنت لسرايا إلى طاعة الله بطيئا عن مصيبة الله فجزأك الله خيرا قال ثم ينادى نادى أن افرسوا له من فرش الجنة واتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويتم له باب إلى الجنة فيقول اللهم حمل قدام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال وأما الكافرانة إذا كان في قبلي من الآخرة واضطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرايل من قطران فيقتودونه فإذا خرجت نفس له بك كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكبره أن يدخل بروحه منه فإذا صدر بروحه نيد وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبه ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجوه فأروهم ما أعددت له من الثمر إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نعيمكم - الآية ونه ليسمع خلق ناله ما أولوا مديرين حتى يقال له يلهذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى فيقال لا أدريت ثم يأتها تقيح الوجه مستن الریح فيسبح الثياب فيقول أجز بسخط من الله وبسذاب أليم مقم فيقول جزأك الله خيرا من أنت فيقول أنا عمالك الحبيب والله إن كنت لسرايا في مصيبة الله بطيئا عن طاعة الله فجزأك الله خيرا

(١) حديث عبد الله بن محمد بن عمار بن ميمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يسمع وهو يسمع خطبتيه فلا يكلمه إلا قبره يقول وحيا له إنا آدم الحديث أن أبا الدنيا في القيور هكذا مرسلًا ورعا له مات وزواه ابن المبارك في الزهد إنا أنه قال بلغني ولم يرعه .

لاهم في عبيتي
 لا تهم لله بحسبة فاذا
 احكم الزهد واتقوى
 انكسفت له النفس
 وخرجت من حجبها
 وعلم طريق حركتها
 وحسن شهواتها
 ودماستها وتلبساتها
 ومن تمسك بالصدق
 قد تمسك بالعروة
 الوثقى ، قاله ذواتون
 لله تعالى في أرضه
 سيف ماضع على شئ
 إلا قطع وهو الصدق
 وقل في معنى الصدق
 أن يابا من يبي
 إسرائيل راوده
 ملكه من نفسه ،
 فقال اجعلوا في ما في
 الخلاء اتظف به ثم
 صعد على موضع في
 القصر فرمى بنفسه

فيقول وأنت جزاك الله شرًا ثم يقبض له أصم أصمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان لئن قتلوا لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عليه ضربة يسمعها من على الأرضين ليس الثقلان قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار واخموا له باباً إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويغشيه باب إلى النار (١) وقال محمد بن علي مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال نيشنص إلى حسنة وبطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومبائر الرمان فتقبل روحه كالنخل الشعرة من الصبيح ويقال : أيتها النفس اللطيفة اخرجي راضية ومرتضاة عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والرمان وطويت عليها الحريرة وبست بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه حجارة فتنزعه روحه انزعاجاً يداد وقال : أيتها النفس الجنية اخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجرة وإن لها نقيشاً ويطوى عليها المسح ويلهب بها إلى سبعين (٢) وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى - حق إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعوني لأعمل صالحاً فارتدت - قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجتمع الليل والنهار والفراس وتبنى البنيان وتشقى الأنهار قال لا لأعمل صالحاً فها تركت قال فيقول الجبار - كلا إنها كلمة هو قائلها أي ليقلونها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضئ حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيها إذا أزلت - فإن له ميفة شنكا - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون ثنيا هل تدرون ما الثنيان ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعه دوس يخنشونه ويلعنونه ويثبون في جسمه إلى يوم يمشون ولا ينبغي أن يتجنب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بصد الأخطا للثمنوعة من الكبر والرياء والحسد والقتل والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولاً معدودة ثم تشعب منها فروع معدودة ثم تقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هي الهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فاقوى منها بلوغ التئيب والضييق بلوغ الفراق وما بينهما يؤذي إيقاد الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصرة هذه الهلكات وانساب فروعها إلا أن مقدار عدها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأشكال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تكشف له حقائقها فلا ينبغي أن يشكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم . فإن قلت فنحن نساعد الكافر في قبره مدة وتراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك لها وجه التصديق على خلاف الشاهدة ؟ فأعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأشكال هذا [أولها] وهو الظاهر والأصح

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكساً رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكافة وقال صحيح على شرط الشيخين وضعه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومبائر الرمان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبراز باقظ للصف (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً الحديث ورواه ابن حبان

فأوحى الله تعالى إلى ملك الملوذ أن ارم عبيدي قال نعمه ووحشه على الأرض وحفا رفيقاً قبيل لإبليس ألا أخويته فقال ليس لي سلطان على من خالفه هواه وجلد ضعه لله تعالى ويبنى للمريد أن تكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه ويلبسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن همه كلها أرفاق أمثلها على النفس إذا كانت لله لا تنسى النفس وتجب إلى ما يرد منها من المأمة لله والإخلاص وإلغا

والألم أن تصدق بأنها موجودة وهي تبلغ ليلت ولكلك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور للكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الكونيات أما ترى الصحابي رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالله لا يملكه والوحى أم عليك وإن كنت أنت بت وجودك أن يشاهد التي لا تشاهده الألة فكيف لا تجوز هذا في ليلت وكان ذلك لا يشبه الأديين والمجذبات والحليات والقنابر التي تبلغ في القبر ليست من جنس حياتنا بل هي جنس آخر وتترك بحاسة أخرى [لقام الثاني] أن تذكر أمر الناس وأنه قدرى في نومه حية تدغ وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويسرى جبينه وقد يترجع من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كيتأذى البقطن وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوائله حية والحية موجودة في حشا العذاب حاصل ولكنك في حقل غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد في القام الثالث أنك تعلم أن الحية ينسج لا تؤلم بل الذي يعلق منها وهو السم ثم السم ليس هو ألم بل عذابك في الأثر الذي يعمل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد تفرق وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في المادة فانه لو خلق في الإنسان لغة الواقع مثلا من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصله وإن لم يحصل صورة السبب والسبب يراد ثمرة لانه هذه الصفات للمساكنات تتقلب، وؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت تكون آلامها كالآلم لبع الحيات من غير وجود حيات واشلاب الصفه، وؤذية ضاهي انقلاب الشقي مؤذيا عند موت الشقي فانه كان ليدأ فطرات حالة صار اللدب بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتخفى معه أن لم يكن قد تدم بالشقي والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب ليلت فانه قد حلط الشقي في الدنيا على نفسه فسار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولواخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يتظم شقاؤه ويشتد عذابه ويشقى ويقول ليت لم يكن لي مال قط ولا جاء قط لستكت لأتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنياوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

لما حال من لا يرجع إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب يحسره على مفاته من نعم الآخرة والمحباب من الله عز وجل فإن حب غير الله يحبه عن لقاء الله والنتم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسره على مفاته من نعم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والمحابب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يذب به إلا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كقائل تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأمن بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتتاً إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه واتصلت عنه الموانق والصوارف وتوفر عليه النعم مع الأمن من الزوال أبد الآباد وكل ذلك فليعمل الصامون والقصود أن الرجل قد يحب قرنه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه عين أن تلدغه غنقرب آخر الصبر على لبع القرب، فاذن ألم فراق القرب عنده أعظم من لبع القرب بوجه القرب هو الذي يلدغه إذا أخذ منه قرنه فليستمد له الدفات فان الموت يأخذ منه قرنه ثم يرميه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبره بل يأخذ منه سمه ويصره وأعضاه ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في محض من رفق
النفس لآله بغير نية
صالحة صار ذلك وبالاً
عليه وقد ورد في الخبر
ومن تطيب له تعالى
جاء يوم القيامة بوجهه
أطيب من السك الأذفر
ومن تطيب لغير الله
عز وجل جاء يوم
القيامة بوجهه أنث
من الجيفة . وقيل
كان أسى يقول طيبوا
كفى بكم فان ثابتاً
يسألني ويقل يدي
وقد كانوا يحسبون
الباس لصلاة متفرجين
بذلك إلى الله يدينهم
فالمريد ينبغي أن يتفقد
جميع أحواله وأعماله
وأنزله ولا يسانح
نفسه أن تحرك
بحركة أو تكلم
بكلمة إلا أنه تعالى

من المقارب والحيات وكأ لو أخذ ذلك منه وهو حيّ فيعظم عقابه فكذلك إذا مات لأنا قدينا أن
 للمنى الذى هو للدرك للآلام والذلات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلل بأسباب
 يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلل برجاء العود إليه ويتسلل برجاء الموض من مولا سلاوة
 بعد الموت إذ قد انسدت عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قيس له ومنديل تدهأ به حيث
 كان يشقى عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان محضا في الدنيا سلم وهو العنى
 بقولهم نجا المحفون وإن كان متحلا عظم عذابه وكأ أن حال من يسرق منه دينارا أخف من حال من
 يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو الذى بقوله
 صلى الله عليه وسلم وصاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين (١) ومان من شئ من الدنيا
 يخاف عتك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل
 فان استكثر فلست بمستكثر إلا من الحسرة وإن استقلت فلست تخفف إلا عن ظرك وانما استكثر
 الحيات والمقارب في قبور الأغنياء الذين استجبوا الحياة الدنيا على الآخرة فروحها واطمأنوا إليها
 فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عذابه ، رأى أبو سعيد الحدرى
 ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بنى عطفى قال لا تخالف الله تعالى فبا يريد قال يا بنى زدنى قال يا بنى
 لا تطبق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قيضا فالبس قيضا ثلاثين سنة ، فان فات فبالصحيح
 من هذه المقامات الثلاث ، فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر
 الأول وأثبت الثانى ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإيما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار
 أن كل ذلك في حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لنضيق حوصلته وجهه بانساع قدراته
 سبحانه ومحام تدييره فينكر من أمثال الله تعالى ما لم يأسن به وآفته وذلك جهل وقصور بل
 هذه الطرق الثلاثة في التنذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يقاب بنوع واحد من هذه
 الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليه وكثيره ، هذا
 هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذى أوصيك به أن
 لا تستكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بممرقه بل اشتغل بالتدبير في دفع المذاب كيفما كان
 فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وجبه ليقطع يده
 ويجمع أغصه فأخذ طول الليل يفكر في أنه هل يقطع بسكين أو بيسف أو بوعسى وأعمل طريق
 الحيلة في دفع أصل المذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد عمل على القطع أن البعد لا يخلو بعد
 الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له ، فأما البحث عن تفصيل
 العقاب والوقاب فضول وتضييع زمان .

(يان سؤال منكر ونكير وصورتها وضغطة القبر ورجية القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم «إذا مات البعد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبى فان كان مؤمنا قال هو عبد الله
 ورسوله أهمل أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم نخرجك
 في قبره سمعون ذراعا في سبعين ذراعا ويؤمر به في قبره ثم يقال له ثم يقول دعوى أرجع إلى أهلى
 فأخبرهم فيقال له ثم فينام كنومة الروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعث الله من مضجعه
 ذلك وإن كان منافقا قال لأدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا نعلم

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين لم أجده أصلا .

وقد رأينا من أصحاب
 شيئا من كان ينوى
 عند كل لقعة ويقول
 بلسانه أيضا أكل
 هذه القمعة لله تعالى
 ولا ينفع القول إذا لم
 تسكن النية في القلب
 لأن النية حمل القلب
 وانما اللسان ترجمان
 لما لم تستعمل عليها
 عزيمة القلب لله
 لا تكون نية . ونادى
 رجل امرأته وكان
 يسرح شعره فقال
 هات الدرى أراد
 الليل ليفرى شعره
 فقالت له امرأته أجبى
 بالمسدري والراة
 فسكت ثم قال ثم
 قال له من صمصمكت
 ونوقت عن للراة
 ثم قلت ثم قال إنى

أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه فلتشم عليه حتى تختلف فيها أشعلاه فلا يزال المذبذب حتى يبعث الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمر ابن الخطاب رضى الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وغير ثم رجوا إليك قسولوك وكنفوك وحطوك ثم احتملوك حتى يصفوك في قبرهم يلو عليك التراب ويدفنونك فإذا انصرفوا عنك أنكأنا القبر منكرو ونكبر أصواتهما كالرعد القاصف وبساتيرهما كالبرق الحاطف يجران أشعارهما ويحضان القبر بأيديهما فتلذذك وترزلك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ قال عمر ويكون معي مثل عقل الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفيكما (٢) وهذا نص صريح في أن القل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون لليت قاعلا مذكرا كالآلآلام والذات كما كان لا يتغير من عفه شيء وليس القل للدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو للدرك للأشياء ولو تآثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء للدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العقل بكافة قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت ذلك الجزء لا يجه الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن النكسر يلغى أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة عبياء صاه في بها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تحربه به إلى يوم القيامة لآرام تشبهه ولا تسمع صوته قرحه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحشوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت البدان والله لقد كان يسطى للصدقة والماء لأميل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تحف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خلاا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان بن عاصم عن أعماله الصالحة كما يحاشي الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال عند ذلك بارك الله لك في مضجعتك فشم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال وكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جل ينظر فيه ثم قال ومنظف المؤمن في هذا ضمطة ترد منه حمائله (٣) وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر منظفة ولو سلم أو نجما منها أحد لجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقمة فقبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا جاله ، فلما اتينا إلى القبر فدخله النع وجبه مفرقة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا ثم ذلك ؟ قال ذكرت منظفة ابني وعدة عذاب القبر ، فأثمت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات البعد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكرو وللآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمر ابن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وغير ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسل ورواه جاهد في قال البيهقي في الاعتقاد ورواه من وجه صحيح من عطاء بن يسار مرسل . قلت ورواه ابن جلة في الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقاله في هذا الإسناد خرد به مفضل . ولاحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر قال عمر إذا لم يلقوا فأنه قال نعم كبريتكم اليوم فقال عمر بيه الحجر (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بن حنبل في حديث عائشة (٤) إن القبر منظفة لو سلم أو نجما منها أحد لجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات للمدى
نية فلما قالت والراة
لم يكن لي في المراكبة
توقفت حتى هيا الله
تمالي في نية قلت
نعم وكل مبدئ
لا يحكم أساس بدايته
بهاجرة الألاف
والأصداء والحارف
وتمسك بالوحدة
لا تستقر بدايته ، وقد
قيل من قلة الصدى
كثرة الخطأ وأهم
ما له زوم الصمت وإن
لا يطرق صم كلام
الناس فإن باطنه يتغير
ويتأثر بالأنوال المختلفة
وكل من لا يعلم كمال
زهده في الدنيا وعسكه
عقائقي التصوى
لا يسره أبدا فإن عدم

قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة مع صوتها ما بين الحاققين (١) .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللقي بالمكاشفة في التام)

اعلم أن أنوار البصائر للشفادة من كتاب الله تعالى وستة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال اللقي على الجملة وانقسامهم إلى سعدة وأشتياء ولكن حال زيد وعمرو وبينه فلا يشكف أصلاً فانا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالنقوى على القلب وهو غامض يخفى على صاحب النقوى فكيف يخفى غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون النقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يقبل الله من التقيين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بعشاهدته ومشاهدته ما يجري عليه وإذ مات قد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم التيب واللكوت فلا يرى بالعين القاهرة وإنما يرى بين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأغوائه الدنيوية فصار لا يبصرها ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم لللكوت مالم تنقش تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة منتشرة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظرنا إلى لللكوت وشاهدوا بحجابها واللقي في عالم لللكوت فشاهدوه وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة اشترى في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه المشاهدات لا مطمح فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجاتهم منهم وإنما للممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضئيلة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعلى بها للمشاهدة في التام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والروايا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٣) . وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا باتساع المشاهدة عن القلب فذلك لا يتحقق إلا برؤيا الرجل الصالح الصافي ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومهاسبه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ، وذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهراً (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمية والتسكيفة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - (٥) ولما غلب الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من محجبات صنع الله تعالى وبدائع فطرته الأسمى وهو من أوضح الأدلة على عالم لللكوت والحقائق فافان عن كنهاتهم عن سائر محجبات القلب ومحجبات العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره

(١) حديث أنس لو تيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث وفيه قد ضغطت ضغطة مع صوتها ما بين الحاققين ابن أبي الدنيا في الموت من رواة سليمان الأحمر عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللقي بالمكاشفة)

(٧) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليهم من حديث البراء إذا أتيت مضجك فوضأ وضوءك للصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسل .

معرفة لا يفتح عليه خيراً وبواطن أهل الإقداء كالشمع قبل كل قضي وربما استقر المبتدى بمجرد النظر إلى الناس ويستقر بضوول النظر أيضاً وفنول التي فقت من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو شئ في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت بينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرأيا والاحتراز فان علم الناس منه بذلك أضر عليه من ضلوه ولا يستقر فنول

علاوة على علم اللامعة ولكن النذر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يهتك للمصود وهو أن تلم أن القلب مثله مثال امرأة تترامى فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يسر عنه تارة بالروح وتارة بالكتاب البين وتارة بإمام معين كما ورد في القرآن لجميع ماجرى في العالم وما يسجى مكتوب فيه ومتقوس عليه تشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن نفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ولا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاته بل إن كنت تطالب له مثلا يتر به إلى أهيك فاعلم أن ثبوت اللقادر في اللوح ضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقابله فاعلم مسطور فيه حتى كأنه حين يترق ينظر إليه ولو فكتشت دماغه جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فن هذا الخط ينبغي أن نفهم كون اللوح متقوسا لجميع ما قدره الله تعالى وقضاء اللوح في الثلاث كرات ظهر فيها الصور فلوضع في مقابلة للكرة مرة أخرى لسكانت صورة تلك الكرة تترامى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقالب امرأة قبل رسوم العلم والروح مرة رسوم العلم كلها موجودة فيها ولتختال القالب بشمواته وتمتضي حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم للسكرات ، فإن هبت ربح حركت هذا الحجاب ورفعت تلاك في مرة القالب شيء من عالم للسكرات كالربق الحاطف وتديت ويدوم وقد لا يدوم وهو القالب وما دام متيقظ فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم للسكرات ، ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا تورده على القلب فإذا تخلس منه ومن الحيال وكان صائبا في جوهره ارفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء في اللوح كاتع الصورة من مرة في مرة أخرى إذا ارفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للحيال عن عمله وعن تحركه لما يقع في القلب بيندرة الحيال فيحاكيه مثال يقاربه ويكون التخييلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الحيال في الحفظ لذا اتبه لم يتذكر إلا الحيال فيحتاج العبر أن ينظر إلى هذا الحيال حكاية أى معنى من الله في ترجع إلى المعاني المناسبة التي بين التخييل والمعاني وأمثله ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وبكفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء لا أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت لأنظر أن روح الحتم هو الملع والأجله يراد الحتم وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه نائما الناس من الأكل والشرب ولكن الحيال ألف المتع عند الحتم الحاتم تشبه بالصورة الحيايلة التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الحيايلة ، فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر بحجابه وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو هجب من الصجاب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضئيف أثر في كشف القناع عن عالم التيب حتى صار الناس يعرف ما سيكون في المستقبل لما ذرى في الموت الذي يخرج الحجاب ويكشف القناع بالكيفية حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير شبه إما عتوة بالأنسكال والمجازي والنضام فوذا لله من ذلك وإمامكنا بنعم مقم وملك كبير لا آخره وعند هذا يقال للأشياء وقد انكشف القناع - لقد كنت في غفلة من هنا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد - ويقال - أفسر هذا أم أتم لا يصرون أصاها فصبوا أو لا تصروا سواء عليكم إنما تجرون ما كنتم تعملون - وإلهم الاشارة بقوله تعالى - وبذلكم من الله ما يكونوا يحسبون -

المشي لأن كل شيء من
قول وفعل ونظر وسامع
خارج عن حد
الضرورة جر إلى
الفضول ثم يجر إلى
تضييع الأصول ، قال
سفیان : إنما حرموا
الوصول بتضييع
الأصول فكيف من
لا يتسك بالضرورة في
القول والفعل لا يقدّر
أن يقف على قدر
الحاجة من الطعام
والشراب والنوم وحق
تسدى الضرورة
ترامت عزائم قلبه
وأغلت ديثا برش
قال سهل بن عبد الله
من لم يبد الله اختيارا
يبعد الحائق أسطارا
وينتج على البعد
أبواب الرخص

فأعلم العلماء وأحكم الحكماء يتكلم له عقيب اللوث من العجائب والآيات ما لم يخطر قط على باله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقول هم وغم إلا التكررة في خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذير يرفع وما لا يرى يتكشف عنه النطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكن ذلك كافي في استغراق جميع العمر والسجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وفرد يتقابل بأعضائنا وصمنا وبصرنا مع أننا لم نفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينث روح القدس في روعه فيقول ما قاله سيد النسيين «أحب من أحببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك كسيت وما عمل ما شئت فانك مجزي به» (١) فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بين اليقين كان في الدنيا كما مر رسل لم يضع لبة على لينة ولا قصبة على قصبة (٢) ولم يخلف ديناراً ولا درهماً (٣) ولم يتخذ حبيلاً ولا خيلاً ثم قال «لو كنت متخذاً لخيلاً لاتخذت أبكر خيلاً ولكن صاحب خيل الرحمن» (٤) «يقين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه ممكن من حبه قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخيل ولا حبيب وقد قال لا تمتنع إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله - فأنما أمته من اتبعه وما تبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادام إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والمخطوط العاجلة فيقدر ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وقد مر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ويقدر ما تبعته فقد صرت من أمته ويقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت من سبيله وورعيت عن متابعتها والتفت بالدين قال الله تعالى فهم - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي الأولى - فلو خرجت من مكن الثرور وأضفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلت أنكم من حين تصبح إلى حين تمسى لا تسمى إلا في المخطوط العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لما جلت الدنيا ثم تطمع أن تكون غداً من أمته وأتباعه ما يبدنك وما يرد طمعك - أنفج السليين كالجهم من المالك كيف تمسكون - وترجع إلى ما كان فيه ويصده قد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده ولذا ذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال اللوى ما يستظم الانتفاع به إنذهبت التوبة وبقيت البشرات وليس ذلك إلا بالمنامات.

(بيان منامات تكشف عن أحوال اللوى والأعمال النافعة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رأى في المنام قدراً رأى حقا فان الشيطان لا يمتثل في» (٥) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيت لا ينظر إليّ قلت يا رسول الله ما شأنى قالت أنت قلت إلى وقال أنت لقلت وأنت صائم قال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبداً وقال العباس رضي الله عنه كنت ودلاً لعمر فاشعيت أن أرامه في المنام فما رأيت إلا عند رأس الحول فرأيت يسبح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراضى إن كان عرضي ليد لولا أني قتته رءوفاً رحباً - وقال الحسن بن علي قال لي طي رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع لي الليلة في منامي قلت يا رسول الله ما لي من أمتك قال ادع عليهم قلت اللهم أبدني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شرهم مني فخرج فصر به ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني قلت يا رسول الله إن

والإنسان مع
إله الكين ولا ينبغي
لمبتدئ أن يعرف
إحداً من أرباب
الدنيا لأن معرفته لهم
بسم قابل - وقد ورد
والدنيا ميقوضة الله
فمن تمسك بعجل منها
قاده إلى النار وما
حبل من حبالها إلا
كأنها والطالين
لها والمبشرين فمن
عرفهم انجذب إليها
هباء أو أوى وهترز
المبتدئ من عجالة
الفقراء الذين لا يقولون
قيام الليل وصيام
النهار فانه يدخل عليه
منهم أثر ما يدخل
عليه عجمالة أبناء
الدنيا وربما يشرون
إلى أن الأعمال شغل

- (١) حديث إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تهم .
- (٢) حديث لم يضع لبة على لينة ولا قصبة على قصبة أيضاً (٣) حديث لم يخلف ديناراً ولا درهما تهم أيضاً (٤) حديث لو كنت متخذاً لخيلاً لاتخذت أبكر خيلاً ولكن صاحب خيل خليل الرحمن تهم أيضاً (٥) حديث من رأى في المنام قدراً رأى حقا فان الشيطان لا يتخيل في متفق عليه من حديث أبي هريرة .

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل حتى قال غفر الله لك ^(١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي سفيان مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأميت أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرزق إياه في المنام قال فرأيت يلقب ناراً فسألت عن حاله قال صرت إلى النار في المذاب لا تخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام واليالي قلت وكيف ذلك قال وله في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم جلافتي أمية فبشرني بولادة أمية إياه ففرحت به وأعتقت ولينة في فرحها فأنا في الله بذلك أن رفع عني المذاب في كل ليلة الاثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجاً فصعد جبل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألت عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفتنا غمت في بعض المنازل فبينما أنا غائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أبوك وسود وجهه قال قممت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك التعم إذ غلبني غيبي قممت فلما في رأس أبي أربعة سوادن معهم أمية حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال قم تحيا الفرح وجهه يده ثم أتاني فقال قم قد رضى الله وجهك أياك قاتلته من أنت بأبي أنت وماي قال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم جالسا عنده فسلمت وجلست فيبيناً أنا جالس إذ أتى بلي ومعاوية فأدخلنا بينا وأخيف عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن خرج على رضى الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضى الله عنهم مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله لأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال لا تعلم ما صنعت أمتي بسدي قتلتوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفسها إلى الله تعالى فجاودا الحريد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه وروى الصديق رضى الله عنه قتل له إنك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني للوارد فإذا صل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة .

(بيان منامات للشيخ رحمه الله عليه أجمعين)

قال بعض للشيخ رأيت منما الله وروى في المنام قاتل بإسدي ماضل الله بك قتاله يدري في الجنان قاتل لي بأتم هل استحسنتم فيها شيئا قلت لا يسدي قال لو استحسنتم منها شيئا لو كنتم إليه وأوصلكم إلى وروى يوسف بن الحسين في المنام قاتل له ماضل الله بك قال غفر لي قبل بما إذا قال ماضل جدا جهل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله الزبارة في النوم قاتل ماضل الله بك قال أوقفني بين يديه ففتر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فاني استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي قاتل ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحييت فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقهاء فيبيناً نحن كذلك إذ انشقت السماء فزل ملكان أحدهما يده طشت ويد الآخر يرق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن النكدر عن جابر ما سأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

للتعبدن وإن أرباب
الأحوال ارتضوا عن
ذلك . ويبنى للنكير
أن يتصرف في القرائن
وصوم رمضان لحجب
ولا ينبغي أن يدخل
هذا الكلام صمرا
فانا اخترنا وما رنا
الأمور كلها وجالسا
الفقراء والصالحين
ورأينا أن الذين يقولون
هذا القول ورون
الفساكن دون
الزادات والنوافل
نحت التصور مع كونهم
أصحاء في أحوالهم فعل
الميد التمسك بكل
فرصة وفطنة بذلك
يثبت قدمه في بدايته
وبراعى يوم الجمعة
خاصة وبصله له تعالى
خالسا لا يمزجه بغيره

قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ لَا تَصِبْ عَلَى يَدِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ قُلْتُ يَارَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ رَوَى عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ «لَرَّعَ مِنْ أَحَبِّ» قَالَ بَلَى قُلْتُ يَارَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ أَحَبَّكَ وَأَحَبَّ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ قُلْتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَّ عَلَى يَدِهِ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ وَقَالَ الْجَنِيدُ رَأَيْتُ فِي النَّامِ كَأَنِّي أَتُكَلِّمُ عَلَى النَّاسِ قَوْفُوقٌ عَلَى مَلِكٍ قَالَ أَقْرَبُ مَا تَقْرِبُ بِهِ لِلتَّخَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَاذَا قُلْتَ عَمَلٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْزَانَ وَفِي غَوْلِي لِلْمَلِكِ وَهُوَ يَقُولُ كَلَامٌ مُوَفِّقٌ وَاللَّهُ وَرَوَى بِمَجْمَعٍ فِي النَّوْمِ قُتِيلَ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ الْأَمْرَ قَالَ رَأَيْتُ الزَّاهِدِينَ فِي الْبَنِيَا ذَهَبُوا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِعَلَّامٍ بَنَ زِيَادًا بِتَكْلِ فِي النَّوْمِ كَأَنَّكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَزَلُّ عَنْ مَجْلِسِهِ وَأَتْبَلَّ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَلْ شَيْطَانِ أَرَادَ أَمْرًا فَصَنَعْتُ مِنْهُ فَأَشْخَصَ رَجُلًا يَنْتَقِلُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الرَّضَايَا تَسْرُ لِلْزُّمَنِ وَلَا تَقْرَهُ وَقَالَ صَالِحٌ بْنُ بَشِيرٍ رَأَيْتُ عَطَاءَ السُّلَمِيِّ فِي النَّوْمِ قُلْتُ لَهُ رَحِمَكَ اللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ طَوِيلَ الْحَزَنِ فِي الدُّنْيَا قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَغْبَيْتُ ذَلِكَ رَاحَةً طَوِيلَةً وَفَرَحًا دَائِمًا قُلْتُ فِي أَيِّ الْبَرَجَاتِ أَنْتَ . فَقَالَ مَعَ الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ - الْآلَةِ . وَسَمِعْتُ زُرَّارَةَ بْنَ أَبِي أُوَيْسٍ فِي النَّامِ أَيْ الْأَهْمَالِ أَفْضَلَ عِنْدَكَ قَالَ الرِّضَا وَقَصُرَ الْأَمَلُ وَقَالَ يُزَيْدُ بْنُ مَذْعُورٍ رَأَيْتُ الْأَوْزَاعِيَّ فِي النَّامِ قَهَاتَ بِأَبَا عَمْرٍو دَلَّنِي عَلَى مَعْلُومٍ أَقْرَبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ مَا رَأَيْتُ هَذَا لَدْرَجَةٍ أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَةِ الْمَاءِ ثُمَّ دَرَجَةُ الْخَزُونِيِّ قَالَ وَكَانَ يُزَيْدُ شَيْخًا كَبِيرًا فَلَمْ يَزَلْ يَكُنِي حَتَّى أَظْلَمَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ ابْنُ عَيْنَةَ رَأَيْتُ أَخِي فِي النَّامِ قَهَاتَ بِأَخِي مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَهَاتُ كُلِّ ذَنْبٍ اسْتَفْهَرْتُ مِنْهُ غَفْرَتِي وَمَا لَمْ اسْتَغْفِرْ مِنْهُ لَمْ يَغْفِرْ لِي وَقَالَ عَلَى الطَّلْحِيُّ رَأَيْتُ فِي النَّامِ امْرَأَةً لَاتَشَبَّ نِسَاءَ الدُّنْيَا قُلْتُ مَنْ أَنْتِ قَالَتْ حَوْرَاءُ قَالَتْ زَوْجِي تَبَسَّكَ قَالَتْ اخْطُبِي إِلَى سَيِّدِي وَأَمْرِي قُلْتُ وَمَا مَعَكَ قَالَتْ حَبَسْتُ نَفْسِي عَنْ آفَاتِهَا وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَرَبِيُّ رَأَيْتُ زَيْدَةَ فِي النَّامِ قُلْتُ مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَتْ غَفْرَتِي قُلْتُ لَهَا بِمَا أَتَيْتُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ قَالَتْ أَمَا التَّفَنُّاتُ الَّتِي أَتَقَفَّتُهَا رَجَمْتُ أَجُورَهَا إِلَى أَرْبَابِهَا وَغَفْرَتِي بَقِيَتْ وَلَمَّا مَاتَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَوَى فِي النَّامِ قُتِيلَ لَهُ مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَ وَبُسْتُ أَوَّلَ قَدَمِي عَلَى الصَّرَاطِ وَالثَّانِي فِي الْجَنَّةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْجَوَارِيِّ رَأَيْتُ فِيهَا بَرِي النَّامِ جَارِيَةً مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا وَكَانَ يَتَلَاؤُا وَجِهَتَاهُمَا نَوْرًا قُلْتُ لَهَا مَاذَا ضَوءٌ وَجْهَكَ قَالَتْ تَذَكَّرْتُكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي بَكَيْتُ فِيهَا قُلْتُ تَعَمَّ قَالَتْ أَخَذْتُ تَعَمَّكَ فَسَمِعْتُ بِهِ وَجْهِي فَمِنْ ثُمَّ ضَوءٌ وَجْهِي كَأَنِّي رَأَيْتُ السَّكَنَانِي رَأَيْتُ الْجَنِيدَ فِي النَّامِ قُلْتُ لَهُ مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَ طَاحَتْ تِلْكَ الْأَشَارَاتُ وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْبَابَاتُ وَمَا حَصَلْنَا إِلَّا عَلَى رَكْنَيْنِ كُنَّا نَصْلِحُهُمَا فِي اللَّيْلِ وَرَوَيْتُ زَيْدَةَ فِي النَّامِ قُتِيلَ لَهَا مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَتْ غَفْرَتِي فِي هَذِهِ السَّكَلَمَاتِ الْأَرْبَعِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفَنِي بِهَا مَعْرَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَدْخَلَ بِهَا قَبْرِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَخْبَرَهَا وَحْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفَنِي بِهَا رَبِّي وَرَوَى يَحْيَى فِي النَّامِ قُتِيلَ لَهُ مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَ رَحْمَتِي عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ يَحْيَى أَمَا اسْتَعِيبَتْ مِنِّي كُنْتُ تَخَافُ كُلَّ ذَلِكَ الْخَوْفِ وَرَوَى أَبُو سَلْيَانَ فِي النَّوْمِ قُتِيلَ لَهُ مَاضِلُ اللَّهِ بِكَ قَالَ رَحْمَتِي وَمَا كَانَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ إِشَارَاتِ الْقَوْمِ إِلَى وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ السَّكَنَانِيُّ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ شَيْئًا لَمْ أَرُ أَحْسَنَ مِنْهُ قُلْتُ لَهُ مَنْ أَنْتِ قَالَتْ التَّوْحِي قُلْتُ فَأَيُّ تَسْكِينٍ قَالَ كُلُّ قَلْبٍ حَزِينٍ ثُمَّ التَّفَنُّتُ فَذَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ قُلْتُ مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا السَّقَمُ قُلْتُ فَأَيُّ تَسْكِينٍ قَالَتْ كُلُّ قَلْبٍ فَرِحَ مِنْ حَقِّهَا فَتَهَيَّأَتْ وَتَعَاهَدَتْ أَنْ لَا أَشْجَعُكَ إِلَّا غَلَبَةً وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَرَّازِيُّ رَأَيْتُ فِي النَّامِ كَانَ إِبْلِيسُ وَجَبَ لِي فَأَخَذْتُ الصَّلَاةَ لَأُخْبِرَ بِهِ فَلَمْ يَفْزَعْ مِنْهَا فَتَهَيَّأْتُ بِهَا هَاتِبٌ إِنَّ هَذَا لَا يَخَافُ مِنْ حَلِهِ وَإِنَّمَا يَخَافُ مِنْ تَوْبِهِ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ وَقَالَ الْمَوْحِي رَأَيْتُ الْبَلْبِيَّ فِي النَّوْمِ يَمْنَى عَرِيضَةً قُلْتُ أَلَا تَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ قَالَهُ هَؤُلَاءِ نَاسٌ لَوْ كَانُوا مِنَ النَّاسِ مَا كُنْتُ أَلْبَسُ بِهِمْ طَرَفَ الْتِهَارِ كَمَا يَتَلَاَبُ الصَّيَّانُ بِالْكِرَّةِ بَلِ النَّاسُ قَوْمٌ غَيْرُ هَؤُلَاءِ قَدْ أَسْقَمُوا جَسْمِي وَأَشْرَ يَدِي إِلَى أَصْحَابِنَا الصَّوْفِيَّةِ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَرَّازِيُّ كُنْتُ فِي مَعْقِفٍ فَرَأَيْتُ فِي النَّامِ كَانَ النَّاسُ

من أحواله نفسه
ومكرها ويسكر إلى
الجامع قبل طلوع
الشمس بعد التلبد
للجمعة وإن اغتبل
قريبا من وقت الصلاة
إذا أمكنه ذلك لحسن
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ياأبا
هريرة اغتسل للجمعة
ولو اغتربت للماء
بشائك وما من
نبي إلا وقبه أمره
الله تعالى أن يغتسل
للجمعة فإن غسل
الجمعة كفارة للذنوب
ما بين الجنيتين وهو يغتسل
بالصلاة والتضرع
والدعاء والتلاوة وأنواع
الأذكار من غير تنوع
إلى أن يصل الجمعة
ويجلس معتكبا في

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما نجا فوق قفلى وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق في صدري فقال شر هذا أكثر من غيره. وعن ابن عينة قال رأيت سيديان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة ويقول لكل هذا ما عمل العبادون قتلته وأوصى قال فأفل من مرة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قيس بن عتبة قال رأيت سيديان الثوري قتلته ما فعل الله بك فقال: نظرت إلى ربي كذا قال لي هنيئا رضى عنك يا ابن سعيد قد كنت قويا أما إذا أعظم الهوى بسيرة مشتاق وقلب حميد فدونك فاخر أي قصر أردته ووزني فاني منك غير بعيد

وروى الشبل بعد موته ثلاثة أيام قيل له ما فعل الله بك قال ناخني حتى أيت قفاري أي بأسي تمدني برحمته وروى مجنون بن عامر بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي وجعلني حجة على المحبين وروى الثوري في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رحمني قيل له ما حال عبد الله بن لاريك قال هو من يلج في ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فسأل عن حاله قال: حاسبو نافذ قنواهم بنوا فأعتوا وروى مالك بن أنس قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي بكحة كان يحولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحانه إلى الذي لا يموت وروى في الآية التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض وروى الجاحظ قيل له ما فعل الله بك قال :

ولا تكتب بخطك غيري يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس في المنام عريانا قال ألا تنسني من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أنوام في مسجد الشوثرية قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يفكرون فلما رأوني قالوا لا ينرك حديث الحديث وروى البصر اباذي بك بعد وفاته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال عوبت كتاب الأشراف ثم نوديت بأبا القاسم أريد الاتصال اخصال قلت لا إذا الجلال فما وضعت في الله حتى بلغت برى ورأى هيئة السلام حوراء في المنام على صورة حسنة قالت يا عتبة أنا لك عاقبة فانظر لا تمهل من الأعمال شيئا في حال يفي وينك فقال عتبة طلعت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب المختاني جنازة حاص فدل أنه هلك كيلا يصلى عليها فرأى لبيت بعضهم في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي وقال قل لأيوب- قل لو أنتم تملكون خزائن رحمتي في هذا الأمكنة خشية الخلق- وقال بعضهم رأيت في الآية التي مات فيها داود الطائي نور أو ملائكة نزول أو ملائكة صودا قلت أي لية هله فقالوا لية مات فيها داود النائي وقد زخرت الجنة بقدم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلا المملوك في المنام قلت أيها الشيخ قال دع التشيع قلت تلك الأحوال التي شاهدتها فقال لمن هنا قلت ما فعل الله بك قال غفرت لي بما كان يسأل عنها الصبر وقال أبو بكر الرعيدي رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصفار المؤدب :

وكننا لي أن لا نحول من الهوى فقد وحيات الحب حلق وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أذود قبره كل جمعة فلم أزرعه الجنة وقال ابن رشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته قلت أليس قد مات ذال بل قالت فاصنع الله بك قال غفرت لي مغفرة فأحاطت بكل ذنب قلت فسيان الثوري قال يخرج ذاك - من الذين أعظم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رحمه الله عليه بعد وفاته في المنام قلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصل
فرض الصبر وبخية
النهار يشغلها للتسبيح
والاستغفار وال صلاة
على النبي صلى الله عليه
وسلم فانه يرى بركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من يضبط
أحواله وأقواله وأفعاله
جميع الأسبوع لأته يوم
الزبد لكل صادق
ويكون ما بعده يوم
الجمعة معيارا يعتبر به
سائر الأسبوع الذي
مضى فانه إذا كان
الأسبوع سليما يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأنوار والبركات وما يجد
في يوم الجمعة من الغلة
وسامة النفس وشفقة

قال اجلسنى على كرسى من ذهب وشر على الثور الرب وراى رجل من اصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى البغيتى رايت فى منامى رجلا آدم هو والانس يتبحرون فقلت من هذا قالوا أويس القرنى فأنيته فقلت أوصنى رحك الله فحكى بوجهى فقلت مسترشد فأرشدنى أرهدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند حبه واحذر ثقتك عند مصيبتك ولا تظلم رجلاك منه فى خلال ذلك ثم ولى وعركنى وقال أبو بكر بن أبى صيرم رايت ورقاء بن ضرار الحضرى فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد فقلت فأى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن قامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرأى أباها فى المنام فقال لها بنية أخبرينى عن الآخرة قالت يا أبت قدمنى على أمر عظيم نعم ولا تعمل وتمسكون ولا تملكون والله لتسيحبن وتسيحبن أو ركبة أو ركبان فى فسحة حمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة النعام رايت عتبة فى المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى فاذا خط عتبة النعام فى حائط البيت يهاذى للضلين ويرامح للذين ومقبل عثرات المائى بن رحم عبدك ذا الخطير العظيم والسامين كلهم واجعلنا مع الأحياء للرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رايت سفيان الثورى فى الجنة يطير - من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله سمعت هذا فقال بالورع قلت فما بال على بن حاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كآبى السكوب وراى رجلا من التابعين الذى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا رسول الله عظمى قال نعم من لم يفتقد النقص فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالنقصان خيره . وقال الشافعى رحمة الله عليه دعى فى هذه الأيام أمرأى وأنى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فما كان البارحة أنأت فى منامى فقال لى بالمحمد بن إدريس قل اللهم إنى لأملك نفسى فما ولاضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتى ولا أتى إلا ما وقتيتى اللهم فوقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه فليكن بهذه الدعوات لا تنفخوا عنها فهذه جملة من للكشافات تدل على أحوال اللوتى على الأعمال القريبة إلى الله زلفى . فلنذكر بعدها ما بين يدى اللوتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أولى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثانى من كتاب ذكر اللوت فى أحوال اللبث من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أولى النار وتخصيل ما بين يديه من الأحوال والأخطار] وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهلها وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودودها وأسماءها وصفة النساء عن الذنوب وصفة للزيان وصفة الحصاة ورد للظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهلها وأشجارها وحياتها وعقاربها وصفة الجنات وصفة الجنان وأبوابها وغرفها وحيطاتها وأبهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفحة شجرة الصور)

قد عرفت فيما سبق هذه أحوال اللبث فى سكرات اللوت وخطرته فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشطر الثانى من وقت نفخة الصور)

الانصراف فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتنبه جدا أن يلبس للناس اما للرفع من الثياب أو ثياب التشفين ليرى بين الزهد قى لبس للرفع للناس هو وفى لبس الحسن رياء فلا يلبس إلا لله . بلغنا أن مسفيان لبس القديم مقابلا لإسلام بذلك حتى ارضع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهدم أن يخرج ويشير ثم أمسك وقال لبسته بنية فلا غيره فألبسه بنية للناس فليعلم البعد ذلك وليعتبره ولا يلبس للبتى أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ

وربانه ثم ١- بكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مضطربا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من فتح الصور والبث يوم النشور والمرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الزان لمرقة القادير ثم جواز الصراط مع دقة وحدتهم انتظار التبدل عند فصل القضاء إما بالاسماد وإما بالاعتفاء فهذه أحوال وأحوال لا بد لك من معرفتها على الإيمان بها على حيل الجرم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبث من قلبك دواعي الاستعداد لحاوأ كثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدها أفندتهم ويدل على ذلك عدة تشريح واستعداد لمحر السيف ورد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهرير هاضم ما تكشف من الصاعب والأحوال بل إذا استأذن من اليوم الآخر نطق به أستمته ثم غفقت عنه فلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسوم قال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مديده لتأوه كان معدا لمسا نومي كذبا بعدد وتكذيب العبد أن يفتح من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شقني ابن آدم وما ينبغي أن يشتقني وكذبتني وما ينبغي أن يكذبني أما غشمة أي يقول إن لي ولها وأما تكذيبه قوله كن يميني كاذبان ^(١) » وإنما تور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبث والنشور فلهذا المثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان نواله الحيوانات وقيل له إن صالما يصنع من النطفة القدرة مثل هذا الأدمي الصور العادل للكلم المتصرف لا شند شور باطنه عن التصديق به وذلك قال الله تعالى « وأولر الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - وقال تعالى أعجب الإنسان أن يترك مدى ألم بك نطفة من مني عني ثم كان علة خلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - في خلق الأدمي مع كثرة جهالته واختلاف تركيب أعضائه أعجب تريد على الأجواب به وإعادته في فكيف يسكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنته وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فهو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثله وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك الإحتمال والقرار فتشتغل بالتشعر للمرض على الجبار وتضكر أو لا فيما يفرع مع سكان القبور من شدة قبح الصور فاتها صبيحة واحدة تفرج بها القبور عن دوس الموت فيثورون دفعة واحدة فتومض غسك وقد وثبت متغيرا وجهك مضرا بدتك من فرقك إلى قفلك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصفة شاخص العين نحو النداء وقد تثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزهجم القزع والربح مضانا إلى ما كان عندهم من المجوم والنجوم وعدة الانتظار لمائة الأمر كما قال تعالى - وتقع في الصور ضمق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء ما أنتم شيع فيه أخرى فأنما قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قر في التاقور فقلك يوم تدوم غير على الكافرين غير يسر - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا لصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وتقع في الصور فأنما من الأحداث إلى ربه ينسبون قالوا يا أولنا من بشرنا من مرقنا هذا ما وعد الرحمن وصدق الرسول - فلو لم يكن بين يدي الموت إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يقي فاتها قفنة وصيحة يسبق بها من في السموات والأرض يني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بمنزلة الملكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب الصور قد ألهم القرن وحني الجبهة

(١) حديث قال الله تعالى شقني ابن آدم وما ينبغي أن يشتقني وكذبتني وما ينبغي أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أنزل أو أكثر كيف أمكن ولا يسن إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي يتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم للريد ذكر واحد ليجتمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتحسك بالوحدة تفيد التلاوة والصلاة أو في ما يشهد الذكر الواحد فإذا سئم في بعض الأحيان صانع النفس على الله كرمصاصة وينزل من الصلاة

وأسمى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفع ^(١) « قل مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام واضح فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كمرش السموات والأرض وهو شاخص بصره فهو العرش ينتظر متى يؤمر فينفع النفخة الأولى فإذا نفخ صفق من في السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدة القزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك اللوث ثم يأمر ملك اللوث أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرائيل ثم يأمر ملك اللوث فيموت ثم يبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله إسرائيل فأمرهم أن ينفع الثانية فذلك قوله تعالى - ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى اليبث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبث إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاقفوا النفخة ^(٢) » فنفكر في الخلائق وذهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصفة وانتظارا لما يقضى عليهم من معادة أو عقوبة وأنت فيا بينهم منكسر كاتسكارهم متعجب كتهجيرهم بل إن كنت في الدنيا من الترفيعين والأغنياء للتعظيم فلوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجلع وأسفرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الدار وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم التشور من غير خطيئة تدلست بها ولكن حشرتهم عدة الصفة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أثبت الشياطين للردة بعد تمردوا وعتوها وأذعنت خاشعة من هبة العرش على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحشرنهم حول جهنم جثيا - فنفكر في حالك وحال قلبك هناك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد اليبث والتشور حفاة عراة غرا لا إلى أرض المحشر أرض يضاء فاعلم انك صفت لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها ربة تخفى الإنسان وراءها ولا وهدية ينخض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليهم زمر الفصيحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق تلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبصار أن تكون خاشعة فالرسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معمل لأحد ^(٣) »

(١) حديث كيف أنهم وصاحب الصور قد التزم القرن وحتى الجلبة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه يلفظ إن صاحبي القرن يأيدهما أو يأيدهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحاجاج بن أرقطة يختلف فيه (٢) حديث حين يبث إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب النظمه من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضمعه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مد وكل به مستعد ينظر نحو العرش خفاة أن يؤمر قبل أن يرد إليه طرفه كأن عيني كوكبان دريان وإنسادهما جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معمل لأحد

إلى الذكر فانه أخف على النفس ويبقى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يستد بالاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الواسوس وحديث النفس فانه مقروداه صلال قطاب فانه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشتمل بها ولا يزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يزجها بحديث النفس وإن كان أجمعا لا يجمع

قال الراوي : والفترة يابض ليس بالناصح والنقي هو النقي عن القشر والتذلة ومعلى لا يبادر بستر ولا فاضوت ردة البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاسواها إلا في الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - . قال ابن عباس : زاد فيها وقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدد مد الأديم المكافئ أرض يضاء مثل القضة لمفسك عليها دم ولم يمل عليها خطيئة والسماوات تلعب فسمها وقرها ونجومها فانظر بإمكان في هول ذلك اليوم وشدة فاته إذا اجتمع الحلائق على هذا الصيد تاترت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخود سراجها فينهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدة حسنة عام ولللائكة قيام على حالاتها وأرجائها فياهول صوت الشقاها في صمك وباهية ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدة ثم تبار وتسل كالقضة للذابة تغالطها صفة فصارت وردة كالهان وصارت السماء كالحل. وصارت الجبال كالصين واشتبك الناس كالقراش البثور وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم الرق وبلغ شحوم الأذان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يرسول الله وأسواتاه ينظر بضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - (١) فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والافتات كيف وبهضم يشقون على بطونهم وجوههم فلا تدرهم على اللغات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم قتال رجل يارسول الله وكيف يشقون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يشبههم على وجوههم (٢) في طبع الأذى إنكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبقر الحظف لأنكر تصور الكلى على غير رجل والذى بالرجل أيضا مستبعد عنه من لم يشاهد ذلك فإياك أن تكثر شيئا من محاب يوم القيامة لاحتته قياس مالى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت محاب الدنيا ثم عرضت عليك قبل الشاهدة لكتت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عاريا كشوقا ذليلا مدحورا متجريا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسادة أوبالشاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة الرق)

ثم تفسر في ازدحام الحلائق واجتماعهم حتى ازدحم على لوائف أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وصبح وطير فأشرفت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس المائين كتاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب المائين ولم يمكن من الاستقلال به إلا للقبرون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضج لحر الشمس قد صبرته هجرها واشتدكر به وغمه من وهجها ثم نادفت الحلائق ودفع

منفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فبها لمن قول سهل أو غيره وأدرجا مسلم فيه (١) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم الرق وبلغ شحوم الأذان قالت سودة رواية الحديث وأسواتاه الحديث الثعلبي والبنوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة وأسواتاه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة وأسواتاه (٢) حديث أبي هريرة بعشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث ورواه الترمذى وحسنه وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف بعشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يشبهه على وجهه يوم القيامة .

من القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فان بدوام على ذلك يصير من أرباب الشاهدة. قال مالك : فلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك بالرب هذه الأصول وليستمن بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبت قدسه . قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاد وعلى قدر معرفته بالبلاد يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضاً لمدة الزحام واختلاف الأقدام وإضافة إليه شدة الحجة والحيا من الانقباض والاخترا،
 عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحرّ الأتاس واحتراق القلوب بنار الحيا والحواف
 ففاض العرق من أصل كلّ شجرة حتى سالت على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم
 عند الله فيضهم للبعق ركبته وبضهم حقويه وبضهم إلى شجرة أذنيه وبضهم كاد يغب
 فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى يغب
 أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه^(١)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرق
 الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعوا بجمعهم ويبلغ أذانهم^(٢)» كذا رواه
 البخارى ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر «قياماً شاحسة أبصارهم أربعين سنة إلى الساء فيجمعهم
 العرق من شدة الكرب^(٣)» وقال عقبه بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس
 من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس ثلثن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه
 ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ غلظه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار يده
 فأجلها فاه ، ومنهم من يغطي العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا^(٤)» فتأمل يا مسكين في عرق أهل
 المحشر وعدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب ولا تنظر ولولّى النار
 وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . وأعلم
 أن كل عرق لم يخرج له الصب في سبيل الله من حجج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجته مسلم
 وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحيا والحواف في صعيد القيامة فيطول
 فيه الكرب ولولم يكن آدم من الجهل والترور لعل أن تصب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون
 أمراً وأقصر زمناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف فيه الخلائق شاحسة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم فتفون ثلثائة
 عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيدروح نسيم . قال كعب وقادة - يوم
 يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلثائة عام بل قال عبدالله بن عمر وتلا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف يك إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف
 سنة لا ينظر إليكم^(٥)» وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغب أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه
 متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين
 ذراعاً الحديث أخرجه في الصحيحين كما ذكره للصف (٣) حديث قياماً شاحسة أبصارهم أربعين سنة
 إلى الساء بجمعهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى
 ابن سليمان الجرجاني ضعه ابن معين وقال ابن عدى لا ظن أن كان يصمد الكذب لكن الله تشبه
 عليه (٤) حديث عقبه بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس ثلثن من يبلغ
 عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمر رواه تله هذه الآية يوم يقوم الناس
 لرب العالمين ثم قال كيف يك إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم
 قلت إنما هو عبدالله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة فلو كان ابن أبي
 حاتم راوياً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحمد بن مسعود والثلاثة
 الآخرون شاميون .

ومفتح كل علم دقيق
 في طريق القسوم
 وهذا الانقمار مع كل
 الأتاس لا يثبت
 بحركة ولا يستقل
 بكلمة دون الانتظار
 إلى الله فيها وكل كلمة
 وحركة خلت عن
 مراجعة الله والانتظار
 لها لا تقب خسيرا
 نطمسنا علنا ذلك
 ونعقناه . وقال سهل
 من انتقل من شمس
 إلى قس من غير
 ذكر فقد ضيع حاله
 وأدى ما يدخل على
 من ضيع حاله دخوله
 لها لا يثبت وتركه
 ما يثبه . وبلغنا أن
 حسان بن سنان قال
 ذات يوم لمن هذه
 الدار ثم رجع إلى

لأباً كلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شرية حتى إذا انقضت أعانهم عطشا وارتقت أجوانهم جوما انصرف بهم إلى النار فستقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لقمها فلما بلغ الجحود منهم ملاطاة لهم به كلم بعضهم بضاً في طاب من يكرم على مولاه ليشتغ في حتمهم فلم يتلقوا نبي إلا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي هفتاني أمدى عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا ينضب بعده مثله حتى يشتغ نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يعلكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المصاع في حمرك المختصر . واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا لموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة للكتابة يساهل في الدنيا» (١) ، فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فإدام يبق لك نفس من حمرك فالأمر إليك والاستعداد يدريك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال أربع ربحاً لا تمتنى لسروره واستحق حمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقدره تحسون أنما كان بحكم كثير أو تمك بيسر .

(صفة يوم القيامة ودواهيه وأسابيه)

فاستمد يأسك في هذا اليوم العظيم شأنه لتد زمانه القاهر سلطانة القريب وأنه ، يوم ترى البهائم فيه قد انقضت ، والسكاكب من هولة قد انشثرت ، والنجوم الزواهر قد انكسرت ، والشمس قد كورت ، والجبال قد سوت ، والشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد سبجت ، والنفس إلى الأبدان قد زوجت ، والحجم قد سمرت ، والجنة قد أزلت ، والجبال قد نسفت ، والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيزلا لها ، وأخرجت الأرض أنفاسها ، يومئذ يصدر الناس أمتاناً ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانثقت البهائم هي يومئذ واهية ، ولللك على أرجائها ، وعمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسمى الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا ، يوم يكون الناس كالفرش للبثوث وقكون الجبال كالهن النفوس ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ، يوم تراه الواحد القهار ، يوم تفسف فيه الجبال نسفا فتترك قائما مصففا لا ترى فيها عرجا ولا أمتا ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تلتشق فيه البهائم فتكون وودة كالبهائم ، فيومئذ لا يستل عن ذنبه إلس ولا جان ، يوم يمنع فيه الجاهل من الكلام ولا يسئل فيه عن الإجماع بل يؤخذ بالانواص والأقدام ، يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود أن يبينها وبينه أمدا بعيدا ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة للكتابة يساهل في الدنيا يؤملي والبيقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ابن لحيمة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدلا ابن لحيمة وهو حسن ولا يبي من حديث أبي هريرة بإسناد جيد جهون ذلك على المؤمن كتندي الشمس للغروب إلى أن تهرب ورواه البيهقي في الشعب إلى أن قال أظنه رفبه بلقط إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كرمته ملاقة مفروضة .

شبه وقال مالي وهذا
السؤال وهل هذه
إلا كلمة لاثنين وهل
هذا إلا لاستيلاء
نفس وقلة أديها آل
على شبه أن يصوم
سنة كفارة له
الكلمة بالصدق نالوا
مانالوا وبقوة العزائم
عزائم الرجال بلغوا
ما بلغوا . أخبرنا
أبو زرعة بإجازة قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا عمرو
الأنماطي يقول سمعت
الجبدي يقول لو أنبل
صالح على الله ألف سنة
ثم أعرض عنه لحظة
لكنان ما فاته من الله
أكثر مما كانا وهذا

وتطلق الجوارح يوم شيب ذكره سيد الرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال « شيتنى هو دواهيها »^(١) وهى الواقعة للرسالات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت؛ فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءة كتاب أن تجتمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيا تروى لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد الرسلين وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرت أسمايها لنقف بكرة أسمايها على كثرة معانيها فليس للتمسود بكثرة الأسامي تكرر الأسامي والألقاب بل القرض فنيه أولى الألباب فثبت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعمتين نعمتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجعل لك أسمايها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاسبة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة ويوم الساعة والأزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم التراق ويوم اللسان ويوم القصاص ويوم التداد ويوم الحساب ويوم المكاب ويوم المذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البث ويوم القسح ويوم الحزى ويوم عظيم ويوم عظيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم التشور ويوم المسير ويوم النخعة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الترجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم التزعزع ويوم الجزع ويوم للتشى ويوم للآوى ويوم للقيات ويوم للباد ويوم للرصاد ويوم للقلق ويوم للرقى ويوم الانفجار ويوم الانكسار ويوم الانتشار ويوم الانشطار ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التخزين ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لأرب في يوم تبلى السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا ينفى مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس نفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دما ويوم يسبحون في النار على وجوههم ويوم تغلب وجوههم في النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم الأمانة ولهم سوء الدار يوم تردفه العاذر وتبلى السرائر وتظهر الضائر وتكشف الأستار يوم تخضع فيه الأبصار وتسكن الأصوات ويقل فيه الألفاظ وتبرز الحفائط وتظهر الحفائط يوم يساق العباد ومعهم الأنداد وبشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت اللوازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلى الخمر وزفرت النار وبسكت الكفار وسمرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ولطقت جوارح الإنسان فيا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت الستور واستترت عن الحقيق فعارفت النجوم لماذا فعل وقد شهدت عليك جوارحه فلو لب كل الوليل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد الرسلين وينزل عليه الكتاب اللين ويغيرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يفرقنا غفلتنا ويقول - اقرب لئلا حساهم وهم في غفلة معرضون ما يأتهم من ذكر من ربهم سمعت إلا استمعوه وهم يلعبون لأهية قلوبهم - ثم يفرقنا قرب القيامة فيقول اقرب الساعة

(١) حديث شيتنى هو دواهيها والرسالات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تم .

الجملة يحتاج الجدي .
أن يحكمها وللشئ
حالم بها عامل بحقائقها
فالمبتدئ صادق
وللتبلى صدق قال
أبو سعيد القرشي
الصادق الذي ظاهره
مستقيم وباطنه يميل
أحيانا إلى حظ النفس
وعلمته أن يجد
الحلاوة في بعض
الطاعة ولا يجدها في
بعض وإذا اشتغل
بالذكر نور الروح
وإذا اشتغل بحفظ
النفس يحجب عن
الأذكار والصديق
الذى استقام ظاهره
وباطنه سيد الله تعالى
يتلوون الأصوات
لا يجيبه عن الله
ومن الأذكار أكل

وانشق القمر - لهم روته بيده وزاره قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً - يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا نتنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميهِ ولا نتسند للتخلص من دواهيهِ فتعود بالله من هذه النعمة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

(صفة المساهة)

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاه من غير ترجان فتستل عن القليل والكثير والفقير والغني فينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عذابها إذ زلت ملائكتك من أرجاء السماء بأجسام عظام وأعضاء ضخام غلاظ هداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرش على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكاً ما بين شفرى عينيه مسيرة مائة عام ^(١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرش وترامى على عظم أشعث أصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا وغرورن لأذنتهم خوفاً من أن يكونوا هم للأخوين قهلاً حال للقرين فما ظنك بالساعة المجرمين وعند ذلك ينادى أرقام من شدة القزع فيقولون للملائكة أفنكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفرع للملائكة من سؤالهم إجلالاً لحاقهم من أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم مزهين للبيكم عما توهمه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفائحتين بالخلق من الجوانب وعلى جمهم شعار الدل والخضوع وهيئة الخوف واللبابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنأتين الذين أرسل إليهم ولنأتين للرسائل فنلصق عليهم عيلهم وما كنا غائبين - وقوله - فو ربك لنأسئهم أجمعين عما كانوا يعملون - فليدأ سبحانه بالأنبياء - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيبت قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيالشدت يومئذ ليه يقول الأنبياء وتحمى علومهم من شدة الحمية إذ يقال لهم ماذا أجيبت وقد أرسلتم إلى الخلاق وكانوا قد علموا قد دعى عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من عدة الحمية لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقوم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك هل بلغت فيقول نعم ما أنا من نذير ويؤى ييسى عليه السلام فيقول الله تعالى له آئت قلت للناس اتخذوني وأسمى المؤمنين من دون الله فيبقى متشعلاً تحت هيئة هذا السؤال سنين فيالعلم يوم تمام فيه السياسة على الأنبياء بطل هذا السؤال ثم تهبط للملائكة فينادون واحداً واحداً بإفان بن فلانة علم إلى موقف العرش وعند ذلك ترعد القرائس وتضطرب الجوارح وتهبت العقول وتنمى أقوام أن ينهب بهم إلى النار ولا تحضر قبايح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملائكة الخلاق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرقت الأرض بنور ربها - وأيقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمساهة العباد على كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه للتصود بالأخذ والسؤال دون من عده يقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل اتنى بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل اجيبى خاتك وملكك فيصاغر جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ذلك أن ثارت وطارز وزغرت إلى الخلاق وشهت ومع الخلاق تنبظها وزفيرها واشتت خزمتها متوبة إلى الخلاق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ياله وأحضر في قلبك حالة تلوب الباد وقد امتلأت فرجا وربعا اقتسطوا جثا إلى الربك

(١) حديث إن لله عز وجل ملكاً ما بين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ.

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصديق
يريد نفسه وأثر
الأحوال إلى النبوة
الصدقية . وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء . واعلم
أن أرباب النهايات
استقامت بوطنهم
وظلوا هم لله
وأرواحهم خلعت
عن ظلمات النفوس
ووطئت بساط القرب
وتسوسهم منقاد
مطوعة سالمة مع
القلوب حية إلى كل
ما تنجب إليه القلوب
أرواحهم متعلقة
بالقائم الأعلى انعطفت
فهم نيران الهوى
ونحمر في بوطنهم

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جاثية - وسقط بضمهم على الوجوه منسكين وينادي الصائغ والظالمون بالويل واليبور وينادي الصديقون هني هني قبينا هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها النارية فتضاعف خوفهم وتضاعف قوام وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانهمت عند ذلك قلوب الظالمين فلبست الحناجر كاطنين وذهلت القول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتهم فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على الصائغ ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاه عن قليل محله وكثيره وعن سره وعلائنه وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب قالوا لا قال فهل القمر ليلة البدر ليس دونه سحب قالوا لا قال فوالله نرى الله في يده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الحيل والأبل وأدرتك رأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك ملائقي فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتي (١) » ثم قام فمسك يأسكين وقد أخذت لللائكة بضدبك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاه فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب قبيبا ذا أبلية ألم أمهل لك في العمر قبيبا ذا آفئته ألم أرزقك اللب لمن أين اكتسبته وقبيبا ذا آفئته ألم أكرمك بالملم فلماذا عملت فباعته فكيف ترى حياتك وخجلك وهو يد عليك إمامه ومعاصيك وإياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضي الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أندرونم أم أضحك لنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فأنى لا أجيز على هني إلا شاهدة مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيوا بالكرام الكائنين شهودا قال فيفتح على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتتطرق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بدا لكن وسحقا فضعكن كنت أنا ضل (٢) » فعوذ بالله من الاتضاع على ملائحتي شهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمنين بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في التجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كفه عليه فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إلى سترتها عليك في الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا المعيار جنى للعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستره من غيرك أليس قد فرغ صمكت التذاد إلى العرض فيحكيتك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بانصيتك فتخادق إذا مضطرب ولبك طائر وفرأصك مرتدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من حدة المولم مظلم تقدر

صرح العلم وانكشف
لهم الآخرة كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حق أبي
بكر رضي الله عنه « من
أراد أن ينظر إلى بيت
يمشي على وجه الأرض
فلينظر إلى أبي بكر »
إشارة منه عليه
الصلاة والسلام إلى
ما كشف به من
صرح العلم الذي
لا يصل إليه عوام
للمؤمنين إلا بدلول
حيث يقال فكشفتنا
عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد - فأرأب
التهابات ماتت أرويتهم
وخلست أرواحهم .
قال يحيى بن معاذ وقد
سئل عن وصف
العارف فقال رجل

(١) حديث أبي هريرة هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فافرد به أسلم (٢) حديث أنس أندرونم أم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في التجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصنوف وتقاد كقناد القرس المحبوب وقد رفع الخلاق إليك أصارم قوم هسك أنك في أيدي الوكيلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وتاداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ابدني فدنوت، به قلب خائف محزون وجل وطرف خاضع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا ينادى صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسبها فقد كرتها وكم من طاعة غفلت عن ألتها فأنكشفها لك عن مساوئها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وهيج فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تفعل ما تقول ثم تشكر في عظم حياتك إذا ذكرك ذنوبك غفها إذا يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزني بالقيس واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادي استخففت ينظري إليك فلم تكترت واستعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك فإذا فرل في أغلنت أني لا أراك وأنت لا تاتقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مانسك من أحد إلا وسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليقتن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أولئك ملا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فيأمرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليقتن أحدكم النار ولو يشق فمرهتان لم يجد فيك كلمة طيبة»^(٢) وقال ابن مسعود مانسك من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالضمير لئلا يدرهم يقول يا ابن آدم ما غرك في يا ابن آدم ما عملت فيا ما غرك يا ابن آدم ماذا أجبت للرسول يا ابن آدم ألم أكن رقيقا على عينك وأنت تنظر بها إلى ملا يجل لك ألم أكن رقيقا على أذنك وهكذا حتى عداست أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيا أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيا أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه ولماذا أفقته فأعظم بأسك بين عبيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ففند ذلك يستظم سرورك وفرحك ويشطك الأولون والآخرون وإيمان قال الملائكة خذوها لئلا تبد السوء فقلوه ثم الجبحهم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا يستظم مصيبتك وهدمة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بست آخرتك من دناءة لم تبق معك.

(صفة الليزان)

ثم لا تنفل عن الفكر في الليزان وتطير الكتب إلى الأيمان والقبائل فإن الناس بمدالسؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عني أمود فيقطعهم لقط الطير الحب ويغطى عليهم ويلتهم في النار فيبتلعهم النار وينادي عليهم شقاوة لاسماعة بعدها وقسم آخر لا يبتلعهم فينادى بمد ليم المجدون ثم على كل حال يقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يغسل ذلك بأهل قيام الليل ثم يمل تشفه تجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم سماعة لاشقاوة بعدها يبتلى قسم ثالث وهم الأكرن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد غنى عنهم ولا يغنى على الله تعالى أن التالب حسنتهم أو عيبتهم ولكن يأتي الله إلا أن يعرفهم ذلك لئلا ينفضه عند المفروعه له عند العقاب فتطير الصحف والكتب منظوية على الحسنات والسيئات وينصب الليزان وتخص الأبصار إلى الكتب أضع في العين أو في الشمال ثم إلى لسان الليزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث مانسك من أحد إلا وسأله الله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبي حاتم بلقط إلا سيكله الحديث (٢) حديث ليقنن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخاري من حديث على بن سالم .

معهم بأن منهم وقال
مرة عبد كان قبان
قارباب القبايات ثم
عند الله بحقيقتهم
معرفين بتوحيات الأجل
جلهم الله تعالى من
جنوده في خلقه بهم
يهدى وهم يرشد
وهم يجلبد أهل
الارادة كلامهم دواء
ونظرم دواء ظاهرهم
عنفوظ بالحكم وباطنهم
معمور بالعلم . قال
ذو النون علامة
المارف ثلاث لا يطفىء
نور معرف نور ورعه
ولا يشهد باطنا من
العلم ينقض عليه ظاهرا
من الحكم ولا عمله
كثرة نعم الله وكرامته
على هتاك أشتار حارم
الله قارباب القبايات

وهذه حالة تلتصق فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنفس قد كرت الآخرة فبكت حتى سال دعماً فقطط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبه فقال مايكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهلكم يوم القيامة قال والذى نضى بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت الوازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أيمينه يأخذ كتابه أو يشاه ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى بآدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي لليزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى لللك بصوت يسمع الخلائق سمد فلان سعاده لا يثقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « إني يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فأبث بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ظما مع الصحابة ذلك أبسوا حتى ما أوضوا بضاحكة ظما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاند أصحابه قال أعملاوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده إن معكم لحطيتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتا مع من هلك من بني آدم وبني إبليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال بأجوج وأجوج قال فسرى عن القوم فقال أعملاوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة (٢) »

(صفة الحياء ورد اللطام)

قد عرفت هول اللزآن وخطره وأن الأعين شاحصة إلى لسان اللزآن - فأما من هلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأه حايوة وما أدراك ما هي نار حامية - وأعلم أنه لا ينجو من خطر اللزآن إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بيزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولخطاته كما قال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حاسبه نفسه أن يتوب عن كل معصية قبل اللوت توبة نصوحا ويسدرك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد للظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من يمرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيّب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة فير حساب وإن مات قبل رد اللطام أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتلقى بلبيه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في النية بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأست جوارى وهذا يقول جاملتني فشمشتني وهذا يقول أبغيتني فبغيتني وأخفيت عني عيب سلتك وهذا يقول كذبت في سعر

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال مايكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهلكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
- (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فأبث بئس النار فيقول وك بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

كلما ازدادوا نعمة
ازدادوا عبودية وكلما
ازدادوا دنيا ازدادوا
قربا وكلما ازدادوا
جاها ورفعة ازدادوا
تواضعا وذلك أدلة على
الؤمنين أعزة على
الكافرين - وكلما تاروا
شهوة من شهوات
النفس استخرجت
منهم شكرا صافيا
يتناولون الشهوات تارة
وقحا بالنفوس لأنها
معهم كاللؤلؤ الذي
يلطف بالذى ويهدي
له شيء لأنه مقهور
تحت السياسة مرحوم
ملطوف به وقارة
يعنون فهو سهم
الشهوات تأسيا بالأنياء
واختيارهم التلذذ من
الشهوات الدنيوية قال

متاعك وهذا يقول رأيته محتاجا وكنت غنيا لما أطعمتني وهذا يقول وجدته مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عني فذهلت الظالم وما راعيتني ، فبينا أنت كذلك وقد أنشأ الحبيب عليك محالهم وأحكوا في تلاييك أيديهم وأنت مهتوت متعبر من كثرتهم حتى لم يبق في عرك أحد عاملته في دهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة نبيلة أو خيانة أو ظفر بصين استحقار وقد صنعت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - ففند ذلك ينتزع قلبك من الحمية وتوقن نفسك بالبور وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رهوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأندرائتس - الآية فأنشد فركك اليوم بتمحضك بأعراض الناس وتاولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوهدت خطاب السامة وأنت مفلس فقير عاجز مزين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عدرا ففند ذلك تؤخذ حسنتك التي تبت فيها عموك وتنقل إلى خصمائك عوسا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من النفس قلنا النفس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال النفس من أمق من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسنة هذا وهذا من حسنة هذا فإذ فئت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (١) » فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يملك حسنة من آفات الرياء ومكاييد الشيطان ، فإن سلت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدعها خصماؤك وأخذوها ، ولك ذلك لو حسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقص عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسنتك فكيف يبقية الثبات من أكل الحرام والشهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من الظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القراء ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاميين يتطحنان فقال يا أبا ذر أتدري فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيفقي بينهما يوم القيامة (٢) » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - إنه يحشر الحاقق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيعلم من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القراء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف كنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها فمبك تقول أين حسنتي فيقال قلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة ببسات طال في الصبر عنها نصيبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ما قارقتها قط فيقال هذه ميئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في اللبايسة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة وللذاكرة وللدارسة وسائر أصناف العالمة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من النفس قلنا ؟ قالوا النفس يارسول الله من لا درهم له ولا متاع الحديث تقدم (٢) حديث : يا أبا ذر أتدري فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيفقي بينهما أحمد من رواية أشيع لم يسموا عن أبي ذر .

بحسب بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ما شطتها واذا هدهد فيها يسبح وجهها ويتفقد شعرها ويحرق ثوبها والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت إليها . واعلم أن انتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنهال الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن انتهى استغنى عن الزبادات والنوافل ولا على قلبه من الاستمرار في تناول اللذات والشهوات وهذا خطأ لا من حيث إنه يحب العارف عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سريضي منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي اللوقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن البئد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سنيحيه فما يزال يزل عبد يعبد فيقول رب إن فلانا ظفني بمظلة فيقول امسح من حسنة فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسنة شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب ففترق القوم فخطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنموا ما أرادوا ^(١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر عيانا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال: نعم ليكرن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه ^(٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لمعة ولا عن كلة حتى يتنقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بما قال - قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم ينادهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لك أنا الهيان لا يبنى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلة حتى أكفه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أكفه منه حتى المظلة قلنا وكيف وإنما تأتي الله عز وجل عراة غبرا بما قال الحسنات والسيئات ^(٣) » فها هو الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإسائة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين البدويين خاصة والفجرة إلى أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استئصال أرباب الظلم فليسكر من حسنة ليوم القصاص وليس يعرض الحسنات بينه وبين الله بكال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فصار به ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي إدخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأى يثاء ضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأني أنت وأمي قال رجلا من أمي جيا بين يدي رب العزة قال أحدهما يارب خذ لي مظلق من أخى فقال الله تعالى أعطاك مظلمة فقال يارب لم يبق من حسنتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسنة شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يجعل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فنة

يوقف عن مقام الزيد
وتوم لما رأوا أن هذه
الأعياء لا تؤثر فيهم
فسروا ولا تورهم حجة
ركنوا إليها واسترأوا
فيها وقصوا بأداء
القرائن والسوا في
لأكل والشرب وهذا
الانسياط منهم بقية
من - عسر الأحوال
وتقيد بنور الحال
وعسدم التخلص
بالكلية إلى نور الحق
ومن تخلف من نور

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سريضي منكم بما هو دون ذلك المحقرات وهي اللوقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن البئد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سنيحيه فما يزال يزل عبد يعبد فيقول رب إن فلانا ظفني بمظلة فيقول امسح من حسنة فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسنة شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب ففترق القوم فخطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنموا ما أرادوا ^(١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر عيانا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال: نعم ليكرن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه ^(٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لمعة ولا عن كلة حتى يتنقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بما قال - قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم ينادهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لك أنا الهيان لا يبنى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلة حتى أكفه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أكفه منه حتى المظلة قلنا وكيف وإنما تأتي الله عز وجل عراة غبرا بما قال الحسنات والسيئات ^(٣) » فها هو الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإسائة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين البدويين خاصة والفجرة إلى أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استئصال أرباب الظلم فليسكر من حسنة ليوم القصاص وليس يعرض الحسنات بينه وبين الله بكال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فصار به ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي إدخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأى يثاء ضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأني أنت وأمي قال رجلا من أمي جيا بين يدي رب العزة قال أحدهما يارب خذ لي مظلق من أخى فقال الله تعالى أعطاك مظلمة فقال يارب لم يبق من حسنتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسنة شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يجعل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فنة

مر تعة وقصورا من ذهب مكاله بالؤلؤلأى نبى هذا أولأى صدق هذا أولأى شهيد هذا أقال ان أعطانى
الغن قال يارب ومن علك بمنه قال أنت ملكك قال وما هو قال عقوقك عن أخيك قال يارب إن قد عقوقت
عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اخروا الله
وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين (١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما بالنال لتخلي بأخلق
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلعت صهيبتك عن النظام وتلطف
لك حق عفا عنك وأجنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلعت
عليك خلعة الرضا وعدت بسادة ليس بعدها شقاء ونعيم لا يدور بمحايه القناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابتسج وجهك واستارت وأشرق كإشراق القمر ليلة البدر فتوهم بتخلك من الخلاق
راضا رأسك خاليا عن الأوزار ظهر لك وضرة نسيم الهم وبرد الرضا ثلا لآمن جبينك وخلق الأولين
والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويفطونك في حسنك وجمالك وللآنك بمشون بين يدك ومن
خافك وينادون على رهوس الأئمة هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سمد سعادة لا يشقى
بدها أبدا أقرى أن هذا النصب ليس بأعظم من السكاسة التى تتألف في قلوب الخلق في الدنيا بريائك
ومد اهتلك وتسمك وترتك فان كنت تعلم أنه خير منه بل لانسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه
الرتبة بالاخلاص الصافي والثابة الصادقة في معاملتك مع الله فلن تتدرك ذلك إلا بواون تسكن الأخرى
والعباد بالله بأن خرج من صهيبتك جربة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فتفتك لأجلها قال
عليك لعنى يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تنصب
للآنك لتعجب الله تعالى فيقولون عليك لعنتنا ولعنة الخلاق أجمعين وعند ذلك تتنال اليك الرتبة
وقد نضبت لتعجب خالقها فأقدمت عليك بفظافتها وزعزعتها وصورها للسكره فأخذوا بناسيك
يسجونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون إلى أسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لانع اليوم ثبوروا وحدا وأدم ثبوراً كثيراً تادى للآنك
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعازبه ولمنه بياح مساويه ففشى فقاودة لاسد
به ها أبدا ودعما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبة المسكاسة في نفوسهم أو خوفامن
الافتضاح عندهم لما أعظم جهلك إذ تعجز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا
للمقرعة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك للآنك العظيم مع التمرض لسخط الله وعقاب الأليم والسياق
بأيدى الزانية إلى سواء الجميع فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى - يوم نحشر للشقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
إلى جهنم وردا - وفى قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم - وقومهم إثم مسئولون - قالنا من يهدوهم
الأهوال يساقون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السفهاء وق من الشعر فبن
استقام في هذا العالم على الصراط للستيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
وأهمل ظهره بالأوزار وصى تشرقى وألقد من الصراط وتردى فتفكر الآن فيا محل من القرع مؤادك
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحت ثم قرع صمك شريق النار ونقبطها

(١) حديث أنس بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأياه ضحك حتى بدت ثناياه فقال
عمر ما أضحكك يا رسول الله بأى وأمى قال رجلان من أمق جبايين يدرب العالمين الحديث بطوله
ابن أبى الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في التندرک وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
يلهب عنه بقايا
السكر ويوقظ نفسه
مقام العبد كالجهد
عوام المؤمنين يقرب
بالصلاة والصوم وأنواع
البر حتى يباطمة الأذى
عن الطرقي ولا
يشكرو ولا يشكف
أن يسود في صور
عوام المؤمنين من
إظهار الإرادة بكل
بر وصلة فيتناول
الشهوات وقتا رضا

وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع متعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهرك بالأوزار
للشاقة لك عن الكلى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه
إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطرت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلات بين يديك يزولن
ويشترتون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف يتكسبون فتسفل
إلى جهة النار ردوسهم وتمازج أرجلهم فياله من منظر ما أنظمه ومرهقي ما أصعبه وبعاز ما أضيقه فانظر
إلى حالك وأنت تحرف عليه وتصد إليه وأنت مثل الظهر بأوزارك تلنت بينا ونشبال إلى الخلق
وهم يتهاقون في النار والرسول عليه السلام يقول «يارب سلم سلم» والرفقات بالويل والثبور قد
ارتفعت إليك من قصر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك
ولم ينفعك ندمك فاذبت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتي قدست لحياتي ياليتي
أخذت مع الرسول نبيلًا يوليكن ليتي لم أأخذ فلانا خليلًا ياليتي كنت ترابًا ياليتي كنت نسيامنسيا
ياليت أُمي لم تنفني ، وعند ذلك تخططك النيران والياذ بالله وينادي النادى أخشوا ربها ولا تسكبن
فلايتي سبيل إلا الصياح والأنيب والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عتلك وهذه الأخطار
بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت
به مؤمنًا وعنه غافلاً بالاستعداد له متهاونًا فما أعظم خسارتك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا
لم يشكك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هو للصراط
وارتباع قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلت فناهيك به هولًا وفزعًا ورعبًا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يبين بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ
إلا بالرسول ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم
شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فاتها مثل شوك السعدان غير أنه لا يمزج درعها إلا الله تعالى
تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوقى بسمله ومنهم من يخرج له ثم ينبو^(١) وقال أبو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تخطف الناس بينا وهم لا يعلمون ولا ينشعرون يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعي سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من
يعبو حبوا ومنهم من يزحف زحفاً فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يعوتون ولا يحجون وأما الناس
فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون لحما ثم يؤخذ في الشفاعة^(٢) وذكر إلى آخر
الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين
ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحخة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث
إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيقطعهم
نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يسطى نوره مثل الجبل العظيم يسمى بين يديه ومنهم من
يسطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يسطى نوره مثل النخلة ومنهم من يسطى نوره أصغر من
ذلك حتى يصكون آخرهم رجلا يسطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة ويخو مرة فإذا أماء
قدم قدمه فمشى وإذا أعظم قام ثم ذكر مروهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالفسس للظهر والركاة
للقادة للخواصة لأنها
أسيرة وتنعما
الشهوات وقتا لأن
في ذلك صلاحها
واعتبر هذا سواء
بحال الصبي فانه إن
جاوز حد الاعتدال
من إعطاء للراد
وقتا ومنعه وقتا
اقتصد عليه لأن
الجليلة لا بد من لعمها
بسياسة العلم ومادامت
الجليلة باقية لا بد من

(١) حديث ينسب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يميز متفق عليه من حديث أبي هريرة
في أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد يحشر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب
وخطاطيف الحديث متفق عليه مع اختلاف ألفاظ .

بمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاهض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره على إبهام قدمه يعبو على وجهه ويديه ورجليه يمر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وغير أخرى وتصبب جواربه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يسل أحداً إذ يجاني منها بعد إذ رأيتها فيطلق به إلى غدیر عند باب الجنة فيقتل (١) وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كشد السيف أو كشد الشفرة وإن لللائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام يأخذ بحجزتي وإنى لأقول يا رب سلم فلترأون والزلات يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائمها فطول في فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خلف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كركة النساء تمنع عينك ويرق قلبك حال الباع ثم تنفس على القرب وتمود إلى لحوك ولبك لفاذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه فلا ينبغيك إلا خوف ينمك من معاصي الله تعالى ويحك في طاعته وأبدم رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله فأنفذ بالله اللهم سلم سلم ولم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشیطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في هجره ووراءه حصن فاذا رأى أبواب السبع ومولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأني ينفي عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها من الأهل لا إله إلا الله صادقاً ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا مبدع يعمدون أخذها له هوام فهو بيد من الصدق في توحيد وأمره عظم في نفسه فإن هجرت عن ذلك فكأنك هجرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصاً على تعظيم سنته ومشورتاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمتك وتبركاً بأدعيهم نسلك أن تال من شفاعتهم أو شفاعتهم فتجرب بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى غضبه قبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة المماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرباته وأصدقائه ومعارفه فكأن حرصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى خيراً ولايته في عباده قلل الذي تزدريه عينك هو لئلا لا تستمر معصية أصلاً فإن الله تعالى خيراً غضبه في معاصيه قلل من الله في ولايته لا تستمر أصلاً طاعة فإن الله تعالى خيراً رضاء في طاعته قلل رضاء فيه ولو السكامة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولسوف يسطيك ربك قرضى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاحسة أيسارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعض مختصراً (٢) حديث أنس الصراط كشد السيف أو كشد الشفرة الحديث البهتي في الشعب وقال هذا إسناد ضعيف قال وروى عن زياد الفهمي عن أنس مرفوعاً الصراط كشد الشفرة أو كشد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

سياسة السلم وهذا باب فامض دخل في التباين على للتبني من ذلك داخل ووقع الركون والسد به باب للزبد فالتبني ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك في الأعمال والحظوظ في الأعمال لا بد له من أخذ وترك فارة يأتي بالأعمال كأحاد الصادقين وعارة يترك

روى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام - رب إنهن أشد من الناس فمن تبني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقال أمي أمي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إننا نرضيك في أمك ولا نسوءك ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يسطعن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحل لي القتائم ولم يحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني أركب من أمي أدر كته الصلاة فليصل وأعطينت الشفاعة وكل مني يث إلى قومه خاصة ويث إلى الناس عامة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع يدي لواء الحمد تحت آدم فمن دونه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل مني دعوة مستجابة فأريد أن أختي ودعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة ^(٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأبناء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقي منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً خائف أن يبعث بي إلى الجنة ويثني أمني يدي فأقول يا رب أمني فيقول الله عز وجل يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب حمل حسابهم لما أزال أضع حتى أعطى صكاً لرجال قد بعث بهم إلى النار وحق إن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لتتنب لربك في أمك من بقية ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ^(٦) » وقال أبو هريرة « ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه البراع وكانت تحببه فبقي منها نهيضة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسلمهم الله ايعى وينفخهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من النعم والكرب مالا يقيفون ولا يحتملون فيقول الناس

زيادة الأعمال رها
بالنفس وعادة يأخذ
الحظوظ والشهوات رها
بالنفس وتارة يتركها
اختقاداً للنفس بحسن
السياسة فيكون في
ذلك كله مختاراً فمن
ساكن ترك الحظوظ
بالكلية فهو زاهد
تارك بالكلية ومن
استرسل في أخذها
فهو راغب بالكلية
والنهي فعل الطرفين
فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام - رب إنهن أشد من الناس فمن تبني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقال أمي أمي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إننا نرضيك في أمك ولا نسوءك ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يسطعن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحل لي القتائم ولم يحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني أركب من أمي أدر كته الصلاة فليصل وأعطينت الشفاعة وكل مني يث إلى قومه خاصة ويث إلى الناس عامة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري (٤) حديث لكل مني دعوة مستجابة فأريد أن أختي ودعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأبناء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقي منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف (٦) حديث إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر وأحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن .

بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح فيه من روجه وأمر للناسك فجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجر فصبرت نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول المرسل إلى أهل الأرض وقد حماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويدكرها نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك رسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت قسا وأمر بقتلها نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكنت أقامها إلى مريم وروح منه وكنت الناس في الهدى اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولا يدكر ذنبا نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وخفف الله لك ما همم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأطاعنى فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من علمه وحسن التناء عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل خطوا لشفع تفتح فأرفع رأسى فأقول أمق يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال وألقى نفسى بين الصراخين من مصاريع الجنة كما بين مكة وخيبر وأوكا بين مكة وبصرى (١) وفى حديث آخر هذا السياق بينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله إلى السكا كب هذا ربى وقوله لأهملهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إبنى سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حادمتهم من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمم أكثر من ربيعة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم قال رجل قم يا فلان فأشفع في قوم الرجل فيشفع القليلة

(١) حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه القرع وكان سبعة تهنئونها ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجه مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمم أكثر من ربيعة ومضر وروناه فى جزء أبى عمر بن السكك من حديث أبى أمية إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان للشجعة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان وإسناده حسن ولترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجعداء يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمم أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويضا .

واقف على الصراط
بين الأفاط والتضريط
فمن ردت إلى سنة
الأقسام فى النهاية
فأخذها زاهدا فى
الزهد فهو تحت قهر
الحال من ترك الاختيار
وتارك الاختيار الواف
مع فعل الله تعالى مقيد
بالحال وكان أفراد
مقيد بالترك تارك
الاختيار فكذلك
الزاهد فى الزهد الآخذ
من الدنيا ماسيق إليه

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت بـ في الدنيا فاستسقي شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فافزع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إن أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ قلت لا من أنت ؟ فقال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فافزع لي عند ربك فشعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجاً إذا بشوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا بشوا لواء الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا غير (٣) « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن بين العرش ليس أحد من الخلاق يقوم ذلك للقاء غسيري (٤) « وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله عز وجل أخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر ماذا بأجيب من كلام موسى كليمك ، وقال آخر فيسبي كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتمجيدكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا خبيب الله ولا غير وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك خلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعى قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) «

(صفحة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا عله وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته أن من شرب منه لم ينظماً أبداً . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغناء فرغ رأسه متبسها فقالوا له يا رسول الله لم ضحكك ؟ قال آية أنزلت على آخا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورحوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه

(١) حديث يقال للرجل قم يا فلان فافزع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أمي من يشفع للقبائل ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن ولما زار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بـ في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجاً إذا بشوا الحديث الترمذي وقال حسن شريف (٤) حديث فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن بين العرش الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله أخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث رواه الترمذي وقال غريب .

لرويته فعل الله مقيداً بالأخذ وإذا استقرت النهاية لا يتحرك بالأخذ ولا يترك بل يترك وقتاً واختياراً من اختيار الله ويأخذ وقتاً واختياراً من اختيار الله وهكذا صومه النافعة وصلاته النافعة يأتي بها وقتاً ويسمح للنفس وقالاً « مختار صحيح في الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر

رى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آتية عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أنا أسير في الجنة إذا بهر حافاه قباب الؤلؤ المجوف قلت ماهذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فغضب الملك يده فإذا طينه مسك أذفر (٢) وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لايح حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وحمان (٣) وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب شرابه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جناب الؤلؤ والرجان (٤) وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البقاء ماؤه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه قراءه للهاجرين قال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله (٥) قال ثم التفت رموسا الهندس ثيابا الدين لا يتكسون للتمائم ولا تفتح لهم أبواب السدد (٦) قال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت للتمائم فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد لأن رجعي الله لأجرم لأذهن رأيي حتى ضعت ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسفع وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آية الحوض قال والذي نفسي محمد يده لا يئته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة للظلمة الضعبة من شرب منه لم يظأ آخر ما عليه يشعب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طول ما بين حمان وبائلة ماؤه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل (٧) وعن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإتهم ليتباهون بهم أكثر ولردة وإن لأرجو أن أكون أكثرهم ولردة (٨) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون شتمينا ومفترا وهو يظن أنه راجح فإن الراجح للحصاد من بث البذر وحى الأرض وسقاها للماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع السواقي إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحرث أو الزراعة وتفقى الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبها فقالوا له يارسول الله لم صنعتك فقال آية نزلت على آخا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بهر حافاه قباب الؤلؤ المجوف الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالني صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لايح حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وحمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب شرابه من ذهب أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جناب الؤلؤ والرجان (٥) حديث ثوبان إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البقاء الحديث الترمذي وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبي ذر قلت يارسول الله ما آية الحوض قال والذي نفسي بيده لا يئته أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث مرة إن لكل نبي حوضا وإتهم ليتباهون بهم أكثر ولردة الحديث الترمذي وقال غريب قال وقدرى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم رسلا ولم يذكر فيه من مرهقه وهو أصح

ويستقيم بشاكل حال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهكذا
كان رسول الله
عليه الصلاة والسلام
يقوم من الليل ولا يقوم
الليل كله وصوم من
الشهر ولا يصوم الشهر
كله فخير رمضان
ويتناول التسموات
ولما قال الرجل إنني
عزمت أن لا أكل
الاحم قال فإني أكل
الحم وأحب ولوسألت

فهذا مقر ومتمنّ وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحقى نموذجاً
من التورود والنفة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى - فلا تترنكم الحياة
الدنيا ولا يترنكم بالله التورود -

(القول في صفة جهنم وأهلها وأنكسها)

بأيها الناقل عن نفسه للتورود بما هو فيه من خواغل هذه الدنيا للشرقة على الاغترار والوالدع
التفكر فيما أنت مرهّل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن التارومور للجميع اذقيل -
وإن منكم إلا وردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحيماً - فأنت
من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك للورد فمساك تستعد للنجاة منه
وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا في نيام في كربها وأهلها وقا ينظرون
حقيقة أنبأها وتشفيق شغفها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شغب وأظلت عليهم نار ذات لهب
وصموا لها زفيراً وجرجرة تنصع عن هذه التيط والنضب فتند ذلك أيقن المجرمون بالطيب وجئت
الأم على الركب حتى أشقى البراء من سوء النقلب وخرج للناس من الزبانية قالوا : أين فلان
ابن فلان للسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل للضيع عمره في سوء العمل فيأبى دونه يتقاع من
حديد ويستقبلونه بظلم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينسكونه في قعر الجحيم -
ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة السالك مبهجة للهاب
يغده فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الزبانية تضمهم والمهاوية
تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالم منها فكلك قد شدت أقدامهم إلى النواصي وأسودت وجوههم
من ظلمة الماصي ينادون من أكنافها ويصيرون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا
الوعيد يا مالك قد أهلكنا الحديد يا مالك قد فضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود نقول
الزبانية هبات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار المهوان فاستوائها ولا تسلكمون ولو أخرجتم
منها لسكنتم إلى ما نهيتهم عنه فمعدون فند ذلك ينظرون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا
ينجيهم الندم ولا ينهيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم
والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعمهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار
ومهادهم نار فهم بين مقطعات الزبرآن وسرايل القطران وضرب القامع وقيل السلاسل فهم يتجلبجون
في مضائقهم ويتحطمون في دركاتهما يضطربون بين غواصها تقتل بهم النار كغلي القدور ويهتدون
بالويل والويل ومهما دعوا بالثور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصير به ماني بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فينتجر الصديد من أفواههم وتتقطع من السطش أكبادهم
وتسيل على الجلود أحداقهم ويسقط من الوجات لحومها وتسمع من الأطراف شعور هابل جلودها
وكلسا فضجت جلودهم بدلوها جلوداً غيرها قد عريت من اللحم عظامهم بقيت الأرواح منومة
بالروق وعلاقق الصب وهي تنعى في قعر تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون للوت فلا يعوتون فكيف
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الحميم وأعمرت أبصارهم وأبكت الستم
وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وعلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصهم وأقدامهم وهم يحشون على النار بوجوههم ويظنون حنك الحديد بأحداثهم
فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات المهاوية وعقاربها متمشيت بظواهر أعضائهم هذا بعض

(القول في صفة جهنم)

رد أن يطمئن كل يوم
لأطمئن وذلك يدلك
على أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
عشاراً في ذلك إن شاء
أكل وإن شاء لم يأكل
وكان يترك الأكل
اختياراً وقد دخلت
الجنة على قوم كلما
قيل لهم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فصل كذا يقولون كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشرعاً وهذا إذا

جنة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتذكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر وللنافق حتى يواقع ذلك كله » (١) وقال على كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن قال واد في جهنم تتود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء للزلازل » (٢) فهذه سعة جهنم وانشعب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعابها وعدد أبوابها يحدد الأعضاء السبعة التي بها يصير العبد بعضها فوق بعض الأهل جهنم ثم مقر ثم لظى ثم الحطمة ثم المعبر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهبوات الدنيا فسكا لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهيها ومن جهنم إلا إلى هاوية أصمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا جحر أرسل في جهنم منسجين فاما الآن انتهى إلى قعرها » (٣) ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فان الأخرى كبردرجات أو كبر فضائلها فسكا أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالفرق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلمهم عذابا وعرضت عليه الدنيا بهذا غير أنها لا تقيدها من نار ينزل دغمة من حرارة نعليه » (٤) فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فحرب أصعبك من النار وفي ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاصوها طامنين هربا بما هم في يوم من هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه البحر حتى أطاقتها أهل الدنيا » (٥) بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألعام حتى احترت ثم أوقد عليها ألعام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » (٦) وقال عليه السلام « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي فسقن

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر وللنافق حتى يواقع ذلك كله لما جزمه كذا بحجته وسيأتي بعده ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث رواه بن عدى بلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو تميم والأصمهباني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال ضعيف وأبو ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضغفه ابن عدى وتقدم في ذم الجاهل والرياء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة الحديث وفيه هذا جحر أرسل في جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من يتصل بطيخ من نار الحديث متفق عليه من حديث التعمان بن بشر (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه البحر حتى أطاقتها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد ولما لزم من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليه حتى أحسب قال نضحت بالماء ففضى عليك (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألعام حتى احترت الحديث تقدم

قالوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به جهل بعض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والمزينة التأسي بفضله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وقوله لأرباب المزائم ثم إن المنتهى بما كان حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق نكل

نفس في الشتاء وتفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من
 زهربرها (١) وقال أنس بن مالك يؤتى بأنهم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغسوم في النار غسمة
 ثم يقال هل رأيت قط فيقول لا ويؤتى بأحد الناس ضرا في الدنيا يقال اغسوم في الجنة غسمة
 ثم يقال هل رأيت ضرا فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة ألف أوزيد ثم تنفس
 رجل من أهل النار لما توارى وقد قال بعض العلماء في قوله تلتف وجوههم النار إنما القع بهم لجهنم وحدثنا
 أباقت لحنا على عظم إلا أنه عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نكاح الصديق الذي يسيل من أبدانهم حتى
 ينفرون فيه وهو التناق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ ولأن دلوامن غساق جهنم أنى
 في الدنيا لأن أهل الأرض (٢) فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد
 يتجرعه ولا يكاد يسيغه وبأنيه للوث من كل مكان وما هو بميت وإن يستنشوا يشاؤون بماء كالمل
 يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقا . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم قال الله تعالى
 - ثم إنكم أبا الضالون للكذبون لا تكون من شجر من زقوم فالتون منها البطون فشاربون
 عليه من الحميم فشاربون شرب الحميم - وقال تعالى - إنما شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه
 ردوس الشياطين فاتهم لا تكون منها فالتون منها البطون ثم إن لهم عليها الشوبان من حميم ثم إن مرجعهم
 إلى الجحيم - وقال تعالى - تولى تارا حامية نسق من مين آتيسو قال تعالى - إن لدينا أنسكالا وجحيا
 وطعاما ذاقه وعذابا ألما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ ولأن قطرة من الزقوم قطرت
 عار الدنيا أفست على أهل الدنيا ما يشبه فكيف من يكون طعامه ذلك (٣) وقال أنس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارضوا فيا ربكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه
 وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبها لكم ولو كانت
 قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثا عليكم (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يدخل مام فيه من العذاب فيستشيون بالطعام فيثاؤون بطعام
 من ضريع لا يسمن ولا ينقى من جوع ويستشيون بالطعام فيثاؤون بطعام ذي غصة فيذكرونهم
 كما كانوا يجيرون النصص في الدنيا شرابا فيستشيون بشارب فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد
 فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا
 خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون ولم نك
 تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بل قالوا فادعوا أوماء الكافرين إلى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا
 فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ما كنون (٥) » قال الأعمش أثبت أن

ما كان يتمد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 ينهى أن يتمد
 فكان قيام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وصيامه الزائد لا يخلو
 إما أنه كان ليقضى به
 وإما أنه كان لمزيد
 كان يهده بذلك فإن
 كان ليقضى به
 فالمتمى أيضا مقتدى
 به ينبغي أن يأتي بمثل
 ذلك والصحيح الحق
 أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشتمت النار إلى رجا فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق
 عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلوامن غساق التي في الدنيا
 لأن أهل الأرض الترمذي وقال إنما نعرفه من حديث رعد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث
 ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفست على أهل الأرض معاشهم الحديث
 الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارضوا فيا ربكم الله واحذروا وخافوا
 ما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إسنادا (٥) حديث أبي الدرداء يلقى على
 أهل النار الجوع حتى يدخل مام فيه من العذاب فيستشيون بالطعام الحديث الترمذي من رواية سمرة
 ابن عتيبة عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء والناس لا ينفرون هذا
 الحديث وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عتيبة عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعائهم وبين إجابة مالك بإمام ألف عام قال يقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخشوا فيها ولا تسكمون قال فند ذلك يسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل، قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويستغي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يتراب إليه فيسكره فاذا أذن منه شوى وجهه فوقت فرور رأسه فاذا شرب يقطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم وقال تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١) » فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة صومها وعظم أشخاصها وقطاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم نهي لا تفتر عن النهي واللذغ سامة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبنتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلو زمته يني أهدائه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا يصعبن الذين يخشون أيمان الله من فضله الآية - (٢) » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسمة فيجد حوتها أربعين خرطا وإن فيها لغراب كالبنال للوكفة يلسعن اللسمة فيجد حوتها أربعين خرطا وهذه الحيات والغراب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم يمتلئ (٣) » ثم شكر بعدها كل في تطعيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بليغ النار وبلغ المقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «غفلة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه (٥) » وقال عليه السلام «إن الكافر ليجر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦) » ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار حرقات تجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كما فصحت جلودهم بدنائهم جلودا غير هائل قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا - ثم فكر الآن في بكاء أهل النار وشيئهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في أول إقامتهم في النار قال الرسول صلى الله عليه وسلم «يؤذي بهم يومئذ لما سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيسكون حتى تنقطع السموم ثم يسكون لهم حتى يرى في وجوههم كثرة الأخدود ولأرسلت فيها السفن لجرت ومدام يؤذن لهم في البكاء

- (١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويستغي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة من حديث جابر نحوه (٣) حديث ابن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسمة الحديث أحمد من رواية ابن لمجة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث غفلة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث ابن الكافر ليجر لسانه فرسعين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب أبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤذي بهم يومئذ لما سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود

عليه وسلم لم يفعل ذلك لجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ملاكراه من تهذيب الجيلة . قال الله تعالى خطايا له - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمدادا من الحضرة الإلهية وفرح باب الكرم والهدى عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الرياسة من الله تعالى غير مستثنى

والشريق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلم يه مستروح ولكنهم ينعون أيضا من ذلك (١) و
 قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يشكروا
 بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول
 الله تعالى جميعا لهم - ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشررك به قومون فالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ
 الْكَبِيرِ - ثم يقولون - ربنا أوجعنا فأرجعنا لعل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - ولم تنكروا أن أقمتم
 من قبل ما لكم من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا لنعمل صالحا فإرجعنا لعل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - أولم
 نمركم ما تذكرون فيه من عذركم النذير فتدعوا لها لظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت
 علينا شقوتنا وكنا نوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون - فيجيبهم الله تعالى - يا خسرنا فإياها
 ولا تسلكون - فلا تسلكون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله رضى عنه:
 قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا وما لفسنة
 ثم جزعوا ما لفسنة ثم صبروا ما لفسنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم
 «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال لأهل الجنة خلود بلا
 موت ولأهل النار خلود بلاموت (٢) » وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتى
 كنت ذلك الرجل ورؤى الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهويكى قبيل له بكى فقال له أخشى
 أن يطرحنى في النار ولا يأتى بهذه أصناف عذاب جهنم على الجنة وتصلب نحوها وأحزانها وحسرتها
 وحسرتها لانهاية في أعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة ففوت نعيم الجنة وفوت
 لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بشئ يسير مدودة إذ لم يبيعوا ذلك
 إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدره منخضة فيقولون في أنفسهم
 واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بصبان ربنا وكيف إنكلفنا حسنات الصبر ما لا نقدر أن نأخذها
 قد اشفقت هنا أيامه وبقيت الآن في جوار رب العالمين متمتعين بالرضا والرضوان في الحسرة هؤلاء
 وقد فاتهم ما فاتهم بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذا أتاهم إثمهم ولم يشاهدوا نعيم الجنة
 لم تنظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى
 الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما عدها الله لأهلها فيها نودوا
 أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثله فيقولون يا ربنا
 لو أدخلتنا النار قبل أن نرى ما رآنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولياك كان أهون علينا فيقول الله
 تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالظلم وإذا لقيتهم الناس قهقروهم بحسرتهم فترادون
 الناس بخلاف ما سطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تعجلوني وتركتم الناس
 ولم تحركوا في اليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب العظيم (٣) » قال أحمد بن حنبل إن أحدا
 يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام من جسد صحيح وجهه
 صبيح ولسان صبيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود البجلي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري

من ذلك ثم في ذلك
 سر غريب وذلك أن
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رابطة
 جنسية النفس كان
 يدعو الخلق إلى الحق
 ولولا رابطة الجنسية
 ما وصلوا إليه ولا
 اتصفوا به وبين نفسه
 الطاهرة وشمس
 الأبياح رابطة التأليف
 كما بين روحه وأرواحهم
 رابطة التأليف ورباطة
 التأليف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسد على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من
 رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش
 أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث
 يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها الحديث وروناه
 في الأربعين لأبي هبة عن أنس وأبو هبة إبراهيم بن هبة هالك .

على حر تارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك في نظرياسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وقرع منه قال الله تعالى - وأنتم يوم الحسرة إذ نضى الأمر وهم في غفلة ولم يؤمنون - ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالحجب منك حيث تضعك وتلقو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بما سبق في حثك ففان قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجى وما الذي سبق به القضاء في حقك فلك علامة تستأنس بها وتحصدك رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلاً ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبهر فانك بعد عن النار وإن كنت لا تهمدخيراً ولا تحيط بك العوائق قد فسد ولا تصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة الطير على النبات ودلالة الإنسان على النار فقد قاله الله تعالى - إن الأبرار لفي نعم وإن التجار لر في جحيم - فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من الدارين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت محبوباً ومغموها قلوبها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدها استقر لأعماله في الأخرى فاستراح خوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واعتبر الرجاء بطول الفكر في النعم للقيم للعود لأهل الجنان وسقى نفسك بسوط الخوف وقبعا بزماد الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال تلك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعم يتقون من رحيق عذوم جالين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من الأؤلؤل الرطب الأبيض فيها بسط من البصري الأخضر متكتلين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بأعجر والسل محفوفة بالفسان والودان مزينة بالخور العين من الحيرات الحسان كأنهن الياقوت والرجان لم يطعنن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إسداهن في مشيها حل أعطافها سيمون أنفا من الودان عليها من طرائف الحرر الأبيض ماتحجر فيه الأبصار مكلات بالرجان للرصة بالأؤلؤل والرجان مكلات غنجات عطرات آمنات من الحرر والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاف لثة الشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأنثال الأؤلؤل للكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وأنواع التحف من ربهيم يتماهدون فهم فيها اشبت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يهنون وهم من رب الثن آمنون فهم فيها يتمتعون وبأكلون من أطعمتها ويحرمون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً في أنهار أراشيها من فضة صابغوها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر وبناتها زعفران وعطرون من سحاب فيها من ماما للسرير على كسبان الكافور ويؤتون بأكواب وأى أكواب أو كواب من فضة صابغة بالياقوت وتول للرجان كواب فيه من الرحيق المتحوم مزوج به السليل المذهب كواب يشرق نور من صفاء جوهره ويود الشراب من ورائه برقه وحراره به صنه آدمى يقتصر في تسوية صنعه وتحسين صناعته في كيف خادم يحكي شياؤه وجهه الشمس في إشراتها ولكن من أن للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصدائه

(القول في صفة الجنة)

أنت آتما كا أن
الأرواح أقت أولا
ولكل روح مع
نفس تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفوس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديم
العمل لتصفية نفسه
ونفوس الأنبياء لما
احتاج إليه نفسه من
ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلى شوس

وملاحة أصدقائه فيحيا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا يحل الفجائع بمن
 نزل بفتائها ولا تنتظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأتي بدار قد أذن الله في خرابها وبنيتها
 يعيش دونها والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والعطش وسائر أصناف
 الحدائث لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتفتن من ضرورتها
 كيف وأهلها ماله آمنون وفي أنواع السرور يتخون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم يفتاء العرش
 يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم
 الجنان ولا يلتفتون وهم على الملوك إلى أصناف هذه النعم بتردد دون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد بال أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم
 أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تغموا فلا يابسوا أبدا
 فليكن قوه من وجه - ونودوا أن تلكم الجنة أوردتموها بما كنتم تعملون» (١) ومعهما أردت أن
 تعرف صفة الجنة فأقرأ القرآن فليس وراءه يان الله تعالى يان وأقرأ من قوه تعالى ولن يخاف مقام
 ربه جنتان - إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف
 تضليل صفاتها من الأخبار فاعلم الآن تضليلها بعد أن اطلعت على حقيقتها وتامل أول أعداد الجنان
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوه تعالى - ولن يخاف مقام ربه جنتان قال - جنتان من فضة
 آتيتهما وما بينهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما بينهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء
 الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٢) ثم انظر إلى أبواب الجنة فانها كثيرة حسب أصول الطاعات كان
 أبواب النار حسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتق زوجين
 من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلوة دعى
 من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب
 الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد قال أبو بكر رضي الله عنه والمهاجر أحمد بن
 ضرورة من أبها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم (٣) وعن حاصم بن
 ضمرة عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فظلم أمرها ذكرا لا يحفظه ثم قال سوسيق الدين اتوا
 ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتوا إلى باب من أبوابها وجدوا عند مشجرة يخرج من تحتها
 عتبان يجران فسموا إلى أحدهما كما أمروا به ففتربوا منها فأذهبت مائى بطونهم من أذى أو بآس ثم
 عمدوا إلى الأخرى فخطروا منها فحرت عليهم نضرة التيم ففر تفرق أشعارهم بعدها أبدا ولا تمش
 رومهم كأنما دهنوا بالهتان ثم اتوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طينم فادخلوها
 خادنين ثم تقام الولدان يطيفون بهم كاتطيف ولدان الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة
 يقولون له أجزأ أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطق غلام من أولئك الولدان إلى بسن
 أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فيقول أنت رأيت فيقول
 أنا رأيته وهو بأمرى فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس
 بنيانه فإذا جندل الأوثق فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

(١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث
 أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آتيتهما وما بينهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما بينهما
 الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أتق زوجين من ماله في سبيل
 الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

الأمة وهكذا انتهى
 مع الأصحاب والأرباب
 على هذا المتن فلا يختلف
 عن الزوائد والتوافل
 ولا يرسل في الشبهات
 والذات إلا بدالة
 نفس النفس ولا يسطى
 الاحتدال حقه من
 ذلك إلا بتأييد الله تعالى
 ونور الحكمة وكل
 من يحتاج إلى صحة
 الجلالة لتفسير لا بد له
 من خلوقة صحيحة
 الملقى حق تكون

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لأم أن يذهب بسره ثم يطأ رأسه فإذا أزواجه - كأوب موضوعة وعماق مصفوفة وزباني مثبوتة - ثم استأفاه - الحمد لله - هذا الخلد وما كنهه لدى لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد عيون فلا تحوتون أيلا وتضمون فلا تظنون أيلا وتحصون فلا تحسبون أيلا - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آتي يوم القيامة باب الجنة فأفتح فيقول الجانز من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن ألتحق لأجد قبلك» (١) ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكان ابن الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة خادما ظاهرا فكانت فيها عجايز به شاورت ظاهرا فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أشركك بالعبادة والتنافس فيها قال تعالى - ساجدا إلى مقبرة من ربكم - وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - والسبب أن الله عز وجل قد أحسن أحوالكم أن تستقر في الجنة فأنتم لا تستقر فيها من أقول يسبقونك بطلافت لا توازيها الدنيا بحذايقها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة يراون أهل الغرف فوقهم كما تراون الكوكب النائر في الأفق من الشرق إلى الغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يدخلها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا وقصدوا للرسلين» (٢) وقال أيضا «إن أهل الدرجات الصلى ليرام من تحميم كائرون التجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبكر ومنهم وأتمما» (٣) وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأحدنكم بشف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه عليك ما بينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرقا من أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النجم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولون ههنا العرف قال بل أنقى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال أمي تطبق ذلك وأسأخرك من ذلك من لقي أخاه فسلم عليه وأورد عليه فقد أقي السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبههم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى المشاء الآخرة وصلى الدائقي جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام» (٤) يعني اليهود والنصارى والمجوس . «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نوره - وما كن طيبة في جنات عدن- قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من باقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سرير في كل سرير سبعون فراشا من كل لون في كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة في كل مائدة سبعون لواتمن الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويسطي للؤمن في كل غداة يعني من القوة ما بين في ذلك أجمع» (٥).

(١) حديث آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليترامون أهل الغرف فوقهم كترامون الكوكب الحديث متفق عليه وقد تقدم (٢) حديث إن أهل اللبرجات على أيرام من تخم كما يرون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه من حديث أبي سعيد (٣) حديث جابر الأحاديث كثر فالبجنة قلت يا رسول الله ما بينا أنت وأمناءك إلى بني النجعة فأنصف الجوهرة الحديث أبويعقوب من رواية الحسن عن جابر (٤) حديث سئل عن قوله تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن - قال قيس بن علقمة قال قلت لأبي عبد الله في كتاب الطهارة والأجر في كتاب النسخة

جلوته في حياة خلوته
ومن بترای ۴ ان
اوقاتہ کلہا خلوتہ وان
لا یحبہ شوء وان
اوقاتہ لله ولہ ولیری
قصانا لان الله مافضہ
لخفیة للزید فهو
صحیح فی حالہ فبراہ
تحت صور لہ مابہ
لیسۃ الجہۃ ما عرف
سر تمکک الاختیار
وما عقب من الیاس
على البضاء التیة وقد
هلت عن الشارکات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتذكر في غبطة سكنها وفي حيرة من حرمانها لتغتنمها الدنيا عوضاً عنها فقد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك» (١). «وسئل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال درهمك يضاعف بمسك خالص» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله شربة من جيل الحمري في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣) «أنهار الجنة تنجر من تحت تلال أوتحت جبال للمسك» (٤) «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحلبها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعاً» (٥) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أهلاً وإن شتم - وظل عمود -» (٦) وقال أبو أمامة: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفضنا بالأعراب ومسالمهم أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكاً فقال قد قال الله تعالى - في سدر مخضود - يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوك شجرة ثم تتفتح الفجرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر» (٧) وقال جرير بن عبد الله: تزنا الصفاح فإذا رجل تأم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تلبسه قتلت فلانم انطلق بهذا النطح فأظله فأنطق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما التواضع يوم القيامة قلت لأدرى قال ظلم الناس بعضهم بشما فم أخذ عويداً لا أكاد أراه من

فها موضع اغتياب
قد يسمها الانسان
ويبنى عليها والأولى
أن ينشر إلى الله تعالى
في أي كلمة يسمها
حق يسمها الله من
ذلك الصواب . هل
عن بعضهم أنه سئل
عن كمال المعرفة فقال :
إذا اجتمعت للتفرقات
واستوتت الأحوال
والأماكن وسقطت
رؤية التميز ومثل
هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح
والحسن بن خليفة لم يعرف ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور
(١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك
الترمذي يلفظ وبلاطها للمسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي بمتمصل ورواه البزار
من حديث أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفاً عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل
عن تربة الجنة فقال درهمك يضاعف بمسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل
الذي ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الحمري في الآخرة
فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن
والنسائي بإسناد صحيح : من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الحمري في الدنيا
لم يجرها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تنجر من تحت تلال أوتحت جبال للمسك القلي
في الصفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل
الدنيا جميعاً لكان ما يحلبها الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً الطبراني في الأوسط
من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي فقال
يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد
عن صفوان بن عمرو عن سلم بن عامر سريلاً من غير ذكر لأبي أمامة .

صفه فقال يا جبريل لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أيها عبد الله فأين النخل والشجر قال أسودها القلوظ والذهب وأعلها الثمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرر - والآيات في ذلك كثيرة وإنما خصميه في الأخيار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من يدخل الجنة ينعم لباساً لا يبلى ثيابه ولا يفتن شبابه في الجنة ما لعين رأت ولاذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (١) . وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم تنسج تنسج فكنت رسول الله ﷺ وحكمت بمنى القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تضحك من جاهل سأل عالماً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينسج عنها عمر الجنة مرتين (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفون فيها ولا يمتخطون ولا يفتطون أنثيمهم وأمشاطهم من الذهب والفضة وورشهم للسك لسك واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حقة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال «إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها نقي» ما بين الشرق والغرب (٤) وقال ﷺ «الحجة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للؤمن أهل لأبرام الآخرون» (٥) رواد البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحجة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصرع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري «قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال ما بين القراشين كابين السماء والأرض» (٦)

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة المذكور في القرآن من النواكه والطيور والسيان واللبن والسوى والسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة ينعم لباساً لا يبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لعين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لعين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم تنسج تنسج نجا الحديث النسائي من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها نقي ما بين الشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لانصره لإمام حديث ردد بن سعد (٥) حديث : الحجة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً الحديث عزاه للصف البخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال ما بين القراشين كابين السماء والأرض الترمذي بلقط : ارضاعها لكابين السماء والأرض حسنة سنة وقال غريب لانصره لإمام حديث ردد بن سعد .

لا يبقى تحميم بين الخلوة والجلوة وبين القيام بسور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصاً يعني أن حظ للفرقة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ للفرقة لا يتغير ولا ينتقل إلى القيسم وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ السر يد يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه خبر من أخبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فن أول إجازة بيني على الصراط ؟ فقال قراء المهاجرين ، قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الحوت ، قال فما غداؤهم على أثرها ؟ قال: ينحرم لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها . قال فاشترى بهم عليه ؟ قال من عين فيها كسرى سلسيلا . فقال صدقت (١) » وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقر لي بها خستة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسى بيده إن أحدهم ليمطى قوة مائة رجل في الطعام وللشرب والجماع ، فقال اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلبتهم عرق يفيض من جلودهم مثل اللسك فإذا البطن قد ضم (٢) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيفيض بين يديك مشويا (٣) » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة طيرا أمثال البخاى . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها ثمامة يارسول الله . قال أنهم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر (٤) » وقال عبدالله بن عمر في قوله تعالى - يطاف عليهم - شحاف . قال يطاف عليهم بسمين صفحة من ذهب كل صفحة فيها لون ليس في الأخرى مثله . وقال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من قسيم - قال يمزج لأصحاب الجن ويشربه القربون صرفا . وقال أبو القراء رضى الله عنه : في قوله تعالى - خنامه مسك - قال هو شراب أبيض مثل الفضة يثمنون به آخر شراهم لوأن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجه لم يبق فؤوج ولا وجد ربح طيبها .

(صفة الحور العين والودان)

قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه بروى أن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة في سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها وقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولوأن امرأة من نساء أهل الجنة طاحت إلى الأرض لأضاءت وللات ما بينهما رائحة ولتصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها (٥) » ينى الحار وقال

(١) حديث ثوبان جاء خبر من أخبار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فن أول الناس إجازة بيني على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون الحديث رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل اللسك النساءى في الكبرى بإسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيفيض بين يديك مشويا بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن في الجنة طيرا أمثال البخاى الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح إن طير الجنة كأشكال البخت ترعى في شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير ثمامة قال أكلها أنهم منها قالها ثلاثا وإنى أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر السكور وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر : إن هذه ثمامة الحديث وليس فيه ذكر لأن بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة في سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخارى من حديث أنس .

الخير وليس في هذا الكلام وأمثلة ماينافى ما ذكرناه . قيل لحمد ابن الفضل حاجة الدارين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التي كلفت بها المحاسن كلها الا وهي الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فاستقامة أرفع النهاية على القسام والمبدى في الاستثناء مأخوذ في الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهن الياقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصنى من اللآلئ وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين الشرق والغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا يغنها بصره حتى يرى مع ساقها من وراء ذلك ^(١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى اليبغى عليه خيام الأول والثريد والياقوت والأحمر قلن السلام عليك يا رسول الله قلت يا جبريل ماهذا النعاه قال هؤلاء القصورات في الخيام استأذنن ربي في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يلقن عن الرضايات فلا تسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نطفن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - ^(٢) وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة - قال من الخبز والناط والبول والباقى والنخامة وللى والولد . وقال الأوزاعي - في شغلها كيون - قال عليهما انقضاء الأكل . وقال رجل يارسلو الله «أيضاً أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك» ^(٣) وقال عبيد الله بن جبر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسمى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج حصة ألف حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف غيب مما يقى كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» ^(٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتبه الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفن بأصوات لم تسمع الخلاق مثلهما يلقن نحن الخالدات فلا نبيدون نحن الناحات فلا نبأس ونحن الرضايات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له» ^(٥) وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي سعيد الخدري في قوله تعالى - كأنهن الياقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أصنى من اللآلئ الحديث أبو بكر من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ما بين لهية ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل دون ذكر أبي سعيد والترمذي من حديث ابن مسعود إن المرأة من نساء أهل الجنة تقي يابغى مع ساقها من وراء سبعين حبة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مع سوتهما من وراء العمام (٢) حديث أنس لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى الصريح عليه خيام الأول والثريد والأحمر والياقوت والأحمر الحديث وفيه ما بين جبريل قال هؤلاء القصورات في الخيام وفيه فطفقن يلقن نحن الرضايات فلا نسخط لم أجده هكذا إنعامه والترمذي من حديث علي بن في الجنة لمجتمع الحور العين يرفن أصواتا لم تسمع الخلاق مثلهما يلقن نحن الخالدات فلا نبيدون ونحن الناحات فلا نبأس ونحن الرضايات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولأبي الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى يمدد ضيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيلقن بأصوات الحديث (٣) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيضاً أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذي ومصححوا ابن جابر من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة (٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج حصة ألف حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف غيب مما يقى كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات الحديث وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عتاقه لهن وإسناده ضيف وتقدم قبله حديث (٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذي فرقه في موضعين من حديث علي وقد تقدم بصفة قبل هذا بعديتين .

عن الأحوال وفي
التوسط محفوظ
بالأحوال قد عجيب
عن الأعمال والى الانتهاء
لا تحبب الأعمال عن
الأحوال ولا الأحوال
عن الأعمال وذلك هو
الفضل العظيم . مثل
الجنيد من النهاية قال
هي الرجوع إلى البداية
وقد فسر بعضهم قول
الجنيد فقال معناه أنه
كان في ابتداء أمره في
جهل ثم وصل إلى

« إن الحور في الجنة يتفنن نحن الحور الحسن خبثنا لأزواج كرام ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجرون - قال السباع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمع الأنس والجن وليس يزار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ^(٢) » .

(بيان جمل بفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأأ ورعانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حرة ونعمة في مقام أبدا وضرة في دار عالية بنية سليمة قالوا نعم للمشعرون لها يارسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحسن عليه ^(٣) » وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل قالها تعجبني ^(٤) قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء تغطى بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تعجبني فهل في الجنة من إبل قال عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما شئت تسك وتعتك ^(٥) وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كائنه يبي يكون حملوه وفصاله وشبابه في ساعة واحدة ^(٦) » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فينتابون ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخى تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل ففعلنا ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يرض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع ^(٨) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأذن أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

للعرة ثم رد إلى التعبير والجهل وهو كالطغولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئا - وقال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشدهم تحميرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه يادى الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون للنهى

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتفنن فيقلن نحن الحور الحسن خبثنا لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للسكندري قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو أنه لأبأس به (٢) حديث أبي أمامة ما من عبد يدخل الجنة إلا يجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمع الأنس والجن وليس يزار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد ألا هل من مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل قالها تعجبني الحديث الترمذي من حديث يزيد مع اختلاف لفظ وفيه السهو في مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ للصف من رواية عبد الرحمن بن سابط مر سلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى اللدني عبد الرحمن بن سابط في زيده على ابن منده في الصحابة ولا يصح له بحجة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كائنه يبي ويكون حملوه وفصاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غير بالقول وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون وله انتهى وأحمد من حديث لأبي رزق يله ويمثل له أتمك في الدنيا ويتلذذ به بغير أن لا تولد (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس وقال لطله يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الإجماع الأسناد ثمرد به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسل دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يرض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذو حسنه دون قوله يرض جعاد دون قوله على خلق آدم إلى آخره

ومتكاثرون وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كايين الجانية إلى مبتدأ وعاد عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها تقضى ما بين الشرق والغرب (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها ككف البعر للقتب وإذا طيرها كالبحر وإذا فيها جارية قلت يا جارية لمن أنت ؟ قالت تريد من حاورته وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) » وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تسكمني ؟ قالت - قد أفلح للؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تفصيلا ، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جلها قال : إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة لسانه لا يفسده الأحلام ولا تصعب منها الرموس وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ماركنا ناعون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء ككل جرد مرقدة من العذاب وأطعمت بهم النار وإن أنهارها تتجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد وإن عروقها ونخلها كرمها التلؤؤ ونهارها لا يعلم عليها إلا الله تعالى وإن رحمتها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلا وبلا هفاة وحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاوون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن ريش مكنون وإن المرأة تأخذ بين أصبعيها سبعين حلة تجلبها فيرى منسأة تباين وراء تلك البعينة حلة تطهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يفتنظون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يعمها وجشاه وورثع مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشا أما إنه ليس يل بكرة القدوى إلى الراح والراح إلى القدوى وإن آخر من يدخل الجنة وأدنام منزلة ليدله في بصره وملكه مسير مائة عام في تصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويوسع له في بصره حتى ينظر إلى أنصاه كما ينظر إلى أدنامه يرضى عليهم سبعين ألف صفعة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صفقة لون ليس في الأخرى مثله وغير علم آخره كما يجد علم أوله وإن في الجنة الباقوة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صمد ولا قتب ، وذلك جهاد : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أنصاه كما يرى أدنام أو راضهم الذي ينظر إلى ربه بالقدرة والشي . وقاله سعيد بن المسيب : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة سور من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إن في الجنة حوراء يقال لها البيناء إذ ما شتمت عن عينيها ويسارها سبعون ألف وصفة وهي تقول أين الأمرون بالمعرف والناهن عن التكبر . وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا هديد وفوت الجنة أشد ترك الدنيا همر الآخرة ، وقال أيضا في طلب الدنيا ذل النفس وفي طلب الآخرة عز النفس فيا أيها من يختار للذة في طلب ما ينفى ويترك العز في طلب ما يبق .

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَ وَزِيَادَهُ - وهذه الآية تدعى النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة

ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطع من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان ومن هنا يستأنه أيضا وقال لانه في إيمان حديث رده بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها ككف البعر للقتب وإذا طيرها كالبحر وإذا فيها جارية قلت يا جارية لمن أنت ؟ قالت تريد من حاورته بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

للاؤخذ طريق
المحبوبين تجلب
روحه إلى الحضرة
الالهية وتقتبع
القلب والقلب يستبغ
النفس والنفس تستبغ
القلب فيكون بكينته
قائما بالله ساجدا
بين يدي الله تعالى
كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« سجد لك سواي
وخيلي » وقال الله تعالى
- وله يسجد من في

الكبرى التي ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقة في كتاب الحبة وقد شهد لها الكتاب والسنن على خلاف ما يستفاد أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاعلموا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو يخرج في الصبحين وروى مسلم في الصحيح عن صيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - الذين أحسنوا الحسن وذياتهم - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا للوعد ؟ ألم يقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار قال فيخرج الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسن ونهاية النعم وكل ما فصلناه من النعم عند هذه النعمة ينسب وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة شيء من لذات الجنة إلى قوة اللقاء ، وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب الحبة والشرق والرضا فلا ينبغي أن تكون همه البعد من الجنة شيء سوى لقاء اللؤلؤ . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة للفرحة في الرعي .

السموات والأرض
طوبى وكرها وظلالهم
بالصد والاصال -
والظلال القواب تسجد
يسجد الأرواح وعند
ذلك تسرى روح الحبة
في جميع أجزائهم
وأيمانهم فيتقدون
ويتنعمون بذكر
الله تعالى وتلاوة
كلامه بحبه ووداد
فيحبه الله تعالى

(نغم الكتاب باب في سنة رحمة الله تعالى على سبيل التفاضل بالآل)

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب آل آل (٣) وليس لآلنا من الأعمال ما نرجوه من الغفرة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاضل ورجو أن نغم حقنا بالحرف في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى - إن الله لا يفرق بين شركه ولا يفرق ما دون ذلك لمن يشاء - وقال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنهوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله نجده الله بغير حساب - ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفر من أفعالنا التي لا نتوقعها أفعالنا ونستغفر مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التفسير فيه ونستغفر من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خاطبه غيره ونستغفر من كل وعد وعدها به من آسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفر من كل نعمة آلم بها علينا فاستعملناها في مصيئته ونستغفر من كل تصريح وتعمير بقصان ناقص ونقصه مقصر كنا متصفين به ونستغفر من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف زينا للناس في كتابنا سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولبن طالع كتابنا هذا أو كتيبه أو سمعه أن نكرم بالغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا

(١) حديث جرير : كنا جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته هو في الصحيحين كما ذكره للصف (٢) حديث صيب في قوله تعالى - الذين أحسنوا الحسن وذياتهم - رواه مسلم كما ذكره للصف .

(باب في سنة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاضل متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث : وصيبي القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة : وخيرهما القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسماها أحدكم .

فان الكرم عيب والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلاق فائس ومن خلق من خلق الله عز وجل
لاسيما لنا إليه الافضل وكرمه قد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة
بين الجن والإنس والطير والبهائم والوحام فيها يتطافون وبها يتراحمون وآخر تسع وتسعين رحمة يرحم
بها عباده يوم القيامة (١)» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش
فيه إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة (٢)» وقال رسول الله
صلی الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أشركوا أمشركوا أمشركوا أمشركوا أمشركوا
منكم أحدا لا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٣)» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة
من جميع ذنوبه في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف (٤)» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يشول يوم
القيامة للؤمنين هل أحببتهم حتى يقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوكم ومغفرتكم فيقول
قد أوجب لكم مغفرتكم (٥)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار
من ذكرني يوما أو خافني في مقام (٦)» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار من شاء الله
معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم
إذ أنتم معنا في النار يقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا ثم يأمرهم بالخروج
كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كننا مسلمين فنخرج كما
أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٧)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله
عليه وسلم «أرحم بعبدة المؤمنين من الوالدة الشفقة بولدها (٨)» وقال جابر بن عبد الله

ورحبهم إلى خلقه
نعمة منه عليهم وفضلا
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو العباس
السهروردي رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزريق قال أخبرتنا
سكرية السروزي
قالت أنا أبو البريم
الكشميري قال أنا
عبد الله القبري قال
أنا أبو عبد الله البخاري

(١) حديث إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث
أبي هريرة وسلمان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتي
سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش
إن رحمتي سبقت غضبي لفظ البخاري وقال المسلم كتب لي كتابه على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي (٣) حديث
يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أشركوا أمشركوا أمشركوا أمشركوا أمشركوا أمشركوا
في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا
أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولأبي داود أمق أمم رحومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث
وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجلى الله لنا ضاحكا يوم القيامة حتى
ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول أفرأوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه لمن نريد
ابن جعدان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذنوبه في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف
الطبراني من حديث أنس بأسناده ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببتهم
لنأني يقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بنسند ضعيف (٦) حديث يقول الله
عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس
وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال
الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معاني النار
الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين - النساء في الكبري من حديث جابر نحوه بأسناده صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبدة
للمؤمن من الوالدة الشفقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله نصة للرأفة
من الصبي لا وجبت صبياء التي فأخذته فألصقته يقطها فأرضته .

من زادت حسنة على سيّاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنة
وسيّاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإيما غفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن أوفق نفسه وأقبل ظهره ويروي أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استأثرت بك
قارون فلم تقتله وعزى وجلال لو استأثرت لأخنته وغفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤسر يوم
القيامة بأخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وإنما يظلم
لصبيد ويأمر بردها إلى النار فيموت أحدهما في سلاسه حتى يقتنعهما وتلك الآخر فيؤمر بردها
ورسألهما من فعلهما فيقول الذي عدل إلى النار قد حذرت من وبال الحبة فلم أكن لأعرض
لضبطك ثانية ويقول الذي تملكاً حسن ظني بك كان يشعري أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني
منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد من تحت العرش يوم
القيامة يا أئمة محمد أماما كان في قبلكم قد وجهت لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة
برحمتي (١) » ويزوي أن أعرابياً مع ابن عباس يقرأ - وكنت على ففاحط من النار فاقدكم منها -
فقال الأعرابي والله ما أهدكم منها وهو يريد أن يوقمكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قبته
وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكت فقال مهلاً لم يبك أنفواؤه
ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حديثكوه لإحدينا واحداً وسوف
أحدثكوه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من شهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار (٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله
ﷺ «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رموس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه لثمة وتسعين
سجلاً كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتسرك من هذا عينا أظنك كنتي المخافون فيقول
لا يارب فيقول أظنك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حقاً ولا ظلم عليك اليوم فيخرج
بطاقة فيها تشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول يارب ما عهدت البطاقة مع هذه
السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات
وتحلت البطاقة فلا يزل مع اسم الله تعالى (٣) » وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه
القيامة والصراف إن الله يقول لبلائكم من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من
النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول أرجوا من
وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم ندر
فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول أرجوا من وجدتم في قلبه مثقال درهم من خير فأخرجوه فيخرجون
خلقاً كثيراً ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحداً ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوا فهذا
الحديث فاقروا وإن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن ترك حسنة يضاعفها ويرى من لهناً أجر أعظيماً -

قال حدثني إسحاق قال
حدثنا جريد الصمد
قال حدثنا عبد الرحمن
ابن عبد الله بن دينار
من أبيه عن أبي
صالح عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله

(١) حديث ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أئمة محمد أما ما كان في قبلكم قد غفره
لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمتي رويته في سبابعيات أبي الأمد
القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البخلي قال الخطيب ليس بقية (٢) حديث
الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله على النار
مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو
إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رموس الخلائق يوم القيامة فينشر له ثمة وتسمون سجلاً
فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال فيقول الله تعالى شفعت لئلا تمسك وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعلموا خيرا قط قد عادوا حملا فيلقهم في نهر في أقواها الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كأنهم الحية في حيل السيل إلا روتها تكون على الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منى إلى الظل أبيض كالحرير رسول الله كأنك كنت ترمي بالبادية قال فيخرجون كالزئبق في رقابهم الخواص يعرفهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء هم هؤلاء فحينئذ يدخلهم الجنة ينبر عمل عملهم ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فإنا أقيم فحولكم فيقولون ربنا أعطتنا ما لم نعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون ربنا أئب شيئا أفضل من هذا فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا (١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الأمير التي ومه الرجل والتي ومه الرجلان والتي ليس مع أحد والتي مع الرجل فأتيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمي قتل في هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق قتل في انظر هكذا وهكذا فأتيت سوادا كثيرا قيل لي هؤلاء أمك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة ينبر حساب فخر في الناس ولم يبق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذا كرك ذلك الصباح فقالوا أما نحن فوعدنا في الشراك ولكن قد آتانا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا يكتفون ولا يستقون ولا يتطربون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر قال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة (٢) ومن عمرو بن حزم الأنصاري قال «تعب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فلا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا قلنا يا رسول الله اجتهدت عنا حتى قلنا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لأصحاب عليهم وإلى سألت ربي في هذه الثلاثة فلم يزدني فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا قال قلت يا رب مبلغ أمي هذا قال أكل لك العدد من الأعراب (٣) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لي جبريل في جانب الحرة قال جبرائيل أنك من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل

(١) حديث إن الله يقول لئلا تمسك وجئتكم في قلبه متفاديا من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث في إخراج اللوحدين وقوله تعالى لأهل الجنة فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر الصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس عرضت على الأمير عني التي مع الرجل والتي مع الرجلان والتي ليس مع أحد الحديث إلى قول سبقك بها عكاشة وما البخاري (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري تعيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فلا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربي وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لأصحاب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البيهقي في البيهقي والنسور ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولا أحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال عمر فلا استزده فقال قد استزده فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فلا استزده قال قد استزده فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحني عليه وفيه موسى بن عبيدة الرندي ضيف .

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأجبه فيجبه جبريل
ثم ينادي جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأجبهوه
فيجبه أهل السماء
ويوضع له القبول في

وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال «وقال أبو البرداء (١)»
 «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولئن خاف مقام ربه جنتان - قلت وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال «وقال أبو البرداء (٢)»
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل اللئيل قيل له هذا فداؤك من النار (٣)» وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدث حمير بن عبد العزيز عن أبيه
 أبي موسى عن النبي ﷺ قال «لا يوت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً
 فاستحلفه حمير بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن يأبه حديثه عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خلف (٤)» وروى «أنه وقف صبي في بعض للنازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم
 صائف شديد الحر فيصيرت به امرأة في خياء القوم فأقبلت فتشدد وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت
 الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلت على بطنها تحية الحر - وقالت ابني ابني
 فيك الناس وتركوا ما هم فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر
 فسر برحمتهم ثم يهرم فقال أجمعين من رحمة هذه لأنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فإن الله
 تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنا (٥)» فتفرقوا للسلون على أفضل السرور وأعظم البشارة
 فهذه الأحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء يثبتنا بسنة رحمة الله تعالى فخرجوا من الله تعالى
 أن لا يماننا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بجنة وسعة جوده ورحمته .

الأرض وبالله النون
 والصحة والتوفيق ،
 تم بحمد الله المبد
 للبدى كتاب حوار
 للصارف للإمام
 السرور دعي والمحدث
 رب العالمين وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى
 آله وصحبه أجمعين .

(١) حديث أبي ذر عرض لي جبريل في جانب الجرة فقال بشر أمتك بأنه من مات لا يشرك بالله
 شيئاً دخل الجنة الحديث متفق عليه بلفظ أتاني جبريل فيشترى وفي رواية لها أتاني آت من ربي
 (٢) حديث أبي البرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولئن خاف مقام ربه جنتان - قلت
 وإن زنى وإن سرق الحديث رواه أحمد بإسناد صحيح (٣) حديث إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل
 مؤمن رجل من أهل اللئيل قيل له هذا فداؤك من النار رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد
 تقدم (٤) حديث أبي بردة أنه حدث حمير بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال لا يوت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً عزله للصنف لرواية
 مسلم وهو كذلك (٥) حديث وقف صبي في بعض للنازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف
 شديد الحر فيصيرت به امرأة الحديث وفيه الله أرحم بكم جميعاً من هذه بابنا متفق عليه مختصراً
 مع اختلاف من حديث حمير بن الخطاب قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسى فاذا المرأة
 من السبي تسمى إذ وجدت سبياً في السبي أخذته فألصقته يبطها وأرضته فقال لنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم آتون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تهدر بأن لا تطرحه فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولها فقط مسلم وقال البخاري فاذا المرأة
 من السبي قد تحلب ثديها تسمى إذ وجدت سبياً الحديث .

والحمد لله تعالى عوداً على بدء والصلاة والسلام على سيدنا محمد في كل حركة وهذه .

يقول مؤلفه عبد الرحمن بن الحسين العراقي إني أكلت مسوفة هذا التأليف في سنة ٧٦١
 وأكلت تبين هذا المختصر منها في يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠ انتهى .

فهرست

- ١١٥ الطرف الخامس في اسم الله تعالى في الأسباب .
الوصلة للأطعمة إليك
- ١١٦ الطرف السادس في إصلاح الأطعمة
الطرف السابع في إصلاح الصالحين
- ١١٧ الطرف الثامن في بيان اسم الله تعالى في خلق
للالهكة عليهم السلام
- ١٢٠ بيان السبب الصارف للعقل عن الفكر
الركن الثالث من كتاب الصبر
- ١٢٤ بيان وجه اجتماع الصبر والفكر على شيء واحد
- ١٣١ بيان فضل التمسك على البلاء
- ١٣٢ بيان الأفضل من الصبر والفكر
(كتاب الخوف والرجاء)
- ١٣٨ ويقتل على شطرين أما القطر الأول فيقتل على
بيان حقيقة الرجاء الخ
- ١٣٩ بيان حقيقة الرجاء
- ١٤١ بيان فضيلة الرجاء والتفريط فيه
- ١٤٢ بيان دواء الرجاء والتفريط الذي يحصل منه حال
الرجاء ويطلب
- ١٥٧ القطر الثاني من لكتاب في الخوف
بيان حقيقة الخوف
- ١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- ١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
- ١٥٧ بيان فضيلة الخوف والتفريط فيه
- ١٦١ بيان أن الأفضل هو هبة الخوف أو هبة الرجاء
أو اعتدالهما
- ١٦٤ بيان الذي به يستحب حال الخوف
- ١٧٠ بيان معنى سوء الملائكة
- ١٧٧ بيان أحوال الأضياء وللالهكة عليهم الصلاة
والسلام في الخوف
- ١٨٠ بيان أحوال الصالحين والتائبين والسلف والصالحين
في حصة الخوف
- ١٨٥ (كتاب الفقر والرمح)
القطر الأول من الكتاب في الفقر
- ١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه
- ١٨٩ بيان فضيلة الفقر طلقاً
- ١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراسخين والفتانين
والصادقين
- ١٩٦ بيان فضيلة الفقر على الثني
- ٢٠١ بيان آداب الفقير في فقره
- ٢٠٢ بيان آداب الفقير في قبول الصاء الخ
- ٢٠٥ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب التقرب
للفقر فيه
- ٢٠٩ بيان مقدار التي المحرم للسؤال
- (مكنات التوبة)
- ٢ الركن الأول في نفس التوبة الخ
- ٣ بيان حقيقة التوبة وحققها
- ٤ بيان وجوب التوبة وفضلها
- ٧ بيان أن وجوب التوبة على الفور
- ٩ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال
فلا ينفك منه أحد البتة
- ١٢ بيان أن التوبة إذا استجبت شر الطها فهي مقبولة لا علة
الركن الثاني فيها من التوبة وهي القنوب
- ٢٢ بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على
المستات والسيئات في الدنيا
- ٣٢ بيان ما ينظم به الصفات من القنوب
- ٣٤ الركن الثالث في تمام التوبة الخ
- ٤٣ بيان أقسام الصبر في دوام التوبة
- ٤٦ بيان ما ينبغي أن يبادر إليه الطالب الخ
- ٤٩ الركن الرابع في دواء التوبة الخ
(مكنات الصبر والشكر)
- ٥٩ القطر الأول في الصبر
- ٦٠ بيان فضيلة الصبر
- ٦١ بيان حقيقة الصبر وسماته
- ٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
- ٦٦ بيان الأساليب التي تصمد الصبر الخ
- ٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
- ٦٧ بيان سلطان الحاجة إلى الصبر الخ
- ٧٢ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
- ٧٨ القطر الثاني من الكتاب في الفكر
الركن الأول في نفس الفكر
- ٧٩ بيان فضيلة الفكر
- ٧٩ بيان حد الفكر وحقيقته
- ٨٣ بيان طريق كشف الغطاء عن الفكر في حق الله تعالى
- ٨٧ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى مما يكرهه
- ٩٦ الركن الثاني من أركان الفكر الخ
- ٩٦ بيان حقيقة التمسك وأقسامها
- ١٠٦ بيان وجه الأعوذ في كثرة اسم الله تعالى وكسلسلها
وخروجها من الحصر
- ١٠٧ الطرف الأول في اسم الله تعالى في خلق أسباب
الإدراك
- ١٠٨ الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإبداعات
- ١٠٩ الطرف الثالث في اسم الله تعالى في خلق القدرة
وآلات الحركة
- ١١٣ الطرف الرابع في اسم الله تعالى في الأصول التي
تحصل فيها الأنسنة الخ

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢١٠	بيان أحوال السابقين	٢١٠	بيان أحوال السابقين
٢١١	القطر الثاني من الكتاب في الزهد	٢١١	القطر الثاني من الكتاب في الزهد
	بيان حقيقة الزهد		بيان حقيقة الزهد
٢١٤	بيان فضيلة الزهد	٢١٤	بيان فضيلة الزهد
٢٢٠	بيان درجات الزهد وأصلها الخ	٢٢٠	بيان درجات الزهد وأصلها الخ
٢٢٤	بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة	٢٢٤	بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة
٢٢٦	بيان علامات الزهد	٢٢٦	بيان علامات الزهد
٢٢٨	(كتاب التوحيد والتوكل)	٢٢٨	(كتاب التوحيد والتوكل)
	بيان فضيلة التوكل		بيان فضيلة التوكل
٢٤٠	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو	٢٤٠	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو
	القطر الأول من الكتاب		القطر الأول من الكتاب
٢٥٢	القطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله	٢٥٢	القطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله
	وله بيان حال التوكل الخ		وله بيان حال التوكل الخ
	بيان حال التوكل		بيان حال التوكل
٢٥٧	بيان ما قاله الفيض في أحوال التوكل	٢٥٧	بيان ما قاله الفيض في أحوال التوكل
٢٥٨	بيان أعمال التوكلين	٢٥٨	بيان أعمال التوكلين
٢٦٥	بيان توكل للمسلم	٢٦٥	بيان توكل للمسلم
٢٦٨	بيان أحوال التوكلين المتعلقين بالأسباب يشرب مثال	٢٦٨	بيان أحوال التوكلين المتعلقين بالأسباب يشرب مثال
٢٧٤	بيان آداب للتوكلين إذا سرق متاعهم	٢٧٤	بيان آداب للتوكلين إذا سرق متاعهم
٢٧٩	بيان أن ترك التداوى قد يبعد في بعض الأحوال	٢٧٩	بيان أن ترك التداوى قد يبعد في بعض الأحوال
	ويدل على قوة التوكل الخ		ويدل على قوة التوكل الخ
٢٨٣	بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال	٢٨٣	بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال
٢٨٥	بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكتابه	٢٨٥	بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكتابه
٢٨٦	(كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)	٢٨٦	(كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)
	بيان فوائد الصبر في حب البعد قال		بيان فوائد الصبر في حب البعد قال
٢٨٨	بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة البعد	٢٨٨	بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة البعد
	قال تعالى		قال تعالى
٢٩٢	بيان أن السعق للعبة مؤاته وحده	٢٩٢	بيان أن السعق للعبة مؤاته وحده
٢٩٩	بيان أن أجل الفئات وأعلامها معرفة الله تعالى الخ	٢٩٩	بيان أن أجل الفئات وأعلامها معرفة الله تعالى الخ
٣٠٣	بيان السبب في زيادة النظر في لغة الآخرة على المعرفة في الدنيا	٣٠٣	بيان السبب في زيادة النظر في لغة الآخرة على المعرفة في الدنيا
٣٠٧	بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى	٣٠٧	بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى
٣١١	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب	٣١١	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٣١٢	بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى	٣١٢	بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
٣١٤	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى	٣١٤	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣١٨	بيان محبة الله تعالى للعبد ومساها	٣١٨	بيان محبة الله تعالى للعبد ومساها
٣٢٠	القول في علامات محبة البعد قال	٣٢٠	القول في علامات محبة البعد قال
٣٢٩	بيان معنى الأنس بالله تعالى	٣٢٩	بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٣١	بيان معنى الانهاس والإدلال الخ	٣٣١	بيان معنى الانهاس والإدلال الخ
	غلبة الأنس		غلبة الأنس
٣٣٣	القول في معنى الرضا بضياء الله الخ	٣٣٣	القول في معنى الرضا بضياء الله الخ
٣٣٤	بيان فضيلة الرضا	٣٣٤	بيان فضيلة الرضا
٣٣٧	بيان حقيقة الرضا ومسوره فيها مخالف لمعنى	٣٣٧	بيان حقيقة الرضا ومسوره فيها مخالف لمعنى
٣٤٩	بيان أن المعاد غير متافى الرضا	٣٤٩	بيان أن المعاد غير متافى الرضا
٢١٤	بيان أن الحرار من البلاد التي هي مظان للناس	٢١٤	بيان أن الحرار من البلاد التي هي مظان للناس
٢١٥	ومستها لا يدح في الرضا	٢١٥	ومستها لا يدح في الرضا
٢١٥	بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم	٢١٥	بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
٢٤٩	خاتمة الكتاب بكتابات متفرقة تتعلق بالمحبة	٢٤٩	خاتمة الكتاب بكتابات متفرقة تتعلق بالمحبة
	يفتح بها		يفتح بها
٢٥٠	(كتاب التوبة والإخلاص والصدق)	٢٥٠	(كتاب التوبة والإخلاص والصدق)
٢٥١	الباب الأول في التوبة	٢٥١	الباب الأول في التوبة
	بيان فضيلة التوبة		بيان فضيلة التوبة
٢٥٢	بيان حقيقة التوبة	٢٥٢	بيان حقيقة التوبة
٢٥٥	بيان سر قول صل الله عليه وسلم : توبة للؤمن خير من محبة	٢٥٥	بيان سر قول صل الله عليه وسلم : توبة للؤمن خير من محبة
٢٥٧	بيان تفصيل الأعمال للتعطى بالتوبة	٢٥٧	بيان تفصيل الأعمال للتعطى بالتوبة
٢٦٢	بيان أن التوبة غير فائضة تحت الاختيار	٢٦٢	بيان أن التوبة غير فائضة تحت الاختيار
٢٦٤	الباب الثاني في الإخلاص وفضيله وحقيقته ودرجاته	٢٦٤	الباب الثاني في الإخلاص وفضيله وحقيقته ودرجاته
	فضيلة الإخلاص		فضيلة الإخلاص
٢٦٧	بيان حقيقة الإخلاص	٢٦٧	بيان حقيقة الإخلاص
٢٦٩	بيان أقوال الفيض في الإخلاص	٢٦٩	بيان أقوال الفيض في الإخلاص
٢٧٠	بيان درجات العوالب والآفات للكثرة للإخلاص	٢٧٠	بيان درجات العوالب والآفات للكثرة للإخلاص
٢٧٢	بيان حكم العمل للشوق واستحقاق الثواب به	٢٧٢	بيان حكم العمل للشوق واستحقاق الثواب به
٢٧٤	الباب الثالث في الصدق وفضيله وحقيقته ودرجاته .	٢٧٤	الباب الثالث في الصدق وفضيله وحقيقته ودرجاته .
	فضيلة الصدق		فضيلة الصدق
٢٧٥	بيان حقيقة الصدق وسماته ودرجاته	٢٧٥	بيان حقيقة الصدق وسماته ودرجاته
٢٨١	(كتاب الرأية والمحاسبة)	٢٨١	(كتاب الرأية والمحاسبة)
	للقيام الأول من الرأية للمحاسبة		للقيام الأول من الرأية للمحاسبة
٢٨٤	الرأية الثانية للرأية	٢٨٤	الرأية الثانية للرأية
٢٨٥	بيان حقيقة الرأية ودرجاتها	٢٨٥	بيان حقيقة الرأية ودرجاتها
٢٩١	الرأية الثالثة محاسبة النفس الخ	٢٩١	الرأية الثالثة محاسبة النفس الخ
	فضيلة المحاسبة		فضيلة المحاسبة
٢٩٢	بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل	٢٩٢	بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٢٩٣	الرأية الرابعة في محاسبة النفس على تكميلها	٢٩٣	الرأية الرابعة في محاسبة النفس على تكميلها
٢٩٥	الرأية الخامسة المحاسبة	٢٩٥	الرأية الخامسة المحاسبة
٤٠٣	الرأية السادسة في توبخ النفس ومعاينتها	٤٠٣	الرأية السادسة في توبخ النفس ومعاينتها
٤٠٩	(كتاب التفكير)	٤٠٩	(كتاب التفكير)
٤١٠	فضيلة التفكير	٤١٠	فضيلة التفكير
٤١٢	بيان حقيقة التفكير وثمرته	٤١٢	بيان حقيقة التفكير وثمرته
٤١٣	بيان مجازي التفكير	٤١٣	بيان مجازي التفكير
٤٢٠	بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى	٤٢٠	بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى
٤٢٣	(كتاب ذكر الموت وما بعده)	٤٢٣	(كتاب ذكر الموت وما بعده)
	القطر الأول في مقدمته وتوابه الخ		القطر الأول في مقدمته وتوابه الخ
٤٣٤	الباب الأول في ذكر الموت الخ	٤٣٤	الباب الأول في ذكر الموت الخ
	بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان		بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان
٤٣٦	بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب	٤٣٦	بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب
٤٣٧	الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل	٤٣٧	الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل
	وسبب طول وكيفية سبيلته		وسبب طول وكيفية سبيلته

صفحة	صفحة
٤٨٦	فنية قمر الأمل
بيان سؤال منكروكم وصورتها وصفة العبر	٤٨٦
وبقية القول في صفات القبر	٤٨٦
٤٨٨	بيان السبب في طول الأمل وعلاجه
الباب الثامن في بيان أحوال الموتى بالكشفة في التام	٤٨٨
٤٩٠	بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
بيان منادات مكلف من أحوال الموتى والأعمال	٤٩٠
النافعة في الآخرة	٤٩٠
٤٩١	بيان الثالث في سكرات الموت وحدته وما يستحب
بيان منادات للتأخر رحة الله عليهم آمين	٤٩١
٤٩٤	بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
الفطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت	٤٩٤
من وقت تفتت الصور إلى آخر الاستقراء في الجنة	٤٩٤
أو النار وتصيل ما بين يديه من الأموال والأشخاص	٤٩٤
وفيه بيان حفة الصور الخ - صفة تفتت الصور	٤٩٤
٤٩٦	الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة أرض المحضر وأمه	٤٩٦
٤٩٧	والخلفاء الراشدين من بعده
صفة العراق	٤٩٧
٤٩٨	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة طول يوم القيامة	٤٩٨
٤٩٩	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
صفة يوم القيامة ودواحيه وأصابعه	٤٩٩
٥٠١	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
صفة للساعة	٥٠١
٥٠٣	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
صفة للبراق	٥٠٣
٥٠٤	وفاة علي كرم الله وجهه
صفة الحضا - ورد الظلام	٥٠٤
٥٠٧	الباب الخامس في كلام المحتضرين من المخافة
صفة الصراط	٥٠٧
٥٠٩	والأسماء والصالين
صفة الصفوة	٥٠٩
٥١٧	بيان أوائل جماعة من خصوص الصالحين من
صفة الموتى	٥١٧
٥١٨	الصباية والثابته ومن يهدم من أهل التصوف
٥١٩	رضي الله عنهم آمين
٥٢٢	٤٦٨
٥٢٣	٤٦٨
٥٢٤	٤٦٩
٥٢٦	٤٧٣
٥٢٧	٤٧٧
٥٢٨	٤٨٢
٥٢٩	٤٨٣

فهرس

بقية هوارف المعارف السهروردي الذي بالماش

صفحة	موضوع
٢٥٢	الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتعميقها
٢٨١	الباب الثامن والخمسون في شرح المسائل والتمام والفرق بينهما
٢٩٨	الباب التاسع والخمسون في الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز
٣٣٥	الباب الستون في ذكر إشارات الخارج في المقامات على الترتيب
٣٨٣	الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها
٤٤٩	الباب الثاني والستون في شرح كلمات معبرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية
٤٧٥	الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البيانات والنهايات وصحتها
٧	الباب التاسع والأربعون في استقبال التبار والأدب فيه والصل
٣٧	الباب الخمسون في ذكر الصل في جميع التبار وتوزيع الأوقات
٧٨	الباب الحادي والخمسون في آداب للريد مع الشيخ
١١٧	الباب الثاني والخمسون في آداب الشيخ وما يستعمله مع الأصحاب والتلاميذ
١٣٨	الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحة وما فيها من الخير والشر
١٦٥	الباب الرابع والخمسون في آداب حقوق الصحة والأخوة في أمة تعالى
١٨٠	الباب الخامس والخمسون في آداب الصحة والأخوة
١٩٧	الباب السادس والخمسون في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

بسم الله تعالى تم طبع كتاب [إحياء علوم الدين] لحجة الإسلام الإمام التتالي ، ومعه كتاب [الفنى عن حل الأسفار في الأسفار] لخرى ما في الإحياء من الأخبار [لحافظ الإسلام زين الدين العراقي .

وبجانبه ثلاثة كتب :

- الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر اليبروس باصطفى .
- الثاني : الإمامة من إشكالات الإحياء تصنيف الإمام التتالي .
- الثالث : هوارف المعارف للإمام السهروردي .



Bibliotheca Alexandrina



0706893